BnF Gallica

AL IBN MUAMMAD AL-ZIN.

Lubb al-tawl f man al-tanzl (Coran XVIII-CXIV).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

BnF Gallica

AL IBN MUAMMAD AL-ZIN. Lubb al-tawl f man al-tanzl (Coran XVIII-CXIV).. 19 novembre 1753.

1/ Les contenus accessibles sur le site Gallica sont pour la plupart des reproductions numériques d'oeuvres tombées dans le domaine public provenant des collections de la BnF. Leur réutilisation s'inscrit dans le cadre de la loi n°78-753 du 17 juillet 1978 :
- La réutilisation non commerciale de ces contenus est libre et gratuite dans le respect de la législation en vigueur et notamment du maintien de la mention de source.
- La réutilisation commerciale de ces contenus est payante et fait l'objet d'une licence. Est entendue par réutilisation commerciale la revente de contenus sous forme de produits élaborés ou de fourniture de service.

CLIQUER ICI POUR ACCÉDER AUX TARIFS ET À LA LICENCE

2/ Les contenus de Gallica sont la propriété de la BnF au sens de l'article L.2112-1 du code général de la propriété des personnes publiques.

3/ Quelques contenus sont soumis à un régime de réutilisation particulier. Il s'agit :

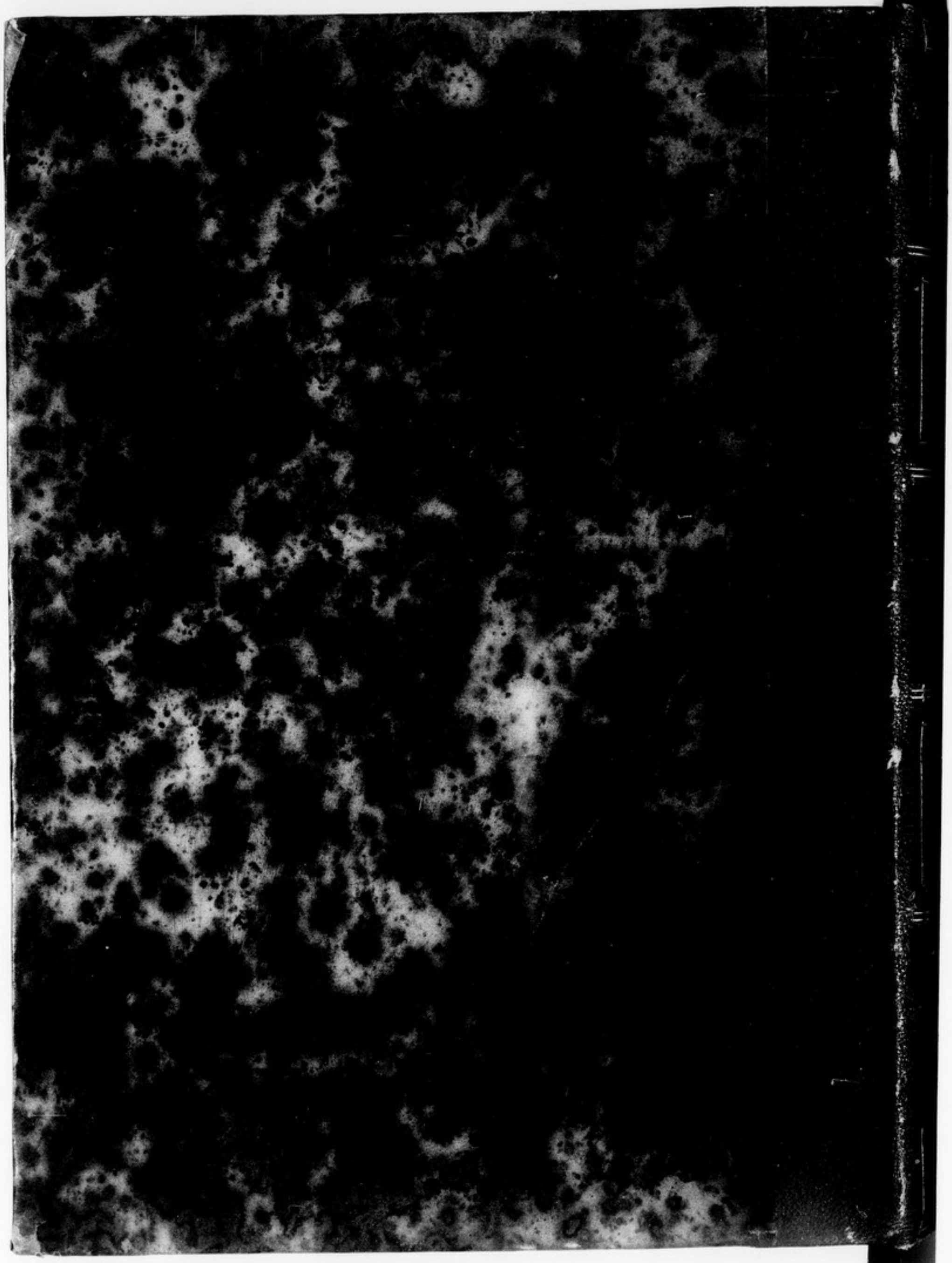
- des reproductions de documents protégés par un droit d'auteur appartenant à un tiers. Ces documents ne peuvent être réutilisés, sauf dans le cadre de la copie privée, sans l'autorisation préalable du titulaire des droits.
- des reproductions de documents conservés dans les bibliothèques ou autres institutions partenaires. Ceux-ci sont signalés par la mention Source gallica.BnF.fr / Bibliothèque municipale de ... (ou autre partenaire). L'utilisateur est invité à s'informer auprès de ces bibliothèques de leurs conditions de réutilisation.

4/ Gallica constitue une base de données, dont la BnF est le producteur, protégée au sens des articles L341-1 et suivants du code de la propriété intellectuelle.

5/ Les présentes conditions d'utilisation des contenus de Gallica sont régies par la loi française. En cas de réutilisation prévue dans un autre pays, il appartient à chaque utilisateur de vérifier la conformité de son projet avec le droit de ce pays.

6/ L'utilisateur s'engage à respecter les présentes conditions d'utilisation ainsi que la législation en vigueur, notamment en matière de propriété intellectuelle. En cas de non respect de ces dispositions, il est notamment passible d'une amende prévue par la loi du 17 juillet 1978.

7/ Pour obtenir un document de Gallica en haute définition, contacter
utilisationcommerciale@bnf.fr.



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

ARABE
642

Volume de 602 Feuillets

19 Juillet 1872.

1

Anselm c. c.

Suppl. ar.
Nº 186
IV

BIBL. NATIONALE ROYALE

Suppl. ar.
~~Nº 75.~~

تفسير سورة الكهف وهي مكية

وايا تها مايتان واحدى عشرة اية وكلماتها الف وخمسمايتان وسبعة وسبعون كلمة وحروفها ستة الاف وثلاثمايتان وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اثنى الله على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزاى نعمائه عليهم وهي الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سايرالناس على العموم ولم يجعل له عوجا اى لم يجعل له شيا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي عن ابن عباس في قوله قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق قيما اى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها ونا سخا شرايعها لينذر باسا شديدا لينذر الذين كفروا باسا وهو قوله بعذاب يبيس من لدنه اى من عنده ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا يعني الجنة ماكثين فيه اى مقيمين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اى بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفا العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به ولا لابايهم اى ولا لاسلافهم من قبيل كبرت اى عظمت كلمة تخرج من افواههم اى هذا الذي يقوله لا يحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غايت الفساد والبطلان فكانه جري على لسانهم

معناه ج

على

على سبيل التقليد ان يقولون اي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه ويراد بعضهم مع علم فايله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا عنه ان كل خبر لا يطابق المخبر فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذب اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل فلعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك على اثارهم اى من بعدهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اى بعني القران اسفا اي حزنا وقيل شفقا انا جعلنا ما على الارض زينة لها اى مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الدنيا الارض وقيل اراد به العلما والصلحا وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت اى زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى لنبلوهم فمن نبلوه يجب ان لا يدخل فيه ومعنى لنبلوهم نختبرهم ايهم احسن عملا اى اصلح عملا وقيل ايكم اترك للدنيا وازهد فيها وانا جاعلون ما عليها اى من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل الارض لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا مغشية والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شي قوله تعالى ام حسبت اي اظننت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اى هو عجب من اياتنا

وقيل معناه انهم ليسوا باعجب ايا تنا فان ما خلقت من السموات
والارض وما فيهن من العجايب اعجب منهم والكهف الغار
الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه اسما اصحاب الكهف
وقصتهم ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص
وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي
فيه اصحاب الكهف قال كعب هو اسم للقرية التي خرج منها
اصحاب الكهف وقيل هو اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر الله
عز وجل قصة اصحاب الكهف فقال عز من قايل اذ اوي الفتية
الى الكهف اي صاروا اليه احيا وجعلوه ماواهم والفتية جمع
فتي وهو الطري من النبات فقالوا ربنا اتنا من لدنك
رحمة اي رحمة من خزاين رحمتك وخلايل فضلك واحسانك
وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعدا وهيي لنا اي
اصلح لنا من امرنا رشدا حتى يكون بسببه راشدين مهديين
وقيل معناه واجعل امرنا رشدا كله ذكر قصة
اصحاب الكهف وسبب خروجهم
اليه قال محمد بن اسحاق بن يسار لما مرج اهل الانجيل وعظمت
فيهم الخطايا واطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت
وفيهم بقايا على دين المسيح مستمسكين بعبادة الله وتوحيده
وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس
دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان
ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه
حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف
واسمها افسوس استخفا منه اهل الايمان وهربوا في كل وجه
واتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل اوليك الشرط
يتبع اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم
بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ويعظم
من يابى ان يعبد غير الله تعالى فيقتل فلما راى ذلك اهل الشد

في

في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون
ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسادهم على اسوار المدينة
وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت وراوا ذلك الفتية
حزنوا حزنا شديدا فقاموا واستقبلوا الصلاة والقيام
والصدقة والتسبيح والدعا وكانوا من اشراف الروم وهم
ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون
رب ارب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا اكشف عن عبادك المومنين هذه الفتنة
وارفع عنهم البلا حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك
وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا
يبكون ويتضرعون الى الله تعالى فقال لهم الشرط ما خلفكم
عن امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث
فيهم فاتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم
في التراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي
تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة اهل المدينة كلهم اختاروا
اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان اقتلكم فقال مكسلمينا وهو
اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو
من دونه الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا
اياه نعبد واياه نسيل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن
نعبدها ابدا اصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما
سمع الملك كلامهم امر بنزع لباسهم وحلية كانت عليهم من
الذهب والفضة وقال سافرغ لكم واجزئكم ما وعدتكم من
العقوبة وما يمنعني ان اعجل لكم ذلك الا اني اراكم شبابا
حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تد
تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من
عنده وارسل دقيانوس الى مدينة اخرى فرتب منهم
بعض امورها فلما راى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم

ان يذكرهم فاشوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم
نفقة من بيت ابيه فيقتصد فيأمنها ويتزود ولما بقي ثم
ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له يجلوس
فيمكثون فيه ويعبدون الله حق اذا جاد فقيانوس
اتوه فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى الى منهم
بيت ابيه فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم
واتبعهم كلب كان لهم حتى اذا اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه فتبعهم
وقال كعب الاحبار مروا بكلب فطردوه فعاد ففعلوا ذلك
مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي انا احب
احباب الله عز وجل فناموا جميعا حدبستكم وقال بن عباس
هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب
فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف
قال ابن اسحاق ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والا
والتحميد ابتغاء وجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم
اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ابرازقهم من المدينة تسراوه
وكان من اجملهم واجلدهم فكان اذا دخل المدينة لبس
ثيابا رثة كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه فينطلق الى
المدينة فيبتشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم
الخبر هل ذكروا واصحابه بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا
بذلك ما شاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة
وامر عظماء اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك
اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يبتشتري لاصحابه طعامهم
فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان
الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا وانهم سوا مع عظماء
المدينة ففزعوا وفزعوا يذكرون الله ويتضرعون اليه
ويتعوذون من الفتنة وقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا
رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم

واعينهم

واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم
جلسوا يتحدثون ويذكرون بعضهم بعضا فبينما هم
على ذلك اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف وكلبهم باسط
ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم موتى
موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد فقدهم
دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة
لقد سباني شيان هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظننت ان
بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امري ما كنت لاجهل
عليهم انهم تابوا وعبدوا الهي فقال عظماء المدينة ما
ما انت بحقيق ان يرحم قوما فجرة مرده عصاة قد كنت
اجلت لهم اجلا ولو شاء لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم
لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى
آبائهم فاتي بهم فقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين
عصوني قالوا اما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة
ذهبوا باموالنا واهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا
الى جبل يدعى يجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم ووجد
وجعل ما يدري ما يصنع بالفتية فالقى الله تعالى في نفسه
ان يامر بسد باب الكهف عليهم واراد الله عز وجل ان لا
يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم
وان يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال
دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وكان يظن انهم يقاظ يعلمون
ما يصنعون بهم وقد توفى الله عز وجل ارواحهم وفاء نومهم
وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم
يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين
في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما

بيدروس واسم الاخر رونامس يتمران يكتبا شان الفتية واسمائهم
وانسابهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلا هما في تابوت
من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقال لعل الله ان يظهر علي
هولا الفتية قوما مومنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح
عليهم خبرهم حتى يقرا الكتاب فيفعلا ذلك ويبنا عليه وبقي
دقيانوس ما بقي تمرمات هو وقومه وقرون بعده كثيرة هذه
وخلفت الملايكة بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب
الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوادوايب فخرجوا في عصر
بمطيب في بزي وموكب واخرجوا معهم الهتهم التي كانوا يعبدونها
وكان معهم كلب صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله
الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه
اخرج من بين اظهرهم هولا القوم لا يصيبني عقاب بحرمهم فخرج
شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج اخر فراه
جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير
ان يظهره علي امره ثم خرج اخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال
بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على
نفسه ثم قالوا ليخرج كل فيتين فيخلى ويفشي كل واحد سره الى
صاحبه فيعلموا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف
في جبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب حتى فناموا ثلثمائة
سنين وازدادوا تسعا فقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله
عليهم اثارهم وكتمهم فكتبوا اسمائهم وانسابهم في لوح فلان
وفلان ابنا ملوكنا فقدناهم في شهر كذا من سنة كذا في مملكة
فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا لئن
ظهر لنا شان وماتت ذلك الملك وجا قرن بعد قرن قال محمد بن
اسحاق فملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروسيس
فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وستين سنة فاتخذ الناس في

ملكه

في ملكه فكانوا احزابا منهم من يومن بالله ويعلم ان الساعة حق
ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله
تعالى وحزن حزنا شديدا لما راى اهل الباطل يزيدون ويظهرون
من اهل الحق ويقولون لا حياة الا حياة الدنيا وانما يبعث
الارواح دون الاجساد وجعل بيدروسيس الملك يرسل الى
من يظن فيه خيرا كثيرا او ارهابية من الخلق فلم يقبلوا منه هو
وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجوا الناس عن الحق
وملة الحواريين فلما راى الملك ذلك الملك الصالح دخل بيته
واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه
وبات ليلته ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى
اختلاف هولا فابعث لهم اية تبين لهم فان الله الرحمن الرحيم
الذي يكره هلكة عباده اراد ان يظهر علي الفتية اصحاب الكهف
ويبين للناس شانهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا ان
الساعة اتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروسيس
ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المومنين فالقى
الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف وكان
اسمه اوليانس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف
ويبني به حضيرة لغنمه فاستاجر غلمانا فجعل ينزعان تلك
الحجارة ويبنيان بها تلك الحضيرة حتى نزعا ما كان على فم الكهف
وتمت باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب فلما فتحا
باب الكهف اذن الله تعالى ذوا القدرة والسلطان يحيى الموتى
الفتية ان يخلوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرجين مسفرة
وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم علي بعض كانما
استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا اصبحوا
من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون
لا تزي في جوههم ولا الوانهم شيء ينكرونهم ولكنهم كهيئتهم
حين رقدوا وهم يرون دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم

قالوا لتمليخا صاحب نفقتهما نبيعنا ما الذي قالوا الناس في شاننا
عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا بعض
ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهما انهم قد ناموا طول ما كانوا ينامون
حتى تسالوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم
يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم في المدينة وهو يريد ان يوبخ
بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما لنا الله بعد ذلك
فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقو الله فلا
تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق
الى المدينة فتسمع ما يقال لسانها وما الذي يذكر عند دقيانوس
وتلطف ولا يشعرن بك احدا وابتع لنا طعاما فاتنا به ونردنا
على الطعام الذي جيئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان
يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتنكر فيها واخذ ورقا
من نفقتهما التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت
خفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف راى
الحجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر وليس بها
حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه
احد من اهلها فيعرفه ولا يشعران دقيانوس واهله هلكوا قبل
ذلك بثلثمائة سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فراى
فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذا كان امر الايمان هو
ظاهر فيها فلما راها تعجب وجعل ينظر اليها مستخفيا ينظر اليها
يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب اخر فراى مثل
ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كانت تعرف وراى
ناسا كثيرا لم يكن يرى مثلهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب
ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي اتى منه فجعل يتعجب
بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا ابدا
غشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه

المدينة

المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم ويري
انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على راسه ثم دخل المدينة
وجعل يمشي في اسواقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن
مريم فزاده ذلك عجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره
الى جدار من جدار المدينة ويقول في نفسه والله ما ادري
ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من يذكر عيسى
بن مريم الا قتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى لا يخاف
ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي اعرف والله
لاعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له
ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في
نفسه لعلي بي مسا او امرا اذهب عقلي والله يحق لي ان اسرع
الاخروج قبل ان يصيبني فيها شر فاهلك فرما الذين يبتعون
الطعام فاخرج له الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا من
منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر
الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجل اخر من
اصحابه فنظر ثم جعلوا يتراجعونها بينهم من رجل الى رجل
ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم
لبعض ان هذا اصاب كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما
راهم تمليخا افرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن
انهم قد قطنوا به وعرفوه وانهم يريدون ان يذهبوا به
الى ملكهم دقيانوس وجعل الناس يأتونه ويتعرفونه فقال
لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا علي قد اخذتم ورقي
فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا يا فتى من انت
وما شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت
تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه يخف
عليك ما وجدت وانك ان لا تفعل تحمل الى السلطان فيسالك
فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله لقد وقعت

في كل شيء احذر فقالوا يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما رأيت
ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى
لم يخبرهم شيئا فلما رأوه لا يتكلم اخذوا اكساءه فطرحوه في عنقه
وجعلوا يسحبونه على مسالك المدينة حتى سمع به من فيها
وقيل فاخذ رجل معه كتر فاجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا
ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل هذه
المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا ما يدري
ما يقول لهم وكان مستيقنا ان اباه واخوته بالمدينة وانه
وانه عظيم اهلها وانهم سبوا تونه اذ سمعوه فبينما هو
قائم كالحيران ينظر مرة يأتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم
اذا اختطفوه وانطلقوا به الى راس المدينة ومدبريها
اللذين يدبرون امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما
اريوس واسم الاخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما
ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت
يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يستخرون منه كما يستخرون
من المجنون ثم رفع راسه الى السماء وقال اللهم اله السماوات
والارض افرغ علي اليوم صبرا واوله معي برا وحاضنك تؤيدني
بهما عند هذا الجبار وجعل اني نفسه عرق بيني وبين الخوف
يا ليتهم يعلمون ما الذي لقيت ويا ليتهم يأتوني فنقوم
جميعا بين يدي الجبار فانا كنا فريقا نصا على الايمان بالله
ولا نشرك به احدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى
الى الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس ورأى انه لم
يذهب الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكاء واخذ اريوس
واسطيوس الورق وتنظر اليهما وعجبا منهما وقالا ابن الله
الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن
هذا ورق اباي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله
ما ادري ما شأنها وما اقول لكم فقال له احدهما فمن انت

منبقتا

بقول

هذا ح

اسطيو

فقال

فقال تمليخا اما انا فكنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل
له فمن ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه فلم يوجد
من يعرفه ولا اباه فقال احدهما انت رجل كذاب لا تتنبينا بالكذب
فلما رأى تمليخا ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض
من حوله هذا رجل مجنون قال بعضهم ليس بمجنون ولكنه
يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما وتظر اليه
نظرا شديدا انظر انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك
ونقش هذه المدينة وضربها وله اكثر من ثلاثمائة سنة وانت
غلام شاب اتظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وجو
وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزانين هذه المدينة
بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب دراهم ولا دينار وانى
لا ظنني سا امرك فتعذب عذابا شديدا انوا وثقك حتى تعرفني
بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا اخبروني عما اسالكم
عنه فان انتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لانكتمك شيئا
قال لهم فما فعل الملك دقيانوس فقالوا ما نعرف على وجه الارض
من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمان الاول
وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال لهم تمليخا
اني اذا لحيران وما هو بمصدقي احد من الناس فيما اقول لقد
كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت
فهربنا منه عشية امس واتينا الكهف الذي في جبل مخلوس
فبتنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما واتجسس
الاخبار فاذا انا معكم كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف اريكم
اصحابي قال فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من
ايات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس ومعهما
جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا
اليهم ولما رأى الفتية اصحاب الكهف ان تمليخا قد احتبس عنهم

بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى فيه ظنوا انه قد
اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك
ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وحلية الخيل مصعدة فظنوا
انهم رسل الجبابرة دقيانوس بعث بهم اليهم ليوتوهم فقاموا
الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا
وقالوا انطلقوا بنا بنات اخانا نسلم بنا فانه الان بين يدى الجبار وهو
ينتظرنا ميتى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على
هذه الحال اذا هم بأرياوش واصحابه وقوفا على باب الكهف
فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكى فلما راوه يبكى بكوا معه ثم
سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما
بأمر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكون اية للناس
ونصديقا للبعث ويعلموا ان الساعة لا ريب فيها ثم دخل
على اثر تمليخا ارهوس فراى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة
فدخل على الباب ودعا جماعة من عظماء اهل المدينة وامر بفتح
التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب
فيهما مكسلمينا ومحسلمينا وتمليخا ومرطونس وكسطوس
ونبرونس ودبنونس ومطبونس وقالوا انس كانوا فتية
هربوا من ملكهم دقيانوس لجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم
فدخلوا هذا الكهف فلما اخبروهم انهم امروا بالكهف فسد عليهم
بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم
فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله الذى اراهم اية تدل على البعث
ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف
فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبلى وجوههم ولم تبل
ثيابهم فخر ارهوس واصحابه سجودا لله وحمد الله الذى اراهم
اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن الذى قالوا
من ملكهم دقيانوس ثم ان ارهوس واصحابه بعثوا بريدا الى
ملكهم الصالح بندروس ان عجل لعلك تنظر اية من ايات الله

نبر

جعلها

جعلها الله على ملكك وللناس اية ولتكون لهم نورا وضيا وتصديقا
للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة
سنة واكثر فلما اتى الملك الخبر برج عقله اليه وذهب همته وقال لا
وقال احمدك الله رب السموات والارض ولعبيدك واسبغ لك
تطول على ورحمتى ولم تطف النور الذى جعلته لابائى
وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك ثم اخبر بذلك اهل مدينته
فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وسألوا
معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بندروس فرح وخر
ساجدا على وجهه فقام بندروس الملك فقاموا واعتنقهم وبكا
وبكاوا هم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه
ثم قال الفتية لبندروس الملك نستودعك الله والسلام عليك
ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر
الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا مضاجعهم فناموا
وتوفى الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم
وامر ان يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما مشى
ونام انوه فى منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة
ولكنا خلقنا من التراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى
الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك عند ذلك
بتابوت من ساج فجعلوا فيه وجيههم الله حتى خرجوا من عنده
بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يتخذ
على باب الكهف مسجدا يصلى عليه وجعل لهم عيدا عظيما وامر
ان يأتى كل سنة وقبل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له
الملك من انت قال رجل انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه
خرج امسى او منذ ايام وترك منزله واقواما لا يعرفهم وكان الملك
قد سمع ان فتية فقدوا فى الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة
على لوح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى اسمائهم فاذا اسمه
مكتوب بذهب وذكر اسما الاخرين فقال تمليخا اصحابى فلما سمع

الملك ركب ومن معه من القوم فلما انتوا باب الكهف قال تمليخا
دعوني ادخل على اصحابي فابشرهم فانهم ان رأوكم معي عرفتموهم
فدخل تمليخا فبشرهم وقبض الله ارواحهم واعمى على الملك
واصحابه امرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ اوى
الفتية الى الكهف اى صاروا الى الكهف واسمه صرم فقالوا ربنا
اتنا من لدنك رحمة اى هداية في الدين وهيئ لنا اى يسر لنا
من امرنا رشدا اى ما نلتمس فمن دعاك وما فيه رشدنا
وقال ابن عباس مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى فضربنا
على اذانهم اى القينا عليهم النوم وقيل معناه تبعنا بعود
الاصوات الى صماخهم فان النائم اذا سمع الصوت هبه
ينتبه في الكهف سنين عددا اى اتممناهم سنين كثيرة
قال العدد يدل على الكثرة ثم بعثناهم اى من نومهم لنعلم
اى علم المشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما اراد
ما تعلق بالعلم من ظهور الامر ليزدادوا ايمانا واعتبارا اى
لحزبين اى اى الفريقين احصى لما لبثوا امدا اى احفظ لما
مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا في مدة
لبثهم في الكهف نحن نقص عليك نبأهم بالحق اى نظر عليك
خبرا صحاب الكهف بالحق اى بالصدق انهم فتية اى شبان آمنوا
بربهم وزدناهم هدى اى ايمانا وبصيرة وربطنا على قلوبهم
اى شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور
الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا
عليه من حفظ العيش وقروا بدينهم الى الكهف اذ قاموا
فعني بين يدي دقيانوس الجبار حين دعاهم على ترك عبادة
الاصنام فقالوا اى الفتية ربنا رب السموات والارض لن
ندعو من دونه الها اى قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون
الاصنام لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس يعني جورا وقيل
كذبا يعني ان دعونا غير الله هولاء قومنا يعني اهل بلدهم

اتخذوا

اتخذوا من دونه اى من دون الله الهة يعني اصناما يعبدونها
لولا اى هلا يأتون عليهم اى على عبادة الاصنام بسلطان
بين اى بحجة واضحة وفيه تنكيت لان الاتيان بحجة على عبادة
الاصنام محال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى ونسب
لله شريكا ان له شريكا وولدا ثم قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم
واذ اعتزلتموهم يعني قومكم وما يعبدون الا الله وذلك
انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى هم
وان اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانهم لم يعتزلوا
عبادته فاووا الى الكهف اى انجوا اليه ينشر لكم اى يبسط لكم
ربكم من رحمته ويهيئ اى يسهل لكم من امركم مرفقا اى ما تنتفعون
اليه بشركم ورفقكم قوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت
تزاور اى تميل وتعدل عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت
تقرضهم اى تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة
منه اى متسع من الكهف ذلك من آيات الله اى من عجائب
صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان في ذلك الشمس
تصيبه الشمس ولا تغيبهم اختصاصا بالكرامة وقيل ان باب
الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهو في معناه ابدا لا تقع
الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الانتواء
فتزدهم نحوها ولكن اختار الله لهم مضجعا في متسع بنالهم فيه
برد الهواء ونسيمها ونرفع عنهم كرب الغار وكآبته وعلى هذا القول
يكون معنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله
من يهد الله فهو المهتدي يعني مثل اصحاب الكهف فيه ثناء
عليهم ومن يضلل اى ومن يضله الله ولم يرشده فلن تجد
له وليا اى معينا مرشدا قوله تعالى وتحسبهم خطابا لكل احد
ايقاظا اى متنبهين اعينهم مفتحة وهم رقود اى نيام ونقلبهم
ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة
مرة من جانب الى جانب ليلا تأكل الارض لحومهم فقيل كانوا

وغمه ع

يقلبون في يوم عاشورا وقيل كان لهم في السنة تقلبتان
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس كان كلبا
احمر وعنه انه كان فوق القلطي ودون الكدري والقلطي يكلب
صيتي وكان اصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى الحمرة وقا
وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل ضربا وقيل
ليس في الجنة من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم
بالوصيد يعني فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد
بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم وقد كان يقلب مع اصحابه فاذا
انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا
ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها لو اطلعت عليهم
يا محمد لوليت منهم فرارا وذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى
لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم
ولملئت منهم رعبا اى خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم
مفتتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم
شعورهم وطول اظفارهم وتقليبهم من غير حس ولا اشعار وقيل
ان الله تعالى ملأهم بالرعب ليلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا
مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف
فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس
قد منع ذلك من هو خير منكم فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا فبعث معاوية انا سا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا بعث
الله عليهم ريحا فاخرجتهم قوله عز وجل وكذلك بعثناهم اى كما
انمناهم في الكهف وحفظنا اجسامهم من البلا على طول الزمان
بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم اى ليسأل
بعضهم بعضا قال قائل منهم وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا
كم لبثتم اى في نومكم وذلك انهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم
راوا هيئة تغايرهم من الصلاة فقالوا ذلك قالوا لبثنا يوما او
بعض

يوم

على سبيل التقليد ان يقولون اى ما يقولون الا كذبا
قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه
وقد يعبر به عن كل ما هو قبيح وان كان مطابقا وهذا القيل
باطل لان الله وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع
ان الكفر ليس منهم بيوم فلما نظروا الى شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا
اكثر من يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف
بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم يعني تمليخا
بورقكم هذه يعني الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة الى المدينة قيل
هي طرطوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام اقسوس فلينظر ايها ازكى
طعاما اى احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مومن ولا يكون من ذبح
من يذبح لغير الله وكان فيهم مومنون يخفون ايمانهم وقيل اطلب طعاما واجود
وقيل اكثر طعاما فاد خصه فليأتكم برزق منه اى قوت وطعام تاكلونه وليتلطف
اى وليترفق في الطريق والمدينة وليكن في ستر وكتمان ولا يشعرن اى ولا يعلمن بكم
احدا اى من الناس انهم ان يظهروا عليكم اى يعلموا بمكانكم يرجموكم قيل معناه يشتموكم
ويوذونكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل
وقيل يضربوكم او يعيدوكم في ملتهم اى الكفر ولن تفلحوا اذا ابدا اى عدتم اليه قوله عز
وجل وكذلك اعثرنا عليهم اى اطلعنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق يعني قوم تنازعوا في
الذي تذكروا البعث وان الساعة لا ريب فيها اى لا شك فيها انها اتية اذ يتنازعون بينهم
امرهم قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم
على ديننا وقال المشركون نبني بنيانا لانهم من اهل ملتنا وقيل كان منازعتهم في البعث
فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله اية
فان البعث للارواح والاجساد وقيل ينتازعون مدة لبثهم وقيل في عددهم
فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلب على امرهم يعني تيدوس
واصحابه لنتخذن عليهم مسجدا قوله عز وجل سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم روى
ابن السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم
كلبهم وقال العاقب وكان يسطوريا كانوا

طول

فضربنا بالباب

كما

ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب هـ
ويقولون اى وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم محقق الله قول المسلمين واغاعرفوا ذلك باخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام بعد ما حكى
قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله تعالى رجما بالغيب اى ظنا وحدسا
من غير يقين ولم يقل في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان
الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول
النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه
رجما بالغيب وظنا نم اتبعه لقوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل هذا هو الحق لان العالم يتفاصيل الكائنات
العوالم الكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يحصل الا بالله تعالى
ومن اخبره الله تعالى بذلك قال ابن عباس انا من اولئك القليل
كانوا سبعة وهم مكسلمينا ومنلخا ومرطونس وبسونس وساريونس
وساريونس وذو انواس وكفبسيطيطونس وهو الراعي وكلبهم
قطمير فلا غبار في عددهم اي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشانهم الامر الظاهر
اي الا بالامر الظاهر ما قصصنا عليك فتقف عنده ولا ترد عليه ولا تستفت
فيهم اي في اصحاب الكهف منهم يعني من اهل الكتاب احدا اي لا ترجع
الى قول احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم وقوله عز وجل ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله يعني اذا عزمت على فعل شيء
غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثنا وذلك ان اهل مكة
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان يشاء الله فلبث الوحي
اياما ثم نزلت الاية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل واذكر
ربك اذا نسيت قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثنا
ثم ذكرت فاستثني وجوز ابن عباس الاستثنا المنقطع وان كان بعد سنة
وجوز الحسن بن ما دام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان
فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثنا

وقيل

وقيل في معنى الاية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب في
الانجيل ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقيل الاية
في الصلاة يدل عليه ما روي عن انس قال قال رسول الله صلى عليه
وسلم من نسي الصلاة فليصلها اذا ذكرها اقم الصلاة لذكري متفق
عليه زاد مسلم او نام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها وقل
عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي ثبتني على طريق هو
اقرب اليه وارشد وقيل ان الله امره ان يذكره اذا نسي شيئا وسأله
ان يذكره او يهديه لما هو خير له من يذكره ما نسي وقيل ان القوم سألوه
عن قصة اصحاب الكهف على وجه الاعتاد امره الله تعالى ان يخبرهم
ان الله تعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو ادل لهم من قصة
اصحاب الكهف وقد فعل حيث اتاه علم غيب المرسلين وقصصهم
ما هو اوضح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا شيء امر ان
يقوله مع قوله ان شاء الله فيؤتيه من ذلك ان يقول عسى ان يهديني
ربي لاقرب من هذا رشدا قوله عز وجل ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين
وازدادوا تسعا قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا
من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن
الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر
لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا ان ناسا يختلفون
في مدة لبثهم في الكهف فقل انت الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم
وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين
دخلوا الكهف الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله تعالى فان قلت لو قال
سنين ولم يقل سنة قلت قيل نزل قوله وليثوا في كهفهم ثلثمائة فقالوا
اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير
لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا او ازدادوا تسعا
قيل قالت نصارى نجران الثلثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا
بها فنزل قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب
لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع

من اذا ذكر الاستثنا بعد النسيان واذا نسي قول ان شاء الله

سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث
سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع سنين قمرية له
غيب السموات والارض يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوال
اهلها وانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف ابصر
به واسمع معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع
لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر
لا يخفى عليه خافية ما لهم اي ما لاهل السموات والارض من هم
دونه اي من دون الله من ولي اي ناصر ولا يشرك في حكمه احدا
قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه احدا وقيل في قضايه قوله عز وجل
واتل اي واقرا يا محمد ما اوحي اليك من كتاب ربك يعني القران
واتبع ما فيه واعمل به لا مبدل لكلماته اي لا مغير للقران ولا يقدر
احد على التطرق اليه بتغيير او تبديل فان قلت موجب هذا ان لا
يتطرق الشيخ اليه قلت الشيخ في الحقيقة ليس تبديل لان المنسوخ
ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمخابر فكيف يكون
تبديلا وقيل معناه لا مغير لما وعد الله بكلماته اهل معاصيه ولن تجد
من دونه اي من دون الله ان لم تتبع القران ملتحدا اي ملجا وحرزا يعدل
اليه قوله عز وجل واصبر نفسك الاية نزلت في عيينة بن حصين الفزاري
اتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم
سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويديه خوص يشقه وينسجه
فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم ما يوذيك بريح هولاء ونحن سادة
مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هولاء
فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك
اي احبس نفسك يا محمد مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يعني طرفي النهار يريدون وجهه اي يريدون وجه الله لا يريدون
به غرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفه وكانوا سبعمائة رجل
فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجون الى تجارة
ولا الى زرع ولا الى ضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت

هذه

هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي
من امرت ان اصبر معهم ولا تعد اي تصرف عيناك عنهم الى غيرهم
تريد زينة الحياة الدنيا اي تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف
ومحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي جعلنا
قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصين وقيل امية بن خلف
واتبع هواه اي في طلب الشهوات وكان امره فرطا ضياعا خسرانا
امر وعطل اياه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفة للحق
وقل الحق من ربكم اي قل يا محمد لهولاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكره
من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس
لي من ذلك شيء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر هذا على طريق
التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الاية وقل للخلق من
ربكم اي لست بطارد المومنين لهواكم فان شيئة فامنوا وان شيئم فاكفروا
فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان امنتم فلكم ما وصف الله لاهل
طاعته وعن ابن عباس في معنى الاية من شاء الله له الايمان ومن شاء له
الكفر كفرانا اعتدنا اي هيانا من العتاد وهو العدة للظالمين اي
للكافرين نارا احاط بهم سرادقها السرادق التي تنطف بالفسطاط
بالفسطاط عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال سرادق النار اربعة جدر كل جدار اربعون سنة اخرجه الترمذي
قال ابن عباس هو حايط من نار وقيل هو عين تخرج من النار فتحيط بالكفار
بالكفار كالخيمة وقيل هو دخان محيط بالكفار وان يستغيثوا اي
من شدة العطش يغاثوا بماء كالمهل قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي
الزيت عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في قوله يغاثوا بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقط فروة
وجهه منه اخرجه الترمذي وقال رشدين احد رواة الحديث قد
تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح
وقيل هو الرصاص والصفر المذاب يشوي الوجوه اي ينضج الوجوه
من حره بئس الشراب اي ذلك الذي يغاثون به وساءت اي النار

النار مرتفقا قال ابن عباس منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المتكا
وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والارتفاق الاهل
ولا متكا قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا اى لا نترك اعمالهم تذهب حبيا عابل نجازيهم
باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام
مقترض وتقديره ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم
جنات عدن اى دار اقامة سميت عدنا لخلود المومنين فيها
تجري من تحتهم الانهار وذلك ان افضل المساكن ما كان تجري فيه
المياه تحلون فيها من اساور من ذهب قيل على كل انسان منهم
ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الاية وسوار من فضة لقوله
وحلوا اساور من فضة وسوار من لولو لقوله ولولو ولباسهم
فيها حرير ويلبسون ثيابا خضرا من سندس هو الديباج الرقيق
واستبرق هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج
بالذهب متكئين حص الاتكاء وهو هيئة المتنعمين والملوك
فيها اى في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال وهذا
وصف الله تعالى هذه الاشياء قال نعم الثواب اى نعم الجزاء وحسنت
اى الجنات مرتفقا اى مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا
مقابلة ما تقدم من قوله تعالى وساءت مرتفقا قوله عز وجل واضرب
لهم مثلا رجلين قيل نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم
وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد ايل وكان مومنا
واخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن
حصين واصحابه وشبههما برجلين من بني اسرايل اخوين احدهما
مومن واسمه يهودا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والاخر كافرا واسمه
قرطوس وهما اللذان وصفهما الله في سورة الصافات وكانت
قصتهما على ما ذكر عطا الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما
ثمانية الاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف
دينار فاقتسماها فاشتري احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه

اللهم

اللهم ان فلانا قد اشتري ارضا بالف دينار واني اشتريت منك
ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف
دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج
صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم اني اخطب
اليك امراة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه
اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم اني اشتري منك
خدما ومتاعا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة
فقال لو اتيت صاحبي لعله ينالني منه بمعروف فجلس على طريقه حتى مر
به في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان
قال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك فاتيتك لتعينني بخير
قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا واخذت شطره فقص عليه
قصته فقال وانك لمن المتصدقين بهذا الذهب فلا اعطيك شيئا
فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما ما قيل بعضهم على بعض
يتساءلون قال قايل منهما اني كان لي قرين وروي انه لما اتاه اخذ بيده
وجعل يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين
جعلنا لاحدهما جنتين اى بستانين من اعناب وحففناهما
اى اطعناهما من جوانبهما بالنخل وجعلنا بينهما زرعا اى وجعلنا
بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما اى بين الجنتين يعني لم يكن
بين الجنتين خراب بغير زرع كلتا الجنتين اتت اى اعطت كل واحدة
واحدة من الجنتين اكلها اى ثمرها تاما ولم تظلم منه شيئا
اى ولم تنقص منه شيئا وفجرنا خلالهما اى يعني شققنا وسطهما نهرا
وكان له ثمر اى لصاحب البستان ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم
وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف الذهب والفضة وغيرهما
فقال يعني صاحب البستان لصاحبه يعني المومن وهو يحاوره
اى يخاطبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا اى عشيرة ورهطا
وقيل حشما وخدما ودخل جنته يعني الكافر اخذا بيد اخيه المومن
يطوف به فيها ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اى بكفره

قال ما اظن ان تبيد اى تهلك هذه يعنى جنته ابدا وذلك انه
راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى ابدا وانكر البعث فقا
فقال وما اظن الساعة قايمة اى كاينة ولين رددت الى ربي
فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو منكر البعث قلت
معناه ولين رددت الى ربى على ما تزعم من ان الساعة اتية لاجدن
خيرا منها منقلبا اى يعطينى هنالك خيرا منها لانه لم يعطنى الجنة
فى الدنيا الا ليعطينى فى الاخرة افضل منها قال له صاحبه يعنى المومن
وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب اى خلق اصلك
من تراب لان خلق اصله سبب فى خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة ثم
سواك رجلا اى عدلك بشرا سويا اى انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال
لكنا هو الله ربى لجاز ان لكن الله هو ربى ولا اشرك بربى احدا
ولولا اى هلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى هلا
قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك منها ما شاء الله اعترافا بانها
وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان
شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة الا بالله اى وقلت لا قوة الا با
بالله اقرارا بان ما قويت بجاه به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونة الله
وتاييده ولا اقدر على حفظ مالى ودفع شيء عنه الا بالله روى عثمان بن
الزبير انه كان اذا راى من ماله شيا يعجبه او دخل حايطا من حيطانه
قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الحايط البستان ان ترنى انا اقل منك
مالا وولدا اى لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت فعسى ربى فلعل
ربى ان يوتينى اى يعطينى فى الاخرة خيرا من جنتك ويرسل
عليها اى على جنتك حسبانا قال ابن عباس نارا وقيل مرايى من
السماء وهى الصواعق فيهلكها فتصبح صعيدا زلقا اى ارضا
جردا ملسا لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هايلا
او يصبح ماوها غورا اى غايرا ذاهبا لا تناله الايدى ولا الدلا فلن
تستطيع له طلبا يعنى ان طلبته لم تجده واحيط بثمره اى احاط
العذاب بثمرجنته وذلك ان الله تعالى ارسل اليها نارا فاهلكها وغار

ماوها

ماوها فاصبح يعنى صاحبه الكافر يقلب كفيه اى يصفق بكف على
كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تاسفا وتلهفا على ما انفق فيها المعنى
فاصبح يندم على ما انفق فى عمارتها وهى خاوية على عروشها اى
ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المغروسة سقطت عروشها
على الارض ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا يعنى انه تذكر موعظة
اخيه المومن فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا
ولم تكن له فيه اى جماعة ينصرونه من دون الله اى يمنعونه
من عذاب الله وما كان منتصرا اى ممتنعا لا يقدر على الانتصار
لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك
الولاية قرى بكسر الواو وبعنى السلطان فى القيامة لله لا لغيره وقرى
بفتحها من الموالاة والنصرة يعنى انهم يتولونه يومييذ ويبراون مما
كانوا يعبدون فى الدنيا هو خير ثوابا اى افضل جزا لاهل طاعته لا لغيره
غيره يثيب وخير عقبا يعنى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره
فهو خير اماية وعاقبة قوله عز وجل واضرب لهم اى يا محمد اضرب لقومك
مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء يعنى المطر فاختلط به نبات
الارض اى فخرج من كل لون وزهرة فاصبح اى عن قريب هشيما قال ابن
عباس رضى الله عنهما يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس تذريه وقيل
تفرقه وتنسفه وكان الله على كل شيء مقتدرا اى قادرا قوله تعالى
المال والبنون يعنى التى يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنياء زينة
الحياة الدنيا يعنى ليست من زاد الاخرة قال على بن ابى طالب
المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعها
الاقوام والباقيات الصالحات قال ابن عباس هى قول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس عن ابى
سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا
من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال الملة قال وما

ومليون يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول
ولا قوة الا بالله عز ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلنا يا رسول الله
وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه التر
الترمذي وقال حديث غريب عن ابن المسيب ان الباقيات الصالحات
هن قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ولا حول
ولا قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس
ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحة
خيرا عند ربك ثوابا اى جزاء وخيرا املا اى ما يامله الانسان
قوله تعالى ويوم نسير الجبال اى نذهب بها وذلك بان تجعل
هباء منثورا كما يسير السحاب وترى الارض بارزة اى ظاهرة
ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو يرون ما في بطنها من الموتى
وغيرها فيصير باطن الارض ظاهرها وحشرناهم يعني جميعا الى
موقف الحساب فلم نغادر منهم احدا اى لم نترك منهم احدا
وعرضوا على ربك صفا اى صفوفا فوجا فوجا الا انهم صف واحد
وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف تحريقال لهم لقد جئتمونا كما
خلقناكم اول مرة يعني حفاة عراة غرلا بل زعمتم ان لن
نجعل لكم موعدا يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الان اول الخلايق يكسى
يوم القيامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا وانه سيجي برجال من امتي
فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما
احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم الى قوله العزيز الحكيم فيقال لي انهم لم يزالوا مدبرين على اعقابهم
منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول سحقا سحقا قوله غرلا اى قلفا والغرلة

القلفة التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا اى بعدا
قال بعض العلما ان المراد برهولا اصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا
الزكاة بعد ق عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عايشة فقلت
فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان
يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرى منهم يومييذ شان يغنيه
قوله عز وجل ووضع الكتاب يعني صحايف اعمال العباد توضع في ايدي
الناس في ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى فترى المجرمين
مشفقين اى خايفين مما فيه من الاعمال السيية ويقولون يعني اذا راوها
اذا لمسوها يا ويلتنا اى يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة فهو دعا بالويل
ما لهذا الكتاب لا يغادر اى لا يترك صغيرة ولا كبيرة اى من ذنوبنا
الا احصاها اى عدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة
التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم واللمس
والقبل والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب
مثل قوم نزلوا بطن واد وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود
فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشي الصغير التافه
وقوله لموبقات اى لمهلكات ووجدوا ما عملوا حاضرا اى مكتوبا
مثبتا في كتابهم ولا يظلم ربك احدا اى لا ينقص ثواب احد من عمل
خيرا ولا ياخذ احدا بجرم لم يعمله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاثة عرضات فاما
عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف
في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا
الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد روي بعضهم
عن الحسن عن ابي موسى قوله تعالى واذ قلنا اى اذكر يا محمد اذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قال ابن عباس
كان من حي من الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن

كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو اصل الجن كما ان ادم اصل الانس
وجه كونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله وجعلوا بينه و
وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل
على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن ماخوذ من الاجتنان
وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل ملائكة من لا يستتار عنهم
وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله تعالى استثنى
من الملائكة والاستثنا يفيد اخراج ما لولاه لدخل او يصح دخوله وذلك
يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من
الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف من الملائكة وقوله افتتخذونه
وذريته فاثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم واجيب عن
الاستثنا انه استثنا ينقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقال
تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف
الامر مسخ وعبر وطرد ولعن وقوله ففسق عن امر ربه اي خرج عن
طاعة ربه افتتخذونه يعني يا بني ادم افتتخذونه ابليس وذريته
اولياء من دوني وهم لكم عدو يعني اعدا روى مجاهد عن الشعبي
قال اني لقاعد يوما اذا قبل جمال فقال اخبرني هل لابليس زوجة
قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله تعالى افتتخذونه
وذريته اولياء من دوني فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة
فقلت نعم وقيل بيتوالدون كما يتوالد ادم وقيل انه يدخل ذنبه
في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد
من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والحلاقة
والهفاف ومن ذريته حرة وبه يكنى ولزنبور وهو صاحب الاسواق
ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل
وعجز المراة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس
لا يجدون لها اصلا وواسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم
ولم يذكر الله بصرفن من المتاع ما لم يرفع او يجلس موضعه واذا اكل
ولم يسم الله تعالى اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم

الامر مسخ

اولا

لدون

اذكر

اذكر اسم الله ولما سلم فرايت مطرقة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر
فاقول داسرد اسرد روى ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء اخرجه الترمذي
عن عثمان بن العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين
صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان
يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه وانفل عن يسارك ثلاثا
قال ففعلت ذلك فاذهب الله عني وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سرايا
فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول فعلت
كذا كذا فيقول ما صنعت شيا ثم يجي احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه
وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم قال الاعمش اراه قال فالتزمه
قوله تعالى بيس للظالمين بدلا يعني بيس ما استبدلوا بطاعة
ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى ما اشهدتهم اي
ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم والمعنى ما اشهدتهم خلقها
فاستعين بهم على خلقها واشاورهم فيها وما كنت متخذ المضلين يعني
الشياطين الذين يضلون الناس عضدا يعني انصارا واعوانا قوله عز وجل
ويوم يقول نادوا يقول الله يوم القيامة نادوا شركائي يعني الاصنام
الذين زعمتم يعني انهم شركائي فدعوهم اي فاستغاثوا بهم فلم
يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم ينصروهم وجعلنا
بينهم يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى واهل الضلال
موبقا مهلكا وقال ابن عباس هو واد في النار وقال زهير يسيل نارا على
حافتيه حياة مثل البغال الدهم وكل حاجز بين شيئين فهو موبقة واهلة
الهلاك ورا المجرمون اي المشركون النار فظنوا اي ايقنوا انهم
مواقعوها اي داخلوها وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا
اي معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم
اليها قوله تعالى ولقد صرفنا اي بينا في هذا القران للناس من

وقيل

كل مثل اي ليتذكروا ويتعظوا وكان الانسان اكثر شيء جدلا
اي خصومة في الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحارث وجدالة
في القرآن وقيل اراد به ابي بن خلف وقيل اراد الكفار وقيل اراد الاية
على العموم وهو الاصح ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلا فقال الا تصلينا فقلت يا رسول الله ان انفسنا
بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيأ ثم سمعته وهو مول
يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا قوله عز وجل
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يعني القرآن والاسلام
والبيان من الله تعالى وقيل وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويستغفروا ربهم المعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من هذا
الاستغفار والمسوبة والتجلية حاصلة والاعواذ زائلة فاولم
يقدموا على الايمان والاستغفار الا ان تاتيهم سنة الاولين يعني
سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستيصال او
ياتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا من المقابلة وقيل مجاهدة
قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة
ومنذرين بالعقاب لمن عصى ويجادل الذين كفروا بالباطل اي هو
قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ونحوه
ذلك ليدحضوا به اي ليبطلوا به الحق ويزيلوه واتخذوا اياتي وما
انذروا هزوا فيه اضمار يعني اتخذوا ما انذروا به وهو القرآن استهزاء
قوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر باي وعظ باياة ربه فاعرض
عنها اي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ونسي ما قدمت يداه
اي ما عمل من المعاصي من قبل انا جعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية
ان يفقهوه بريد لئلا يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا وصمما وان
تدعهم الى الهدى اي الدين الحق فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا في اقوام
اقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون وربك الغفور اي البليغ

المغفر

المغفرة ذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم اي يعاقب الكفار
بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب اي في الدنيا بل لهم موعد
يعني البعث والحساب لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجا وتلك
القرى يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم اهلكناهم
لما ظلموا اي كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي اجلا لاهلاكهم قوله
تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين الايات
اكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الاية هو موسى بن عمران من
سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة
وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب
وكان نبيا قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله
تعالى لم يذكر في كتابه موسى الا اراد به صاحب التوراة فاطلاق
هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا اخر لوجب
تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يوجد
منه بصفة علمنا ان موسى بن عمران صاحب التوراة واما فتاه هو
فالاصح انه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وهو صاحب موسى
وولي عهده بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل انه فتاه يعني
غلمه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي
وليقل فتاي وفتاتي و عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس ان نوفل البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو
موسى بن اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن
كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا
في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو
اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا
فتجعله في مكتل حيث افقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله
في مكتل ثم انطلق فانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا
الصخرة وضع راسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه

فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله على الحوت
جريه حتى صار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان
يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال
موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد
موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه ارأيت اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فعل
فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على اثارهما قصصا قال رجعا يقصان
اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى
فقال الخضر وانى بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم
اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى
اني على علم من علم الله علمنيه فاتعلمه وانت على علم من علم الله لا اعلمه
فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال له الخضر فان
اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا اي
يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول
لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول
عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا نكرا قال
الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا
ترهقني من امري عسرا قال فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة
فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا
الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة
فبينما هم يمشيان على الساحل اذ بصر الخضر غلاما يلعب مع
الغلمان فاخذ الخضر براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى
اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك
انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك

نول

علم

سالتك

سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانط
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجد
فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال هايل فقال الخضر بيده هكذا
فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت
لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت
انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس
يقرؤها وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وكان يقرأ واما الغلام
فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين وفي رواية عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى رسول الله ذكر الناس
يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولي فادركه رجل فقال
اي رسول الله هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عا
عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين
هو اعلم منك قيل يكي قال يا رب وابن هو قال بمجمع البحرين قال اخذ حوتا
ميتا حتى ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد
الحوت زاد في رواية وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من
مائها شيا الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من
المكتل فدخل وجعنا الى تفسير قوله تعالى لا ابرح لا ازال اسير حتى
حتى ابلغ مجمع البحرين قيل اراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق
وقيل طنجة وقيل افريقية او امضي حقبا يعني واسير دهرا طويلا والحقب
ثمانون سنة محمل خبزا وسمكة في المكتل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة
عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين هم
وعندها عين يقال لها الحياة لا يصيب شيا الا حيي فلما اصاب السمكة
روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت في البحر فامسك الله
يعني موسى وفتاه مجمع البحرين اي بين البحرين نسيا اي تركا حوتهما
وانما كان الحوت معي يوشع وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان
اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا

ما لحة

عين

كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة في وصول المطلوب فاتخذ
اي الحوت سبيله في البحر سربا اي مسلكا روى ابي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ايجاب الماء عن مسك الحوت فصار كوة لو يلتام
فدخل موسى على اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال بن عباس رضي الله عنهما
جعل الحوت لا يمس شيا الا يبس حتى صار صخرة وقد رويتا انهما لما انتهيا
الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر
فاتخذ سبيله سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطا
الطاق فلما استيقظ موسى ينسى صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كان
من الغد وهو قوله تعالى فلما جاوزا يعني ذلك الموضع وكلوا مجمع البحرين
قال يعني موسى لفتاه اتنا غداءنا اي طعامنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
اي تعبا وشدة وذلك انه لم يجد على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة لينتذكر
الحوت ويرجع في طلبه قال يعني يوشع ارايت اذ اوينا الى الصخرة وهي صخرة
كانت بالموضع الموعود فاني نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك ان
يوشع جوعرأى من الحوت ذلك فلم ليدركه موسى فيخبره فنسي ان يخبره
فمكثا يومهما حتى صلبا الظهر من الغد ثم قال وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ان اذكرك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد
من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله
دون النسيان اي بضاد الذكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى واتخذ
سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع بعني ظهر الحوت الى البحر فاتخذ
فيه مسلكا وروى في الخبر كان الحوت سربا لموسى ولفتاه عجبا وقيل اي شيء
اعجب من الحوت يوكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه قوله عز وجل
قال يعني موسى ذلك ما كنا نبغي اي نطلب فارتدا على اثارهما قصصا
اي رجعا يقصان الذي جاءا منه ويتبعانه فوجدا عبدا من عبادنا قيل كان ملكا
من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في
التواريخ انه الخضر واسمه ايليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل هو
من بني اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر
والخضر لقب له سمي بذلك ح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته
خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة وقيل مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه
كلما اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى عليه السلام راى الخضر
مسجا ثوبا فسلم عليه فقال الخضر وابي بارضك السلام قال انا موسى
اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا او معي مسجا ثوبا اي مغطا بثوب وقوله
وابي بارضك السلام معناه من ابي بارضك التي انت بها لا توجد السلام
السلام وروى انه كشف عن وجهه فسلم خضر على كيد البحر فذلك قوله فوجدا
عبدا من عبادنا اتيناه رحمة اي نعمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما
اي علما الباطن الهاما او لم يكن الخضر نبيا عند اكثر العلماء اهل العلم فان
قلت لا يخلوا ان يكون ظاهر هذه الايات تدل على ان الخضر كان اعلا
شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه قلت
لا يخلوا ان يكون الخضر من بني اسرائيل او من غيرهم فان كان من بني اسرائيل
فهو من امة موسى ولا جايز ان يكون احد الامة افضل من نبيها او اعلا منها
شانا منه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل واني
فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم قال له موسى هل اتبعك معناه
جئت لاصحبك واتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا اي صوابا وقيل
علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى بقي بالتوراة علما وبنى
اسرائيل شغلا قال له موسى ان الله امرني بهذا حينيذ قال الخضر لموسى انك لن
تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يجري امورا منكرة ولا يجوز
للانبياء الصبر مع المنكرات تزيينا عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا اي علما قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا انما استثنى
لانه لم يشق عليه من نفسه بالصبر ولا عصى له امرا اي لا اخالفك
فيما امرني به قال فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم تقل اتبعني ولكن جعل
الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال فلا تسالني عن شيء اي حتى اعلمك ما ينكر
ولا يعترض عليه حتى احدث لك منه ذكرا معناه حتى ابتدي بذكره فاني لك
شانه قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها
فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هو لاء لصوص وامروهما بالخروج

فقال صاحب السفينة ما هو بالهوص ولكن اري وجوه الانبياء وربنا عز ابي بن
كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت برهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا
الخضر فحملوهم بغير نول اى بغير عوض ولا اعطاء فلما لجوا في البحر اخذ الخضر فاسا
فخرق لوحا من الواح السفينة فذلك قوله جتى اذا اركبا في السفينة خرقها قال
يعني موسى له اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيا امرا اى اسبت شيا عظيما انكرا
روي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدر بخلها الماء وروى ان موسى لما راى ذلك اخذ
ثوبه يحشي به الخرق فقال العالم وهو الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال يعني موسى لا تؤاخذني بما نسيت قال ابن عباس لم ينسى ولكنه من معاريض
الكلام فكان نسي شيا اخر وقيل معناه لا تركت من عهدك والنسيان الترك
وقال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى
نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني اى لا تغشني من امري
عسرا والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة
وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي امري فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما
قتله في الفصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمر بالغلمان يلعبون فاخذ
الخضر غلاما ظريفا وضي الوجه فكان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه
بالسكين وروينا انه اخذ برأسه فاقتلعه بيده وروي عبد الرزاق
هذا الخبر واشار باصابعه الثلاث الابهام والوسطى وقلع راسه وروي
انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه بالجدار قال ابن عباس كان غلاما لم
يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول اقتلت نفسا زاكية الا وهو صبي
لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه جيسور وقيل كان فتى
يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويأتي به ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد
ويأتي منه ابواه ق عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش
لارهق ابواه طغيانا وكفرا لفظ مسلم قال يعني موسى عليه السلام
اقتلت نفسا زاكية اى لم يذنب قط وقرئ زكية وهي التي اذنبت ثم
تابت بغير نفس اى لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد جئت شيا
نكرا اى منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك

وفي

20

وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه تغريق جمع
كثير وقيل معناه لقد جئت شيا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن
تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال يعني الخضر الم اقل لك
انك لن تستطيع معي صبرا قيل اراد في هذه الاية قوله لا انه نقض العهد
نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد التوبيخ فعند هذا قال
موسى ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وقيل ان بوشع كان يقول
لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي اتيت عليه فقال موسى ان سالتك
عن شيء بعد هذه فلا تصاحبني اى فارقني ولا تصحبني قد بلغت من
لدني عذرا قال ابن عباس اى قد اعذر فيما بيني وبينك قيل معناه اتضح
لك العذر في مفارقتي والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه
احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة ق عن ابي بن كعب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى ولكان
اذا ذكر احدا من الانبياء بدا بنفسه لولا انه عجل لراى العجب ولكنه اخره
من صاحبه ذماما له فقال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد
بلغت من لدني عذرا فلو صبر لراى العجب قوله ذماما هو بذال معجمة اى
حياء والمعنى من الذم واللوم يقال ذممته ذماما بمعنى لمته ملاما وهو
ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله تعالى فانطلقا حتى
اذا اتيا اهل قرية قال ابن عباس بمعنى انطاكيه وقيل ابعد الارض من السما
وقيل هي بلدة الاندلس استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما قال ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتيا اهل قرية لئاما فطافا في المجالس
فاستطعما اهلها واستضافا اهلها فلم يضيفوهما وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اطعمتهما اماة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما وعن
عذا النساء بربر ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اى ان يسقط وهذا مجاز الكلام لان
الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى
تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار
الارادة فاقامه اى سواه وفي حديث ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي

المره

والشقاق ح

صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فاقامه وقال ابن عباس هذه
وقعد بينه قال يعني موسى عليه السلام لو شيت لاتخذت عليه
يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا جياع وان اهل
القرية لم يطعمونا فلو اخذت علي عملك اجرا قال يعني الخضر عليه
السلام هذا فراق بيني وبينك يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا
الانكار على ترك اخذ الاجر هو المفرق بيننا سانبئك بتاويل اي سوف
اخبرك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر
وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان تفارقني فقال الخضر عليه السلام
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة
خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر اي يواجرون ويكتسبون بها وفيه
دليل على ان المساكين وان كان يملك شيا لا يزول عنه اسم المسكنة اذا
لم يقدر ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة اشد من حال
المسكين لان الله تعالى سماهم مساكين مع ازمتهم كانوا يملكون تلك السفينة
فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم
وقيل خلفهم وكان يرجوهم في طريقهم عليه والاول اصح ياخذ كل سفينة
غصبا اي كل سفينة صالحة فحرقتها وعيبتها حتى لا ياخذها الملك الغاصب
الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل اسمه هدد بن
بدد ورعي ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب
ولم يكونوا يعلمون خبره وقال اردت اذا مر بها عيبها فاذا
جاوزوه اصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل واما الغلام فكان ابواه
مومنين فخشينا اي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون
على العالم الخبير منه وقيل معناه فعلمنا ان يرهقهما اي يغشيهما وقيل
يكلفهما طغيانا وكفرا قيل معناه فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتابعاه
على دينه فاردنا ان يبدلهما ربهما الابدال رفع شيء ووضع اخر مكانه
خيرا منه زكاة اي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله اقتلت نفسا
زاكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة واقرب رحما
اي ويكون البدل منه اقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق

عليهما

عليهما قيل ابدلهما جارية فتزوجها نبي من الانبيا فولدت له نبيا فهدى الله
على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام
مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل
ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله المومن فيما يكره خير له
من قضائه فيما يحب قوله تعالى واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
وصرح بهما وكان تحته كنزهما روي ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
الكنز ذهب وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز مصحف فيها علم وقال ابن عباس
كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن
بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الاخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا
لا شريك لي خلقت الخير وقدرت الشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه
والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال وقد
يقيد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما وكان ابوهما
صالحا قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقيا قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل
كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى يحفظ بعد
بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته واهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ
الله ما دام فيهم قال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر ولدي فازيد في صلاتي
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي يعقلا ويدركا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمانية عشر
سنة فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد
ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انما ذكر العيب اضافه
الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر
عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلا العظما في علم الباطن وعلوم
الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح
في مال اليتيمين لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى لان حفظ الابناء وصلاح
احوالهم لرعاية حق الاب ليس ذلك الا على الله تعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله
تعالى ويستخرجا كنزهما يعني اذا بلغا وعقلا وقوبا رحمة من ربك اي نعمة من ربك
وما فعلته عن امري اي باختياري ورايي بل فعلته باامر الله تعالى والهامه اياي

بلغ مقابلة

لان تنقيص اموال الناس واراقة دمايهم وتغيير احوالهم لا يكون ذلك
الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله وما فعلته عن امري انه الهام
من الله تعالى له بذلك وعندي درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذا الافعال
لغرض ان يظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو كمال الضرر
لاجل دفع الضرر الاعلى ذلك تاويل لم تستطع عليه صبرا اي لم تطق ان تصبر
عليه روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال
لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر حي ام
ميت فقيل انه حي وهو اكثر قولا اكثر العلماء ومتفق عليه عند مشايخ الصوفية
واهل الصلاح والمعرفة والحكايات في رويته والاجتماع به ووجوده في المواضع
الشريفة ومواطن الخير اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه
هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة في ذلك وهذا اخر كلامه وقيل ان
الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حيات الخضر فيما
حكي انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين
الحياة وكان الخضر عن مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وحمد
شكرا لله تعالى واخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب اخرون الى انه ميت لقوله
تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما حيي
العشا ليلة اراءيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر
الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده قوله عز وجل ويسالونك عن
ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني
من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلغوس الرومي
من ولد عجوز ليس لها ولد غيره وتقل الامام فخر الدين الرازي في تفسيره عن ابي
الريحان السروي الحاجي في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية انه
من حمير واسمه انزار بن سمن بن عن بن افريدس الحميري وهو الذي افتخر به
احد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين عمر مسلما ... ملكا علا في الارض غير معتد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... اسباب ملك من كريم مرشد
فراى مات الشمس عند غروبها ... في غير ذي حلية رباط حرمد

قوله

قوله فراى مات الشمس اى ذهاب الشمس وقوله في غير ذي حلب اي حماة
والباطلة الحماة ايضا والجرباط والحرمد الطين المسود وقيل سمي ذا القرنين
لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل انه ملك ملك فارس والروم
وقيل انه النور والظلمة وقيل لانه راى في المنام كانه اخذ مغربي الشمس وقيل
لانه كان له ذوابتان حستان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروي
عن علي انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم
بعثه فامرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا
في نبوته فقيل كان نبيا يدل عليه قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله لا يكون
الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سيل عن ذي القرنين اكان نبيا
فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه
الله وروي ان عمر سمع رجلا يقول للاخر يا ذا القرنين فقال تسمينا باسماء
الانبياء فلم ترضوا ثم تسموا باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الاكثرون انه كان
ملكا صالحا عادلا وانه بلغ افق المغرب والمشرق والشمال وهذا هو القدر
المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له
طوايف ثم مضى الى ملوك العرب وفرسهم وم حتى انتهى الى البحر الخضر ثم رجع
الى مصر وكنا الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت
المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب وبنا
السد ودوانت لملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الغرب
ثم مضى الى الهند والصين وغزى الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض
بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل كان عمره نيفا وثلاثين
سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب ان يكون
يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله تعالى انا مكناله في الارض اي وطأنا
وطانا له والتمكين تمهيد الاسباب قال علي سخر له السحاب يحمل عليه ومد له
في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار سواء وسهل عليه السير في الارض
وذلل له طرقها وانبناه من كل شيء يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على
فتح المدن ومحاربة الاعداء اسبابا اي علما ينسب به الى كل ما يريد ويتشهيه في الارض
اقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد وقيل قربانا له اقطار الارض فاتبع

سببا اى سلك طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدتغرب فى عين
حمية اى حارة وقرىء حمية اى ذات حمأة وهى الطينة السوداء وسأل
معاوية كعبا كيف فى التوراة تغرب الشمس وابن تغيب قال نجد فى التورا
انها تغرب فى ماء وطين وقيل لعجوز ان يكون معنى فى عين حمية اى عندها
عين حمية او فى راى العين وذلك انه بلغ موضعا فى المغرب لم يبق بعده شىء من
العمارات وجد الشمس كانها تغرب فى هدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى
الشمس كانها تغيب فى البحر ووجد عندها قوما اى عند العين امة قال ابن
جريج مدينتها اثنى عشر الف باب يقال انها واسمها بالسريانية
جرجيسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين امنوا بصالح لولا ضجيج اهلها تسمع
الناس وجبة الشمس حين تجب اى تغيب فلنا ياذا القرنين يستدل بهذا
من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال اراد منه
الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره اما ان تعذب يعنى
تقتل اى ليبد خلوا فى الاسلام واما ان تتخذ فيهم حسنا يعنى تعفوا وتصفح
وقيل باسرهم فتعلمهم الهدى خيرا له يبنى الامرين قال اما من ظلم اى كفر
فسوف نعذبه اى نقتله ثم يرد الى ربه اى فى الاخرة فيعذبه عذابا
نكرا اى منكرا يعنى بالنار لانها انكر من القتل واما من امن وعمل صالحا
فله جزاء الحسنى اى جزاء اعماله الصالحة وسنقول له من امرنا يسرا اى يلين له
القول ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اى سلك طريقا ومنازل
حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا قيل انهم فى مكان ليس يثبت عليه بناء ويبنى الشمس ستر من جبل ولا شجر
ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا فى اسراب لهم تحت الارض
فاذا زالت عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل كانوا اذا طلعت
الشمس تركوا فى الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فزرعوا كالبهائم وقيل
هم قوم عراة يفترش احدهم اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم
من نسل موسى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية
مرقيسا وهم مجاورون ياجوج وماجوجه قوله تعالى كذلك اى كما بلغ
مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم فى القوم الذين

هم

ة

احدى ح

الصلاحيه

هم عند مطلع الشمس كما حكم فى القوم الذين عند مغربها وهو الاصح
وقد احطنا بما لديه خبرا اى علما بما عنده ومحله من الجند والعدة والآلات
والحرب وقيل معناه وقد علمنا حتى ملكناه ما عنده من الصلاحيه
كذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره قوله عز وجل ثم اتبع سببا
حتى اذا بلغ بين السدين هما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع
ارض الترك حكى الواثق بعث من يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه
فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بنا من
لبن حديد منضود بالنحاس الذاب وعليه باب مقفل ووجد من دونهما
قوما يعنى امام السدين قال هم الترك لا يكادون يفقهون قولا قال ابن
عباس لا يفهمون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم قالوا ياذا القرنين
فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لا يفقهون قلت تكلم عنهم
مترجمهم ومن مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفهمون
الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوه كما يفهم الخرس ان ياجوج وماجوج
اصلهما من اجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم
ونشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طايفة
منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا
الترك بذلك لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة
سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة
والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج وماجوج
قال ابن عباس هم عشرة اجزاء وولد ادم جزء كلهم جزء وروى حذيفة
مرفوعا ان ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربعة الاف امة لا يموت
الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد
ادم يسيرون الى خراب الدنيا وقال بعضهم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال
الارز بتهامة طوله عشرون وماية ذراع فى السما وصنف منهم عرضه
وطوله سواء عشرون وماية ذراع وهؤلا لا يقوم لهم جبل ولا حديد
وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل
ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام

حذيفة

وسافرهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبريه وعن علي رضي الله
عنه قال منهم من هو طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب
هم نادره في ولد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته
بالتراب فخلق الله من ذلك الما ياجوج وماجوج فهم يتصلون بنا من جهة
الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز
فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله اني باعثك الى امم مختلفة السنتهم منهم
امتان منهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والا
والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احداهما في
القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل
وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال ذو القرنين اي
قوة اكاثرهم وباي جمع اكاثرهم وباي لسان اناطقهم قال الله تعالى اني ساطو
وابسط لسانك واشد عضدك فلا يراعنك شيء وابسك الهيبة فلا
يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يريه بين يديك
من امامك والظلمة تهوطك من ورايك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس
فوجد جمعا وعددا لا يجمعه الا الله فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان
واحد فدعاهم الى الله وعبادته فمنهم من امن ومنهم من صد عنه فعجل اي الذين
تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته
فجيند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق بقودهم والظلمة تسوقهم
حتى اتى هاويل وتل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى منسك وقد
ففعل فيهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم الذين في وسط الارض
فلما كان ما بلى منقطع الترك مما يلي الشرق قال له امة صالح من الانس ياذا
القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه البهايم يفترسون الدواب والسباع
والوحوش كالسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض
في الارض فليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك انهم سيمكنون الارض حتى
يظهرون عليها ويفسدون عليها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير وقال اعدوا الي الصخر والحديد والنحاس
والنحاس حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على

مقدار

وقيل امتان معينة

قاك

مقدار واخذ ببلغ طول الواحد منهم نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب
واضراس كالسباع ولهم هلب شعر يواري اجسادهم وينتقون به من الحر
والبرد ولكل واحد اذنان عظيمان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف
في واحدة ويشتوي في اخرى يتسافدون كتسافد البهايم حيث التقوا
فلما التقى عليهم ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما
بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء قال الله تعالى قالوا ياذا القرنين ان
ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون
ايام الربيع الى ارضهم فلا يدعون فيها شيبا اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا حملوه وادخلوه ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم
كانوا ياكلون الناس وقيل معناه انه سيفسدون عند خروجهم فهل نجعل
لك خرجا اي جعلا واجرا من الاموال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا
فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين قال ما مكني فيه ربي خير اي ما قواني
به ربي خير من جعلكم فاعينوني بقوة يعني لا اريد المال بل اعينوني باموالكم
وقوتكم اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا قالوا وما تلك القوى قال فعلة
وصناع يحسنون البنا والاله قالوا وما تلك الاله قال انوني اي اعطوني
وقيل جيبوني زبر الحديد اي قطع الحديد فاتوه بها وبالحطب على الحديد
والحديد على الحطب حتى اذا ساوى بين الصدفين اي بين اعلى طرفي الجبلين
قال انفخوا يعني في النار حتى اذا جعلوه نارا اي صار نارا قال اتوني افرغ عليه
اي اصب عليه قطرا اي نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس
يسيل مكانه حتى لزم الحديد قيل ان كان السد كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة
حمرا وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فراسخ واعلم ان
هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت
كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها الا بكير الا بالقرب فكانه
تعالى صبر ذا تبصر تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين حتى تمكنوا من
العمل فيه فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوا عليه لعلوه وملاسته وما
استطاعوا له نقبا اي من اسفله لشدته وصلابته قال يعني ذو القرنين
هذا اي السد رحمة من ربي اي نعمة من ربي فاذا جاء وعد ربي قيل يعني

ذوالقرنين هذا اى السد رحمة من ربي اى نعمة من ربي فاذا جاء وعد ربي
قيل يعني القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اى ارضا ملساء وقيل
مدكوكا مستويا بالارض وكان وعد ربي حقا عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله عقد تسعين هذا من موضوعات
الحساب وهو ان يجعل رأس اصابعك السبابة على وسط الابهام من باطنها كهيئة
الحلقة لكن لا يتهيأ لها الاخلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا ان يخرقوه قال ارجعوا فستخرقونه غدا
قال فيعيده الله تعالى كاشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم على
الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء الله واستثنى قال فيرجعون
فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه
ويفر منهم الناس وفي رواية ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى
السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السماء فيزيدهم الله
قوة وقسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في ارقابهم فيهلكون قال فوالذي نفس
محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتبشكر من لحومهم بشكرا اخرجه الترمذي قوله تسمن
وعلوا اي غلظة وفظاظة وتكبروا والنغف دود يكون في انوف الابل والغنم وقوله
وبشكر يقال بشكرت الشاة تبشكر بشكرا اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ لحما
اجسادها لحما وتسمن وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم لتحجن البيت ولتعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج قوله عز وجل ونترك بعضهم
يومئذ يموج في بعض قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج
اي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند
قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسهم بجنهم حيارى ونفخ في
الصور فيه دليل على ان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة فجمعناهم
جمعا اى في صعيد واحد وعرضنا اى ابرزنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا لتجتمع بشاهد
عيانا الذين كانت اعينهم في غطاء في غشاء وستر عن ذكري اى عن الايمان والقرآن
والبيان والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتدبرها وكانوا لا يستطيعون
سمعا اى سمع القبول والايمان لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون

قال

ان

ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم نزوله قوله تعالى
افحسب اى افظن الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء يعني اربابا يريدون
عيسى والملائكة بل هم لهم اعداء ويتبرءون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين
اطاعوهم من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري اولياء وانا
لا غضب لنفسي فلا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انهم ينفعهم ان يتخذوا من
دوني اولياء انا اعتدنا اى هيأنا للنزل للضيف قوله عز وجل قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا يعني الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا
ونوالا فاضلوا اهلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم
الرهبان الذين جبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن طالب هم اهل حروراء
يعني الخوارج الذين ضل سعيهم اى بطل عملهم واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون اى يظنون انهم يحسنون صنعا اى عملا ثم وصفهم فقال تعالى
اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه يعني انهم جحدوا دلائل توحيده
وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي
والقرآن فصارت اكمالهم بهذه الاشياء فحبطت اعمالهم اى بطلت فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا وقيل لا يقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل
الحسنات والسيئات من الموحدين ليجازى مقدار الطاعات ومقدار الحسنات
قال ابو سعيد الخدري يأتي الناس باعمالهم يوم القيامة هي عندهم في
العظم كالجبال الرواسي فاذا وزنوها لم يزنوا شيئا فذلك قوله فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزيدهم عذابا ليس لهم عذاب اعظم منه
ولا اوزن في عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله
جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك
ذلك اشارة الى ما ذكره من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ تعالى
جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى سخرية واستهزاء قوله
تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله
فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن

2

اى منزلا وهو ما هيئ للنزيل
هي منزلا وقال ابن عباس
نزلهم عندنا كالمنزل

ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة اعلا من جنة الفردوس
وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس روضة
الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي
فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت خضروبا من النبات
وقيل الفردوس بالرومية وقيل بالسان الحبشة منقول الى العربية نزلا هو
ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا هم
وقيل في معنى كانت لهم هداية في علم الله قبل ان يخلقوا خالدين فيها لا يبغون
اي يطلبون عنها تحولا اي تحولا الى غيرها قال ابن عباس رضي الله عنهما
قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن لا يريدون ان
ينتقلوا عنها كما ينتقل الرجل من دار الى دار اخرى قوله عز وجل قل لو كان البحر
مداد الكلمات ربي قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود يا محمد تزعم
انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تخبر
تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل لما نزل وما
اوتيتم من العلم قالت اليهود اوتينا التوراة فيها علم كل شيء فانزل الله تعالى
قل لو كان البحر مداد الكلمات ربي يعني مدده وهو ما يستمد به الكاتب فيكتب
به واصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مداد القلم والقلم يكتب قيل
وللخلايق يكتبون لنفد البحر اي لفنى ماؤه قبل ان تنفد كلمات ربي اي علمه
وحكمه ولو جيئنا بمثله مددا المعنى ولو كان الخلايق يكتبون والبحر يمدهم
لفنى ما البحر ولم تفن كلمات الله ولو جيئنا بمثل ما البحر في كثرته مددا وزيادة
قوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم قال ابن عباس رضي الله عنه علم الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم التواضع ليلا يزهى على خلقه فامره الله ان يقر فيقول
اني اديمي مثلكم الا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به وهو قوله يوحى الي انما
الهكم اله واحد لا شريك له في ملكه فمن كان يرجوا لقاء ربه اي يخاف المصير
اليه وقيل يأمل رؤية ربه فليعمل عملا صالحا اي من حصل له رجا لقاء الله هم
والمصير اليه فليستعمل نفسه بالعمل الصالح ولا يشرك بعبادة ربه
احدا اي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله وقد يراد
به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به الله والثاني ان يكون

اذا لم توافقه الخ

مبرا

مبرا من جريان الشرك جبرها ق عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن
يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به اي من عمل عملا امرات للناس
يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل معيق سمع سمع الله به اي اسمعه
المكروه م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل
عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه بريء هو للذي
عمله عن سعيد بن ابي فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان كان يشرك
في عمل عمله لله احد فليطلب ثوابه منه فان الله اغنى الشركاء عن الشرك
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء م عن ابي
الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات
من اول الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من اخرها والله سبحانه
وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة مريم عليها السلام
وهي مكية وهي ثمان وتسعون اية وسبعمايه واثنان وثمانون كلمة وثلاث
الاف وثمانمايه حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل كهيعص
قال ابن عباس رضي الله عنهما قال الكاف من كريم هو اسم من اسماء
الله وقيل اسم للقرآن وقيل للسورة وقيل هو تفسير افتتح الله به وعن ابن
عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد واليا من رحيم والعين من عليم
وعظيم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق
ايدي الخلق عالم ببريته صادق في وعده ذكر اي هذا الذي يتلوا عليك ذكر
رحمة ربك عبده زكريا قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته اذ نادى
اي دعا ربه في المحراب نداخفيا اي دعا سرا من قومه في جوف الليل وقيل
راعى سنة الله لانه ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه ليلا ايلام
على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل اخفى صوته لضعفه وهرمه
يدل عليه قوله قال رب اني وهن العظم مني وقيل انتبكي سقوط

خفت صوته

الاضراس واشتعل الراس اى بعجبي الشعر شيبا اى شمطا ولم اكن بدعائك
رب شقيا اى عودتني الاجابه فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى
الايمان امنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي من ورائي اى من بعد
موتي والموالي هم بنو العم وقيل الكلاله وقيل جميع الورثه وكانت امراتي
عاقرا اى لا تلد فهب لي من لدنك وليا اى اعطني من عندك وليا مرضيا
يرثني ويرث من ال يعقوب اى وليا وارثا وقيل اراد يرثني مالي ويرث من ال
يعقوب النبوة والكبوة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الكبوة
لان زكريا كان راس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبيا
لا يورثون المال وانما يورث العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبيا ان يشفق
على ماله ان يرثه بنو اعمه وانما خاف ان يضيع بنو اعمه دين الله ويغيروا
احكامه وذلك المشاهد من بني اسرايل من تبديل الدين وقيل الانبيا قليل
فسال ربه ولدا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا
قول ابن عباس واجعله رب رضيا اى بارا تقيا مرضيا قوله تعالى يا زكريا انا
فاستجاب الله له دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اي بولد ذكر اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا اى لم يسم احد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له
شبها ومثلا في تقواه لانه لم يعص الله ولم يكن بمعصية وقال ابن عباس لم تلد
العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله بذلك اجتماع الفضايل كلها ليحيى وانما اراد
بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه قال رب ابى يكون
ابن يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اى يبسا
يريد بذلك تحول الجسم ورقه العظم وتحول عظم الجلد قال كذلك قال ربك
هو علي هين اى يسير وقد خلقتك من قبل اى من قبل يحيى ولم تك شيا قال رب
اجعل لي اية اى دلالة على حمل امراتي قال اية اى علامتك ان لا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا اى صحيحا سليما من غير خرس ولا بأس وقيل ثلاثة ايام
متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله
انطلق لسانه قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب اى من الموضع الذي كان
يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون
ويصلون اذ خرج عليهم زكريا متغير اللون فانكروه وقالوا مالك فاوحى

وقيل العصبة

وذلك

اليهم

اليهم اي فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض ان سبحوا اى صلوا لله بكرة
وعشيا العجب انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة فاذا كان وقت
حمل امراته منع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة قوله تعالى يا يحيى فيه
اضمار معناه ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اى التوراة بقوة اي
بجهد واجتهاد واتيناه الحكم قال ابن عباس يعني النبوة صبيا وهو ابن ثلاث
ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله واوحى اليه فان قلت كيف يصح
حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبي قلت لان اهل النبوة مبنى على
خرق العادات اذا ثبت هذا فلا يمتنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد بالحكم
فهم الكتاب فقرا التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرا القرآن قبل
ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم صبيا وحنانا من لدنا اى رحمة من عندنا قال الخطية
يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

نحن على جلك المليك فان لكل مقام مقالا

اى نترحم علي وزكاة قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل
هي العمل الصالح ومعنى الاية واتيناه رحمة من عندنا وتحننا عليه فدعوه
الى الطاعة ففعل وعملا صالحا في اخلاص وكان تقيا اى مسلما خالصا مطيعا وكان
من تقواه لم يعمل خطيئة قط ولا عصى ربه وبرا بوالديه اى بارا لطيفا بهما
محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله اعظم من بر الوالدين يدل عليه
قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه واتبعه بالوصية بالوالدين احسانا الاية ولم يكن
جبارا الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل عند ويضرب على الغضب وقيل الجبار
الذي لا يبري لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم ينفسه من لا يلزمه
فضا لاحد عصيا هو ابلغ من العاصي والمراد وصف يحيى بالتواضع وليس الجبار
وهو من صفات المومنين وسلام عليه يوم ولد ويموت يوم يموت ويوم
يبعث حيا معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال
سايربني ادم ويوم يموت امانا له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اى من
عذاب القيامة وقيل اوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد لانه
يري نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهد
شاهد هم قط ويوم يبعث لانه يرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى في

هذه المواطن فخصه بالسلامة فيها فقوله عز وجل واذكر في الكتاب اى
في القرآن مريم اذ انتبذت اى تنحت واعتزلت من اهلها اي من قومها
مكانا شرقيا اى مكانا في الدار مما يلي الشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد
البرد فجلست في مشرفة لها تغتسل فوقه تفلي راسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت
من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق
قبلة فاتخذت اى فضربت من دونهم حجابا قال ابن عباس سترا وقيل جلست
وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا احتاجت تحولت الى بيت
خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجرد
اذ عرض لها جبريل في صورة شاب امرد وضئ الوجه سوي الخلق فذلك قوله
فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا اي
سوي الخلق لم ينقص من الصور الادمية شيا وانما مثل لها في صورة الانس
لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملايكة لنفرت عنه ولم
تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى عليه السلام جاء في
صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رات مريم جبريل عليه السلام
يقصد نحوها بادرته من بعيد قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اى مومنا
مطيعا دل على نفوذها من تلك الصورة الحسنة على عقلها وورعها فان قلت انما
يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القايل ان كنت مومنا
فلا تظلمني اى ينبغي ان يكون ايمانك ما تعالك من الظلم كذلك ههنا معناه لا ينبغي
ان يكون تقواك ما تعالك من الفجور قال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك
ليهب لك اسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل به غلاما
زكيا قال ولد اصلحا طاهرا من الذنوب قالت مريم اني يكون اى من اين يكون لي
غلام ولم يمسسني بشر اى لم يقربني زوج ولم اك بغيا اى فاجرة نريد ان الولد انما
يكون من نكاح او سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما قال جبريل كذلك قال ربك اى هكذا
قال ربك هو علي هين اى خلق ولد بلا اب ولنجعله اية للناس اى علامة لهم ودلالة
على قدرتنا ورحمة منا اى ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وكان
امرا مقضيا اى محكوما مفروغا منه لا يبدل ولا تبدل قوله عز وجل فحملته قيل ان جبريل
رفع درعها فنفخ في جنبها فحملت جبرئيل لبست الدرع وقيل انفخ من جيبه فحملته في

فرجعت ترتكتبا في الجيب
اربعة نفر

ابي

اى

لا

لانه

اهل نزما

جيبها وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها
فحملت بعيسى عليه السلام في الحال فانتبذت به اى فلما حملت حست بالحمل وانفردت
مكانا قصيا اى بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم وفرت من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة
في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت
الشمس من يومها وقيل كان مدة حملها تسعة اشهر كحمل النساء وقيل كان مدة
حملها ثمانية اشهر وذلك انه احري لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى
لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة اشهر وهو بضع عشر سنين وقيل ثلاث عشر
وقيل ستة عشر سنة وكانت قد حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب
ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين
الى المسجد الذي منه جبل صبر هو وكانا مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من
زمانها احد اشد اجتهادا منهما واول من عرف بحمل مريم يوسف فبقي
متحيرا في امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم ترغب عنه واذا اراد
ان يبرئها راى الذي ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه قد وقع في نفسي من
امرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان اتكلم به اشفي صدري منه
فقالت قل فقال لا جميلا قال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع من غير بذر وهل تنبت
شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلموا ان الله انبت الزرع
يوم خلقه من غير بذر الم تعلموا ان الله انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث او تقولون
ان الله لا يقدر ان ينبت الشجرة حتى استغنت بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها
قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله يقدر على ما يشاء فيقول له كن فيكون
قالت له مريم الم تعلم ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك
زال ما في نفسه من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستبلا الضعف عليها
بسبب الحمل فلما دنا ولادتها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فذلك قوله
فانتبذت به مكانا قصيا قوله عز وجل فاجاها المخاض اى الجاها وجاءها وجع الولادة
الى جذع النخلة وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف
وقيل التجات اليها لتستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة
قالت يا ليتني من قبل هذا تمنت الموت استحيا من الناس وخوف الفجيعة

وكنت نسيا منسيا اى شيا حقيرا متروكا لم تذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة
ملقاة وقيل معناه انها لم تزل نسيت انها لم تخلق فناداها من تحتها قيل ان مريم كانت
على اكمة وجبريل ورا الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح جبل وقيل هو عيسى وذلك
انه لما خرج من بطن امه ناداها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا اي
نهرا قال ابن عباس ضرب جبريل وقيل عيسى برجله في الارض فظهرت عين ماء عذبة
وجري وقيل كان هناك نهرا يابسا اجرى الله فيه الماء وجنيت النخلة اليابسة واثمرت
فاورقت واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك بامرك ان امرتيه ان يجري جري (اي)
وان امرتيه بالامساك امسك وقيل معنى سريا رفيعا اى عيسى وكان عبدا سريا
وهزي اليك اي حركي يجرح النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قيل الجني الذي
بلغ الغاية وجا او ان اجتنابه قال الربيع اى خيثم ما للنساء عندي خير من الرطب
ولا للمريض خير من العسل فكلي واشربي اى باعزم كلي من الرطب واشربي من النهر
وقري عينا اى طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك عيسى يقال قر الله
عينك اى صادف مرادك ما يرضيك فيقر عينك من النظر الي غيره فاما
ترين من البشر احدا معناه فسالك عن ولدك فقولي اني نذرت للرحمن
صوما اى صمتا قيل كان في بني اسرايل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم
عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله امرها ان تقول هذا اشارة وقيل
امرها ان تقول هذا القول مطلقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت
عن الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون
اقوى لحجتها في ازالت التهمة عنها وفيه ان السكوت عن الكلام دلالة على بعض
تفويض الكلام الى الافضل اولي الثاني كراهة مجادلة السفها وفيه ان السكوت
عن السفيه واجب فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها ولدت عيسى وكانت تكلم
الملايكة ولا تكلم الانس قوله تعالى فاتت به قومها تحمله قيل انها لما ولدت
عيسى حملته فاتي الجبال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى
الي غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الي
قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا ماه ابشري فاني عبد الله وسيلجه
فلما دخلت الى اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت
صالحين فقالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا اى عظيمة وقيل معناه جيت

يا امر

يا امر عجيب بديع يا اخت هارون قيل كان رجلا صالحا في بني اسرايل شبهت به
في عفتها وصلاحها وليس المراد منه الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازته بوم
مات اربعون الفا من بني اسرايل كلهم يسمى هارون سوى سايرالناس
عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا الي انكم تقرون
يا اخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله
عليه سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بانبيا هم والصالحين قبلهم
وقيل كان هارون اخا مريم لابيها وكان اشهر رجل في بني اسرايل وقيل انما عنوا
هارون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم وقيل كان
هارون فاسقا في بني اسرايل اعظم الفسوق فشبهوها به ما كان ابوك يعني عمران
امرا سو قال ابن عباس زانيا وما كانت امك بغيا يعني حنة بغيا اى زانية فمن
اين لك هذا الولد فاشارت اليه اى اشارت مريم الي عيسى ان كلموه قال
ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت
اليه غضبت القوم وقالوا انما فعلت تستخرين بنا قالوا كيف نكلم من كان
في المهد صبيا قيل اراد بالمهد حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان معنى هو قيل لما سمع
عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما اشارت اليه ترك الرضاع وانكى
على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال ابي عبد الله قال وهب اراها
زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال
عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل بوم ولد اني عبد الله اقر على
نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم كيلا يتخذ الها فان قلت الذي اشتدت
اليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما
نص على اثبات عبودية نفسه لله تعالى قلت كانه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى
اولى من ازالة التهمة عن امه فلهذا اول ما تكلم به تكلم باعترافه على نفسه بالعبو
بالعبودية وفي ذلك تحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه الكر
المرتبة العظيمة من ولد من زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه لا يفيد ازالة التهمة
عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك اولى اني الكتاب وجعلني نبيا قيل معناه سيحكم (اتاني)
سيجعلني نبيا ويوتيني الكتاب وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل
للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وادم بين الروح والجسد

والاكثرون انه اوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن
انه قال الهم التوراة وهو في بطن امه وجعلني مباركا اينما كنت اي نفاعا حيث
ما توجهت وقيل تعلما للخير ادعوا الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا
على من تبعني واوصاني بالصلاة والزكاة اي امرني بهما وكلفني فعلهما فان
قلت كيف يومر بالصلاة وبالزكات في حال الطفولية ثم وقد قال عليه الصلاة
والسلام رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله اوصاني
بالصلاة لا يدل على انه تعالى اوجبها عليه في الحال بل المراد اوصاه بايجابها
في الوقت المعين لها وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حيا حين انفصل عن
بالغا عاقلا وهذا القول اظهر لقوله في سياق الاية ما دمت حيا فانه يفيد
ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع حياته حيثما كان في الارض او حيثما رفع الى
السماء وحيثما ينزل الى الارض بعد رفعه وبرا بوالدتي اي وجعلني برا بوالدتي ولم
يجعلني جبارا شقيا اي عصيا لربه متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروي
انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وقال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا
وتلا هذه الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب والسلام علي يوم ولدت
اي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ويوم اموت اي عند الموت من اشراك
ويوم ابعث حيا اي من اهوال يوم القيامة فلما تكلم عيسى بهذا علموا براءة
مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم بعد حتى بلغ المدة يتكلم اليتي يتكلم فيها الاطفال
ذلك عيسى بن مريم اي الذي قال اني عبد الله هو عيسى بن مريم قول الحق اي
هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني ذلك
عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله الذي فيه يمترون اي يشكون ويختلفون
فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما
يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه على اتخاذ الولد ونقاه عنه فقال تعالى ما كان لله
ان يتخذ من ولد اي ما كان من صفته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك سبحانه
اذا قضى امرا اي اذا اراد ان يحدث امرا فانما يقول له كن فيكون اي لا يتعذر عليه
ايجاده على الوجه الذي اراده وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا الخبار عن عيسى
انه قال ذلك يعني ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه هذا صراط
مستقيم اي هذا الذي اخبرتكم به ان الله امرني به هذا صراط مستقيم يودي الى الجنة

فاختلف

فاختلف الاحزاب من بينهم يعني النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث
فرق في امر عيسى عليه السلام السطورية والملكانية واليعقوبية فويل للذين
كفروا من مشهد يوم عظيم يعني القيامة اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم واد
وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون
في الاخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون
ويبصرون بما يسوءهم ويفضحهم فالوعد يوم يأتوننا اي يوم القيامة لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين قيل اراد بالبوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطا بين وقيل
في الاخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الاخرة في ضلال عن طريق الجنة
بخلاف المومنين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة يعني خوف يا محمد كفار مكة هو
يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هل لا احسن العمل والمحسن هل لا
ازداد من الاحسان يدل عليه ما روي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم قالوا ما ندامة يا رسول الله قال ان كان محسنا
ندم الا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم الا يكون نزع اخرجه الترمذي قوله ان لا يكون
نزع النزع عن الشي الكف عنه قال قال اكثر المفسرون يعني يوم الحسرة حين
يذبح الموت في عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوتى بالموت كهيئة كبش املح فينادي منادي اهل الجنة فيشرئبون
وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم فيقول هذا الموت وكلهم قد رآه
ثم ينادي مناد اخر يا اهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا
فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل
الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرأ وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون واشار بيده الى الدنيا اراد الترمذي
فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات اهل النار
قوله فيشرئبون يقال اشرأبت الى الشي اذا طلع ينظر اليه ومالت
نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس
بجسم في صورة كبش او غيره فعلى هذا يتاول الحديث على ان الله تعالى
يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا حي له حياة ولا وجود
وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا

ولا انتقال فى عن ابي هريرة ابن عمر رضى الله عنه وفى قال قال رسول الله صلى عليه وسلم
اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم
يذبح ثم ينادي منادي يا اهل الجنة لاموت ويا اهل النار لاموت فيزداد اهل الجنة
فرحا الى فرحهم واهل النار حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء
ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه
حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وادخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة اي عما يراد بهم في الاخرة وهم
لا يومنون اي لا يصدقون انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكان الارض جميعا
ويبقى الرب سبحانه وحده فيرثهم والينا يرجعون فنجزيهم باعمالهم قوله عز وجل
واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا هو
وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق
وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق فلما قرب رتبة التصديق
التصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في
الرتبة بارسال الله اياه واي رتبة اعلا من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين
عباده اذ قال لابيه يعني ازر وهو يعبد الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع يعني صوتا
ولا يبصر شيا ولا يغني عنك اي يكفيك شيا وصف الاصنام بثلاثة اشيا كل واحد
منهما قادح في الالهية وذلك ان العباد هي غايت المعبود فلا يستحقها الا من له نعم
الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا اياه يا ابت اني
اي قد جاني من العلم بالله والمعرفة ما لم يات اباك فاتبعني اي على ديني اهدك صراطا سويا
تضل اهدك صراطا سويا اي مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يزين
لك من الكفر والشرك ان الشيطان كان اي هو للرحمن عصيا اي عاصيا يا ابت اني
اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهر الاية لانه يمكن ان يومن فيكون من اهل الجنة
او يصر على الكفر فيكون من النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم
عليه السلام رتب هذا الكلام في غايت الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في
مقدمة كل كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده
الى الصواب لانه نبه اولا عن ما يدل على المنع عن عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم

نبه على ان طاعة الشيطان غير واجبة جايزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر
على الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني اخاف ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن
اي ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان وليا اي قرينا في النار وقيل تاليا له
في النار وانما فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها شدة تعلق قلبه
بصاحبه ابيه واداحق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي الهادي الى الحق لا بد ان
يكون رفيقا بل لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب بالاولى قال
يعني اباه ارا غب انت عن الهتي يا ابراهيم اي تاركها انت وتارك عبادتها
لئن لم تنته اي تسكت وتترجر عن عيبك الهتنا وتشتمك لارجمنك قال
ابن عباس رضي الله عنهما معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك
ولا بعدنك عني بالقول الصحيح واهجرني اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما
لا يصيبك مني معرة مليا اي دهرا طويلا قال يعني ابراهيم عليه السلام سلام
عليك اي سلمت مني لا يصيبك مكروه وذلك انه لم يومر بقتاله على كفره وقيل
هذا سلام مجازاة ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه
سا ستغفر لك ربي قيل هذا قبل ان يعلم اباه امره وعده ان يبر جع الله فيه فيسبله
ان يرزقه التوحيد ويغفر له معناه سا سال ربي لك توبة تنال بها المغفرة انه
كان بي حفيا اي بارا لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة
لدعاي واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي فارقكم وافارق ما تعبدون من
دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر من كوثا الى الارض المقدسة وادعو ربي اي
اعبد ربي الذي خلقني وانعم علي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا
اشقا بدعاء ربي وعبادته كما انتم تشقون انتم بعبادت الاصنام ففيه من التواضع
له مع التعريض لشقاوتهم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله اي ذهب مهاجرا
مهاجرا وهبنا له اي بعد الهجرة اسحاق ويعقوب اي انسينا وحشته من فراقهم
باولاد كرام على الله وكلا جعلنا نبيا اي نعتا عليهما بالنبوة ووهبنا لهم من رحمتنا
اي انعمنا ووهبنا لهم من النبوة ووهبنا لهم من المال والولد وذلك انه بسط لهم
في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني ثناء حسنا
متعالي في كل اهل دين حتى ادعاه اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم
قوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بكسر اللام اي اخلص العبادة

والطاعة لله عز وجل ولم يراى وقربي بالفتح اى مختار الاختيار الله تعالى واستخلصه
واصطفاه وكان رسولا نبيا فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا ينعكس
وناديناه من جانب الطور الايمن اى من ناحية يمين موسى والطور جبل بين مصر
ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين وراى النار فتوهم انها كما
انى انا الله رب العالمين وقربناه نجيا قال ابن عباس قربه فكلمه ومعنى التقريب اسماعه
كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته
وشرفناه بالمناجات وهو قوله وقربناه نجيا اى مناجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه
هارون نبيا وذلك لان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي
فاجاب الله دعوته وارسل الى هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون اكبر من موسى
قوله تعالى واذكر في الكتاب اسماعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان صادق الوعد قيل انه لم يعد شيا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقيم مكانه
حتى يرجع الرجل فاقام اسماعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع الرجل وقيل انه وعد من
الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله برهذه الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل
يعد صبيا عاد الى اي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل
وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظره الى وقت صلاة اخرى
وكان رسولا نبيا اى الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسماعيل بوادي
مكة حين خلفها ابراهيم وهو جرهم بن يقطن وهو قحطان بن عامر بن سالخ وقحطان
ابو قبايل اليمن نبيا اى مخبرا عن الله تعالى وكان يامر اهله اى قومه وقيل جميع امته
بالصلاة والزكاة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية التي افترضت
علينا وقيل كان يبدا باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم
وكان عند ربه مرضيا اى قابلا الله بطاعته وقبل رضيه لنبوته ورسالته وهذا انما
من المدح لان المرضي عند الله هو الفايز في كل طاعته بالعلى الدرجات قوله عز وجل
واذكر في الكتاب ادريس هو جد ابي نوح وهو اسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة
دراسة الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس
المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول
من نظر في علم الحساب انه كان صديقا نبيا وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة
وانزل عليه ثلاثين صحيفة ورفعناه مكانا عليا قيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا

وقيل

وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى انس بن مالك عن مالك بن
صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج
متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار
وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب اني
مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف عنه
من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفت الشمس وحرها ما لا يعرف فقال
يارب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني
ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يارب فاجمع بيني وبينه واجعل
بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يسأله وكان مما سأله
ان قال اني اخبرت انك اكرم الملايكة وامكرم عند ملك الموت فقال لي اليك
حاجة فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر
نفسا اذا جاء اجلها وانا نكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس
ثم اتى ملك الموت فقال لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم يشفع لي اليك
لتؤخر اجله فقال ملك الموت ليس ذلك الي ولكن اخبب اعلمنه اجله فينقد
لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف
ذلك قال لا اجده يموت الا عند مطلع الشمس قال اني اتيتك وتركته هناك
قال فانطلق فلا ادراك تجده الا وقد مات فوالله لم يبق من اجل ادريس شيء فرجع الملك
فوجده ميتا قال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع جميع اهل
الارض في زمانه فيحب منه الملايكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته
فاذن له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه
الى طعامه فابى ان ياكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة
الثالثة اني اريد اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فقال
لي اليك حاجة قال ما هي قال تقبض روحي فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه
قال لا اذوق كدرات الموت ورده الله اليه في بعد ساعة فقال له ملك الموت ما
الفايدة في سوالك فقبض الروح لا اذوق كدرات الموت وكذا فاكون اشد استعدادا
ثم قال له ادريس ان لي اليك حاجة قال وما هي قال ترفعني الى السما لانظر اليها
والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة

قال ح

وعنه ح

فا

قال وما تريد قال تسأل ما لك حتى يفتح ابوابها فاردها ففعل ثم قال فكما ادخلت الناس فاري الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما قال له الملك ما لك لا تخرج قال لان تعالى قال كل نفس ذايقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله الى ملك الموت يا ذبي دخل الجنة وبامري لا تخرج فهوجي هناك فذلك قوله ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السماء ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا اربعة من الانبياء منهم احياء اثنان في الارض وهما الخضر والياس واثنان في السماء وهما عيسى وادريس قوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين اولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة انعم عليهم من النبوة وغيرها مما تقدم وصفه من ذرية ادم يعني ادريس ونوحا ومن حملنا مع نوح اي من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم يعني اسماعيل واسحاق ويعقوب واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهو موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى ومن هدينا واجتبينا اي هو لاء من ارشدناه واصطفينا وقيل ومن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا اي جمع ساجد ويكيا جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الايات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بالايات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه اثبات البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن **فصل** وسجدة سورة ص من عزائم سجود القرآن فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ اية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجد سجدة الحج قال اللهم اجعلني من السا

الموت ح

الله ح

الله ح

الساجدين

من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك قوله تعالى فخلف من بعدهم اي من بعد النبيين المذكورين خلق اي قوم سوء اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وبايعهم وقيل هو في هذه الامة اضاعوا الصلاة اي تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهو ان لا يصلوا الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس واتبعوا الشهوات اي اثروا شهوات انفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هو لاء قوم يظهرون في اخر الزمان يأتون ابعضهم على بعض في الاسواق والازقة فسوف يلقون غيا قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان اودية جهنم تستعيذ من حره اعد للزاني المصر عليه والشارب الخمر المدمن عليه ولكل الربا الذي لا يتنزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وعذابا بعيدا قعر خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بير تسمى السعير كلما خبت جهنم فتح الله تلك البير فتستعير بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية الا من تاب يعني من التقصير في الصلاة والمعاصي وامن اي من الكفر وعملا صالحا بطاعة الله فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا اي لا ينقصون شيا ثم وصف الجنة فقال تعالى جنات عدن اي بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف حال جنات الدنيا فانها لا تدوم التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي انهم يرونها في غائبة عنهم وهم غايبون عنها انه كان وعده ماتيا اي اتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة ماتيا اي باتيه اوليا وه واهل طاعته لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا فحشا وفضولا من الكلام الا سلاما اي بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليم ربهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملايكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور ابدا ولكنهم يعرفون باتيان الرزق عليهم مقدارا طرفي النهار لعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهة النفس العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف افضل من الرزق اليتي

للتستعيذ ح

السعير

يرون

العيش

يوتي به بالبكرة والعشي فوصف الله الجنة بذلك ثم ذلك الجنة التي نورث من
عبادنا اي نعطي وننزل وقيل نورث عباده المومنين المساكين التي كانت
لاهل النار لو امنوا من كان تقيا اي المتقين من عباده قوله عز وجل وما
ننتنزل الا بامر ربك خ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ياجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما ننتنزل
الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا الاية قال فكان هذا جواب محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سا
عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله
حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابطات علي حتى ساءظني واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت
اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلنا واذا حبست احتبست فانزل
الله وما ننتنزل الا بامر ربك وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك
وما قلى وقوله له ما بين ايدينا من الاخرة والثواب والعقاب وما خلفنا
اي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي من هذا الوقت الى قيام الساعه وقيل
ما بين ذلك هو ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنه وقيل ما بين ايدينا
ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى فيها وما بين ذلك مدة حياتنا وما كان ربك
نسيا اي ناسيا اي ما نسيك ربك وما تركك رب السموات والارض وما
بينهما اي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد ان يدبر احوالها
كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض
فكان لله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته اي على امره ونهيه هل تعلم له
سميا قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا تسمى الله غيره قوله تعالى ويقول
الانسان اي جنس الانسان فالمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو
ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر اصح
استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى اولا يذكر الانسان اي يتذكر ويتفكر
يعني منكر البعث انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا والمعنى اولا يتفكر هذا
الجاحد في بدا خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل
الخلايق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا

شك

شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم فسر بنفسه فقال تعالى
فوربك وفيه التشريف للنبي صلى الله عليه وسلم لنحشرنهم اي لنجمعنهم
في الميعاد يعني المشركين المنكرين للبعث والشياطين اي مع الشياطين
وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثيا قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان
الباراك على ركبتيه صورته ذليل فان قلت هذا المعنى حاصل
للكل بدليل قوله وترى كل امة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة
المعهودة في موقف المقالات والمناقلات فذلك لما كان فيه من القلق لما
يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون
على ركبهم جثوا ثم لننزعن اي لنخرجن من كل شيعة اي من كل امة واهل دين
من الكفار ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ابن عباس يعني جراة وقيل تجبرا
وتمردا وقيل قايدهم ورئيسهم في الشرك والمعنى انه يقدم في ادخال النار
الاعتى فالاعتى من هو اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يجعلون
جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
تصليا ولا يقال اولى الا مع اشتراك
القوم في العذاب وقيل معنى الاية انهم احق بدخول النار قوله تعالى وان
منكم الا واردها اي ما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر اي والله
ما منكم من احد الا واردها والورود هو الكان واختلفوا في معنى الورود ها هنا
وفيما انصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى
الورود ها هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم
ينجي الله المتقين فيرجا يدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق روى عن ابن عباس
في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول قتلني
ابن عباس انكر وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون احدا
ادخلها هو لاء ثم قال نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجوا ان نجوز

ان يخرجني الله منها وما ادري الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمتى قال بدخول
المومنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البته بل مع الغبطة والفرح
والسرور ولان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يخزيهم الفزع الاكبر فان قلت كيف
يندفع عن المومنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يجعل النار هو
فتعبرها المومنين ويحتمل ان الله يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار
محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المومنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم
عليه السلام وكما ان الملايكة الموكلين لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على
المومنين عذاب فما فايدة دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك
مما يزيدهم سرورا اذا علموا الاخلاص منه وثانيها ان فيه من يذعر على اهل الكفار
حيث يرون المومنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم
الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما
قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الاية في الكفار
فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا
واردها يعني يوم القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل
السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله
تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وهي الشرك وهم المومنون والنجاة انما تكون مما
دخلت فيه يدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار
الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم اخرجاه في الصحيحين و
اراد بالقسم قوله وان منكم الا واردها عن ام مبشر الانصارية انها
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان
شاء الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله
فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قد قال الله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال
خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم تعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى
ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمومن جز يا مومن

فقد

فقد اطفانورك لهبب وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم
من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار وفي
عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم
فابردوها بالماء قوله فيح جهنم اي وهجها وحرها وقوله تعالى كان على ربك حتما
مقضيا اي كان ورود جهنم لا مرا قضاه الله عليكم واوجبه ثم ننجي الذين اتقوا
اي الشرك ونذر الظالمين فيها جثيا اي جميعا وقيل جاثين على الركب قالت
المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق مخلد
في النار لان الله بين ان يردوها ثم بين صفة من ينجو منها وهم
المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار ابدا واجيب عنه بان المتقي هو
الذي يتقي الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك ان من آمن بالله
ورسوله صح ان يقال انه متقي عن الشرك ومن صدق عليه انه متقي عن متفق
الشرك صح انه متقي لان المتقي جزء من المتقي عن الشرك ومن صدق عليه المركب
صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متقي ومن صدق عليه ذلك
وجب ان يخرج من النار لعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية
توهموها دليلا لهم من اقوى الدلايل على فساد قولهم من حيث البحث واما
من اهل حيث النص فقد وردت احاديث تدل على اخراج المومنين من النار
خ عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج
من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار
من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله
الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان ق عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل يرى ربنا يوم القيامة قال
قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله
قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم
ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيا فليتبع
فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت
ويبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا
مكاننا حتى ياتينا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون انا ربكم

فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط من ظهراني جهنم فاكون
اول من يجوز من الرسول بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل
يومئذ اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم الشعدان
قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله
تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى
اذا اراد الله تعالى رحمة من اراد من اهل النار امر الملايكة ان يخرجوا من كان يعبد
الله فيخرجونهم ويعرفونهم من آثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اثار السجود
فيخرجون من النار وقد امتحشوا ويصب عليهم ماء الحياة فينبتون
كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين
الجنة والنار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب
اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت
ان افعل ذلك بك ان تسال غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من
عهد وميثاق فيصرف وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة راى بهجتها فسكت
ما شاء الله ان يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس
قد اعطيت العهود والمواثيق ان لا تسال غير الذي كنت سالت فيقول يا رب
لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت ان اعطيتك ذلك ان تسال غيره
فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى
باب الجنة فاذا بلغ بابها راى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت
ما شاء الله ان يسكت فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى
ويحك يا ابن ادم ما اغدرك اليس قد اعطيتك العهود والمواثيق ان لا تسالني
نسالا غير الذي اعطيتك فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك
الله عز وجل منه ثم ياذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت
امنيته قال الله تعالى من كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الامانى
قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي هريرة رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة
امثاله قال ابو هريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
قوله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد يقول ذلك لك وعشرة امثاله وفي

رواية

رواية للبخاري قال فياتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم
فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا اتانا عرفناه
فياتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا
فيتجوبه قلت اما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على
الرؤية فسياتي في تفسير سورتي ق والقيامة ونتكلم هناك على شرح
غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو اشواك معقفة وهو من
اجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال اوبقته الذنوب اي اهلكته
والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه يقطعه كلاليب الصراط
حتى يقع في النار وقوله وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل ان تذهب النار الجلد
وتندي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهو
البزور ات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطيه قوله
قشبني ريحها ابي اذاني والقشب الشر وكانه قال قد شمتي ريحها قوله واحرقني
ذكاؤها اي اشعالها ولهبها قوله حدائق ذات بهجة الحسن والزهرة
والنضارة والبراجة وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا
الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فياتيها
فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى
اذهب فادخل الجنة قال فياتيها فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يا رب
وجدتها ملاى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا
وعشرة امثالها مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر بي وانت الملك فلقد
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال
ذلك ادنى اهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه
وقيل هي اخر الاسنان عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة
قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة الماء
فينبتون كما تنبت الغثاء في حمالة السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثاء
والغثاء كلما جاء السيل فدلت الاية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت

الاية الثانيه والاحاديث ان الله تعالى اخرج منها المتقين وجميع الموحدين وقر
فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اى
دلالات وامخات قال الذين كفروا يعنى النضر بن الحارث ودونه كفار قريش
للذين امنوا يعنى فقراء المحابه النبى صلى الله عليه وسلم وكانت بيوتهم قشاشة
وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعارهم
ويدهنون رؤسهم ويلبسون الخز ثيابهم اى الفريقين خير مقاما اى منزلا
ومسكنا وهو موضع الاقامة واحسن نديا اى مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا اى متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا
ولباسا ورئيا اى منظرا من الروية قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه فى ضغيانه ويمهله فى كفره حتى اذا راوا
ما يوعدون اما العذاب اى الاسر والقتل فى الدنيا واما ساعة يعنى القيامة
فسيعلمون خلود النار فسيعلمون اى عند ذلك من هو شر مكانا اى منزلا واضعف
جندا اى اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون اهو خير وهم فى النار او المومنون وهم
فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله عز
وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اى ايمانا وايقانا على يقينهم والباقيات
الصالحات اى الاركان والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها خير عند ربك ثوابا
وخير مردا اى عاقبة ومرجعة قوله تعالى افرايت الذى كفر بايتنا الاية ق
عن خباب بن الارت قال كنت قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وايل
السهمى دين فاتيته اتقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وايل سيفا فجيئته
اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك
تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت نعم قال دعنى حتى اموت وابعث
فساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذى كفر بايتنا وقال لاوتين
مالا وولدا الى قوله فردا الفنى لكدا ثم رد الله عليهم بقوله اطلع الغيب
قال ابن عباس انظر فى اللوح المحفوظ وقيل اعلم علم الغيب حتى يعلم انى فى الجنة
هو ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى قال لا اله الا الله وقيل يعنى عمل
عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة كلا رد عليه يعنى ليفعل
ذلك سنكتب ما يقول اى سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به فى الاخرة ونمد

وقيل

وقيل يامر الملايكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا اى نزيده عذابا
فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه ما يقول اى ما عنده من المال والولد
باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل ينزل عنه ما عنده من المال والولد فلا يعود
الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى مفردا فذلك قوله ويانينا يوم القيمة
فردا بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يتعذر فى الاخرة بمال وولد قوله تعالى واتخذوا
من دون الله الهة يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا
لهم عزا اى منعة يعنى يكونون شفعاء يمنعونهم من العذاب كلا اى كما ليس
الامر كما زعموا سيكفرون بعبادتهم يعنى يجحدون الاصنام والالهة التى كانوا
يعبدونها عبادة المشركين ويبرون منهم ويكونون عليهم ضدا اى اعوانا
عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل لعبدة الصنم وكانوا اولياءهم فى الدنيا قوله
عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اى سلطناهم عليهم تؤزهم
ازا اى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحركهم على
المعاصى تحريكا شديدا وفى الاية دليل على ان الله مريد لجميع الكاينات فلا
تعجل عليهم اى لا تعجل بطلب عقوبتهم انما نعد لهم عدا يعنى الليالى والايام
والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسون بها فى الدنيا الى الاجل الذى
اجل لعذابهم قوله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى اذكر لهم
يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته جماعات قال
ابن عباس رضى الله عنهما ركبانا قال ابو هريرة رضى الله عنه على الابل وقال
على بن طالب رضى الله عنه والله ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق
رحالها الذهب وتجايب سروجها ياقوت ان هملوا بها سارت وان هملوا بها طارت ونسوق المجرمين اى الكافرين الى جهنم وردا اى عطاشا
قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد
الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم
عطاشا تساق الى الماء عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرايق راغبين وراهبين
واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر
بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا من الفيلوله وعنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا
ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم
قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
اما انهم يتقون بوجوههم كل حدث وشوك اخرجه الترمذي قوله تعالى
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى لا اله الا الله
وقيل لا يتشفع الشافعون الا المومنين وقيل لا يشفع الا من شهد ان
لا اله الا الله ان لا يشفع الا المومنين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعنى اليهود
والنصارى ومن زعم ان الملايكة بنات الله عز العرب لقد جيتم شيا ادا
قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما يكاد السموات ينفطرن
منه من الانفطار وهو التشقق وتنشق الارض اى تخسف بهم وتخر الجبال
هدا اى تسقط وتنطبق عليهم ان دعوا اى من اجل ان دعوا للرحمن ولدا
فان قلت ما معنى انفطار السموات وان شقاق الارض وخرور
الجبال ومن اين تواتر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت فيه وجهان احدهما
ان الله تعالى يقول للشيوخ كن فيكون كدت افعل هذا بالسموات والارض
والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي
واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها
وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت
الملايكة والارض والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت
الملايكة واستعرت جهنم حين قالوا الله ولدا ثم نزه الله نفسه عز اتخاذ الولد
ونفاه عنه فقال وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اى ما يليق به اتخاذ الولد ولا
يوصف به لان الولد لا بد ان يكون شبيها للوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ
الولد انما يكون لاغراض ولا يصح في الله تعالى من سروبة واستعانة وذكر جميل
بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن
عبدا اى اتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلايق كلهم عبيده
لقد احصاهم وعدهم عدا اى عد انفاسهم فلا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم
تحت تدبيره وقهره وقدرته وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اى وحيدا ليس
معه من احوال الدنيا شيء وله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل

لهم الرحمن ودا اى محبة في القلوب او يحببهم الى عباده المومنين وعن ابى
هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله سبحانه وتعالى
العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي في اهل
السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع القبول في الارض
وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبحانه وتعالى
اذا احب عبدا دعا جبريل فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول
في الارض واذا ابغض عبدا دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه فيبغضه
جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم توضع له البغضاء
قال هرم ابن حيان ما اقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المومنين
اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى
يكون ابتداؤها من الله ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك
في القران سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله تعالى فانما يسرناه اى سهلنا القران
بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعنى المومنين وتنذر به اى بالقران قوما لدا
اى شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذى لا يستقيم ولا
يقبل الحق ويدعي الباطل وكم اهلكنا قبلهم من قرن حتم الله تعالى هذه السورة
بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وايقنوا انه لا بد من زوال الدنيا باهلها خافوا
ذلك وخافوا سوء العقاب العاقبة في الاخرة فكانوا ابلغ الحذر من المعاصي اقرب
تاكيد ذلك فقال تعالى هل تحس منهم اى هل ترى وقيل هل تجد منهم اى من القرون
من احد او تسمع لهم ركزا اى صوتا خفيا قال الحسن باد واجمعهم فلم يبق منهم
عين ولا اثر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة طه وهي مكية

وهي ماية واربع وقيل خمس وللانثون اية والف وثلثماية واحدى واربعون كلمة
وخمسة الاف ومايتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها النقرة
من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح
القران وخواتيم السورة التي ذكرت فيها النقرة من تحت العرش واعطيت

المفصل ناقلة النار ياده بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طه
هو قسم اقسم الله تعالى بقوله وهدايته وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى
فالطا افتتاح اسمه طاهر لها افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يا رجل
والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان قيل هو بالسريانية
وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغت العرب هذه اللغات في هذه
الكلمة وقيل هو يا انسان بلغت عك وعك قبيلة من قبايل العرب وقيل
معناه طا الارض بقدميك يريد به التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يقوم الليل كله فكان يرفع احدى رجليه في الصلاة
لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الكلمة الاية وامره ان يخفف
على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل لما رأى المشركون من
اجتهاده في العبادة قالوا ما انزلنا عليك القران يا محمد لتشقى الا لشقائك
فنزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب وتتعب الا تذكرة لمن يخشى
اي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون
بها تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى اي من الله الذي خلق الارض
والسموات العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها غير الله
تعالى الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما يعني الهوا وما تحت الثرى اي انه
مالك لجميع ما في الاربعة اقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وارى
الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارض بين على ظهر الثور والثور على صخرة
وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء منها وهي الصخرة التي
ذكرها الله في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت
الثرى الا الله تعالى وذلك الثور له اربع قوايم فاذا جعل الله البحار واحدا
سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست فوله تعالى وان تجهر بيست
بالقول اي تعلن به فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما يسر في نفسك
واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك
نفسك لانك تعلم ما يسر البوم ولا تعلم ما يسر غدا والله اعلم ما اسررت
بد البوم وما تتربه غدا وعنه ان السر ما اسر به ابن ادم في نفسه واخفى

ما هو فاعله قبل ان يعلمه وقيل السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما هو
في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل
وقيل السر ان يعلم ان الله يعلم اسرار العباد واخفى هو سر من عباده فلا
يعلم احد سره وقيل مقصود الاية رجل المكلف عن القبايح ظاهرة كانت او ما
او باطنه والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت او باطنه فعلى هذا الوجه ينبغي
ان يكون محل السر والاخفاء على ما فيه ثواب او عقاب والسر هو الذي يسره المرء
في نفسه في الامور التي عزم عليها واخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة تزوجد
نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى تانيث الاحسن والذي
فضلت به اسماوه في الحسن ساير الاسماء لانها على معاني التقديس والتحميد
والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله عز وجل وقيل
اتاك حديث موسى اي وقد اتاك لما تقدم وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
نقاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتاسى به في تحمل اعبا النبوة
وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات الشدايد حتى ينال عند الله الفوز
والمقام المحمود اذ راى نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا في الرجوع من
مدين الى مصر ليزور والدته واخيه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت ايام
الشتا فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل في شهرها
لا تدري اليلا تضع ام نهارا فسار في البرية من غير طريق يطرقها فالجاهم
المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية
شديدة البرد فما اراد الله من كرامته واجرا مر الله انطلق فاخذ زنده وجعل
يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور
فقال لاهله امكثوا اي اقيموا اني انست نارا اي ابصرت نارا لعلي اتيكم منها
بقبس اي شعلة من نار في طرف عود او اجد على النار هدى اي او اجد عند النار
من يدلني على الطريق فلما اتاها اي اتى النار راى شجرة خضراء من اسفلها الى
اعلاها اغصان لها نارا بيضا تتقد كاضوا ما يكون فلاضوا النار بغير
حضرة الشجر ولا خضرة الشجرة بغير ضوء النار قيل كانت الشجرة سمرة
خضرا وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة العنا
روي ذلك ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي راه موسى نارا بل كان

بلقط النار لان موسى حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب تبارك وتعالى
وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى بدا له عليه بما روى عن ابي موسى
الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات
وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل ان موسى اخذ شيا من
الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا تاب منه واذا اقاي دنت منه فوقف
متحيرا وسمع تسبيح الملايكة والقيت عليه السكينة نودي يا موسى اني انا
ربك قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدريه
من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا اراي مكانك فاين انت فقال انا فوقك
ومعك واما مك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك بطل لا ينبغي الا
لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل اجزايه حتى ان كل جارحة منه كانت
اذنا وقوله تعالى فاخلع نعليك كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود
مرفوعا في قوله اخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وروى غير مدبوغ
وانما امر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب
الارض المقدسة فيناله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما
من وراء الوادي انك بالوادي المقدس اي المطهر طوى اسم للوادي الذي حصل
فيه وقيل طوى وادي مستدير عبر بقوله مثل الطوي في استدارته وانا اخترتك
اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي فاستمع لما يوحى فيه نهاية الربوبية والجلال
لانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
ولا تعبد غيري واقم الصلاة لذكري اي لتتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة فان
لا تسوية بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا تراي بها ولا
تقصد بها غرض اجر وقيل معناه اذا تركت صلاة تذكرتها فاقمها قال عن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكر
اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلى فتادى اقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا
رقد احدكم عن الصلاة او اغفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل
يقول واقم الصلاة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال اكثر المفسرين
معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها المخلوق وكيف اظهرها لكم وذكر ذلك
على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كتمت سرك في نفسي

اى

اى اخفيته غايبة الاخفا والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في اخفايها التهويل والتخويف لانه اذا اراد المرء علم ما متى تكون الساعة كان على حذر منها
نسان كل وقت وكذلك المعنى في اخفا وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته هم
وانقضا اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل
فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته هم
لا يزال على قدم الخوف فيترك المعاصي او يتوب منها في كل وقت خوف معالجة الاجل
وقوله لتجزى كل نفس بما تسعى اي بما تعمل من خير وشر فلا يصدنك عنها من لا يومن
بها اي فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ويجيبها من لا يومن بها واتبع هواه اي مراده
ويخالف امر الله فتردى اي فتهلك قوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى سوال
تقدير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا القيها حية علم انها
معجزة عظيمة قال هي عصاي فيل كان لها شعبتان وفي اسفلها سنان ولها ثلثة
اسمها اليه انوكا عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت وعند الوثبة
واهش بها على غنمي اي اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه
الغنم ولي فيها مارب اخرى اي حاجات ومنافع اخرى واراد بالمنافع المارب
ما تشتمل فيه العصا في السفر وكان يحمل بها ويشتد بها الحبل ويستقي بها
الماء من البير وتقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا اقعد
وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما ياكل يومه وبركزها فيخرج الما
فاذا رفعها ذهب الما وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فيعقص عقص تلك الشجرة
واورقت واثمرت واذا اراد الاستقا من البير اداها فطالت على طول
البير وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا
ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه قال اي قال الله تعالى القها يا موسى
اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها اي فطرحها
على وجه الارض الرفض تزخانت منه تقرة فاذا هي حية صفرا من اعظم ما يكون ذاهي
من الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع اخر كانها جان وهي
الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر كانها ثعبان وهي اكبر ما يكون
من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى

فكان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم
وتنتفخ حتى صارت ثعبان وهو عبارة عن انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم
الثعبان وسرعه الجان قال محمد بن اسحاق نظر موسى فاذا العصا حية أعظم
ما يكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقي لها والحجر عنقا وعرفا تهتز
كالنار وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة فتلقمها وتنصف الشجرة العظيمة بأنيابها وتسمع لأنيابها صريفا عظيما
فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فرقا فاستحيا منه ثم نودي
يا موسى اقبل ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال خذها اي بيمينك
ولا تخف قيل كان خوفه لما عرف ما يلقى ادم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف
بالخ من طبعا نبيه نفسه وذهاب الخوف عنه اذا خل يده في فمها واخذ بلحيتها
سعيد هما سيرتها الاولى اي الى هيئتها فتردها عصا كما كانت وقيل كان على
موسى مدرعه صوف فدخلها بعيدا فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف
المدرعه على يده فامره الله ان يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف
كم المدرعه على يده قال له ذلك لم اتيت لو اذن الله بايجاد نرم كانت المدرعه تغني
عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من ضعف الخليقة فكشف عن يده ثم وضع يده في فم
الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا تركها
قال المفسرون اراد الله ان يريه موسى ما اعطاه من الاية التي لا يقدر عليها الحاوي
وليلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك
اي الى ابطك وقيل تحت عضدك تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة من غير سوء اي
من غير عيب والسوء ها هنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع
يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر اية اخرى اي دلالة اخرى على صدقك
سوى العصى لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن عباس كانت يد موسى اكبر آياته
قوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان والتمرد وانما
صلك فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه اعتى الاعداء وتكبرهم
وكان متبوعا فكان ذكره الاولى وقال وهب وقال الله تعالى لموسى اسمع كلامي
واحفظ وحيي وانطلق برسالتي وائتك بعيني وسميع وان معك يدي وقبضي
وابني البسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف

من

من خلقي بطرنعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم بعزتي لولا
الحجة التي وصفت بها بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة تجيار ولكن هان
علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له
قولا لينا لا يغتر بما اوتي من دنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي
قال فسكت موسى فجاءه ملك فقال اجب ربك قال يعني موسى عليه الصلاة
والسلام رب اشرح لي صدري اي وسعه للحق قال ابن عباس يريد خني لا اخاف غيرك
وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديد الشدة شوكته وكثرة جنوده فكا
فكان يضعف عما كلف من مقاومة فرعون وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه
للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف فرعون
وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة
الرسالة الى فرعون واحلل عقدة من لساني وذلك ان موسى كان في لسانه في حجر فرعون ذلك يوم
في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته اسيه ان هذا عدو
واراد ان يقتله فقالت اسيه انه صبي لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته مرت به الى
فرعون فتبنيا في حجره وحجر امرأته بربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون
ويده قضيب اذ رفعه فضربه برأس فرعون فتظر فرعون وتطير به حتى هم
بقتله فقالت اسيه ايها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان شئت فجايطشتين في
احدهما جمر وفي الاخر جوهر فوضعهما بين يدي موسى فان اراد ان ياخذ الجوهر فاخذ الجمر بيده موسى ووضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها على فيه فاحترق لسانه وصارت
فيه عقدة بفقهوا قولي اي احلل العقدة كي يفهموا كلامي واجعل لي وزيرا من اهلي
اهلي اي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك
ثم بين من هو فقال هارون اخي وكان هارون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل
واوسم كان ابيض اللون وكان موسى ادم اقنى جعدا اشدد به ازري اي قوي به
ظهري واشركه في امري اي امر النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا اي نصلي لك
كثيرا ونذكرك كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من جميل نعمك انك كنت
بنا بصيرا اي خبيرا عليما قال الله تعالى قد اوتيت سولك يا موسى اي اعطيت
جميع ما سالته ولقد منا عليك مرة اخرى اي قبل هذه المدة ثم بين تلك المنة
بقوله اذ اوحينا الى امك وحي الهام ما يوحى اي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام

وعده نعمة عليه فقال ان اقذفيه في التابوت اى الهمناها او اجعليه في التابوت
واقذفيه في اليم يعني نهر النيل فليلقه اليم بالساحل يعني شاطئ البحر يأخذه عدو
وعدو له يعني فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا وووضعت فيه موسى
وقورت راسه وشققته ثم القته في النيل وكان ينبع منه نهر كبير في دار فرعون
فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته اسيه اذا بتابوت يجيء به الماء فامر الغلمان
والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي من اجمل الناس وجها
فلما راى فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله وذلك قوله والقيت عليك
محبة مني قال ابن عباس وحبيبه الى خلقه قبل ما يراه احد الا احبه لملاحة كانت في
عيني موسى وتنصب على عيني لتربى وتحسن اليك واناعر لعينك ومراقبك كما يبا
يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشي اختك واسمها مريم
متعرفة خبره فتقول هل ادلكم على من يكفله اى امرأة مرضعة وتفهمه ابجاهم
وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت
بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك كي تقر عينها اى
بلقائك ورويتك ولا تحزن اى وليذهب عنها الحزن وقتلت نفسا فاغممناك
قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اثنا عشرة سنة فانجيناك
من الغم اى من غير القتل وكرهه وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك
اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد
محنة وخلصه الله منها ولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاوه في اليم في التابوت ثم صنعه الرجاء الامر الذي
امه ثم اخذه بالكينة فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجمر بدل الجوهر
ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا ولبثت اى مكثت سنين في اهل
مدين بقية بلدة شعيب ثمان وعشرين سنة اقام عنده بعد ذلك
عشر سنين منها برعي الغنم مهرا زوجه صفيرا ابنة شعيبا وثمان عشر
سنة عنده اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له ثم جيت على قدر يا موسى
اى جيت على القدر الذي قدرت ان تجيء فيه على راس اربعين سنة وهو
القدر الذي يوحى الى الانبيا فيه واصطنعتك لنفسي اى اخترتك
واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي وتحبني وذلك ان

قيامه

قيامه باداء الرسالة تتصرف على ارادة الله تعالى ومحبته وقيل معناه اخترتك
لامري وجعلتك القايم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كما في الذي افرت عليه
الحجة وخاطبتهم اذهب انت واخوك يا ياتي اى بدلايلي وقال ابن عباس يعني
الايات التسع التي بعث بها موسى ولا تسا اى لا تضعفا وقيل لا تقصرا
تقتروا لا تقصرا في ذكري اى لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام عليكما
ذكر النعمة شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اى داريا
وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل
يا ابا الوليد وقيل اراد بالقول اللين هل لك الى ان تزكى الاية وقيل امرهما بالرفق
لما له من حق تربية موسى وقيل وعداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع
لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى مؤنة واذا
مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اجيب فوكان لا يقطع امرا دون هامان
وكان غايبا فلما اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال ارجعت ان اقبل منه فقال له
هامان لبيت اربي ان لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تريد
ان تعبد فغلبه على رايه وكان هارون بمصر فامر الله موسى ان ياتي هارون وهو
واوحى الله الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحى
وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اى يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف
قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا
على رجائكما وطمعكما وفقا الله وبراعكما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك وقيل هو بنصرف الى غير فرعون مجازا لعله يتذكر منذكر او يخشى من اخبار
اخباري والطافي لمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله
واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعه الا ذكر والخشية وذلك حين
ادركه الغرق وقرى رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقولا له قولا لينا الاية فبكى
يحيى وقال الرحيم يرسل رفقك بمن يقول انا الله فكيف رفقك بمن يقول انت
الاله قالا يعني موسى وهارون ربنا انا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس
يعجل علينا بالقتل والعقوبة او يبطغى اى يجاوز الحد في الاساءة الينا قال لا تخافا
لا تخافا اني معكما اسمع واري قال ابن عباس اسمع دعاءكما فاجيبه واري

ما يرادبكما فامضيا لست بغافل عنكما فلا تريثا فاتياه فقولا انا رسول ربنا اي
ارسلنا اليك ربك فارسل معنا بني اسرايل اي خل عنهم واطلقهم عن اعمالك
ولا تعذبهم اي لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبنا
وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك قد جيناك باية من ربك قال فرعون
وما هي فاخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جيناك
بموعظة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة والسلام على
اتبع الهدى ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب
من اسلم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي انما يكفر
الله من كذب بما جيناه واعرض عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى اي
فمن الهكما الذي ارسلكما قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي كل شي
يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شي صلاحه وهداه وقيل اعطى كل
شي صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين
للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح
ويعني جعل زوجة الرجل والمراة والبعير والناقة والفرس والرمكة وهي الحجرة
والحمار الاتان ثم هدى اي الهمه كيف ياتي الذكر الانثى قال يعني فرعون فما
بال القرون الاولى اي فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد
وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر وانما قال فرعون ذلك لموسى حين
خوفهم لمصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى قال
يعني موسى عليه الصلاة والسلام علمها عند ربي اي اعمالهم محفوظة عند الله
يجازيهم بها وقيل انما اراد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان
التوراة انما انزلت بعد هلاك فرعون وقومه في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا
يضل ربي اي لا يخطي وقيل لا يغيب عنه شي ولا ينسى اي فيذكر وقيل لا ينسى
شيئا كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وقيل
مهدها لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم
لتسلكوها واثزل من السماء ماء يعني المطر نزلا الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى
فاخرجنا به اي بذلك الماء ازواجا اي اصنافا من نبات شتى اي مختلفة الالوان هذا
والمطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها ما للدواب كلوا وارعوا انعامكم اي اخرجنا

اصناف

اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي ان في ذلك اي الذي ذكرت لايات لاولي
النهى اي لذوي العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم منها خلقناكم اي
من الارض خلقنا ادم وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه فيدفعه
على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن
ومنها نخرجكم تارة اخرى اي يوم القيامة للبعث والحساب قوله عز وجل ولقد اريناه
يعني فرعون ايانتنا كلها يعني الايات التسع التي اعطاها الله موسى فكذب وابى
يعني فرعون وزعم انها سحر وابى ان يسلم قال فرعون اجيتنا لتخرجنا من ارضنا
يعني مصر بسحرك يا موسى اي تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا
منها فلنا تينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا اي اضرب اجلا وميقاتا
لا نخلفه اي لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا عدلا وقال ابن عباس
يستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان قال يعني موسى موعدكم
يوم الزينة هو كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم
النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء وان يحشر الناس ضحى فتوى فرعون اي وقت
الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الزينة فجمع يعني فرعون كيده اي مكره وحيله
وسحرة ثم اتى اي الميعاد قال لهم موسى يعني للسحرة الذي جمعهم فرعون وكانوا اثنين
وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا اربعمايه وقيل كانوا اثني عشر الفا
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب اي فيهلككم ويستاصلكم وقد خاب من
افترى اي خسر من ادعى مع الله الها اخر وقيل معناه خسر من كذب على الله قوله عز وجل
فتنازعوا امرهم بينهم اي تناظروا وتشاوروا وقيل معناه السحرة في امر موسى سرا من
فرعون فقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل لما قال لهم لا تفتروا على الله كذبا
قال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر واسروا النجوى اي المناجاة قالوا اي بعضهم
لبعض سرا ان هذان لساحران يعني موسى وهارون يريدان ان يخرجاكم من
ارضكم يعني مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قال ابن عباس يعني بني اسرايل قومكم
وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل اراد انقل الطريقة المثلى وهم سوء
بنو اسرايل يعني يريدان ان يذهبا برهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بنسبكم ودينكم
الذي انتم عليه فاجمعوا كيدكم اي لا تدعوا شيا من كيدكم الا جيتم به وقيل معناه
اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيخل امركم ثم ائتوا صفا اي جميعا

مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ايتوا المكان الموعود وقد افلح
اليوم من استعلى اى فاز من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي
عصاك واما ان نكون اول من القى اى عصاه قال يعني موسى عليه السلام
بل القوا يعني انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم
خيل اليه من سحرهم انها تسعى قيل انهم طوا القوا الحبال والعصي اخذ واعين الناس
فراى موسى كان الارض امتلات حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل
جانب ورأها انها تسعى فاوجس اي اضمر وقيل وجد في نفسه خيفة موسى
قيل هو طبع البشريه وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان
يلتبس عليهم الامر فيشكوا في امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف اى قال الله لموسى
لا تخف انك انت الاعلى اى الغالب عليهم ولك الغلبة والظفر والقوما في
يمينك اى عصاك والمعنى لا تخيفك بكثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيئا
اعظم منها كلها تلقف اى تلقم وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر اى حيلة ساحر
ولا يفلح الساحر حيث اتى اى من الارض وقال ابن عباس لا يسير حيث كان فالقي
السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى قال صاحب الكشاف سبحان الله
ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم للشكر
والسجود فما اعظم الفرق بين القائين وقيل انهم لما رفعوا رؤسهم رأى الجنة
والنار وقيل لما سجدوا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها
في الجنة قال يعني فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم اى لرئيسكم وعظيمكم
يعني انه اسحركم واعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اى اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ولاصلبنكم في
جذوع النخل اى على جذوع النخل ولتعلمن ايينا اشد عذابا اى على ايمانكم اما وكفر
موسى على ترك الايمان به وابقى اى ادوم قالوا يعني السحرة لن نوثرك اى لن نختارك
على ما جاءنا من البينات يعني الدلالات الواضحات قيل هو اليد والعصي وقيل كان
اسند لانهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فابى جالنا وعمينا وقيل انهم لما سجدوا
راوا الجنة والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نوثرك على ما جاءنا
من البينات والذي فطرنا قيل هو قسم وقيل معناه لن نوثرك على الله الذي فطرنا
فاقض ما انت قاض اى فاصنع ما انت صانع انما تقضي هذه الحياة الدنيا اى انما

امرك

امرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما
اكرهتنا عليه من السحر فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين غير مكرهين
قلت كان فرعون اكرههم في الابتداء على تعلم السحر ليذهب اصله وقيل كانت
السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل كان فرعون اكره
الذين اسلموا من بني اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون ارنا موسى اذا هو
نايم فاذا هم موسى نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ابيس يساحر ان السحر
اذا نام بطل سحره فابى عليهم واكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا
عليه من السحر والله خير وابقى اى خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك ان
اطيع وابقى عذابا منك ان عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن ايينا اشد عذابا وابقى
وابقى انه من يات ربه مجرما قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام
قول السحرة معناه من مات على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها ويستريح ولا يحيى
حياة ينتفع بها ومن ياته مومنا اى مات على الايمان قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى اى الرفيعة العالية ثم فسر الدرجات فقال تعالى جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اى تطهر من الذنوب
وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون
الكوكب الطالع في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم واخرجه الترمذي قوله وانعما يقال احسن
فلان الى وانعم اى افضل وزاد في الاحسان والمعنى انهما منهم وزادا وتنا
الى غايته قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اى سر بهم ليلا من ارض
مصر فاضرب لهم طريقا اى اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا يبسا اي
ذا يبس ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس لهم الطريق في البحر لا تخاف
دركا ولا تخشى قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان
تغرق البحر امامك فاتبعهم اى فلحقهم فرعون بجنوده فغشيهم اى اصابهم
اصابهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسيرهم من اليم ما لا يعلم
كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه واضل فرعون قومه
وما هدى اى وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
قوله عز وجل يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الايمن

وانعما
هيا

ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله النجاة النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم
وفي الوعد موسى من المناجات بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما قال هم
ووعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها
قوام امرهم دينهم وشريعتهم وفيها افاض الله عليهم من سايرنعمه واذ زائدة كلوا
من طيبات ما رزقناكم ولا تظغوا فيه قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا هذه
النعمة فتكونوا كافرين اى طاغين وقيل لا تنفقوا ولا تغتروا ياتعدي على المعاصي
وقيل لا تدخروا فيحل عليكم غضبي اى يجب عليكم ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
اى هلك وسقط في النار وانى لغفار لمن تاب قال ابن عباس من تاب عن الشر
وامن اى وحد الله وصدقه وعمل صالحا اى ادى الفرايض ثم اهتدى قال ابن عباس
علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم
ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة قوله عز وجل وما اعجلك اى ما حملك على
العجلة عن قومك يا موسى وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى
يذهبوا معه الى الطور ليا خذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا
الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله تعالى وما العجلك
عن قومك يا موسى فاجاب ربه فقال هم اولاي على اثري اى هم بالقرب مني ياتون
على اثري من بعدي فان قلت لم يطابق السوال الجواب فانه ساله عن
سبب العجله فعدل عن الجواب فقال هم اولاى على اثري قلت كان موسى بسط
العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم
سيره ثم اعقبه الجواب السوال فقال وعجلت اليك ربي لترضى اى لتزداد رضى
قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اى فانا ابتلينا الذين اخلفتهم مع
هارون وكانوا ستمايه الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا بعدك واضلهم السامري اى دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل واضاف
الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جبريل المنشاة تضاف الى
منشيها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هم
هرنا قيل كان السامري من عظماء بني اسرايل من قبيلة يقال لها السامرة
وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وامن به وقيل كان عليجا من علج من
بني كرمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه

غضبان اسفا الى حزينا جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اى صدقا
انكم بعطيكم التوراة افطال عليكم العهد اى مدة مفارقتي اياكم امم اردتم ان
يحل عليكم غضب من ربكم اى اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من
ربكم فاخلفتم موعدي بيعني ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا
ما اخلفنا موعدك بملكنا اى بخلافنا امرك وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع
في الفتنة لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اى حملنا من انفسنا
ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لانها تثقل وتثقلها
وقيل الاوزار الاثام اى حملنا اثاما وذلك ان بني اسرايل استعاروا حليا من
القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما
اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذوها بنو اسرايل فكانت غنيمة ولم تكن الغنايم
تحل لهم فقذفناها اى القيناها قبل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها
فيها حتى يرجع موسى فيرى رايه فيها وقيل ان هارون امرهم بذلك ففعلوا
فكذلك القى السامري اى فاكان معه من الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هارون
نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل
فقال له ما هذا قال احتبس ما ينفع ولا يضر فادع لي فعسى هارون الله يرد اعطه ما سالك
على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال
كن عجلا فكان كذلك بدعوة هارون فذلك قوله تعالى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار
اختلفوا هل كان الجسد حيوانا ام لا على قولين احدهما انه لا يجوز اظهار خرق العادة على
يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه صناديق وخاريق بحيث
اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني انه احيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا
الهكم واله موسى بعيني قال ذلك السامري ومن تابعه من افتتن به وقيل عكفوا
عليه واحبوه حبا ليتخذوا شيا فطفشله فنسي قيل هو اخبار عن قول السامري اي
ان موسى نسي الهه وتركه هرنا وذهب يطلبه وقيل معناه الى موسى انما طلب هذا هو
ولكنه نسيه وخالفه في طريق اخر فاخطا الطريق وقيل هو من كلام الله تعالى كانه اخبر
عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شي ولا
يحل فيه شي ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال افلا يرون
ان لا يرجع اليهم قولا اى ان العجل لا يرد جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا

حال

٢ حار

ولا نفعها هذا توبيخ لهم لرضاهم اذ لم يعبدوا ما لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا ينفع من عبده
وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني اسرايل قوله عز وجل ولقد قال لهم هارون
من قبل اي من قبل رجوع موسى يا قوم انما فتنتم به اى ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن ٣
فاتبعوني اى على دينى فى عبادة الله واطيعوا امري اى فى ترك عبادة العجل اعلم
ان هارون عليه الصلاة والسلام سلك فى هذه المواعظ احسن الوجوه لانه رتبها
اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله بقوله وان ربكم الرحمن ثم
دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرايع بقوله واطيعوا امري
فهذا هو الترتيب الجيد لانه لابد من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات
ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص
هذا الموضع بهذا الاسم لانه نبههم على انه مبني تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن
الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود فقالوا لن نبرح اي لن نزال عليه اى على
عبادة العجل عاكفين اى مقيمين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لن تقبل حجتك ولا
يقبل الا قول موسى فاعتزلهم هارون فى اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع
موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه
هذا صوت الفتنة فلما راى هارون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله وقال
له يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اى اشركوا ان لا تتبعني اى تتبع امري وقيل
وقيل معناه قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه
ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم
عما اتوه افعصيت امري اي خالفت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
اى بشعر راسي وكان قد اخذ بذوائبه اني خشيت اى لو انكرت عليهم لصاروا
اخذين لقتل بعضهم بعضا ان تقول اى فتقول فرقت بين بني اسرايل اى خشيت
ان فارقتهم وانتعتك ان يصيروا احزابا فيتفانوا فتكون فتقول فرقت بين بني اسرايل
ولم ترقب قولي اى ولم تحفظ وصيتي حتى قلت لك اخلفني فى قومي واصلح وارفق
بهم ثم اقبل موسى على السامري ثم قال فما خطبك يا سامري اى ما امرك يا سامري
وشانك وما الذي حملك على ما صنعت قال بعين السامري بصرت بما لم يبصروا
به فقبضت قبضة من اثر الرسول اى من تراب اثر حافر فرس جبريل فنبذتها
اي فقذفتها فى فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري جبريل

وراه

وراه من بين سايرالناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته فى السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله جبريل اليه ليربيه ما قضى الله على يديه من الفتنة والوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهبا به الى الطور راه السامري من بين سايرالناس فلما راه ان لهذا الشانا فقبض القبضة من اثر تربة موطيه فلما ساله موسى قال قبضت من اثر الرسول اليك يوم جاءك للميعاد وقيل راى يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها فى عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله ٢٥
وكذلك سولت لي نفسي اى زينت لي نفسي وقيل هو من السوال والمعنى انه
يريد يعني الى ما فعلت غيري وانتبعت فيه هواي قال فاذهب يعني قال للسامري
اذهب فان لك في الحياة اى ما دمت حيا ان تقول لا مساس اي لا تخالط احدا ولا
يخالطك احد فعوقب فى الدنيا بعقوبة لا يشوا وحشر منها ولا اعظم وذلك ان
موسى امر بني اسرايل ان يجتنبوه ولا يقربوه ويحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وصا
ومتابعته ومواجهته وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك فصار السامري
يهيم في البريه مع الوحوش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه وقيل كان اذا مس
احدا او مسه احدهما جميعا فيحيا الناس ويحاموه وكان يعيش لا مساس حتى ان
بقايا هم اليوم يقولون ذلك وان لك اى يا سامري موعدا اى لعذابك في الاخرة
لن تخلفه قرى بكسر اللام ومعناه لن يغيب عنه ولا يذهب لك عنه بل توافيه
يوم القيامة وقرى بالفتح اى تكذبه ولن يخلفك الله بل يكافيك على فعلك وانظر
الى الهك اى الذي تزعم الذي ظلت عاكفا اى دمت عليه مقيما تعبده
لنحرقنه اى بالنار ثم لننسفنه اى لنذريته في اليم اى البحر نسفا روي ان موسى
اخذ العجل فذبحه فسامنه دم وحرقه بالنار ونود راه في البحر وقيل معناه لنحرقنه
اى لندريه فعلى هذا التاويل لا يرد ما قال ذلك لا يمكن ان يبرد
بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم برد بالمبرد حتى صار
بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب اليه
السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرايل انما الهكم الله اى
المستحق للعبادة والتعظيم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اى وسع
علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده ومن لا يعبده قوله تعالى كذلك نقص عليك

عليك ٥

يعني اخبار ما سبق يعني الامور الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد اتيناك من لدنا
ذكرا وهو القرآن من اعرض عنه اي عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل
يوم القيامة وزرا اي حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه اي مقيمين في عذاب الوزر
وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس ما حملوا على انفسهم من الاثم يوم ينفخ في الصور
قيل هو قرن متسع يدير به الناس للحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية
لانه اتبعه بقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي يحشر المشركين زرق العيون
سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا يتخافتون اي يتسارون بينهم
ويتكلمون خفية ان لبثتم اي مكثتم في الدنيا الا عشرا اي عشرة ليال وقيل في القبور
وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم
بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا وقال الله تعالى نحن
اعلم بما يقولون اي يتشاورون بينهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم عقلا
واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما فصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم من
اهوال يوم القيامة وقيل نسوا لمقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل
ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله عز
وجل هذه الاية والنسف هو القلع اي يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا
فيذرها قاعا صفصفا اي يدع اماكن الجبال من الارض قاعا صفصفا اي ارضا
ملساء مستوية لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي انخفاضا ولا ارتفاعا
اي لا ترى واديا ولا رابية يومئذ يتبعون الداعي اي صوت الداعي الذي يدعوهم
الى موقف القيامة وهو اسرافيل وذلك انه ينفخ الصور على فيه ويقف على
صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم
المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج له اي لا عوج لهم عن دعاية ولا يزيغون
عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت
وذلت وخضعت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات وذلت
والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع فلا تسمع
الا همسا وهو الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل المراد
بالهمس صوت وطي الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ لا تنفع

الشفاعة

الشفاعة اي لاحد من الناس الا من اذن له الرحمن اي الا من اذله ان يشفع هم
ورضي له قولا قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير
المومن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يأذن الله له
فيها وكان عند الله مرضيا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل الكناية راجعة
الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا
وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا يشفع الشفعاء
الا لمن اذن له ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايدي الشافعين وما خلفهم ولا
يحيطون به علما قيل الكناية ترجع الى ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
وهم لا يعلمون به والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وما خلفهم
وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اي ولا يحيطون بالله علما
وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله
تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين
لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها اتبين وفيها اظهر
وقوله للحي القيوم تقدم تفسيره وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس
من اشرك بالله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما
قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سيئاته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ
بذنب لم يعمله ولا يبطل حسنة عملها قوله تعالى وكذلك انزلناه اي كما بينا في هذه
السور وهذه الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله كذلك وقوله قرآنا
عربيا اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن
كلام البشر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد
ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق وتكريره
وتصريفه يقتضي بيان الاحكام فلذلك قال تعالى لعلهم يتقون اي يجتنبون
الشرك والمحارم وتترك الواجبات او يحدث لهم ذكرا اي انما انزلنا القرآن لاجل
ان يصبروا ويتقوا فيجتنبوا ما لا ينبغي ويحدث لهم القرآن ذكرا بترغيبهم في فعل
الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا
فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله الامم السالفة قوله عز وجل فتعالى
الله الملك الحق اي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون

لجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما
وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس يستفاد من
قبل الغير ولا لغيره اولي به منه ولا تعجل بالقرآن اراد ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأه قبل ان يفرغ جبريل مما يريد
من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال ولا تعجل
بالقرآن اى لا تعجل بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه اى من قبل ان يفرغ جبريل
من الابلاغ وقيل معناه لا يقراه اصحابك ولا تملله عليهم حتى يتبين لك معنا
ه
رب زدني علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدني علما اى ما علمت
فان لك في كل شيء علما وحكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بطلب الزيادة في الاشياء الا في العلم وقيل كان ابن مسعود اذا قرأ هذه
الاية قال اللهم زدني علما ايمانا ويقينا قوله تعالى ولقد عهدنا الى
ادم اى امرناه واوجبنا اليه ان لا تاكل من الشجرة من قبل اى من قبل هؤلا
الذين نقضوا عهدي وتركوا ايماني لي وهم الذين ذكرهم في قوله لعلهم يتقون
فنسي اى فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن اكل الشجرة واكل منها وقيل اخر
وقيل معناه لم نجد له رايا اراد النسيان الذي هو ضد الذكر ولم نجد له عزما
اى صبرا عما نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معروما حيث
اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له
عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح اقرب واذ قلنا للملايكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد فقلنا يا ادم ان هذا اى ابليس عدو
لك ولزوجك اى حوا وسبب العداوة ما راى من اثار نعمة الله على ادم من
محسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اسند الخروج اليه و
ان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته وفعل ادم ما يترتب عليه
الخروج هو ذلك ومعنى يشقى يتعب ويغضب ويكون عيشك من كد
يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصيد والطحن قيل اهبط
الى ادم ثورا احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه وكان ذلك
شقاوة فان قلت لم اسند الشقا الى ادم دون حوا قلت
فيه وجهان احدهما ان في خلق الشقا الرجل شقا اهله كما ان في سعادته

سعادتهم

سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني اريد بالشقا التعب في طلب القوت
وذلك على الرجل دون المراة لان الرجل هو السايح على زوجته ان لك ان لا
تجوع فيها اى الجنة ولا تعرى وانك لا تظمؤا اى لا تعطش فيها ولا تضحى اى لا تبرز
للشمس فيوذيك حرها لا ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود والمعنى
ان الشبع والري والكسوة والكسب هي الامور التي يدور عليها اكناف الانسان
فذكر الله حصول هذه الاشياء في الجنة وانه يكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى
كسب كاسب كما يحتاجون اليه اهل الدنيا فوسوس اليه الشيطان اى انزى
اليه الوسوسة واسند اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي قال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد اى على الشجرة التي ان اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى
اى لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه ادم
رغبه صنه ابليس الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة
وابليس وقفه على الاقدام عليها وادم مع كمال علمه بان الله هو خالقه ورزقه
ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن
تامل هذا السر عرف انه لا داعي لنقض الله ولا مانع لهمته وقوله تعالى فاكلا منها
بعني اكل ادم وحوا من الشجرة فبدت لهما سوآتهما اى عريا من الثوب الذي كان عليهما
حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى
يلزقان بسوآتهما من ورق التين وعصى ادم ربه اى باكل الشجرة فغوى اى فعل
ما لم يكن له فعله وقيل اخطا طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عنه
فخاب ولم ينل مراده وصار من الغرابي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة
يجوز ان يقال عصى ادم ولا يجوز ان يقال ادم عاص لان انه لا يقال لمن اعتاد
فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود
ذلك مرارا ويعتاد فتاب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احتج ادم وموسى فقال موسى يا ادم انت ابونا خيبتنا وانزلتنا من الجنة
فقال له ادم انت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني
على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج ادم موسى وفي
رواية فسلم قال يا ادم هل وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى
باربعين عاما قال وهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني

منهي

على ان عملت عملا كتب الله عليه على ان اعماله قبل ان يخلقني بار بعين سنة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى الكلام على معنى الحديث
وشرحه قوله احتج ادم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اي
جادلته فغلبته قال ابو اسحاق الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر
والقضاء من الله على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله
فحج ادم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله
بما يكون من افعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقديره وخلقه لها خيرها
وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق
واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيما افعالهم واكتسابهم
ومباشرتهم الامور وعملا بستهم اياها عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار
فالحجة انما تلزمهم بها واللايمة لحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما امران لا
ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البناء فلا يرام
الفصل بينهما فقد لا هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لادم على موسى ان الله تعالى
كان قد علم من ادم انه يتناول الشجرة فيأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه
وان يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا للنزول الى الارض الذي خلق لها
وانما ادى ادم بالحجة على هذا المعنى ورفع لايمة موسى عن نفسه ولذلك قال
اتلومني على امر قد قدر الله علي من قبل ان يخلقني والله اعلم

فصل في بيان عصمة الانبياء وما

قيل في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء
وضبط القول فيه يرجع الى انقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد
الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت
اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف والالتباس في
ق بالاحاد وانفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من
جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا
فاجمعوا على انه لا يجوز خطأ وهو فيه على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل
السهو الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة اقوال احدها
قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من جوز منع من الكبائر وجوز الصغائر

على جهة العمد وهو اكثر قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة
البتة بل على جهة التاويل وهو قول لكعبي الرابع انه لا يقع منهم الذنب لا على جهة
السهو والخطأ الخامس انه لا يقع منهم كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على
سبيل التاويل وهو قول الشيعة واختلفت الناس في وقت العصمة على ثلاثة اقوال
احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول
الشيعة الثاني قول من ذهب ان عصمتهم من وقت بلوغهم وهم اكثر المعتزلة الثالث
قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي
الهذيل وابي علي من المعتزلة قاله الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب
لا صغيرة ولا كبيرة من حين جائتهم النبوة ويدل عليه وجوه احدها لو صدر الذنب
منهم كانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جايز لان درجة الانبياء في غاية
الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه يوجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان
اقل حالا من عدول الامة وذلك غير جايز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو
ان يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل
الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع نبي بيرية
العقل لانه لا شيء اقبح ممن رفع الله درجته وايتمنه على وحيه وجعله خليفة
على عباده وبلاده يسمع ربه ينادي لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا
لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يامرون الناس بطاعة الله فلو
لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلو
الكتاب افلا تعقلون وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظة الغرور فيتناول الكل ويدل فيه فعل ما ينبغي
فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت ان الانبياء فاعلون لكل خير وتاركون لكل منهي
وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة
رسلا ومن الناس وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران
على العالمين وقال في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال
تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الايات
التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم

وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما المخالف فقد تمسك بايات منها قصة ادم
والجواب عنها ان تقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال
حال النبوة وذلك ممنوع والاولى ان يقال ان ادم حال ما صدرت عنه هذه الاشيا
ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله قبل توبته وشرفه
بالنبوة وقال القاضي عياض واما قصة ادم وقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل
وقيل اخطا وقد اخبر الله تعالى بقدره في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي
ولم نجد له عزما اي نسبي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة
استقلالا لها ولكن اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا
يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم يتوان المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا
للمخالفة وقيل بل اكل من الشجرة ناسيا ولا وهو لا بعلم انها الشجرة التي نهي عنها لا
لانه ياول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت النوبة
من ترك التوبة التحفظ لامن المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم
فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى ادم ربه
فغوى وما تكرر في القران والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم واشفاقهم ونكاهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من
لا شي عليه قلت ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله
وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل
جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في نصر فهم باموره لم
يزالوا عنها ولا امروا بها وانوها على وجه التاويل والسهو ويزيد واض امور الدنيا
المباحة فاخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة بها فهم خايفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب
كذنوب غيرهم ومعاصيهم وكان اذني افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم كما قيل
كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين ان يرونها بالاضافة الى احوالهم كما يشا
وسنذكر كل في موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شا الله تعالى والله اعلم قوله عز وجل
ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه فتاب عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة
وهدى اي هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار قال اهبطا منها جميعا
قيل الخطاب لادم وحده ذريته ولا ابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا اذ منها جمعا

لاحقال

لاحتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لادم وحوا لانهما اصل البشر
فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع بعضكم لبعض عدو وقيل في توفيه هذا
الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعدا الناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين
لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى اي كتاب ورسول فمن اتبع هداي اي الكتاب والرسول
فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة
ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك ان الله تعالى يقول فمن اتبع هدي فلا يضل
في الدنيا ولا يشقى اي في الاخرة ومن اعرض عن ذكري يعني القران فلم يومن به ولم يتبعه
فان له معيشة ضنكا روي عن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو
سعيد يضغط في القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا بالتام عليه
القبر هنى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع
والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء
وغيه قال كلما اعطي العبد قل امر كثر فلا يتقي فيه فلا خير فيه وهو الضنك في
المعيشة هذا ان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولي سعة من الدنيا مكثرين وكانت
معيشتهم وذلك انهم يرون ان ليس نخالف لهم فاشتدت عليهم معاشهم
من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع ونحشره يوم
القيامة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا اي بصير العين وبصير الحجة قال كذلك اتتك ايتنا فنسيتها اي
فتركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا من الخير
والرحمة ولم ينسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف اي كما جزينا من اعرض عن
القران كذلك نجزي من اسرف اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة
اشد مما يعذبهم به في الدنيا والاخرة القبر وابقى اي وادوم قوله تعالى افلم يهد
لهم اي افلم يبين القران لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في
مساكنهم يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يتجرون
يسافرون الى الشام فيمرون بديار المهلكين من اصحاب الحجر وهو ثمود وقرى قوم
لوط ان في ذلك لايات لاولي النهى اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك
اي ولولا حكم تسبق بتاخير العذاب عنهم لكان لزاما واجل مسمى تقديره ولولا

كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما الزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون نسختها اية السيف وسبح بحمد ربك
اى فصل لامر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها اي صلاة العصر
ومن اناء الليل اي ومن ساعاته فسبح يعني المغرب والعشا قال ابن عباس يريد اول الليل
واطراف النهار يعني صلاة الظهر سمي وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند
الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الاخر ابتداءه لعلك ترضى اي
ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اي
تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم
عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف ابيم من الضيم الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا
لا يظلم بعضكم بعضا في رويته وروي بتشديد الميم من الاضمام والازدحام
اى لا تزدحمون ولا ينضم بعضكم الى بعض في رويته والكاف في قوله كما ترون القمر كاف
التشبيه للرؤية لا للمرئي وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية يتراح معها
الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل ولا
تمدن عينيك قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني
الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعني كذا وكذا من الدقيق
واسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه
الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله اني لامين
اوا سلفني لقضيته والله اني لامين في السما وامين في الارض اذهب بدرعي
لحديد اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك اى لا تنظر نظر الاكلا ترده
استحسانا للمنظور اليه والاعجاب به وتمنيا له اي ما متعنا به اى اعطينا ازواجا
اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اى زينتها ونضرتها لنفتنهم فيه اى لنجعل
ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم النعمة فيزيدون كفرا وطغيانا ورزق ربك اى
في الجياد في الجنة خير وابقى اي ادوم قال ابن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت
نفسه حسرات ومن لم تنج بصيرته ما في ايدي الناس بطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله في

مطعمه ومشربه وملبسه فقل قد عمله وحضر عذابه قوله تعالى وامر اهلك اى
قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة اى بالمحافظة عليها واصطبر عليها
اى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشا والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الموظف
بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول لا نسالك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق
احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك اى بل نحن نرزقك
نرزقك ونرزق اهلك والعاقبة للتقوى اي الجميلة المحمودة لاهل التقوى هو
سوال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض المسانيد
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه
الاية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية من ربه اى باية هم
المقترحة فانهم كان قد اتاهم باية كبيرة ولم تاتهم بينة ما في الصحف هم
الاولى اى بيان ما فيها وهو القران لانه اقوى دلالة واوضح اية وقيل معنى ما في
الصحف التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الايات فلما
اتتهم طغوا ومنوا بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فابوا من ان تاتيهم
الاية ان يكون حالهم كحال اوليك وقيل بينة ما في الصحف الاولى هي البشارة
بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
اي من قبل ارسال الرسل وانزال القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اى لما
قالوا يوم القيامة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان
نذل ونخزى العذاب والهوان والافتضاح قل كل متربص اى منتظر دوائر
الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات
خلصنا قال الله تعالى فتربصوا اى فانتظروا فستعلمون اى اذا جاء امر الله وقتا
القيامة من اصحاب الصراط السوي اى المستقيم ومن اهتدى اى من الضلالة
نحن ام انتم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده وبما اراد كتابه

تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وهي مكية وعدد هاماية واثنتي عشرة اية والف ومايتان وثمانون وستون
كلمة واربعة الاف وثمانماية وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم اي وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم
يوم القيامة نزلت في منكري البعث واغا ذكر الله هذا الاقتراب تمادي فيه من

هل

لمصلحة المكلفين فيكونوا اقرب الى التاهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم
المكلفون دون غيرهم وقيل لهم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه
وهم في غفلة معرضون اي على التاهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم
ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن و
المسيئ ثم اذا انتبهوا عن سنة العقل بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا
عنه ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث يعني ما يحدث الله في تنزيل شيء من
القران يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فتنزل
الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيره
من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه
من السنن والمواعظ سوى ما في القران واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا استمعوه وهم يلعبون اي لاعبين اي لا يعتبرون
ولا يتعظون لاهية قلوبهم اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله واسروا
النجوى الذين ظلموا اي بالغوا في اخفاء التناجي وهم الذين اشركوا وثم يبتدئ سرهم الذين
تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم هل هذا الا بشر مثلكم يعني انهم انكروا ارسال البشر
وطلبوا ارسال الملايكة والاولى ارسال البشر لان الانسان ابى القبول من اشكاله افلا
اقرب افتاتون السحر اي بحضرون السحر ويقبلونه وانتم تبصرون اي تعلمون انه
سحر قل لهم يا محمد ربي يعلم القول بل قالوا اضغاث احلام يعني اباطيل واهاويل
رايها في النوم بل افتراه اي اختلقه بل هو شاعر وذلك ان المشركين اقتسموا في
القول في النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام وقال
بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاكم شعر فليات بعني النبي
صلى الله عليه وسلم باية اي ان كان صادقا كما ارسل الاولون اي من الرسل
بالايات قال تعالى مجيبا لهم ما امنت قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي
من اهل قرية انتهم الايات اهلكناها اي لتكذيب اهلها فهم يومنون اي ان جاتهم
اية والمعنى اولئك لم يومنوا بالايات لما جاتهم افيومن من هولا قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر
مثلكم والمعنى لم ينزل الملايكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحي اليهم مثلك
فاسيلوا اهل الذكر يعني اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم

لا ينكرون

لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر
المشركين بمسيلة اهل الكتاب لان المشركين الى تصديقهم من تصديق من
امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد باهل الذكر القران اي فاسيلوا المومنين
العليمين من اهل القران ان كنتم لا تعلمون قوله عز وجل وما جعلناهم
يعني الرسل جسدا لا ياكلون الطعام هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل
الطعام والمعنى لم نجعلهم ملايكة بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام وما كانوا
خالدين اي في الدنيا بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم الوعد اي الذين وعدنا
باهلاك اعدايهم فانجيناهم ومن نشا اي المومنين الذين صدقوهم واهلكنا
المسرفين اي المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل
لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وفخركم وهو شرف
لمن امن به وقيل فيه تذكرة لكم لتتذكروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد
افلا تعقلون فيه لغة على التدبير لان الخوف من لوازم العقل قوله تعالى وكم
قصمنا اي اهلكنا من قرية كانت ظالمة اي كافرة والمراد اهل القرية وانشانا
بعدها اي احدثنا بعد هلاك اهلها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اي عذابنا
بحاسة البصر اذا هم منها يركضون اي يسرعون هاربين من قريتهم لما راوا مقدمة
العذاب لا تركضوا اي قيل لهم لا تهربوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي تنعمتم فيه من
العيش ومساكنكم لعلكم تسالون قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه
الاية في اهل حصور قرية باليمن وكان اهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم
الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط عليهم بخت نصر فقتلهم وسباهم فلما استكثر
قتلهم هربوا فقالت الملايكة لهم استهزاء لا تركضوا اي لا تهربوا وارجعوا
الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسالون شيا من دنياكم فتعطون من شيتم وما
وتمنعون من شيتم فانكم اهل ترف ونعمة واتبعهم بخت نصر فاخذتهم
السيوف وناى منادي من جو السما باثار الانبيا فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب
حين لم ينفعهم فقالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اي لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك
انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم
ينفعهم الندم فما زالت تلك دعواهم اي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا
حتى جعلناهم حصيدا خامدين اي بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين اي

مبينتين قوله عز وجل وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين معناه ما
ما سويناهما هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجايب
والمنافع التي لا تعد ولا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا قال ابن عباس اللهو المرأة
وعنه انه الولد لاتخذناه من لدنا اى من عندنا لو كان ذلك جايزا في صفتنا
لم نتخذ بحيث يظهر لكم ونستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النكتة
لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لا انكم
تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكون عنده لا عند غيره انا كنا فاعلين
اى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية بل ايرع
الذين قالوه فانه كذب وباطل نقذف اى نرمي ونسلط بالحق اي بالايمان على
الباطل اى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا
فدمغه اى فيهلكه فاذا هو زاهق اى باطل والمعنى انا نبطل كيدهم حتى يذ
ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر الكفار مما
تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وله ما في السموات والارض
عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن عنده يعني
الملايكة وانما خصهم الملايكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم
ومزيد الاعتناء بهم لا يستكبرون عن عبادته اى لا يأنفون ولا يتعظمون عنها
ولا يستحسرون اى لا يعيون ولا يتعبون ولا يتعظمون عن العبادة ثم
وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي لا يضعفون عنه
ولا يسامون وذلك ان تسبيحهم متصل دايم في جميع اوقاتهم لا بتخلله فتر
فترة بفراغ او شغل اخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني ادم
ام اتخذوا الهة من الارض يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من
المعادن وهو من الارض هم ينشرون اى يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية
الا من يقدر على الاحيا والايجاد من العدم والانعام بالبلغ وجوه النعم وهو الله
عز وجل لو كان فيهما اى في السما والارض الهة الا الله اى غير الله لفسدتا اي لخربتا
واهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن الاثنين فاكثر
لتجرعلى النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود
الهين لا نالو فرضنا الهين يقتضي ابي الهين المحال فوجب ان يكون القول بوجود

هب

الهين

الهين محالا انما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد
الاخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين
او لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد
الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا
او وجدا معا وذلك محال او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال
لوجهين احدهما انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون
احدهما اقدر من الاخر لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة
والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد احدهما دون الآخر
فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص
وهو على الله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات
فيفضي الى وقوع قادرين مقدورين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان
اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان واحد منهما مستقلا بالايجاد
بالفعل لكونه مع هذا واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى المحال وهذه حجة تا
تامة في مسيلة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور
بواحد منهما واذا كان ذلك وجب ان لا يقع البتة وحينيذ يلزم وقوع الفساد
قطعا او نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيو الواحد
فذلك الواحد مقدور لهما وحاصل لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال او اختلفا
فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الثاني والكل
محال فيثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا احطت
وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي
من الحدثان والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلايل
السمعية على الوحدانية فكثيرة في القران واعلم ان كل من طعن في دلالة
التمانع ففسر الاية بان المراد لو كان في السما والارض الهة يقول بالاهيتهما
عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم
فساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم انهم اتخذوا الهة من الارض
لم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به واما قوله
سبحان الله رب العرش عما يصفون ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه

به المشركون من الشرك والولد لا يسئل عما يفعل اى لا يسئل الله عما يفعله
ويقضيه في خلقه وهم يسئلون والناس يسئلون عن اعمالهم والمعنى انه
لا يسئل عما يحكم في عباده من اغوال واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء
لانه الرب المالك للاعناق والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة
لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس
فوقه احد يقول له لشيء فعلته لم فعلته قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه
الهة قلما ابطل الله تعالى ان يكون اليه سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الالهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة وهو استفهام
انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على ذلك ثم قال الله تعالى مستأنفا
هذا يعني القرآن ذكر من معي اي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم
القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر اي خبر
من قبلي اي من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة
وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل والمعنى اجمعوا
القرآن التوراة والانجيل وساير الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا
وكان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون فقوله عز وجل وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي فوحدون وقيل
توجهت الحجة عليهم فذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون اي عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله
الا هو قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد اي هم عباد يعني الملائكة
مكرمون اي اكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه اي لا يتقدمونه بالقول الى ان يتكلم
لا يتكلمون الا بما امرهم به وهم بامره يعملون والمعنى انهم لا يخالفونه قولا
ولا عملا لا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان
قبلهم خلفهم وما يكون بعدهم خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس
اي لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله عنه وهم من خشيته مشفقون
اي خايفون وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عني به ابليس
حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون الله

فذلك

فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواضعين الالهية والعبادة في غير
موضعها قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اي الم يعلم الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففتقناهما اي فصلنا
بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق
ريحا فبسطها بينهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها
فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت
ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الماء اي واجبنا من الماء الذي ينزل
من السماء كل شيء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة
كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة قال
قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كادم وعيسى والملائكة والجان
قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاقل في الاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض
مخلوق من الماء ويقاربه قوله تعالى افلا يومنون اي افلا يصدقون وجعلنا في الارض رواسي
رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد بكم قيل ان الارض بسطت
على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فارساها الله تعالى وابتنها بالجبال
وجعلنا فيها اي في الارض سبلا فجاجا اي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين
الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون اي الى مقاصدهم وجعلنا السما
سقفا محفوظا اي من ان يسقط ونقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب
وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون اي عما خلق الله فيها من الشمس
والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها والتركيب
العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون
يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك
يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء وانما قال يسبحون
ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة
والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير
ومنه افلاك وقيل الفلك طاحونة كرسية فلك المغزل يريد ان الذي
يجري فيه النجوم مستديرا كاستدارة الرحى وقيل الفلك موج مكفوف
دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيئة الا

الافلاك اجرام صلبة لا ثخيلة ولا خفيفة غير قابلة للخوف والالتام والعفو
والدنو ولحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا بالاخبار الصادق
فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية قوله عز
وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقاء في الدنيا افان مت
فهم الخالدون نزلت هذه الاية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فيشمتون
بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله قضى ان لا يخلد في الدنيا
بشرا لا انت ولا هم فان مت انت فيبقى هو لا وفي معناه قول القايل
٥٥٥٥ فقل للشامتين بنا افيقوا ٥٥٥٥ سيلقى الشامتون كما لقينا ٥٥٥٥
كل نفس ذايقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق هاهنا عبارة عن
مقدمات الموت والاية العظيمة قيل حلوله ونبلوكم اي نختبركم بالشر والخير
اي بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل ما يحبون وما يكرهون
فتنة اي ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون واينا ترجعون
اي للحساب والجزاء قوله عز وجل واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي
سخريا قيل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا ابني
عبد مناف هذا الذي يذكر الهتكم اي ينزل بعضهم لبعض هذا الذي يعيب
الهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون
وذلك انهم كانوا يقولون لا يعرف الرحمن الرحمن اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى
خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل
لما دخل الروح في راس ادم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى
الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق
الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في
خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في اخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه
قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح راسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب
الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنية لانهم خلقوا من
نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا اطوارا بعد اطوار وقيل معنى خلق لا
الانسان من عجل اي من طين ٥٥٥٥ قال الشاعر

والسع

٥٥٥٥ والنبع في الصخرة الصماء منبتة ٥٥٥٥ والنخل ينبت بين الماء والعجل ٥٥٥٥٥٥
اي بين الماء والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله سايريكم
اياتي فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت
في النضر بن الحارث في معنى سار يكم اياتي اي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب
قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة ولذلك قال تعالى
ويقولون يعني المشركين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذا هو الاستعجال المذ
موم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وعم
وغفلتهم ثم بين ما لهم ولا المستهزئين فقال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
اي لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم قيل السياط ولا هم ينصرون
اي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا الما قاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب
بالعذاب ولا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بل تاتيهم بغتة يعني الساعة
بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تحيرهم فلا يستطيعون ردها اي صرفها ودفعها
عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزئ برسل من
قبلك اي يا محمد كما استهزاوا بك قومك فحاق اي نزل واحاط بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزئون اي عقوبة استهزايهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم فكذلك يحقق بهؤلاء وبال استهزايهم قوله تعالى قل من يكلوكم اي يحفظكم
بالليل اي اذا اعتم والنهار اي اذا انصرفتم في معايشكم من الرحمن قال ابن
عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن بل هم عن ذكر ربهم اي عن القراٰن
ومواعظه معرضون اي لا يتاملون في شيء منها ام لهم الهة يمنعهم من دوننا
معناه ام لهم الهة من دوننا تمنعهم من وصف الهتهم بالضعف فقال
لا يستطيعون نصر انفسهم اي لا يقدرون على نصر انفسهم فكيف
ينصرون من عندهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل هم
يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير بل متعنا
هؤلاء يعني الكفار واباءهم اي في الدنيا بان انعمنا عليهم وامهلناهم حتى طال
عليهم العمر اي امتد بهم الزمان فاغتروا افلا يرون يعني هؤلاء المشركين انا
ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ينقص من اطراف المشركين ويزيد في
اطراف المومنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار

الشرك ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى افلا يرون هؤلا المشركين بالله المستعجلون
بالعذاب اثار قدرتنا في اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح
البلاد والقرى مما حول مكة ويدخلها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم وبيت رؤسا
المشركين المتعنتين بالدنيا اما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع واراد تنا فيهم ثم قال افهم الغالبون
استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل يا محمد انما انذركم
بالوحي اي احوفكم بالقران ولا يسمع الصم الدعا اذا ما ينذرون اي يخوفون
ولئن مسته اي اصابتهم نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف وقيل
شيء قليل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا
بالظلم والشرك قوله عز وجل ونضع الموازين القسط اي ذوات العدل ووصفها
بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين
تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها يوم القيامة اي لاهل يوم القيامة
قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته سيئاته
فاز ونجا وبالعكس والصحيح الذي عليه ائمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع
الموازين الحقيقة ويزن لها اعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان
وروي ان داود عليه السلام سال ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه كل كفة
ما بين المشرق والمغرب فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي من ذا الذي يملا
كفة حسنات قال يا داود اني اذا رضيت على عبدي ملاتها بقرة فعلي
هذا فقي كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض طريقان احدهما ان يوزن صحايف
الاعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة والثاني ان يجعل في كفة الحسنات
جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة فان قلت كيف
يتاتى بقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه في حق الكفار لانه
ليس لهم اعمال توزن مع الكفر وقوله فلا تظلم نفس شيئا اي لا تبخس مما لها
وما عليها من خير وشر وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها معناه انه لا ينقص
من احسان محسن ولا يزاد في ساة مسيء واراد بالحبة الجزء اليسير من الخردلة
ومعنا اتينا بها اي حضرنا لها يجازى بها عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من امتي

تصنع

على

على رؤس الخلايق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد
البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول
افلك عذر فقال لا يا رب فيقول الله تعالى بل ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم
عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فيقول احضروا زنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فقال فانك لا تظلم فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير
واصله من السجل لانه يجمع احكاما والبطاقة ورقة صغيرة وهي ما يجعل في طي الثوب
الاعمال توزن لان الاعمال تتجسد جواهر فتوزن والله اعلم وكفى بنا حاسبين
قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيا فقد علمه وحفظه
والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يتشبه عليه
شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء محقق بالعاقل ان يكون باشد الخوف منه
ويروي عن الشبلي انه روى في المنام فقيل له ما فعل بك فقال
حاسبونا فدققوا ثم صفوا فاغتفلوا فكذا كل مالك يا مالك برفقوا
قوله عز وجل ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل
وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعدا فعلى هذا يكون وضيا يعني التوراة ومن
قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زايدة في وضيا والمعنى اتينا موسى التوراة
ضيا وذكرى للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه الذين يخشون ربهم
بالغيب اي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس
وهم من الساعة مشفقون اي خايفون وهذا ذكر مبارك انزلناه اي كما اتينا موسى
الفرقان فكذلك انزلنا القرآن ذكر لما فيه مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير
فانتم يا اهل مكة له منكرون اي جاحدون قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده
اي صلاحه وهداه من قبل اي من قبل موسى وهارون وقيل من قبل البلوغ وهو حين
خرج من السرب وهو صغير وكنا به عالمين اي انه من اهل الهداية والنبوة اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل يعني الصور والاصنام التي انتم لها عاكفون اي مقيمون
على عبادتها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اي فاقتدينا بهم قال يعني ابراهيم عليه

عليه السلام لقد كنتم انتم وابا وكم في ضلال مبين اى في خطا بين بعبادتكم اياها
قالوا اجئتنا بالحق اى بالصدق ام انت من اللاعبين يعنون اجاد انت فيما تقوله
ام لاعب قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اى خلقهن وانا على
ذلكم من الشاهدين اى على انه الاله الذي يستحق العباده وقيل انه خالق السموات
والارض وتالله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن لها بعد ان تولوا مدبرين اى منطلقين
لما عندكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد
من قومه فافشيناه عليه وهو القابل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل
سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجد والها ثم
يرجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قالوا لابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا
اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق القي نفسه وقال اني سقيم
اشتكي رجلي فتركوه ومضوا ناديه في اخرهم وقد بقي ضعفا الناس تالله لاكيدن
اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الاله وهن في لهو عظيم ومستقبل
باب اللهو صنم عظيم الجثة اصغر منه والاصنام بعدها الى جنب بعض كل
صنم الذي يليه اصغر منه كذلك الى باب اللهو واذا هو قد جعلوا طعاما بين
الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركه الالهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابراهيم والى ما
بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزا الا تاكلون فلما لم يجبن قال
مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم بفاس في يده حتى اذا لم يبق
الا الصنم الاعظم علق الفاس في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم
جذاذا اى كسرا وقطعا الا كبيرا لهم اى تركه ولم يكسره ووضع الفاس في عنقه
وقيل ربطه على يده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها ذهبية وبعضها فضة
وبعضها من حديد ومن نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير
من الذهب مكلل بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان قوله لعلهم اليه
يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابراهيم الى دينه ويايدعوته اليه اذا
علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسالوه
ما لهم لا تكسرين وانت صحيح والفاس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم
الى بيت الهتهم رأوا اصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن
الظالمين اى في تكسيرها واجتراية عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم اى

ليسيرهم

يسبهم ويعيبهم يقال له ابراهيم اى هو الذي نظن انه صنع هذا في الهتنا ذلك
نمرود الجبار واشراف قومه قالوا فاتوا به على اعين الناس اي جيئوا به ظاهرا
بمرأى من الناس قال له نمرود لعلهم يشهدون اى عليه بانه الذي فعل ذلك
كرهوا ان يأخذوه مرة بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون فيحضرون عذابه وما
يصنع به فلما رجع اتوا به قالوا له انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله
ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل فعله كبيرهم هذا غضب اذ تعبد معه هذه
الصغار وهو اكبر منهم فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك
قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون اى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه
ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا
فعلت ذلك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله
كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختي لفظ الترمذي قيل في قوله اني سقيم اي بما
سا سقم وقيل سقيم القلب معتقد بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فانه
علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التنكيت
لقومه وقوله لسارة هذه اختي اى في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون
اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت فقد سماها
النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في
حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن لاهذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام عما اخذته بها قال البغوي ولهذه التاويلات
لنفي الكذب من ابراهيم والاولى الاول للحديث ويجوز ان يكون الله اذن له في ذلك
لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى اذن مناد ايه فقال
ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين وهذا القول مروي
عنه والدليل القاطع انه جائز ان يكذب لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليحمل هذا
الاجمال في كلها اخبر الانبيا عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع وتطرق التهمة
والحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله فرجعوا الى
انفسهم اى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال

انكم انتم الظالمون يعني لعبادتكم من لم يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا
الرجل في سوء كم اياه فهذه الهتكم حاضرة فاسألوها ثم نكسوا على رؤسهم
قال اهل التفسير جرى لهم على السنتهم في القول الاول وهو اقرار هم على انفسهم
بالظلم ثم ادركهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم
اى ردوا الى الكفر وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اى فكيف نسألهم فلما
انقطعت الحجة لابراهيم عليهم قال لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا اى ان عبدتموه ولا يضركم اى ان تركتم عبادته اف لكم اى قبحا لكم ولما
تعبدون من دون الله والمعنى انه حقركم وحقر معبودهم افلا تعقلون اى
اليس لكم عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما الزمهم
الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا الهتكم يعني انكم لا تنصرونها الا
بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن عليها ان كنتم فاعلين اى ناصرين لها فكان
ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل نمرود بن لوش بن سام بن نوح

ذكر القصة في ذلك

فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة
بقرية يقال لها الوثا فجمعوا له احلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر
حتى ان كان الرجل يمرض فيقول ان عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المر
المرأة تنذر في بعض ما يعظم تطلب لعل ولدها تلحق في نار ابراهيم
وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في بهتها وكان الرجل يوصي
بشر الحطب والقايه فيه فلما اجمعوا ما اراد واشعلوا في كل ناحية من الحطب
نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى اذا كان يمر بها الطير فتحرق من شدة وهجها
وحرها افاقوا قد طبقوا عليها سبعة ايام فلما اراد وان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف
يلقونه فقيل ان ابليس جاءهم وعمل المنجنيق فعملوه تم عمدوا الى ابراهيم
فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت
السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة
واحدة اي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في ارضك احد يعبدك غيره
فاذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل ان خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس

ليس له اله غيري فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك
وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينه وبيني فلما اراد وا القاءه في النار
اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الرياح وقال ان شئت
طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروى
عن ابي بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك
لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله
جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال
ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ابراهيم عليه السلام حين القي في النار
وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في
النار قال عن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ
زاد البخاري وقال كان ينفخ على ابراهيم قال الله عز وجل قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفي الاثار انه لم
يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم
ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملائكة بتضييق ابراهيم
فاقعدوه على الارض فاذا عيني ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب الاحبار
ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة
ايام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت ايام قط انعم من الايام التي في
النار قيل بعث الله عز وجل ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم
يونسه قالوا بعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة منها
فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل
ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي توسط حرودها واشرف على
ابراهيم من صرح له فراه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار
تحرق الحطب فنادى يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك
وبين ما ارى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى
ان قمت ان تضرك قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج

منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الذي رايته معك مثلك في صورتك
قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الى ربي ليونسني فيها فقال
نمرود اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فبما تتقرب
حتى ابيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له اربعة الاف بقر قال ابراهيم
اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال
لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم
عليه السلام ومنعه الله عز وجل قوله عز وجل وارادوا به كيدا اي ارادوا
ان يكيدوه فجعلناهم الاخسرين قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة
ولم يحصل مرادهم قوله تعالى ونجيناه ولوطا يعني من نمرود وقومه الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين يعني الى ارض الشام باركه الله فيها بالخصب وكثرة
الاشجار والثمار والانهار قال ابي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة
لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل
ان اكثر الانبياء منها عن ابي قتادة رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الا تحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب
اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كثرة
من عباده وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزموا مهاجر ابراهيم
اخرجه ابو داود واراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها
عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى
لاهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها
عليها اخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله
اين تامرني ها هنا ويشير بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال محمد بن اسحاق اسكن
لابراهيم رجال من قومه حين سلموا مما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما
على خوف من نمرود وملا به وامنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم
وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران وهو اخو ابراهيم وكان لهما
اخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم اولاد تارخ وهو ازر فخرج ابراهيم من كوثى من
ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه

والامان

والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا
حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط
بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها
وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين قوله تعالى ووهبنا لاسحاق ويعقوب نافلة اي عطية من عطا الله
وقال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحاق بدعايه
حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد وكلا
جعلنا صالحين يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب وجعلناهم ائمة اي يهدي بهم
في الخير يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى ديننا بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات
اي العمل بالشرايع واقام الصلاة يعني المحافظة عليها وايتاء الزكاة فيه ان الصلاة
افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية
وفي جمعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين اي موحدين
قوله عز وجل ولوطا اتيناه حكما اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد بالحكمة
النبوة وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني قرية سدوم واراد
اهلها واراد بالخبائث اتيان الذكور في ادبارها وكانوا يتطارحون في مجالسهم
اشياء اختاروا بها يعملون من المنكرات انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا
قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل انه الثواب انه من الصالحين يعني الانبياء قوله تعالى
ونوحا اذ نادى من قبل اي من قبل ابراهيم ولوط فاستجبنا له اي فاجبنا دعاءه
فنجيناه واهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل
انه كان اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم ونصرناه اي منعناه
من القوم الذين كذبوا بايات ربنا ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين قوله عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث قال
ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو
اشبه بالوقت اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته وكان لا يراعى
حكمهم شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ورايي لا يخفى علينا علمه وفيه دليل
لمن يقول بان اقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم شاهدين والمراد به داود وسليمان
قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حبوب والاخر

صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه
فافسدته فلم يبق منه شيا فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان
فقال كيف قضا بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير
هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال
كيف تقضي ويروي انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق
بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها وما
ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته
يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت
وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك احد عشر سنة وحكم الاسلام
في هذه المسيلة ان ما فسدت الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان
على ربها وما افسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان اصحاب الزرع
يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه
المساله ما روي حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت
حايط الرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية
وان على اهل الماشيه ما اصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابو داود مرسلا وذهب
اهل الراي الى ان الهالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما تلفت ليلا
كان او نهارا قوله تعالى ففهمناها سليمان اي اعلمناه والهمناه حكم القضيه
وكلا بعيود داود وسليمان اتيناه داود وسليمان حكما وعلما اي بوجوه الايمان
وطرف الاحكام قال الحسن لولا هذه الاية لرايت الحكام قد هلكوا ويحي الله
حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلما في ان حكم داود
كان باجتهاد او بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد ويجوز
الاجتهاد للانبيا ليدركوا ثواب المجتهدين والعلما هم الاجتهاد في الحوادث
اذا لم يجدوا فيها نص كتاب وسنة واذا اخطوا فلا اثم عليهم روي عن عبد الله
بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر
وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود

ومن

ومن قال بهذا يقول لا يجوز للانبيا الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه
بالوحي واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بهذه الاية وبالحديث
حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطا وهو قول اصحاب الراي وذهب جماعة
الى انه ليس كل مجتهد مصيب بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان
الحق مع كل واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله
عليه الصلاة والسلام اذا اجتهد فاخطا فله اجر لو يريد به انه يوجر على الخطا
بل يوجر على اجتهاده في طلب الحق لا اجتهاده عباده والاثم في الخطا عنه
موضوع اذ الوسيلة اجره ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قدر الضرر
في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك الضرر قيمة
المثل فلذا جرم بسلم الغنم الى المجني عليه واما سليمان فان اجتهاده ادى الى
انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوايد بالزوايد فاما مقابلته بالزوايد
فغير جايز ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت مواتية لمنافع الحرث
فحكم به ومن احكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن ابي هريرة انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت امراتان معهما ابناهما جاء الذيب
فذهب بابن احدهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما
ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود
فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل
يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير اي يسبحن مع داود اذا سبح وكذلك
الطير قال ابن عباس يقول تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه
بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان
داود اذا فتر يسمعه تسبيح الجبال والطير يسقط في التسبيح وينشاق
اليه وكنا فاعلين يعني ما ذكر من التفهيم والتاتي الحكم والتسخير وعلمناه
صنعة لبوس لكم اي صنعة الدروع التي تلبس ولبس في الحروب قبل اول من
صنع الدروع وسددها واتخذ حلقها داود وكانت من صفايح قالوا الان
الله الان الحديد لداود بان يعمله بغير نار كانه طين والدرع جمع بينه
الخفة والحصانة وهو قوله اي لمنعكم من باسكم اي حربكم

عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي بقوله
ذلك لداود واهل بيته قوله عز وجل ولسليمان الريح اى وسخرنا لسليمان الريح
وهو جسم متحرك لطيف يمنع بلطفه من القبض عليه بظهر الحس بحركته ويخفى
عن البصر بلطفه عاصفة اى شديدة الهبوب وان قالت قد وصفها الله
بالرخاء وهى الريح اللينة قلت كان الريح تحت امره ان اراد ان اشتدت
اشتدت وان اراد ان يلين لانت تجري بامره الى الارض التى باركنا فيها
يعنى الشام وذلك لانها كانت تجري لسليمان واصحابه حيث يشاء سليمان ثم
يعود الى منزله بالشام وكنا بكل شيء عالمين اى بجملة التدبير فيه وعلمنا انما
يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان
كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه علقت عليه الريح الطير وقام له
الانس والانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امره غزوا فما كان يقعد عن
الغزو ولا يسمع فى ناحيت من الارض بملك الا اتاه حتى يذله وكان فيما اتر عنه
اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل
عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح
فدخلت تحت ذلك الخشب فاحملته حتى اذا استقلت به امر الرخا فمرت به
شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث اراد وكان بهم بعسكره الريح الرخا
وبالمزجاة فما يكترثها ولا يبشرها ولا يوحى طيرا قال وهب ذكر لى ان منزل اس
بناحية رحله مكتوب فيه كتبه بعض محابة سليمان اما من الانس او من الجن
نحن نزلناه وما بنيناه ومبليا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راحلون
منه ان شاء الله فيا تون بالشام وقال مقاتل تسبحت الشياطين لسليمان بسط
فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له من الذهب وسط البساط
يقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على
كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شيء وترفع ريح الصبا البساط
مسيرة من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى
فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانه خيرا منها وهى
الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها

فيكون

فيكون رواحنا كقائل وروى ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة
بلخ ما خلا بلاد الترك ثم جاور بها الى ارض الطين بغدوا على مسير شهر
ويروح على مثل ذلك ثم عطف عنبة عن مطلع الشمس على ساحل البحر
حتى اتى ارض الصدهار وجرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض
فارس فنزلها اياما وغزا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره مدينة
مهرو وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فيحوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفى ذلك تقول النابغة
الا يا سليمان اذ قال المليك له ... قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الحرابى قد اذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد
قوله عز وجل ومن الشياطين اى وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له
اى يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون
ذلك اى دون الغوص وهو اختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل للابنية ويجاوزن فى ذلك الى اعمال المدن والقصور ومن
الصناعات كاتخاذ التورة والقوارير والصابون وغير ذلك وكنا لهم حافظين
اى حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظنا هم من ان تفسد ما عملوا وذلك انهم كانوا
اذا عملوا عملا فى النهار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان
اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل
اشغله بعمل اخر ليلا يفسد ما عمل ويخزيه قوله عز وجل وايوب اذ نادى ربه
اى دعاه ربه عز وجل ذكر قصة ايوب عليه الصلاة والسلام
قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن امرص بن رازح
بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وكان امه من ولد لوط بن هلران
وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من
ارض البلقاء من اعمال حوران من ارض الشام كلها منهلها وجبلها وكان له فيها
من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل
منه فى العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد
امراة وولد ومال يحمل الة كل فدان اثنان لكل اثنان من الولد اثنتين او ثلاثة او اربعة
او خمسة وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونسا

الرخا

الى

ف

ط

وكان برا تقيا رحيما بالمساكين وكان شاكرا لانعم الله مواسيا لخلق الله فلما منع من عدو
الله ابليس ان يصيب منه ما يعيب من اهل الغنا من الغرض والغفلة والتشاغل
عن امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وصدقوه رجل
من اهل اليمن يقال له التنوخ وقيل تغلبي ورجلان من اهل بلدة يقال لاحدهما بلدد
والاخر صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان
يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع الله عيسى حجب عن اربع فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع تجاوب الملا
بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغي
فصعد سريعا حتى وقف من السما حيث كان يقف وقال الهي نظرت في امر عبدك
ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته ينزع
ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ويخرج من طاعتك قال الله
تعالى قد سلطتك على ماله فانفقيني عدو الله ابليس حتى وقع على الارض جمع
عفاريت الجن ومردة الشياطين فاعطيت من القوة وقال لهم ماذا عندكم من القوة
فقد سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها
الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ماذا شئت تحولت اعصارا
من نار فاحرق كل شيء ات عليه قال ابليس اذهب فاتت للابل ورعاتها فاتى الابل
حيث ومنعت رؤوسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار
من نار فاحرق الابل ورعاها حتى اتى على آخرها ثم رجع وعاد الله ابليس في قبة عليها
على قعود الى باب فوجده قائما يصلي فقال يا ابوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك
واحرقها ومن فيها غيري فقال ايوب الحمد لله هو اعطاني ايها وهو اخذها وانها مال
الله اعارنيها وهو اولى بها اذا شاء فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم
من يقول ما كان ايوب يعقل شيئا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الها ايوب
يقدر على ان يمنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل لتشتد
به عدوه ويفرح صديقه قال ايوب الحمد لله الذي اعطاني وجيوني نزع مني عريانا اخرجت
من بطن امي وعريانا اعود الى التراب احثر الي الله عز وجل ليس ينبغي لك ان تفرح حين
اعارك وتخرج حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك خيرا
العبد خير التصل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك

شرا

شرا فاخرك فرجع ابليس الى محابه خايبا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فاني لم اكلم
قلبه قال عفريت عندي من القوة ما اذا شيت اذا مسحت حيلة لا يبسحه ذو روح
الا خرجت روحه قال ابليس فات فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم ضرب
حيلة فحثت اموالا من عند آخرها ومات رعاتها فاتى ابليس متمثلا بعمران الرعاة الى
ايوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع
ابليس الى محابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت
عندي من القوة ما اذا شيت تحولت ريحا عاصفا يكشف كل شيء يأتي عليه قال فاني
الفداد بني والحرث فانطلق يوم هم وذلك حين يشرع الفدادين في الحرث
والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فتشققت كل شيء من ذلك حتى انه ليرى
فرجا ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله
الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله ما اتى مرة على اخرى
كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضا
ووطن نفسه بالصبر والبلا حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد افنى ماله
ولم يخلص منه بشيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي
ان ايوب يرى انك ما منعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطني على
ولده فانها المصيبة التي لا يقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد
سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى كبى الله ايوب وهو في قصره فلم يزل
يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا برؤسهم
بالخشب والحجارة فلما مثل لهم كل مثلة رفع القصر وقليه وصاروا منكسين
وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو وجيع مشدوخ الوجه
يسيل دمه فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا وقتلوا وكانوا منكسين
على رؤسهم يسيل دماؤهم وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتنا
امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى
وقبض قبضة من تراب فوضعها على راسه وقال بالبيت امي لم تلدني فلما
فاغتر ابليس لذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به
ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصر واستغفر فصعد فرقاه من الملايكة بتوبته
فسبقت توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسا ذليلا وقال الهي انما

ثرت

هون علي ايوب المال والولد انه يري انك ما منعته بنفسه فانت تعيد له
المال والولد فهل انت مسلطي علي جسده فقال الله عز وجل انطلق قد سلطتك
علي جسده ولكن ليس لك سلطان علي لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم
به لو يسلطه عليه الا رحمة له يعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين
وذكري للعابدين في كل بلا نزل به ليتاسوا به في الصبر ورجا الثواب فانقض
عدو الله بريقا اليه فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل
وجهه فنفخ منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الي قدمه كاليل مثل
الباب الضخم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتي سقطت كلها ثم حكها باناء
بالمسوح الخشنة حتي قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك
حتي قرح لحمه وبعل وتقطع ونعر وانتن واخرجه اهل القرية فجعلوه علي
كناسة لهم وجعلوا له عرشه ورفضه خلق الله كله غير امراته رحمة بنت
افراثيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما
راي البلايا من اصحابه بعروتلذ وصافرما ابتلاه الله بطاعتموه ورفضوه من
غير ان يتركوا دينه فلما طال به انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله
من الذنب الذي عوقبت به قال وحضرهم فتي حدث السن فدام به وه
وصدقه فقال لهم الفتي انكم تكلمتم ايها الكهول واتراحق بالكلام مني لاسنكم
ولكن تركتم من العقول ما هو احسن من الذي قلتم ومن الراي اصوب من الذي
رايتم ومن الامر اجمل من الذي اتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام
افضل من الذي وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمته من
انتهكتم ومن الذي عبتم وانتهرتم الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته الرجل
وخيرته من اهل الارض يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله علي انه
سخط شيئا من امره منذ اتاه الله ما اتاه الي يومكم هذا ولا علي انه نزع منه
شيا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال علي الله غير الحق في
طول ما عجبتموه الي يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازري به عندكم
ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالي سيبتلي المومنين والصديقين
والشهداء والصالحين وليس بلاوه لاوليك دليل علي سخطه عليهم ولا
لهداية لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس منه بل لله

بهذه

بهذه المنزله الا انه اخ احببتموه علي وجه الصحة لكان لايجمل بالحليم ان
يعدل اخاه عند البلاء ولا بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب
حزين ولكنه يرحمه لحزنه ويدله علي ما رشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من
جهل هذا والله والله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت
ما يقطع الستكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكنتهم الخشية
من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحا البلغا النبلا الالبا العالمون بالله ولكنهم
اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت
قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا اشتاقوا من خلك
استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطيين
وانهم الامراء برا وصح المقصرين المفرطين وانهم لاقياس اقوي قال ايوب عليه
السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا انبتت
في القلب يظهرها الله علي اللسان واسست يكون الحكمة من قبل السن
والتشبيه ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبي لم تسقط
منزلته عند الحكما وهم يرون من الله سبحانه وتعالي عليه نور الكرامة
ثم اقبل ايوب علي الثلاثة وقال اتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وتبتم
قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت تعسفتموني بما لم اكن لعل الله ان يخلصني
او قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله ويرضي عني وانكم قد اعجبتم انفسكم
وطبتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبيني انكم ثم تصدقتم
لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله بالعافية الذي البسكم وقد كنتم فيما خلا
تو قرونني وانا مسوخ كلا بي معروف خفي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم
وليس لي راي ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب
واقبل علي ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يا رب لا شيء خلقتني ليتني
اذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذ نبت والعمل الذي
عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقتني باباي
فالموت كان اجمل بي الداكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللبتيم وليا
وللارملة قيما الهي انا عبدك ان احسنت فالمن لك وان اسات فما
ضيعبدك عفوبتني جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع علي

من البلاء ما لو سلط خفة على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان
قضاوك هو الذي اسقمني والنخل جسمي ولو ان نزعي نزع الريبة التي في صدري
واطلق لساني حتى اتكلم علي من فادني بعذري واتكلم ببراءتي واخاصم عن نفسي
لرجوت ان يعافيني عند ذلك ممابي ولكنه القاني وتخلى عني فهو يراني ولا امرأة
ويسمعني ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن
اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله يقول لها انا قد نوت منك ولاجلك
انزل بك قربنا فرفاذن بقدرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك وكاثد
الملائك وقم مقام جبار تخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان تخاصمني
الا جبار مثلي لقد مننتك نفسك يا ايوب امرا لم اعطه بشرا من قومك اني
انا مني يوم خلقت السموات الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي
تمد حبلي باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها ام علي شق وضعت اكنافها
ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كان الارض لما اغطا ان كنت مني
يوم رفعت السماء استفغا في الريها لا انغلق لسيب من فوقها ولا يقلبها دم
من تحتها هل تبلغ من حكمتك ان يجري نورها او تسير نجومها او يختلف بامرك
ليلها ونهارها ان كنت مني يوم انبعث الانهار وسكرت البحار بسلطا
حبس امواج البحار على حدودها امر بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت
مدتها ان كنت يوم حبست الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل
تدري على اي شيء ارسيتها امر اي مثقال وزنتها امر هل لك من ذراع تطيق
حملها امر هل تدري من اين الماء الذي انزلت من السماء امر هل تدري من اي شيء
انشات السحاب امر هل تدري اين خزانت الثلج امر اين جبال البرد امر اين خزانت
الليل بالنهار وخزانت النهار بالليل واين خزانت الريح باي لغت تتكلم الانجاد
ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلت
الملائكة لملكه وقهر الجبارين لجبروته وفسر الارزاق بحكمته في كتير بدل على
اثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شاني وكل لساني وعقلي وضعف
وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض علي الهي قد علمت ان كل الذي
ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شيئت عملت
ولا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية الهي اوثقني البلايا فتكلمت ولم

املك فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم
اتكلم بشيء يسخطك ربي وليتني مت بغيي في اشد بلايي قبل ذلك اغا تكلمت
بعذري وعكث حيي سكت لترحمني كلمة نزلت مني فلن اعود وقد هم
وضعت يدي علي فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي
اعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جرمه البلا فاجرني واستعنت
من عقابك فاعني واستعينك على امرك فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم
بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشيء تكرهه مني قال الله
تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت
عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم معهم ليكون لمن خلفك اية
ويكون عبرة لاهل البلاء عز الصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن اصحابك قربانا فاستغفر لهم فانهم قد
عصوني فيك روي عن انس يرفعه ان ايوب لبث ببلائه ثمانية عشر
سنة وقال وهب ثلاثة سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين
وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرايل سبع سنين واشهر
يختلف فيه الدواب لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تصدق وتاكه
بطعام ويحمد الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده
من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا لما احزنك قال اعياني هذا العبد
الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزده الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته
قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه
فقالوا ابن مكرك الذي اهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب
فاشيروا علي قالوا من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة قال من قبل
امرأته قالوا فشأنك بايوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها
وليس بقربه احد غيرها قال احسنتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امرأة
ايوب وهي تصدق فتمثل بها في صورة رجل وقال لها ابن بعلك يا امة
الله قالت هو ذاك يحك قرحه ويرد الدبدان في جسده فلما سمعها
طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعمة
والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك

لا تنقطع عنه ابدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال
ليذبح لي هذا ايوب فيبرا فجات تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك ابن
المال ابن الولد ابن الصديق ابن لونك الحسن ابن جسمك الحسن ه
اذبح هذه السلخة قال ايوب اتاك عدو الله فتمثل فيك ويلك ارايت
ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال بكم ه
متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمر كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين
واشهر قال ويلك ما انصفت لتصبيري في البلا ثمانين سنة كما كنا في
الرخا ثمانين سنه والله لين شفاني لاجلدنك مايه جلده امرتيني
ان اذبح لغير الله صعامك وشرابك الذي اتيتيني به علي حرام ان اذوق
شيا مما يا تيني بعد اذ قلت لي هذا اعرني دعيني فلا اراك فطردها و
ذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر
ساجدا لله وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع
راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين
فاغتسل منها فلم يبق عليه من دبره ودايه شيئ مظاهرا لاسقط وعاد
شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها
فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسوحلة قال فجعل يلتفت فلا
يري شيا مما كان له من اهل ومال وقد اضعفه الله حتى والله ذكر لنا
ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراد من ذهب فجعل يجمعه
بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اعنك قال بلى ولكنها بركتك فمن
يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت
ارايتك ان كان طرد بي الي من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع
لارجعن اليه فرجعت اليه فلما الكناسة نزان ولا تلك الحالة التي كانت
تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة
وتبكي وذلك تعني ايوب وهابت صاحب الحله ان تاتيه فتسال عن
ايوب فدعاها وقال ما ترتبي يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المسكين
المبتلي الذي كان منيوذا علي الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل فقال ه
ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال هل تعرفينه اذا رايتيه

قالت

قالت وهل يخفى علي احد راه ثم جعلت تنظر وهي تراه فقالت اما انه
اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال واني انا ايوب الذي امرتيني ان اذبح
لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد الله علي
ما تري قال وهب لبث ايوب في البلا ثلاث سنين فلما غلب ايس الشيطان
ابليس ولم يستطع منه شيا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني
ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم
وبها فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلي قالت نعم قال هل تعرفين
قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت ه
لانه عبد الله السما وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة ه
رددت عليك وعليه كما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم اراها
اياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال
لها اسجدي لي سجدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت
الي ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها فقال لقد اتاك عدو الله ليفتنك
عن دينك ثم اقسم ان الله عافاه ليضربنها مايه جلده وقال عند
ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعايه اياها واياي
الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم امراة ايوب بصبر ها معه على البلا وخفف
عليها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان ياخذ ضغثا ليشتمل على مايه
عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصه
الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله
بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشيا احدها ما قيل في حقه ولو كان
لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم
تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها فاتته بطعام والثالث قول ابليس
اني اداويه على ان يقول انت شفيتيني وقيل مسني الضر اي من شماتة
الاعدا فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوة والجزع
بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت
ليس هذا شكاية وانما هو دعا به دليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى
انما تكون الى المخلوق لا الى الخالق به دليل قول يعقوب انما اشكو بثي

وحزني الي الله وقال سفيان بن عيينه من اظهر الشكوي الي الناس وهو
راض بقضا الله لايكون جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل
علي النبي صلي الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني
مغموما واجدني مكروبا وقال لعابشه حبني قالت واراساه قال بل
انا واراساه وقوله تعالي فاستجبنا له اي اجبنا دعاه فكشفنا ما به
من ضر وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين
ما فامره ان يغتسل منها فغعل فذهب كل داكان بظاهره ثم مشي
اربعين خطوه فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخري ففعل فنبع
عين ما بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داكان بباطنه
فصار بكامل ما كان واتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود
وابن عباس واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم
الله واعطاهم مثلهم وهو ظاهر القران وعن ابن عباس رواية اخري ان
الله رد الي المراة شبابها فولدت له سته وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع
بنين وسبع بنات وعن انس برفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر
للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما علي اندر القمح الذهب
وافرغت الاخري علي اندر الشعير الورق حتي فاضتا وروي ان الله
بعث اليه ملكا وقال ان ربك يقريك السلام ويصبرك فاخرج الي اندرك
اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فجزجت واحدة
فاتبعها ورددها الي اندره فقال له الملك مايكفيك ما في اندرك فقال
هذه بركت من بركاتك ربي ولا اشبع من بركاته خ عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بينما ايوب ينغتسل
عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحتثي في ثوبه فناداه ربه
يا ايوب الم اكن اغنيتك عما تري قال بلي يارب ولكني لا غني عن بركتك
وقيل ابتي الله ايوب مثل اهله الذين هلكوا قال عكرمة قتل لايوب ان
اهلك في الاخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا
لك في الاخرة واتيناك في الدنيا فقال بل يكونون علي في الاخرة وابني
لهم مثلهم في الدنيا فعلي هذا يكون معني الاية واتيناه اهله في الاخرة

ومثلهم

ومثلهم معهم في الدنيا واراد بالاهل الاولاد رحمة من عندنا اي نعمة
وذكري للعابدين اي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل واسماعيل هو ابن
ابراهيم صلي الله عليه وسلم وادريس هو اخنوخ وذا الكفل كل من الصابرين
اي علي ما ذكر الله امر ايوب وصبره علي البلا اتبعه بذكرهم ولا نبيا لانهم
صبروا علي المحن والشدايد والعبادة ايضا اما اسماعيل صلي الله عليه وسلم
صبر علي الانقياد الي الذبح واما ادريس فقد تقدم قصته واما ذا الكفل
فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من انبيا بني اسرايل كان ملكا اوحي الله اليه اني
قبض روحك فاعرض ملكك علي بني اسرايل فمن يكفل انه يصلي بالليل
ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك
اليه ففعل ذلك فقام شاب ففال انا اتكفل لك هذا فتكفل ووفي فشكر
الله له ونباه فتسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال اي استخلف رجلا
يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل مني
ثلاثا استخلفه بصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل يزدري به
العين فقال انا افرده ذلك اليوم وقال مثلها في الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف
حتي اخذه مضجعه للقايله وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومه فدق
فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب
فقال ان بيني وبين قومي خصومه وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول
عليه حتي ذهبت القايله فقال اذا رجعت فاتني حتي اخذ حقك فانطلق
ورجع فكان في مجلسه ينظر هل يري الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده
فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الي القايله
واخذ مضجعه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له الم
اقل اذا قعدت فاتني فقال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست فاتني ووفا
وفاته القايله فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما
كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتي
انام فانه قد شق علي النعاس فلما كان تلك الساعه نام فجا فلم ياذن

فقام

له الرجل فلما اعياه نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في
البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الرامرك قال
اما من قبلي فلم يوت فانظر من اين اتا فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما
اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم بباب ك فنظر اليه
فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتني وفعلت ما فعلت لاغضبك
فغضبك فسمي ذو الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته
فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو ذكريا وقيل انه كان عبدا صالحا
ولم يكن نبيا وادخلناهم في رحمتنا يعني ما انعم عليهم من النبوة
وصيرهم اليه في الجنة من الثواب انهم من الصالحين قوله عز وجل
وذا النون اي واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه اياه
وهو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قال ابن عباس في رواية عنه
كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم فسبي منهم تسعة
اسباط ونصف وبقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيا النبي
ان سر الى حزقيل الملك وقل له يتوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اوليائك
حتى يرسلوا معه بني اسرايل فقال فمن ترى وكان في مملكته خمسة انبيا
قال يونس انه قوي امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس
هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهما اغيري انبيا
اقويا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه واتى بحر الروم فركبه
وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه فكشف عنهم العذاب بعد ما اوعد
وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم
ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم فكان غضبه انفة من ظهور
خلف وعده ولينه يسمى كذابا لا كراهية الله وفي بعض الاخبار انه كان من
عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه ما لم يات
العذاب للميعاد فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل يونس فقال انطلق
الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب
وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في
خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل

فقذفها

فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم فما
فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله فظن ان لن نقدر عليه
اي لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه وظن
ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه اوظن انه يعجز ربه فلا يقدر
عليه لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن
نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فابى الله ان يدعه الشيطان فقذفه
في بطن الحوت فمكث فيه اربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة ايام
وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتنفس
الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت فنادى في الظلمات اي ظلمة
الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين اي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم
اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروي ابو هريرة
مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا
تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به
الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه
هذا تسبيح دواب الارض قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة
تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا
مجهولا فمن مكان مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في
بطن الحوت فقالوا العبد الذي كان يصعد الينا منه في كل يوم وليلة
عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل
فذلك قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من تلك الظلمات
وكذلك ننجي المؤمنين اي من الكروب اذا دعونا واستغاثونا فان
قلت قد تمسك بهذه الواقعة من اجاز وقوع
الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن ان لن
نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت اما الجواب
الكلي فقد اختلف في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا فقال

ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه من بطن الحوت بدليل قوله
تعالى في الصفات بعد ذكر خروجه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
فثبت بهذا ان هذه الواقعة قبل النبوة وهو الصحيح واما الجواب التفصيلي
بقوله اذ ذهب مغاضبا فمحمله اى لقومه او الملك او لربي بحال الانبياء واما
قوله فظن ان لن نقدر عليه فقدم معناه اني لن نضيق عليه فيما اختاره
وقيل هو من القدر لا من القدرة واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم
في الظلم وضع الشيء في غير محله موضعه وهذا اعتراف عن بعض ذنبه
اما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله
او لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذه الاشياء نزل الافضل مع القدرة
على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة
بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله
اعلم قوله عز وجل وذكريا اذ نادى ربه اى دعا ربه فقال رب لا تذرني
فردا اى وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا وانت خير الوارثين
وهو ثناء على الله بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على
سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الوارثين فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى اى ولدا واصلحنا له زوجه اي جعلناها ولودا
بعد ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله له بان رزقها حسن الخلق انهم كانوا يسارعون في الخيرات يعني الانبياء
المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة
في الخيرات من اكبر ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص عظيم في طاعة
الله عز وجل ويدعوننا رغبا ورهبا يعني انهم ضموا الى فعل الطاعات
امرين احدهما التقرب الى الله لما كانت الرغبة في ثوابه والرهبة من
عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى وكانوا لنا خاشعين وهو الخوف
اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط للذ
الامور خوفا من الوقوع في الاثم قوله تعالى والتي احصنت فرجها اى احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ليوسف

بشر

بشر ولم اك بغيا وهي مريم بنت عمران فنفخنا فيها من روحنا
اى امرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فحملت بابنها الذي نفخ المسيح في بطنها
واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله وجعلناها واباها
وابنها اية اى تذكيرا دالة للعالمين كمال قدرتنا على خلق ولد من غير
اب فان قلت هما اثنان فكيف قال اية قلت معنى الكلام وجعلنا
شانهما وامرهما اية واحدة وولادتهما اياه من غير اب اية قوله تعالى ان
هذه امتكم اى ملتكم ودينكم امة واحدة اى دينا واحدا وهو الاسلام
فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة والجماعة التي هي على مقصد
واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد واحد وانا
ربكم فاعبدون اى لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدون
وتقطعوا امرهم بينهم اى اختلفوا في الدين فصاروا فرقا واحزابا يلعن
بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من بعض وكل الينا راجعون
فنجزيهم باعمالهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه اي لا يبخس ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه وانا له
كاتبون اى نعلمه وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازات ومعنى
الكفران ترك المجازات قوله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها انهم
لا يرجعون قال ابن عباس وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم
ان يقبل اعمالهم لانهم لا ينتبهون قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
وماجوج يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه اخرا عن ياجوج وماجوج
وماجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة اعشار بني ادم وهم
من كل حدب ينسلون اى يسرعون النزول من الاكام والتلال وفي
هذه الكناية وجهان احدهما ان المراد بهم ياجوج وماجوج وهو
الاصح بدليل ما روى عن النواس بن سمعان قال ذكرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا
انه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم
قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت
حتى ظننا انه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج

معناه

كهم

اذا

وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه
والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينيه طافية كاني
اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح
سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا
وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في
الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر
ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة يكفينا
فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسرعه
في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على قوم فيدعوهم
فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت
فيروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا
وامده جواصل ثم يأتي على قوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف
عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخرب
فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو
رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية
الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك
اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام فينزل عند المنارة
البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة
ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا
يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه تنتهي حيث ينتهي
طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه
السلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم
بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى بن مريم
اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد ان بقاتلهم فحرز عبادي الى الطور
ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم
على بحيرة طبريه فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه
مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى واصحابه

حتى

غب
حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب
نبي الله واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى
كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه فلا يجدون
في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى
واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم
حيث ما شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر
فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي
بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها
ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس
واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ
من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت
آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون
فيها كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم شرح
غريب الفاظه قوله حتى ظننا في طائفة النخل اي ناحيت
النخل وجانبه والطائفة كالقطعة من الشيء قوله فخفض فيه
ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره وقيل انه
خفض من امره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره
انه شاب قطط اي جعد الشعر قوله طافيه اي خارجة عن حدها
قوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين فالتخلل هو
الدخول في الشيء قوله فعاث اي فسد قوله فاقدروا له قدره اي قدروا
يوما من ايامكم المعهوده وصلوا فيه كل يوم بقدر ساعة قوله فتروح
فتروح عليه سارحتهم اي مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين اي
مجدبين قد اجدبت ارضهم وعدمت اسعارهم وقوله كعاسيب
النحل اي يعسوب وهو فحل النحل وراسها قوله فيقطعه جزلتين
رمية الغرض اي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب
قوله يبني مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين
وقيل خلتين وقيل الهردد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران

يعني ح

فيمر
ويمر

بة

قوله لايدان لاحد بقتالهم اى لاقدرة ولاقوة لاحد بقتالهم والنغف
دود يكون في انوف الابل والغنم فرهو جمع فرس وهو الفتيل قوله
دهم هم اى سودهم المتنته قوله كالزلفة اى كالمراة وجمعها نزلف
ويروى باكفاف واراد به استوائها ونظافتها قوله ياكل العصابة
اى الجماعة قوله يتلمون الكفين وقحف الرماه في الحديث قشرها
والرسل بكسر الراء اكثر اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والقيام
الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اى يختلفون
والتهارج الاختلاف واصله القتل الوجه الثاني في تفسير
قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون جميع الخلايق يعني انهم يخرجون
من قبورهم الى موقف الحساب م عن حذيفة بن اسيد الغفاري
قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون
قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر
الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى
بن مريم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسوف بالمغرب وخسوف
بالمشرق وخسوف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس
الى محشرهم قوله تعالى واقترب الوعد الحق اى القيامة قال حذيفة لو
ان رجلا اقتنى فلوا معد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة
الفلو المهر فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا قيل معنى الاية ان
القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال هو
ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن بل كنا ظالمين
اى وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل انكم الخطاب للمشركين
وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم اى حطبها
ووقودها يلقون بهم في النار كما ترمي الحصا وامثل الحصب الرمي انتم
لها واردون اى فيها داخلون وكان هبل يعني الاصنام الهة اي
على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل الاصنام النار وعابدوها وكل فيها
خالدون يعني العابدون والمعبودون لهم فيها نفير قيل الزفير

هلو

هو ان يملا الرجل صدره ثم يتنفس وقيل شدة ماينالهم من العذاب
وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الاية اذا بقي
في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت
اخرى ثم تلك في توابيت اخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا
ولا يرى ان في النار احدا يعذب غيره قوله عز وجل ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى قال العلما ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى
الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة اولئك عنها اى عن النار
مبعدون قيل الاية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال
اكثر المفسرين عنى ذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طايع ولعبادة
من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد م
وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ستمايه وستون صنما فعرض
له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا
عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الايات
ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فاخبر الوليد بن المغيرة بما قال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم انتم لها واردون قال نعم قال اليست اليهود تعبد
عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح تعبد الملايكة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملايكة اولئك
عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم
قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الاية الاولى الاصنام لان الله
تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملايكة والناس لقال
انكم ومن تعبدون من دون الله لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل هم
لا يسمعون حسيسها يعني صوتها وحركة تلهبها اذا انزلوا منازلهم
في الجنة وهم فيما اشتهت انفسهم اى من النعيم والكرامة خالدون
اى مقيمون قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة

النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا اهل الجنة خلود
بلا موت وقيل ان نطق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد
ان يخرجه وتتلقاهم الملايكة اى تستقبلهم الملايكة على ابواب الجنة
يهنونهم ويقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي في الدنيا قوله
عز وجل يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب قال ابن عباس السجل
الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي
هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت
اليه والمعنى يطوي السما كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب
فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم كما بدانا اول
خلق نعيده اى كما بدانا هم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيد
يوم القيامة وعن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما
بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين قوله غرلا اي قلفا هم
وقوله تعالى انا كنا فاعلين اى الاعادة والبعث بعد الموت قوله تعالى
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قيل الزبور جميع الكتب المنزله على
الانبيا والذكر هو ام الكتاب الذي عنده وهن ذلك الكتاب نسخ جميع
الكتب والمعنى من بعد اي ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس
الزبور التوراة والذكر الكتب المنزله من بعد التوراة وقيل الزبور
كتاب داود والذكر هو القران وبعد هنا بمعنى قبل ان الارض يرثها
عبادي الصالحون يعني ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم
والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبيا ان الجنة
يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان
اراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين
واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من
كان فيها ان في هذا اى في القران لبلاغا اى وصولا الى البغية يعني من
اتبع القران وعمل بما فيه وصل الى ما يرجوا من الثواب وقيل البلاغ الكفا
اى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة

راد

نزاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى لقوم عابدين اى مؤمنين يعبدون
الله وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس
وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عاملين وقيل هم العاملون العاملون
قوله عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان الناس
اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتاب كانوا في حيرة من امرهم بينهم
لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث
الله محمد صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لصاحب الحق سبيل الى الفوز
والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الثواب وشرع لهم الاحكا
وبين لهم الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قل يعني المؤمنون خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس
هو في حق من امن ومن لم يؤمن امن فهو رحمة له في الدنيا والاخرة
ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتاخير العذاب عنه ورفع
المسخ والخسف والاستيصال وقال رسول الله صلى عليه وسلم
انما انا رحمة مهداة قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
فهل انتم مسلمون اى منقادون لما يوحى الي من اخلاص الالهية
والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اى اسلموا فان تولوا
اعرضوا ولم يسلموا فقل اذنتكم اى اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا
على سواء اى انذاركم بيننا يستوي في علمه لا يستاثر به احد دونكم
فتنتاهبوا لما يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم
به وقيل معناه لنستوي في الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم
من التوحيد وغيره وان ادري اى وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون
يعني القيامة لا يعلمه الا الله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون
اى لا يغيب عن علمه شي منكم في علانيتكم وسركم وان ادري لعله
فتنة لكم اى تاخير العذاب عنكم اختيارا لكم ليرى كيف صنيعكم
وهو اعلم ومتاع الى حين اى يتمتعون الى انقضا اجالكم قل رب احكم
احكم بالحق اى افصل بيننا وبين من كذبني بالحق اى بالعذاب كانه
استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني

لعله

ية

وبينهم عايظهر الحق للجميع وهو ان ينصرني عليهم والله يحكم بالحق
طلب اولم يطلب معنى الطلب ظهور الرغبة وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون اى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كان سبحانه
وتعالى قال فلما قل جاعبادى رب احكم بالحق وقيل يتوعد الكفار وربنا
الرحمن المستعان على ما تصفون والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة الحج وهى مكية

غير ست ايات قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا الى قوله وهدوا
الى صراط الحميد وهى ثمانية ن وسبعون اية والف ومائتان واحدى
وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس
اتقوا ربكم اى احذروا عقابه واعملوا بطاعته ان زلزلت الساعة
شئ عظيم الزلزلة شدة الحركة على الحال الهايلة ووصفها بالعظم
ولا شئ اعظم مما عظمه الله تعالى قيل هى من اشراط الساعة قبل
قيامها وقال ابن عباس ان زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم
يرونها يعنى الساعة وقيل الزلزلة تذهل قال ابن عباس تشتغل
وقيل تنسى كل مرضعة عما ارضعت اى كل امراة معها ولد ترضعه
وتضع كل ذات حمل حملها اى تسقط من حول ذلك اليوم كل حامل
قال الحسن تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها
لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة فى الدنيا لان بعد البعث لا يكون
حمل ومن تكون الزلزلة فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله
وتهويله على الحقيقة كما تقول اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به
شدته وترى الناس سكارى اى على التشبيه وما هم بسكارى
على التحقيق ولكن مما هم فيه من عذاب الله الذى اذهب عقولهم
وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
ولكن عذاب الله شديد ق عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة

يا ادم

يا ادم فيقول لبيك وسعديك نرادفى رواية الخير فى يديك فينادى
بصوت ان الله يامرك ان تخرج بعث النار من ذريتك قال يا رب وما
بعث النار قال من كل الف وتسعماية وتسعة وتسعون فحينئذ تضع
الحوامل حملها وتشيب الوليد وترى السكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم
نرادفى رواية فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعماية وتسعة وتسعون ومنكم واحد
وانتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض وكالشعرة البيضاء
فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار واتى لارجو
ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال
شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخارى فى حديث عمران بن الحصين
وغيره ان هاتين الايتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففزع عليهم فلم يروا كثيرا كيا من تلك الليلة فلما اصبحوا
لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من
باك بين اوجالس وحزين ومتفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يوم
ذلك فقالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث
بعث النار وذكر نحو حديث ابى سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل الجنة من
امتى سبعون الفا الجنة بغير حساب وقال عمر سبعون الفا قال نعم مع
كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل ومن الناس من يجادل فى الله بغير
علم نزلت فى النضر بن الحارث كان كثير الجدل وكان يقول الملايكة بنات
الله والقرآن اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحيانا من صار ترابا
ويتبع اى فى جداله فى الله بغير علم كل شيطان مريد اى المتجرد للشر المستمر فى
الشر وفيه وجهان احدهما انهم شياطين وهم رؤساء الكفر الذين يدعون
الى الكفر والثانى انه ابليس وجنوده كتب عليه اى قضى على الشيطان
انه من تولاه اى اتبعه فانه يعنى الشيطان يضله اى يضل من تولاه عن
طريق الجنة ويهديه الى عذاب السعير وفى الاية زجر عن اتباعه
والمعنى كتب عليه انه من يقبل فانه فى ضلال ثم الزم الحجة منكر البعث

فقال تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب اى في شك من البعث اي بعد
الموت فانا خلقناكم من تراب يعني اباكم ادم الذي هو اصل النسل ثم من
نطفة يعني ذريته من المني واصلها الماء القليل ثم من علقة اى من دم
جامد غليظ وذلك ان النطفه تصير دما غليظا ثم من مضغة وهي
لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة قال ابن عباس اى تامة الخلق
وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل الخلقة
الولد الذى تاتي به المراة لوقته وغير مخلقه السقط فكانه سبحانه وتعالى
قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم
الثاني هو الناقص عن هذه الاحوال كما روى عن علقمة بن مسعود هو
مرفوعا عليه قال ان النطفة اذا استوت في الرحم اخذها الملك بكفه وقال
اى رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمه
وان قال مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل
وما العمل وما الرزق باي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب
فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا
يزال معه حتى ياتي على اخر صفته والذي اخرجاه في الصحيحين عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق
احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم
يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه واجله وعمره
وشقي ام سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل
بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل
النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل الجنة فيدخلها قوله تعالى لنبين لكم اى كما قدرتنا وحكمتنا
في تصريف خلقتكم ويستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على
الاعادة وقيل لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في
العبادة وقيل لنبين لكم ان تعتبروا بالمضغة في الخلقة هو اختيار الفا
الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن

الى

الاعاده

الاعادة ونقر في الارحام ما نشاء اى لا يسقطه ولا يجهضه الى اجل مسمى
اى وقت خروجها من الرحم تاما لخلق ثم نخرجكم اى وقت الولاده طفلا اي
صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ثم لتبلغوا اشدكم
اي كمال القوة والعقل والتمييز ومنكم من يتوفى اى قبل البلوغ الكبر ومنكم
من يرد الى ارذل العمر اى الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى تباع
من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في اول طفوليته صار
ضعيف البنيه سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا اخر على البعث
قوله تعالى وترى الارض هامدة اى يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت اى تحركت بالنبات وربت اى ارتفعت وذلك ان الارض
ترتفع بالنبات وانبتت هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت فاضيف الى
الارض توسعا من كل زوج بهيج اى من كل صنف حسن نضير والبهيج
هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين
الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب قال الله تعالى ذلك اى لتعلموا
بان الله هو الحق وان حدوث هذه الاشياء وجود الصانع وانه يحيي الموتى
اى انه لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الا
الاموات وانه على كل شيء قدير اى من كان كذلك قادرا على جميع الممكنات
وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اى ذكر
ما ذكر من الدلايل ان الساعة اتيت لا تشك فيها واذا حق وان
البعث بعد الموت حق قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم يعني النضر بن الحارث ولا هدى اى ليس معه من الله بيان ولا
لارشاد ولا كتاب منير اى ولا كتاب من الله له نور ثاني عطفه اي
لاوي وجهه وعنقه يستكبرا منكبرا معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا
ليضل عن سبيل الله اى عن دين الحق له في الدنيا خزي اى عذاب
وهوان وهوانه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق ذلك اى يقال له ذلك بما قدمت يداك
وان الله ليس بظلام للعبيد اى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على
اى وجه تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل ومن

الناس من يعبد الله على حرف الاية نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون
المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة نصح لها جسمه
وتتجت بها فرسه مهرا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن
وقد اصيب فيه خيرا واطمان له وان اصابه مرض وولدت له امراته
جارية ولم تلد فرسه وقل ماله فقال ما اصبت منذ دخلت في هذا الدين
الا شرا فينقلب عن دينه فذلك هو الفتنة فاخبر الله ومن الناس من يعبد الله
على حرف اي على شك واصله من حرف الشيء وهو طرفه الذي قايم عليه
غير مستقر فقيل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل قلبه
الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على فاق واضطراب في دينهم لا على سكينة
وطمانينة ولو عبد الله على الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا
على حرف وقيل هو المنافق بلسانه دون قلبه فان اصابه خير اي صحة في جسمه
وسعة في معيشته اطمان به اي رضي به وسكن اليه وان اصابته
فتنة اي بلا في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه اي ارتد ورجع
على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا والاخرة اي خسر
في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان
يوصل والاخرة بذهاب الدين والخلود في النار ذلك هو الخسران المبين
الى الظاهر يدعوا من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه
اي ان اطاعه وعبده ذلك هو الضلال البعيد اي عن الحق والرشد يدعوا
لمن ضره اقرب من نفعه فان قلت قد قال في الاية الاولى يدعوا من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في الاية الاخرى يدعوا لمن ضره اقرب من
نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب
هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الاولى ما لا يضره اي لا يضره ان ترك
العبادة وقوله لمن ضره اي عبادته وقيل ان لا يضر ولا ينفع بانفسها ولكن
عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله
سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد فيه ما له وضلاله
ينتفع به حين يستشفع به وقيل الاية في الروساء وهم الذين كانوا يقرون
اليهود لانه يصح منهم ان يضلوا ويتبعوا وحجة هذا القول ان الله تعالى

بين

بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضي لو ان
لله المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم التنا
قض فثبت انهم الروساء دليل قوله لبيس المولى ولبيس العشير
اي الناصر والصاحب لصاحب المعاشر قوله عز وجل ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
اي باوليايه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله
تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
في الدنيا اي باعلاء كلمته واظهار دينه والاخرة اي في الاخرة باعلاء درجته
والاستنقام ممن كذبه فليمدد بسبب اي ليحبل الى السما اي سقف بيته
فليختنق به الى ان يموت ثم ليقطع اي الحبل بعد الاختناق وقيل
ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن اي صنيعه
وحيلته ما يغيظ اي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحث لانه
يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت
غيظا وقيل المراد بالسما السما المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن
ينصره الله ويكيده في امره ليقطعه فليقطعه من اصله فان اصله في
السما فيطلب سببا يصل به الى السما ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه
وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يتهيا له الوصول الى السما فيحيلة
هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان
غيظه عديم الفايدة وفي الاية ترجيح الكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه روي ان الاية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم
النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف قالوا
لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف
بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يبرونا وقيل النصر معناه الرزق
ومعنى الاية من كان يظن ان يرزقه الله في الدنيا والاخرة فيبلغ غاية
الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من
ينصرني ينصره الله اي من يعطيني اعطاه الله وكذلك انزلناه يعني
القران ايات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين امنوا والذين

لن

هادوا والصابئين والنصاري والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة
الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان
وهو ماعدا الاسلام ان الله يفصل بينهم اي يحكم بينهم يوم القيامة
وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازي بهم جزاء واحدا بغير
تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد ان الله على كل شئ شهيد انه عالم
بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجزي في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد
تقدم بسط الكلام علي معني هذه الاية في تفسير سورة البقرة قوله عز
وجل الم تر وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والداب قيل
سجود هذه الاشيا تحول ظلالها وقيل ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر
الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتي يوذن له فياخذ ذات اليمين
حتي يرجع الي مطلعه وقيل معني سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو
مطيع لله تعالي خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهو مذ
مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لتاثير الاعراض
التي خلقها الله تعالي فيها من غير امتناع البتة اشبهت بمطاوعتها افعال
المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت هذا التاويل
يبطله قوله وكثير من الناس فان السجود بالمعني الذي ذكر علم في الكل
كلهم فاسناده الي كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فايدة قلت
المعني الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر
وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته ولكنه متمردا بظاهره
بظاهره واما المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل الفرق
حصل التخصيص بالذكر وقيل معني الاية ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعني الانقيا
والثاني بمعني الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض
لفظه عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت
لو اقتصر علي ما تقدم اولا وهو ان الناس يسجدون فيبين ان كثيرا من الناس
يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم وكثير حق عليه العذا

وهم

وهم الكفار اي احق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود يسجد ظلالهم لله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم
اي من يذله الله فلا احد يكرمه احد ان الله يفعل ما يشا اي يكرم بالسعادة
من يشاو يهين بالشقاوة من يشا وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والهوان
يوم القيامة بالثواب والعقاب **فصل** هذه السجدة من عزايم
سجود القران فليس للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوتها وسماع تلاوتها
قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم اي جادلوا في دينه وامره
واختلفوا في هذين الخصمين فروي عن قيس بن عباد قال سمعت اباذر
يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين
برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين خ عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال
قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم وقال هم
الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة
وعتبه بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن اسحاق خرج يومئذ عتبة
بن ربيعة وشيبة بن ربيعه وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الي المبارزة
فخرج اليهم فتية من الانصار عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفرا وعبد الله
بن رواحة فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار فقالوا اجل انتسبوا
اكفاء كرام ثم نادي منادي القوم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب
ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم فقالوا
نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة
وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد
واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر علي
وحمزة باسيافهما علي عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الي اصحابه وقد
قطعت رجله ومخ ساقه تسيل فلما انتوا به الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال الست شهيدا يا رسول الله فقال بلي فقال عبيدة لو كان ابو طالب

حيا العلوا انا احق بما قال منه حيث يقول وسليه حق نصر عوله وقد
عن ابنا بينا والحلايل وقال ابن عباس نزلت الاية في المسلمين واهل الكتاب
قال اهل الكتاب نحن اولي بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال
المسلمون نحن احق بالله امنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وما انزل
الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذا خصومتهم في
ربهم وقيل هم المومنون والكافرون من اي ملة كانوا فالمومنون خصم والكفار
خصم قيل الخصمان الجنة والنار وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
وقالت الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفا الناس وسقطهم وغرتهم في رواية وغرتهم
فقال الله للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت
عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحد منكما ملوها فاما النار فلا تمتلي
حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فيقول قط قط قط فهنالك تمتلي ويزوي
بعضها الى بعض ولا يظلم ربك من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشي لها
خلقا والبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال
الاولية اولي لان حمل الكلام على ظاهره اولي وقوله هذان كالاشارة الى
سبب تقدم ذكره وهو الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين واهل
معصية وذكر ما للخصمين وقال تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب
من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الاية شيء
اذا حمي اشتد حرارته وسمي بها الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب
وقيل يلبس اهل النار مقطعات من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم
اي الماء الحار الذي انتهت حرارته يصهر به اي باتراب بالحميم الذي يصب من
فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء والجلود عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم
فينفذ حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى تمرق من قدميه وهو
الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح
ولهم مقامع من حديد اي سياط من حديد وفي الخبر من الحديد وفي
الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه

من

من الارض كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اي كلما حاولوا الخروج من النار
لما الحقهم من الغم والكرب الذي باخذ بانفاسهم اعيدوا فيها اي ردوا اليها
بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتقلبهم الى اعلاها فيريدون الخروج
منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون سبعين خريفا وذوقوا
عذاب الحريق اي تقول لهم الملايكة ذلك الحريق يعني الحرق وهذا وصف
حال الخصمين وهم الكفار وقال الله تعالى في وصف الخصم الاخر ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون
فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهو الابريشم
الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر
ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة اوانيهما وما فيهما
وجنتان من ذهب اوانيهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم للتيجان ادنى لولوة منها لتضيء ما بين
المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب وعن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا
لم يلبسه في الاخرة قوله تعالى وهدوا من الهداية اي ارشدوا الى الطيب
من القول قال ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول اهل الجنة الحمد لله
الذي صدقنا وعده وهدانا الى صراط الحميد الى دين الله وهو الاسلام
والحميد هو الله المحمود في افعاله قوله عز وجل ان الذين كفروا اي بما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم ويصدون عن سبيل الله اي بالمنع في الحديبية والمسجد
والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلنا للناس
اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا سواء العاكف اي المقيم فيه قال
بعضهم ويدخل الغريب اذا جاور واقام به ولزد التعبد فيه والبادي

ي الطاري المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الاية فقيل سوا العاكف
فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضا النسك به واليه ذهب مجاهد
والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية
في تعظيم الكعبة وان فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف
بهذا البيت وصلى به اية ساعة شا من ليل او نهار اخرجه الترمذي
وابو داود والنسايي وقيل المراد جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم
والبادي سوا في النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من الاخر غير انه
لا يزعج احدا اذا كان قد سبق في منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير
وقتادة وابن زيد قالوا هما سوا في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن
سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله
منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم
فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا وان ارض مكة لانما
لا تملك لانها لو ملكت لم تستو المعاكف والبادي فلما استويا ثبت
سبيله سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد المسجد
الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور
مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي
احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
اضاف الديار الى ملاكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
من اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان وهو امن فنسب الدار
نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دارا للسجن باربعة الاف درهم
فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى ومن يرد فيه اي
في المسجد الحرام بالحاد بظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير
الله وقيل هو كل شي منهي عنه من قول وفعل حتى شتم الخدام وقيل هو
دخول الحرم فارتكاب شي من محظورات الحرم الاحرام من قتل احد
وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان يقتل فيه من لا يقتلك او تظلم فيه من
لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيات بمكة كما تضاعف فيه الحسنات

وقيل

وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روي عن يعلى بن امية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود
وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم قاله لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا
هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن ابين او ببلد اخر اذاقه الله من عذاب
اليم قال السدي ان لا يتوب وروي عن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرام فاذا اراد ان يعاتب اهله
عاتبهم في الحل فسيل عن ذلك فقال كنا نحدث من الالحاد فيه ان يقول
الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
قال ابن عباس جعلنا وقيل وطانا وقيل بينا واذا ذكر مكان البيت
لان الكعبة رفعت الى السما زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه
السلام ببنا البيت على ما كان بنى فبعث الله تعالى ريحا فكنست
له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة وتعالى بقدر البيت
فقامت بحيال البيت وفيها راس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنا عليه
ان لا تشرك بي شيا اي عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيا وطهر
بيتي اي من الشرك والاوثان والاقذار للطايفين الذين يطوفون
بالبيت والقايمين اي المقيمين به والركع السجود اي المصلين قوله عز وجل
واذن اي علم ونادي والاذان في اللغة الاعلام في الناس قال ابن عباس
اراد بالناس اهل القبلة بالحج فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي
فقال الله عليك الاذان وعلي الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول
الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا
وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنا بيتا وكتب عليكم الحج فاجيبوا ربكم
فاجابه كل من يحج من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك
قال ابن عباس فاول من اجابه اليمن فهم اكثر الناس حجا وروي ان ابراهيم
صعد ابي قبيس ونادى ونعره الحسن ان الماموربا التاذين هو محمد صلى الله
عليه وسلم امر ان يجعل ذلك في حجة الوداع مر عن ابن هريرة رضي الله
عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس

قد فرض عليكم الحج فحجوا يا توك رجالا اي مشاة على ارجلها وجمع رجل
وعلى كل ضامر اي بعيرا ناعلى الابل المهزولة من كثرة السير ويدا بذكر
المشاة تشريفا يا تين اي جماعة الابل من كل فج عميق اي من كل طريق
بعيدة فمن اين مكة حاجا فكانه فدا بنى ابراهيم لانه مجيب نداه
قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل العفو والمغفرة قيل التجارة وقال
ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى الله من امر الدنيا والاخرة ويذكروا
اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجة في قول اكثر المفسرين
قيل لها معلومات لتحريم عليها من اجل وقت الحج في احدها وعن ابن عباس
انها ايام عرفه والنحر وايام التشريق وقيل انها يوم النحر ولاثة ايام
بعده على حائر قوله من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا
يكون من النعم وهي الابل والبقر وفيه دليل على ان الايام المعلومات
يوم النحر وايام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها
ونحر الهدايا يكون في هذه الايام فكلوا منها امر اباحة ليس بواجب
وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيا
فاحل الله بحكم الفتهم اتفق العلماء على ان الهدايا اذا كان تطوعا يجوز
للمهدي ان ياكل منه وكذلك التطوع الضحية التطوع لما روى عن
جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع وقدم علي ببدن من اليمن وجا
وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنه ونحر منها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين بدنه ونحر علي ما غبر واشركه
في ندنة ثم امر من كل بدنه ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكل
من لحمها وشرب من مرقها اخرجه مسلم قوله ما غبر اي ما بقي قوله
ببضعة اي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب اذا فسد الحج
وفوته ومن الصيد هل يجوز للمهدي ان ياكل منه شيا قال الشافعي
لا ياكل منه شيا وكذلك ما وجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر
لا ياكل من جزا الصيد والنذر ويا كل مما سوى ذلك وبه قال احمد
واسحاق وقال مالك ياكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه
الا من فدية الاذى وجزا الصيد والمنذور وعند اصحاب الراي انه ياكل

من دم

من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى واطعموا
البايس الفقير يعني الزمن الذي لا شيء له قوله تعالى ثم ليقضوا
تفثهم اي ليزيلوا اوساخهم واوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام
بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستحداد
ولبس الثياب والحاج اشعث اغبر اذا لم ترتل هذه الاوساخ وقال
عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها وليوفوا نذورهم
اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج
اي ليتموها بقضايها وقيل المراد منه الوفا بما نذروه وهو على ظاهره
وقيل المراد اداء به الخروج عما وجب عليه نذره اولم ينذره وليطوفوا
بالبيت العتيق اراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضه ووقته
يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان قدم من
مكه يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي
اليه ويمشي اربعا اربعا وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه وعن
عايشة رضي الله عنها ان اول شيء بدا به حين قدم النبي صلى الله عليه
وسلم انه توضا ثم طاف ثم لم يكن عمرة ثم حج ابو بكر وعمر مثله وعن
ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف
الاول خب ثلاثا ومشى اربعا زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد
الطواف بالبيت ثم يطوف بعد الصفا والمروة ولفظ ابي داود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حج طاف في الحج والعمرة اول ما يقدم فانه
يسعى ثلاثة اطواف ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو
طواف الافاضه وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق وعن عايشة
رضي الله عنها قالت حاضت صفيه ليلة النحر فقالت ما اراني الا
حابستكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عقرا طافت يوم النحر
قبل نحر قال فانفري قوله عقرا حلقا معناه عقرها الله اي اصابها
بالعقر وتوجع بالعقر في عقرها وقيل معناه منسومة موذية وليس
يرد به الدعا عليها وانما هو شيء جرى على السنة العرب بقولهم لام
لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف

ية

الافاضه لايجوز له ان ينفر الطواف الثالث طواف الوداع لان
لارخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فان يفارقها حتى
يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المراة الحايض يجوز لها تركه لحديث
المتقدم وروي ابن عباس رضي الله عنهما قال امر الناس ان يكون
اخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمراة الحايض فتقف عليه والرمل
سنة يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضه والوداع
وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله تعالى
من ايدي الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه
اول بيت وضع للناس وقيل ان الله اعتقه من الغرق فانه رفع ايام
الطوفان وقيل انه لم يملك قوله عز وجل ذلك اي الامر ذلك يعني ما
ماذكر من اعمال الحج ومن يعظم حرمات الله اي ما نهى الله عنه من معاصيه
وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل
الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا المناسك
وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام
والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام
بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه اي ثواب تعظيم الحرمات
خير له عند الله في الاخرة واحلت لكم الانعام اي ان تاكلوها بعد
الذبح وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم اي تحريمه وهو قوله في
سورة المايدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية فاجتنبوا الرجس
من الاوثان اي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب
وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم التلوث بالنجاسات
واجتنبوا قول الزور اي الكذب والبهتان وقال ابن مسعود هي شهادة
الزور اشراك بالله ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتنبوا الرجس
الرجس من الاثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال قد
اختلفوا في روايته ولا يعرف الا سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم
واخرجه ابو داود عن خزيمة بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك

قوله

قوله تعالى حنفا لله اي مخلصين له غير مشركين به فدل ذلك ان المكلف
ينوي بما ياتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك
يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفا فنزلت
حنفا لله غير مشركين به اي حجاجا لله مسلمين موحدين ومن اشرك
لا يكون حنيفا ومن اشرك بالله فكانما خر اي سقط من السما الى
الارض فتخطفه الطير اي تسلبه وتذهب به ويهوي به الريح اي
تميل وتذهب به في مكان سحيق اي بعيد ومعنى الاية ان يشرك بالله
من الحق والايمان كبعد من سقط من السما فذهبت به الطير وهوت به
الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السما
لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث يسقطه الريح فهو حالك لا محالة
اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه في المكان السحيق وقيل من اشرك بالله
فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه هلاك بان صور حاله بصورة حال
من خر من السما فاختطفته الطير ففرقت اجزاءه في حواصلها وعصفت به
الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسما
في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السما والاهوية التي يتوزع افكا
بالطير المختطفة والشياطين الذي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي
تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة قوله عز وجل ذلك بمعنى
الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعاير الله
فانها من تقوى القلوب قال ابن عباس شعاير البدن والهدي واحدها
من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها انها هدي وتعظيمها استسمانها
واستحسانها وقيل شعاير الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب
لكون فيها اي في البدن منافع وقيل هو تسميتها للهدي وفي دروها ونسلها وصوفها
وظهورها وبرها وركوب ظهورها الى اجل مسمى اي ان يسمنها ويوجبها
هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك
ورواه عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجادها
وتسميتها هديا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى
يعني الى ان تنحروها وهو قول عطا واختلف العلما في ركوب الهدي فقال

مالك والشافعي واحمد واسحاق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها
لما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق
بدنه فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنه فقال اركبها ويلك
في الثانية والثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب لبنها بعد
ما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب الرى لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل
اراد بالشعاير المناسك ومشاهد ملكه لكم فيها منافع اي التجارة
والاسواق الى اجل مسمى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اي بالاجر
بالاجر والثواب في قضا مناسك الى انقضا ايام الحج ثم محلها الى البيت
العتيق اى منحرها عند البيت العتيق ويريد بجميع ارض الحرم روى عن جابر
في حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحرت ها هنا ومنى
كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال الشعاير المناسك قال معنى ثم محلها
اى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة
قوله تعالى ولكل امة اى جماعة مومنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا
قربي بكسر السين اى منجا وهو موضع القربان ومنسكا بفتح السين وهو
اراقة الدم وذبح القاربين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام اى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام
لان ما سواها لا يجوز ذبحه من القاربين وان جاز اكله قوله عز وجل فاله
فالهكم اله واحد اى سموا على الذبح اسم الله وحده فالهكم اله واحد
فله اسلموا اى اخلصوا واتقادوا واطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس
المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم
وقيل الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خافت من عقاب الله فيظهر
عليها الخشوع والتواضع لله تعالى والصابرين على ما اصابهم اى من البلا
والمرض والمصايب ونحو ذلك مما كان من الله ومما كان من غير الله تعالى
فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه والمقيمين الصلاة اى في اوقاتها
والمحافظة عليها ومما رزقناهم ينفقون اى يتصدقون قوله تعالى
والبدن جمع بدنه سميت بدنه لعظمها وضخامتها ويريد الابل

الصحاح

الصحاح الاجسام والبقر فلا يسمى الغنم بدنه لصغرها جعلناها لكم من شعاير
الله اى من اعلام دينه وقيل انها تشعر اى تطعن بحدية في سنامها فيعلم
بذلك انها هدى لكم فيها خير اى نفع في الدنيا وثواب في العقبى فاذكروا
اسم الله عليها اى عند نحرها صوافا اى على ثلاث قوائمها قد صفت
رجليها ويدها اليمنى واخرى معقولة فينحرها كذلك وعن زياد بن جبير
قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنه ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة
سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فاذا وجبت جنوبها اى سقطت
بعد النحر ووقع جنبها على الارض فكلوا منها امر اباحة واطعموا القانع
والمعتر وقيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال
والمعتر هو الذى يسال عن ابن عباس القانع هو الذى لا يتعرض ولا يسال
والمعتر هو الذى يريد نفسه ويتعرض ولا يسال وقيل القانع هو الذى يسال
والمعتر هو الذى يتعرض ولا يسال وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس
بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجى الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم كذلك
اى مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم اى لتتمكنوا من نحرها لعلكم
تشكرون اى انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن
ان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمايها يزعمون
ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماوها اى
لن يرفع الله تعالى لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم اى ولكن
ترفع اليه الاعمال الصالحة وهو ما اريد به وجه الله كذلك سخرها لكم
يعني البدن لتكبروا الله على ما هداكم وارشدكم لعالم الدين منه ومناسك
حجه وهو يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا وبشر المحسنين
قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين امنوا اى يدفع
غائلة المشركين عن المومنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ان الله
لا يحب كل خوان كفور اى خوان في امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس
خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحة
وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور قوله عز وجل اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا اى اذن الله لرسوله بالجهاد يقاتلون المشركين قال المفسرون

كان مشركوا اهل مكه يوذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالو
ن
يجون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وهي اول اية نزلت اذن لله فيها بالقتال
وهل نزلت هذه الاية في قوم يا عبانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة
فاعترضهم مشركوا مكه فاذن لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة
بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء وان
الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله بنصر المومنين ثم وصفهم فقال
تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني
انهم اخرجوا بغير حق موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود
لهدمت صوامع هل معابد الرهبان المتخذة في الصحراء وبيع وهي معابد
النصاري في البلد وصل الصوامع للصابيين والبيع للنصاري وصلوات
يعني كنايس اليهود يسمونها بالعبرانيه صلوانا ومساجد يعني
مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى
الاية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان
صلاتهم لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى البيع والصوامع
وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وليصرن الله من ينصره
اي لينصرن دينه ان الله لقوي اي على من ينصر دينه عزيز اي لا يضام
ولا يمنع مما يريده قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اي نصرناهم
على عدوهم حتى تمكنوا من بلادهم اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وصل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح وقوله الذين
ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم
وهم المهاجرون ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق مصيرها اليه
وذلك انه يبطل كل ملك سوي ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع قوله
تعالى وان يكذبوك فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى

وان

والمعنى وكذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فان قلت لم
قال وكذب موسى ولم يقل قوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان
موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرايل وانما كذبه غير قومه وهم القبط
الثاني كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب قومه رسلهم قال و
وكذب موسى ايضا وضح ايانه وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
للكافرين اي امهلتهم واخرت العقوبة عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم هو
فكيف كان نكير اي انكاري عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب
والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله
عز وجل فكاين من قرية اهلكناها وقرى اهلكناها على التعظيم وظالمة
اي واهلها ظالمون فهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي على سقوفها
وبير معطلة اي متروكة مخلاة عن اهلها وقصر مشيد اي رفيع طويل على
وقيل مخصص وقيل ان البير المعطلة والقصر المشيد باليمن فاما القصر
فلله فاما فعلى قلة جبل والبير في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في
نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البير والقصر خاليين وقيل ان هذه
البير كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور وذلك ان اربعة الاف
نفر من امن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب انوا الى حضرموت
ومعهم صالح بنوا حاضورا وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم رجلا
منهم فاقاموا هنا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل
الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان جميلا فيهم فقتلوه
في السوق فاهلكهم الله وعطلت بيرهم وخرب قصرهم قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين
من الامم الخالية فتكون لهم قلوب يفقهون بها اي يعلمون بها فانها
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى
ان عمى القلب هو العمى في امر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر
بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر هو البصر النافع ويستعجلونك
بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث ولن يخلف الله وعده اي انه

انجزاك يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
قال ابن عباس يعني يوما من الايام السنة التي خلق الله فيها السموات
والارض وقيل يوما من ايام الاخرة يدل عليه ما روي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
يا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة
قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسماية سنة اخرجه
ابو داود بزيادة فيه واخرج الترمذي نحوه ومعنى الاية انهم يستعجلون
بالعذاب وان يوما من العذاب عندهم في الاخرة كالف سنة وقيل ان يوما
من ايام العذاب في الثقل والاستطالة كالف سنة فكيف يستعجلونه
وقيل معناه او يوما عنده والف سنة في الامهال سوا لانه قادر متى
شا اخذهم لا يفوته شيء بالتاخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه
من العذاب وتاخيره وهذا معنى قول ابن عباس وكاين من قرية املى
لها اي امهلتها وهي ظالمة اي مع استمرارها على الظلم ثم اخذتها اي
انزلت بهم العذاب والي المصير يعني مصيرهم الى الاخرة ففيه وعيد
وتهديد وقوله عز وجل قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين امر الله رسوله
ان يذير لهم التخويف والانذار وان يقول لهم انما بعثت لكم منذرا
فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الله رسوله
الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما انا نذير مبين اردف ذلك بان
امره بوعد من امن ووعيد من عصى فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة اي ستر لصغايرذنوبهم وقيل للكبايرايضا مع التوبة ورزق
كريم لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة والذين سعوا في اياتنا اي عملوا في
ابطال اياتنا معجزين متثبطين عن الايمان وقرى معاجزين اي معاندين
مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا فلا نقدر عليهم
بزعمهم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار اولئك اصحاب الجحيم
قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس وغيره من المفسرين
لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه

ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه ان ياتيه
من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم وكان يوما في مجلس
لقريش فانزل الله عز وجل سورة النجم فقراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى القى الشيطان
على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرا السورة كلها وسجد وسجد المسلمون لسجوده
وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مومن ولا كافر
الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا
حفنة من البطحاء فرفعاها الى جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم
ما سمعوا من ذكر الهتهم ويقولون قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر
وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا
عنده اذ جعل لها نصيبا فلحق معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ماذا صنعت قد تلوت على الناس
ما لم اتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا
وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الاية يعزيه وكان به
رحيما وسمح بذلك من كان بارض الحبشة من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغهم سجود قريش وقد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثر
الى عشايرهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم
ان الذين كانوا نحدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد
منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الاية قالت قريش ندم محمد
صلى الله عليه وسلم على ما ذكر من منزلة الهتنا عند الله فغير ذلك
وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازداد واشرا الى ما كانوا عليه وشدة على
من اسلم قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي
ياتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي والنبي هو الذي تكون نبوته الهاما او منا

ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جا
في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الفاظ ولا
قراها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصه فقد رواه
عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا نوعين هذه القصه الجواب
الثاني وهو من حيث المعنى وهو ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجا
واجماع الامة على العصمة النبي صلى الله عليه وسلم وتراهته عن مثل
هذه الرذيله وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح اله غير الله وان يتسور
عليه الشيطان ويشبه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى
ينبهه جبريل عن ذلك وهذا كله يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين الجواب الثالث في تسليم وقوع
هذه القصه وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا قرا يرتل القران ترتيلا ويفصل الايات تفصيلا كما جا عنه في قرائه
فحينئذ ان الشيطان يرصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك
الكلمات محاكيا لصوت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار
فظنوا من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجد وامعه لسجوده فاما المسلمون
فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزل الله عز وجل
الجواب الرابع في تحقيق تفسير الايه وقد تقدم ان التمني
يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى تلاوت فعلى الاول يكون معنى قوله
الا تمنى اى خطر بباله ونبي بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه قوى اذا
قوى تمنى اشتغل الخاطر فحصل السهو والافعال الظاهره وعلى الثاني
وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اى تلى وهو
ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط اية او تغيير كلمة او نحو ذلك
ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به في الوقت والحين
كما جا في الحديث لقد ذكرني كذا كذا اية كنت انسيتها من سورة

اواياة اوكلمة

كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى اي احب شيا واشتهاه
وحدث به نفسه ما لم يؤمر به القى الشيطان في امنيته اى في مراده
وقال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا فالمعنى
ما من نبي الا تمنى ابتوا من قومه ولم يتمنى ذلك نبي الا القى الشيطان عليه
ما يرضي قومه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وقال اكثر المفسرين معنى تمنى
قراوتلا كتاب الله القى الشيطان في امنيته اى في تلاوته وقال حسان
في عثمان حين قتل
تمنى كتاب الله اول ليلة واخرها لاقى حمام المقادر
فان قلت قد قامت الدلايل على صدقه واجتمعت الامة فيما
كان وطريقة البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما
هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق
عن الهوى وقال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنز
تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو معصوم منه قلت ذكر العلما على هذه الاشكال اجوبة
احدها توهين اصل هذه القصه وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة
ولا اسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصلة وانما رواها المفسرون
والمورخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم
والذي يدل على ضعف هذه القصه اضطراب رواتها وانقطاع اسنادها
واختلاف الفاظها فقايل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الطريق
واخر يقول قراها وهو في نادي قومه واخر يقول قراها وهو اجلبته نشنشة
واخر يقول بل حدث نفسه بها فجري ذلك على لسانه واخر يقول ان
الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي لما
عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرتك الى غير ذلك من اختلاف
الفاظها والذي جا في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه
المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري غير ان شيخا
من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله
فلقد رايته بعد قتل كافرا اخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث

اصابته

ابن

من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الاية ان الانبيا والرسل
واى عصمهم الله عن الخطا فى العلم فلم يعصمهم من جواز السهو
عليهم بل حالهم فى جواز ذلك كحال سايرالبشر والله اعلم وقوله عز
وجل فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يبطله ويذهبه ثم يحكم الله اياته
اى يثبتها والله عليم حكيم قوله عزوجل ليجعل ما يلقى الشيطان
فتنة اى محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشا للذين
فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق والقاسية قلوبهم اى الجافية
قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون وان الظالمين لفى شقاق
بعيد اى فى خلاف شديد وليعلم الذين اوتوا العلم اى التوحيد
والقران والتصديق بنسخ الله ما يشا انه الحق من ربك اى
الذى احكم الله من ايات القران هو الحق من ربك فيومنون به
اى فيعتقدون انه من الله عزوجل فتخبت له قلوبهم اى يسكن اليه
وان الله لهادى الذين امنوا الى صراط مستقيم اى الى طريق قويم
وهو الاسلام قوله عزوجل ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه اى فى
فى شك من القران وقيل هو من الدين الذى هو صراط مستقيم حتى
تاتيهم الساعة بغتة اى فجاة وقيل اراد بالساعة الموت او اتيانهم
عذاب عقيم اى عذاب يوم لا ليل له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم
بدر سمى عقيما لانه لم يكن فى ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم
لا ياتى بخير وقيل لانه لا مثل له لعظم امره لقتال الملايكة فيه الملك
يومئذ يعنى يوم القيامة لله وحده من غير منازع ولا مشارك
يحكم اى يفصل بينهم ثم بين ذلك الحكم فقال الله تعالى فالذين
امنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بايتنا
باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا فى
سبيل الله اى فارقوا اوطانهم وعشايرهم فى طاعة الله وطلب
رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا اى لا ينقطع ابدا
وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وان
الله لهو خير الرازقين فان قلت الرازق فى الحقيقة هو الله

يوم ح

عز

عزوجل لا رزاق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين
قلت قد سمى غير الله رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان
الجند اى اعطاهم لما رزقهم وان الرزاق فى الحقيقة هو الله تعالى وقيل
لان الله تعالى من الرزق ما لا يقدر عليه غيره لندخلنهم مدخلا يرضونه
يعنى الجنة يكرمون به ولا يناله فيها مكروه وان الله لعليم بنياتهم
حليم عنهم قوله عزوجل ذلك اى الامر ذلك الذى قصصناه عليكم
ومن عاقب بمثل ما عوقب به اى جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعنى قاتل
المشركين كما قاتلوه ثم بغى عليه اى ظلم باخراجه من منزله يعنى ما اتاه المشركون من البغى على المسلمين حتى اخرجوهم الى مفارقة اوطانهم
ثم نزلت فى قوم المشركين اتوا قوما من المسلمين ليلتين بقيتا من المحرم
فكره المسلمون القتال لهم ويسالوهم ان يكفوا عن القتال من اجل
الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم وثبت الى
المسلمون بهم فنصرهم الله عليهم فذلك قوله لينصرنه الله ان الله
لعفو عن مساوى المومنين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك اى ذلك
النصر باية القادر على ما يشا فمن قدرته فان الله يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل فى معنى هذه الايلاج قولان احدهما انه يجعل
ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثانى هو ما يزيد من احدهما
ينقص من الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله
تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اى ذو
الحق فى قوله وفى فعله ودينه حق وعبادته حق وانما
تدعون يعنى المشركين من دونه هو الباطل يعنى الاصنام
التى ليس عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلى اى العالى
على كل شى الكبير اى العظيم فى قدرته وسلطانه قوله
عزوجل الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض
مخضرة اى بالنبات ان الله لطيف اى باستخراج النبات
من الارض رزقا للعباد والحيوان خبير اى بما فى
قلوب العباد اذا اخر المطر عنهم له ما فى السموات

وما في الارض اى عبيدا وملكا وان الله لهو الغني الحميد
يعني الغني عن عباده الحميد في افعاله الم تر ان الله
سخر لكم ما في الارض اى الدواب التي تركب في البر
والفلك اى وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره يعني
سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك لما جرت ويمسك السما
ان تقع اى لكيلا تسقط على الارض الا باذنه ان الله
بالناس لرؤف رحيم اى انه رؤف رحيم بكم وهو الذي
احياكم اى انشاكم ولم تكونوا شيا ثم يميتكم عند انقضا
اجالكم ثم يحييكم اى يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسا
لكفور اى لجحود لنعم الله عز وجل قوله تعالى ولكل امة جعلنا
منسكا قال ابن عباس شريعة هم ناسكوه عاملون بها وعنه
انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عباده
فلا ينازعنك في الامر اى في امر الذبايح نزلت في بديل بن ورقا
وبشر بن سفيان وبزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ما لكم تاكلون مما تقتلون بايديكم ولا تاكلون
مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم انت وادع الى ربك اى
الى الايمان به والى دينه انك لعلى هدى مستقيم اى على دين
واضح مستقيم وان جادلوك اى خاصموك في امر الذبايح هو
وغيره فقل الله اعلم بما تعملون اى من التكذيب الله يحكم بينكم
يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون اى فتعلمون حينيذ الحق
من الباطل وقيل حكمه يوم القيامة يتردد بين جنة وناره وثواب لمن
قبل وبين نار وعقاب لمن رد وان قوله عز وجل الم تعلم الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وتدخل فيه الامة ان الله يعلم ما في السما
والارض ان ذلك في كتاب اى في اللوح المحفوظ ان ذلك اى علمه
بجميعه على الله يسير وقيل ان كتبة الحوادث مع انها من الغيب
على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
ظاهرا من دليل سمعي وما ليس لهم به علم اى انهم فعلوا

ما فعلوه

ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي ولا لظا لمبين اى
المشركين من نصير اى مانع يمنعهم من العذاب واذا تتلى
عليهم ايانتنا بينات يعني القران وصفه بذلك لان
فيه بيان الاحكام والفصل بين الحرام الحلال والحرام
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اى الانكار والكراهة سد
بتبيين ذلك في وجوههم يكادون يسطون اى يقعون هم
ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء وقيل يبطشون بالذين
يتلون عليهم ايانتنا اى نحمد واصحابه من شدة اللفظ
قل لهم يا محمد افانبيكم بشر من ذلكم اى بشر لكم واكره
لكم من هذه القران الذين يسمعون النار اى هي النار
وعدها الله الذين كفروا وبيس المصير قوله تعالى
يا ايها الناس ضرب مثل فان قلت الذي جا به
ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر
نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا
وقال صاحب الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرايقة
المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها بعض
الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة
فاستمعوا له اى تدبروه حتى يدبروه فان الاستماع
بلا عقل وتدبر لا ينفع ومعنى الاية جعل لم يشه وشبه بي
الاوثان اى جعل المشركون الاصنام شركاء لي بعيد ونزها
ثم بين حالها وصغرها فقال تعالى ان الذين يدعون
من دون الله يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا اى واحدا
في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك
ولو اجتمعوا له اى لخلقته والمعنى ان هذه الاصنام
لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذباب على ضعفها
وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا
وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه قال

قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاف الذباب
عليه ويأخذ ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب
يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم
وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب اى لو طلب الصنم ان
يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب
هو الصنم ما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته هو
وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا به
ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله لقوي لا يقهر عزيز
قوله تعالى عز وجل الله يصطفي من الملايكة اى يختار من الملايكة
رسلا كجبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل وغيرهم ومن الناس
اى ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى
ومحمد وغيرهم من الانبيا والرسل صلى الله وسلم عليهم اجمعين
نزلت حين قال المشركون انزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله ان
الاختيار اليه يختار من يشا من عباده لرسالته ان الله سميع
اى لاقوالهم بصير اى لافعالهم لا يخفى عليه خافية وقوله تعالى
يعلم ما بين ايديهم قال ابن عباس ما قدموا وما خلفهم
اى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما
بين ايدى ملايكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كائن
بعد فنائهم والى الله ترجع الامور قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اركعوا واسجدوا اى صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع
والسجود واعبدوا ربكم اى وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة
وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق
وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة
عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن
الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة
وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر لعلكم تفلحون
فصل في احكام سجود التلاوة لم يختلف

العلما

العلما في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة
الثانية وروى عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود
وابن عباس وابى الدرداء وابى موسى انهم قالوا في الحج
سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق
عليه بدليل ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله
اف الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما
اخرجه الترمذى وابو داود وعن ابن الخطاب انه
قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين قال ان هذه السورة
فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطا وذهب قوم
الى ان في الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه سجدة
وهو قول الحسن وسعد بن المسيب وسعيد بن جبير
وسفيان الثورى وابو حنيفة ومالك بدليل انه قرن
السجود التلاوة فذهب الشافعي واحمد واكثر اهل
العلم انها اربعة عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج
سجدتان واسقط السرهوى قال ابو حنيفة في الحج سجدة
واثبت السجدة السرهوي قال احمد في احدى الروايتين
عنه فعنده ان السجدات خمسة عشرة سجدة
وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى
ذلك عن ابى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك
فعلى هذا ان يكون السجود القرآن احدى عشر سجدة
يدل عليه ما روى عنه ابن الدرداء رضى الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في القرآن احدى عشر سجدة
اخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال في
القرآن خمسة عشر ما روى عن عمرو بن العاص قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر سجدة
في القرآن منها ثلاثة في المفصل وفي سورة الحج سجدتان
اخرجه ابو داود وصح حديث ابي هريرة رضى الله عنه

قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا واذا السما انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقاري والمستمع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفه هو واجب قوله عز وجل وجاهدوا في الله حق جهاده اي جاهدوا في سبيل الله اعدا الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ ه الطاقه فيه قال ابن عباس وعنه انه قال لا تخافوا في الله لومة لايم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لايم فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين حق جهاده وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين حق الجهاد بنية صادقه خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد الاكبر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجعوا من غزوة تبوك قال ه رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس ه هو اكنتاكم اي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاي رتبة اعلى من هذا واي سعادة فوق هذا وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وشدة وهو ان المومن لا يبتلى بشيء من الذنوب الا جعل الله له منها مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصايب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد عبدا سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج ه

الاجعل ح

اذا

اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء واكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله على عباده وقيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهن احدا غيرهم جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرايل من الاصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة ملة ابيكم ابراهيم لانهم داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابا للامة كلها فكيف سماه ابا في قوله ملة ابيكم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فمعناه ان وجوب احترامه وحفظ حرمته يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وازواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد وفي قوله هو سماكم المسلمين من قبل قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله تعالى سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القران القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا فقوله وفي هذا اي في القران سماكم المسلمين ليكون الرسول شهيدا عليكم يوم القيامة ان قد بلغكم وتكونوا شهدا على الناس اي لتشهدوا يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغوهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله اي ثقوا به وتوكلوا عليه وصلوا تمسكوا بدين الله قال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل مكروه وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة هو مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير اي الناصر لكم والله سبحانه اعلم بمراده وكلامه

ما يكره

صر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

تفسير سورة المومنون وهي مكية

وهي مائة وثمانية عشر اية والف وثمنمائة واربعون كلمة واربعة الاف وثمنمائة وحرفان بسم الله الرحمن الرحيم عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرا قد افلح المومنون الي عشر ايات من اولها وقال من اقام هذه العشر ايات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي قوله عز وجل قد افلح المومنون قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد ويفوز في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة الذين هم في صلاتهم خاشعون قال ابن عباس مخبتون اذلاء وقيل خائفون وقيل خواشع متواضعون وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين افعال القلب والجوارح وهو الاولي فالخاشع في صلاته لابد وان يحصل له الخشوع في جميع جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فهو نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الي شيء سوي ذلك التعظيم وما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الي موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من عن يمينه ولا من علي شماله ت عن عايشة قالت سالت رسول الله صلي عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس الاختطاف عن ابي ذر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا علي العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف وفي رواية

اعرض

اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الي السماء عن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الي السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتي قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الي السماء في الصلوات فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بابصارهم الي مواضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة روي ان النبي صلي الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن ابي ذر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الي الصلاة فلا يمسح الحصي فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوي الله والتدبر بما يخرج علي لسانه من القراة والذكر قوله تعالي والذين هم عن اللغو معرضون قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يحمل من القول والفعل وقيل معارضة المكاء بالشتم والسب والذين هم للزكاة فاعلون اي الزكاة الواجبة مودون فعبر عن التادية بالفعل لانه فعل وقيل الزكاة ها هنا هو العمل الصالح والاول اولي والذين هم لفروجهم حافظون الفرج اسم لسوءة الرجل والمراة وحفظه التعفف عن الحرام الا علي ازواجهم علي بمعني من او ما ملكت ايمانهم يعني الاماء والجواري والاية في الرجال خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها فانهم غير ملومين يعني من يحفظ فرجه الا من امراته وامته فانه لا يلام علي ذلك وانما يلام فيما اذا كان علي وجه يخالف ما اذن فيه الشرع دون الاثبات في غير المانع وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور ولا يجوز ومن فعله فهو ملوم

عمن اتقى وراء ذلك اي التمس وطلب سوى الازواج والولايد وهن
الجواري المملوكة فاولئك هم العادون اي الظالمون المجاوزون من الحلال
الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء سيل
عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى
قاطن ايمم هولا وقال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون
بمذاكيرهم قوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
اي حافظون يحفظون ما ايتمنوا عليه والعهود التي عاقدوا الناس
عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف منها ما يكون بين
العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات
التي اوجبها الله على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين
العباد كالودايع والصنايع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به
ايضا والذين هم على صلاتهم يحافظون اي يديمون ويراعون
اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت
كيف كرر ذكر الصلاة اولا واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس
بتكرير اولا وصفهم بالخشوع في الصلاة واخرا بالمحافظة عليها قوله
تعالى اولئك يعني اهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون
منازل اهل النار من الجنة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل
في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك
قوله اولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى
الوراثة هو ان يؤل امرهم الى الجنة ويتالونها كما يؤل امر الميراث
الى الوارث الذين يرثون الفردوس هو اعلى الجنة عن عبادة
بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مايه
درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس
اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون

العرش فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي
هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون قوله عز وجل
ولقد خلقنا الانسان يعني ولد ادم لان الانسان اسم جنس
من سلالة من طين قال ابن عباس السلالة صفوة الماء قيل
المني لان النطفة تسيل من الظهر من طين يعني طين ادم لان
السلالة تولدت من طين خلق منه ادم وقيل المراد بالانسان
هو ادم وقوله من سلالة اي سل من كل تربة ثم جعلناه نطفة
يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة في قرار مكين اي حرز
وهو الرحم مكن وهي لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة
ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا
العلقة مضغة اي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم
فجعله كالكسوة له وقيل يعني كل خلق وخلق مده اربعين يوما
ثم انشاناه خلقا اخر اي ميا فيها للخلق الاول قال ابن عباس
هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعد ما كان جمادا او ناطقا
وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره
عجايب صنعه وغرايب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف
احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى الفطام والفيام
الى المشي الى العظام الاان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في
البلاد الى ما بعدها فتبارك الله اي استحق التعظيم والثنا بانه لم
يزل ولا يزال احسن الخالقين اي المصورين والمقدرين فان
قلت كيف الجمع بين هذه الاية وبين قول الله تعالى الله خالق
كل شي وقوله هل من خالق غير الله قلت الخالق له معان منها
الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير
كما قال الشاعر ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم

لايقوى معناه فقدر الامور وتقطعها وغيرك لايقدر ذلك فعلي
هذا يكون معنى الاية الله احسن المقدرين وجواب اخر وهو ان
عيسى عليه السلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله اني اخلق
لكم من الطين كهيئة الطير فقال فتبارك الله احسن الخالقين ثم
انكم بعد ذلك اي بعد ماذكر من تمام الخلق لميتون اي عند
انقضاء اجالكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون اي للحساب والجزا
قوله عز وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق اي سبع سموات
طرايق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرايق الملايكة
في الصعود والهبوط وماكنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم
حافظين من ان تسقط السما عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا
فوقهم سما اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ماتركناهم
سدا بغير امر ونهي وقيل معناه انما خلقنا السما فوقهم لتنزل
عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وماكنا عن الخلق
غافلين اي عن اعمالهم واقوالهم وضمايرهم لايخفى علينا خافية
وانزلنا من السما ما بقدر اي بعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل
بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وانواع
المنفعة فاسكناه في الارض يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات
مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل اسكناه
في الارض ثم اخرجنا منها ينابيع كالعيون والابار فكل ما في الارض
من الما وانا علي ذهاب به لقادرون وصح من حديث ابي
هريرة انه رسول الله صلي الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله انزل من الجنة خمسة انهار
سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله من عين
واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجها فيها علي

جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل
فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه
في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل
فترفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت
ومقام ابراهيم وتابوت موسي بما فيه وهذه الانهار الخمسة
فيرفع كل ذلك الى السما فذلك قوله وانا علي ذهاب به لقادرون
فاذا رفعت هذه الاشيا كلها من الارض فقد اهلها خير الدين
والدنيا روي هذا الحديث الامام الحسن ابن سفيان ابن عثمان
ابن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن
مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس
ثم ذكر ما انبت بالما فقال تعالى فانشانا لكم به اي بالما جنات
اي بساتين من نخيل واعناب انما افردهما لكثرة منافعهما
فانهما يتعوضان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا ولكم
فيها اي في الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون اي مشتا وصيفا
وشجرة اي وانشانا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سينا
اي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل
بالحبشية وقيل هو بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار
وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمي سينا وسينين وقيل هو
من السنا وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسي بين
مصر وايله وقيل هو جبل فلسطين وقيل هو سينا اسم جامع
بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي
فيه هذا الجبل تنبت بالدهن اي تنبت وفيها الدهن وقيل
تنبت بثمر الدهن وهو الزيت وصبغ للاكلين الصبغ الادام
الذي يكون معه الخبز ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المبارة
ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون

لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون
وقيل ان اول شجرة نبتت الزيتون تبقى في الارض نحو ثلاثة الاف
سنة قوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها
اي من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص في الضرع من بين
فرث ودم باذن الله ليس فيه منهما شيء فيستحيل الى الطهارة
والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذا وقد تقدم بسط الكلام
بما فيه كفاية في تفسير سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها
تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها
بعد الذبح فللاكل وعليها اي على الانعام وهي الابل وعلى الفلك
تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر قوله تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اي ما لكم معبود سواه افلا تتقون اي فلا تخافون
عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملا الذين كفروا من قومه
ما هذا الا بشر مثلكم اي ادمي مثلكم مشاركم لكم في جميع الامور
يريد ان يتفضل عليكم اي انه يحب الشرف والرياسة فيصير
متبوعا وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يعني بابلاغ الوحي
ما سمعنا بهذا اي الذي يدعونا اليه نوح في ابائنا الاولين ان
هو الا رجل به جنة اي جنون فتربصوا به حتى حين اي الى
الموت فتستريح منه قال رب انصرني بما كذبون اي اعني
باهلاكهم بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
اي بحمراي منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا ليلا يتعرض
له ولا يفسد عليه عمله ووحينا قيل ان جبريل علمه عمل السفينة
ووصف له كيفيه اتخاذها فاذا جاء امرنا اي عذابنا وفار التنور
قيل هو التنور الذي تخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو
وجه الارض والمعنى انك اذا رايت الماء نبع من التنور فاسلك

فيها اي فادخل في السفينة من كل زوجين اثنين اي من
كل حيوان ذكر وانثى واهلك اي وسايرمن امنت بك الا من
سبق عليه القول اي وجب عليه العذاب منهم يعني الكفار
وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول
منهم هو ابنه كنعان ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون قوله عز وجل فاذا استويت اي اعتدلت انت
ومن معك على الفلك اي في السفينة فقل الحمد لله الذي نجانا
من القوم الظالمين اي الكافرين وقل رب انزلني منزلا مباركا
قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه
الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة من الغرق
وكثرة النسل بعد الاخ وانت خير المنزلين معناه انه قد يكون
الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير
المنزلين لان لحفظ من انزله ويكلاوه في سايراحواله ويدفع
عنه المكاره بخلاف منزل الصنف فانه لا يقدر على ذلك ان في
ذلك اي الذي ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعدا الله لايات
اي دلالات على قدرتنا وان كنا اي وما كنا لمبتلين اي لمختبرين
اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل
نزول العذاب بهم قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد
اهلاكهم قرنا اخرين يعني عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم
يعني هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح
والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي
هذه الطريقة التي انتم عليها محاقة العذاب وقال الملا الذين
كفروا من قومه وكذبوا بلقا الاخرة اي بالمصير اليها واترفناهم
اي بنعمنا ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر
مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون اي من

مبشرو بكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي لمغبونون
ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم
احياهيهات هيهات قال ابن عباس اي بعيد بعيد لما توعدون
استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغمالا منهم للتفكر في بدو امرهم
وقدرة الله على ايجادهم واراد بهذا الاستبعاد انه لا يكون
ابدا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا قيل معناه نحيى ونموت
لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الاباء ويحيى الابناء
وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم وما نحن بمبعوثين اي
بعد الموت ان هو يعني ما رسولهم الا رجل افترى على الله
كذبا وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين في البعث بعد الموت
قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن اي ليصيرن
نادمين على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق اي
بعين صيحة العذاب قيل صاح بهم جبريل فقصد عن حنيش
قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك فجعلناهم غثاء هو ما يحمله
السيل من خشب وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى
فيبسوا ييبس الغثاء من نبات الارض فبعدا اي الزما بعدا من
الرحمة للقوم الظالمين قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم
قرونا اخرين اي اقواما اخرين ما تسبق من امة اجلها اي
وقت هلاكها وما يستاخرون اي عن وقت هلاكهم ثم ارسلنا
رسلنا تترا اي متواترين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين
لين بين كل رسولين زمنا طويلا كلما جاء امة رسولها كذبوه
فاتبعنا بعضهم بعضا اي بالهلاك فاهلكنا بعضهم في اثر بعض
وجعلناهم احاديث اي سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم
بامرهم وشانهم فبعدا للقوم لا يؤمنون قوله تعالى ثم ارسلنا
موسى واخاه هارون بايتنا وسلطان مبين اي حجة بينة كالعصا

وغيرها الى فرعون وملايه فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان
وكانوا قوما عالين اي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم فقالوا ايبني
لفرعون وقومه انؤمن لبشرين مثلنا يعنون موسى وهارون
وقومهما لنا عابدون اي مطيعون منذللون فكذبوهما فكانوا
من المهلكين اي المغرقين ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة
لعلهم يهتدون اي لكي يهتدوا به قومه قوله تعالى وجعلنا
ابن مريم وامه اية اي دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير
ذكر اوانطفه في المهد فان قلت لم قال اية ولم يقل ايتين فمعناه
جعلنا شانهما اية لان عيسى وجد من غير ذكر وكذلك مريم
ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الاية فكانت اية واحدة
واويناهما الى ربوة اي الى مكان مرتفع قيل هو مشق وقيل
هي الرملة وهي ارض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس
اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب
لايوائهما فرت بابنها اليها وقوله ذات قرار اي منبسطة واسعة
يستقر عليها ساكنوها ومعين اي الماء الجاري الذي تراه العيون
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد بالرسل محمدا
صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد به عيسى عليه الصلاة والسلام
وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلالات واعملوا صالحا
اي استقيموا على ما يوجبه الشرع اني بما تعملون عليم فيه
تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شانهم
كذلك فما ظنك بكون تحذيرا لغيرهم اولا ما روي عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله طيب لا يقبل الا طيبا
وان الله تعالى امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب

قال كعب بيت المقدس سمي

ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي
بالحرام فاني يستجاب لذلك اخرجه مسلم وان هذه
امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها امة واحدة اي ملة
واحدة وهي الاسلام وانا ربكم فاتقون اي فاحذروني وقيل
معناه امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم فامرهم واحد وانا ربكم
فاتقون فتقطعوا اي تفرقوا فصاروا فرقا يهود او نصارى
ومجوس وغير ذلك من الاديان المختلفة امرهم اي دينهم
بينهم زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا اي كتبا اي
تمسك كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا بما سواه من الكتب
كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون معجبون بما
عندهم من الدين فذرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في غمرتهم قال ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل في
عمايتهم وغفلتهم حتى حين الى ان يموتوا الحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين اي ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال
والبنين في الدنيا نسارع لهم في الخيرات اي نجعل لهم ذلك في
الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لما رضائنا عنهم بل لا يشعرون
ان ذلك الاستدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والمعنى ان المؤمنين
بما هم عليه من خشية الله تعالى خائفون من عقابه وقال
الحسن البصري المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة
وامنا والذين هم بايات ربهم يؤمنون اي يصدقون والذين
هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون
ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا
من اعمال البر وقلوبهم وجلة اي خائفة ان ذلك لا ينجيهم من
عذاب الله وان اعمالهم لا تقبل منهم انهم الى ربهم راجعون

اي

93

اي انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا
والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم عن
عايشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصد
ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ان لا يقبل
منهم اولئك يسارعون في الخيرات اخرجه الترمذي قوله
تعالى اولئك يسارعون في الخيرات اي يبادرون الى الاعمال
الصالحة وهم لها سابقون اي اليها وقال ابن عباس سبقت
لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله تعالى
ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها من الاعمال فمن لا يستطيع
القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض
ولدينا كتاب هو اللوح المحفوظ ينطق بالحق اي ببيان الصدق
والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به
وبينة وقيل هو كتب اعمال العباد التي تكتبها الحفظة وهم لا يظلمون
اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار
فقال تعالى بل قلوبهم في غمرة اي في غفلة وجهالة من هذا
اي القرآن ولهم اعمال اي الكفار اعمال خبيثة من المعاصي والخطا
محكومة عليهم من دون ذلك يعني من دون اعمال المؤمنين
التي ذكرها الله تعالى في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
هم يعني الكفار لها اي لتلك الاعمال الخبيثة عاملون اي لا بد لهم
من ان يعملوها فيدخلوها النار لما سبقت لهم في الازل من الشقاوة
حتى اذا اخذنا مترفيهم اي رؤساءهم واغنياءهم بالعذاب قال
ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنينا كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الكلب

يا

والجثي اذا هم يجارون اي يضجون ويستغيثون ويجزعون لا تجاروا
اليوم اي لا تجزعوا ولا تضجوا انكم منا لا تنصرون اي لا تمنعون منا
ولا ينفعكم نضرعكم فقد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران فكنتم على
اعقابكم تنكصون اي ترجعون القهقري وتتاخرون عن الايمان
مستكبرين به قال ابن عباس اي بالبيت الحرام عن غير مذكور اي
متعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن اهل حرم الله وجيران
بيته فلا يظهر احد علينا ولا نخاف احدا فيامنون فيه وساير الناس
في الخوف وقيل مستكبرين به اي بالقران فلم يومنوا به والقول الاول
اظهر سامرا يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة
سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه
وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى تهجرون من الاهجار
وهو الافحاش في القول وقيل في معنى تهجرون اي تعرضون
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقران وقيل هو
من الهجر وهو القول القبيح اي تهجرون وتقولون ما لا تعلمون افلم
يدبروا القول يعني يتدبروا ما جاءهم من القران فيعتبروا
بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه
وسلم ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين يعني فانكروا وايريد انا
قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذبك بعثنا محمدا صلى الله
عليه وسلم ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قال ابن عباس
اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه
وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على
الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة ام يقولون به جنة
اي جنون وليس هو كذلك بل جاءهم بالحق اي بالصدق والقول
الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل والحق هو الله تعالى والمعنى
قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم قيل الحق هو الله تعالى والمعنى

ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل ولو سمى لنفسه شريكا وولدا كما
يقولون وقيل الحق هو القران اي لو نزل بسبب الحجوب وبما يعتقدون
لفسدت السموات والارض ومن فيهن اي لفسد العالم بل اتيناهم
بذكرهم قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القران فهم
عن ذكرهم اي شرفهم معرضون ام تسالهم اي على ما جيتهم
به خرجا اي اجرا وجعلا فخراج ربك خير اي ما يعطيك الله في دنياك
وثوابه خير وهو خير الرازقين فقد مر تفسيره وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم الى دين الاسلام وان الذين لا يومنون بالاخرة عن
الصراط اي عن دين الحق لناكبون اي لعادلون عنه ومايلون
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدوبة للجوا
طغيانهم يعمهون يعني لتمادوا في طغيانهم يعمهون اي لم يتزعوا
عنه ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط
فاتوا سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم
الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا العذ
والعظام واشكى اليه الضر فادعا الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعا
فانكشف عنهم فانزل الله هذه الاية فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا
وما ذلوا وما يتضرعون اي لم يتضرعوا لربهم بل مضوا على تمردهم
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعني
القتل يوم بدر وقيل هو الجوع وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه
مبلسون اي ايسون من كل خير قوله تعالى وهو الذي انشا لكم السمع
والابصار والافيدة اي لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا بها قليلا ما
تشكرون اي لم تشكروا هذه النعم وهو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم
واليه تحشرون اي تبعثون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار اي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل

جعلهما مختلفين بيتعاقبان ومختلفان في السواد والبياض افلا
تعقلون اي ما ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال
الاولون معناه اي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه انكروا البعث
مثل ما انكر والاولون مع وضوح الادلة قالوا ايذا امتنا وكنا ترابا
وعظاما ايئا لمبعوثون اي لمحشورون قالوا ذلك علي طريق
الاستهزاء والانكار والتعجب لقد وعدنا اي لحن هذا الوعد
وابائنا هذا من قبل اي وعد ابائنا قوم ذكروا انهم رسل
الله فلم يرله حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين
قوله تعالي قل اي يا محمد لاهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق
ان كنتم تعلمون اي خالقها ومالكها سيقولون لله اي لابد لهم
من ذلك انهم يقرون انها مخلوقة لله قل اذا اقروا بذلك افلا تذكرون
اي فتعلمون ان من قدر علي خلق الارض وما فيها ابتدا بقدر
علي احيائهم بعد الموت قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون اي عبادة غيره وقيل معناه
افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت اي ملك كل شي وهو
يجير اي يومن من يشا ولا يجار عليه اي لا يومن من اخافه الله
وقيل يمنع هو من يشا من السوء ولا يمتنع منه من اراده بسوء ان
كنتم تعلمون اي فاجيبوا سيقولون لله قل فاني تسحرون اي
فاني تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يحيل لكم
الحق باطلا بل اتيناهم بالحق اي بالصدق وانهم لكاذبون
اي فيما يدعون من الشرك والولد ما اتخذ الله من ولد وما كان
معه من اله اي من شريك اذا لذهب كل اله بما خلق اي لانفرد
كل واحد من الالهية بخلقه الذي خلقه ولم يرض ان يضاف
خلقه وانعامه الي غيره ومنع كل اله الاخر عن الاستيلاء علي ما خلقه
هو ولعلي بعضهم علي بعض اي طلب بعضهم مغالبة بعض

كتمل

فتعل ملوك الدنيا بينهم واذا كان كذلك فاعلموا انه الواحد بيده
ملكوت كل شي ويقدر علي كل شي تنزيه نفسه فقال عزوجل سبحان
الله عما يصفون اي من اثبات الولد والشريك عالم الغيب والشهادة
تعالي عما يشركون اي تنزه من ان يوصف بما لا يليق به قوله عزوجل
قل رب اما تريني ما يوعدون اي ما وعد ثم من العذاب رب اي
يارب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي لا تهلكني بهلاكهم وانا علي
ان تريك ما نعدهم اي من العذاب لقادرون قوله عزوجل ادفع
بالتي هي احسن اي بالخلة التي هي احسن وهي الصفح والاعراض والصبر
السيئة تعني اذاهم امره بالصبر علي اذي المشركين والكف عن المقاتلة ثم
نسخها باية السيف قوله عزوجل لخن اعلم بما يصفون اي بكذبون
ويقولون من الشرك قوله عزوجل وقل رب اعوذ بك اي امتنع
واعتصم بك من همزات الشياطين قال ابن عباس تزغاتهم وقيل
وساوسهم وقيل نخسهم ونفثهم ونفخهم يالاغواء الي المعاصي
واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شي من اموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له عن جبير بن مطعم
انه راي النبي صلي الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري
اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان
الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه
قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة اخرجه ابوداود وقد
مر في تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث وتزيده ايضاحا قوله
نفثه الشعر لان الشعر يخرج من القلب فليقط به اللسان وينفثه كما
ينفث الريق وقوله ونفخه وذلك ان المتكبر ينتفخ وينتعاظم ويجمع نفسه
فيحتاج الي ان ينفخ وقوله وهمزة الموتة والموتة الجنون لان المجنون
يتنفخه الشيطان ثم اخبر الله تعالي ان هولا الكفار الذين ينكرون
البعث يسالون الرجعة الي الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالي

حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون قيل المراد الله وهو
على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه
التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملايكة الذين يقبضون روحه فعلى
هذا يكون استغاثة بالله او لا تقرر رجوعا الى مسيلة الملايكة الرجوع
الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم وكانه قال عند المعاينة لحق الله
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت وقيل تركت
خلفت من التركة والمعنى اقول لا اله الا الله واعمل بطاعته فيدخل
فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى الدنيا
الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى
ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرا عمل فيما تمناه الكافر واذا
راى العذاب كلا كلمة ردع وزجر اي لا يرجع اليها انما يقيف سوالة
الرجعة كلمة هو قايلها اي لا يبالها ومن ورايهم برزخ اي امامهم
وبين ايديهم حاجزا الى يوم يبعثون ومعناه بينهم وبين
الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم
يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم
البعث الا الى الاخرة قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب
بينهم قال ابن عباس وهي النفخة الثانية نفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم يومئذ ولا هم
يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال
يوخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين
والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق
فليات الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده
او زوجته او اخيه فياخذ منهم ثم قرا ابن مسعود فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة

الثانية

الثانية فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ
كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سوا تواصل كانوا
كما يتساءلون في الدنيا تعني انت ومن اي قبيلة انت ولم يريد ان
الانساب تنقطع فان قلت قد قال ها هنا ولا يتساءلون وقال
في موضع اخر وقال اقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت
قال ابن عباس ان للقيامة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد
عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساءل فلا يتساءلون
وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون قوله عز وجل فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا اي غبنوا انفسهم في جهنم خالدون تلفح
تشوي وقيل تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون اي عابسون
وقد بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالراس المشوط على
النار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها
كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح غريب قوله تعالى الم تكن اياتي تتلى
عليكم يعني قوارع القران وزواجره تخوفون بها فكنتم بها
تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اي الذي كتب علينا
فلم نهتد وكنا قوما ضالين اي عن الهدى ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون قال اخسوا فيها اي ابعدوا فيها كما
يقال للكلب اذا طردته اخسا ولا تكلمون اي في رفع العذاب فاني
لا ارفعه عنكم فعند ذلك ايس المساكين من الفرج وقال الحسن
هو اخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير
والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن
عبد الله بن عمران اهل جهنم يدعون مالكا فاذا جاوز جهنم اربعين

عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا نجيبهم ثم يقولون انكم ماكثون ثم
ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم
مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فما يئس
القوم بعد ذلك بكلمة الا ان كان الزفير والشهيق ذكره البغوي
بغير سند واخرجه الترمذي بمعناه عن ابي الدرداء قوله فيما
يئس القوم بكلمة بعد ذلك اي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا
قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاهم واقبل بعضهم ببعض
في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم انه كان فريق من عبادي
يعني المؤمنين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين فاتخذتموهم سخريا يعني تسخرون منهم وتستهزؤن
بهم حتى انسوكم ذكري اي حتى اشتغالكم بالاستهزاء
بهم ولنتم منهم تضحكون نزلت في كفار قريش كانوا يستهزؤن
بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وصهيب
وعمار وخباب رضي الله عنهم ثم قال تعالى اني جزيتهم اليوم
بما صبروا اي على اذاكم واستهزائكم في الدنيا انهم هم الفائزون
اي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال تعالى الله قال للكفار يوم
البعث كم لبثتم في الارض اي في الدنيا وفي القبور عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم معناه انهم نسوا مدة لبثهم في
الدنيا لعظم ما هم فيه من العذاب فسأل العادين يعني
الملائكة الذين يحفظون اعمال بني ادم ويحصونها عليهم قال ان
لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم في الدنيا الا قليلا سماه قليلا لان الواحد
وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الاخرة
لو انكم كنتم تعلمون اي قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل افحسبتم
انما خلقناكم عبثا اي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه
لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم

للعبادة

للعبادة واقامة اوامر الله تعالى وانكم الينا لا ترجعون اي في دار
الاخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن خنيس ان رجلا مصابا
مر به علي ابن مسعود فرقاه في اذنه الخبيثة انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرئ فقال النبي صلى
الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه فاخبره فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قرأها
على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون
فقال تعالى فتعالى الله الملك الحق اي هو التام الملك الجامع
لاصناف المملوكات لا اله الا هو رب العرش الكريم اي الحسن
وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اي لا حجة ولا بينة
له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا
حجة في دعوى الشرك فانما حسابه اي جزاؤه عند ربه اي
موجب جزائه يعمله انه لا يفلح الكافرون اي لا يسعد من جحد وكذ
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين والله اعلم بالصواب

ب

كتابه تفسير سورة النور وهي مدنية وهي
اثنان وقيل اربع وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
سورة انزلناها وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام
والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل
اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وانزلنا فيها
ايات بينات اي واضحات لعلكم تذكرون اي تتعظون
قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة الزنى هو الكبائر وموجب الحد وهو الايلاج فرج في فرج
مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد
العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم ويجب على العبد

ن

والامة نصف الحد ولا رجم عليها لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا
اي فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا تضرب حيث
يبلغ الالم كل واحد منهما اي الزاني والزانية مائة جلدة وقد
وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال
ابو حنيفة التغريب الى رأي الامام وقال مالك يجلد الرجل
مائة جلدة ويغرب ويجلد المراة ولا تغرب وان كانا غير
محصنين فعليه الرجم ولا تاخذكم بهما رافة اي رحمة ورقة
فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة
وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرافة
ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن
المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والغربة
اي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا
ويخفف دون ذلك في حد الشرب في دين الله اي في حكم الله تعالى
روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب
ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين
الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت
فارجعت ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
معناه ان المؤمن لا تاخذه الرافة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب
التهييج والتهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم
تؤمنون فلا تكفروا اقامة الحد ودليشهد اي وليحضر عذابهما
اي حدهما اذا اقيم عليهما طائفة اي نفر من المؤمنين قيل
اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل
اربعة بعد شهود الزنا قوله عز وجل الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك
على المؤمنين اختلف العلماء في معنى الاية وحكمها فقال قوم

فقوم

98

قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي
المدينة نساء بغايا لهن اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء
المسلمين في نكاحهن ليستغنوا عليهم فاستاذنوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية فحرم على المسلمين ان ينزوا
بتلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة
والزهري والشعبي وراية عن ابن عباس وقال ابن عباس
نزلت بسبب كائن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام
مهزول جارية السايب بن ابي السايب المخزومي وكان في
الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين
نكاحهن على هذه الصفة فاستاذن رجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واستاذن ان تنفق عليه
فانزل الله عز وجل هذه الاية روى عن عمرو ابن شعيب عن
ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن مرثد الغنوي
وكان يحمل الاساري من مكة حتى ياتي بهم المدينة وكانت
بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما اتى
مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت
فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا
فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيا فنزلت الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعا
فقراها علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي والنسائي وابو
داود ورد بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هو لا كان التحريم خاصا
في حق اولئك دون سايرالناس وقال قوم المراد من النكاح هو
الجماع ومعنى الاية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية
لا تزني الا بزان او مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك

حوا

في

وروايه عن ابن عباس قال يزيد بن هارون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان بن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الاية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بعد هذه الاية ثم نسخت بقوله وانكحوا الايامى منكم قد دخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر انه رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا ورد هذا الحديث ابو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه احد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة في زنا وحرض ان يجمع بينهما قال ابو العلاء وقيل في معنى الاية ان الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء انما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله او مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء من الرجال انما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها او مشرك وحرم ذلك على المومنين اي صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفايف فهذا يحرم على المومنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية قوله تعالى والذين يرمون اي يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرايب العفايف ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي يشهدون على الزنا فاجلدوهم ثمانين جلدة بيان حكم الاية قال ان من قذف محصنا او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا وان كان عبدا فجلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرا

وشرايط الاحصان خمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا واقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان القاذف انما اوجب عليه التوبة وقد ثبت صدقه واما الكناية مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر او يا خبيث او يا مواجر او قال امراتي لا ترد يد لامس فهد او نحوه لا يكون قذفا الا ان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انا اما زنيت او ليس امراتي زانية فليس بقذف عند الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون فيه دليل على ان القذف من الكباير لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة وقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثنا فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقال هذا الاستثنا يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وطاووس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثنا يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي قالوا بنفس القذف

لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شرمنه حين
يحد لان حدود الفرية كفارات فكيف ترد ونهاني احسن حالية وتقبلوها
في شر حالية وذهب الشعبي الي ان حد القذف تسقط بالتوبة وقال
الاستثنا يرجع الي الكل وعامة العلما علي انه لا يسقط الحد بالتوبة الا
ان يعفوا عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط
بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا
قلت معنى ابدا ما دام مصرا علي القذف لان ابد كل انسان مدة يليق
ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل ابدا يراد بذلك ما دام علي كفره
فاذا اسلم قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون اي يقذفون
ازواجهم ولم يكن لهم شهدا اي يشهدون علي صحة ما قالوا
الا انفسهم اي غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
انه لمن الصادقين سبب نزول هذه الاية ما روي عن سهل ابن
سعد الساعدي ان عويمر العجلاني جا الي عاصم ابن عدي فقال
لعاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فيقتلونه
ام كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فسال
عاصم رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلي
الله عليه وسلم المسايل وعابها حتي كبر علي عاصم ما سمع من رسول
الله صلي الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الي اهله جا عويمر فقال له
يا عاصم ما ذا قال لك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر
لم تاتني بخير قد كره رسول الله صلي الله عليه وسلم المسالة التي
سالت عنها فقال عويمر والله لا انتهي حتي اسيل عنها فجا عويمر
ورسول الله صلي الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله
ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فيقتلونه ام كيف يفعل
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك
فاذهب فات بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول

الله صلي الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت
عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامره رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال ما لك قال بن شهاب فكانت تلك سنة
المتلاعنين اخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم انظروا ان جات به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين
خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جات
به احيمر كانه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجات
به علي النعت الذي نعت رسول الله صلي الله عليه وسلم من تصديق
عويمر فكان بعد ينسب الي امه قوله اسحم اي اسود والادعج
الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين اي ممتلي
الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحا وبيه كالعضاة
تلصق بالارض واراد بها في الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن
عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلي الله عليه
وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلي الله عليه وسلم البينة او
حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راحدنا علي امراته رجل
ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلي الله عليه وسلم يقول البينة
والا حد في ظهرك فقال هلال بن امية والذي بعثك بالحق نبيا اني
لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه
السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتي بلغ
ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلي الله عليه وسلم فارسل
اليهما فجا فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلي الله عليه وسلم
يقول الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت
فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس
فتلكات ونكصت حتي ظنا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير
اليوم فمضت فقال النبي صلي الله عليه وسلم انظروها فان جات

به الحل العسيلي سابع الاليتين حدج الساقين فهو شريك
بن سحماء بدكذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شان وفي رواية
غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون
ازواجهم المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت
لكاع وقد تخذها رجل لم يكن لي ان اهيجها اتي باربعة
شهد حوالله ما كنت لاتي باربعة حتى يقضي حاجته
حلدته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار
الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل
غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له
واجترا رجل ان يتزوجها قال سعد يا رسول الله
باني انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها
حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبر الله قال النبي صلى
الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذلك فقال صدق
الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له
يقال له هلال بن امية من حديقة له فراى رجلا مع
امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال
يا رسول الله اني جئت الى اهلي عشا فوجدت مع امراتي رجلا
رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اتاه به واشتد عليه حتى عرف ذلك في وجهه
فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في
وجهك مما اشتكيت به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا
حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم بضربه فقال والذي بعثك بالحق اني لصادق
ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فانزل الله
عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ انزل عليه الوحي فامسك
اصحابه عن كلامه حتى عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل
الله والذين يرمون ازواجهم الى اخر الايات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا
فقال قد كنت ارجو ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا
اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
ذلك بيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان
احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يا رسول الله قد صدقت وما
قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل
لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال
له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من
عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه
الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله
لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشهد والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فقال لها عند الخامسة وقفها انتي الله ان الخامسة
موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات ساعة
وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا
يرمي ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي

قيل فيه فجات به غلاما كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان
اميرا بمصر لابي بكري من ابوه وروي ابن عباس ان عويمرا لما
لاعن زوجته خولة امره رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي
الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد
بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد
بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة
اشهد بالله انها الحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في
الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن
الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر ان كان
ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود فقال لخولة قومي
فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين
ثم قالت في الثانية اشهد بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه
لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه
لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني قط على
فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على
خولة يعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي فيها
امر ها راي ثم قال لحيثوا الولادة فان جات به اصيهب اسيبج
يضرب الى السواد فهو لشريك ابن سحما وان جات به اورق
جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لعويمر الذي رميت به قال ابن عباس
فجات به باشبه خلق بشريك بيان حكم الاية وذلك ان الرجال اذا
قذفوا زوجته فموجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليها
ان كانت محصنة الرجم او التقدير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج
منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا او اجنبية يقام عليه الحد الا ان
ياتي باربعة يشهدون بالزنا او يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه

الحد

الحد في الزوجة اذا وجد احد هذين الامرين اولا عن سقط
عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل
اذا رأى مع زوجته رجلا ورما يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر
على العار فجعل الله اللعان مخرجا له على صدقه فقال تعالى فشهادة
احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة
على زناها او اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان
يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا اراد الامام
ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول
قل اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا
وان كان قد رماها برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه
الامام وان كان ولد او حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد او
هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله
ان كنت لمن الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتا بكلمة من
كلمات اللعان من غير تلقين الامام لاحب فاذا فرغ الرجل
من اللعان وقعة الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التابيد
وانتفا عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة حد الزنا
فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج قوله عز وجل ويدرؤا
عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان
من الصادقين وحكم الاية ان الزوج اذا لاعن لزوجه وجب على
المراة حد الزنا فان ارادة اسقاطه عن نفسها فانما تلاعن فتقوم
وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به ويقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي
من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الى هذا الحكم الواحد
وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها

باللعان وعند اصحاب الراي لاحد علي من قذف زوجته بل
موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتي يلاعن فاذا لاعن الزوج
وامتنعت المراة حبست حتي تلاعن وعند الاخرين اللعان
حجة صدقة والقاذف اذا اقعد عن اقامة البينة علي صدقة ـ
لايحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا اقعد عن اقامة البينة وعند
ابي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة و نفي النسب وهما الاحلال
الا بلعان الزوجين جميعا وقضي القاضي وفرقة اللعان فرقة
فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتي
لو اكذب الزوج نفسه بعد ذلك فيما عليه لايحله ويلزمه الحد ـ
ويلحقه الولد لكن لابد مع تاييد التحريم وعند ابي حنيفة فرقة ـ
اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب نفسه جازله ان ينكحها واذا
اتي ببعض كلمات اللعان لاينعقد به الحكم وعند ابي حنيفة اذا
اتي باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح
لعانه حرا كان اوعبدا مسلما كان اوذميا وهو قول سعيد بن
المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري
والشافعي واكثر اهل العلم وقال الزهري والاوزاعي واصحاب الراي
لايجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان
احد الزوجين رقيقا اوذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما
وظاهر القران انه حجة لمن قال تجري اللعان بينهما لان الله
تعالي قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد
والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نايبه ويتلفظ
اللعان باربعة اشيا بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان
يكون بمحضر جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب و
تجوز الاخلال بشي منها واما المكان فهو ان يلاعن في اشرف
الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة

فعند

فعند منبر النبي صلي الله عليه وسلم وفي سايرالبلاد في الجامع
عند المنبر واما الزمان فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع
فاقله اربعة والتلفيظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما
وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله تعالي
ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر
عليكم ودفع عنكم الحد واللعان وان الله تواب اي يعود علي
من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم اي فيما فرض من الحدود
قوله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم الايات
سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدثني عروة
ابن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله
بن عتبة بن مسعود عن عايشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم
حين قال لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طايفة من
حديثها وبعضهم كان اوعي لحديثها من بعض واثبت له
اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني
عن عايشة بعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عايشة
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه
فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلي الله عليه وسلم
قالت عايشة فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت
مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل
في هودج وانزل فيه فسرنا حتي فرغ رسول الله صلي الله عليه
وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن
ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتي جاوزت
الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الي رحلي فلمست صدري
فاذا عقد لي من جزع اظفار قد انقطع فرجعت فالتمست
عقدي فحبسني ابتغاوه قالت واقبل الرهط الذين كانوا

برحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت
اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن
ولم يغشهن اللحم انما ياكل العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة
الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا
الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت
منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت به
وظننت انهم سيفتقدوني فيرجعون الي فبينا انا جالسة
في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي
ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند
منزلي فراى سواد انسان نايم فاتاني فعرفني حين راني
وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين
عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت
منه كلمة غير استرجاعه فهوا حتى اناخ راحلته فوطئ على
يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد
ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت
فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله
ابن ابي سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس
يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو
يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف
الذي ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم
ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت
فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا وكنا لا نخرج الى ليلا
الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر
العرب الاول في التبرز قبل الغائط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها
عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم ابن

المطلب

المطلب ابن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي
بكر الصديق وابنها مسطح ابن اثاثة ابن عباد ابن المطلب حين
فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت
تعس مسطح فقلت لها بيسس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا
فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قالت قلت وما قال فاخبرني
بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى
بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم وقال كيف
تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي قالت وانا اريد ان استيقن
الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت
ابوي فقلت لامي يا امتاه ماذا تحدث الناس به فقالت يا بنية
هوني عليك نفسك فوالله لقل ما كانت امراة قط وضيئة عند رجل
يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد
تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقى
لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث
الوحي ليستشيرهما في فراق اهله قال فاما اسامة فاشار عليه بما
يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال اسامة هم
اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي ابن ابي طالب فقال
يا رسول الله لم يضيق الله عليك والناس سواها كثير وسل الجارية
تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة
هل رايت فيها شيا يريبك قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ان
رايت منها امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن
تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي
سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من

يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في اهل بيتي
فوالله ما علمت علي اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه
الا خيرا وما كان يدخل علي اهلي الا معي فقالت فقام سعد بن
معاذ احد بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله انا والله اعذرك
منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج
امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج
وكان امرأ صالحا ولكن احتملته
الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمري والله لا تقتله ولا تقدر
على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ
فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمري والله لنقتلنه فانك منافق
تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا
ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت
وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل ببوم ثم بكيت ليلة المقبلة
لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل ببوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت
ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما
جالسين عندي وانا ابكي اذ استاذنت امرأة من الانصار فاذنت
لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل
قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء قالت فتشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة
فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت
المممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف
بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة وقلت لابي اجب

عني

عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال والله ما ادري
ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي
عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما ادري
ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة
السن لا اقرأ كثيرا من القرآن فقلت اني والله لقد علمت انكم سمعتم
ما تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت
لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن
اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله ما
اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ
اعلم اني بريئة والله يبرئني ببراءتي ولكن والله ما كنت
اظن ان ينزل في شاني وحي ولشاني في نفسي كان احقر
من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام
مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه صلى
الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر
منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي
انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لي يا عايشة احمدي
الله وفي رواية قال ابشري يا عايشة اما والله فقد برأك الله
فقالت لي امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
لا والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي فانزل الله
عز وجل ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم العشر الايات فلما
انزل الله هذا في براءتي قال ابو بكر الصديق وكان ينفق
على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح

شيا ابدا بعد ما قال لعايشة فانزل الله ولا يأتل اولوا الفضل منكم
الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر الصديق بلى والله اني لاحب ان
يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا انزعها
منه ابدا قالت عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال
زينب بنت جحش عن امري فقال يا زينب ما علمت ما رايت فقالت
يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا
قالت عايشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة
لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال بن شهاب فهذا
الذي بلغني من حديث هولا الرهط زاد في رواية قالت عايشة
والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي
نفسي بيده ما كشفت عن كنف انثى قالت ثم قتل بعد في سبيل
الله هذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين زاد
البخاري في رواية عن عروة عن عايشة والذي تولى كبره منهم
عبد الله بن ابي وقال عروة اخبرة انه كان يشاع ويتحدث
به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم رجل
من اهل الافك ايضا الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش في اناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال
الله تعالى قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها حسان
وتقول انه الذي قال فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم
وقال اخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عايشة
وعندها حسان ينشدها شعرا يسبب من ابيات فقال حصان
وزان ما تزن برية وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فقالت
له عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها انا تاذنين
له ان يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب

عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او
يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرح غريب الفاظ هذا
الحديث قوله وكلمهم حدثني طايفة اي قطعة من حديثها قوله
وكان اوعى اي احفظه قولها اذن اي اعلم بالرحيل قولها فقدت
عقدي من جزع اظفار وهو نوع من الخرز وهو الجيا في المعروف
قولها امر بعيلون اي لم يكثر لحمهن من السمن يثقلن قولها انما
يأكل العلقة من الطعام هو بضم العين اي البلغة من الطعام وهو
قدر ما يمسك الرمق قولها ليس بها منهم داع ولا مجيب اي ليس
بها احد لا من يدعوا ولا من يرد جوابا قولها فتيممت اي قصدت
قولها فعرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في
اخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير اخر الليل وبالتخفيف
سير الليل كله قوله باسترجاعه هو قول القايل انا لله وانا اليه
راجعون قولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها
موعرين في نحر الظهيرة الوعرة شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة اي
اوله قولها والناس يفيضون اي يخوضون ويتحدثون قولها
وهو يريبني يقال رابني الشي يريبني اي شككت فيه قوله و لا
ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اي الرفق بها واللطف
في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى نقهت اي
اي افقت من المرض والنواصع المواضع الخالية تقضي فيها
الحاجة من غايط وبول واصله المكان الخالي
والمرط كساي من طوف اوخز قولها نقس اي عثر وفي الدعا
على الانسان اي يسقط بوجهه قولها باهنتاه اي بلها كانها
تسبها الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقى اي لا يستطع وقول
بريرة ان رايت تعني النفي اي ما رايت منها امرا اغمصه بالصاد
المهملة اي اعيبه والراجت الشاة التي تالف البيت وتقيم به

الواسع

قوله صلي الله عليه وسلم من يعذرني اي من يقوم بعذري ان اناكافيته علي سوضيعه ان عاقبت او عافيت فلا يلومني علي ذلك قولها وكانت حسان بنت عمه من فخذه اي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية اي حملة الغضب والانفة والتعصب علي الجهل للقرابة قولها فتثاور الحيان اي ثار واو نهضوا للقتال والمحاصمة قولها فلم يزل يخفضهم اي يهون عليهم ويسكن قوله صلي الله عليه وسلم ان كنت المممت قيل هو من اللمم وهو صغاير الذنوب وقيل معناه مقاربة الذنب من غير فعل قولها قاص دمعي اي انقطع جريانه قولها ما رام اي ما برح من مكانه والبرح الشدة والكرب والجائحة الدرة وجمعها جمان قيل عنه اي كشف عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر عما لم اسمع ولم ابصر قولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله اي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف اي ستراني قوله ويستوشيه اي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عايشة حصان بفتح الحا يقال امراة حصان اي متعففة له حبيبة وزان اي ثابت ما ترني اي ترمي ولا تتهم بريبة اي بامر يريب الناس وتضبح غرثى اي جايعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا من فوجها فل عن مثل هذا الفعل وقول عايشة في حسان انه كان ينافح اي يقاتل ويخاصم عن الله ورسوله واما التغيير في قوله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم اي بالكذب والافك سوء الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عايشة كانت تستحق الثنا والمدح بما كانت عليه من

الحصانة

الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجا بالافك عصبة اي جماعة منكم اي عبد الله بن ابي سلول ومسطح بن اثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجت طلحة ابن عبيد الله فان قلت عبد الله بن ابي ابن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الي الايمان في الظاهر وقيل لقوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثه وحمنة بنت جحش كانوا من المومنين المخلصين لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك الخطاب لعايشة وصفوان وقيل لعايشة ولابويها وللنبي صلي الله عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله ياجر علي ذلك ويظهر براتكم ويشهد بكذب العصبة واوجب لهم الذم وهذا غايت الشرف والفضل لهم لكل امرئ منهم اي من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الاثم اي جزا ما اجترح من الذنب علي قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم اي تحمل معظمه وبدا بالخوض فيه واقام باشاعته وهو عبد الله بن ابي بن سلول منهم من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب النار في الاخرة روي ان النبي صلي الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين جلدة قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اي الحديث الكذب وقول اهل الكذب ظن المومنون والمومنات بانفسهم اي باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب علي المومنين اذا سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وعنيه سمانة للمومنين وقالوا هذا افك مبين اي كذب بين لا حقيقة له لولا اي هلا جاوا عليه اي علي ما رموا به باربعة شهدا اي يشهدون بذلك فان لم ياتوا بالشهدا

فاولئك عند الله اي في حكم الله هم الكاذبون وكذا من باب الزواجر قالت قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهدا ومن كذب فهو عند الله كاذب سواا تي بالشهدا اولم يات قلت قيل هذا في حق الذين رموا عايشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي وقيل معناه فاولئك عند الله في حكم الكاذبين قالت الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يات بالشهود يجب زجرهم قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا اني قضيت ان الفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان الترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تاخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول يلقى كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض ويقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه هينا اي وتظنون انه سهل لا اثم فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمه روي ان ام ايوب الانصاري قالت لابي ايوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عايشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس لم يعد الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات اي في الامر والنهي والله عليم اي بامر عايشة وصفوان

حكيم بسرائرهما قوله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي تظهر ويذاع في الذين امنوا قيل الاية مخصوصة بمن قذف عايشة والمراد بالذين امنوا عايشة وصفوان وقيل الاية على العموم فكل من احب ان تشيع الفاحشة او تظهر على احد فهو داخل في حكم هذه الاية والمراد بالذين امنوا جميع المومنين لهم عذاب اليم في الدنيا يعني الحد والذم على فعله والاخرة اي وفي الاخرة لهم النار والله يعلم اي كذبهم وبراة عايشة وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت ورحمته وان الله رءوف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر اي بالقبايح من الاقوال والافعال ولكما يكره الله عز وجل والاية عامة في حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي ما طهر ولا صلح والاية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح امره من بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة احد منكم ابدا والله سميع اي لاقوالهم عليم اي بما في قلوبهم قوله عز وجل ولا ياتل اي ولا يحلف الالية وهي القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني النبي يعني ابا بكر الصديق ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في

سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة
ابي بكر الصديق حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه
الاية وليعفوا وليصفحوا ابي عن خوض مسطح في امر عايشة الا
تحبون لمخاطب ابي بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما
قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ابو بكر قال ابو بكر بلي انا احب
ان يغفر الله لي ورجع الي مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال
والله لا انزعها عنه ابدا وفي الاية دليل علي فضل ابي بكر الصديق
لان الفضل المذكور في الاية ذكره الله تعالي في معرض المدح
وذكره بلفظ الجمع في قوله اولوا الفضل منكم وقوله الي تحبون
ان يغفر الله لكم وهذا يدل علي علو شانه ومرتبته ومنها انه
احتمل الاذي من ذوي القربي ورجع عليه بما كان ينفقه عليه
وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالي قال
في حق رسول الله صلي الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال
في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان ابا بكر كان
اشبه لرسول الله صلي الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الاية
دليل علي ان من حلف علي يمين فرا غيرها خيرا منها فليات
الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومن الحديث الصحيح من حلف
علي يمين ورا غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر
عن يمينه قوله عز وجل ان الذين يرمون المحصنات اي العفايف
الغافلات اي عن الفواحش وعن الفاحشة ان لا يقع في
قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عايشة رضي الله عنها ثم
وصفهما بالمومنات لمنوا اي عذبوا في الدنيا بالحد والاخرة
اي وفي الاخرة بالنار ولهم عذاب عظيم وهذا في حق عبد الله
بن ابي بن سلول المنافق وروي عن حضين قال قلت لسعد
بن جبير من قذف مومنة بلعنه الله في الدنيا والاخرة قال ذلك

لعايشة

لما بيشة خاصة وقال ابن عباس هذه الاية في شان عايشة
وازواج النبي صلي الله عليه وسلم خاصة دون سايرالمومنات
ليس فيها توبة ومن قذف امراة مومنة فقد جعل الله له توبة
ثم قرا والذين يرمون المحصنات الي قوله تابوا فجعل لهولا توبة
ولم يجعل لولئك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا الاية يوم تشهد
عليهم السنتهم هذا قبل ان يختم علي افواههم وايديهم
وارجلهم يروي انه يختم علي الافواه فتتكلم الايدي والارجل
بما عملت في الدنيا وهو قوله بما كانوا يعملون يومييذ يوفيهم
الله دينهم الحق اي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل
ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي الموجود الظاهر الذي يقدر
وجود كل شي وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كانوا يعدهم
في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي بن سلول
كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين
قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين قال اكثر المفسرين معنى
الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس والخبيثون اي
من الناس للخبيثات من القول والطيبات اي من القول
ومعنى الاية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من النا
والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعايشة لا يليق
بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف لها طيب القول
من الثنا والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الرجال
والنسا وهذا ام للذين قذفوا عايشة ولا يتكلم بالطيب من القول
الي الطيب من الرجال والنسا وهذا امدح للذين برويها بالطاهر
والمدح لها وقيل معنى الاية الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال
والخبيثون من الرجال للخبيثات من النسا امثال عبد الله بن ابي
المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النسا للطيبين

والطيبون للطيبات يريد عايشة طيبها الله لرسول الله
صلي الله عليه وسلم اولئك مبرؤن يعني عايشة وصفوان
ذكرهما بلفظ الجمع منزهون عما يقولون يعني اصحاب الافك
لهم مغفرة يعني عفو الله عنهم ورزق كريم يعني الجنة
وروي ان عايشة كانت تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة
غيرها منها ان جبريل عليه السلام اتي بصورتها في سرقة
حرير وقال هذه زوجتك وروي انه اتي بصورتها في راحته
ومنها ان النبي صلي الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها
وقبض رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها
ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف
ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول
الله صلي الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا
كريما وكان مسروق اذا احدث عن عايشة يقول حدثتني
الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلي الله عليه
وسلم المبراة من السماء قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا اي تستاذنوا وكان ابن عباس
يقراحتي تستاذنوا ويقول تستانسوا خطا من الكاتب وفي هذه
الرواية نظر لان القراءة تثبت بالتواتر والاستيناس في اللغة
الاستيذان وقيل الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر
هل في البيت انسان فيؤذن انه اتي داخل وقيل هو من انس
اي ابصر وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة ويتنحنح حتى يعرف
اهل البيت وتسلموا على اهلها بيان حكم الاية انه لا يدخل
بيت الغير الا بعد الاستيذان والسلام واختلفوا في ايهما يقدم
فقيل يقدم الاستيذان فيقول اادخل فيقول سلام عليكم كما في الاية
من قدم الاستيذان وقيل السلام وقال الاكثرون يقدم

السلام

السلام فيقول السلام عليكم ادخل وتقدير الاية حتى تسلموا
على اهلها وتستاذنوا وكذا هو في مصحف بن مسعود وروي
عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلي الله عليه وسلم ولم
اسلم عليه ولم استاذن فقال النبي صلي الله عليه وسلم ارجع فقل
السلام عليك ادخل اخرجه ابو داود والترمذي وعن ربعي بن
حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستاذن على رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهو في البيت فقال الج فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم لخادمه اخرج الي هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام
عليكم ادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال
السلام عليكم ادخل فاذن له رسول الله صلي الله عليه وسلم اخرجه
ابو داود وروي عن ابي سعيد وابي بن كعب وابي موسى قال ابو
سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء ابو موسى كانه
مذعور فقال استاذنت على عمر ثلاثا فلم يوذن لي فرجعت
وقال ما منعك قلت استاذنت ثلاثا فلم يوذن لي فرجعت وقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلا يوذن
له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه من النبي
صلي الله عليه وسلم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا اصغر
القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ذلك
قال الحسن الاول اعلام والثاني مواعدة والثالث استيذان بالرجوع
عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا اتى
باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن
او الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك الدور لم يكن
عليها يومئذ ستور اخرجه ابو داود وروي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان
ذلك له اذن اخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم

السلام والاقدم الاستيذان ثم بيسلم قال ابو امرسي الاشعري
وحذيفة يستاذن علي ذوات المحارم ويدل عليه ما روي عن
عطا ابن يسار ان رجلا سال رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال
استاذن علي امتي فقال نعم فقال الرجل إني معها في البيت فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم استاذن عليها فقال الرجل إني خادمها
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم استاذن عليها احب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستاذن عليها اخرجه مالك في الموطا
مرسلا وقوله عز وجل ذلكم خير لكم اي فعل الاستيذان خير لكم
واولا بكم من التهجم بغير اذن لعلكم تذكرون اي هذه الاداب فتعملوا
بها قوله عز وجل فان لم تجدوا فيها اي في البيوت احدا اي
ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتي يوذن لكم اي في الدخول
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا
الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف علي الباب ملازما
هو ازكي لكم اي للرجوع هو اصلح واطهر لكم فان للناس احوالا
وحاجات يكره الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا حضر
الي الباب فلم يستاذن وقعد علي الباب منتظرا اجازة كان ابن
عباس يأتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعد علي الباب
ولا يستاذن حتي يخرج اليه الرجل واذا خرج وراه قال يا ابن عم
رسول الله لو اخبرتني بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب
العلم واذا وقف علي الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا
ق عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب رسول
الله صلي الله عليه وسلم ومع رسول الله صلي الله عليه وسلم
مدري يترجل به وفي رواية يحك به راسه فقال له رسول
الله صلي الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك
انما جعل الاذن من اجل البصر ق عن ابي هريرة ان رسول

اخره

الله صلي الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم
فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان
امرا اطلع عليك بغير اذن فخذفته فففات عينه ما كان عليك
حرج وقال اخري جناح والله بما تعملون عليم اي من الدخول
بالاذن وبغير الاذن ولما نزلت اية الاستيذان قال الواكيف
بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام علي ظهر الطريق ليس
فيها ساكن فانزل الله ليس عليكم جناح اي اثم ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان فيها متاع لكم
اي منفعة لكم قبل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية
للسابلة لماوي الليل او الايام يأوون اليها امتعتهم فيها فيجوز دخولها
بغير استيذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء
الامتعة بها وقيل بيوت التجار وخوانيتهم في الاسواق يدخلها
للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استيذان وقيل هو جميع
البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستيذان انما جعل ليلا يطلع
علي عورة فان لم يخف ذلك جاز الدخول بغير استيذان
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قوله تعالي قل للمومنين
يغضوا من ابصارهم اي كما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا
ابصارهم وقيل من هذا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل
اليه النظر وانما امروا ان يغضوا عما لا يحل النظر اليه م عن جرير
قال سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة
قال اصرف عن بصرك بريدة قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولي وليست
لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذي م عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا ينظر
الرجل الي عورة الرجل ولا المراة الي عورة المراة ولا يفضي

الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المراة الى المراة في
ثوب واحد وبقوله تعالى وتحفظوا ترجمة اي عما لا يحل قال ابو بكر
لما بينه كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا
الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه قال
قلت كيف ادخل في غض البصر دون حفظ الفرج قلت
فيه دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس
بالنظر الى شعورهن وذبابهن واعضادهن وقد امهن
وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى
وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفروج فمضيق كما ترى
ان البيع النظر الا ما استثني منه وحضر الجماع الا ما استثني منه
قال قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر
يريد الزنا ويزيد المحور والبلوى فيه اشد ولا يكاد احد يقدر
على الاحتراس منه ذلك ازكى لهم واطهر اي غض البصر
وحفظ الفرج ان الله خبير بما يصنعون اي انه خبير باحوالهم
واعمالهم وكيف يحيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر جوارحهم
وجوارحهم قوله عز وجل وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن اي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة قالت
كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت
الحرث اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما امرنا
بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا
يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افعميا وان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذي
وابو داود وقوله تعالى ولا يبدين اي لا يظهرن زينتهن اي
لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل
والسواد في المعصم والقرط في الاذن والقلايد في العنق فلا يجوز

للمراة

للمراة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر
الى مواضعها من البدن الا ما ظهر منها اي من الزينة قال
سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن
مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب
في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر
اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضروريات اذا لم
يخف فتنة او شهوة فان خاف شيا من ذلك غض البصر وانما
رخص في هذا العذر للمراة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة
وتومر بكشفه في الصلاة وساير بدنها عورة وليضربن بخمرهن
اي ليلقين بمقانعهن على جيوبهن اي موضع الجيب وهو النحر
والصدر اي ليستترن بذلك شعورهن واعناقهن وافرطتهن
وصدورهن خ عن عايشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول
لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن
فاختمرن بها المرط كساء من صوف او خز او كتان وقيل هو الازار
وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعني الخفية التي لم يبح لهن
كشفها في الصلاة وللاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن
قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او اباءهن
او ابا بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز
لهولا ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظروا الى ما بين السرة
والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له
النظر الى فرجها او نسايهن اي المومنات من اهل دينهن اراد
به ان يجوز للمراة ان تنظر الى بدن المراة الى ما بين السرة والركبة
ولا يجوز للمراة المومنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية او الكافرة
لان الله تعالى قال او نسايهن والذمية والكافرة ليست من نسايا
ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبي كتب عمر

بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب
ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل تجوز كما يجوز ان تكشف المراة
المسلمة لانها من جملة النسا او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد
المراة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى
مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران يروى
ذلك عن عايشة وام سلمة ويروى ان نساء النبي صلى الله
عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلي فاطمة ثوب اذا
قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ
راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال
انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي
معها وهو قول سعيد ابن المسيب قال والمراد من الاية الاماءون
العبيد او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرى غير
بنصب الراء وقيل بمعنى الاستثنا ومعناه بيدين زينتهن
للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان
منهم ذا اربة وقرا غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب
الحاجة والمراد بالتابعين غير اولي الاربة هم الذين يتبعون
القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة
لهم في النسا وقال ابن عباس هو الاحمق المغبون وقيل هو
الذي لا يستطيع غشيان النسا ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب
والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو
المخنث عن عايشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي
الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض
نسايه وهو ينعت امراة قالوا اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت
ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ارى هذا يعرف

ما هنا

ما هاهنا لا يدخل عليكم فحجبوه زاد ابو داود في رواية واخرجوه
الى البيدا يدخل كل جمعة فيستطعم قوله اقبلت باربع اي ان لها
في بطنها اربع عكن فهي تقبل اذا اقبلت بها واراد بالثمان طراف
العكن الاربع من الجانبين وذكد صفة لها بالسمن او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النسا اي لم يكشفوا عن عورات النسا
للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعبروا العورة من غيرها من الصغر
وقيل لم يطيقوا امر النسا وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفو
اسم للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من
زينتهن قيل كانت المراة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت
خلخالها او يشبن خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل ربما
يغلب عليه شهوة النسا اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك
داعية له زايدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى
ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهي
عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره وتوبوا الى الله جميعا
ايها من التقصير الواقع في امره ونهيه واجتنبوا طاعته فيما امر
ونهاكم من الاداب المذكورة في هذه السورة وقيل ان اوامر
الله تعالى ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعا
ان ضبط نفسه واجتهد فلا يتكل عن تقصير يقع منه فلذلك
اوصى المومنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح واذا تابوا
واستغفر فذلك قوله ايها المومنون لعلكم تفلحون عن الاغر
المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي في اليوم عن ابن عمر قال انا كنا لنعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب
الرحيم ماية مرة اخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشي ف

عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الله افرح
بتوبة عبده من احدكم سقط علي بعيره وقد اضله في ارض قلاة
عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من تاب قبل
طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل وانكحوا الايامي
منكم جمع الايم يطلق علي الذكر والانثي وهو من لا زوج له من احرار
رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم اي من عبيدكم واماءكم بيان
حكم الاية الامر المذكور في الاية امر ندب واستحباب لاجماع السلف
عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الي النكاح ووجد اهبته ان يتزوج
وان لم تجد اهبته يكسر شهوته بالصوم قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكني به عن الجماع ايضا والوجاء
بكسر الواو وهو رض الانثيين نوع من الخصا شبه الصوم في قطعة
شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر
بكم الامم اخرجه ابوداود والنسائي من عن عبد الله بن عمرو ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة
الصالحة اما من لا تتوق نفسه الي النكاح وهو قادر عليه فالتخلي
للعبادة افضل له من النكاح عند الشافعي وعند اصحاب الراي
النكاح افضل قال الشافعي ذكر الله عبدا اكرمه فقال وسيدا وحصورا
وهو الذي لا ياتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندب من الي النكاح
وفي الاية دليل علي ان تزويج الايامي الي الاولياء لان الله خاطبهم به
كما ان تزويج العبيد والاماء الي السادات وهو قول اكثر اهل العلم من
الصحابة فمن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود
وعبد الله بن عباس وابي هريرة وعايشة وبه قال سعد بن المسيب

الحسن

والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب
الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي واحمد واسحاق
وجوز اصحاب الراي للمراة تزويج نفسها وان كانت شريفة وقال
مالك ان كانت المراة دينة يجوز له تزويج نفسها وان كانت شريفة
فلا والدليل علي ان الولي شرط في النكاح ما روي عن ابي موسي
الاشعري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي
اخرجه ابوداود والترمذي ولما عن عايشة عن النبي صلي
الله عليه وسلم انه قال ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها
باطل ثلثا فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا
والسلطان ولي من لا ولي له قوله تعالي ان يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله قيل الغنا هاهنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق
الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير
النكاح والله تعالي يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال
بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتعفف فقال تعالي يغنهم
الله من فضله وقال وان يستعففن فيعف الله كلا من سعته والله واسع
اي الله ذو الافضال والجود عليم اي بما يصلح خلقه من الرزق قوله
تعالي وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اي ليطلب العفة عن
الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة
حتي يغنيهم الله من فضله اي يوسع عليهم من رزقه والذين
يبتغون الكتاب اي يطلبون الكتابة مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم
سبب نزول هذه الاية ان غلاما لحويطب بن عبد العزي سال
مولاه ان يكاتبه فابي عليه فانزل الله تعالي هذه الاية فكاتبه
حويطب علي مايه دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها
وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الاية وكيفية المكاتبة ان
يقول الرجل لمملوكه كاتبتك علي كذا من المال وسمي ما لا معلوما

تؤدي ذلك في نجم او في نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا ادى ذلك
فانه حر ويتبع العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال عتق باداء
المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا
في الكتابة في العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ له
كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روى
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اخرجه ابو داود
وذهب بعض العلما الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب فيجب على
السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك
على قيمته او على اكثر من قيمته وان سأل على اقل من قيمته لا يجب
وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين سأل انس بن
مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فانطلق سيرين الى عمر فشكاه
فدعاه عمر فقال له عمر كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه وذهب اكثر اهل العلم الى انه امر ندب
واستحباب ولا يجوز الكتابة على اقل من ثمن عبد الشافعي
لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك
المال عليه الى اجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز
ابو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحاله واحدة واختلفوا في معنى
قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول
مالك والثوري وقيل ما لا روى ان عبد السلمان الفارسي قال
له كاتبني قال لك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس
ولم يكاتبه قيل لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل
صدقا وامانة وقال الشافعي اظهر معانيه الخير في العبد الاكتساب
مع الامانة فاحب ان لا يمتنع من الكتابة اذا كان هكذا وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله

عونهم

عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد
في سبيل الله اخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون
العبد عاقلا بالغا فاما الصبي والمجنون فلا يصح كتابتهما لان الابتغاء
منهما لا يصح وجوز ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى
واتوهم من مال الله الذي اتاكم قيل هو خطاب للموالي فيجب
على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان
وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط
فقيل يحط الربع وهو قول علي وروي بعضهم مرفوعا وقال ابن
عباس يحط الثلث وقال الاخرون ليس له حد بل ان يحط عنه
ما شا وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له
على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة الاف
درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد بن جبير كان ابن
عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من اول نجومه مخافة ان يعجز
ويرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما احب وقال
بعضهم هو امر استحباب والوجوبية اظهر وقيل اراد بقوله واتوهم
من مال الذي اتاكم اي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات
المفروضات وهو قوله وفي الرقاب واراد به المكاتب وهو قول الحسن
وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف
العلما فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى
انه يموت رقيقا ولم تنفع الكتابة سوا ترك مالا او يترك وهو قول
عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري
وقتادة واليه ذهب الشافعي واحمد وقال قوم ان ترك وفا ما بقي
عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار
وهو قول عطا وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري
واصحاب الراي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال

لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وشبهه اولاده واكتسابه كما في
الصحيحة لان الكتابة الصحيحة يملك الرقيق فسخها ما لم يعجز المكاتب
عن اداء النجوم وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم على البغاء
اي الزنا ان اردن تحصنا الاية م عن جابر قال كان عبد الله بن
ابي بن سلول يقول لجاريته اذهبي فابغينا شيأ قال فانزل الله ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء الاية تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية
لعبد الله بن ابي يقال لها مسكة واخرى يقال لها اميمة كان يريدهما
على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم قال المفسرون
نزلت في عبد الله ابن ابي بن سلول المنافق كانت له جاريتان
مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لمنفعة يأخذها منهما
وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماءهم فلما جاء الاسلام
قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين
فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه
فانزل الله هذه الاية وروي ان احد الجاريين بغى جاء
بدرهم وجاء الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله
لا نفعل فذهب الاسلام وحرم الزنا فاتتا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الاية اختلف العلماء في قوله ان
اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو
الذي ذكر في سبب نزول الاية فخرج النهي على صفة السبب وان
لم يكن شرطا فيه الثاني انما الشرط ارادة التحصن لان الاكراه
لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن
فانها تبغي بالطبع طوعا الثالث ان كنتم بمعنى اذ اردن وليس
معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا
كقوله وانتم الاعلون اي اذ كنتم مؤمنين القول الرابع ان في هذه

الاية تقديم وتاخير تقديرها وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا اي لتطلبوا عرض الحياة الد
اي من اموال الدنيا بريد كسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن
يعني على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعني ل
للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الاية
قال لهن والله لهن والله قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم ايات
مبينات اي من الحلال والحرام ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي
شبها من حالكم لحالهم ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان
يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين
اي المومنين الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل الله نور
السموات والارض قال ابن عباس معناه الله هادي السموات
والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة ه
الضلالة يبصرون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور
السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا وقيل معناه مزين السموات
والارض زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبيا
والعلما والمومنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه
ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما
قال الشاعر اذا سار عبد الله عن مرو ليلة ه فقد سار عنها نورها
وجمالها مثل نوره اي مثل نور الله عز وجل في قلب المومن وهو
النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى
المومن وقيل الكناية عايدة الى المومن اي مثل نور قلب المومن
وقيل اراد بالنور القران وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هو الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه
تشريفا وتفضيلا المشكاة هي الكوة لا منفذ لها قيل هي بلغة
الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله من الضو المصباح في زجاجة

يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضو النهار فيها ابين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى الزجاجة كانها كوكب دري من درا للواكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في ذلك الحال والوقت وقيل هو من ورا النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري اي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكواكب اضوء من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سايرا للولو وقيل الكوكب الدري احد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل شبه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب توقد اي اتقد المصباح من شجرة مباركة زيتونة اي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو اصفا الادهان واضواها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها هي الارض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت اوائل اسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه الترمذي وقوله لا شرقية ولا غربية اي ليست شرقية وحدها لا يصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا يصيبها الشمس بالغداة فاذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فتكون زيتها اضوء وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست منبتة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاه لا يصيبها الظل فهي لا يضرها شمس ولا ظل وقيل انها معتدلة ليست في مشرق يضرها الحر ولا في مغرب يضرها البرد وقيل معناه هي

مشاعية

شامية لان الشام وسط الارض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره يكاد زيتها يضيء اي من صفايه ولو لم تمسسه نار اي قبل ان تمسه النار نور على نور اي نور المصباح على نور الزجاجة فصل في بيان التمثيل المذكور في الاية اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى بلغت في الظهور والجلا الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكوة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفا والرقة والبياض فاذا كان ذلك كذلك كان كاملا في ضيايه صلح ان يجعل امثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار ورى عن ابن عمر في هذه الاية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليهما وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليهم وسلم اجمعين سماه الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان اكثر الانبيا من صلبه لا شرقية

ولا عربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي
الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد
صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على
نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا
التمثيل لنور قلب المومن قال ابي بن كعب هذا مثل المومن
فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من
الايمان والقران توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص
لله وحده ممثله مثل شجرة التفت بها الشعر فهي خضرا ناعمة
نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت فكذلك المومن قد احترس
ان يصيبه شيء من الفتن فهو يبصر اربع خلال ان اعطي شكر
وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء
اي يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه
نور على نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله
نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة
وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه قلب المومن كمشكاة
الزيت الصافي يعني قبل ان تمسه النار فاذا مسه النار ازداد
ضوءا على ضوئه يكاد قلب المومن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه
العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال
الكلبي نور على نور يعني ايمان المومن وعمله وقيل نور الايمان
ونور القران وقيل هذا مثل القران فالمصباح هو القران
كما يعني يستضيء بالمصباح فكذلك يهتدي بالقران والزجاجة
قلب المومن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة
في قلبه يكاد زيتها يعني اي نور المعرفة يشرق في قلب المومن
ولو لم تمسسه النار وقيل يكاد حجة القران تتضح وان لم يقرا

نور

118

نور على نور يعني القران نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم من
الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازداد وايدك نورا على
نور وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء قال ابن عباس
لدين الاسلام وهو نور البصيرة ويضرب الله الامثال للناس
اي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبل
الادراك والله بكل شيء عليم قوله عز وجل في بيوت اي ذلك
المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال
ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء
كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد
لم يبنهما الا نبي هي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها
قبلة وبيت المقدس بناها داود وسليمان ومسجد المدينة
بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا اسس على
التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا اذن
الله ان ترفع تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول
وتطهر عن الاجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس
يتلى فيها كتابه يسبح له فيها اي يصلى له فيها بالغدو والاصال
اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلاة المفروضة
فالتي تودي بالغداة صلاة الفجر والتي تودي بالاصال صلاة
الظهر والعصر والعشايين لان اسم الاصيل يقع على هذا
الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر وعن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة
اراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس
التسبيح بالغدو صلاة الضحى والاصال صلاة العصر عن ابي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته
متطهرا الى صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن

خرج الي المسجد الي تسبيح الضحي لاينصبه الي ذلك كان اجره كاجر
المعتمر وصلاة علي اثر صلاة لالغو بينهما كتاب في عليين اخرجه
ابوداود ورجال قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد
لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولاجماعة لاتلهيهم
اي لاتشغلهم تجارة وقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم مايشغل
الانسان بها عن الصلوات والطاعات واراد بالتجارة الشرا
وان كان اسم التجارة يقع علي البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع
بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ماباعه الرجل علي يديه
ولابيع اي ولايشغلهم بيع عن ذكر الله اي حضور المساجد له
لاقامة الصلوات واقام الصلاة يعني اقامة الصلاة في وقتها
لان من اخر الصلاة عن وقتها لايكون من مقيمي الصلاة روي
سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام
الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر نزلت
هذه الاية في رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام
الصلاة وايتا الزكاة يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر
وقت اداء الزكاة لم تحسبوها تخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار يعني ان هول الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات
فانهم مع ذلك وجلون خايفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله
حق عبادته وقيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع
وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا
من الشك الي اليقين وتشخص الابصار من الاغطية وقيل تتقلب
القلوب بين الخوف والرجا فتخشي الهلاك وتطمع في النجاة
وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية يوخذ بهم
امن ذات اليمين ام ذات الشمال ومن اين يا تون كتبهم
امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب في الجوف

فيرتفع الي الحنجرة فلا ينزل ولايخرج ويتقلب البصر فيشخص من
هول الامر وشدته ليجزيهم الله احسن ماعملوا يعني انهم اشتغلوا
بذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة ليجزيهم الله احسن ماعملوا
والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها
وذكر الاحسن تنبيها علي انه لايجازيهم علي مساوي اعمالهم
بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالي يجزيهم جزا احسن
من اعمالهم علي الواحد من عشرة الي سبعمايه ضعف ويزيدهم
من فضله يعني انه سبحانه وتعالي يجزيهم باحسن اعمالهم ولا
يقتصر علي ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير
حساب فيه تنبيه علي كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه
وفضله قوله تعالي والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الضرب
مثلا لحال المومن وكفة في الدنيا والاخرة في نور وانه فايز بالنعيم
المقيم اتبعه بضرب مثلا لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو
شبه مايري نصف النهار عنده شدة الحر في البراري يظنه
من يراه ماء فاذا اقرب منه انبتث فلم ير شيا والبقيعة القاع وهو
المنبسط من الارض وفيه يكون السراب لحسبه اي يتوهمه الظمان
اي العطشان ماء حتي اذا جاءه اي جا ماقدر انه ماء وقيل جا
الي موضع السراب لم يجده شيا اي لم يجده علي ماقدر وظنه
ووجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر من اعمال البر وهو يعتقد
ان لها قدرا عند الله وليس كذلك فاذا وافا عرصة القيامة لم يجد
الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت
حسرته وتناهي غمه فشبه حاله بحال الظمان الذي اشتدت
حاجته الي الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه
لم يجده شيا فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج
الي عمله لم يجده اعني عنه شيا ولانفعه ووجد الله عنده اي

وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه اي
جزاء عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا
يشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا اخر فقال
تعالى او كظلمات اعلم الله سبحانه وتعالى علم ان اعمال الكفار
ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات
وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم كظلمات
في بحر لجي اي عميق كثير الماء لجة البحر مظلمة يغشاه اي يعلوه
موج من فوقه موج اي متراكم من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا
بسبب عمورة الماء فاذا ازدادت الامواج ازدادت الظلمة فاذا
كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى اذا
اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة
وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد قيل ولما كانت اليه من اقرب
شيء يراها الانسان فقال لم يكد يراها وجد التشبيه انه
الله ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة
السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة
القول وظلمة العمل وقيل مثله بالبحر اللجي قلبه كموج ما يغشى قلبه
من الجهل والشك والحيرة والسحاب المختم والطبع على قلبه
قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة
وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم
القيامة في النار ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال
ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من
لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الاية في ربيعة بن
عتبة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح
فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة في حق جميع

الكفار

الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات اي باسطات اجنحتهن في الهوا
قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوانات لانها تكون بين السما
والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض
كل قد علم صلاته وتسبيحه قيل الصلاة لبني ادم والتسبيح
لسائر الخلق وقيل ان صف اجنحة الطير صلاته وتسبيحه
وقيل معناه ان كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه
وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض
اي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشات ومنه
بدت فهو واحد لعله واجب الوجود وقيل ان معناه ان خزاين
المطر والرزق بيده لا يملكها احد سواه واليه المصير
اي واليه مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى الم تر ان
الله يزجي اي يسوق سحابا بامره الى حيث يشا من ارضه
وبلاده ثم يولف بينه اي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة
بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق
بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي وسطه وهو
مخارج القطر وينزل من السما من جبال فيها من برد قيل
معناه وينزل من جبال من السما تلك الجبال من برد قال
ابن عباس اخبر الله ان في السما جبالا من برد وقيل معناه انه
وينزل من السما مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت
ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى
لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السما والثانية تكون
للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السما
والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد فيصيب
به اي بالبرد من يشا فيهلكه واموله ويصرفه عمن يشا

اي فلا يبصره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب
يذهب بالابصار اي من شدة ضويه وبريقه يقلب الله الليل
والنهار اي يصرفهما في اختلافهما وتفاوتهما فيأتي بالليل
ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب
الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون
عند النوازل والشدايد اصابنا الدهر وتدمه في اشعارهم
فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل
والدهر مصرف يقع فيه التاثيرات كما يقع بكم وقوله تعالى
ان في ذلك اي الذي ذكر من هذه الاشيا لعبرة لاولي الابصار
اي دلالة لاهل العقول والبصاير على قدرة الله وتوحيده
قوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء اي من نطفة
واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملايكة
والجن لانا لا نشاهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الما
وذلك ان الله خلق ما جمل بعضه ريحا وتورا فخلق منه
الملايكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا
فخلق منه ادم فمنهم من يمشي على بطنه اي كالحيات
والحيتان والديدان ونحو ذلك ومنهم من يمشي على
رجلين يعني مثل بني ادم والطير ومنهم من يمشي على اربع
يعني كالبهايم والسبايع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من
ماء وان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك
المخلوق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شيء وذلك الشيء
اصله من الماء فان عن الما فان قلت فمنهم من يمشي ضمير
العقلا فلم استعمل في غير العقلا قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل

مع من يعقل تغليب اللفظ اللايق بمن يعقل لانه جعل مع من يعقل
الشريف اصلا والخسيس تبعا اولي فان قلت لم قدم ما يمشي على
بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرف في
القدرة وهو الماشي بغير الة المشي وهي الارجل والعقارب ثم
ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على اربع فان قلت لم
اقتصر على ذكر الاربع وفي الحيوانات ما يمشي على اكثر من اربع
كالعناكب والعقارب والرتيلا وماله اربع واربعون رجلا ونحو ذلك
قلت هذا قسم كالنادر فكان ملحقا بالاعلب وقيل ان هذه الحيوا
نات اعتمادها على اربع في المشي والباقي تتبع لها يخلق الله ما يشا اي
مما لا يعقل ولا يعلم ان الله على كل شيء قدير اي هو القادر على الكل
العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشا لما يشا لا يمنعه مانع ولا دافع
لقد انزلنا اليك ايات مبينات يعني القران هو المبين الهدي والاحكام
والحلال والحرام والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم يعني الى
دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقة الى رضاه وجنته قوله
تعالى ويقولون يعني المنافقين امنا بالله وبالرسول واطعنا
اي يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم اي
يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد ذلك اي من بعد قولهم
امنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى وما اولئك بالمؤمنين
نزلت هذه الاية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة
في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال
المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل
الله هذه الاية واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي الرسول
بحكم بحكم الله بينهم اذا فريق منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل
عن الاجابة وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي مطيعين
منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غير هم اسرعوا الى حكمه

لتفتنهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا اي قلوبهم مرض
اي كفر ونفاق امراتابوا اي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ
والمعنى هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي
يظلم بل اولئك هم الظالمون اي لانفسهم باعراضهم عن الحق
قوله عز وجل انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله اي الى
كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم هذا تعليم ادب الشرع على
معنى ان المومنين كذا ينبغي ان يكونوا وهو ان يقولوا سمعنا
اي الدعاء واطعنا اي بالاجابة واولئك اي من هذه صفتهم هم
المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما ساءه وسره
ويخشى الله اي على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما بعد فاولئك
هم الفائزون اي الناجون قوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم
قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيا لين امرتهم
ليخرجن وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اينما تكن نكن معك لين خرجت خرجنا وان اقمت
اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم
الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو امرتنا ان
نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك
فقال الله تعالى قل لهم لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام ثم
ابتدى فقال طاعة معروفة اي هذه طاعة القول باللسان
دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة اي امر معروف منكم انكم تكذبون
وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة اسمى حا
خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل ان
الله خبير بما تعملون اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني بقلوبكم وصدق نياتكم
فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فانما عليه اي

عليه

علي الرسول ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة
وعليكم ما حملتم اي ما كلفتم من الاجابة والطاعة وان تطيعوه
تهتدوا اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته وما على الرسول
الا البلاغ المبين اي التبليغ الواضح البين قوله عز وجل
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي
عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا
يصبحون ويمسون خائفين فامروا بالهجرة الى المدينة وامروا
بالقتال وهم على حوقهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال
رجل منهم ما يأتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله
هذه الاية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض الكفار
من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما
استخلف الذين من قبلهم اي كما استخلف داود وسليمان
وغيرهما من الانبيا كما استخلف بني اسرايل واهلك الجبابرة
بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى اي اختاره لهم قال ابن عباس يوسع لهم
في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على ساير الاديان
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني اي امنين
لا يشركون بي شيا فالجزء الله وعده واظهر دينه ونصر اولياه
وابدلهم بعد الخوف امنا وبسط في الارض عن عدي
بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل
فشكا اليه العافة ثم اتاه اخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي
هل رايت الحيرة قلت لم ارها ولقد انبئت عنها قال فان طالت
بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة
لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فابن دعار

وا

طي الذين قد سمعوا البلاد ولين طالت بك حياة لتفتحن كنوز
كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولين طالت
بك حياة لتريين الرجل يخرج ملأ كفه من ذهب او فضه يطلب من
يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيمة
وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن الم ابعث اليك رسولا
فيبلغك فيقول بلي يارب فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك
فيقول بلي فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله
فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمره
فبكلمة طيبة قال عدي فرايت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف
بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولين
طالت بكم حياة لتروين ما قال ابو القاسم صلي الله عليه وسلم
يخرج الرجل ملأ كفه ذهبا وفي الاية دليل على صحة خلافة ابي
بكر الصديق والخلفا الراشدين بعده لين في ايامهم كانت الفتوحات
العظيمة وتفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن
والتمكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك
خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان
اثني عشر وعلي سنة قال علي قلت لحماد القايل لسعيد امسك
سفينة قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ
قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله
ان خلافة ابي بكر سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر
سنين وستة اشهر وخلافة عثمان كانت اثني عشر سنة كما
ذكر في الحديث وخلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر ولهذا
جاء في بعض روايات الحديث وعلي كذا ولم يبين تعيين مدته

فعلي

فعلي هذا التفصيل تكون مدة خلافة الايمة الاربعة تسعة
وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلاثين لخلافة الحسن
وكانت ستة اشهر ثم ترك عنها والله اعلم وقوله تعالي ومن
كفر بعد ذلك اراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله فاولئك هم
الفاسقون اي العاصون قال اهل التفسير اول من كفر بهذه
النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم
وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا
عن ابن اخي عبد الله بن سلام قال لما اريد قتل عثمان جا
عبد الله بن سلام فقال له عثمان ما جايك قال جيت في نصرك
قال اخرج الي الناس فاطردهم عني فانك خارج خير لي منك
داخل فخرج عبد الله الي الناس فقال ايها الناس ان الله
سيفا مغمودا وان الملايكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل
فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل
ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملايكة وليسلن
الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد عنكم الي يوم القيامة قالوا
اقتلوا اليهودي وقتلوا عثمان اخرجه الترمذي زاد في رواية
غير الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة
الا قتل به خمسة وثلاثون الفا وقوله تعالي واقيموا الصلاة واتوا
الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوا هذه الاشيا
علي رجا الرحمة لا تحسبن الذين كفروا معجزين اي فايتين في
الارض وماواهم النار ولبيس المصير قوله تعالي يا ايها الذين
امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ابن عباس وجه
رسول الله صلي الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج
بن عمرو الي عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراي
عمر حالة كره عمر رويته عند ذلك فانزل الله هذه الاية

وقيل نزلت في اسما بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل عليها
في وقت كرهته فاتت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت
ان خدمنا وغلمانا يريد ان يدخلوا علينا في حال نكرهها فانزل الله
تعالي يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاطفال
الامر وفيه قولان احدهما انه علي الندب والاستحباب والثاني
انه علي الوجوب وهو الاولي الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد
والاماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعني الاحرار والمراد
منهم الذين لم يظهروا علي عورات النساء بل المراد الذين
عرفوا امر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل
وغيرهما واتفق العلماء علي ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا
بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم وقال ابو حنيفة لا يكون بالغا
حتي يبلغ تمام عشرة سنة ويستكملها والجارية سبعة
عشر سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد واحمد في الغلام
والجارية خمس عشر سنة بصير مكلفا ويجري عليه الاحكام
وان لم يحتلم ثلاث مرات اي ليستاذنوا في اوقات من قبل
صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت
المقيل ومن بعد صلاة العشا وانما خص هذه الثلاثة اوقات
لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان
ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان
في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان في جميع الاوقات
ثلاث عورات لكم سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان
يضع فيها ثيابه فقيد واعورته ليس عليكم ولا عليهم يعني
العبيد والخدم والصبيان جناح اي حرج عليكم في الدخول
بغير استيذان بعد هن اي بعد هذه الاوقات الثلاثة
طوافون عليكم اي العبيد والخدم يتردد ون ويدخلون

الفجر

ويحرجون في اشغالكم بغير اذن بعضكم علي بعض اي يطوف
بعضكم علي بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم
اختلف العلماء في حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة حكي ذلك
عن سعيد ابن المسيب روي عكرمة ان نفرا من اهل العراق
قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا بها ولا
يعمل بها احد قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم
الذين ملكت ايمانكم الاية فقال ابن عباس ان الله رحيم بالمومنين
يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما
دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل علي اهله فامرهم
الله تعالي بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير
فلم ار احدا يعمل بذلك بعد اخرجه ابو داود وفي رواية عنه
نحوه وزاد فراي ان ذلك اغنى عن الاستيذان في تلك العورات
وذهب قوم علي انها غير منسوخة وروي سفين عن موسي
ابن ابي عايشة قال سالت الشعبي عن هذه الاية ليستاذنكم
الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس
لا يعملون بها قال الله تعالي المستعان وقال سعيد بن جبير في
هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها
مما تهاون بها الناس قيل ثلاث ايات نزل الناس العمل بهن
هذه الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس يقولون اعلمكم
بيقا واذا حضر القسمة اولوا القربي في الاية قوله عز وجل واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم يريد الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اي
يستاذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم كما استاذن الذين
من قبلهم اي الاحرار الكبار كذلك يبين الله لكم اياته اي دلالته
وقيل احكامه والله عليم اي بامور خلقه حكيم بما دبرهم وشرع
قال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل علي امه فما نزلت الاية في

ذلك وسبل حذيفة ابنتا ذئب الرجل علي والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره قوله والقواعد من النساء يعني اللاتي قعدن عن المحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يردن الازواج وقيل هذا في اللواتي اذا راهن الرجال استعذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل للشهوة فلا تدخل في حكم هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه غير متبرجات بزينة اي من غير ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو ان تظهر المراة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان تستعفف اي فلا يلقين الجلباب والرداء خير لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج اختلف العلماء في هذه الاية فقال ابن عباس قلما انزل الله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مواكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتقذرون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقال للاعمى ربما اكل اكثر من ذلك ويقال للاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت ترخيصا للمولى في الاكل في بيوت من سماهم

الله في باقي الاية وذلك ان هاؤلا كانوا يتحرجون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت امه او بعض من سمى الله فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره فانزل الله هذه الاية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لمولا في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وقوله ولا على انفسكم كلام مستانف قيل لما نزلت ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموالكم اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المراة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الاباء لما جاء في الحديث انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه مفتاحه معناه قال ابن عباس عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحل ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم وما لكم وذلك ان السيد يملك مترل عبده والمفاتيح الخزائن وجائز ان يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملكت الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان ياكل الشيء اليسير وقيل او ما ملكتم مفاتحه اي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه او صديقكم الصديق هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو خرج

عمانزيا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد علي
اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال لحرجت ان آكل
من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية والمعني ليس عليكم
ان تاكلوا من منازل هؤلا اذا دخلتموها وان لم تحضروا من غير
ان تنزلوا او تحملوا ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم
لا ياكل وحده حتي يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام
بين يديه من المصباح الي الرواح وربما كانت معه الابل الحفل
فلا يشرب من البانها حتي يجد من يشرب به فاذا امسي ولم يجد
احدا اكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل علي الفقير من
ذوي قرابته وصديقه فيدعوه الي طعامه فيقول والله اني
لاجنح ايب الحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه
الاية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم
ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاؤا واجميعا اي
مجتمعين او اشتاتا اي متفرقين فاذا دخلتم بيوتا فسلموا علي
انفسكم اي ليسلم بعضكم علي بعض هذا في دخول الرجل بيته فانه
يسلم علي اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم
علي اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس
فيه احد فقل السلام علينا من ربنا وعلي عباد الله الصالحين
السلام علي اهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ابو الليلة
نزد عليه وابن عباس قال في قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا علي
انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلي عباد
الله الصالحين تحية من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس
حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب هنا لما فيه من الثواب
والاجر كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون معناه اي

عن

عن الله امره ونهيه وادبه بقوله عز وجل انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اي مع رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي امر جامع اي يجمعهم من حرب حضروه او صلاة او جمعة
او عيد او جماعة او نشاط وفي امر نزل لم يذهبوا اي لم يتفرقوا
عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له حتي يستاذنوه قال المفسرون
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة
واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او لعذر لم يخرج حتي يعلم
رسول الله صلي الله عليه لحبث يراه فيعرف انه انما قام
ليستاذن فياذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم
الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه
المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن فان
استاذن فللامام ان شاء اذن له وان شاء لم يأذن له وهذا
اذا لم يكن سبب يمنعه من القيام فاذا احدث سبب يمنعه بان
يكونوا في المسجد فتحيض امراة منهم او تجنب رجل منهم او يعرض
له مرض فلا جناح الي الانصراف ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض
شانهم اي امرهم فاذن لمن شئت منهم اي في الانصراف
والمعني ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم
الله اي ان رايت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة ان الله
غفور رحيم قوله تعالي لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا قال ابن عباس يقول احذروا دعاء الرسول اذا استخطئ
فان دعاه مجاب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه
كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه
وقولوا يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع قد يعلم الله الذين
يتسللون اي يخرجون منكم لواذا اي يستتر بعضكم ببعض

ويروح في خفية فيذهب فيل كان هذا في حفر الخندق فكان
المنافقون يبصرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين
وقال ابن عباس لواذا اي يلوذ بعضهم ببعض وكذلك ان
المنافقين كانوا يثقل عليهم القيام في المساجد يوم الجمعة
واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض
اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد يعلم فيه التهديد
بالمجازاة فليحذر الذين يخالفون عن امره اي يعرضون
عن امره ويصرفون عنه بغير اذنه ان تصيبهم اي لبلا
تصيبهم فتنة اي بلاء في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي
وجيع في الاخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى الا ان لله ما في
السموات والارض اي ملكا وعبيدا قد يعلم ما انتم عليه من
الايمان والنفاق ويوم يرجعون اليه يعني يوم البعث فينبئهم
بما عملوا اي بجزاء الخير والشر والله بكل شيء عليم عن عايشة
رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل
وسورة النور اخرجه ابو عبد الله بن البيع في صحيحه
والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الفرقان

وهي مكية

وهي سبع وسبعون اية وثماني مائة واثنتان وتسعون
كلمة وثلاثة الاف وسبعماية وثلاث وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
تبارك تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل
معناه تعظم الذي نزل الفرقان اي القران سماه فرقانا
لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل
مفرقا في اوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير

التغريق على عبده يعني محمد صلى الله عليه وسلم ليكون
للعالمين اي للانس والجن نذيرا قيل هو القران وقيل هو النذير محمد
صلى الله عليه وسلم الذي له ملك السموات والارض اي المتصرف
فيهما كما يشا ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد وحده لا شريك له وفيه رد على
النصارى ولم يكن له شريك في الملك اي هو المتفرد بالالهية
وفيه رد على الوثنية وعباد الاصنام وخلق كل شيء فقدره
اي مما يطلق عليه صفة المخلوقات فقدره تقديرا يعني سواه
وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شيء تقديرا
من الاجل والرزق والموت المقادير على ما خلق قوله تعالى
واتخذوا يعني عبدة الاوثان من دونه الهة يعني الاصنام
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
اي دفع ضرر ولا جر نفع ولا يملكون موتا يعني اماتة ولا حياة
اي احياء ولا نشورا اي بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا
يعني النضر بن الحارث واصحابه ان هذا اي القران الا افك
اي كذب افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه
قوم اخرون قيل يعني اليهود وقيل عبيد بن الحضير الكاهن
الحبشي وقيل جبر ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة من اهل
الكتاب فزعم المشركون ان محمدا ياخذ منهم فقال تعالى فقد
جاءوا اي قايلي هذه المقالة ظلما وزورا اي بظلم وزور وهو
نسبتهم كلام الله الى الافك والافتراء وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها يعني النضر بن الحارث كان يقول ان هذا القران ليس
من الله وانما هو مما سطره اولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى
اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر
ويسار وعداس وطلب ان يكتب له لانه كان لا يكتب قوله
تعالى عليه اي تغترا عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا يعني

التغريق

عدوة وعشيا قوله تعالى راد اعليهم قل يا محمد انزله يعني
القرآن الذي يعلم السر اي الغيب في السموات والارض
انه كان غفورا رحيما اي لولا ذلك لعاجلكم بعذابه وقالوا مال هذا
الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام اي كما
تأكل انت ويمشي في الاسواق اي يلتمس المعاش كما نمشي
نحن واذا كان كذلك فما بال هذا يدعي علينا الفضل ولا يجوز ان يمتاز
علينا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك
لا يأكل لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتبتذل وما تأكله
فاسد لان اكله الطعام لكونه ادميا ولم يدع انه ملك ومشيه
في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن
سخابا في الاسواق وليس شيء من ذلك بيانا في النبوة ولانه لم
يدع انه ملك من الملوك لولا انزل عليه ملك فتعلم اي يصدقه
ويشهد له فيكون معه نذيرا اي داعيا او يلقى اليه كنز اي ينزل
عليه كنز من السما ينفقه فلا يحتاج الى التصرف في طلب المعاش
او تكون له جنة اي بستان يأكل منها اي هو فلا اقل من ذلك
وان لم يكن له لنتر وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
اي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر يا محمد كيف ضربوا
لك الامثال اي الاشباه التي لا فايدة لها فقالوا مسحور محتاج
فضلوا اي عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا
عن الضلالة قوله عز وجل تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا
من ذلك اي من الذي قالوا وافضل من البستان الذي ذكروا
وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس
المعاش ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا اي بيوتا مشيدة عن ابي امامة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة

ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا
او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت
حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهبا جاني
ملك ان حجزته لتساوي الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك
السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت
الى جبريل فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكيا ويقول انا
اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ذكره هذين الحديثين
البغوي بسنده قوله تعالى بل كذبوا بالساعة اي القيامة
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي نارا مسعرة اذا رأتهم
من مكان بعيد قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة
عام قال قلت كيف يتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم
قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه
رأتهم زبانيتها سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي عليانا كالغضبان
اذا غلي صدره من الغضب وزفيرا اي صوتا قال قلت
كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا
لها زفيرا قال الشاعر ورأيت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا
اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب
والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا
يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه واذا القوا منها
مكانا ضيقا قال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج
في الرمح مقرنين اي مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم
في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل دعوا
هنالك ثبورا معناه قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وقيل

الحديث ان اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه
ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوره وهم ينادون
يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبورهم وهم ينادون
يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا
هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلاكهم اكثر من ان
تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة قوله عز وجل قل اذلك
خير اي الذي ذكرت من صفة النار واهلها ام جنة الخلد التي
وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا اي ثوابا ومرجعا لهم
قال تعالى لهم فيها ما يشاؤن اي ان جميع المرادات لا تحصل الا
في الجنة لا في غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان شيئا ولا يحصل
في الجنة كما انه يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت انه
يزيل ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة مستغل
بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره خالدين
اي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دائما اذ لو انقطع لكان
مشوبا بضرب من الغم واشتد في المعنى فقال
كان الوعد الذي في سورة ص ينقلب عنه صاحبه انقلابا
كان على ربك وعدا مسئولا اي مطلوبا وذلك ان المؤمنين
سالوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة وقالوا ربنا وانتا ما وعدتنا على رسلك يعني
كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه
في الدنيا ومسيلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة
للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
قوله تعالى ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله يعني من
الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني
الاصنام ثم تخاطبهم فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء ام

هم ضلوا السبيل يعني اخطأوا الطريق قالوا يعني المعبودين
سبحانك تنزهوا الله من ان يكون معه الهة ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك من اولياء يعني ما كان ينبغي لنا ان نوالي
احدا بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان
نامرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ولكن متعتهم
وآباءهم اي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا حتى نسوا
الذكر اي تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك
وغفلوا عنه وكانوا قوما بورا اي هلكى اي غلب عليهم الشقا
والخذلان فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اي كذبوكم
المعبودات بما تقولون اي انهم الهة بما يستطيعون اي
الهة صرفا اي صرف عن انفسهم وقيل لا يضركم ايها العابدون
يدفع العذاب عنكم ومن يظلم منكم اي يشرك نذقه عذابا كبيرا
قوله عز وجل وما ارسلنا قبلك اي يا محمد من المرسلين الا
انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق قال ابن عباس
لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق انزل الله تعالى هذه
الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله
فلا وجه لهذا الطعن وما انا الا رسول وما كنت بدعا من
الرسل وهم كانوا بشرا مثلي يأكلون الطعام ويمشون في
الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اي بلية قال ابن عباس
اي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم
وترون من خلافهم وتتبعون انتم الهدى وقيل نزلت في
ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان يسلم رأى
الوضيع قبله اسلم وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل
علي فيكون ذلك تعييرا علي كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان

بعضهم ببعض وقيل نزلت في ابي جهل والوليد بن عقبة والعاص
بن وايل السهمي والنضر ابن الحارث وذلك انهم راوا اباذر وابن
مسعود وعمارا يتا سرو بلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة ودونهم
فاذا اسلموا قبلهم فقالوا لو اسلم فنكون مثل هولاء وقيل نزلت في ابتلا
فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هولا
الذين تبعوا محمد صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا فقال
الله تعالى لهولا للمؤمنين انصبروا اي على هذه الحالة في الفقر
والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول مالي مالم اكن
مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع وكان
ربك بصيرا اي بمن صبر وبمن جزع اذ عن ابي هريرة يبلغ
به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل
عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم
فقط لفظ البخاري ولمسلم انظروا ولا تنظروا الى من هو اسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله
عليكم قوله عز وجل والذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون
البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة لولا انزل علينا الملائكة
فيخبرنا ان محمدا صادق او نرى ربنا فيخبرنا بذلك لقد استكبروا
في انفسهم اي تعظموا في انفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا كبيرا
اي طغوا وقيل عتوا في القول وهو اشد الكفر والفحش وعتوهم
في طلبهم رويه الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى كأنهم يوم يرون
الملائكة اي عند الموت وقيل يوم القيامة لا بشرى يومئذ
للمجرمين وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة به
ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة
كما يبشر المؤمن ويقولون حجرا محجورا قال ابن عباس يقول
الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد

رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة
حراما محرما عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا القول الكفار
للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزل بهم شدة او ما يكرهون
قالوا حجرا محجورا تعوذ بذلك اذا عاينوا الملائكة قوله عز وجل
وقدمنا الى ما عملوا من عمل يعني من اعمال البر التي عملوها في
حال الكفر فجعلناه هباء منثورا اي باطلا لا ثواب لهم لانهم لم
يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا
فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس
فيها فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن
عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر
وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار قوله
تعالى اصحاب الجنة يومئذ اي يوم القيامة خير مستقرا اي
من هولا المشركين المتكبرين واحسن مقيلا اي موضع القايلة وذلك
ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر من اول النهار الى
وقت القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود حتى
لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع
ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا مع ذلك نوم والجنة
لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في اوله ويروى
ان يوم القيامة يقصر على المومنين حتى يكون كما بين العصر الى
غروب الشمس قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام اي عند الغمام
وهو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرايل في
تيههم وتنزل الملائكة تنزيلا قال ابن عباس تنشق سما الدنيا
فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تنشق
السما الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السما الدنيا ومن الجن

والانس ثم كذلك حتى تشقق السما السابعة واهل كل سما يريدون
عن اهل السما التي تليها ثم تنزل الكرو بيوت ثم حملت العرش
الملك يومئذ الحق للرحمن اي الملك الذي هو الملك حقا ملك
الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة لا ملك
يقضي غيره وكان يوما على الكافرين عسيرا اي شديدا وفيه
دليل على انه لا يكون على المومنين عسيرا وجا في الحديث انه يهون
يوم القيامة على المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة
صلاها في الدنيا قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه اراد
بالظالم عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا
صنع طعاما ودعى اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى
الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعى
الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد
ان لا اله الا الله وانني محمد رسول الله فقال عقبة اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي
بن خلف قال له يا عقبة صبات قال لا والله ما صبات ولكن دخل
علي رجل فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان
يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا الذي ارضى
عنك ابدا حتى تاتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه
الصلاة والسلام لا اراك خارجا من مكة الا عاريا راسك بالسيف
فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى
الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل لما بصق عقبة في وجه النبي
صلى الله عليه عاد بصاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر
ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة ابن ابي معيط خليل امية

في

بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان
تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم على
يديه يعني عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس بن
عبد مناف على يديه اي ندما واسفا على ما فرط في جنب الله
واوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن
سبيل ربه قال اعطابا كل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم يبتدئ
فيرمي بالكلما هكذا كلما ابتعث يديه اكلها الحسرة وندما على ما فعل
يقول يا ليتني اتخذت اي في الدنيا مع الرسول سبيلا اي
ليتني اتبعت محمدا واخذت معه طريقا الى الهدى يا ويلتى
دعى على نفسه بالويل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا قيل يعني ابي
بن خلف لقد اضلني عن الذكر اي عن الايمان والقرآن بعد
اذ جاني يعني الذكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
الشيطان وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الانس
والجن للانسان خذولا اي كثير الخذلان يتبرا منه
عند نزول البلا والعذاب وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين
اجتمعا على معصية الله ق عن ابي موسى الاشعري قال مثل
الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل
المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا
طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا
خبيثة ع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على
دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي
ولهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تصاحب الا مومنا ولا ياكل طعامك الا تقي قوله عز وجل
وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب ان
قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا اي متروكا واعرضوا عنه

ولم يؤمنوا به ولم يعلموا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة المهجور وهي السخرية
من القول قولهم انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يشكوا قومه الى الله عز وجل يارب ان قومي اتخذوا هذا
القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال وكذلك جعلنا اي وكما
جعلت لك اعداء من مشركي مكة وهم قومه كذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين اي المشركين والمعنى لا يكبرت عليك ذلك
فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر انت
كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى وكفى بربك هاديا
ونصيرا قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا اي هلا نزل عليه القرآن
جملة واحدة اي كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى
والزبور على داود صلوات الله عليهم اجمعين قال الله تعالى
كذلك فعلنا ذلك لنثبت به فؤادك اي انزلناه مفرقا لنقوي
به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على الانبيا
يكتبون ويقرؤن وانزلنا القرآن على نبي امي لا يكتب ولا يقرأ
ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمسائل
عن امور تحدث منها في اوقات مختلفة فرقناه لنكون او حي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به ورتلناه ترتيلا قال
ابن عباس وبيناه بيانا والترتيل التبيين في ترتيل وتبيت به
وقيل فرقناه نقرؤه اية بعد اية ولا يأتونك يعني يا محمد بعني
هؤلاء المشركين بمثل اي بضرب يونه لك في ابطال امرك الا جئناك
بالحق اي بما ترد به ما جاؤا من المثل ويبطله فسمى ما يرد دون من
الشبه مثلا ما يدفع من الشبه حقا واحسن تفسيرا اي احسن
بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال تعالى الذين
اي هم الذين يحشرون على وجوههم اي يساقون ويجرون
على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا اي منزلا ومصيرا

واضل سبيلا اي اخطأ طريقا ولقد اتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا اي معينا وظهيرا فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني القبط فدمرناهم فيه اضمار
اي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم هلاكا وقوم نوح
لما كذبوا الرسل اي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد
كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناه
للناس اية اي عبرة لمن بعدهم واعتدنا للظالمين في الاخرة
عذابا اليما اي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا وعادا
وثمود اي اهلكنا عادا وثمود واصحاب الرس قال وهب بن منبه
كانوا اهل بير الرس نزولا عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فكذبوا
في طرفيها فهم واذوا شعيبا فبينما هم حول البير في منازلهم انهارت
البير وخسف بهم وبديارهم وبأعهم وقيل الرس بير يعلج
اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان
نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل
الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وهم الذين ذكرهم
الله في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الا
وقرونا بين ذلك كثيرا اي واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود
واصحاب الرس وكلا ضربنا له الامثال اي الاشباه في اقامة
الحجة عليهم فلم ينفعهم الا بعد الانذار وكلا تبرنا تتبيرا اي
اهلكناهم اهلاكا كقوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت
مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى
اهلك الله منها اربعا وبقيت واحدة وهي صغر وكانوا اهلها
لا يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا يرونها يعني اذا امروا بهم
في اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لانها مدائن قوم لوط كانت على

خدود

طريقهم عند ممرهم الى الشام بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون
بعثا قوله تعالى واذا رآك ان يتخذونك الا هزوا نزلت في ابي
جهل كان اذا مر مع اصحابه قال مستهزئا هذا الذي بعث الله
رسولا ان كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن عبادة الهتنا
لولا ان صبرنا عليها اي على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا
عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب اي في الاخرة عيانا من
اضل سبيلا اي اخطأ طريقا ارأيت من اتخذ الهه هواه وذلك ان
الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا احسن منه رماه
واخذ الاحسن منه وعبده قال ابن عباس اذا رأيت من ترك عبادة
الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله
يعبد اخاننا فكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع الهوى
وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال
الكلبي نسختها اية القتال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
اي ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون اي ما يعاينون
من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم
لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون
فيه فكانهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند شبههم بالانعام
قال تعالى ان هم اي ما هم الا كالانعام اي في عدم انتفاعهم
بالكلام وعدم افادتهم على التدبير والتفكر ثم قال تعالى
بل هم اضل سبيلا كان البهائم تنقاد لمراعيها ومشاربها
وتنقاد لاربابها التي تعاهدها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق
الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام
تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك فقوله تعالى الم تر الى
ربك كيف مد الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله
ممدودا لانه ظل لا شمس معه ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما

ثابتا

ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
معنى دلالتها عليه انه لولم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور
لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها ثم قبضناه الينا قبضا
يسيرا يعني الظل الينا قبضا يسيرا اي الشمس التي تاتي عليه والمعنى
ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس
قبض الله الظل جزا فجزا قبضا خفيفا وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا اي ستارا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل
شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه والنوم سباتا اي راحة لابدانكم
وقطعا لاعمالكم وجعل النهار نشورا اي يقظة وزمانا تنتشرون
فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين
يدي رحمته يعني المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا الطهور هو
الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته
اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي واراد به المطر والماء المطهر
لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير
مختص بالماء وذهب اصحاب الراي الى ان الطهور هو الطاهر حتى
جوز ازالة النجاسة بالمايعات الطاهرة مثل الخل والريق
ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب
بعضهم الى ان الطهور ما تكرر من التطهير وهو قول مالك حتى
جوز الوضوء بالماء الذي توضي به مرة وان وقع في الماء شيء طعمه او
لونه او ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيئا
يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وورق الاشجار فتجوز
الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه
ما لا يختلط كالدهن بسبب فيه فيتروح الماء براحته تجوز الطهارة
به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيئا يمكن صون

الماء عنه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما نزول طهوريته فلا يجوز
الوضوء به وان لم يتغير احد اوصافه نظرا ان كان الواقع شيأ طاهرا
لا يزيل طهورية بجواز الوضوء به سواء كان الماء قليلا او كثيرا وان كان
الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء اقل من قلتين نجس الماء وان
كان اكثر من قلتين فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل
بالبغدادي يدل عليه ما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن الماء يكون الفلاة يرده من السباع والدواب في
الفلاة فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود والترمذي
وهذا قول الشافعي واحمد واسحاق وجماعة من اهل الحديث ان الماء
اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير احد اوصافه
وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم
يتغير طعمه او لونه او ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري
واحتجوا بما روي عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه
يستقى لك من بير بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وحرف الحيض
وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء
طهور لا ينجسه شيء وفي رواية قال قلت يا رسول الله انتوضوء
من بير بضاعة وهي بير تطرح فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء وقوله تعالى
ليحيي به اي بالمطر بلدة ميتا قيل راد به موضع البلدة وسقيه
مما خلقنا اي نسقي من ذلك الماء انعاما وانا سي كثيرا اي بشرا كثيرا
والاناسي جمع انا س وقيل جمع انسان قوله تعالى ولقد صرفناه
بينهم يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد اخرى وقال ابن عباس ما عام
بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرا هذه الاية وهكذا
كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر
فيها بصرفه الله حيث يشاء وروي عن ابن مسعود برفعه قال

ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن الله قسم هذا القطر ينزل منه
كل سنة بكيل معلوم ورزق معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول
الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي
والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه ابلا وطشا ورذاذا
ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح ليذكروا اي ليتذكروا ويتفكروا
في قدرة الله تعالى فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا وكفرهم
هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنوء كذا عن زيد بن خالد
الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الصبح بالحديبية في اثر سماء من الليل فلما انصرف اقبل على الناس
فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال
اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا
فذلك كافر بي مومن بالكواكب قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها
وحملناك ثقل النذارة فاستوجب بصبرك ما اعددناك من الكرامة
والدرجة الرفيعة فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم
ودع اذيتهم وجاهدهم به اي بالقرآن جهادا كبيرا اي شديدا
قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين اي خلطهما وافاض احدهما
على الاخر وقيل ارسلهما في مجاريهما هذا عذب فرات اي شديد
العذوبة تميل الى الحلاوة وهذا ملح اجاج اي شديد الملوحة وقيل
مرج وجعل بينهما برزخا اي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب
بالملح ولا الملح بالعذب وحجرا محجورا اي ستارا ممنوعا فلا يبغي احدهما
على الاخر ولا يفسد الملح العذب قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء
اي من النطفة بشرا فجعله نسبا وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر
وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب

الحرمة والظهير ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر من
الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله
بالنسب سببا وبالسبب سببا وجمعها في قوله حرمت عليكم امهاتكم
الاية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء وكان
ربك قديرا على ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين
من البشر الذكر والانثى ويعبدون من دون الله يعني هؤلاء
المشركين ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه
وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا اعانه الشيطان على
ربه بالمعاصي لان عبادة الاصنام معاونة الشيطان وقيل
معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء
ظهرك ولم تلتفت اليه وقيل اراد بالكافر ابا جهل والاصح انه
عام في كل كافر وقوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا اي بالثواب
على الايمان والطاعة ونذيرا منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية
قل يا محمد ما اسالكم عليه على تبليغ الوحي من اجر اي فتقولون
انما يطلب محمد اموالنا يريد عوننا اليه فلا نتبعه الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق
ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا اسالكم لنفسي
اجرا ولكني امنع من انفاق المال الا في طلب مرضات الله واتخاذ
السبيل الى جنته قوله عز وجل وتوكل على الحي الذي لا يموت
معناه انه سبحانه وتعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب
منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال
على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكل من
توكل عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع
توكل من توكل على الله ولا يفتضح البتة وسبح بحمده اي صلي له
شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله وكفى به

بذنوب

بذنوب عباده خبيرا يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده
فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير
عالم قادر على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم
على مخالفة امر كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة
به قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا
اي فاسئل الخبير بذلك يعني مما ذكر من خلق السموات والارض
والاستواء على العرش وقيل معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب
العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسئل عنه خبيرا وهو الله تعالى
وقيل هو جبريل عليه السلام واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن اي ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة
الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة انسجد لما تامرنا انت يا محمد
وزادهم اي قول القائل نفورا اي عن الايمان والسجود فصل
وهذه السجدة من عزائم السجود فيسن للقاري والسامع ان
يسجد عند سماعها وقرائتها قوله تعالى تبارك الذي جعل في السما
بروجا فسميل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها
وقيل البروج قصور فيها وقال ابن عباس هي البروج الاثني عشر
التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي
والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب
كالمنازل بسكانها وجعل فيها سراجا يعني الشمس وقمرا منيرا يه
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس معناه خلفا
وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه
في الاخر قال شقيق جاء رجل الى عمر ابن الخطاب قال فاتتني صلاة
الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك قال الله جعل الليل

والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا
لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف احدهما صاحبه
اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في المنبا والظلمة والزيادة
والنقصان لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتفطن او اراد ان يشكر ا
يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما قوله عز وجل وعباد الرحمن قيل
هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد
الله الذين يمشون على الارض هونا يعني بالسكينة والوقار
متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء
اصحاب وقار وعفة واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفهاء بما
يكرهونه قالوا سلاما اي سدادا من القول يسلمون فيه
لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد
منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخها
اية القتال ويروى عن الحسن البصري انه كان اذا قرا هذه
الاية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرا والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم في
الليل بالصلوات سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم
قال ابن عباس من صلى بعد العشا الاخيرة ركعتين او اكثر فقد
بات لله ساجدا وقائما وعن عثمان ابن عفان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاى في جماعة
كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة
قوله عز وجل والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
ان عذابها كان غراما اي ملحا دايما لازما غير مفارق من
عذاب الكفار قال محمد بن كعب القرظي سال الله الكفار ثمت
نعمه فلم يودها فاعزمهم فيقوا في النار وقيل كل غريم مفارق
غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر الدايم والهلاك الدايم انها يعني

جهنم

جهنم ساءت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قيل الاسراف النفقة في معصية
الله وان قلت والاقتار منع حق الله وهو قول ابن عباس رض
وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير
والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يجمع عياله ولا يعدهم ولا
ينفق نفقة يقول الناس قد اشرف وكان ذلك قواما اي
موضع قصد او سطا بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيئتين
قيل هذه الاية في صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن
كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على
عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر به العورة ويقيهم من
الحر والبرد قال عمر ابن الخطاب كفى بسرفا ان لا يشتهي شيا الا
اشتراه فاكله قوله عز وجل والذين لا يدعون مع الله الها
اخر عن ابن عباس ان اناسا من اهل الشرك كانوا قد
قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما
عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل قل يا عباد
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ق عن عبد
الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب اكبر
عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان
تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة
جارك فانزل الله تصديقه والذين لا يدعون مع الله الها اخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الي بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما ومعنى الاية ومن يفعل شيا من ذلك يلق اثاما

قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام
واد في جهنم ويروى في الحديث ان الغي والاثام بيران في جهنم
يسيل فيهما صديد اهل النار يضاعف له العذاب يوم القيامة
وقيل سبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي
مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ويخلد فيه
مهانا اي ذليلا قوله تعالى الا من تاب عن ذنبه وامن بربه
وعمل عملا صالحا اي فيما بينه وبين ربه وروي عن ابن عباس
قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين
والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما
رايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء مثل ما فرح بها وفرحه
بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله
غفورا رحيما قال ابن عباس يبدل لهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك
محاسن الاعمال في الاسلام فيبدل لهم بالشرك ايمانا وبقتل
المومنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله
بسيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة ق عن ابي
ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر رجل
يخرج من النار رجل يوتى يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغاير
ذنوبه وارفعوا عنه كبايرها فتعرض عليه صغايرها فيقال له
عملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من
كبايرد فيه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة
فيقول يارب قد عملت اشياء لا اراها هنا قال فلقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله يحول
بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب
وعمل صالحا قيل هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الاية

الاولى

الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا
يعني ادى الفرايض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله
اي يعود اليه بعد الموت متابا اي حسنا يفضل على غيره ممن
قتل وزنا فالاية الاولى وهو قوله تعالى ومن تاب رجوع عن الشرك
والثاني رجوع الى الله للجزاء والمكافاة وقيل هذه الاية ايضا في التوبة
عن جميع السيات ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى
الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اي يتب الى الله وقيل
معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى قوله تعالى والذين
لا يشهدون الزور يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور ق عن
ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم باكبر الكبائر
قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان
متكيا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها
حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين
جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون
الزور يعني اعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعدون
اهل الباطل على باطلهم وقيل الزور واللهو اللعب والغناء قال
ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع واصل
الزور حقيقة تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل
بما يوهم انه حق واذا مروا باللغو مروا كراما وهو كل ما يجب ان يلغى
ويترك مروا كراما يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى
اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الاية منسوخة بايات
القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو
والباطل مروا كراما اي مسرعين معرضين وهو ان ينزه المرء
نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة والذنب اذا ذكروا بايات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قيل معناه انه ليس فيه نفي

نفي الحزور وانما هو اثبات له ونفي الصمم والعمي والمعني انهم اذا ذكروا
بها اكبوا علي اسقاعها باذان واعية واقبلوا علي الذكر بها بقلوب
مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا اذا لم يسقطوا ولم يقعوا عليها
صما وعميانا كانهم باذا انهم صم وباعينهم عمي بل يسمعون ما يذكرون
به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه قوله عز وجل والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين اي ابرارا اتقياء صالحين
فتقر اعيننا بذلك قيل ليس شيء اقر لعين المومن من ان يري زوجته
واولاده مطيعين لله عز وجل فطمعوا ان يجعلوا معه في الجنة فيتم
سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين
عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال
دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى
قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر
الي غيره واجعلنا للمتقين اماما اي ايمة يقتدون في الخير بنا
المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هدي وقيل معناه انهم
سالوا الله ان يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدي
بهم قال بعضهم فيه دليل علي ان الرياسة في الدين سنة مطلوبة
مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا
اماما واجعلنا مقتدين بمن مومنين بهم اولئك يجزون اي يثابون
الغرفة الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل بريد غرف
الدر والزبرجد واللولو واليا قوت في الجنة بما صبروا اي علي
طاعة الله واوامره وعلي اذي المشركين وقيل بما صبروا
عن الشهوات وليتوون فيها تحية اي ملكا وقيل بقاء ايما هو
وسلاما اي يسلم بعضهم علي بعض ويرسل الرب اليهم بالسلام
وقيل سلاما اي سلامة من الافات بقوله تعالي خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما عن موضع قرار واقامة قل ما يعبو

بكم ربي اي ما يصنع وما يفعل بكم لوجودكم وعدمكم سواء وقيل
معناه اي وزن ومقدار لكم عنده لولا دعاكم اياه وقيل معناه
لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل معناه لولا دعاوه اياكم الي
الايمان واذا استتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبوء
بخلقتكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعني انه خلقكم لطاعته وعبادته
وهذا قول ابن عباس وقيل معني ما يعبوء اي ما يبالي بمغفرتكم
ربي لولا دعاوكم معه الهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة
الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم فقد كذبتم ايها
الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم الي توحيده
وعبادته علي لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد كذبتم
الرسول ولم تجيبوه الي الايمان فسوف يكون لزاما هذا التهديد
لهم اي يكون تكذيبهم قتالا ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل
قتالا والمعني يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطي التوبة
حتي يجازي بعمله وقيل معناه عذابا دايما وهلاكا لازما لمن كذب
مغنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون
واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وابي بن كعب
يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الاخرة لازما لهم
ق عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام
والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام
والبطشة والله سبحانه وتعالي اعلم بمراده واسراركتابه

تفسير سورة الشعراء مكية

الا اربع ايات من آخر السورة من قوله تعالي والشعراء يتبعهم
الغاوون وهي مايتان وسبع وعشرون اية والف ومايتان
وتسع وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية واربعون حرفا
وروي عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اعطيت

طه والطواسين من الواح موسي عليه الصلاة والسلام
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
طسم قال ابن عباس طسم عجزت العلما عن علم تفسيرها وفي
رواية اخري عنه انه قسم وهو من اسما الله تعالي وقيل اسم
من اسما القران وقيل اسم السورة وقيل القسم بطوله وسنايه
وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات الكتاب المبين قيل
لما كان القران فيه دلايل التوحيد والاعجاز الدالة علي نبوة محمد
صلي الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع فنبهت بذلك انه ايات
القران كافية مبينة لجميع الاحكام لعلك باخع اي قاتل نفسك
الا يكونوا مومنين اي ان لم يومنوا حين كذبه اهل مكة فشق
عليه ذلك وكان يحرص علي ايمانهم فانزل الله هذه الاية ان
نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
اي لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون منها فلا يلوي احد منهم
عنقه الي معصية الله سبحانه وتعالي وقيل معناه لو شا الله
لاراهم امرا من امره لا يمكن احد منهم بعده معصية فان قلت
كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام
فظلوا لها خاضعين فالجئت الاعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الكلام علي اصله ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلا
قيل خاضعين وقيل اعناق الناس رووسا وهم ومقدموهم
اي فظلت كبراوهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات
يقال جاءنق من الناس اي جماعة قوله تعالي وما ياتيهم من
ذكر من الرحمن اي وعظ وتذكير محدث اي محدث انزاله
فهو محدث التنزيل وكلما نزل شي من القران بعد شي فهو
احدث من الاول الا كانوا عنه معرضين اي عن الايمان به
فقد كذبوا فسياتيهم انبا اي اخبار وعواقب

ما كانوا به يستهزون اولم يروا الي الارض يعني المشركين
كم انبتنا فيها اي بعد ان لم تكن فيها نبات من كل زوج كريم
اي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما ياكل الناس
والانعام قال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو
كريم ومن دخل النار فهو ليم ان في ذلك اي الذي ذكرته لاية
تدل علي انه واحد اي دلالة علي كمال قدرتنا وتوحيدنا
كما قيل وفي كل شي له اية تدل علي انه واحد وما كان
اكثرهم مومنين اي سبق علي علمي ان اكثرهم لا يومنون ولا
يصدقون وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم من اعدايه
الرحيم ذو الرحمة لاوليايه قوله تعالي واذ نادي اي واذكر
يا محمد اذ نادي ربك موسي اي حين راي الشجرة والنار
ان ايت القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر
والمعاصي وظلموا بني اسراييل باستعبادهم وسومهم سوء
العذاب قوم فرعون يعني القبط الا يتقون اي يصرفون
عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به قال رب
اي يارب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق
اي بتكذيبهم اياي ولا ينطلق لساني اي للعقدة التي كانت
علي لسانه فارسل الي هارون اي ليوازرني ويعينني علي
تبليغ الرسالة ولهم علي ذنب اي دعوي ذنب وهو قتل القبطي
فاخاف ان يقتلون اي به قال الله تعالي كلا اي لن يقتلوك
فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون اي سامعون ما تقولون
وما يقال لكم فان قلت ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان
قلت اجراهما مجري الجماعة وهو جايز في لغة العرب فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا قيل اني رسول
كما في قوله فاتياه فقولا انا رسولا ربك قلت الرسول قد

يكون بمعني المرسل وبمعني الرسالة فجعله تم بمعني المرسل فلم
يكن بد من تثنية وجعله هنا بمعني الرسالة فجازت التسوية فيه
اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعني انا ذوا رسالة كما
قال كثير لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بشيء وقيل انهما
لا تفارقهما في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول
واحد ولا ارسلتهما برسول واحد وقيل كل واحد منا رسول
رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل اي خلهم واطلقهم
معنا الي ارض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم
اربعماية سنة وكانوا في ذلك الوقت ستماية الف وثلاثون الفا
فانطلق موسي برسالة ربه الي مصر وهارون بما فاخبره
بذلك وفي القصة ان موسي رجع الي مصر وعليه جبة صوف
وفي يده عصاة والمكتل معلق في راس العصاة وفيه زاد
فدخل دار نفسه واخبرها وهرون ان الله قد ارسلني الي فرعون
وارسل اليك تدعوا فرعون الي الله فخرجت امها وصاحت
وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم
يمتنع بقولها وذهبا الي باب فرعون وذلك بالليل فدق
الباب فقرع البوابون وقالوا من بالباب فقال انا موسي انا
رسول رب العالمين فذهب البواب الي فرعون وقال ان
مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتي اصبح
ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الي فرعون فلم يؤذن
لهما سنة بالدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا
انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ايذن له
لعلنا نضحك منه فدخلا علي فرعون واديا رسالة الله تعالي
فعرف فرعون موسي لانه نشا في بيته فقال له الم نربك فينا
وليدا اي صبيا ولبثت فينا من عمرك سنين اي ثلاث

سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتلت القبطي وانت
من الكافرين قال اكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق
تربيتي يقول ربيناك فينا فكافيتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت
بنعمتنا وهذه رواية عن ابن عباس وقيل ان فرعون لم يكن
يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جايز علي الانبيا قبل النبوة
ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون والهيبته
قال يعني موسي فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين
بان ذلك يودي الي قتله لان فعل الوكزة علي وجه التاديب
لا علي وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل
من المخطيين ففررت منكم لما خفتكم اي الي مدين فوهب
لي ربي حكما يعني النبوة وقيل العلم والفهم وجعلني من المرسلين
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل اي اتخذتهم عبيدا
قيل عدها موسي نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدا
بني اسرايل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرايل فيكون معني
الاية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل وتركتني فلم
تستعبدني وقيل هو علي طريق الانكار ومعني الاية وتلك نعمة
علي طريق الاستفهام فحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن
ربيعة لما انسف يوم الرحيل وقعتها وطرفها من دموعهما غرق
حولها والركاب واقفة تركتني هذا وانطلق اي
وتركتني والمعني امتن علي ان ربيتني وتنسي جنايتك علي
بني اسرايل بالاستعباد والمعاملات القبيحة او بد بدكيف
تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه
فقد ذل فتعبد بني اسرايل قد احبط حسناتك الي ولو لم
تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم ارفع اليك حتي تربيني وتكفلني
ولكان لي من اهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم قال فرعون

وما رب العالمين يقول اي شيء رب العالمين الذي تزعم انك رسوله
الي يستوصفه الهه الذي ارسله اليه وهو سوال عن جنس الشيء
والله تعالي منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسي عن
جوابه واجابه ببذكر افعاله واثار قدرته التي يعجز المخلوقات عن
الاتيان بمثله قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم
بذلك لزمكم ان تنقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السوال الا بما ذكرته
من الجواب ثم قال لاهل المعاني اي كما تيقنون هذه الاشياء التي
تغايبونها فايقنوا ان الاله الخالق هو الله تعالي الذي خلقها واوجدها
فلما قال ذلك موسي لخير فرعون في جواب موسي قال لمن حوله
اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمايه رجل عليهم الا
سورة الا تستمعون وانما قال فرعون ذلك علي سبيل التعجب
من جواب موسي يعني انما اطلب منه الماهية وخصوصية
الحقيقة وهو تجيبني بافعاله واثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون
ان الشمس ملوكهم ثم زاد وهو موسي في البيان قال ربكم ورب اباءكم
الاولين يعني ان موسي ذكر ما هو اقرب اليهم فقال ربكم يعني
انه خالقكم وخالق اباءكم الاولين قال يعني فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من السوال طلب الماهية
وهو تجيب بالاثار الخارجية وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي
يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب عنه
ويتكلم بكلام لا يعقله ولا يعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد
ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الي طريق ثالث
اوضح من الثاني ومعني ان كنتم تعقلون قد عرفت انه لا جواب
عن سوالك الا ما ذكرت قال فرعون حين لزمته الحجة وانقطع

عنه

عنه الجواب تكبرا عن الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه
كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان يهوي فيه الي الارض
وحده فلا يسمع ولا يبصر قال له موسي حين تواعده
بالسجن اولو جيتك بشيء مبين اي بايه بينة والمعني افعل
ذلك ان جيتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسي لان من احوال
الناس السكون الي الانصاف والاجابة الي الحق بالبيان
قال يعني فرعون فات به اي ان لم تات بما تدعيه ان
كنت من الصادقين فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين
قيل لما صارت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت
مقبلة الي فرعون فقال بالذي ارسلها الي اخذتها فاخذها
موسي فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم واراه
يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص
لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله فاذا هي بيضاء للناظرين
فعند ذلك قال فرعون للملا حوله ان هذا يعني موسي
لساحر عليم وكان زمان السحرة فلهذا روج فرعون هذا
القول علي قومه ثم قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره
قال هذا القول التنفير ليلا يقبلوا قول موسي فماذا تامرون
يعني ما رايكم فيه وما الذي اعمله فعند ذلك قالوا ارجه واخاه
اي اخره واخاه وابعث في المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار
عليم قيل ان فرعون اراد قتل موسي فقالوا له لا تفعل فانك
ان قتلته دخلت الناس شبهة في امره ولكن اخره واجمع له
سحرة ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة قوله تعالي فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق
ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز

ق

وفتح بدوه

وقيل للناس هل انتم مجتمعون لتنظروا ما يفعل الفريقان ولعلنا نكون
الغلبة لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل اراد بالسحر
موسى وهارون وقالوا على طريق الاستهزاء انما صاحبنا السحرة قالوا
لفرعون ايبن لنا الاجر ان كنا نحن الغالبين طلبوا من فرعون هذا
الجزاء وهو ما بذل المال والجاه منذ لهم ذلك كله واكده بقوله
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اى بعظمة فرعون
انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يافكون
اى يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت
حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى
فاذا هى كما كانت اول مرة فالقى السحرة ساجدين قيل انهم لما
راوا ما جاء وجد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا
ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
وانما قال رب موسى وهارون لان فرعون كان يدعى الربوبية
فاراد ان يعزله قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم
السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد مطلق وتهديد شديد قال
ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اى لا ضرر
علينا فيما ينالنا من الدنيا لاننا نتقلب ونصير الى ربنا فى الاخرة
مومنين متقلبين مومليين غفرانه وهو قولهم انا نطمع ان يغفر
لنا ربنا خطايانا اى الكفر والسحر ان اى لان كنا اول المومنين
اى من اهل زماننا وقيل اول المومنين اى من الجماعة الذين قد
حضروا ذلك الجمع قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى
انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وقومه ليجعلوا سبيلكم وبين الخروج
قيل اوحى الله الى موسى ان اجمع بنى اسرايل كل اهل اربعة ابيات

فى بيت فتوارثوا الاولاد الضان فاضربوا بدمها على ابوابكم فانى
سامر الملايكة فتقتل ابكار ال فرعون من انفسهم وامروا ان
لا يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبز خبزا فطيرا ثم اسر بعبادى
حتى تنتهى الى البحر فيانيك امرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم
موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعار
منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جهة البحر فلما
سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه فقتلوا ابكارنا من
انفسنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون فى المدائن حاشرين
يعنى الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن الف مدينة
وثنتى عشر الف قرية وخمسمائة الف فخرج فرعون فى الكرسى
العظيم ما يتى الف ملك مسومين مع كل ملك الف فذلك قال
ان هولاء لشرذمة قليلون قال اهل التفسير الشرذمة الدنين
قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق
الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة الف وسبعين الفا
ولا يحصى عدد اصحاب فرعون وانهم لنا لغائظون الغيظ
الغضب يعنى انهم اغضبونا بما لفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا
وذهابهم باموالنا التى استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير
اذن منا وانا لجميع حذرون اى خايفون من شرهم وقرى
حاذرون ذوا قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذى
يحذرك الا بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى
لا تلقاه الا خايفا فاخرجناهم من جنات وعيون قيل كانت البسا
ممتدة حافتى النيل فيها عيون وانهار جارية وكنوز يعنى
الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لم يودوا
حق الله منها وكل ما لم يعط ولم يود حق الله منه فهو كنز وان
كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة الف غلام كل غلام على فرس

عنيف في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى ومقام
كريم اي مجلس حسن قيل اراد مجالس الامراء والرؤساء التي كانت
لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة
كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء عليهم
اقبية الديباج محوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من
بساتينهم التي فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة
كذلك اي كما وصفنا اورثناها بني اسرائيل وذلك ان الله
عز وجل رد بني اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه
فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاملاك الحسنة
فاتبعوهم مشرقين اي لحق فرعون وقومه موسى واصحابه
وقت شروق الشمس وهو اضاءتها فلما تراء الجمعان اي تقابلا
بحيث يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون
اي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم قال يعني موسى
لثقته بوعد الله اياه كلا اي لن يدركونا ان معي ربي سيهدين
اي يدلني على طريق النجاة فاوحينا الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق اي صار فيه فانشق فكان كل فرق
اي قطعة من الماء كالطود اي الجبل العظيم وقيل لما استكمل موسى
ومن معه الى البحر هاجت الرياح وصار البحر تجري بموج كالجبال
فقال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد عشينا فرعون من خلفنا
والبحر امامنا فقال موسى هاهنا فخاض يوشع الماء الا يواري
حافر دابته وقال الذي تكلتم ايمانه يا كليم الله اين امرت
قال ههنا فلج فرسه بالجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم
اقتحم البحر فارتست في الماء وذهب القوم يقتحمون مثل
ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى
الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل

واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا يديه واولفنا ثم الاخرين
اي قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل
ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني
اسرائيل ليلحق اخركم اولكم ويقول للقبط روبد الليلحق اولكم اخركم
فكانوا بنو اسرائيل يقولون ما رأينا سياقة احسن من هذا
الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما رأينا احسن دعة من
سياقة هذا الرجل وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا
الاخرين يعني انه تعالى جعل البحر يبساً حتى خرج موسى
وقومه منه واغرق فرعون وقومه وذلك لما تكاملوا في البحر
انطبق عليهم فاغرقهم ان في ذلك لاية يعني ما احدث في البحر
من انفلاقه اية من الايات العظام الدالة على قدرته ومجيء
موسى عليه السلام وما كان اكثرهم مومنين يعني اهل مصر قيل
لم يومن منهم الا اسية امراة فرعون وحزقيل مومن ال فرعون
ومريم ابنة ماموسا التي دلت على قبر يوسف حين اخرجه
موسى من البحر وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى واتل
عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي
شيء تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة
الاصنام ليريهم ان ما يعبدون ليس من استحقاق العبادة
في شيء قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي نقيم على
عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل قال هل يسمعونكم اي يسمعون دعاءكم اذ تدعون
او ينفعونكم يعني بالرزق او يضرون اي ان تركتم عبادتها
واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة
القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون المعنى انها
لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولعل اقتدينا باباءنا

في ذلك وفي الاية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ
بالاستدلال قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وابأوكم الاقدمون ه
اي الاولون فانهم عدو لي اي اعدائي وانما وحده على ارادة م
الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهما جمادات لا تعقل
قلت معناه فانهم عدو لي يوم القيمة لو عبدتهم في الدنيا وقيل
ان الكفار لما عبدوها وتولوها منزلة الاحيا العقلا اطلق ابراهيم لفظ
العداوة عليهما وقيل هو من التلوب اراد فانهم عدو لهم لان من
عاد ربه فقد عداك الا رب العالمين اي ولكن رب العالمين فانه
ربي وولييي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى
فقال ابراهيم كل من تتبدون اعدائي الا رب العالمين ثم وصف
معبوده الذي يستحق العبادة فقال الذي خلقني فهو يهدين
الى طريق النجاة والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني ويغذيني
اي بالطعام والشراب واذا مرضت اضافه
المرض الى نفسه استعمالا اي يبريني ويعافيني من المرض
والذي يميتني ثم يحيين اي يميتني في الدنيا ثم يحييني في
الاخرة والذي اطمع اي ارجوا ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
اي يوم الجزا والحساب وقيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم
الكلام عليها م عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول
الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين
فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي
يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح
للالهية الا من يفعل هذه الافعال ثم قال رب هب لي حكما ه
قال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقيل العلم والفهم
والحقني بالصالحين اي بمن سلف قبلي من الانبيا في المنزلة
والدرجة العالية واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي

ثنا

ثنا حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم الذي يجي بعدي فاعطاه
الله ذلك وجعل كل الاديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني من ورثة
جنة النعيم اي ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى
واغفر لابي انه كان من الضالين قيل دعا لابيه على رجا ان يسلم
فيغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه والاخزني اي ولا تفضحني
يوم يبعثون وهو يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك فاما الذنوب
فلا يسلم منها احد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح
وهو قلب المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم
هو الخالص في من البدعة المطمين الى السنة وازلفت الجنة اي
قربت للمتقين وبرزت الجحيم اي ظهرت للغاوين اي الكافرين
وقيل لهم يوم القيامة اينما كنتم تعبدون من دون الله هل
ينصرونكم اي يمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون لانفسهم
فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على
بعض وقيل القوا على رؤسهم فيها اي في جهنم هم
والغاوون يعني الالهة والعابدون وقيل الجن والكافرين ه
وجنود ابليس اجمعون يعني اتباعه ومن اطاعه من الجن والانس
وقيل ذريته قالوا وهم فيها يختصمون يعني العابدين والمعبود
والعنا انهم قالوا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم اي
نعدلكم برب العالمين فنعبدكم وما اضلنا يعني دعانا الى الضلال
الا المجرمون يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس
وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم
الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصي فما
لنا من شافعين يعني من يشفع لنا كما ان للمومنين شافعين من
الملايكة والانبيا ولا صديق حميم اي قريب يشفع لنا يقولون

جن

اي مع

ذلك الكفار حين يسمع الملايكة والنبيون والمومنون والصديقون
وهو الصادق في الوعد مع موافقة الدين عن جابر ابن عبد
الله قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان
الرجل ليقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم
فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الي الجنة فيقول من
بقي لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد
الثعلبي قال الحسن استكثروا من الاصدقا المومنين فان لهم
شفاعة يوم القيامة فلو ان لنا كرة اي رجعة الي الدنيا فنكون
من المومنين اي انهم تمنوا الرجعة حتي لا رجعة لهم ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين اي مع هذه الايات والدلايل
وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وهو
في وصف عزته رحيم قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين
اي كذبت جماعة قوم نوح وقيل القوم مونثة وتصغيرها قويمة
فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك
باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم
جاء بما جا به الاول فمن كذب واحدا من الانبيا فقد كذب جميعهم
اذ قال لهم اخوهم نوح بعضهم اخوهم في النسب لا في الدين الا
تتقون الاخا فون فتتركوا الكفر والمعاصي اني لكم رسول امين
اي علي الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة فاتقوا الله اي
بطاعته وعبادته واطيعون فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد
وما اسالكم عليه من اجر اي من جعل وجزا ان اجري اي
ثوابي الا علي رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قيل كرر ها
ليولد عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار هم
ومعني الاول الا تتقون الله في مخالفتي وانا رسول الله ومعني
الثاني الا تتقون الله في مخالفتي وانا لست احدا منكم اجرا

قالوا

145

قالوا انومن لك واتبعك الارذلون اي السفلة قال ابن عباس
الحاكة وقيل الحاكة والاساكفة قال يعني نوحا وما علمي بما
كانوا يعملون اي وما اعلم اعمالهم وصناعتهم وليس علي من
زيادة مكاسبهم واحوالهم شي انما كلفت ان ادعوهم الي الله
تعالي وما لي الا ظواهرهم وقال الرخاج الصناعات لا تضر في
الديانات وقيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم
ويخذلكم ان حسابهم الا علي ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك
ما عيرتموهم بصنايعهم وما انا بطارد المومنين اي عني وقد امنوا
ان انا الا نذير مبين معناه اي احوف من كذبني ممن امن فهو
القريب مني ومن لم يومن فهو البعيد مني قالوا لين لم تنته
يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين اي من المقتولين
بالحجارة وهو اسوء القتل وقيل من المشتومين قال رب ان
قومي كذبون فافتح اي احكم بيني وبينهم فتحا اي حكما ونجني
ومن معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
اي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا بعد الباقين
اي بعد انجا نوح ومن معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالي كذبت عاد المرسلين اذ
قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين اي امين
علي الرسالة فكيف تخونون اليوم فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا علي رب العالمين اتبنون
بكل ريع قال ابن عباس اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق
وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل الكان المرتفع اية اي علامة وهي
العلم تعبثون اي بمن مر بالطريق والمعني انهم كانوا يبنون
بالمواضع المرتفعة ليشرفوا علي المارة ويسالة فيسخروا منهم
ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم بعود

تبنون

بالحاذها وهي تعبثون تلعبون بالحمام وتتخذون مصانع قال
ابن عباس اربعة وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل
ماء حد الماء يعني الحياض لعلكم تخلدون اي كانكم تبقون فيها
خالدين لا تموتون واذا بطشتم اي واذا اخذتم وسطوتم
بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار
الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف
البشر فاتقوا الله واطيعون فيه زيادة تحريض
حب النهار والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما
تعلمون اي اعطاكم من الخير ما لا تعلمون ثم ذكر ما اعطاهم
فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه
التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم انى اخاف عليكم
قال ابن عباس اي ان عصيتموني عذاب يوم عظيم
فكانوا جوابهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن
من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه
واستخفافهم بما اورده من الموعظة والوعظ كلام يلين
القلب يذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين
قرئ بفتح الخاء اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ
خلق الاولين بضم الخاء واللام عادة الاولين من قبلنا
انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب
وخوفهم وما نحن بمعذبين اي انهم اظهروا تقوية
نفوسهم فيما تمسكوا به من انكار يوم المعاد فكذبوه فاهلكناه
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من

اجر

اجراي اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ها هنا
امنين اي في الدنيا من العذاب في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها اي ثمرها الذي يطلع منها يقضم
قال ابن عباس لطيب وعنه بانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل
منهشم تتفتت اذا مس وقيل الهضم هو الذي داخل بعضه في
بعض من النضج او النعومة وقيل هو المدرك وتنحتون من الجبال
بيوتا فرهين وقرئ فارهين الفاره الحاذق بنحتها والمرة قال
ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فاتقوا الله واطيعون
بصنعكم فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن
عباس يعني المشركين وقيل يعني العشرة الذين عقروا الناقة
الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون اي لا يطيعون الله فيما
امرهم قالوا انما انت من المسحرين اي من المسحورين المخدوعين
قال ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب
ما انت الا بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك
فات باية يعني على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين
يعني انك رسول الينا قال هذه ناقة لها
شرب اي حظ من الماء ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسوء اي بعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها
فاصبحوا نادمين اي على عقرها لما راوا العذاب فاخذهم
العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين يعني نكاح الرجال
من بني ادم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني

اي بالملاهي

تتركون العضو المباح من النسوان وتميلوا الي ادبار الرجال بل
انتم قوم عادون اي معتدون مجاوزون الحلال الي الحرام قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا قال اني
لعملكم من القالين اي من التاركين المبغضين رب نجني واهلي
مما يعملون اي من العمل الخبيث قال الله تعالي فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا اي امراته في الغابرين اي بقيت في
المهلكين ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا
يعني الكبريت والنار فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل
كذب اصحاب الايكة المرسلين اي العيطة المتسلتلة من الشجر
وقيل هي اسم البلد اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم لانه لم
يكن منهم وانما كان من مدين وارسل اليهم الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من
اجران اجري الا علي رب العالمين انما كانت دعوة هولاء
الانبيا فيما حكي عنهم علي صيغة واحدة لاتفاقهم علي تقوا
الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر
علي تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي
الناقصين لخوف الناس في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس
اي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا
تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
يعني الخليقة والامم المتقدمة قالوا انما انت من المسحرين وما
انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا
كسفا اي قطعا من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم
بما تعملون اي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم
وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة والتبليغ فكذبوه فاخذ

عذاب

عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وذلك انهم اصابهم
حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك
فيخرجون فاصابتهم سحابة واجتمعوا تحتها فامطرت عليهم
نارا فاحترقوا جميعا ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم وقد تقدم الكلام علي هذه القصص في
سورة الاعراف وهود فاغني عن الاعادة هنا والله اعلم بمراده
واسراد كتابه قوله عز وجل وانه يعني القران لتنزيل رب العالمين
يعني ان فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل علي انه من رب
العالمين نزل به الروح الامين يعني جبريل عليه السلام سماه
روحا لانه خلق من ريح وسماه امينا لانه موتمن علي وحيه
لانبيا به علي قلبك يعني حتي تفهمه وتحفظه لانشاه وانما خص
القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل
والاخبار وسايرالاعضا مسخرة له ويدل عليه قوله صلي
الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في
الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم
والحزن هو القلب فاذا فرح القلب او حزن لتغير حال ساير
الاعضا فكان القلب كالرييس لها ومنه ان موضع العقل هو
القلب علي الصحيح علي القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب
هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف شروط بالعقل وهو
والفهم وقوله تعالي لتكون من المنذرين اي المخوفين بلسان
عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه وانه
يعني القران وقيل ذكر محمد صلي الله عليه وسلم صفته ونعته
في زبر الاولين اي كتب الاولين اولم يكن لهم اية يعني ولو
لم يكن لهولا المتكلمين علامة ودلالة علي صدق محمد صلي

الله عليه وسلم ان يعلمه بعني يعلم محمدا صلي الله عليه وسلم علما يتوا
اسرايل قال ابن عباس بعث اهل مكة الي اليهود وهم بالمدينة
يسالوهم عن محمد صلي الله عليه وسلم فقالوا ان هذا الزمان وانا نجد
في التورات نعته وصفته فكان ذلك اية علي صدقه صلي الله عليه
وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد
واسيد قوله تعالي ولو نزلناه بعني القران علي بعض الاعجمين
جمع اعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في
النسب ومعني الاية لو انزلنا القران علي رجل ليس بعربي اللسان
فقراه عليهم بعني القران ما كانوا به مومنين اي قالوا لا نفقهه
قولك وقيل معناه لما امنوا به انفة من اتباع من ليس من العرب
كذلك سلكناه قال ابن عباس بعني ادخلنا الشرك والتكذيب
في قلوب المجرمين لا يومنون به اي القران حتي يروا العذاب
الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون
اي لنومن ونصدق ونمنوا الرجعة ولا رجعة لهم افبعذابنا
يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلي الله عليه وسلم بالعذاب قالوا
متي توعدنا بالعذاب ومتي هذا العذاب فانزل الله افبعذابنا
يستعجلون اخبر انه منقطاهم سنين اي لكفار مكة في الدنيا
ولا تملكهم رخاهم ما كانوا يوعدون بعني العذاب ما اغني عنهم
ما كانوا يمتعون اي في تلك السنين الكثيرة والمعني انهم وان طال
تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع
شيا ويكونوا كانهم لم يكونوا في نعيم قط وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون اي رسل ينذرونهم ذكري اي تذكرة وما كنا ظالمين
اي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين
بعني المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القران علي قلب
محمد صلي الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك وما ينبغي لهم اي ينزلوا

بالقران

بالقران وما يستطيعون اي ذلك ثم انه تعالي ذكر سبب ذلك
فقال انهم عن السمع لمعزولون اي محجوبون بالرجم بالشهب
فلا يصلون الي استراق السمع فلا تدع مع الله الها اخر فتكون
من المعذبين الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والمراد به غيره
لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت
اكرم الخلق علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك قوله تعالي
وانذر عشيرتك الاقربين روي محمد بن اسحاق بسنده
عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين
دعاه رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني
ان انذر عشيرتي الاقربين فصنعت بذلك ذرعا وعرفت اني
متي اباديهم بهذا الامر اري منهم ما اكره فصمت عليها حتي
جاني جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع
لنا طعاما واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع
لي بني عبد المطلب حتي ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني ثم ا
دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو اربعين رجلا يزيدون رجلا او ينقصون
فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا ه
دعاني بالطعام الذي صنعت فجيت به فلما تناول رسول الله صلي
الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي
الصحفة ثم قال لهم خذوا باسم الله فاكل القوم حتي ما بهم من شي
من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليا كل مثل ما قد صنعنا
لجميعهم ثم قال اسق القوم فجيتهم بذلك العس فشربوا حتي
رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد يشرب مثله فلما اراد
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال
سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلي الله عليه

وسلم فقال الغد يا علي فان هذا الرجل قد سبقني الي ما سمعته
من القول فتعرف القوم الطعام لعله ان اكلهم فعد لنا من الطعام مثل
ما صنعت ثم اجمعهم فعملت ثم دعاني بالطعام فقربته ثم
فعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلي الله
عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخير الدنيا
والاخرة وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني
علي امري هذا ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاجمع القوم
عنها جميعا وان احدهم مسا فقلت انا يا رسول الله اكون
وزيرك فاخذ برقبتي ثم قال هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم
فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب
قد امرك ان تسمع لعلي وتطيعه ق عن ابن عباس لما نزلت
وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلي الله عليه وسلم
علي الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من
قريش فتداجمعوا فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا
لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا
بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك
كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبا لك سايرا اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب
وتب ما اغني عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية
للبخاري لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك
منهم المخلصين خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى
صعد علي الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا
اليه وذكر نحوه ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم حين انزل الله تعالي وانذر عشيرتك الاقربين
قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم

من

من الله شيئا يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف لا اغني
عنكم من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم
لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله صلي الله
عليه وسلم سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا
م عن قبيصة بنت بن مخارق وزهير بن عمرو وغالا لما نزلت م
وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلي الله عليه
وسلم الي رضمة جبال صعلا اعلاها حجرا ثم نادي يا بني عبد
المطلب اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راي العدو
فانطلق يربا اهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه
ومعني الاية ان الانسان اذا بدا بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب
من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع
وكلامه اجمع واخص اي البين جناحك لمن اتبعك من
المومنين فان قلت ما معني التبعيض في قوله من المومنين قلت
لمن اتبعك من المومنين المصدقين بعلومهم واستهم دون
المومنين بالسنتهم وهم المنافقون فان عصوك اي فيما تامرهم
به تقل اني بري مما تعملون اي من الكفر والمخالفة وتوكل علي
العزيز الرحيم التوكل عبارة عن تفويض الرجل الي من يملك
امره ويقدر علي نفعه وضره وهو الله تعالي العزيز الذي يقهر
اعداك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته الذي
يراك حين تقوم اي الي صلاتك وقيل يراك ايما كنت وقيل
يراك حين تقوم لدعائك وتقلبك في الساجدين قال
ابن عباس وبري تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك
وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك
اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يري تقلب
بصرك في المصلين فانه صلي الله عليه وسلم كان يبصر من

عك

خلقه كما يبصر من امامه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي
خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري وقيل معناه
بيري نصرتك وذهابك ومجيدك في اصحابك المومنين وقيل نصرتك
في احوالك كما كانت الانبيا من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك
في اصلاب الانبيا من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة
انه هو السميع اي لقولك ودعائك العليم اي بنيتك وعملك
قل يا محمد هل انبيكم اي اخبركم على من تنزل الشياطين هذا
جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين علي من تنزل الشياطين
فقال تعالى تنزل على كل افاك اثيم كذاب اثم اي فاجر وهم
الكهنة وذلك ان الشياطين يسترقون السمع ثم يلقونه الى
اوليايهم من الانس وهو قوله تعالى يلقون السمع اي ما يسمعون
من الملايكة فيلقونه الى الكهنة واكثرهم كاذبون لانهم مخلوط
به كذبا كثيرا والشعرا يتبعهم الغاوون قال اهل التفسير اراد
شعرا الكفار الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم
منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن ابي وهب
المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عمرو بن عبد الله
الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل
ونحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة
قومهم يسبون اشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله
عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم فردلهم قذلك قوله
يتبعهم الغاوون هم الرواة الذين يروون هجا المسلمين
وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفها الضالون
وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تفاجيا عاي
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد منهما غواة

من قومه وهم السفها فنزلت هذه الاية الم تر انهم في كل وا د
من اودية الكلام يهيمون يعني حايرين وعن طريق الحق جايرين
والهايم الذاهب على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس في كل
لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل
وقيل انهم يمدحون الشي ثم يذمونه لانهم لا يطلبون الحق
والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والخوض في المعاني
والقوافي وانهم يقولون ما لا يفعلون اي انهم يكذبون في
شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه
وهم لا يفعلونه وينذمون البخل ويصبرون عليه ويهجون
الناس بادنى شي صدر منهم فعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلي جوف احدكم قيحا
حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا ثم استثنى شعرا المسلمين
الذين كانوا يجيبون شعرا الكفار ويهجون الكفار وينافحون
عن محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت
وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ان الله انزل في الشعر ما انزل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي
بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل عن انس بن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي
بين يديه وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخل عن خليله فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي

اسرع فيهم من نقع النبل اخرجه الترمذي والنسائي وقال
الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه
وهذا اصح عن بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة
قتل يوم مؤته وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول
لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤته سنة ثمان والله اعلم
وعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة
لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد
يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او
قال ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله
وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا
فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل ابن رواحة فقال
اهجهم فهجاهم فلم يرض وارسل كعب بن مالك ثم ارسل الى
حسان ابن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد ان لكم ان ترسلوا
الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع بلسانه فجعل يحركه فقال
والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريشا بانسابها
وان لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع
فقال والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من
العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لحسان ان الله يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان
فشفى واشتفى فقال حسا

هجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت

هجوت محمدا برا تقيا ... رسول الله سيمته الوفاء
فان ابي ووالدي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
فكفت بنيتي ان لم تروعا ... تثير النقع من طرفي كداء
يبارين الاعنة مصعدات ... على اكنافها الاسد الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتموا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد ارسلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا ... هم الانصار عرضتها اللقاء
نلاقي كل يوم من معد ... سباب او قتال او هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
فصل في مدح الشعر وذمه عن ابي بن كعب قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة وعن ابن
عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم
بكلام فقالت من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه
ابو داود وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول
النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية
بن ابي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه
ثم انشدته بيتا قال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد في رواية
لقد كاد يسلم في شعره وعن جابر بن سمرة قال جالست
النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه
يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو
ساكت وربما يتبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح

تحذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول
الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر منهما وروي عن
ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشده في المسجد فبينما
انه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها
فقال امن ال نعمي انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر فانشده
القصيده الي اخرها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس
اعاد القصيدة جميعا وكان حفظها بمرة واحدة قوله تعالى
وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله وانتصروا من
بعد ما ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم ردوا بالهجاء ثم
اوعد شعراء المشركين فقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي اشركوا
وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من النجا
اي منقلب ينقلبون اي اي مرجع يرجعون اليه بعد الموت
قال ابن عباس الي جهنم وبئس المصير والله اعلم بأسرار كتابه

تفسير سورة النمل وهي مكية

وهي مائتان وثلاثون وست ايات والف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة
واربعة الاف وسبعمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طس تلك ايات
القرآن اي هذه ايات القرآن وكتاب مبين اي وايات كتاب
مبين هدي وبشرى للمومنين اي هو هدي من الضلالة وبشرى
لهم بالجنة الذين يقيمون الصلاة اي الخمس بشرائطها ويؤتون
الزكاة اي ان اوجبت عليهم طيبة بها انفسهم وهم بالاخرة
هم يوقنون يعني ان هولاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون
بالاخرة ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم اي القبيحة
حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان خلق الله العلم في
القلب بما فيه من المنافع واللذات ولا خلق فيه العلم بما فيه من

المنار

المضار والافات فهم يعمهون اي يترددون فيها متحيرين اولئك
الذين لهم سوء العذاب اي اشده وهو القتل والاسر وغم
في الاخرة هم الاخسرون اي انهم خسروا انفسهم واهليهم
وصاروا الى النار قوله تعالى وانك لتلقى القرآن اي تؤتاه
وتلقنه وحيا من لدن حكيم عليم اي حكيم علام بما انزل اليك
قال قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم
بالامور العلمية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون علما وقد
يكون نظرا والعلوم النظرية اشرف اذ قال اي واذكر يا محمد
اذ قال موسى لاهله اي في مسيره لاهله من مدين الى مصر
اني انست نارا اي ابصرت سآتيكم منها بخبر اي اعلموا مكانكم
سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق او آتيكم بشهاب
قبس الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل
القبس هو العود الذي في احد طرفيه نار لعلكم تصطلون اي
تستدفئون من البرد وكان في شدة الشتاء فلما جاءها نودي
ان بورك من في النار اي بورك من في النار وقيل البركة راجعة
الى موسى والملايكة والمعني بورك من في طلب النار وهو موسى
ومن حولها وهم الملايكة الذين هم حول النار وهذه تحية من
الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من في النار والنور ذكر
بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار وهم الملايكة وذلك
ان النور الذي راه موسى كان فيه ملايكة لهم رجل بالتسبيح
والتقديس ومن حولها هو موسى يعرف لانه كان بالقرب
منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بورك
النار والمعني بورك في النار ومن حولها وهم الملايكة وموسى
روي عن ابن عباس معناه في قوله بورك من في النار يعني
قدس من في النار وهو الله تعالى عني به نفسه على معنى

الانبيا الا يذنب يصيبه احد صغرت اصابه اخافه حتى يتوب فعلى
هذا التاويل يكون مستثنا وتنا هي الخبر عن الرسل عند قوله الا من
ظلم ثم ابتدا الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفي الاية متروك
استغني عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثنا
من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو الاستثنا من المتروك
ومعناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين
وهو الاستثنا المنقطع معناه لكن من ظلم من سايرالناس فانه
يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم اي
اغفر له وازيل خوفه وقيل الاهنا بمعنا ولا معناه ولا يخاف
لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء بعني تاب
من ظلمه فاني غفور رحيم ثم ان الله تعالي اراه اية اخري فقال
تعالي وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا قيل كانت عليه
مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في
جيبها واخرجها فاذا هي تبرق كشعاع الشمس او البرق من
غير سوء اي من غير مرض في تسع ايات اي اية في تسع ايات
انت مرسل بهن فعلي هذا تكون الايات احدي عشرة العصا
واليد البيضا والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمس والجدب والمضا في نوادبهم والنقصان في مزارعهم
وقيل في بمعني من اي من تسع ايات فتكون اليد البيضا من
التسع الي فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي
خارجين عن الطاعة فلما جاتهم اياتنا مبصرة اي بينة واضحة
منبصر بها قالوا هذا اي الذي نراه سحر مبين اي ظاهر وجحدوا
بها اي انكروا الايات ولم يعتبروا انها من عند الله واستيقنتها انفسهم
اي علموا انها من عند الله والمعني انهم جحدوا بها بالسنتهم واستيقنوه

انه نادي موسي واسمعه من جهتها كما روي انه مكتوب في
التورات جا الله من سينا واشرق من ساعير واستعلي من جبال
فاران ومعني مجيه من سينا بعثة موسي منه ومن ساعير
بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلي الله عليه وسلم
وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي احدي حجب
الله عز وجل كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحترقت
سبحات وجهه ما انتهي اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه
وتعالي نفسه وهو المنزه من كل سوء عيب فقال تعالي وسبحان
الله رب العالمين ثم يتعرف الي موسي بصفاته فقال يا موسي
انه انا الله العزيز الحكيم قيل معناه ان موسي قال من المنادي
قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره علي يده من البرهان
والمعني انا القوي القادر علي ما يبعد من الاهلم كقلب العصا
حية وهو قوله والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان وهي الحية الصغيرة التي
تكثر اضطرابها ولي مدبرا اي هرب من الخوف ولم يعقب اي
لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالي يا موسي لا تخف اني لا يخاف
لدي المرسلون يريد اذا امتثلتهم لا يخافون اما الخوف الذي
هو شرط الايمان فلا يضارقهم قال النبي صلي الله عليه وسلم
انا اخشاكم لله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور
رحيم قيل هو ما يصدر من الانبيا من ترك الافضل والصغيرة
وقيل ان يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسي من
قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقوله
موسي اني ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالي
لموسي انما اخفتك لقتلك النفس ومعني الاية لا يخيب الله

الانبيا

بقلوبهم وضمايرهم ظلما وعلوا اي تكبرا وتكبرا عن ان يؤمنوا
بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني الغرق
قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما اي علم القضاء
والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان
منطق الطير والدواب وقالا الحمد لله الذي فضلنا اي بالنبوة
والكتاب والملك وتسخير الجن والانس على كثير من عباده
المومنين اراد بالكثير الذي فضلا عليهم لم يوت على اولم يوت
مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضلا عليهما كثير وتمثل
انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع
قوله تعالى وورث سليمان داود يعني بنوته وعلمه وملكه
دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطى سليمان
ما اعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال
مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقفى منه وكان
داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان يتناكر النعم
الله تعالى وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير سمي
صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروي عن كعب الاحبار
قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا
لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال
اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلايق لم يخلقوا
وصاح طاووس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول
كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول هذا
قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون
ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا غافلين
وصاحت صيطوي فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها
تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون

ما يقول

ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة
قال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى
ملا سمايه وارضه وصاح قمري قال اتدرون ما يقول قالوا لا
قال انه يقول سبحان ربي الدايم قال والغراب يدعو على المشار
والحداة تقول كل شي هالك الا وجهه والعقاة تقول من سكت سلم
واليفا يقول ويل لمن كانت الدنيا همه والصفدع يقول سبحان ربي
القدوس والباري تقول سبحان ربي ونحمده والضفدعة تقول
سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان
فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش
استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل موقوف شجرة يحرك
راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل
قالوا الله ونبيه اعلم قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفاء وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا نسايلوك
عن تسعة اشياء اخبرنا عنها وصدقنا قال سلوا فتنتهاه
لا نفتنا قالوا اخبرنا عن ما تقول القنبرة في صفيرها والديك في
صعيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والعرس في صهيله
وما ذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبرة فانه يقول اللهم
العن مبغض محمد وال محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين واما
الضفدع فانه يقول سبحان المعبود في البراري والعقار واما الحمار
فانه يقول اللهم العن العشار واما العرس فانه يقول اذا التقا
الجمعان سبوح قدوس رب الملايكة والروح واما الزرزور فانه
يقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم يا رازق واما الدراج فانه
يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هولاء اليهود وحسن
اسلامهم وروي عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده الحسين
بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال

ابن ادم عش ما شئت اخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من
الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم العنه مبغض محمد وال
محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العلمين وبمحمد للعالمين كما
بينه العامري وقوله تعالى واوتينا من كل شئ اي مما اوتي الانبياء
والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقيل النبوة والملك
وتسخير الرياح والجن والشياطين ان هذا لهو الفضل المبين
اي الزيادة الظاهرة علي ما اعطي غيرنا وروي ان سليمان
اعطي مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة
فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب
والسباع واعطي مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفي زمنه
صنعت الصنايع العجيبة وحشر اي جمع لسليمان جنوده من الجن
والانس والطير من الاماكن المختلفة في مسيره فهم يوزعون
اي يحبسون حتي يردوا اولهم علي اخرهم قيل كان علي جنوده
وزعة من الشياطين ترد اولهم الي اخرهم لئلا يتقدموا في المسير قال
محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان مائة فرسخ خمسة م
وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثني
عشر الف خطوة والبريد ثمانية واربعون الف خطوة وهو اربع
فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن
له بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه
في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة والعلما علي م
كراسي الفضة ومن حولهم الناس فيقعد الانبيا علي كراسي
الذهب والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتي لا تقع
عليه شمس وكان له الف بيت من قوارير علي الخشب فيها
ثلثمائة صريحة بنبي حرة وسبعمائة سرية فيامر الريح العا

العاصف فترفعه ثم يامر الرخا فتسير به واوحي الله اليه وهو
يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من
الخلايق بشئ الا جاءت الريح واخبرتك به قوله عز وجل حتي اذا اتو
علي واد النمل اي استوفوا علي واد النمل روي عن كعب الاحبار
قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ
مطابخ ومخابز فيها ثنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر
عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السما
والارض واتخذ مباديب للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي
به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك علي مدينة الرسول صلي
الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي
يكون في اخر الزمان طوبي لمن امن به وطوبي لمن اتبعه ولما وصل
مكة راي حول البيت اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه
بكي البيت فاوحي الله اليه ما يبكيك قال يا رب ابكاني هذا ابني من
انبيايك ومعه قوم من اوليايك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا
عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحي الله اليه لا تبكي فاني
سوف املا كوجوها مسجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث فيك
نبيا في اخر الزمان احب انبيايي الي واجعل فيك عمارا من خلقي ه
يعبدوني وافرض عليهم فريضة يذبون اليك زغب النسر الي
وكرها وتحنون اليك حنين الناقة علي ولدها والحمامة الي بيضها
واطهرك من الاوثان والاصنام وعبدة الشيطان ثم مضي سليمان
حتي مر بواد السد بريد من الطايف فاتي علي واد النمل كذا قال
كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك
النمل مراكبهم وقيل ان في ذلك النمل امثال الذاب وقيل كالبغال
والمشهور انه النمل الصغير قالت نملة قيل كانت عرجا وكانت ذات
جناحين وقيل اسمها طاحية وقيل جرمي يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم

ولم تقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالادميين فخوطبوا
خطاب الادميين وهذا البين يستشهد ان يخلق الله فيها
عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قال اهل التفسير
علم النمل ان سليمان نبي لله ليس فيه جبرية ولا ظلم وفي
الاية انكم لو لم تدخلوا وطؤكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان
قولها من ثلاثة اميال وكان لا يتكلم احد الا حملته الريح حتى تلقيه
الى مسامع سليمان فلما بلغ واد النمل حبس جنوده حتى دخل
النمل بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده
وهم فوق البساط على متن الريح قلت كانهما راد وا النزول
عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده
لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم فتبسم منها ضاحكا من
قولها قيل ان اكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما
وقيل كان اول التبسم واخره الضحك عن عائشة رضي الله عنها
قالت ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا
حتى ارا منه لهواته انما كان يبتسم عن عبد الله ابن الحرث بن جزء
قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه الترمذي فان قلت ما سبب ضحك سليمان قلت شيئان
احدهما يدل على قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده
وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا
ما يفعلوا الثاني سروره بما اتاه الله مالم يؤت احدا من ادراك
سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا راى او سمع ما لا عهد
له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم به عليه
وقال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك

في

في عبادك الصالحين اي ادخلني في جملتهم واثبت اسمي مع
اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل
ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل وتفقد الطير
اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير فقال
مالي لا ارى الهدهد وكان سبب تفقد الهدهد وسؤاله عنه
اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده
الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فراه
خاليا وروي عن ابن عباس انه كان دليلا على الماء وكان يعرف
موضع الماء يرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف
قربه من بعده فينقر الارض فتجيء الشياطين فيحفرونه
ويستخرجون الماء فقال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس
هذا قال نافع بن الازرق باوصاف الهدهد ما تقول ان الصبي
منا يضع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر
الفخ حتى يقع في شبكته قال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر
جاء دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب
وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجده
فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الماء فقال مالي لا ارى عليّ
تقديره انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه ادركه الشك فقال
ام كان من الغائبين اي كان وقيل بل كان من الغائبين ثم اوعده
على غيبته فقال لاعذبنه عذابا شديدا قيل هو ان ينتف
ريشه ويدبره ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من
غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع صنفه وقيل
لافرقن بينه وبين الفه او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين
اي بحجة لبينه على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على

ماذكر العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج
الى ارض الحرم فجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس
والطير والوحش فحملتهم الريح فاذا هو في الحرم احرم منها الله
ان يقيم وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة وذبح
خمسة الاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن يحضر من اشراف
قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى
النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب
والبعيد عنده في الحق سواء فمن اخذه في الله لومة لائم قالوا
فباي دين يتدين يا نبي الله قال يدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه
وامن به قالوا كم بيننا وبينه حتى نخرج اليه يا نبي الله قال مقدار
الف سنة فليبلغ الشاهد الغايب فانه سيد الانبياء وخاتم
الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة
صباحا وسار نحو اليمن فوافا صنعاء الا اي وقت الظهر وذلك
مسيرة شهر فراى ارضا حسنا تريد حضرتها فاحب النزول
بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد استعمل سليمان
بالنزول فارتفع نحو السما لينظر طول الدنيا وعرضها ففعل
ذلك فبينما هو يمينا وشمالا اذ راى بستانا لبلقيس فنزل اليه
فاذا هو بهدهد اخر وكان هدهد سليمان يسمى زوهد هد
اليمن يسمى فقال يعفير ليعفور من اين اقبلت ومن اين
تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود
قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين
والطير والوحش والرياح فمن اين انت يا يعفير قال انا من
هذه البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان
لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك
اليمن وتحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك

اربعة

اربعة الاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنى
عشر الف قايد مع كل قايد اثنى عشر الف مقاتل فهل انت منطلق
معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يبعد بي سليمان في وقت
الصلاة اذا احتاج الي فقال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان
تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق وانظر الى بلقيس وملكها واما سليمان
فانه نزل على غير ما فسال عن الما الانس والجن فلم يعلموا فتفقد
الهدهد فلم يره فدعى بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد
فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان كذا
فغضب سليمان وقال لاعذبنه الا بة ثم دعى العقاب وهو اشد
الطير فقال له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهوى
حتى راى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم ثم التفت يمينا وشمالا
فراى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده وعلم
الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي
قواك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال
ويحك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او ان ياتيه بحجة
ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر
والطير فقالوا ويلك ابن غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي
الله واخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد اوما استثنى نبي
الله قالوا لا قال اولياتيني بسلطان مبين قال بخ اذا فاطلقه
به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب
قد اتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع راسه وارخى
ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنى منه اخذ
براسه فمده اليه وقال له ايت كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال
يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد
وعفى عنه ثم قال ما الذي ابطاك عني فقال الهدهد ما اخبر الله

عنه بقوله تعالى ملكت غير بعيد معناه غير طويل فقال احطت
بما لم تحط به اي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ انت جنودك الهم
الله الهدهد هذا الكلام فكان سليمان تنبيها على ان ادنى خلق الله
قد احاط علما بما لم يحط به ليكون لطفاله في ترك الاعجاب والاحاطة
بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم وجيئه
من سبا قيل هو اسم بلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل
وهو سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال رجل له عشرة
من البنين يتامن منهم ستة وتشام اربعة منها اي بخير يقين
فقال سليمان ماذاك فقال اني ابي الهدهد وجدت امراة تملكهم
هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها
ملك عظيم الشان قد ولد اربعون ولدا هو اخرهم وكان يملك
ارض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس احد منهم
كفوا لي والي ان يتزوج فيهم فخطب الي الجن فزوجوه منهم
امراة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الي
الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن
وهم على صورة الظبا فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره
على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل
انه خرج متصيدا فراى حيتين تقتتلان ببيضا وسودا وقد
ظهرت السودا على البيضا فقتل السودا وحمل البيضا وصب
عليها الماء فافاقت واطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده
منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه قال لا تخف انا الحية
البيضا التي احييتني والاسود الذي قتلته وهو عبد لنا تمرد
علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي
به ان كان ذلك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس

وجا

وجاء في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابوا
بلقيس طمعت في الملك وطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها
قوم وابى اخرون وملكوا عليهم رجلا اخر يقال انه ابن اخ ه
الملك وكان خبيثا سيي السيرة من اهل مملكته حتى كان يمد
يده الى حريم رعيته ويغتصبهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا
عليه فلما راى بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض
نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابعث بالخطبة
الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفو كريم فاجمع رجال
اهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل ذلك
بلى انها قد رغبت في ذلك فاذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها
منه فلما زفت اليه خرجت في كثير من حشمها وخشمها فلما دخلت
به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته واخذت راسه وانصرفت
الى منزلها من الليل فلما اصبحت ارسلت الى وزرايه واحتشمهم
وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يانف لكريمته او كرايم عشيرته
ثار بهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكوه عليكم فقالوا
لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان ملكا وخديعة
منها ق عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوما
ملكوا عليهم امراة تولد تعالى واوتيت من كل شيء يعني
ما يحتاج اليه الملوك من المال والعدة ولها عرش عظيم اي
سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على
ما راى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة
اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش
بلقيس من الذهب مكللا بالدر واليواقيت الاحمر والزبرجد الاخضر
وقوايمه من الزمرد واليواقيت وعليه سبعة ابيات على كل

بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا
في ثلاثين ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا وقيل كان
طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين
وعرضه اربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا قوله عز وجل اخبارا
عن الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله وذلك انهم كانوا مجوسا يعبدون الشمس وهم مجوس وزين
لهم الشيطان اعمالهم المؤدية فهو الله تعالى لانه الفعال لما يريد
وانما ذكر الشيطان لانه سبب لاغوائهم فصدهم عن السبيل اي
عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام فهم لا يهتدون
اي الى الصواب لا يسجدوا قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا ايها
الناس اسجدوا وهو امر من الله مستانف وقرئ بالتشديد
ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم لان لا يسجدوا لله الذي
يخرج الخبا بعني الخفي المخبي في السموات والارض قيل خبا
السموات المطر وخبا الارض النبات ويعلم ما تخفون وما
يعلنون والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس
وغيرها من دون الله فقال قائلهم الذين هذا دينهم ثم
تول عنهم اي ينح عنهم فكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون
اي يردون من الجواب وقيل تدبر الآية قالته لهم فانظر
ماذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف الى قاعد الهدهد
الكتاب واتى به الى بلقيس وكان بارض مارب من اليمن على
ثلاث مراحل من صنعا فوجدها بايمة مستلقية على قفاها وقد
غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها وكذلك كانت تفعل
اذا رقدت فاتى الهدهد والقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد
الكتاب بمنقاره حتى وقف على المراة وحولها القادة والوزرا
والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس

راسها

راسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت له كوة
مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا اليها سجدت لها
فجا الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم
تعلم فلما استبطات الشمس قامت فنظرت فرمى بالصحيفة اليها
فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارية فلما رات الخاتم ارتعدت
وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي
ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرات الكتاب وتاخر الهدهد
غير بعيد وجات هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت
الملا من قومها وهم الاشراف قال ابن عباس كان مع بلقيس مائة
قيل موكل قيل مائة الف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل
كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم
على عشرة الاف فلما جاوا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس
يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم قيل سمته كريما لانه كان مختوما
وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب
ختمه قال ابن عباس كريم اي شريف لشرف صاحبه ثم بينت
ممن الكتاب فقال انه من سليمان وانه فرات المكتوب فيه م
فقالت بسم الله الرحمن الرحيم فانه قلت لم قدم
انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدا
سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس انه
هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وانه م
بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي قال ابن عباس لا تتكبروا
علي والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو
والتكبر وايتوني مسلمين اي طايعين مومنين وقيل الاستسلام
وهو الانقياد قالت يا ايها الملا افتوني في امري اي اشيروا فيما
عرض لي ما كنت قاطعة امرا اي قاضية وفاصلة حتى تشهدون

اي تحضرون قالوا بني الملا مجيبون لها نحن اولو قوة اي في
الجسم على القتال واولو باس شديد اي عند الحرب وقيل اراد
بالقوة كثرة العدد والباس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال
اي ان امرتهم بذلك قالوا والامر اليك ايتها الملكة اي في القتال
وتركه فانظري ماذا تامرين اي تجدينا مطيعين لامرك قالت
بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول اليه امره ان
الملوك اذا دخلوا قرية اي عنوة افسدوها اي خربوها وجعلوا
اعزة اهلها اذلة اي اهانوا اشرافها وكبرائها كي تستقيم لهم الامر
تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم فتقربنا هي
الخبر عن ها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى وكذلك يفعلون
اي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو كالتاكيد لها قالت
ثم قالت واني مرسلة اليهم بهدية اي الي سليمان وقومه اصانعه
بها على ملكي واختبره بها ملك هو امر نبي فانه كان ملكا قبل
الهدية ورجع وان كان رسولا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا
الا ان نسلم على دينه وهو قولها فناظرة بما يرجع المرسلون
وذلك ان بلقيس كانت امراة لبيبة عاقلة قد ساست الامور
وجربتها فاهدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف
ومائة وصيفة لعله لبيبا قال وهب وغيره عمدت بلقيس الي
خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجواري لبس الغلمان
الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجواري وجعلت
في ايديهم الاساور الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي
اذانهم اطرقة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري
على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس
سرج من الذهب مرصع بالجواهر واغشية الديباج وبعثت اليه
لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر واليا

قوت

واقوت وارسلت والعنبر والعود الانجوج وعمدت الي خفة جملة
فيها درة يتيمة بيضاء غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة
الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو
وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل ورأي وكتبت مع
المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين
الاوصاف والوصائف واخبر فاسبما في الحق قبل ان تفتحها وانقب
الدرة ثقبا مستويا وادخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس
ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه
بكلام فاتبث وتحدثن بتشبه كلام النساء وامرت الجواري
ان يكلموه بكلام فيه غلظة بتشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول
انظر الي الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب
فاعلم انه ملك ولا يهولنك امره ومنظره فانا اعز منه وان
رايته الرجل يتباشا لطيفا فاعلم انه نبي فتفهم قوله ورد
الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا
الي سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا
اللبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار
تسع فراسخ وان يفرشوا فيه لبن الذهب والفضة وان يجعلوا
حول الميدان حائطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اي دواب البر والبحر
احسن فقالوا يا نبي الله ما رايبا احسن من دواب البحر يقال له
كذا وكذا مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي
بها الساعة فاتوا بها قال سدوها بين يدي الميدان وشماله
ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم
على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره
وامر الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والسباع م

الميدان صح

فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنى القوم الى الميدان
ونظروا الى ملك سليمان راوا ولد الدواب الذي لا يدري مثلها
تروث في لبنات الذهب والفضة فلما راوا ذلك تقاصرت
انفسهم وجثوا ما معهم من الهدايا وقبل ان سليمان تفرش
الميدان بلبنات الذهب والفضة وتنزل على طريقهم موضعا
على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما راى الرسول
موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم
من اللبن في ذلك الموضع ولما راوا الشياطين هالهم ما راوه
وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم وكانوا
يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا
بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملقا
حسنا وسالهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاوا فيه
واعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال ابن الحق فاتي به فوكلها
فجاه جبريل فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة
غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت
فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي
بثقبها وسال الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سال الشياطين
فقالوا نرسل الى الارضة فلما جاءت الارضة دخلت احدث شوزة
في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها
سليمان ما حاجتك قالت تعتبر رزقي في السحر فقال لك ذلك
ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء انا لها يا نبي
الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت
من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تكون
رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان
امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ

الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام ياخذ
الماء بيده ويغسل به وجهه وكانت الجارية نصب اعينها علي
باطن ساعدها والغلام علي ظاهره فميز بين الغلمان والجواري
ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله تعالى فقال تعالى فلما جا
سليمان قال اتمدونني بمال فما اتاني الله اي ما اعطاني من
النبوة والدين والحكمة والملك خير اي افضل مما اتاكم بل انتم
بهديتكم تفرحون معناه انتم اهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا
تفرحون باهدايعضكم الى بعض واما انا فلا افرح بالدنيا
ولست الدنيا من حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط
احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ثم بالهدية فلنا تينهم
بجنود لا قبل اي لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم منها اي من ارض
سبا اذلة وهم صاغرون اي ان لم تاتوني مسلمين قال
وهب وغيره من اهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها
اي من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله
قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان
اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما الذي
تدعوا اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته في اخر سبعة
ابيات بعضها داخل بعض ثم اغلقت عليه سبعة ابواب
ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها
احتفظ قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد ثم امرت
مناديا ينادي في اهل مملكتها فوذتهم بالرحيل وتشمصت الى
سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت
يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا
لا يبتدي شيئا حتى يكون هو يسال عنه فخرج يوما فجلس على
سريره فسمع رجما قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد

نزلت منا بهذا المكان وكان علي مسيرة فرسخ من سليمان
فاقبل سليمان علي جنوده وقال يا ايها الملا ايكم يا تيني بعرشها
قبل ان يا توني مسلمين قال ابن عباس يعني طايعين وقيل
مسلمين وقيل عرض سليمان في احضار عرشها ليريها قدرة
الله تعالي واظهار معجزة دالة علي نبوته وقيل اراد ان ينكر
ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان
علم انها اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها
قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه وصفه لما وصفه له
الهدهد وقيل اراد ان يعرف قدر ملكها لان السرير علي
قدر المملكة قال عفريت من الجن وهو المارد القوي قال
ابن عباس المفريت الداهية قال وهب اسمه كودي
وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه
عند منتهي طرفه ان اتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي
مجلسك قضايك قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي
فيه الي منتصف النهار وقيل نصفه واني عليه اي علي حمله لقوي
امين اي علي ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان
اريد اسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب قيل
هو جبريل وقيل هو ملك ايد الله به سليمان وقيل هو
اصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطا وقيل هو سليمان نفسه
لانه اعلم بني اسرايل بالكتاب وكان الله اتاه علما وفهما فعلي
هذا يكون المخاطب المفريت الذي كلمه فاراد سليمان اظهار
معجزة فنحداهما ولا تمرين للمفريت انه ياتي له من سرعة
الاتيان بالعرش ما لا ياتي للمفريت قيل كان الدعا الذي
دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحي ياقيوم وروي ذلك

عن

عن عايشة وروي عن الزهري قال دعا الذي عنده علم
من الكتاب ياالهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت ايتني
بعرشها قال ابن عباس انه اصف قال سليمان حين صلي مد
عينيك حتي ينتهي طرفك ونظر نحو اليمن ودعا اصف فبعث
الله الملايكة فحملوا السرير يخرون به تحت الارض حتي نبع
من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا بالسم
الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتي ظهر عند كرسي
سليمان فقال له ما قال ان اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
قال سليمان هات انت النبي ابن النبي وليس احد عند الله
بوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت فعلت
ذلك فجي بالعرش في الوقت فلما راه يعني راي سليمان العرش
مستقرا عنده اي محولا اليه من مارب الي الشام في قدر ارتداد
الطرف قال هذا من فضل ربي ليبلوني يعني التمكن من حصول
المراد اشكر اي نعمته علي ام اكفر فلا اشكر ومن شكر فانما
يشكر لنفسه اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام
النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وقيد النعمة
المفقودة ومن كفر فان ربي غني اي عن شكره لا يضره ذلك
الكفران كريم اي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه
عن الشكر وكفران النعمة قال نكروا لها عرشها يعني غيروا سريرها
الي حال ننكره اذا رايته قيل هو ان يزاد فيه او ان ينقص منه وقيل
ان يجعل اسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر الاخضر ومكان
الاخضر احمر لننظر اتهتدي الي معرفة عرشها ام تكون من الذين
لا يهتدون الي معرفته وانما حمل سليمان علي ذلك ما قال
وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها
سليمان فتفشي اليه اسرار الجن لان امها جنية واذا ولدت

ولد الا يتفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاسار
الله عليها ليشهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيا وان رجلها
كحافر الحمار وانها شعر الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها
بتنكير عرشها وينظر قد ميها بنا الصرح فلما جاءت قيل لها اهكذا
عرشك قالت كانه هو قيل انها عرفت ولكنها شبهت عليهم
كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة فلم تقل نعم خوفا من الكذب
ولا قالت لا خوفا من التكذيب ايضا قالت كانه هو فعرف سليمان
ان كمال عقلها بحيث لم يفقد ولم ينكر وقيل اشتبه عليها امر
العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح
معها قيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب
ثم قالت واوتينا العلم من قبلها اي من قبل الاية في الدين
وكنا مسلمين اي منقادين خاضعين لامر سليمان وقيل
قوله واوتينا العلم اي بالله وبصحة نبوة سليمان بالايات المتقدمة
من امر الهدهد والرسل من قبلها اي من قبل الاية في العرش
وكنا مسلمين ومعناه واتينا العلم بالله وبقدرته على قبل المرأة
وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليها ان
خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه واوتينا
العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئنا طائعين وكنا مسلمين
لله قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي منعها
عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها
سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه انها
كانت من قوم كافرين اخبر الله انها كانت من قوم يعبدون
الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس قيل
لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان لما اخبر عقلها بتنكير
العرش واراد ان ينظر الى قد ميها وساقيها من غير ان يسألها

كشفها

كشفها لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهي شعر الساقين
فامر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل
الصرح صحن الدار واجري تحته الماء والقي فيه السمك والضفادع
وغيرها من دواب البحر وضع سريره في صدر المجلس وجلس
عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر بها فهما كما فعلت في الوصنا
والوصايف فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل
لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة اي ماء عظيما وكشفت عن
ساقيها لتخوض الماء الى سليمان فنظر سليمان فاذا هي احسن
الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعر الساقين فلما نظر سليمان
ذلك صرف بصره عنها قال انه صرح ممرد من قوارير زجاج
ليس بماء فعند ذلك سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت
ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد
والنبوة قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت له التوحيد والعبادة
وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان
يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها خلاف
ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في امر
بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى قولها اسلمت لله
رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا
في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى
من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقال الموسى
فقالت المرأة لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال
انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين
فقالوا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة
والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان

احبها حبا شديدا وافرها علي ملكها امر الجن فابنوا لها بارض
اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي
سلحين وبنيون وعمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر
مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبتكر من الشام الي اليمن ومن اليمن
الي الشام وولدت له ذكرا قال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت
قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتي ازوجك اياه فقالت
ومثلي يابني الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان
قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل
الله قالت فان كان ولابد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه
وذهبا الي اليمن وملك زوجها ذا تبع علي اليمن وهي زوبعة
ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له
ما اراد الا ان مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان وافل
رجل منهم حتي بلغ جوف اليمن وقال يا علي صوته يا معشر الجن
ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا
وانقضي ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبقي الملك
لله الواحد القهار وقيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاثة عشر سنة
ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل ولقد ارسلنا الي
ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي وحدوه لا تشركوا به شيئا
فاذا هم فريقان اي مومن وكافر يختصمون اي في الدين كل فريق
يقول الحق معنا قال يبني صالحا للغريقين المكذب يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة اي العافية والرحمة لولا اي هلا تستغفرون
الله اي بالتوبة اليه من الكفر لعلكم ترحمون اي لا تعذبوا في الدنيا
قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك قيل انما قالوا ذلك لتفرق
كلمتهم وقيل لامساك المطر عنهم قالوا انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم
اصابنا هذا الضر والشدة من شومك وشوم اصحابك قال

طائركم عند الله اي ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب
عليكم سمي طائرا لانه شيء اسرع من نزول القضاء المحتوم وقال
ابن عباس الشوم الذي اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم
اي عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الي السماء بل انتم
قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه
تعذبون قوله تعالي وكان في المدينة يعني مدينة ثمود وهي
الحجر تسعة رهط يعني من ابنا اشرافهم يفسدون في الارض
اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون وهم عواة قوم صالح
الذين انتقوا علي عقر الناقة وراسهم قدار بن سالف قالوا
تقاسموا بالله يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم
لنبيتنه اي لنقتلنه ليلا واهله يعني قومه الذين امنوا معه ثم
لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك اهله
اي ما ندري من قتله ولا هلاك اهله وانا لصادقون اي في قولنا
ما شهدنا ذلك ومكروا مكرا اي جازيناهم علي مكرهم بتعجيل
العذاب وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا ه
دمرناهم اي اهلكناهم اي التسعة قال ابن عباس ارسل اليه
الملائكة تلك الليلة الي دار صالح بحجارة سودته فاتته التسعة دار صالح
شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون
الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم بالصيحة
وقومهم اجمعين تلك بيوتهم خالية بما ظلموا اي بكفرهم وظلمهم
ان في ذلك لاية اي لعبرة لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين
امنوا وكانوا يتقون يقال ان الناجين كانوا اربعة الاف قوله تعالي
ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة وانتم
تبصرون اي تعلمون انها فاحشة وهو بصر القلب وقيل معناه
يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عن فواحشهم ايئنكم لتاتون

وملكنا ملك اصح

طائرهم

الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فان قلت
اذا اسمر تبصرون بالعلم وقد قال بعده بل انتم قوم تجهلون فيكون
العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلية وتعلمون انها فاحشة
وقيل تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التي كانوا
عليها فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون يعني اد بار الرجال فانجيناه واهله الا
امراته قدرناها من الغابرين اي قضينا عليها بان جعلناها
من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا اي الحجارة فساء
اي فبئس مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم امر ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده
على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الانبياء والمرسلين
وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المومنين من السابقين
واللاحقين الله خير اما يشركون فيه تبكيت للمشركين والزام
الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى الله خير لمن عبده ام
الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وامن به من الهلاك
والاصنام لم تغث شيا عن عابديها عند نزول العذاب
ولهذا السبب ذكر انواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته
فالنوع الاول قوله تعالى امن خلق السموات والارض ذكر اعظم
الاشيا المشاهدة الدالة على تعظيم قدرته والمعنى الاصنام
خير ام الذي خلق السموات والارض ثم ذكر نعمة فقال وانزل
من السماء ماء يعني المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين جمع حديقة
وهو البستان المحيط عليها فان لم يكن عليه حايط فليس
بحديقة ذات بهجة اي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج

به من يراه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها يعني ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون
على ذلك لان الانسان قد يقول انا انبت الشجرة بان اغرسها
واسقيها الما فاراد الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها لان انبات الحدايق المختلفة الاصناف والطعوم والروايح
المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا
يتاتى لاحد وان تاتى ذلك لغيره محال اال له مع الله يعني قوم يعبدونه
اعانه على صنعه بل يعني ليس معه اله ولا له شريك هم قوم
يعدلون يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى
الباطل النوع الثاني قوله عز وجل امن جعل الارض قرارا
اي دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لا تميد باهلها
وجعل خلالها انهارا اي وسطها بانهار تطرد بالمياه وجعل
لها رواسي اي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين يعني العذب
والملح حاجزا اي ما نعا لا يختلط بعضها بالاخر اله مع الله بل
اكثرهم لا يعلمون اي توحيده بهم وقدرته وسلطانه النوع
الثالث قوله تعالى امن يجيب المضطر اي المكروب المجهود وقيل
المضرور بالحاجة المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر
اذا نزلت باحد بادر الى الالتجا والتضرع الى الله تعالى وقيل هو
المذنب اذا استغفر اذا دعاه يعني بكشف ضره ويكشف
السوء اي الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنا ومن
مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجزه
والقاهر الذي يغلب ولا ينازع ويجعلكم خلفا الارض اي سكانها
وملاكها ورثتهم سكنا والتصرف فيها قرنا من بعد قرن
قيل يجعل اولادكم خلفا لكم وقيل جعلكم خلفا الجن في الارض
اله مع الله قليلا ما يذكرون اي يتعظون النوع الرابع قوله
عز وجل امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي يهديكم بالنجوم

والعلامات اذ اجن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر ومن يرسل
الرياح تبشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر الله مع الله تعالى الله
عما يشركون النوع الخامس قوله عز وجل امن يبدؤا الخلق اي
نطفا في الارحام ثم يعيده بعد الموت ومن يرزقكم من السما
يعني بالمطر والارض اي بالسما بالمطر ومن الارض بالنبات
الله مع الله قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على توكلكم مع الله الها
اخر ان كنتم صادقين قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله نزلت في المشركين حين سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي
يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة وما يشعرون اي ان
يبعثون يعني ان من في السموات وهم الملايكة ومن في الارض من
وهم بنوا ادم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك
بل ادرك علمهم اي بلغ ولحق علمهم في الاخرة هو ما جهلوه في
الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الاخرة حين عاينوها
ما شكوا فيه وعلموا غيبه في الدنيا وهو قوله تعالى بل هم في شك
منها اي هم اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عم
وهو اعمى القلب وقيل معنى الاية ان الله اخبر عنهم انهم اذا
بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الاخرة وما وعدوا فيها من
الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله عز
وجل وقال الذين كفروا اي مشركو مكة ايذا كنا ترابا واباونا
ابينا لمخرجون اي من قبورنا احيا لبعد وعدنا هذا معناه اي
هذا البعث نحن واباونا من قبل اي من قبل محمد صلى الله
عليه وسلم وليس ذلك بشي ان هذا اي ما هذا الا اساطير
الاولين اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم اي

تكذيبهم

اي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق مما يمكرون
نزلت في المستهزئين الذين اقسموا عقاب مكة ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف اي دنى
وقرب لكم وقيل معناه ردفكم بعض الذي تستعجلون اي من
العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل وان ربك لذو
فضل على الناس يعني على اهل مكة حيث لم يعجل لهم
بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون اي ذلك وان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم اي تخفي وما يعلنون معناه اي من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من غايبة في السما والارض
اي جملة غايبة من مكتوم سر وخفي امر وشي غايب الا في
كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ ان هذا القران يقص على
بني اسرايل اي يبين لهم اكثر الذي هم فيه يختلفون اي من امر
الدنيا وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا
يطعن بعضهم على بعض فنزل القران ببيان ما اختلفوا
فيه وانه يعني القران لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي
بينهم اي يفصل ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة هو
حكمه اي الحق وهو العزيز الذي لا يرد له امر العليم باحوالهم
فلا يخفى عليه شي منها فتوكل على الله اي ثق به انك على
الحق المبين اي البين انك لا تسمع الموتى يعني بعد موت القلوب
وهم الكفار ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين فان قلت
ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء اقبل او ادبر قلت
هو تاكيد ومبالغة للاصم وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع
برفع الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولي لم يسمع ولم يفهم
ومعنى الاية انه لغرط اعراضهم عما يدعوا اليه كالميت الذي
لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم وما انت

بهادي النبي عن ضلالتهم معناه ما انت بمرشد من اعماه الله
عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان تسمع الا من يؤمن بايا تنا
اي الا من يصدق بايا تنا فهم مسلمون اي مخلصون قوله
تعالى واذا وقع القول عليهم يعني اذا وجب عليهم العذاب هم
وقيل اذا غضب عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك
انهم لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا المريج
صلاحهم وذلك في اخر الزمان قبل قيام الساعة اخرجنا لهم
دابة من الارض عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس
من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى ايتهما كانت قبل
صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان
وعصى موسى فتجلو وجه المومن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى
ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مومن ويقول هذا يا كافر
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي باسناده
عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة
خرجات من الدهر فتخرج خرجا بادي فتمكث ثلاثة اشهر فلا
يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا
ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية
ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينما الناس ما في اعظم المساجد
على الله حرمة واكرمها على الله يعني مكة المسجد الحرام لم
يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو فوا كذا قال عمرو

وهو الطابعة وقيل يطيعهم اكثر مما عملوا قوله عز وجل ووصينا
الانسان بوالديه حسنا معناه برا بهما وعطفا عليهما والمعنى
ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت
هذه الاية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن ابي
وقاص وهو ابو اسحاق سعد بن مالك الزهري وامه حمنة بنت
ابي سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين
الاولين وكان بارا بامه قالت له ما هذا الدين الذي احدثت والله
لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه وامرت فمنعت
ذلك اليوم الدهر وقيل يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم
تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت
كذلك يوما اخر وليلة فجاءها ابنها سعد فقال لو كانت لك مائة نفس
فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ان شئت وان شئت
لا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامر
بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك
قوله تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا
تطعهما وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم اوعد
بالمصير اليه البتة فقال تعالى الي مرجعكم فانبئكم اي فاخبركم
بما كنتم تعملون اي بصالح اعمالكم وسيئاتها فاجازيكم عليها والذين
امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة
الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل مدخل الصالحين وهو الجنة
قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله
يعني اصابه بلاء من الناس افتتن فجعل فتنة الناس كعذاب
الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة
والمعنى انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس
كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله

رجع عن الدين وكفر وليس جانصدر من ربك اي فتح ودولة للمومنين
ليقولن اي هولاء المنافقين للمومنين انا كنا معكم اي على عدوكم
وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاكذبهم الله تعالى
فقال وليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي من الايمان
والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا اي صدقوا وتبتوا على
الايمان والاسلام عند البلا وليعلمن المنافقين اي بترك الاسلام
عند البلا نزلت هذه الاية في اناس كانوا مومنين بالسنتهم فاذ
اصابهم بلا من الناس او مصيبة في انفسهم افتنوا وقال
ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر
وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوهم الملايكة ظالمي انفسهم
وقيل هذه الايات العشر من اول السورة الى هاهنا مدنية
وباقي السورة مكية وقال الذين كفروا يعني من اهل مكة وقيل
قاله ابو سفيان للذين امنوا اي من قريش اتبعوا سبيلنا
يعني ديننا وملة اباينا ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تعتسكم
فذلك قوله تعالى وليحملن خطاياكم اي اوزاركم والمعنى ان اتبعتم
سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل فقال وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون اي في
قولهم نحمل خطاياكم وليحملن اثقالهم اي اوزار اعمالهم التي
عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اوزارا من اضلوا وصدوا
عن سبيل الله مع اوزار انفسهم قال قتادة قال الاوما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء وقال هاهنا وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون
عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ويزر وس الضلال
يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب ضلال غيرهم فهو
كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيئة كان

عليه

علیه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من بعده من
غير ان ينقص من اوزارهم شيء رواه مسلم وليسالن يوم
القيمة عما كانوا يفترون اي سوال توبيخ وتقريع لانه تعالى
عالم بافعالهم وافترائهم فقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فلبث اي فاقام فيهم يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده الف
سنة الا خمسين عاما فان قلت ما فايدة هذه الاستثنا وهلا
قال تسعماية وخمسين سنة قلت فيه فايدتان احدهما الاستثنا
يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القايل
عاش فلان ماية سنة فقد يتوهم السايل انه يقول ماية سنة
تقريبا لا تحقيقا فان قال ماية سنة الا سنة زال
ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفايدة الثانية هي لبيان ان
نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا واعلى مراتب العدد الف
سنة وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه اعظم والفخم
وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اعلم ان الانبيا
قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما
يدعوهم فصبر في الدعا ولم يوم من قومه الا قليل فانت
اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من امن بك قال ابن عباس
بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا
خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس
فكان عمره الفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك فقوله تعالى
فاخذهم الطوفان اي فاغرقهم وهم ظالمون قال ابن
عباس مشركون فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق
وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة للعالمين قيل انها بقيت
على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة
قوله تعالى واذكر ابراهيم اي وارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا

الله واتقوه اي اطيعوا الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
اي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون انما تعبدون من دون
الله اوثانا وتخلقون افكا اي تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما
بايديكم وتسمونها الهة ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا اي لا يقدرون ان يرزقوكم فابتغوا اي اطلبوا عند الله
الرزق فانه القادر على ذلك واعبدوه اي وحده واشكروا له
لانه المنعم عليكم بالرزق اليه ترجعون اي في الاخرة وان تكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم اي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم
فاهلكهم الله وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى اولم
يروا قيل هذه الاية الى قوله فما كان جواب قومه محتمله ان تكون
من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة
ابراهيم وهي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا
اي يعلموا كيف يبدئ الله الخلق اي يخلقهم نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم يعيده اي في الاخرة عند البعث ان ذلك على
الله يسير اي الخلق الاول والخلق الثاني قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا
خلقهم ثم الله ينشئ النشاة الاخرة اي ثم ان الله الذي خلقهم
ينشاهم نشاة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه
احداثهم مبتدا كذلك لا يتعذر عليه احداثهم انشاءهم معيدا
بعد الموت ثانيا ان الله على كل شئ قدير اي من البداءة والاعادة
يعذب من يشاء عدلا منه ويرحم من يشاء تفضلا واليه تقلبون
اي ترددون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء قيل معناه
ولا من السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا
اهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء اي لو كنتم فيها
وما لكم من دون الله من ولي اي يمنعكم مني ولا نصير اي ينصركم

في

من عذابي والذين كفروا بايات الله اي بعيني القران ولقايه
اي البعث اولئك يئسوا من رحمتي يعني الجنة واولئك لهم عذاب
اليم فهذا اخر الايات في تذكير اهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم
عليه السلام فقال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع
اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي بان جعلها عليه بردا
وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بناء ان في ذلك لايات
لقوم يومنون بصدقون وقال يعني ابراهيم لقومه انما اتخذتم
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي تتحابون عليها
ولا ينفع في الاخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتوا
عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا تبرا الاوثان من عابديها وتبرا القادة من الاتباع ويلعن
الاتباع القادة وماواكم النار يعني العابدين والمعبودين جميعا
وما لكم من ناصرين اي ما نعين من عذابه فامن له لوط اي
صدقه برسالته لما راى معجزاته وهو اول من صدق ابراهيم
واما في اصل التوحيد فانه كان مومنا لان الانبياء لا يتصور فيهم
الكفر وقال يعني ابراهيم اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني ربي
فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم الشام
ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر الى الله تعالى
وترك بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه قيل
هاجر وهو ابن خمسة وسبعين سنة انه هو العزيز الذي
لا يغلب والذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا
بما يصلحني قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا
بعد ابراهيم الا من نسله وانبياه اجره في الدنيا هو الثناء الحسن

فكل هذه الاديان يلونه ويحبونه الصلاة عليه والذرية الطيبة
والنبوة من نسله هذا له في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثلي ادم ونوح قوله عز
وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة
ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يعملها احد قبلكم ثم
فسر الفاحشة فقال اينكم لتاتون الرجال اي انكم تقضون الشهوة
من الرجال وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة
بمن مر بهم من المسافرين فتترك الناس الممر بهم لاجل ذلك
وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال على النسا
وتاتون في ناديكم اي مجالسكم المنكر والنادي مجلس القوم وحكم
م عن ام هاني بنت ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يجذون اهل الارض
ويسخرون منهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
الحذف هو رمي الحصى بين الاصابع وقيل انهم كانوا يجلسون
في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر
بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه قال انا اوفى به وقيل
كان يأخذ ما معه ويلكمه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا
يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون
في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على
بعض وقيل كان اختلاف قوم لوط مضغ العلك وتطريف
الاصابع بالحنا وحل الازار والصفير والحذف والرمي بالحلاق
واللوطية فما كان جواب قومه اي لما انكر عليهم لوط ما يأتونه
من القبايح الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان
كنت من الصادقين اي العذاب فاردد بنا فمنذ ذلك قال رب
انصرني على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي ان العذاب

نازل

نازل بهم قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
يعني من الله باسحاق ويعقوب قال انا مهلكوا اهل هذه القرية
يعني قوم لوط والقرية سدوم وان اهلها كانوا ظالمين قال يعني
ابراهيم اشفاقا على لوط وليس حاله ان فيها لوطا قالت الملايكة
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين
اي من الباقين في العذاب ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
اي ظنهم من الانس فخاف عليهم وقيل معناه انه جاءه ما ساءه
وضاق بهم ذرعا اي عجز من تدبير امرهم فحزن لذلك وقالوا
لا تخف اي من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك اي انا
مهلكوهم ومنجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا
منزلون على اهل هذه القرية رجزا اي عذابا من السما قيل
هو الخسف والخصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا م
منها اي من قريات لوط اية بينة اي عبرا ظاهرة لقوم يعقلون
يعني افلا يتدبرون الايات تدبر ذي المقول قال ابن عباس
الاية البينة اثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي اهلكوا
بها بقاها الله حتى ادركها اوايل هذه الامة وقيل هي ظهور
الماء الاسود على وجه الارض قوله تعالى والى مدين اي وارسلنا
الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول
الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول
الثاني وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
الله وارجوا اليوم الاخر اي افعلوا افعل من يرجوا اليوم الاخر وقيل
معناه اخشوا اليوم الاخر وخافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت
الارض رجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي باركين على الركب
متلبسين وعادا وثمود اي واهلكنا عادا وثمود اوقد تبين لكم يا اهل

مكة من مساكنهم اي منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان
اعمالهم اي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل اي عن
سبيل الحق وكانوا مستبصرين اي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا
محجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم
على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين
وقارون وفرعون وهامان اي واهلكنا هؤلاء لقد جاءهم موسى
بالبينات اي بالدلالات الواضحات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين اي فائتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة
الصغار ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا
به الارض يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم
نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم اي بالهلاك ولكن
كانوا انفسهم يظلمون اي بالاشراك قوله تعالى مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام يرجون نصرها م
ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لتسبيها تاوي اليه
وان بيتها في غاية الضعف والوهاء لا يدفع عنها حرا ولا بردا
فكذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى م
هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن
الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من سخمها بالاضافة
الى رجل يبني بيتا من حجر وجص او يتخذ من صخر فكما ان
اوهن البيوت اذا استعرتها بيتا بيتا بين العنكبوت فكذلك
اضعف الاديان اذا استعرتها دينا دينا وعبادة الاوثان انها
لا تضر ولا تنفع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اشار
الى ضعفه فان انثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي ان هذا

مثلهم

مثلهم وان امرهم بلغ هذه الغاية من الوهن ان الله
يعلم ما يدعون من دونه من شيء توكيد للمثل وزيادة عليه يعني
ان الذين تدعون من دون الله ليس بشيء وهو العزيز الحكيم
معناه كيف يجيزون للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم
القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة من ليس بشيء اصلا م
وتلك الامثال اي الاشباه يعني امثال القرآن التي شبه بها
احوال الكفار من هذه الامة باحوال كفار الامم السالفة م
نضربها اي نبينها للناس اي لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون
يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز
وجل روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى هذه الاية وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل
عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات
والارض بالحق اي للحق واظهار الحق ان في ذلك لاية اي
دلالة للمؤمنين على قدرته وتوحيده وقوله تعالى اتل ما اوحي
اليك من الكتاب يعني القرآن واقم الصلاة فان قلت امر بهذين
الشيئين تلاوة القرآن واقام الصلاة فقط قلت لان العبادة م
المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانيه وهي
الذكر الحسن وبدنيه وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان
من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم
مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية يمكن التكرار فلذلك امر
بهما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء اي ما قبح من الاعمال والمنكر
اي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في
الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته
بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته الا بعدا وقال الحسن

وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل
من دام على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي والسيات كما روي
عن انس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئا الا ركبه
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حالة فقال ان صلاته
تنهاه يوما فلم يلبث الا ان تاب وحسنت حالته وقيل معنى الاية
انه ماد امر في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان
في الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القران وفيه ضعف لتقدم
ذكر القران وعلى هذا يكون معناه ان القران ينهاه عن الفحشا
والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل للنبي صلى الله عليه
وسلم ان رجلا يقرا القران الليل كله فاذا اصبح سرق قال
ستنهاه قراءته وفي رواية انه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي
بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لترد عنه وعلى كل حال
فان المراعي للصلاة لابد وان يكون ابعد عن الفحشا والمنكر ممن
لا يراعيها ولذكر الله اكبر اي انه افضل الطاعات عن ابي الدرداء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليكم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم
قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله اخرجه الترمذي وله عن ابي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون
الله كثيرا قالوا يا رسول ومن الغازي قال لو ضرب بسيفه الكفار
والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما لكان الذاكرون
الله كثيرا افضل منه درجة م عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال

الذاكرون

الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروي المفردون بتشديد الراء اذا نقه
واعتزل الناس وحده مراعيا للاوامر والنهي وقيل هم المختلعون من
عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره خ عن ابي هريرة وابي سعيد
انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم
يذكرون الله الا حفتهم الملايكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده م وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله اي
الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله
وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر ذكر الله اياكم افضل من ذكركم
ويروي ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عطاء ولذكر الله اكبر من ان يبقى معه معصية والله اعلم
بما تصنعون اي لا يخفى عليه شيء من امركم قوله عز وجل ولا تجادلوا
اهل الكتاب اي ولا تخاصموهم الا بالتي هي احسن اي بالقران والدعا
الى الله بايانه والتنبيه على حجته وارد به من قبل الجزية منهم الا
الذين ظلموا منهم اي ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم
بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى الاية الا الذين ظلموكم
ان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقيل
الاية منسوخة باية السيف وقولوا اي للذين قبلوا الجزية اذا اه
حدثوكم بشيء مما في كتبهم امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب
يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله عز وجل وكذلك اي كما
انزلنا اليهم الكتب انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب
يومنون به يعني مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه
ومن هؤلاء يعني اهل مكة من يومن به وما يجحد بايانتا الا الكافرون

وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي
والقران حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة وما كانت تقتلوا
يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتاب اي من قبل ما انزلنا اليك
الكتاب ولا تخطه بيمينك اي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرا ولم تكن
تكتب قبل الوحي اليك لارتاب المشركون من اهل مكة وقالوا انه
يقراه من كتب الاولين او ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود
ومعناه انهم اذا شكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في
التوراة لا يقرا ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت بل هو اية بينات
يعني القران في صدور الذين اوتوا العلم يعني المومنين الذين حملوا
القران وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو اية
بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدون
نعته وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون يعني اليهود
وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه اية من ربه اي كما انزل
على الانبياء من قبل وقيل اراد بالاية معجزات الانبياء مثل ناقة صالح
ومايده عيسى ونحو ذلك قل انما الايات عند الله اي هو القادر
على انزالها اذا شاء انزالها وانما انا نذير مبين اي انما كلفت الانذار
وليس انزال الايات بيدي اولم يكفهم انا انزلنا هذا جواب لقولهم
لولا انزل عليه ايات من ربه قال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم معناه ان القران معجزة انثر معجزة من تقدم
لان معجزة القران تدوم على مر الدهور والزمان ثابتة
لا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك يعني انزال القران
لرحمة وذكرى لقوم يومنون اي تذكيرا وعظة لمن امن به وعمل
به قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا قال ابن عباس معناه يشهد
لي اني رسوله والقران كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة
الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات

والارض

والارض اي هو المطلع على امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم
لا يخفى عليه خافية والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس
بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى
الله باطل وكفروا بالله اي قلت من امن بالباطل فقد كفر بالله
فهل لهذا العطف فايدة غير التاكيد قلت نعم فايدته انه ذكر
الثاني ليبان به الاول فهو كقولك القابل انقول الباطل لقول
وتترك الحق ليبان ان الباطل قبيح اولئك هم الخاسرون اي
المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله
عز وجل ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث حيث
قال فامطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى قال ابن
عباس ما وعدتك اني لا اعذب قومك ولا استاصلهم واخر
عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا امنوا
صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر لجاهم العذاب ولياتينهم يعني
العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب
اعاده تاكيد وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يفلت
احد منهم الا دخلها يوم يغشاهم العذاب اي يصيبهم من
فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون اي
جزاء ما كنتم تعملون قوله عز وجل يا عبادي الذين امنوا ان
ارضي واسعة فاياي فاعبدون نزلت في ضعفاء مسلمي اهل
مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا
منها الى ارض المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن
الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا ان نمت الجوع ونضيق المعيشة علينا
فانزل الله هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل معنى
فهاجروا فيها اي فجاهدوا فيها قال سعيد بن جبير اذا عملوا
في الارض بالمعاصي فاهربوا منها فان ارضي واسعة وقيل اذا

امر تم بالمعاصي فاهربوا قال ارضي واسعة وكن لكم تجب علي كل
من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغييره ذلك ان يهاجروا
الي بلد تنهبا له فيها العبادة وقيل معنى ان ارضي واسعة اي
رزقي لكم واسع فاخرجوا كل نفس ذائقة الموت اي كل احد ميت
خوفهم بالموت لتهوت الهجرة عليهم فلا يقيموا ايثار الشرك خوفا
من الموت ثم اليانا ترجعون فنجزيكم باعمالكم قوله تعالي والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا اي علالي جمع غرفة
وهو العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
اي لله بطاعته الذين صبروا علي الشدايد ولم يتركوا دينهم
لشدة لحقتهم وقيل صبروا علي الهجرة ومفارقة الاوطان وعلي
اذي المشركين وعلي المحن والمصايب وعلي الطاعات وعن المعاصي
وعلي ربهم يتوكلون اي يعتمدون علي الله في جميع امورهم قوله
عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها وذلك ان النبي صلي الله
عليه وسلم قال للمومنين الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون
هاجروا الي المدينة فقالوا كيف نخرج الي المدينة وليس لنا بها دار
ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من دابة ذات
حاجة الي غد لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها لضعفها ولا تدخر شيا
لغد مثل البهايم والطير الله يرزقها واياكم حيث كنتم وهو السميع
اي لاقوالكم العليم بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون علي الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول النهار جياعا خماصا
البطون وترجع اخر النهار الي اوكارها شباعا ممتلي البطون
ولا تدخر شيا قال سفيان بن عيينة ليس شي من خلق
الله يحيا الا الانسان والفارة والنملة عن ابن عباس عن النبي

صلي الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ليس من شي يقربكم من
الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به وليس شي يقربكم من
النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين
نفث في روعي الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل
وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالي فلما ذهب عن ابراهيم الروع
اي الخوف انه ليس من نفس تموت حتي تستوفي رزقها فاتقوا
الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم ابطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي
الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله تعالي
ولين سالتهم يعني كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ذكر امرين احدهما اشارة الي ايجاد الذات والثاني
الي ايجاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر ليقولن الله فاني
يوفكون قيل معناه انهم يعتقدون ذلك فكيف يصرفون عن
عبادة الله مع اقرارهم بانه خلق السموات والارض الله يبسط
الرزق لمن يشا من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق
ببقايه وكمال الرزق ببقا الخلق بالرزق فالله هو المتفضل بالرزق
علي الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان ويقدر له
اي يضيق عليه اذا شا الله بكل شي عليم اي بعلم مقادير الحاجات
ومقادير الارزاق ولين سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به
الارض من بعد موتها ليقولن الله ذكر سبب الرزق وموجب
السبب فالرزق من الله تعالي قل الحمد لله اي علي ان الفاعل
لهذه الاشيا هو الله تعالي وقيل الحمد لله علي اقرارهم ولزوم
الحجة عليهم لانه خالق لهم بل اكثرهم لا يعقلون اي انهم ينكرون
التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشيا وما هذه الحيوة
الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل
هو الاشتغال بما لا ينبغي وما لا يهمه واللعب هو العبث وفي هذا

تصغير الدنيا وازدرايها ومعنى الاية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها
وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون
وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحياة الدائمة الخالدة التي
لا موت فيها لو كانوا يعلمون فنبذوا الدنيا ونبذا الاخرة لما اثروا الفاني
على الباقي قوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك معناه فهم اذا ركبوا
به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق دعوا الله
مخلصين له الدين اي تركوا الاصنام ولجوا الى الله تعالى بالدعا
له فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي عادوا الى ما كانوا عليه
من الشرك والعناد قيل كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا
الاصنام فاذا اشتد الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب
ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله في اجابته اياهم ومعناه
التهديد والوعيد وليتمتعوا معناه لا فايدة لهم في الاشراك
الا التمتع بما يستمتعون به من العاجلة ولا نصيب لهم في الاخرة
فسوف يعلمون بعني عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد قوله
عز وجل اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من
حولهم يعني العرب يسبي بعضهم بعضا واهل مكة امنون
افبالباطل يعني الشيطان والاصنام يؤمنون وبنعمة الله اي
بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا اي فترى ان له شريكا وانه منزه عن الشركا و
كذب بالحق اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لما جاءه اليس
في جهنم مثوى للكافرين معناه اما هذا الكافر والمكذب مأوى
في جهنم قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم معناه
جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا لنثبتهم على
ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة
الطرق المستقيمة وهي التي توصل الى رضي الله تعالى قال

مسبان

سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل
الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى
وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم والعمل
به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا في اقامة السنة
لنهدينهم سبيل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في
طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وان الله لمع المحسنين اي بالنصرة
والمعونة في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الاخرة وثوابهم الجنة
والله اعلم بمراده واسراره

تفسير سورة الروم مكية

وهي ستون اية وثمانمائة وتسعة عشر كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة
واربع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض سبب نزول هذه
الاية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال
وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس
لا كتاب لهم مجوس اميون والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس
لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم
رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر رجالا وجيشا وامر عليهم
رجلا يدعى نجيون فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام
الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين
بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل
كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس امثالنا وقد
ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان
قاتلتونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الايات فخرج ابو
بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا

فوالله ليظهرن الروم علي فارس اخبرنا بذلك رسول الله صلي
الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت
اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة
بالحا المهملة القمار والمراهنة اي اراهنك علي عشر قلايص مني
وعشر قلايص منك فاذا ظهرت الروم علي فارس غرمت واذا
ظهرت فارس علي الروم غرمت فجعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين
فجا ابوبكر الي النبي صلي الله عليه وسلم واخبره بذلك وذلك قبل
تحريم القمار فقال النبي صلي الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما
البضع ما بين الثلاثة الي التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل
فخرج ابوبكر الصديق فلقيا ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا فقال
از ايدك في الخطر واماد ك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الي تسع
سنين وقيل الي سبع فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج
ابوبكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم
في ضامنا كفيلا فكفله له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن
خلف ان يخرج الي احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه فقال والله م
لا ادعك حتي تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الي احد قال ثم رجع
ابي بن خلف الي مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلي
الله عليه وسلم حين بارزه وظهر الروم علي فارس يوم الحديبية
وذلك علي راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر
وربطت الروم خيولهم بالمداين ونبوا العراق مدينة وسموها
رومية فقمر ابوبكر ابيا واخذ ماله الخطر من ورثته وجابه النبي
صلي الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلي الله
عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس علي م
ما قال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم ولم يزل يظاهم
ويحاربهم حتي بلغ الخليج فبينا هو ذات يوم جالس ذات

يوم فشرب فقال لاصحابه لقد رايت كاني جالس علي سرير كسري
فبلغت كلمته الي كسري فكتب الي شهرمان اذا اتاك كتابي فابعث لي
براس اخيك فرجان فكتب ايها الملك انك لم تجد مثل فرجان ان
له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فرجان
فارس خلفا عنه فتجعل علي براسه فراجعه فغضب كسري ولم يجبه
وبعث بريد الي اهل فارس اني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت
عليكم فرجان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل
شهرمان وقال اذا ولي فرجان الملك وانتاد له اخوه فاعطه الصحيفة
فلما وصل البريد الي شهرمان وعرض عليه كتاب كسري فلما قراه
قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه م
فرجان فدفع البريد الصحيفة الي فرجان فلما قراها استدعي
باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتي م
اكتب وصيتي قال نعم فدعي بسفط ففتحه واعطاه ثلاث
صحايف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسري وانبي تريد قتلي
بكتاب واحد فرد فرجان الملك الي اخيه شهرمان فكتب الي
قيصر ملك الروم اما بعد ان لي اليك حاجة لا يحملها البريد ولا
يليقها المحفن فالقني في خمسين رومي حتي اتاك في خمسين
فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي وجعل يضع البيوت
بين يديه في الطريق مخافة ان يمكر به حتي اتاه عيونه فاخبروا
ان ليس معه الا خمسين فارسا فلما التقيا ضربت لهما قبة
فيها ديباج قد خلاها ومع كل واحد منهما سكينا ودعيا شرجما
يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذين حربوا بلادك انا واخي
بكيدنا وشجاعتنا وان كسري حسدنا واراد ان يقتل اخي
فابيت عليه ثم امر اخي بقتلي فابي عليه وقد خلصناه جميعا وبحن
نقاتله معك فقال قد اصبتما واشار احدهما الي صاحبه ان اكسر

بين اثنين فاذا جاوزهما قتلا الرجلان مما بسكينتهما فادلت
الروم علي فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسري وجا
الخبر الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن
كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم
في ادني الارض يعني قرب ارض الشام الي فارس وقيل اذرعات
وقيل الاردن وقيل الجزيرة وهم من بعد غلبهم اي فارس عليهم
سيغلبون اي الروم بفارس في بضع سنين البضع ما بين
الثلاثة الي السبع وقيل الي التسع وقيل ما دون العشرة لله
الامر من قبل ومن بعد اي من قبل دولة الروم علي فارس ومن
بعدها فمن غلب فهو بامر الله تعالي وقضائه وقدره ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله ينصر اي للروم علي فارس وقيل
فرح النبي صلي الله عليه وسلم والمومنون بظهورهم علي
المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب علي اهل الشرك
ينصر من يشا اي بيده النصر ينصر من يشا وهو العزيز الغالب
الرحيم اي بالمومنين قوله تعالي وعد الله اي وعد الله وعدا
بظهور الروم علي فارس لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون اي ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالي يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا يعني امر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون
ومتي يغرسون فيزرعون ويحصدون قال الحسن ان احدهم
لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطي وهو لا يحسن
يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو
ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها ولا مضارها ومتاعبها
وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها وهم عن الاخرة
هم غافلون اي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون بها
قوله عز وجل اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والا

والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاقامة الحق واجل مسمي له
اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ولم يسيروا في الارض اي
يسافروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي
ينظروا الي مصارع الامم قبلهم فيعتبروا كانوا اشد منهم قوة
واثاروا الارض اي حرثوها وقلبوها للزراعة وعمروها يعني
الامم الخالية اكثر مما عمروها اهل مكة وجاءتهم رسلهم بالبينات
اي فلم يومنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم اي ينقص حقوقهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بحبس حقوقهم ثم كان عاقبة
الذين اساوا اي اساوا العمل فاستحقوا السوء يعني الخلة التي
تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعني الاية كان
عاقبة الذين عملوا السوء النار ان كذبوا اي لانهم كذبوا وقيل معني
الاية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيات علي ان
كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون قوله تعالي الله يبدوا
الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتدا ثم يعيدهم بعد الموت احيا
ثم اليه ترجعون اي فيجزيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون قيل معناه انه ييئس من كل خير وقيل ينقطع
كلامهم وحجتهم وقيل يفتضحون ولم يكن لهم من شركائهم
يعني اصنامهم التي عبدوها شفعا اي يشفعوا لهم وكانوا
بشركائهم كافرين اي جاحدين متبرين يتبرون منها وتتبرا
منهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي يتميز اهل الجنة
من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الي الجنة
واهل النار الي النار فلا يجتمعون ابدا فهو قوله تعالي فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اي في جنة وقيل
الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة يحبرون قال ابن

عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون والحبرة السرور
وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس
احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا احدث في
السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال
اذا احدث في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الا وردنه وسال
ابا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة اصلها
من ذهب واغصانها من فضة واثمارها اللولو والزبرجد والياقوت
يبعث الله ريحا فتجاوب بعضها بعضا فما يسمع احد احسن منه
واما الذين كفروا وكذبوا بايتنا ولقاء الاخرة اي البعث يوم
القيامة فاولئك في العذاب محضرون قوله تعالى فسبحان
الله حين اي فسبحوا الله ومعناه فصلوا الله حين تمسون
اي تدخلون في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء وحين
تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح وله
الحمد في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات
والارض ويصلون له وعشيا اي وصلوا الله عشيا يعني صلاة
العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة
الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلاة الخمس
في القرآن قال نعم وقرا هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس
ومواقيتها واعلم انما خص هذه الاوقات بالتسبيح وذلك لان
افضل الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر ان يصرف جميع
اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب
وغيره لكن خفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وامره
بها في اول النهار ووسطه واخره وفي اول الليل واخره فاذا
صلى العبد ركعتين الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي
الركعات وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان

الصلوات

الصلوات الخمس في اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة
من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار
وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف
جميع اوقاته في التسبيح والعبادة فصل في فضل التسبيح عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان
الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد
البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين
يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة بافضل
مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه اخرجهما الترمذي وقال
فيهما حسن صحيح وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وهذا الحديث اخرجه في صحيح البخاري م عن جويرية ه
بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي
في مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار فقالت ما زلت في مجلسك
هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات
ثلاث مرار لو وزنت بكلامك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد
خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته م عن سعد
بن ابي وقاص قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز
احدكم ان يكسب في كل يوم الف حسنة فساله سائل من جلسائه
كيف يكسب الف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف
حسنة او يحط عنه الف سيئة وفي رواية غير مسلم او يحط عنه بها
الف قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي
يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل

يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المومن
من الكافر ويخرج الكافر من المومن ويحيي الارض بعد موتها اي
بالمطر واخراج النبات منها وكذلك تخرجون اي مثل اخراج النبات
من الارض تخرجون من القبور احياء للبعث والحساب ومن اياته ان
خلقكم من تراب اي خلق اصلكم وهو ادم من تراب ثم اذا انتم بشر
تنتشرون اي تنبسطون في الارض ومن اياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا اي من جنسكم من بني ادم وقيل خلق حوى من
ضلع ادم لتسكنوا اليها اي تميلوا الى الازواج وتالفوهن وجعل بينكم
مودة ورحمة اي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان و
يتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب
التعاطف وما شيء احب الى احداهما من الاخر من غير رحم بينهما
الا الزوجان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في عظمة الله
وقدرته ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم
اي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس
النطق واشكاله خالف بينهما حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين
حتى لو انكلم جماعة من وراء حايط لعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه
صوت احد الاخر والوانكم اي اسود وابيض واشقر واسمر وغير
ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو اب رجل واحد ومن اصل واحد
وهو ادم عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف
ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الاشكال
والصور والاصوات وتشاكلت وكانت صنفا واحدا لوقع التجاهل
والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره
والمدو من الصديق والقرابة من البعيد سبحان من خلق الخلق
على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل على سعة القدرة وكمال
العظمة ان في ذلك لايات للعالمين اي لعلوم العلم فيهم ومن اياته م

منامكم

منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله اي منامكم بالليل م
للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي سماع تدبر واعتبار ومن
اياته يريكم البرق خوفا وطمعا اي للمسافر يبتغد للمطر للمقيم
ليستعد المحتاج اليه من اجل الزرع وتسوية طرق المصانع من
السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
اي قدرة الله وانه القادر عليه ومن اياته ان تقوم السماء والارض
بامره قال ابن عباس وابن مسعود قاما على غير عمد وقيل
بيد وهو قيامها بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض قال ابن
عباس من القبور اذا انتم تخرجون اي منها وقيل معنى الاية
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون من الارض وله
من في السموات والارض كل له قانتون اي مطيعون قال ابن
عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا
في العبادة وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده اي يخلقهما و لا
ثم يعيده مرة بعد الموت للبعث وهو اهون عليه اي هو هين عليه
وما من شيء عليه بعزيز وقيل معناه وهو ايسر عليه فان الذي
يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون اهون من الانشاء وقيل
هو اهون على الخلق وذلك انهم يقومون بصيحة واحدة فيكونوا
اهون عليه من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغة الا ان يصير و ا
رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس وله المثل الاعلى اي الصفة
العليا قال ابن عباس هي ليس كمثله شيء وقيل هو الذي لا اله
الا هو في السموات والارض وهو العزيز في ملكه الحكيم في
خلقه قوله عز وجل ضرب لكم مثلا اي بين لكم شبها لكم ذلك المثل
من انفسكم ثم بين المثل فقال تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم اي عبيدكم
وايمايكم من شركاء فيما رزقناكم اي من المال فانتم فيه سواء اي هل

يبتاركم عبيدكم في اموالكم الذي اعطيناكم تخافونهم كخيفتكم انفسكم
اي تخافون ان يبتاركوكم في اموالكم ويتاسموكم كما يخاف الحر من
شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامره دون شريكه
ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يجب ان ينفرد به وقال ابن
عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فان لم تخافوا هذا
من مماليككم ولم ترضوه لانفسكم فكيف ترضون ان تكون الهتكم
شركاء اي التي تعبدونها وهم عبيدي كذلك نفصل الايات
اي الدلالات والبراهين والامثال لقوم يعقلون اي يتفكرون
في هذه الدلايل اي البراهين والامثال بقولهم بل اتبع الذين
ظلموا اهوي اشركوا بالله اهواهم اي في الشرك بغير علم جهلا بما
يجب عليهم فمن يهدي من اضل الله اي عن طريق الهدي
وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله
تعالى فاقم وجهك للدين اي اخلص دينك لله وقيل سدد
عملك والوجه ما يتوجه الي الله تعالى به الانسان ودينه وعمله
مما يتوجه اليه ليسدد قوله تعالى حنيفا اي مايلا اليه مستقيما
عليه فطرة الله اي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله التي فطر
الناس عليها قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة
الدين وهو الاسلام ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد علي الفطرة ثم يقول اقرؤا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لكلمات الله ذلك الدين
القيم زاد البخاري فابواه يهودانه او ينصرانه ويمجسانه كما
تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول
ابو هريرة اقرؤا فطرة الله التي الاية ولهما في رواية قالوا يا رسول
الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله
ما من مولود يولد الا علي الفطرة يعني علي العهد الذي اخذ الله

عليهم

عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلي قال فكل مولود في العالم علي
ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها وان عبد غير
الله قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر
الايمان الشرعي المامور به المكتسب بالارادة والفعل الا تري الي
قوله فابواه يهودانه وينصرانه فمع وجود الايمان الفطري فيه
محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معني قول النبي صلي الله عليه وسلم
في حديث اخر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفا فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم حكي عن عبد الله بن المبارك انه قال معني
الحديث انه كل مولود يولد علي فطرته اي خلقته التي خلقه الله
عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في
العاقبة الي ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن
امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملان
لشقاوته علي اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبدا
الخلق علي الفطرة اي الجبلة السليمة والطبع المتهيي لقبول الدين
فلو ترك عليها لاستمر علي لزومها لان هذا الدين موجود حسنه
في العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الي غيره لافة من الافات
الشقاوة والتقليد فمن سلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ثم مثل ابواه
اليهود والنصاري وانباعهم لاباهم والميل الي اديانهم فيبدلونه
بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة كما تنتج البهيمة بهيمة
جمعاء اي كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من مد تها شيء وقوله
هل تحسون من جدعاء يعني هل تشعرون او تعلمون فيها من جدعا
وهي المقطوعة الاذن او الانف وهو قوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي لا
لا تبدلوا دين الله وقيل معني الاية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد
بالشرك وقيل معني لا تبديل لخلق الله هو ما جبل عليه الانسان من

السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيد اوقيل
الاية في تحريم خصائص هذا الدين القيم المستقيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون قوله عز وجل منيبين اليه اي قائمين وجهك انت وامتك
منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة
والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة مقبلين اليه بالطاعة واتقوه
اي ومع ذلك خافوه واقيموا الصلاة اي داوموا على ادائها في
اوقاتها ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا اي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم اهل
البدع من هذه الامة كل حزب بما لديهم فرحون اي راضون بما
عندهم قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي بخط وشدة دعوا
ربهم منيبين اليه اي مقبلين اليه بالدعاء ثم اذا اذاقهم منه رحمة
اي خصب ونعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم
اي ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا فيه تهديد ووعيد خاطب
به الكفار فسوف تعلمون اي حالكم في الاخرة ام انزلنا عليهم
سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا فهو يتكلم اي ينطق
بما كانوا به يشركون اي لشركهم وبامرهم به واذا اذقنا الانسان رحمة
اي الخصب وكثرة المطر فرحوا اي فرحوا وبطروا بها وان تصبهم
سيئة اي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء بما قدمت ايديهم
من السيات اذا هم يقنطون اي ييسون من رحمة الله وهذا
خلاف وصف المومن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند
الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في
ذلك لايات لقوم يومنون قد مر تفسيره قوله عز وجل فات
ذا القربى حقه اي من البر والصلة والمسكين اي حقه وهو
التصدق عليه وابن السبيل اي المسافر وقيل هو الضيف ذلك
خير للذين يريدون وجه الله اي يطلبون ثواب الله بما يعملون

واولئك

واولئك هم المفلحون قوله عز وجل وما اتيتم اي اعطيتم
من ربا ليربو في اموال الناس اي اجتلاب الاموال واجتنابها
قيل في معنى الاية هو الرجل يعطي غيره العطية يثيبه اكثر منها
فهو جايز حلال ولكن لا ثواب عليها في القيمة وهو قوله تعالى فلا يربوا
عند الله وكان هذا حلالا ما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل
هو الرجل يعمل صدقته او تربيته ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل
هو الرجل يلزق بالرجل فيجد معه ويسافر معه فيجعل له رزق ماله
لانه لا يريد بعمله وجه الله وما اتيتم من زكاة اي اعطيتم من صدقة
تريدون وجه الله اي بتلك الصدقة واولئك هم المضعفون اي
يجازى لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشرا منالها فالمضعف ذو
الاضعاف من الحسنات قوله عز وجل الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى
عما يشركون تقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
اي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البوادي
والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي على
المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول اجرب البحر وانقطعت
مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف
وقلة المطر كما يوثر في البر يوثر في البحر فيجلوا جوف الاصداف من
اللولو وذلك ان الصدف اذا جا المطر يرتفع على وجه الماء وتفتح
افواهها مما وقع فيه المطر صار لولوا بما كسبت ايدي الناس اي
بسبب شومة ذنوبهم قال ابن عباس الفساد في البر قتل احد
بني ادم اخاه وفي البحر غصب الملك الجابر السفينة قيل كانت الارض
مخضرة مرتفعة لا يرى ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان
ماء البحر عذبا وكان لا يصيد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل

هابيل افتشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ما البحر ملحا
رعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقبل ان الارض امتلات
ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلي الله عليه وسلم فلما بعث
رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة ليذيقهم
بعض الذي عملوا اي عقوبة الذي عملوا من الذنوب لعلهم
يرجعون اي عن الكفر وانما لهم الخبيثة قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي لتروا ما نزل بهم
ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين اي فاهلكوا لكفرهم
قوله عز وجل فاقم وجهك للدين القيم اي لدين الاسلام
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيامة لا يقدر
احد علي رده من الخلق يومئذ يصدعون اي يتفرقون
ثم ذكر الفريقين فقال تعالي من كفر فعليه كفره اي وبال
كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطئون
المضاجع ويسوونها في القبور ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات من فضله قال ابن عباس يثيبهم الله ثوابا اكثر
من اعمالهم انه لا يحب الكافرين فيه تهديد ووعيد لهم
قوله تعالي ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي تبشر
بالمطر وليذيقكم من رحمته اي بالمطر وهو الخصب ولتجري
الفلك في البحر اي بهذه الرياح بامره ولتبتغوا من فضله
معناه اي لتطلبوا ارزاقكم بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون
اي هذه النعم قوله تعالي ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الي قومهم فجاوهم بالبينات اي بالدلالات الواضحات علي
صدقهم فانتقمنا من الذين اجرموا يعني ان الذين عذبنا
الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر المومنين اي مع الجائهم
من العذاب فعليه تبشير للنبي صلي الله عليه وسلم بالظفر

في

بي العاقبة والنصر علي الاعداء عن ابي الدرداء قال سمعت النبي
صلي الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان
حقا علي الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الاية
وكان حقا علينا نصر المومنين اخرجه الترمذي ولفظه من رد عن
عرض اخيه رد الله عنه وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن
قوله تعالي الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا اي ينشره
فيبسطه في السماء كيف يشاء يعني مسيرة يوم او يومين او اكثر علي
ما يشاء ويجعله كسفا اي قطعا متفرقة فترى الودق اي المطر
يخرج من خلاله اي من وسطه فاذا اصاب به اي بالمطر من يشاء
من عباده اذا هم يستبشرون اي يفرحون بالمطر وان كانوا
اي وقد كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي ايسين
فانظر الي اثر رحمة الله اي المطر والمعني انظر الي حسن تاثيره
في الارض وهو قوله تعالي كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك
لمحيي الموتي يعني الذي احيي الارض بعد موتها قادر علي احيا
الموتي وهو علي كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا
اي الزرع بعد الخضرة لظلوا من بعده اي من بعد اصفرار
الزرع يكفرون اي يجحدون ما سلف من النعمة والمعني انهم يفرحون
عند الخصب واذا ارسلت عذابا علي زرعهم لجحدوا ما سلف
من نعمتي فانك لا تسمع الموتي ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن بايتنا
فهم مسلمون تقدم تفسيره قوله تعالي الله الذي خلقكم من
ضعف اي مبداكم ومنشاكم علي ضعف وقيل من ماء مهين
ضعف وقيل هو اشارة الي احوال الانسان كان جنينا ثم
طفلا مولودا ومغطوما فهذه احوال في غاية الضعف ثم جعل
من بعد ضعف قوة اي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو

وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا اي هرما وشيبة وهو تمام
النقصان يخلق ما يشا اي من الضعف والقوة والشباب والشيبة
ليس ذلك من افعال الطبيعة بل بمشية الله تعالى وقدرته وهو
العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشا قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون اي يحلف المشركون ما لبثوا اي في الدنيا غير ساعة
معناه انهم استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقيل معناه ما لبثوا
في قبورهم غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون اي يصرفون عن الحق في
الدنيا وذلك انهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا
ان لا بعث والمعنى ان الله اراد ان يفضحهم فحلفوا عن شيء تبين لاهل
الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكارهم
المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اي فيما كتب الله لكم في سابق
علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الاية وقال الذين اوتوا العلم
في كتاب الله والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للكافرين
قد لبثتم الى يوم البعث اي في قبوركم فهذا يوم البعث اي الذي
كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون اي وقوعه في الدنيا الا
بينكم العلم الان بدليل قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم اي عذرهم ولا هم يستعتبون اي لا تطلب منهم
العتبى والرجوع في الاخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل
الجزية لانها لا تقبل منهم قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل فيه اشارة الى ازالة الاعذار والايتان بما
فوق الكفاية من الانذار ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا
ان انتم الا مبطلون يعني ما انتم الا على باطل وذلك على سبيل
العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب وفي قوله ولئن جئتهم
والجمع في قوله ان انتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهي ان الله

تعالى

تعالى قال ولئن جئتهم بكل اية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال
معناه انكم كلكم ايها الرسل مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون اي توحيد الله فاصبر ان وعد الله حق اي
في نصرك واظهارك على عدوك ولا يستخفنك اي لا يحملنك على
الجهل وقيل لا يستخفنك رايك وجهلك الذين لا يوقنون اي بالبعث
والحساب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة لقمان

مكية وهي اربع وثلاثون اية وخمس مائة وثمان واربعون كلمة
والفان ومائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين
اي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
الاية قيل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجر فياتي
الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا
يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار
واخبار الاكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن
فانزل الله هذه الاية وقيل هو شراء القينات والمغنيين ومعنى
الاية ومن الناس من يشتري ذلك لهو وذا لهو الحديث وروي
العوفي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي
مثل هذا نزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله ومامن رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله
له شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا
يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت اخرجه الترمذي

وهذا لفظه عن ابي امامة انشر رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن
وثمنهن حرام وفي مثل هذا انزلت ومن الناس من يشتري لهو
الحديث الاية وعن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
نهي عن ثمن الكلب وكسب المرمار وقال مكحول من اشتري جارية
ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مغنيا عليه حتي يموت لم اصل عليه
ان الله يقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية وعن ابن
مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا
لهو الحديث هو الغناء والاية نزلت فيه ومعني يشتري يستبدل
ويختار الغناء والمزامير والمعازف علي القرآن وقال ابو الصهباء
سئل ابن مسعود عن هذه الاية فقال هو الغناء والله الذي
لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت
النفاق في القلب وقيل الغناء فيه الغناء وقيل لهو الحديث هو
الطبل وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل
الله اي عن دين الاسلام وسماع القرآن بغير علم اي بغفلة
عن جهل وحسب المرء من الضلالة اي يختار حديث الباطل علي
حديث الحق ويتخذها هزوا اي يتخذ ايات الله مزحا اولئك
لهم الذين هذه صفتهم لهم عذاب مهين واذا تتلي
عليه اياتنا ولي مستكبرا اي لا يصيبها ولا يرفع بها راسا كان
لم يسمعها اي تشبه حاله في ذلك بحال من لم يسمعها وهو
سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا قر فيهما فبشره بعذاب
اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين
فيها وعد الله حقا يعني وعدهم الله تعالي ذلك وعدا حقا وهو
لا يخلف الميعاد وهو العزيز الحكيم قوله عز وجل خلق السموات
بغير عمد قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحن مستديرة وهو

قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السما
في بعضه دون بعض ليس ذلك لا بقدرة قادر مختار
واليه الاشارة بقوله بغير عمد ترونها اي ليس هي شيء يمنعها
الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة
الله تعالي في قوله ترونها وجهان احدهما ان السموات ليست
بعمد واستم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني انه راجع الي
العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقي في الارض رواسي ان
تميد بكم اي لئلا تتحرك بكم وبث فيها اي في الارض من كل دابة
اي يسكنون فيها وانزلنا من السماء ماء يعني المطر وهو انعام
من الله علي عباده وفضله فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي
من كل صنف حسن هذا بعض الذي ذكرت فما تعابدون خلق
الله خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي الهتكم
التي تعبدونها بل الظالمون في ضلال مبين قوله عز وجل ولقد
اتينا لقمان الحكمة قيل هو لقمان بن باعورا بن ناحور ابن
تارخ وهو از روقيل كان بن اخت ايوب وقيل كان ابن خاله
وقيل انه عاش الف سنة حتي ادرك داود وقيل انه كان
قاضيا في بني اسرايل وانتف العلماء علي انه كان حكيما ولم يكن
نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة
فاختار الحكمة وروي انه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان
هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس
بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم
اقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان الله
ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم
لم يا لقمان قال ان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه
الظلم من كل مكان ان عدل فبالحري ان ينجو وان اخطا الطريق

اخطا طريق الجنة ولم يكن في الدنيا دليلا خير من ان يكون متدينا
ومن تخير الدنيا على الاخرة تفتقه الدنيا ولم يصب الاخرة فعجبت
الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو
يتكلم بها مزبور دي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان
وهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر
داود لحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان
خياطا وقيل كان راعي غنم فروي انه لقي رجلا وهو يتكلم بالحكمة
فقال الست فلان الراعي قال بلي قال فما بلغت ما بلغت قال
بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان
عبدا اسود اعظم الشفتين مشقق القدمين وقيل خياط
السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان النوبي
رابعهم اوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا
يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة
في الامور وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينور به كما
ينور البصر ليدرك المبصر فقوله ان اشكر لله وذلك ان المراد
من العلم العمل به والشكر عليه ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
اي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ومن كفر عليه يعود وبال
كفره فان الله غني اي غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد اي
موحد يحمد وان لم يحمده احد قوله تعالى واذ قال
لقمان لابنه قيل اسمه انعم وقيل يشكر وهو بعيد وذلك
لان اعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكملا
لغيره لقوله ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة الى
الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو ابلغ اقرب اليه يوعظه
بالامر وهو المنع من الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين من يستحق العبادة

وبين

وبين من لا يستحق ظلم عظيم لانه وضع العبادة من غير موضعها
قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على
وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المراة اذا
حملت توالى عليها الضعف والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق
ضعف والرضاعة ضعف وفصاله في عامين اي فطامه في سنتين
ان اشكر لي ولوالديك الي المصير لما جعل الله بعضله للوالدين صورة
التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر
بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الي المصير يعني ان
منهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والاخرة وقيل لما
امره بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء الي وقت المصير قال سفيان
بن عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر
الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر للوا
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
يعني ان اطاعتهما واجبة قال النخعي فان اخفى ذلك الى الاشراك
بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ه
وصاحبهما في الدنيا معروفا اي بالمعروف وهو البر والصلة م
والعشرة الجميلة واتبع سبيل من اناب الي اي اتبع من اقبل الي م
طاعتي وهو دين النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من
اناب الي ابي بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم
اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن
ابن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وامنت به قال نعم
انه صادق فامنوا به ثم حملهم الي النبي صلى الله عليه وسلم
حين اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر
ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت اني عملت

لبني

الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمه الله قال يا بني انها ان الخطيئة
ان تك مثقال حبة من خردل اي في الصخر فتكن اي مع صخرة اي
صخرة قال ابن عباس هي صخرة تحت الارضين السبع وهي التي
يكتب فيها اعمال الفجار وخضوة السما منها وقيل خلق الله الارض
على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة
على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهي التي
ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السما فذلك قال او في السموات
او في الارض والصخرة على متن الريح والريح على القدرة او في
السموات معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله
او في الارض اي يا ستخراجها يأت بها الله اي بمكانها ومعنى
الاية هو الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها هيبتها وعظمتها ام
وقيل ان هذه الكلمة اخر كلمة قالها لقمان فاشتقت مرارتة من
هيبتها وعظمتها ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلاة وامر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك اي من الاذى
ان ذلك من عزم الامور يعني اقام الصلاة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي امر
الله بها ولا تصاعر وقرى تصعر خدك للناس قال ابن عباس
لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل
الرجل يكون بينك وبينه اجة فيلقاك فتعرض عنه وقيل
هو الذي اذا اسلم عليه فوى عنه تكبر وقيل معناه لا تحتقر الفقرا
ليكون الفقير والغني عندك سوا ولا تمش في الارض مرحا اي
خيلا ان الله لا يحب كل مختال اي في كل مشيه فخور اي على الناس
واقصد في مشيك اي ليكن مشيك قصدا بين الاسراع والتاني
اما الاسراع فهو من الخيلا واما التاني فهو ان يرى في نفسه
الضعف تزهدا فكلا الطرفين مذموم بل يكن مشيك بالسكينة

والوقار واغضض اي اخفض وقيل من صوتك ان انكر اي اقبح
الاصوات لصوت الحمير لان اوله زفير واخره شهيق وهما صوت
اهل النار وعن الثوري في هذه الاية قال صياح كل شي تسبيح الا
الحمار وقيل في معنى الاية هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب
تكلم لقمان باثني عشر الف باب من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم
وقضايا هم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه
مولاه شاة وقال له اذبحها وايتني باطيب مضغتين منها فاتاه
باللسان والقلب ثم دفع اليه اخرى وقال له اذبحها وايتني باخبث
مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فساله مولاه وقال له لا شي
اطيب منهما اذا طاب ولا اخبث منهما اذا اخبثا وقال لقمان
ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اي الناس
شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيا قوله عز وجل الم تروا
ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ اي اتم واكمل عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقران
والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة
تسوية الاعضا وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل
الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة ظهور الاسلام
والنصر على الاعدا والباطنة الامداد بالملايكة وقيل الظاهرة اتباع
الرسول والباطنة محبته ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
نزلت في النضر بن الحرث وابي ابن خلف وامية بن خلف واشباههم
كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير
علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا قال الله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم
الى النار فيتبعونه وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله اي يخلص لله دينه ويفوض

اليه امره وهو محسن اي في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى
اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف عهده ولا يخاف انقطاعه
ويرتقي بسببه الى اعلى المراتب والغايات والى الله عاقبة الامور
اي مصير جميع الاشياء اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم
فنبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه سرهم
وعلانيتهم فنوله تعالى نمتعهم قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم
الدنيا الى انقضاء اجالهم ثم نضطرهم اي نلجيهم ونردهم الى عذاب
غليظ الى النار في الاخرة ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات
والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم تفسيره قوله تعالى
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قال المفسرون لما نزلت
جملة ويسالونك عن الروح الاية وهاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك
تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا اتعنينا ام قومك فقال عليه
الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا لست تتلوا فيما جاك ان اوتينا
التوراة فيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله بما ان قد علمتم به انتفعتم
قالوا كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه الاية
فعلى هذا تكون الاية مدنية وقيل ان اليهود امروا وقد تريش
ان يسيلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له
ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي
به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله تعالى ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام اي نبريت اقلاما وقيل بعدد كل
شجرة قلم والبحر يمده اي يزيده وينصب عليه من بعده

سبعة

سبعة ابحر اي مدادا والخلايق يكتبون به كلام الله ما نفدت كلمات
الله لا نهاية لها ان الله عزيز حكيم قوله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شي
ان الله سميع اي لاقوالكم بصير اي لاعمالكم الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل
مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي
مر قادر على هذه الاشياء الذي ذكر هو الحق المستحق للعبادة
وان ما يدعون من دونه الباطل الذي لا يستحق العبادة وان الله
هو العلي اي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى الكبير
في ذاته اكبر من كل كبير قوله تعالى الم تر ان الفلك اي السفن
والمراكب تجري في البحر بنعمة الله اي ذلك من نعمة الله عليكم ليريكم
من اياته اي من عجايب صنايعه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
اي على ما امر الله شكور اي لانعام الله واذا غشيهم موج كالظلل
اي كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها للموج في كثرتها وارتفاعها
دعوا الله مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة
التجا الى الله بالدعا وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه
فاذا نجا من تلك الشدة ممنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد
وهو قوله تعالى فلما نجاهم الى البر منهم مقتصد اي عدل موف
في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الايمان
وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح
الى البحر فجاهم ريح عاصف فقال عكرمة لان نجانا الله من هذا
لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده في يدي
فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم واحسن اسلامه وصنع
من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار
اي غدار كفور اي مجحود لانعمنا عليه قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا

ف

ربكم واخشوا اي وخافوا يوما لا يجزي اي لا يقضي ولا يغني والد عن
ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا وقيل معنى الاية ان الله
ذكر شخصين في غاية الشفقية والمحبة وهو الوالد والولد نبه بالاعلى
على الادنى وبالادنى على الاعلى قالوا لد يجزي عن ولده لكمال
شفقته عليه والولد يجزي عن والده لماله من حق التربية وغيرها
فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب
ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه ان وعد الله حق
قيل انه تحقيق للبوم معناه اخشوا هذا الشان وهو كاين لوعد
به ووعده حق وقيل الاية تحقيق بعدم الجزا بعني لا يجزي ه
والد عن ولده في ذلك البوم والقول الاول احسن واظهر فلا
تغرنكم الحياة الدنيا اي لانها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور يعني
الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة
قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الحرث بن
عمرو بن حارثة بن حصفة من اهل البادية اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فسيله عن الساعة و وقتها وقال ان ارضنا
اجدبت فحل متي ينزل الغيث وتركت امرا تي حبلي فمتى تلد
ولقد علمت اين ولدت فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية
ف عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح ه
الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس
باي ارض تموت ان الله عليم خبير معنى الاية الله علم الساعة
فلا يدري احد من الناس متى تقوم في اي سنة او اي شهر او
اي يوم ليلا او نهارا وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث
ليلا او نهارا الا الله ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا اي من خير وشر وما تدري نفس باي ارض تموت اي ليس

احد

احد من الناس يعلم اين مضجعه من الارض في بر او بحر في سهل
او جبل ان الله عليم اي بهذه الاشيا وغيرها خبير اي ببواطن
الاشيا كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر
والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا
نبي مصطفى ممن ادعى انه يعلم شيا من هذه فقد كفر بالقرآن
لانه خالفه والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة السجدة

مكية قال عطا الا ثلاث ايات من قوله افمن كان مومنا وهو تسع
وعشرون اية وقيل ثلاثون اية وثلثمائة وثمانون كلمة والف ه
وخمسمائة وثمانية عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من رب
العالمين ام يقولون اي بل يقولون يعني المشركين افتراه يعني
اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقا نفسه بل هو الحق ه
يعني القرآن من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
يعني العرب كانوا امة امية لم يات اتهم نذير قبل محمد صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك في الفترة التي
كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم ياتهم
رسول لم يقم عليهم حجة قلت قيام الحجة بالشرايع التي لا يدرك
علمها الا من جهة الرسل فلا واما قيام الحجة عليهم بمعرفة الله
وتوحيده فتحصلان معهم ادلة العقل الموصلة الى ذلك في
كل زمان لعلهم يهتدون يعني تنذرهم رجيا اهتدائهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا
تتذكرون تقدم تفسيره قوله تعالى يدبر الامر اي يحكم الامر
وينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام

من السما الي الارض ثم يعرج اي يصعد اليه جبريل بالامر في
يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون يعني ان مسافة
ما بين السما والارض خمسماية سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض
ثم صعوده الي السما في مقدار الف سنة لو سار اليه احد من بني
ادم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من ايام الدنيا واقل
من ذلك وكذلك الملايكة كلهم اجمعون وقيل معني الاية ان
الله يدبر الامر من السما الي الارض مدة ايام الدنيا ثم يرجع اليه
اي يرجع الامر اليه والتدبير اليه بعد فنا الدنيا وانقطاع امور الامرا
وحكم الحكام في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة
فان قلت قد قال في موضع اخر تعرج الملايكة والروح اليه في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما قلت
اراد بقوله خمسين الف سنة مدة المسافة بين الارض الي
سدرة المنتهي التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول
يصير جبريل والملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين
الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلها في القيامة
فيكون علي بعضهم كالف سنة وعلي بعضهم خمسين الف سنة
وهذا في حال الكفار واما علي المومنين فدون ذلك كما جاء في
الحديث انه يكون علي المومن كقدر صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا قال ابراهيم النخعي لا يكون علي المومنين الا كما بين الظهر
والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله
وهوله ومشقته وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبد الله ابن
فيروز مولي عثمان علي ابن عباس فسيله بن فيروز عن
هذه الاية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام
سماها الله تعالي لا دري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله
ما لا اعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع

ما

ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة اي
ما غاب عن خلقه لا يخفي عليه خافية والشهادة يعني ما حضر
وظهر العزيز الممتنع المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه واهل
طاعته قوله تعالي الذي احسن كل شي خلقه قال ابن عباس
احكمه واتقنه وقيل علم كيف يخلق كل شي وقيل خلق كل حيوان
علي صورة لم يخلق البعض علي صورة البعض فكل حيوان
كامل في خلقه في صورة حسن في شكله وكل عضو من اعضايه
مقدر علي ما يصلح به معاشه وقيل معناه الهم خلقه ما يحتاجون
اليه وعلمهم اياه واحسن كل ذلك وقيل معناه احسن كل شي خلقه
وبدا خلق الانسان من طين يعني ادم ثم جعل نسله يخرج
ذريته من سلالة اي من نطفة تسل من الانسان من ما
مهين اي ضعيف ثم سواه اي سوي خلقه ونفخ فيه من روحه
اضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر
ما يترتب علي نفخ الروح في الجسد فقال وجعل لكم اي بعد ان
كنتم نطفا موتا السمع والابصار والافيدة قيل قدم السمع لان
الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الي قايله ليعرفه ثم يتفكر في
قلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان
يسمع الكلام من اي جهة كان قليلا ما تشكرون يعني انكم لا
تشكرون رب هذه النعمة فتوحدونه قوله تعالي وقالوا
يعني منكري البعث ايذا ضللنا هلكنا في الارض والمعني صرنا
ترابا ايئنا لفي خلق جديد استفهام انكاري قال الله تعالي
بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت قل يتوفاكم
اي يقبض ارواحكم حتي لا يبقي ممن كتب عليه الموت ملك الموت
وهو عزرايل عليه السلام الذي وكل بكم انه لا يغفل عنكم واذا جا
اجل احدكم لا يوخر ساعة ولا تشغله الا ذكر روي ان ملك

الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب
من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلايق من مشارق الارض
الي مغاربها ولد اعوان من الملايكة ملايكة الرحمة وملايكة العذاب
وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب
وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطشت يتناول منها حيث
يشاء وقيل ان ملك الموت علي معراج بين السماء والارض فينزع
اعوانه روح الانسان فاذا بلغ نفرة نحره قبضه ملك الموت عن
معاذ بن جبل رضي الله عنه ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين
المشرق والمغرب وهي تنصب وجوه الناس فما من اهل بيت
الا وملك الموت ينصب فيهم في كل يوم مرتين فاذا راي انسانا
قد انقضي اجله ضربه براسه بتلك الحربة وقال له الان تنزل
بك سكرات الموت وقوله ثم الي مرجعكم اي تصيرون الي ربكم
احيا فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل ولو ترى اذ المجرمون اي المشركون
ناكسوا رؤسهم اي يطاطئونها حيا من ربهم وندما علي ما فعلوا
عند ربهم يقولون ربنا ابصرنا اي ما كنا به مكذبين وسمعنا
يعني منك تصديق ما اتتنا به الرسل وقيل ابصرنا معاصينا
وسمعنا ما قبل فيها فارجعنا اي فارددنا الي الدنيا نعمل صالحا
انا موقنون اي في الحال امنا ولكن لا ينفعهم ذلك الايمان ولو
شئنا لاتينا كل نفس هداها اي رشدها وتوفيقها للايمان
ولكن حق القول مني اي وجب القول مني لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين اي من كفار الجن والانس فذوقوا اي
فادخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا وقالت لهم الخزنة بما
نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم الايمان في الدنيا انا نسيناكم اي
تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل الناس قطقا لرجايكم
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب

قوله

قوله تعالي انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها
خروا سجدا اي سقطوا علي وجوههم ساجدين وسبحوا
بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم
لا يستكبرون اي عن الايمان به والسجود له ق عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة
فيسجد ويسجد ون حتي ما يجد احد منا مكانا لموضع جبهته في
وقت الصلاة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول
ياويلتا امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فابيت فلي النار وهذه من عزايم سجود القران فتسن للقاري
والمستمع قوله تعالي تتجافي جنوبهم اي ترتفع وتتنحا عن المضاجع
معناه جمع مضجع وهو الموضع الذي يضجع عليه يعني الفرش وهم
المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال انس نزلت فينا
معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الي رحالنا حتي نصلي
العشاء مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وعن انس في قوله تتجافي
جنوبهم عن المضاجع نزلت في الصلاة التي تدعي العتمة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية ابي داود
عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون وهو قول
ابي حازم ومحمد بن المنكدر فالاهي صلاة الاوابين وروي عن
ابن عباس قال ان الملايكة ليتحفظ بالذين يصلون بين المغرب
والعشاء هي صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتي
يصلوا العشاء الاخرة وعن ابي الدرداء وعبادة بن الصامت وابي
ذر رضي الله عنهم اهم الذين يصلون الاخيرة والصبح في جماعة
بدليل قوله عليه الصلاة والسلام من صلي العشاء في جماعة
فكانما قام نصف الليل ومن صلي الصبح في جماعة فكانما صلي

في

الليل كله اخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان عن ابي هريرة
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة
لاتوها ولو حبوا واشهرا الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو
قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة فصل
في فضل قيام الليل والحث عليه عن معاذ بن جبل رضي الله
عنه قال كنت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سفرة
فاصبحت يوما قريبا منه ونحن يسير فقلت يا رسول الله اخبرني
بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال سالت عن امر
عظيم وانه ليسير علي من يسره الله تعالي عليه تعبد الله ولا
تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان
وتحج البيت الحرام ثم قال الا ادلك علي ابواب الخير الصوم
جنة والصدقة تطفي الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل
ثم قرا تتجافي جنوبهم عن المضاجع حتي بلغ جزاء بما كانوا يعملون
ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلي
يا رسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة
سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلي يا رسول
الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا قلت يا رسول
الله وانا لمواخذون بما نتكلم قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب
الناس في النار علي وجوههم او قال علي مناخرهم الا حصائد
السنتهم اخرجه الترمذي عن ابي امامة الباهلي قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دا ب الصالحين
قبلكم وقربة الي ربكم وتكفير للسيات ومنهاة عن الاثام ومطردة
الداء عن الجسد اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل
ثار عن وطايه ولحافه من بين جنبيه واهله الي صلاته فيقول

الله

الله عز وجل انظروا الي عبدي ثار عن فراشه ووطايه من
بين جنبيه واهله الي صلاته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي
ورجل غزي في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه من
الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتي اهريقت دمه فيقول الله
تعالي لملايكته انظروا الي عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة
مما عندي حتي اهريق دمه اخرجه الترمذي بمعناه عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم افضل الصيام
بعد رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة شرح
الليل ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
ينوم الليل حتي تفطرت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول
الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا
شكورا عن علي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان في
الجنة غرفا يرا باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها اعدها
الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلي بالليل
والناس نيام اخرجه الترمذي ح عن الهيثم بن ابي سنان
انه سمع ابا هريرة في قصة يذكر النبي صلي الله عليه وسلم يقول انا
اخاكم لا يقول الرفث يعني يذكر ابن رواحة قال شعر
وفينا رسول الله يتلو كتابه ٭ اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدي بعد العمي فقلوبنا ٭ به موقنات انما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ٭ اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ح
اخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن ابي هريرة في الصحيحين
غير هذا الحديث وقوله تعالي يدعون ربهم خوفا وطمعا قال
ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون
قيل اراد الصدقة المفروضة وقيل هو عام في الواجب والتطوع
قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي مما تقر

به اعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا معنى قوله تعالى
له وقيل اخفوا اعمالهم واخفى الله ثوابهم جزاء بما كانوا يعملون اي
من الطاعات في دار الدنيا عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله تعالى
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن ابي
طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط كان بينهما تنازع وكلام في
شئ فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وانا شيخ والله ابي ابسط
منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا منك
حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فانزل الله
هذه الاية وقوله لا يستوون قد اراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين
ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى اي التي ماوى اليها المؤمنون
نزلا هو ما يهيأ للضيف عند نزوله بما كانوا يعملون يعني من
الطاعات في دار الدنيا واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما
ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر اي سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس
العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل
هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال
ابن مسعود وهو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب
جهنم لعلهم يرجعون اي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد
القحط وبعد بدر ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه
اي بدلايل وحدانيته وانعامه عليه ثم اعرض عنها اي ترك

الايمان بها انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون معناه انه
لما يرحموا بالعذاب الاكبر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني
التوراة فلا تكن في مرية اي في شك من لقائه اي من لقاء موسى
ليلة المعراج قاله ابن عباس ق عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا
جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا مربوع
الخلق الى الحمرة والى البياض سبط الشعر ورايت مالكا خازن
النار والدجال في ايات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه
م عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت
على موسى ليلة المعراج ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو
قائم يصلي في قبره قلت قد صح في حديث المعراج انه ر ا ه
في السماء السادسة ومراجعته في امر الصلاة فكيف الجمع بين هذين
الحديثين قلت يحتمل ان تكون رويته في قبره عند الكثيب الاحمر كان
قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم لما
صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز
وجل وهو على كل شئ قدير فان قلت كيف يصح الصلاة وهو ميت
وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الاخرة وليست دار عمل وكذلك
راى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فالجواب
عن هذا قلت عنه اجوبة احدها ان الانبياء كالشهداء بل هم افضل
منهم والشهداء احياء عند ربهم يرزقون فلا بعد ان يحجوا ويطوفوا
كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا لانهم وان
كانوا قد ماتوا الا انهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي هي دار العمل
الا ان تفني ثم يرحلوا الى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى
الله عليه وسلم راى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا لهم
كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف

وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن الذكر والشكر لا يرتفع قال الله تعالى
دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله
عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فالعبد يعبد ربه
في الجنة اكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار
حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل
لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة لبست عليهم بتكليف بل
هي على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية
من لقائه اي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول وجعلناه
يعني الكتاب هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم يعني من بني اسرائيل
ائمة اي قادة بالخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني
اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء يهدون بامرنا اي يدعون الناس
الى طاعتنا لما صبروا اي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر
وكانوا بايتنا يوقنون اي انها من الله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم
اي يقضي ويحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
قيل هم الانبياء وامهم وقيل هم المومنون والمشركون قوله تعالى
اولم يهد لهم اي يبين لهم كم اهلكنا اي كثرة من اهلكنا من قبلهم
من القرون اي الامم الخالية يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة
يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا ان في ذلك لايات افلا
يسمعون اي ايات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل اولم
يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي الارض اليابسة الغليظة
التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض اليمن وقيل هي باليمن
فنخرج به اي بذلك الماء زرعا تاكل منه انعامهم اي العشب والتبن
وانفسهم يعني من الحبوب والاقوات افلا يبصرون اي فيعتبرون
قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد يوم
الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان اصحاب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح
ونحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اي
القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو يوم بدر وذلك ان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا
ومظهر نا عليكم فيقولون متى هذا الفتح قل يوم الفتح يعني
يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اي لا يقبل منهم
الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر قال
معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاء العذاب وقتلوا ولا هم
ينظرون اي لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا فاعرض عنهم قال ابن
عباس نسختها اية السيف وانتظر اي موعدي لك بالنصر عليهم
انهم منتظرون اي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر
عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك فعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر
يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل اتى على الانسان عن جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل الكتاب
وتبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال طاوس
تفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة اخرجه الترمذي
والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الاحزاب
مدنية وهي ثلاث وسبعون اية والف وماتان واثنتان وثمانون
كلمة وخمسة الاف وسبعمائة وسبعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة
بن ابي جهل وابن الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم
قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي ابن سلول رئيس
المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه

وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي
سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر
بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها
شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ايذن لي في قتلهم فقال
اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه
فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة ٭
فانزل الله يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى وقيل
معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل
الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته ولا تطع
الكافرين يعني من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة والمنافقين
يعني من اطلع المدينة عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة
ان الله كان عليما اي بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما اي فيما دبره
لهم واتبع ما يوحى اليك من ربك اي من وفا العهد وترك
طاعة الكافرين والمنافقين ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل
على الله اي ثق بالله وكل امرك عليه وكفى بالله وكيلا اي حافظا
لك وقيل كفيلا بامرك فكنفوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا
حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشيا الا وله
قلبان وكان هو يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل
من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر
فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في
رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال
له فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال
له ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ لو كان له قلبان

لما نسي فعله في يده وعن ابي ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت
قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عنى بذلك قال
قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال
المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبا قلبا معكم
وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ٭
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد
الوسوسة التي تحصل للانسان في صلاته قيل وفي معنى الاية
ان الله لما قال تعالى يا ايها النبي اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى
فكانه قال ومن حقها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان
المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحداهما والاخر غيره وقيل
هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امراته وللمتبني ولدغيره
فلا يكون لرجل قلبان في جوفه لانه لا يخلو اما ان يتقبل باحدهما
ما يتقبل بالاخر من افعال القلوب والاخر فضلة غير محتاج اليه ٭
واما ان يتقبل بهذا ما لا يتقبل بذلك وذلك يودي الى اتصاف
الحكمة بكونه مريدا كارها عاملا جاهلا موقنا شاكا في حالة ٭
واحدة وهما حالتان متنافيتان وذلك لا يكون امراته المظاهر
امه حتى يكون له اما ولا يكون ولد احد ابن رجلين قوله
تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم وصورة
الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يقول الله
وما جعل نساءكم اللاتي تقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم
ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة تذكر وسياتي الكلام عليه
في سورة المجادلة قوله تعالى وما جعل ادعياءكم اي الذين تتبنونه
ابناءكم وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل كان في الجاهلية ٭
يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث
ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة

بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي واخا بينه وبين حمزة بن
عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت
جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امراة
ابنه وهو ينهي الناس عن ذلك فانزل الله هذه الاية وسمي بها
النبي ذلكم قولكم بافواهكم يعني لاحقيقة له يعني قولهم زيد بن
محمد وادعاء النسب لاحقيقة له والله يقول الحق اي قوله الحق وهو
يهدي السبيل اي يرشد الى سبيل الحق ادعوهم لابائهم اي
الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة هو اقسط عند الله اي
اعدل عند الله ت عن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد ابن محمد حتى نزل
القران ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا ابائهم
فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم ومواليكم اي كانوا مع ربين وليسوا
بنسبكم فسموه باسما اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم اولبائكم
في الدين وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي قبل النهي فتسبتموه
الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم اي من دعائهم الى غير ابيه
وهو يظن انه كذلك وكان الله غفورا رحيما ق عن سعد بن
ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى
الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام قوله عز وجل
النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي من بعضهم ببعض في
نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته قال ابن عباس اذا دعاهم
النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة
النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وقد اصطلح
ان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم في الحمل
على الجهاد وبذل النفس دونه قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم

يخرج

يخرج الى الجهاد فيقول قوم يذهب فنستاذن من ابائنا وامهاتنا
فنزلت الاية ق عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة م
اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن ترك
مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فلياتني فانا
مولاه عصبت الميت من يرثه سوي من له فرض مقدر وقوله ضياعا
اي عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضيعا او ان كسرت الضاد كان
جمع ضايع وقوله تعالى وازواجه امهاتهم يعني امهات المومنين
في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التابيد لا في النظر اليهن
والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال
لبناتهن هن اخوات المومنين ولا لاخواتهن واخوالهن هذا اخوا
المومنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر وهي
اخت عايشة ام المومنين ولم يقل هي خالة ام المومنين وقيل
ان ازواج النبي كن امهات المومنين والمومنات الرجال والنساء
وقيل كن امهات الرجال دون النساء بدليل ما روي عن مسروق
ان امراة قالت لعايشة يا امة فقالت لست لك بام انما انا ام
رجالكم وفات بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن م
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث قيل كان المسلمون
يتوارثون بالهجرة وقيل اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر
دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى بميراث
بعض وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين
المهاجر وغير المهاجر في كتاب الله اي في حكم الله من المومنين
الذي اخا رسول الله بينهم والمهاجرين يعني ذي القرابات
اولى بميراث بعضهم بعض فنسخت هذه الاية الموارثة ببيعة

بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك
ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة اباح ان يوصي
لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل المراد بالمعروف النصر وحفظ
الحرمة بحق الايمان والهجرة معناه الا ان توصوا الى قرابتكم يعني
وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة كان ذلك اي الذي ذكرت
من اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في الكتاب مسطورا اي
اي مكتوبا مثبتا في اللوح المحفوظ وقيل التوراة قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم اي على الوفاء بما عملوا وان يصدق بعضهم
بعضا ويشد بعضهم ببعض وقيل ان يعبدوا الله ويدعوا الناس
الى عبادته وينصحوا لقومهم ومنك يعني يا محمد ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين
النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرايع واولوا العزم من الرسل
وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث قال
قتادة وذلك قول الله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وقد ابه صلى الله عليه وسلم واخذنا منهم ميثاقا غليظا
اي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة ليسئل الصادقين
عن صدقهم يعني اخذنا ميثاقهم لكي يسئل الصادقين يعني
النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه
وتعالى انهم صادقون بتكليف من ارسلوا اليهم وقيل ليسئل
الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسئل
الصادقين بانواههم عن صدقهم في قلوبهم واعد للكافرين
عذابا اليما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم

دخلت

وذلك حين حصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
ايام الخندق اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عكرمة
قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي لنصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح
الذي ارسلت عليهم الصبا وعن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا تهيج
نهارا وروح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه قوله تعالى وجنودا
لم تروها يعني الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل
تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب المساطيح
واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت بعضها في بعض وكبر تكبير
الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان
النجاء النجاء هلموا الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا
من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما يعملون
بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم وهي غزوة الخندق وهي الاحزاب قال الجباي
قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع من الهجرة وروى
محمد بن اسحاق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض
ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب
وكنانة بن ابي الربيع وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلي في نفر من
بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش
مكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر
اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن
ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى

ن

بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى به
بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا وتشطوا
لما دعوهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى
جاوا غطفان وقيس وعيلان فاجتمعوا على ذلك واخبروهم
انهم سيكونوا معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فلما
فاجابوهم وخرجت قريش وقايدهم ابو سفين بن حرب
وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن حصين بن حذيفة
بن بدر في بني فزارة والحرث بن عوف بن ابي حارثة المري
في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن له
تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة
وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق
سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا
بفارس اذا حوصرنا خندق علينا فعمل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل
عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان
الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال
الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان
من اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت وسلمان وحذيفة له
والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا
فحفرنا حتى اذا كنا تحت دوباق اخرج الله من بطن الخندق صخرة

مروة

مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارقد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره يخبر هذه الصخرة فاما
ان نعدل عنها فانه المعدل قريب واما ان يامرنا فيها امره فانا
لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله ه
خرجت لنا صخرة بيضا مروة من بطن الخندق فكسرت حديد
وشقت علينا حتى ما يجيبك منها شيء قليل ولا كثير فمرنا فيها
بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شقة الخندق
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وضر
به ضربة صدعها وبرق منها برقا اضاما بين لابتيها يعني
المدينة حتى كانه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم تكبير فرح وكبر المسلمون معه ثم ضربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وبرق منها برقا حتى
اضاما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فرح وكبر المسلمون معه
ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها
برقا اضاما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في بيت مظلم فكبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فرح وكبر المسلمون عليها
واخذ بيد سلمان ورقي فقال بابي انت وامي يا رسول الله
لقد رايت شيئا ما رايت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى القوم وقال اراتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول
الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق البرق الذي رايتم فاضاءلي
فيها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي

وايتم اصالي منها قصور فيصير من ارض الروم كانها انياب الكلاب
فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها فضربت ضربتي الثالثة م
فبرق الذي رايتم اصالي منها قصور صنعا كانها انياب الكلاب فاخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر والمسلمون وقالوا
الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن
كسري وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون
ان تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله قل اللهم مالك الملك
الاية ق عن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن
لهم عبيد ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان
العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له
نحن الذين بايعوا محمدا ٥ على الجهاد ما حيينا ابدا ٥
عن البرئ بن عازب قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل
ينقل التراب معنا وهو يقول
٥ والله لولا الله ما اهتدينا ٥ ولا تصدقنا ولا صلينا ٥
٥ وانزلن سكينة علينا ٥ وثبت الاقدام ان لاقينا ٥
٥ والمشركون قد بغوا علينا ٥ اذا ارادوا فتنة ابينا ٥
ويرفع بها صوته وفي رواية قد واري التراب بياض ابطيه رجعنا
الي حديث ابن اسحاق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة
من الجرف والغابة في عشرة الاف من احابيشهم ومن تابعهم من
بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل
نجد حتى نزلوا بذنب نعمي الي جانب احد وخرج رسول الله صلى

الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم الي سلع في ثلاثة
الاف من المسلمين فضرب هناك عسكرة والخندق بينه وبين القوم
وامروا بالذراري والنساء فرفعوا الي الاطام وخرج عدو الله حيي
بن اخطب من بني النضير حتى اتي كعب بن اسد القرظي صاحب
عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي
قومه وعاقده علي ذلك فلما سمع كعب بن اخطب اغلق دونه
حصنه فاستاذن عليه فابي ان يفتح له فناداه حيي ياكعب افتح لنا
فقال ويحك ياحيي انك امرء مبشوم اني قد عاهدت محمدا فلست
بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح م
اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا علي جشيشك
ان اكل معك منها ما حفظ الرجل ففتح له فقال ويحك ياكعب جئتك
بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش علي قادتها حتى انزلتهم بمجتمع
الاسيال من رومة وبقطفان علي قادتها وسادتها حتى انزلتهم
بذنب نعمي الي جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني الا يبرحوا
حتى يستاصلوا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه قال له كعب
جئتني والله بذل الدهر وبجام قد يهراق ماوه ويرعد ويبرق
ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما انا عليه فاني لم ار لي من محمد
الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في الذروة
والغارب حتى سمح له علي ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن
رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معه في حصنك حتى
يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد العهد وبدا مما كان
عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم والي المسلمين بعث رسول
الله سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد
الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة وهو يومئذ سيد

بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة اخو الحرث من الخزرج وخوات
بن جبير اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى ننظر وا ما بلغنا من
هولا القوم احق امر لا فاذا كان حقا فالحنوا لي لحنا اعرفه ولا تفشوا اعظام
الناس وان كانوا على الوفا فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا
حتى اتوهم فوجد وهم على اخبث ما بلغهم عنهم وثالوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم
سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة وقال له سعد
بن معاذ دع عنك مشاتمهم فما بيننا وبينهم ازلى من المشاتمة ثم اقبل
سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا
وقالوا عضل والقارة احدر عضل القارة باصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحاب الرجيع خبيب بن عدي واصحابه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند
ذلك البلا واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل
منهم حتى ظن المومنون كل ظن وبحم النفاق من بعض المنافقين حتى
قال معتب بن بشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان
ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغايط م
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال اوس بن قيظي احد بني
حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملا
من رجال قومه فاذن لنا فلنرجع الى دارنا فانها خارجة من المدينة
فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون عليها
بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا
الرمي بالنبل والحصي فلما اشتد البلا على الناس بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف
وهما قايد غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن
معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرج بينهما الملح

حتى

حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما
فيه فقالا يا رسول الله اشيء امرك الله به لابد لنا من العمل به
او امر تحبه فنصنعه لم شيء تصنعه لنا قال بل شيء اصنعه لكم والله
ما اصنع ذلك الا اني قد رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحد
وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر شوكتهم فقال له سعد بن
معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهولا القوم على شرك بالله وعبادة
الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون ان ياكلوا منا ثمرة م
واحدة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم
اموالنا ما لنا بذلك من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم
الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت وذاك
فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا
علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدو
م
محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود
اخو بني عامر بن لوي وعكرمة ابن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب
المخزومي ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس
اخو بني محارب بن فهر وقد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم
فمروا على بني كنانة فقالوا تهيوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون
اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما راوه
قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا
من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت خيولهم فجالت بهم
في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر
من المسلمين حتى احدوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت
الفرسان تقيف نحوهم وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى م
اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما

لبري مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله
لا يدعوك رجل من قريش الي خلتين الا اخذت منه احدهما فقال اجل
قال له علي فاني ادعوك الي الله ورسوله والي الاسلام فقال لا حاجة
لي بذلك فقال اني ادعوك الي النزال قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب
ان اقتلك وعلى ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم اقبل على
علي فنازله ونازله فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت
من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد
بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم بمكة ونوفل بن عبد الله
بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة
فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله
وغلب المسلمون على جسده فسيلوا رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا حاجة
لنا في جسده وثمنه فشانكم به فحامى بينهم وبينه قالت عايشة
كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون
المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان
يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة
قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول
ليث قليلا يدرك الهيجا جمل ... لا بأس بالموت اذا جاء الاجل
فقالت له الحق يا بني فقد والله اخترت قالت عايشة فقلت يا ام
سعد والله لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخشيت
عليه حيث اصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم
فقطع منه الاكحل رماه خباب بني قنبس بن العرقة احد بني لحيان
عامر بن لوي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة فقال سعد
عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت
من حرب قريش شيئا فابقني لها فاني لا قوم احب الي ان اجاهد

اجاهدهم من قوم اذوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وكذبوه
واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا
تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه وموالية في الجاهلية
قال محمد بن اسحاق فلما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في
قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا
مع الصبيان والنساء قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطيف
بالحصن وقد حاربت بني قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلي
الله عليه وسلم والمسلمون في شغل وهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا
عنهم اذا اتانا قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى
يطيف بالحصن واني والله ما امنه ان يدل على عورتنا من وراءنا
من يهود وقد اشتغل رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه فانزل
اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد علمت ما
انا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيئا احتجرت
ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته
فلما فرغت منه رجعت الي الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه
فانه لا يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال لي ما لي بسلبه حاجة يا بنت
عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه
فيما وصف الله من الخوف والشدة لنظاهر عدوهم وانتيابهم من
فوقهم ومن اسفل منهم حتى ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان
اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت
وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلي
الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد منا فخذل عنا ان استطعت
فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتي بني قريظة وكان
ند يما لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم
وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم

ان قريشا وغطفان جاوا لحرب محمد وقد تظاهرتموهم عليه وان قريشا
وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به واموالكم واولادكم ونساؤكم
لا تقدرون ان تحولوا منه الي غيره وان قريشا وغطفان اموالهم
ونساؤهم وابناؤهم بغيره وان راوا النهزة وغنيمة اصابوها وان
كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل به
ليلوكم لا طاقة لكم به ان خلي لكم فلا تقاتلوا معه الا مع الموت حتي تاخذوا
منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم علي ان يقاتلوا
معكم محمدا حتي تناجزوه قالوا لقد اشرت برأي ونصح ثم خرج حتي
اتي قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش
قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رابت حقا ان ابلغكموه
نصحا لكم فاكتموا علي فقالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا
علي ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه ان قد ندمنا علي
ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا
من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك علي من بقي
منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا
من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا منكم واحدا ثم خرج حتي اتي غطفان
فقال يا معشر غطفان انتم اهلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم
تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل فقال لهم مثل
ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت
من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله تعالي لرسوله صلي الله
عليه وسلم ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الي بني قريظة عكرمة
بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم انا لسنا بدار
مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتي نناجز محمدا
ونفرغ فيما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم
لا نعمل فيه وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف

غليظ

عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتي تعطونا رهنا من رجالكم
يكونوا بايدينا ثقة لنا حتي نناجز محمدا فانا نخشي ان دربتم الحرب
واشتد عليكم القتال ان تسيروا الي بلادكم وتتركونا والرجل في
بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي
قالوا بنو قريظة قالت قريش وغطفان نعلم والله ان الذي حدثكم
به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الي بني قريظة انا والله لا ندفع
اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا
فقاتلوا فقالت بنو قريظة حينئذ انتهت اليهم الرسل لهذا الذي
ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان
وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الي بلادهم
وخلوا بينكم وبين هذا الرجل في بلادكم فارسلوا الي قريش وغطفان
انا والله لا نقاتل معكم حتي تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز
وجل وبعث اليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت
تكفوا قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهي الي رسول الله صلي
الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم دعي حذيفة بن اليمان فبعثه
اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروي محمد بن اسحاق عن يزيد
بن رياد عن محمد بن كعب القرظي وروي غيره عن ابراهيم التيمي
عن ابيه قالا قال فتي من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد
الله ارايتم رسول الله صلي الله عليه وسلم وصحبتموه قال
نعم يا ابن اخي قال كيف كنتم قال والله لقد كنا نجهد قال فقال
والله لو ادركناه ما تركناه يمشي علي الارض ولحملناه علي اعناقنا
ولخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا قال حذيفة يا ابن اخي والله
لقد رايتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال من يقوم فيذهب الاهوال القوم فيا تينا بخبرهم ادخله
الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلي رسول الله صلي الله عليه

وسلم هوينا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما
قام منا رجل ثم صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم هوينا من الليل
ثم التفت الينا فقال مثله فسكت فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما
فعل القوم علي ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة
الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال ياحذيفة فلم يكن لي بد من القيام
حين دعاني فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتي اتيته فاخذ
بيدي ومسح راسي ووجهي ثم قال ايت هولا القوم حتي تاتيني
بخبرهم ولا تحدث شياحتي ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن
تحته فاخذت سهمي وشددت علي اسلابي ثم انطلقت
امشي كانما كاني امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم
فارسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تقتل بهم ما تقتل
لا تقر لهم قدور ولا بنا فقال ابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت
سهما فوضعته في كبد القوس فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته
فذكرت قول رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا
حتي ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما راي ابو سفيان
ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدور ولا نار ولا بنا قام
فقال يا معشر قريش ليا خذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو
فاخذت بيد جليسي فقلت من انت فقال سبحان الله ما تقربني
انا فلان بن فلان من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش
انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا
بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذا الريح ما ترون
فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الي جمله وهو معقول فجلس عليه ثم
ضربه فوثب علي ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قايم ولو لم اسمت

عطفان

202

عطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الي بلادهم قال
فرجعت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم كاني امشي في
حمام فاخبرته وهو قايم يصلي فلما سلم فاخبرته فضحك حتي بدت
ثنايا به في سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب
عني الدفا فاذا فاني النبي صلي الله عليه وسلم فاقامني عند
رجليه والقي علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه فلم
ازل نايما حتي اصبحت فلما اصبحت قال قم يا نومان قد لك
قوله تعالي اذ جاوكم من فوقكم اي من فوق الوادي من قبل المشر
ق وهم اسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النضري وعيينة
بن حصين الفزاري في الف من غطفان ومنهم طلحة بن خويلد
الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود قريظة ومن اسفل
منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة
وعليهم ابو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وابو الاعور
عمرو ابن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر
عروة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلي الله عليه وسلم
بني النضير من ديارهم وازاغت الابصار اي مالت وشخصت
من الرعب وقيل مالت عن كل شي ولم تنظر الي عدوها وبلغت
القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها حتي بلغت الحلوق من
الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا علي التمثيل عبر به عن شدة
الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد جوفه
ان تنتفخ ريته فاذا انتفخت ريته رفعت القلب الي الحنجرة ولهذا
يقال للجبان انتفخ سحره وتظنون بالله الظنونا اي اختلف
الظنون بالله فظن المنافقون استيصال محمد واصحابه وظن
المومنون الظفر والنصر لهم هنالك ابتلي المومنون اي عند
ذلك اختبر المومنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من

ق

المنافقين وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا حركة شديدة واذ
يقول المنافقون يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي
واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي شك وضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي هو قول اهل النفاق بعدنا
محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يغادر
رحله هذا هو الغرور قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم اي من
المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني
يا اهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت بيثرب اسم رجل
من العمالقة كان قد نزلها من قديم الزمان وفي بعض الاخبار
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة بيثرب
وقال هي طابة كانه كره اللفظة لما فيها من التثريب وهو التعنيف
والتوبيخ لا مقام لكم اي لا مقام لكم تنزلون وتقيمون فارجعوا اي
منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال
ويستاذن فريق منهم النبي يعني بني حارثة وبني سلمة
يقولون ان بيوتنا عورة وما هي اي خالية ضايعة وهي مما
يلي العدو ونخشى عليها السراق فاكد بهم الله تعالى وما هي
بعورة ان يريدون الا فرارا اي انهم لا يخافون ذلك انما يريدون
الفرار من القتال ولو دخلت عليهم من اقطارها يعني ولو دخل
هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحي
المدينة وجوانبها ثم سئلوا الفتنة يعني الشرك لاتوها اي لجاؤها
وفعلوها ورجعوا عن الاسلام وما تلبثوا بها اي ما احتبسوا عن
الفتنة الا يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم
وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى
يهلكوا قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل

غزوة

غزوة الخندق لا يولون الادبار اي لا ينهزمون قتيل هم بنو
حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم
ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل هم اناس غابوا عن
غزوة بدر فكانوا اذا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة
قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله
اليهم ذلك وكان عهد الله مسئولا اي كان عنده في الاخرة
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يعني الذي
كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل لابد من ذلك واذا
لا تمتعون اي بعد الفرار الا قليلا اي مدة اجالكم وهي قليل
قوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم ان اراد
بكم سوءا اي هزيمة او اراد بكم رحمة اي نصرا ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا اي ناصرا يمنعه قوله تعالى قد يعلم
الله المعوقين منكم اي المثبطين الناس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والقائلين لاخوانهم هلم الينا اي ارجعوا الينا ودعوا
محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا
نخاف عليكم الهلاك قتل هم اناس من المنافقين كانوا يثبطون
انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد
واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم اي ابتلعهم ابو
سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين
وقيل ان اليهود ارسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل انفسكم
بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة
لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا
فلما البنا قاتل عبد الله بن ابي واصحابه على المومنين يعوقونهم
ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم
لم يستبق منكم احدا ما نرجوا عن محمد ما عنده خير ما هوا لا

ان يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون
بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا بقوله تعالى ولا يأتون الباس يعني
الحرب الا قليلا اي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك م
القليل لله لكان كثيرا اشحة عليكم اي بخلا بالنفقة في سبيل الله
والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم اي في رؤسهم من الخوف والجبن كالذي ي
يغشى عليه من الموت اي كدوران اعين الذي قرب من الموت
وغشيه اسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف
فاذا ذهب الخوف اي زال سلقوكم اي اذوكم وروموكم في حالة
الامن بالسنة حداد اي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس
معناه عضوكم ونتاولوكم بالنقص والغيبة وقيل سبطوا السنتهم
فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال
فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشحة قوم وعند الحرب
اجبن قوم اشحة على الخير اي بنا حوث المؤمنين عند الغنيمة
فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال اولئك لم يؤمنوا حقيقة
الايمان وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم اي التي كانوا
يأتون بها مع المسلمين قيل هو الجهاد وغيره وكان ذلك على الله
يسيرا اي احباط اعمالهم مع ان كل شيء على الله يسير قوله تعالى
يحسبون يعني هؤلاء المنافقين الاحزاب يعني قريشا وغطفان
واليهود لم يذهبوا اي لم ينصرفوا عن قتالهم حينا وفرقا وقد
انصرفوا عنهم وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم للقتال
بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي يتمنون
لو كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف يسألون عن
انبائكم اي عن اخباركم وما آل اليه امركم ولو كانوا فيكم يعني هؤلاء
المنافقين ما قاتلوا الا قليلا يعني بقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم

فيقولون

فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو رميهم بالحجارة وقيل رياء من غير
احتساب قوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة م
اي قدوة صالحة اي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان ينصروا دين
الله ويوازروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتخلفوا عنه
ويصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ كسرت رباعيته وجرح
وجهه وقتل عمه وآذي يصبروا الاذي فصبروا واساكم مع
ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته لمن كان
يرجوا الله يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان يرجوا الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله واليوم الاخر
يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء وذكر الله كثيرا اي في
جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند
لقاء الاحزاب فقال تعالى ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله اي قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا
بوعده وصدق ورسوله اي فيما وعد وهو في مقابلة قول
المشركين المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم
وصدق الله ورسوله اي اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعبرون
صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة في
جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة والروم وفارس وقيل انهم
وعدوا ان يلحقهم شدة وبلاء فلما راوا الاحزاب وما اصابهم من
الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
وما زادهم الا ايمانا اي تصديقا لله وتسليما اي لامره قوله تعالى من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي قاموا بما عاهدوا
الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي فرغ من نذره
ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى
نحبه اي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد

وفتح سي

يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعد هولاء من المومنين
ينتظرون احد الامرين اما الشهادة او النصر على الاعداء وما بدلوا
يعني عهدهم تبديلا قال عن انس قال غاب عمي انس بن النضر
عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت
المشركين لين اشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع
فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر
اليك مما صنع هولاء يعني اصحابه وابرا اليك مما صنع هولاء المشركين
ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة
ورب النضر اني اجد ريحها من دون احد قال سعد فما استطعت
يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة
بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل
به المشركون فما عرفه احد الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او
نظن ان هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية ق عن خباب ابن الارت قال
هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله
فوقع اجرنا على الله فمنا من مات ولم ياكل من اجره شيئا
منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة فكنا اذا غطينا
بها راسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت راسه فامرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي راسه ونجعل على
رجليه شيئا من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها
النمرة كساء ملون من صوف وقوله من اينعت اي ادركت
ونضجت له ثمرته وهذا استعارة لما فتح الله عليهم من الدنيا
وقوله يهدبها اي يجنيها ويقطفها عن ابي موسى بن طلحة
قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه

الترمذي

الترمذي وقال هذا حديث غريب خ عن قيس ابن ابي حازم قال
رايت يد طلحة شلاء وقاها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
قوله تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي جزاء صدقهم
وصدقهم هو الوفاء بالعهد ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
اي فيهديهم الى الايمان ويشرح صدورهم ان الله كان غفورا
رحيما ورد الله الذين كفروا اي من قريش وغطفان بغيظهم
ان لم ينالوا خيرا اي ظفرا وكفى
الله المومنين القتال اي بالملايكة والريح وكان الله قويا اي في ملكه
عزيزا اي في انتقامه قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل
الكتاب اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة من صياصيهم
اي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية وقذف في قلوبهم
الرعب اي الخوف فريقا تقتلون بيفتح الراء كانوا سبعمائة
وتاسرون فريقا بيفتح السين والذراري يقال كانوا سبعمائة قتل
وخمسمائة واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطئوها
بعني بعد قيل هي خيبر يقال انها كانت مكة وقيل فارس والروم
وقيل هي ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة وكان الله
على كل شيء قديرا ذكر غزوة بني قريظة قيل كانت في اخر ذي
القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق
عن موسى بن عقبة انها في سنة اربع قال العلماء بالسير
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف
الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمومنون
عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى
جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من استبرق على
بغلة بيضاء عليها رحال عليها قطيفة من ديباج ورسول الله

وكان غزوة بني قريظة

صلي الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه وقد
غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح
قال نعم قال جبريل عني الله عنك ما وضعت الملايكة السلاح منذ
اربعين ليلة وما رجعت الان الا من طلب القوم وروي انه
كان الغبار علي وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلي الله عليه
وسلم يمسح الغبار عن وجهه وفرسه فقال ان الله تعالي يه
يامرك بالمسير الي بني قريظة وانا عامد الي بني قريظة فانزلهم
فاني قد قطعت اوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم في زلزال
وبلبال فامر النبي صلي الله عليه وسلم منادیا فاذن ان من كان
سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول
الله صلي الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب برايته اليهم واقبلوا
الناس وسار علي حتي اذا دنا من الحصون سمع منهم مقالة
قبيحة لرسول الله صلي الله عليه وسلم فرجع حتي لقي رسول
الله صلي الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان
لا تدنو من هولاء الاخابث قال اظنك سمعت لي منهم اذي قال
نعم يا رسول الله قال لو قد راوني لم يقولوا من ذلك شيا فلما
اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان
القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم
ما كنت جهولا ومر رسول الله صلي الله عليه وسلم علي اصحابه
بالطريق قبل ان يصل الي بني قريظة فقال هل مر بكم احد
فقال يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة علي بغلة بيضاء
عليها رحال عليها قطيفة ديباج فقال صلي الله عليه وسلم
ذاك جبريل عليه السلام بعث الي بني قريظة يزلزل بهم
حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتي رسول الله صلي
الله عليه وسلم بني قريظة نزل علي بير من ابارها في ناحية

اموالهم

اموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشا
الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلي الله عليه وسلم لا يصلين
احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشا الاخرة
فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال العلما حاصرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم خمسا وعشرين
ليلة حتي جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب وكان حيي بن
اخطب دخل علي بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفا ت
وودعا كعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتي يناجزهم قال كعب بن اسد
يا معشر يهود قريظة انكم قد نزل بكم ما ترون واني عارض عليكم خلالا
ثلاثا تاخذوا ايها شيتم قالوا وما هن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه
فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم
فتامنوا علي دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم
التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل
ابنائنا ونساءنا ثم نخرج الي محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف
ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتي يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك
نهلك ولم نترك وراءنا شيا نخشي عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن
النساء والابنا قالوا هو لا المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فان
ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسي ان يكون محمد واصحابه
قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا
نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من قبلنا الا
من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليكم قال ما بات رجل
منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر قال انهم بعثوا الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمر
وابن عوف وكانوا حلفا الاوس نستشيره في امرنا فارسله رسول الله

اللهم لا تحرمني عشرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى
بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة
تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من ارض الله
فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك
رجل جاءه الله بوفائه وبعصمة الناس بزعم انه كان
اوثق بنو قينقاع فمن او ثق من بني قريظة حتى نزلوا على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيبت رميته ملقاة
ولا يدري اين ذهب فقال عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلك المقالة فلما اصحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم
موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس
ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل
بني قريظة حاصرهم فستجاشوا وهم احلافا الخزرج فنزلوا
على حكمه فسالوه ان يرد اليه عبد الله ابن ابي ابن سلول فوهبهم
له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا
بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد حملته
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امراة
من المسلمين يعالج لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى
وتحتسب بنفسها على خدمة من كان به ضيعة من
المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال
لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة
حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بني قريظة اتاه قومه فحملوه على حمار قد وطاوه
وساده من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول

صلى الله عليه وسلم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش النساء والصبيان
يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال
نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي
حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه
ولم ياتي النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد الى عمود من عمده وقال
والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطاني
قريظة ابدا ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطائه عليه قال اما لو قد جاني لاستغفر
له فاما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فلما انزل
توبة ابو لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة
قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم
ضحكت يا رسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة فقلت
الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب
حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر
فقد تاب الله عليك قال فثار الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر
عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال فزاد ثعلبة بن سعيد واسيد
بن سعيد واسيد بن عبيد وهم نفر من بني هزيل ليسوا من قريظة
ولا النضير بسهمهم من فوق ذلك هم بنو اعم القوم اسلموا تلك الليلة
التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدا القرظي ممرحس ورسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة
فلما راوه قال من هذا قال عمرو بن السعدي وكان عمرو قد
ابى ان يدخل مع بني قريظة في عذرهم بر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لا اعذر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة

اللهم

الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في موالي
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك ليحسن
فيهم فلما اكثروا عليه قال قد ان لسعد ان لا تاخذه في
الله لومة لايم فرجع بعض من كان معه الى داره فلما للاشهل
فمنعهم عليهم وحال بني قريظة قبل ان يصل النقيع سعد
ابن معاذ عن كلمة التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه
فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد ولاك موالينا فاحكم فيهم فقال سعد عليكم
بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا
نعم قال وعلى من ها هنا في الناحية التي فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال
وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار ثم
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة
التي هو سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم
فضربت اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا
وفيهم اعدا الله ورسوله حيي بن اخطب وكعب بن اسد
راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم يقول
كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن
اسد وهو يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال اني كل موطن لا
تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع وان من يذهب به منكم
لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ
منهم النبي صلى الله عليه وسلم واتي حيي بن اخطب عدو
الله وعليه حلة فقاحية قد شققوا عليه من كل ناحية
موضع الانملة وانملة انملة ليلا يسلبها مجموعة يداه
الى عنقه مجدل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل
ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا باس بامر الله
كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس وضرب
عنقه وروي عن عائشة قالت لم يقتل من نساء
قريظة الا امراة واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث
معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها ايان فلانة
قالت انا والله قلت ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت
حدثا احدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت
عائشة تقول ما انسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك
وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المراة بنانة
امراة الحكم القرظي وكانت قتلته خلاد بن سويد قال
وكان علي والزبير يقولان ان اعناق بني قريظة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس هناك ويروى بحديث اسحاق
عبد الرحمن بن الزبير بن باطا القرظي ويكنى ابا عبد الرحمن
وكان قد منع علي ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم
بعاث احد من فخر ناصيته ثم خلا سبيله فجاء يوم قريظة
وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال

وعلى الجمل مثل شلكك قال اني اريد ان اجزيك ببيد عندي
قال ان الكريم يجزي الكريم قال نعم اني ثابت الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كانت
للزبير عندي يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها
فهبلي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو لك فاتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد وهب لك دمك قال شيخ كبير لا اهل له ولا
ولد فما يصنع بالحياة فاني ثابت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اهله واولاده فقال
هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطاني امراتك وولدك فهم لك فقال اهل البيت بالجماني
لا مال لهم فجاءوا به على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما له يا رسول الله قال هو لك فاتاه
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك
فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مواه
هيئة بترا يا فيه عذاري الحي كعب بن اسد قال قتل
قال ما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحامينا اذا كررنا
عزال بن شموال قال قتل قال ما فعل المجلسان يعني
بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال
فاني اسالك بيدي عندك يا ثابت الا ما لحقتني بالقوم
فوالله ما في العيش بعدهم لي خير فانا بصائر حتى القي
الاحبة فقدمه فاتت فضرب عنقه فلما بلغ ابو بكر الصديق
قوله حتى يلقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم
خالدا مخلدا ابدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد امر بقتل من انبت منهم وسبي ما لهم ونساءهم

علي

علي المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال
وكان للفارس ثلاثة اسهم سهمان للفرس وللفارس سهم
وللراجل مما ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين
فرسا وكانت اول مغنم وقع عليه السهمان ثم بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل
سبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فباع له بهم خيلا
وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى
لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو من خنافة احد بني
بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى توفاها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها
الحجاب فقالت بل اتركني في ملكك فهو
اخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت
الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك من امرها فبينما هو يسير
اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا
لثعلبة ابن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاء فقال
يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضى شان
بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه عاد بعد
ان حكم في بني قريظة بحكم فقال اللهم انك تعلم انه
لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك
اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش علي رسولك شيئا
فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني
اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى خيمته التي هو بها في المسجد قالت عائشة فحضره

رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وهو الذي نفس محمد
بيده اني لاعرف بكاء ابي بكر من بكاء ابي لفي حجري فقالت
وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم ح عن سلمان ابن داود
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين
جلا الاحزاب الان نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم
ح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له اعز جنده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده قوله تعالى
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا
وزينتها فتعالين امتعكن اي متعة الطلاق واسرحكن
سراحا جميلا اي من غير ضرر وان كنتن تردن الله
ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما سبب نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله عليه
وسلم سالنه من عرض الدنيا شيئا وطلبت منه زيادة في النفقة
واذا كنه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقسم ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج
الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه فدخلت
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني
دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان
شئت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الاية ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم

فكنت

فكنت انا استنبطت هذا الامر وانزل الله اية التخيير
وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة
خمس من قريش وهن عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت
عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية
وسودة بنت زمعة واربع غير قريشيات وهن زينب
بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية
وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت
الحارث المصطلقية فلما نزلت اية التخيير بدا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعايشة وكانت احبهن اليه
فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة فراي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالت على ذلك فلما اخترنا الله ورسوله شكر الله
على ذلك وعظمه عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء
من بعدهم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا
ببابه لم يوذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر
فاستاذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيئا
اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لقد
رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات
عنقها تضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي
كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة جا عنقها
كلاهما يقول تسالان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس
عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين حتى

نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن حين بلغ للمحسنات
منكن اجرا عظيما قال فبدء بعائشة فقال يا عائشة اني اريد
ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري
ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية قالت
افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله
والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسايك بالذي
قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني
معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا قوله
واجما اي متهما والواجم الذي اسكنه الهم وعلة الكابة
وقيل الوجوم الحزن قوله فوجات عنقها اي دقت عنقه
وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة
عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل
على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة لما
مضت تسع وعشرون ليلة اعدهن دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة فقالت له اني حلفت يا رسول الله
اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين
اعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون فصل في حكم
الاية اختلفت العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق
اليهن حتى تقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة
واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن
على ان فيه اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين
امتعكن واسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور
وانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي هو
تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه
كان الطلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا التخيير على

حكم

حكم الاية اختلف اهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود
وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع
شيء وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر
بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي واصحاب
الراي الاعند اصحاب الراي يقع طلقة بائنة اذا اختارت
نفسها وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت
الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو
قول الحسن وبه قال مالك وروي عنه ايضا اذا اختارت
زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة
بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شيء
عن مسروق قال ما ابالي خيرت امراتي واحدة او مائة
او الفا بعد ان تختارني وقد سالت عائشة رضي الله عنها
فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان طلاقا
وفي رواية فلم يعد ذلك شيئا قوله تعالى يا نساء النبي من ياتن
منكن بفاحشة مبينة اي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك لان منهن من اتت بفاحشة
قال الله تعالى ما كان ازواج الانبياء من الفاحشة وقال ابن
عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق يضاعف لها العذاب
ضعفين اي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لشرفهن كتضعيف
عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم
الى غيره من الرجال كنسبة الساده الى العبيد لكونه اولى بالمومنين
من انفسهم فكذلك ازواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة
وكان ذلك على الله يسيرا اي عذابها ومن يقنت منكن لله
ورسوله اي تطع الله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها
مرتين اي مثلي اجر غيرها قيل الحسنة بعشر بحسنة وتضعيف

ثوابهن لرجع مذ لتقدم وفيه اشارة الى انهن اشرف نسا العالمين
واعتدنا لهن رزقا كريما يجب الحبة قوله تعالى يا نسا النبي
لستن كاحد من النسا قال ابن عباس يريد ليس فيكن
مثل قد يعيركن من النسا الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن
اعظم لدي ان اتقيتن يعني الله فاطمة خات الاكرم عند الله
هو الاتقى خلا تخضعن بالقول اي لا تلن بالقول للرجال الا
ترفقن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وشهوة
وتعاف والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبلا الى
الطمع فيكن والمراة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت
الاجانب لقطع الاطماع فيهن وقلن قولا معروفا اي بوجه
الدين والاسلام عند الحاجة اليه بيانا منكن خضوع وقيل
القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل وقرن في بيوتكن
اي الزمن بيوتكن وقيل هو امر من الوقار اي كن اهل وقار
وسكون ولا تبرجن قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل
هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية
الاولى قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت
المراة تلبس درعا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها
منه وقيل كان ذلك في زمن نمرود لجبار كانت المراة تتخذ
الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليرى عليها
فتى عبده وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية
الاولى ما بين نوح وادريس وكانت الغلبة وان يطلبن
من ولد ادم عليه السلام كان احدهما يسكن السهل والاخر
يسكن الجبل وكانت رجال الجبل صباحا وفي النسا دمامة
وكان نسا السهل صباحا وفي الرجال دمامة فان ابليس اتى رجلا

من

من اهل السهل واخره نفسه وكان يخدمه واتخذ تمثال الذي
يزمر به الرعاة فجا بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من
حولهم فاتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه
في السنة فتخرج النسا للرجال ويتزين الرجال لهن وان
رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فراى النسا
وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم
فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى
ما قبل الاسلام والجاهلية قوم يفعلون مثل فعلهم في
اخر الزمان وقيل تبرجن تذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى
واقمن الصلاة اي الواجبة واتين الزكاة اي المفروضة
واطعن الله ورسوله فيما امرن ونهين انما يريد الله ا
ليذهب عنكم الرجس اي الاثم الرفث يا اهل الله الساعة ا
وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى
وقيل الرجس الشك وقيل السوء اهل البيت هم سا النبي صلى
الله عليه وسلم لا نفد في بيته وهو راوية سعيد بن جبير
عن ابن عباس وتلى قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من اياة الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب
ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتا
وعبرة الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم
يدل عليه ما روي عن عايشة ام المومنين قالت خرج
النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل
من شعر اسود فجلس فجاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جا علي
فادخله فيه ثم جا الحسن فادخله فيه ثم جا الحسين فادخل
فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

ويطهركم تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكساء المرحل بالحاء ابي
المنقوش صور الرجال وبالخميل المنقوش عليه صور الرجال
عن ام سلمة قالت ان هذه الاية نزلت في بيتها انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت
وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل
البيت قال انك الى خير انت من ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي
وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء اهل
بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح غريب عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يمر ببا ب فاطمة ستة اشهر اذا خرج
الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وقال رشيد بن ابي رشيد خدم اهل البيت
من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل
عباس قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات
الله يعني القران والحكمة قيل هي السنة وقيل هي احكام القران
ومواعظه ان الله كان لطيفا اي بأوليائه وأهل طاعته خبيرا
اي بجميع خلقه قوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية
وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القران وما نذكر في شيء من الخير فنزلت
ان الاعمال مقبولة طاعة فانزل الله هذه الاية عن ام عمارة الانصارية
انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت مالي اراى
كل شيء للرجال وما اراى النساء يذكرن بشيء فنزلت ان المسلمين
والمسلمات اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان ام

سلمة

سلمة بنت ابي امية واسمها هند بنت كعب الانصارية قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر
النساء فخشيت ان لا يكون فينا خير فنزلت
هذه الاية وروي ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة
مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القران قلن لا فاتت
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي
خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما
يذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكرهن عشر
مرات مع الرجال فحدحهن بها منهم الاولى الاسلام وهو
الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات
الثانية الايمان بما يريد الله به امر الله تعالى وهو التصديق
الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله والمؤمنين
والمؤمنات الثالثة الطاعة وهو قوله والقانتين
والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو
قوله والصادقين والصادقات الخامسة الصبر على ما امر
الله وفيما نهى وهو قوله والصابرين والصابرات السادسة
الخشوع في الصلاة وهو ان لا يلتفت وقيل هو التواضع
وهو قوله والخاشعين والخاشعات السابعة الصدقة
وهو قوله والمتصدقين والمتصدقات الثامنة الصوم
على الصوم وهو قوله والصائمين والصائمات التاسعة
العفة وهو قوله والحافظين فروجهم فيما لا يحل
والحافظات العاشرة كثرة الذكر وهو قوله والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون الصبر مشهورا كالذي يذكر الله
قائما وقاعدا ومضطجعا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم

الله قال سبحان المؤمنون قالوا يا رسول الله وما الموجبات
قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن رباح من
فوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات
ومن اختيار الله ربه ومحمد رسوله ولم يخالف قلبه لسانه
فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن اطاع الله في
الوضوء والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات
ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله
والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية
وعلى الرزايا فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات
ومن صلى كل يوم من عند يمينه ومن شماله فهو داخل
في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع
بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام
في كل شهر ايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس
عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ
فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات
ومن صلى الصلوات الخمس جميعها فهو داخل في قوله
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما يعني الجنة قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى
الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه
الآية في زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش
وامها امنية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد
بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه زيد في
الجاهلية بعكاظ واعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم زينب رضيته وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه

يخطبها

يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه
لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك اخوها ذلك
فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش
ولا مؤمنة يعني اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون
يعني نكاح زيد لزينب ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي الاختيار
على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما اراد الله او يمتنع مما امر
الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا
اي اخطا طريقا ظاهرا فلما سمعت ذلك زينب واخوها رضيا وسلما
وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها
زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها
عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين
مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر فذلك قوله عز وجل واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الآية
نزلت في زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتى زيدا اذا تيسر لحاجة فابصر زينب في درع
وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش وقعت
في نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف
فلما جاء زيد ذكرت ذلك له فقطن زيد والقي في نفسه كراهيتها
في الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد
ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله
يا رسول الله ما رابت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها
وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك
زوجك واتق الله في امرها ثم ان زيدا اطلعها فذلك قوله عز
وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالاسلام وانعمت عليه

بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه امسك عليك زوجك يعني
زينب بنت جحش واتق الله اي فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك
اي تسر وتضمر في نفسك ما الله مبديه اي مظهره قيل كان في قلبه
لو فارقها تزوجها وقال ابن عباس حبها وقيل ود انه طلقها
وتخشى الناس قال ابن عباس تستحيهم وقيل تخاف لئلا يتمهم
ان يقولوا امر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها والله احق ان
تخشاه قال عمرو ابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن
عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من
الوحي لكتم هذه الاية والذي تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل
فان قلت ما ذكرته في تفسير هذه الاية وسبب تزوجها من وقوع
محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما رآها وارادته
طلاق زيد لها فيه اعظم الحرج وما لا يليق بمنصب صلى الله
عليه وسلم ومن مدعيبكم ما نهى عنه من كراهة الحياة الدنيا
قلت هذا اقدام عظيم من قائله وجلة موقت في حق النبي صلى
الله عليه وسلم وبعضله وكيف يقول مرآها فاعجبته وهي بنت
عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولان الناس يحتجبن منه صلى
الله عليه وسلم وهو وجوا لزيد خلائك في تنزيههم صلى الله
عليه وسلم عن ان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقها اياها
كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا الباب ما روي عن
سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سالني زين
العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي
في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا رسول

يا رسول الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك وقال
امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس
كذلك وكان الله عز وجل قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان
زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني اريد ان اطلقها قال له
امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك
عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا
هو الاولى والايلق بحال الانبياء وهو معالجتي للتلاوة لان
الله تعالى اعلمه انه يبديها ويظهرها اخفاه ولم يظهر غير تزوجها
فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله
عليه وسلم محبتها وارادة طلاقها لكان يظهره لك لانه لا يجوز
ان يخبره انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على
اخفاء ما اعلمه الله انها ستكون زوجته وانما اخفاه ذلك استحيا
ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي
وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الانسان
ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح
مشتهى وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب علينا لله وربما
كان الدخول المباح في ذلك سببا الى الحصول واجيانا يعظم
اثرها في القلب واما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته
كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ان قلت فما الغاية
في امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها قلت هو ان الله
تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم
عن طلاقها واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد
جرى على قول الناس تزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بتزوجها

لباح مثل ذلك لامته وقيل كان في امره بامساكها حتى للشهوة
ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا العفو المتقدم الذي
ذكره المفسرون وهو انه اخفى بعضها او نكاحها لو طلقها زيد
ومثل ذلك لا يقدح في حال الانبياء ان العبد غير ملوم
على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء اذا لم يرها فجاءة فاه
يحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من
استحسان الحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ما لم يقصد فيه
ما ثم لان الود ومثل النفس من طبع البشر والله اعلم وقوله
امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية لا اثم
فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى
الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال انا
اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس
ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشياء
قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجته منها
ولم يبق له منها ارب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها
نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان
زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها زوجناكها قال انس
كانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول
زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات
وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم
اني لادل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك تدل بهن
جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السماء وان السفير
جبريل عليه السلام عن الله قال لما انقضت عدة زينب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها
علي قال فانطلقت حتى اتيتها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها

عظمت

عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي
فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى
مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج
الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت فجعل يتتبع حجر
نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت
اهلك قال فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا ام غيري
قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت ادخل معه فالقى
الستر بيني وبينه ونزل الحجاب فخرج اناس قال ما اولم
النبي صلى الله عليه وسلم على نسي من نسائه ما اولم على
زينب اولم بشاة وفي رواية اشبع واحسن ما اولم على زينب
قال ثابت بما اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه قوله
عز وجل لكيلا يكون على المومنين حرج اي اثم في ازواج ادعيائهم
جمع الدعي وهو المتبنى اذا قضوا منهن وطرا يقول زوجناكها
زينب وهي امراة زيد الذي كنت تسميه لكيلا يعلم ان زوجة
المتبنى حلال للمتبنى اذا كان قد دخل بها المتبنى خلاف امراة
ابن الصلب فانها تحل للاب وكان امر الله مفعولا اي قضاء الله
ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
اي فيما احل الله له من النكاح وغيره سنة الله في الذين خلوا
من قبل معناه سن الله سنة في الانبياء وهو ان لا حرج عليهم

في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره
فانه كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام
مائة امراة ولسليمان ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية
فكذلك سنة محمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه
كما سنة لهم ووسع عليهم وكان امر الله قدرا مقدورا
اي قضا مقضيا ان لا حرج على احد فيما احل الله له ثم
اثنا الله على الانبيا بقوله الذين يبلغون رسالات
الله اي فرايض الله وسننه واوامره ونواهيه الى
من ارسلوا اليهم ويخشونه اي يخافونه ولا يخشون
احدا الا الله اي لا يخافون قالة الناس ولا يجعلهم فيما
احل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا اي
حافظا لاعمال خلقه وجازيا لهم قوله عز وجل ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة
ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد
بن حارثة والمعنى انه لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة
حتى يثبت بينه وبين ما يثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنساخ فان فلانا قد كان له ابنا القاسم والطيب
والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابني هذا سيد فلت
قد اخرجوا من حكم النفي بقوله له من رجالكم وهو لم يبلغ
مبلغ الرجال وجعل ازواج ابنا الرجال الذين لم يلده ولكن
رسول الله اي ان كل رسول هو ابو امته فيما يرجع الى
امور التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة
لهم عليه وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده
اي ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت

له

له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبي
بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وكان الله بكل شئ
عليما اي دخل في علمه انه لا نبي بعده قال قلت فقد صح ان
عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي قلت
ان عيسى عليه السلام ممن نبي قبله وحين ينزل في آخر
الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا
الى قبلته كانه بعض امته ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل
الانبيا من قبلي كمثل رجل بنا بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع
لبنة من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون
له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا
خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جيئ فختمت الانبيا
ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو به الكفر
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس
بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما ع عن ابي موسى قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا
محمد وانا احمد وانا المقفى وانا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة
المقفى هو المولى الذاهب يعني اخر الزمان المتبع لهم فاذا
فقي فلا نبي بعده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة
الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه
لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا
على عقله وامر به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا

كثيرا بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر
والعلانية وقيل الذكر الكثير لا ينساه ابدا ويجوز معناه اذا
ذكروه ينبغي لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه
عن كل سوء بكرة واصيلا فيه اشارة الى المداومة لان ذكر
الطرفين يفهم منه الوسط ايضا وقيل معناه صلوا له بكرة
صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وقيل معناه سبحوه قولوا سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد
في سبحة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله
كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث
هو الذي يصلي عليكم وملائكته فالصلاة من الله رحمة
ومن الملائكة استغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله
على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه
قال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال
ابو بكر ما خصك يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل
الله هذه الاية ليخرجكم من الظلمات الى النور يعني الله برحمته
وهدايته ودعا الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان
وكان بالمؤمنين رحيما فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى
ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو
عام لجميع المسلمين تحيتهم يعني تحية المؤمنين يوم يلقونه
اي يرون الله يوم القيامة تسلام اي يسلم الرب تعالى عليهم
ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال
تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح
مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت
لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل سلم عليهم

الملئكة

الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم واعد لهم اجرا كريما
يعني الجنة قوله عز وجل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
اي تارسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة
ومبشرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا اي لمن كذب بالنار وداعيا
الى الله اي الى توحيده وطاعته باذنه اي بامره وسراجا
منيرا اسماه سراجا منيرا لانه جلي به ظلمات الشرك واهتدي
به الضالون كما يجلى الظلام بالليل بالسراج المنير وقيل معناه
امد الله بنوره نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور
الابصار وروصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء فان
قلت لم اسماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اتم اضاءة
من السراج وانور قلت نور الشمس لا يمكن ان يوخذ
منه شيء بخلاف نور السراج فانه يوخذ منه انوار كثيرة
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي ما
يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو
الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ولا
تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم قال ابن عباس
اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية
القتال وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن في
الاية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله
تعالى رتب الطلاق حين لو قال لامراة اجنبية اذا نكحتك
فانت طالق او قال لكل امراة انكحها فهي طالق فنكح لا يقع
الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة
وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير

والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار
ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي
ويروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول
ابراهيم النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة ومالك والا
وزاعي ان عين امراة وقع وان عم فلا يقع ويروى
عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا علي ابن مسعود
حان كان قالها قوله مشعالم في الرجل يقول ان تزوجت
فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المومنات ثم
طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما
لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو داود والترمذي
بمعناه ح عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد
النكاح اخرجه البخاري في ترجمة باب تغيير اسناد
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا طلاق قبل النكاح فما لم يملكهن من عده تعتدونها
اي تحصونها بالاقراء او الاشهر اجمع العلماء انه اذا كان
الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى
ان الخلوة توجب العدة والصداق ممنوعهن اي
اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم
يكن سمي لها صداقا فعليها المتعة وان كان قد فرض
لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة
هي الاية منسوخة بقوله فلها نصف ما فرضتم وقيل هذا امر
ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق
المتعة بكل حال لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا

اي

اي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
اي مهورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
اي من السبي فملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت
ماريه مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم وبنات عمك
وبنات عماتك يعني بني قريش وبنات خالك وبنات
خالاتك يعني بني زهرة اللاتي هاجرن معك الى
المدينة فمن لم يهاجر منهن لم يحل له نكاحها عن ام هانئ
بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا
لك ازواجك الاتي قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر
كنت من الطلقاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم
نسخ شرط الهجرة في التحليل وامراة مومنة ان وهبت
نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك
من دون المومنين اي احللنا لك امراة مومنة وهبت
نفسها لك بغير صداق فاما غير المومنة فلا تحل له اذا
وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالملك فذهب
جماعة الى انه لا تحل له لعموله وامراة مومنة فدل
ذلك على انه لا تحل غير المسلمة وكان من خصائص صلى
الله عليه وسلم ان النكاح ينعقد في حقه بلفظ الهبة من غير
ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المومنين
والزيادة على اربع وفي تخيير النساء واختلفوا في
انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب اكثرهم
الى انه لا ينعقد الا بلفظ النكاح والتزويج وهو قول
سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال

ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي واهل الكوفة
ينعقد بلفظ التمليك والهبة وممن قال بالقول الاول
اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى
انه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة
لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب اخرون
الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج كما في حق سائر
الامة لقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها وكان اختصاصه
في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن
فقال ابن عباس ومجاهد لم تكن عند النبي صلى الله عليه
وسلم امرأة وهبت نفسها فلم يكن عنده امرأة الا بعقد
نكاح او ملك يمين وقوله ان وهبت نفسها لي سبيل
الشرط والجزاء وقال اخرون بل كانت عنده موهوبة
واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة
الانصارية ام المساكين وقال الضحاك هي
ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والسدي وقتادة هي
ام شريك بنت حكيم من بني اسد وقال عروة بن الزبير
هي خولة بنت حكيم من بني سليم وقوله تعالى قد علمنا ما
فرضنا عليهم اي اوجبنا على المؤمنين في ازواجهم اي من
الاحكام وهو ان لا ينكحوا اكثر من اربع ولا ينكحوا
الا بولي وشهود وما ملكت ايمانهم اي ما اوجبنا من لا
حكام في ملك اليمين لكيلا تكون عليك حرج وهذا يرجع
الى الاول الاية معناه احللنا لك ازواجك وما ملكت
يمينك والموهوبة لكيلا يكون عليك ضيق وكان الله
غفورا اي للواقع في الحرج رحيما اي بالتوسعة على عباده

قوله

قوله تعالى ترجي اي تؤخر من تشاء منهن وتؤوي اليك
اي تضم من تشاء قيل هذا للقسم بينهن وذلك ان التسوية
بينهن في القسم كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الاية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار
اليه فكان يقسم وقيل نزلت هذه الاية حين عاير بعض امهات
المؤمنين على المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب
بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا فنزلت الاية
فخيرهن فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت
الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على
ان امهات المؤمنين لا ينكحن ابدا وعلى انه يوجي اليه
من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضى به قسم لهن اولم
يقسم او قسم لبعضهن دون بعض او فضل بعضهن في
النفقة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان
ذلك مما خصه الله به ورضي بذلك واختاره على هذا
الشرط واختلفوا في انه هل اخرج احدا منهن عن القسم
فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان صلى الله عليه وسلم
مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة
فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة
وقيل اخرج بعضهن روي عن ابن ابي ذئب قال لما نزل التخيير
اشفقت ان يطلقني فقلت يا نبي الله اجعل لي من مالك
ونفسك ما شئت ودعا علي حائطا فجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن فكان مما
اوى اليه عائشة وحفصة وميمونة وسودة وكان يقسم
بينهن سواء ارجا منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة
وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما شاء وقال ابن

عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا وقال الحسن تترك
النكاح من شئت وتنكح من شئت من شئت امتك قال وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها
حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قبل
من تشاء الموصنات اللاتي يهبن انفسهن فتزوجها
البكر وتترك من تشا فلا تقبلها ق عن عروة قال كانت
خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله
عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة ان تهب نفسها
للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت يا رسول الله ما
اري ربك الا يسارع في هواك ومن ابتغيت ممن عزلت
اي طلبت ان تزوجي اليك امراة ممن عزلتهن عما العنهن
فلا جناح عليك اي لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم
لهن حتى انه ليوخر منهن شيئا منوبة في نوبتها ويطا من شاء
منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن
تفضيلا له على سايرالرجال ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن اي ذلك التخيير الذي هو خير لك في صحبتهن
اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن واقل لحزنهن
اذا علمن ان ذلك من الله تعالى وبرضين بما اتيتهن
اي اعطيتهن كلهن من التقريب في ارجاء وعزل واسوا
والله يعلم ما في قلوبكم اي من امر النساء والميل الى بعضهن
وكان الله عليما اي بما في صدوركم حليما اي عنكم
قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد اي من بعد هولاء
التسع اللاتي اخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن
ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن

وعن

وعن الاسود بن قيس قال لابن عباس واجتمعوا اهل البيح
له النساء بعد ذلك فروي عن عايشة انها قالت ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنساء عنها حتى
احل له ان يتزوج من النساء ما شاء وقال انس مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب
لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج
قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا تحل لك
النساء من بعد قال انما احل له ضربا من النساء فقال تعالى
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا تحل لك
النساء من بعد وقيل معنى الاية لا تحل لك اليهود وجاءت
والاسر ايات بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن من اخرى ح
اي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا يكن امهات
المومنين يهوديه ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك اي
من الكتابيات فتشتري وقيل في قوله ولا ان تبدل
بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون
بازواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امراتك
وانزل لك عن امراتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل
بهن من ازواج اي تبادل بازواجك غيرك بان تطلق
زوجتك وتاخذ زوجته فحرم الله ذلك الا ما ملكت
يمينك اي لا باس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحراير
فلا تبدل بهن احدا منهن يعني ليس لك ان تطلق احدا من
نسايك وتتزوج بدلها اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس
يعني اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب
فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يخطبوا فنهي عن ذلك الا ما ملكت يمينك قال ابن عباس
ملك بعد هذا ما رية وكان الله على كل شئ رقيبا اي حافظا
وفي الاية دليل على ان جواز النظر الى ما يريد نكاحها من
النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان
ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود
عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين
الانصار شيئا قال الحميدي يعني هو الصغر عن المغيرة
بن شعبة قال خطبت امراة فقال لي النبي صلى الله عليه
وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان
يدوم بينكما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يؤذن لكم الاية قال اكثر المفسرين نزلت هذه الاية في شان
وليمة زينب بنت جحش حين بنا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين
مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت ام هاني
تعاطيني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته
عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن
عشرين سنة وكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل
وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا
فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى
الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت

معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت
معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع
النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة
عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم
قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر
وانزل الحجاب زاد في رواية فدخل داخل يعني النبي صلى الله عليه
وسلم البيت وارخى الستر وابى لفظ الحجرة وهو يقول يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى قوله والله لا
يستحي من الحق قد عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح
وكان عمر يرى الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب
نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت
سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي
عشاء وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا
على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية
لقضاء الحاجة من البول والغائط والصعيد وجه الارض والافيح
الواسع وعن انس قال قال عمر ان قال واقعت ربي في ثلاث
وقلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فقلت يا رسول الله يدخل على
نسائك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب
واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال
ابن عباس انما نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه فيصيبون الطعام
قبل ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم نباه بي بهم فنزلت الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يوذن لكم بعني الان تدعوا الي طعام فيأذن
لكم فتأكلونه غير ناظرين اناه اي منتظرين نضجه ووقت
ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم
الطعام فانتشروا اي فارجعوا من منزله ولا تمكثوا ولا مستأنسين
لحديث اي لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث
بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم اي فيستحي من اخراجكم
والله لا يستحي من الحق اي لا يترك تأديبكم اذا لم تمتثلوا
الحق حياء فلما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال تعالى
لا يستحي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي
منكم وهذا ادب ادب الله الثقلا وقيل لحسكي في الثقلا
ان الله لم يحتملهم واذا سألتموهن متاعا اي واذا سألتم
نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة فاسألوهن من وراء
حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر
الى امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم متعتة كانت
او غير متعتة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من الريب
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اي ليس لكم اذاه باي شيء
من الاشياء ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في
رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلانة بنت عائشة قيل هو طلحة بن
عبد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال ان ذلكم كان عند الله
عظيما اي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله
عليه وسلم واجابة حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب
نفسه به وسر قلبه واستوجب شكره فان من الناس من نفر قا

خيرته

عين له علي حرمته حتى تبين لها الموت فيحل لها التكح بعده ان
تبدوا شيأ اي من امر تأخذون علي التكلم او تخفوه اي في
صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما اي يعلم سركم وعلانيتكم
نزلت فيمن اهم بنكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما لنا نمنع من الدخول
على بنات اعمامنا فنزلت هذه الاية وما نزلت اية الحجاب
قال الاباء والابناء والاقارب لرسول الله وبقت ايضا ما
تكلمهن يا رسول الله من وراء حجاب فانزل الله عز وجل
لا جناح عليهن في اباءهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي لا اثم عليهن في ترك الحجاب
عن هؤلاء الاصناف من الاقارب ولا نسائهن قيل اراد بالنساء
المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل هو عام في المسلمات والكتابيات
وانما قال ولا نسائهن لانهن من اجناسهن ولا ما ملكت
ايمانهن اختلفوا في ان عبد المرأة هل يكون محرما لها ام لا
فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن
وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الاية الاماء دون
العبيد واتقين الله اي ان بركت احد غيرهن ان الله
كان على كل شيء اي من اعمال العباد شهيدا قوله عز وجل
ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابن عباس يصلي
الله ان يرحم النبي والملائكة يدعون له ومنه ايضا يصلون
يبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما
اي بحيوه بتحية الاسلام فصل في صفة الصلاة على النبي

يتكلم

صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلماء على وجوب الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو
الاشهر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب
الشافعي واحد بي الى احاديث عن احمد وقيل تجب في كل ما ذكر
واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية والوا
جب اللهم صل على محمد وما زاده سنة ق عن عبد الرحمان بن
ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله
قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
ق عن ابي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد م عن ابي مسعود البدري
قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد
بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك
يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما تعلمتم عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها
عشرا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى

صلاة

صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات او حطت عنه عشر
خطيات ورفعت له عشر درجات اخرجه الترمذي وله عن
ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم
والبشر في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك قال
اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك ان لا يصلي
عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت
عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني
عن امتي السلام عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي
صلاة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي
بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل
الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا
صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي
وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت
على ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه ابو داود قوله عز وجل
ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا قال ابن عباس هم اليهود
والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله وابن
الله مغلولة وقالوا ان الله فقير واما النصارى فقالوا
المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة
بنات الله والاصنام شركاؤه خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم

يكن له ذلك وشتمني ابن ادم ولم يكن له ذلك واما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون
علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا
وانا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم اولد ولم يكن له كفوا
احد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
قال الله عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر
بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه
كان من عادة العرب في الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه
عند النوازل لاعتقادهم ان الفعل يصيبهم من افعال
الدهر فقال الله تعالى انا الدهر انا الذي احل بهم النوازل
وانا فاعل لذلك الذي تنسبونه الى الدهر حتى رعكم وقيل معنى
يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب
التصاوير عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا
كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة وقيل يؤذون الله
اي يؤذون اولياء الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال تعالى
من اهانت وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو ايحاء المذلة
امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما تعارفه الناس
بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى وما ايذاء الرسول
فقال ابن عباس معناه شج وجهه وكسر رباعيته وقيل
ساحر شاعر مجنون والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا اي من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقولون
فيهم ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقيل
انها نزلت في علي ابن ابي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت

في شان

في شان عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يعشون في طرق
المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لغضا حوائجهن فيتبعون
المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا لقنها ولم يكونوا
يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان كل
كان في زي واحد لخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن
فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية ثم نهى الحرائر
ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين اي يرخين ويغطين عليهن
من جلابيبهن جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المراة
فوق الدرع والخمار وقيل هو المقنعة وكل ما يستتر به من
كساء ونحوه قال ابن عباس امر نساء المؤمنين اذا خرجن في حاجة
ورجون بالجلابيب الاعين واحدة ليعلم انهن حرائر وهو
قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي لا يتعرض
لهن وكان الله غفورا رحيما اي لما سلف منهن قال انس مرت
بي بنات الخطاب جاريتي متقنعة فعلاه بالدرة وقال يا كلاع لم
تتشبهي بالحرائر اي القناع لصاع حملة تتقال لمن يستخف به
مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل توكل يا حسيس
وقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون اي عن نفاقهم والذين في
قلوبهم مرض اي فجور وهو الزنا والمرجفون في المدينة اي بالكذب
وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوجعون في الناس انهم قد قتلوا ويقولون قد اتاكم
العير وخبر هذا من الامر مخيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا وتفشو الاخبار لتفريق نبي الله اي لنحرشنك بهم
ولنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتجلي منهم المدينة ثم لا يجاورونك

فيها الا قليلا اي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا اي حتى يخرجوا
منها وقيل لتسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة
ملعونين اي مطرودين اينما ثقفوا اي وجدوا واد ركوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم على هذا الامر به سنة
الله اي كسنة الله في الذين خلوا من قبل اي المنافقين
والذين في قلوبهم مرض فعل هؤلاء ان يقتلوا حيث ما ثقفوا
ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله تعالى يسألك الناس عن
الساعة قيل ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء
وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى
عليهم علما وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يجيبهم بقوله قل انما علمها عند الله يعني
ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما
يدريك اي شيء يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها لعل
الساعة تكون قريبا اي انها قريبة الوقوع وفيه تهديد
للمستعجلين واستعداد للمستحبين ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا
يوم تقلب وجوههم في النار اي تتقلب ظهرا لبطن
حتى يسحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول اي في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا
يعني رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم فاضلونا
السبيل يعني عن سبيل الهدى ربنا آتهم يعني السادة والكبراء
ضعفين من العذاب يعني ضعفي عذاب غيرهم والعنهم
لعنا كثيرا اي لعنا متتابعا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا اي

فطهره

فطهره الله مما قالوا فيه وكان عند الله وجيها اي كريما
وجاها وقد قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل
شيئا الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وكان مجابا مقبولا
واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون
عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام
يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا
الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر
ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى بأثره يقول ثوبي حجر
حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله
ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر النبي قال فاخذ
ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر
لندبا ستة او سبعة مضارب موسى بالحجر اخرجه البخاري
ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء
استحياء منه فاذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر
هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما افة
وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا فخلا يوما وحده فوضع
ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها
وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل
فراوه عريانا احسن ما خلق الله وابرأه مما يقولون
وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه
فوالله ان بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او
خمسا فذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين

اذ وامر موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الاذرة
بالضم عظم الخصية لنتوء فيها وقوله فجمح ابى اسرع وقوله
ثوبي حجرى دع ثوبي ياحجر قوله وطفق اى جعل يضرب الحجر
وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح واصله
اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد شبه به الضرب بالحجر
والمحدثون يقولونه ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الاية
اذاهم اياه انه لما مات هارون جاء الى موسى ادعوا على موسى
انه قتله فامر الله الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل
فعرفوا انه لم يقتله فبراه مما قالوا وقيل ان قارون استاجر
بغيا لتقذف موسى بنفسها على راس الملا فعصمه الله وبرا
موسى من ذلك فاهلكه فاروى في عن عبد الله بن مسعود
قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل
واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى اناسا من اشراف
العرب واثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة
ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فاخبرته بما قال فتغير
وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله
ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر
الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس
صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله يصلح
لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن
يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اي ظفر بالخير العظيم قوله
عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية

قال

قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرايض التي فرضها الله على
عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا ادوها
اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء
الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودايع وقيل
جميع ما امر به ونهى عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى
من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من
الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعكها الله فالفرج امانة والاذن
امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة
له وفي رواية عن ابن عمر هي امانات الناس والوفا بالعهود فحق على كل
مومن ان لا يخش مونا ولا معاهدا ولا شيئا في قليل ولا كثير فعرض
الله تعالى هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا
قول جماعة من التابعين واكثر السلف فقال لهن اتحملن هذه الامانة
باعيانها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن
قلن لا يا رب لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك
خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا
مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم
يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره
ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم
حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن
وقيل المراد من العرض عرض الامانة على السموات والارض هو العرض على
اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول
العلما فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا
يوفين بها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعني ادم قال
الله عز وجل لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبا

ل

فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان
احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم فقال بين اذني م
وعاتقي قال الله اما اذا تحملت فساعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا
خشيت ان تنظر الي ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل لسانك عقالا فا
فاذا خشيت فاعقل واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه علي ما حرمت
عليك قال مجاهد فما كان بين ان يحملها وبين اخرج من الجنة الا مقدار
ما بين الظهر والعصر وقيل انما كلف الانسان حمل ما بلغ من عظمه ص
وثقل محمله انه عرض علي اعظم ما خلق الله تعالي من الاجرام واقواه
واشده ان يحمله ويستقل به فابي حمله واشفق منه وحملها الانسان
علي ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس انه كان
ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما
حين عصي ربه جهولا اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل
ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يعرف بها وضمنها ولم يوف به
بضمانها وقيل في تفسير الاية اقوال اخر هوان الله تعالي ايتمن السموات
والارض والجبال علي كل شي وايتمن ادم واولاده علي شي فالامانة
في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقت له وقوله فابين
ان يحملنها اي ابين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة في حق بني
ادم هو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرايض وقوله وحملها الانسان
اي خان فيها وعلي هذا القول علي عن الحسن انه قال الانسان
هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو
قول السلف وهو الاولي فصل في الامانة ق عن حذيفة بن
اليمان قال حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حديثين قد رايت
احدهما وانا منتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب
الرجال ثم نزل القران فعلموا من القران وعلموا من السنة ثم
قال حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة

من

228

من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض م
الامانة من قلبه فتراه منتبرا وليس فيه شي فينا يبعون فلا يكاد
احد يودي الامانة حتي يقال ان في بني فلان رجلا امينا حتي
يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة
خردل من ايمان ولقد اتي علي زمان وما ابالي ايكم بايعت لئن كان
مسلما ليردنه علي دينه وان كان نصرانيا او يهوديا ليردنه علي ساعيه
واما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا فقوله نزلت
في جذر قلوب الرجال جذر الشي اصله والوكت الاثر اليسير
كالنقطة في الشي من غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل
وقيل انما هي النقطات من الجلد وقد ينسره الحديث والمنتبر
المنتفخ وليس فيه شي ح عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلي
الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء اعرابي فقال متي الساعة
فمضي رسول الله صلي الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم
سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتي قضي حديثه
فقال اين السايل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا
ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله
قال اذا وسد الامر الي غير اهله فانتظر الساعة وعنه قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ادا الامانة الي من ايتمنك ولا تخن
من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله تعالي ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
اي بما خانوا الامانة وتقضوا الامانة ويتوب الله علي المومنين والمومنات
اي يعهد بهم ويرجعهم بما ادوا الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر
نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم ويظهر ايمان المومن فيتوب
عليه اي يعود عليه بالمغفرة والرحمة ان حصل منه تقصير في بعض
الطاعات وكان الله غفورا رحيما والله اعلم بمراده واسرار كتابه

حشر
العهد

تفسير سورة سبا

وهي مكية وهي اربع وخمسون اية وثماني مائة وثلاثة وثلاثون
كلمة والف وخمسمائة واثنى عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض معناه ان
كل نعمة فمن الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال
الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض اي
ملكا وخلقا وله الحمد في الاخرة اي كما هو له في الدنيا لان النعم
كلها منه فلما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الاخرة
وقيل الحمد في الاخرة هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح
والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم اي الذي احكم امور الدارين
الخبير اي بكل ما كان وما يكون يعلم ما يلج في الارض اي من المطر
والكنوز والاموات وما يخرج منها اي من النبات والشجر والموت
والمعادن والاموات اذا بعثوا وما ينزل من السماء اي من المطر والثلج
والبرد وانواع البركات والملائكة وما يعرج فيها اي في السماء من
الملائكة واعمال العباد وهو الرحيم الغفور اي للمعترفين في ادائهما يجب
عليهم من شكر نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة
معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطأوا ما وعدوه من قيام
الساعة على سبيل اللهو والسخرية قل بلى وربي لتاتينكم يعني
الساعة عالم الغيب اي لا يفوت علمه شيء من الخفيات واذا كان
كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها اتية لا يغرب عنه
لا يعزب مثقال ذرة اي وزن ذرة في السموات ولا في الارض ولا
اصغر من ذلك اي من الذرة ولا اكبر الا في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة اي لذنوبهم
ورزق كريم اي الجنة والذين سعوا في اياتنا معجزين اي في
ابطال اداتنا اي يحسبون انهم يفوتوننا معجزين اولئك لهم عذاب

من

من رجز اليم قيل الرجز اسوء من العذاب ويرى الذين اوتوا العلم
يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي انزل اليك من ربك يعني
القران هو الحق يعني ان من عند الله ويهدي يعني القران الى
صراط العزيز الحميد اي الى دين الاسلام وقال الذين كفروا
يعني المنكرين للبعث المتعجبين منه هل ندلكم اي قال بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل بينكم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه
يحدثكم بامر عجوبة من الاعاجيب وهي انكم اذا متم وكنتم كلا ممزق اي
فطمتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد
اي يقول انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا
وترابا افترى على الله كذبا اي هو مفتر على الله كذبا فيما ينسب
اليه من ذلك ام به جنة اي جنون بوهمه ذلك ويلقيه على لسانه
قال الله تعالى رد اعليهم ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء
وهو مبرا منهما بل الذين لا يومنون بالاخرة يعني منكري البعث
في العذاب والضلال البعيد اي من الحق في الدنيا افلم يروا الى
ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اي فيعلموا انهم حيث
كانوا فان ارضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا
قادر عليهم ان نشا نخسف بهم الارض اي كما خسفنا بقارون
او نسقط عليهم كسفا من السماء كما فعلنا باصحاب الايكة ان
في ذلك لاية اي فيما نرون من السماء والارض لاية اي تدل على
قدرتنا على البعث بعد الموت لكل عبد منيب اي تائب راجع الى
الله تعالى بقلبه قوله عز وجل ولقد اتينا داود منا فضلا يعني النبوة
والكتاب وقيل الملك وقيل غير ذلك هو جميع ما اوتي من حسن
الصوت وغير ذلك مما خصه الله به يا جبال اوبي معه اي رجعي
يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل ارجعي معه اذا رجع وتوحي معه

اذا ناح والطير اي وامرنا الطيران تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح او النياحة اجابته الجبال بصداها وعلمت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا الحقه ملل او فتور اسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له والنا له الحديد بيفي كان الحديد في يده كالشمع او كالعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرايل كان من عبادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا راى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وساله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة ادمي فلما راه داود قصد مراعاة عبادته وساله فقال له الملك نعم الرجل هو لو لا خصلة فيه فراع داود عليه السلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه ياكل ويطعم من بيت المال قال فتنبه لذلك وساله الله تعالى ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدرع وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفايح ويقال انه كان يبيع كل درع باربعة الاف فياكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقرا والمساكين وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود لا ياكل الا من عمل يده

اعمل سابغات اي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا وقدر في السرد اي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير رقاقا فيغلق ولا ثخينة ولا غلاظا فتكسر الحلق وقدر في السرد اي اجعله على القصد وقدر الحاجة واعملوا صالحا بما يريد داود واله الى ما تقولون بصير قوله تعالى ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر

معناه

معناه مسير غدوة تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ويسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان بغداد وامنشق فتميل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر فلراكب المسرع وقيل انه كان يتغذى بالري ويتعشى بسمرقند واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس له قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن كجري الماء وكان بارض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وامر بطاعته فمنهم بامرهم به ومن يزغ اي يعدل منهم اي من الجن عن امرنا اي الذي امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير قيل هذا في الاخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله وكل لهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داود ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه لم افض ذلك على يدك ولكن ابن لك ابنا املكه بعدك اسمه سليمان افتي اتمامه على يديه فلما توفي داود واستخلف سليمان احب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة بعمل فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنه وامر ببنا المدينة بالرخام والصفايح وجعلها اثني عشر ميلا وانزل كل ميل منها سبطا فلما فرغ من بنا المدينة ابتدا في بنا المسجد

فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها
ومن يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من اماكنها
ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنه فاوتي من
ذلك بشيء كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بحت
تلك الاحجار وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت
واللالي فبنا المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده
بالسماطين البلور الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة ونضد
سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وسائر الجواهر وبسط ارضه
بالواح الغبر وزج فلم يكن على وجه الارض يومئذ بيت ابهى ولا انور
من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ
منه جمع اليه احبار بني اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان
كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روي عبد الله
بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
سليمان ابن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا
يصادف حكمة فاوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من
بعده فاوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بنا المسجد
لا يأتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم
ولدته امه اخرجه النسائي ولغير النسائي سأل ربه ثلاثا فاعطاه
اثنين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحوه وقوله لا ينهزه
اي لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه
سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدم المسجد
واخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر انواع الجواهر وحمله
الى دار ملكه بالعراق وبنا الشياطين لسليمان باليمن قصورا
وحصونا عجيبة من الصخر قوله تعالى وتماثيل اي ويعملون
له تماثيل اي صورا من نحاس وزجاج وقيل كانوا يصورون

صور

صور السباع والطيور وغيره وقيل كانوا يصورون صور
الملائكة والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا
عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا
مما يجوز ان يختلف فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة في
العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوه مما يقبح في كل الشرايع قيل
عملوا له اسدا بين يحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظلته النسران باجنحتهما
وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات مرتبة
بسريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه وجفان اي
كالحياض التي يجبى فيها الماء اي يجتمع فيها
الماء قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها
وقدور راسيات اي ثابتات قيل كان اثافيها منها ما لا يتحرك ولا
ينزلت عن اماكنها لعظمها ولا يطلن وكان يصعد اليها بالسلالم
وكانت باليمن اعملوا ال داود شكرا اي وقلنا يا ال داود اعملوا
بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من ال داود نفسه
وقيل ال داود سليمان واهل بيته قال ثابت البناني كان
داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار
على اهله فلم تكن تاتي ساعة من ليل او نهار الا وانسان
من ال داود قائم يصلي وقليل من عبادي الشكور اي قليل
العامل بطاعتي شكرا لنعمي قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت
اي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في
بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل
من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله في
المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا
وقد نبت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك

فتقول كذا وكذا فيقول لاي شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فبينما هي كذلك
تتقطع فان كانت لعرس امرها فعرست وان كانت لد واكتنب
ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت فقالت انا الخروبة قال
ولاي شيء خلقت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان
الله ليخربه وانا حي ائت التي علي وجهل هلاكي وخراب بيت المقدس
ثم نزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم اعم الجن عن موتي
حتى يعلموا الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن معلمة له
تختبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيا ويعلمون ما في غد ثم
دخل المحراب يصلي علي عادته متكيا علي عصاه فمات قائما وكان
للمحراب كوي من بين يديه ومن خلفه فكانت الجن يعملون تلك
الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها علي حياة سليمان وينظرون
اليه ويحسبون انه حي ولا يتكرون احتباسه عن الخروج الي
الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يعملون بعد
موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصي سليمان فخر ميتا فعلموا
بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء
والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى ما دلهم علي موته
الا دابة الارض يعني الارضة تاكل منسأته قال البخاري يعني عصاه
فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين معناه علمت الجن وابينت انهم لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في النقب والشقا مسخرين لسليمان
وهو ميت ويظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك ان يعلم الجن
انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل
في معنى الاية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون
الغيب لانهم قد شبهوا عليهم الانس ذلك ذكر اهل التاريخ ان
سليمان ملك وهو ابن ثلاثة عشر سنة وبقي في اربعين سنة

وشرع

وشرع في بنا بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل لقد كان لسبا في
مساكنهم اية عن فروة بن مسيك المرادي قال قلت يا نبي الله
الله قال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض
ولا امراة ولكنه رجل وله عشرة من العرب تيامن منهم ستة
وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعامله
واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانما
قيل رجل يا رسول الله وما انما رقال الذين منهم خثعم وبجيله
اخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبا
هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مساكنهم اي بمارب
من ارض اليمن اية اي دلالة علي وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر
الاية فقال تعالى جنتان اي هما بستانان عن يمين وشمال
اي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من اتاهما وشماله قيل
كان لهم واد قد احاطت به الجنتان كلوا اي قيل لهم كلوا من
رزق ربكم اي من ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها علي
راسها وتمر بالجنتين فتمتلي المكتل من انواع الفواكه من غير ان
تمس بيدها شيا واشكروا له اي علي ما رزقكم من النعمة واعملوا
بطاعته بلدة طيبة اي بارض مارب وهي سبا بلدة طيبة
فسيحة ليست بسبخة ولا يكن ببرية في بلدتهم بعوضة ولا ذباب
ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه
القمل فيموت القمل من طيب الهوا ورب غفور اي وربكم ان شكرتم
علي ما رزقكم رب غفور لمن شكره قوله تعالى فاعرضوا قال وهب
ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الي الله وذكروهم نعمه
عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا
نعمة تمنوا علينا ربكم فليحبس هذه النعمة علينا ان استطاع فذلك

اعراضهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي الذي لايطاق قيل كان
ما الحمار ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء والعرم قيل كان الذي
يحبس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما
كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء اذا لم
فلعرف بوادبهم فسدبالصخر والقار بين الجبلين وجعلت له
ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه برکة ضخمة وجعلت
فيها اثني عشر مجرى جاعلي عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا
الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع اليهم
ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى
ففتح فجري ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من
الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا يتعذر الماء حتى يثوب الماء من السنة
المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا
وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله
فعرف جناتهم واخرب ارضهم وقال وهب فلما بعث عمرو وحدث
في علمهم ان يخرب سدهم فارة فلم يتركوا ثم حجر بين حجر ان لا
يربطوا عندها هرة فلما جاز زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التفرق
اقبلت فيما يذكرون فارة هم الكبيرة الى هرة من تلك الهرار
فصاورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في العرجة التي
كانت عندها فتعلقلت في السد وحفرته حتى وهنته للسيل
وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا قد دخل فيه حتى قلع
السد وفاض الماء على اموالهم فعرفها ودفن بيوتهم الرمل
فعرفوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون
ذهب ايدي سبا وتفرقوا ايدي سبا وذلك قوله تعالى فارسلنا
عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط
قيل هو شجر الاراك وتمر السدر وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة

حتى

حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجرة يقال لها فسو الضبع
على صورة الخشخاش ينفرك ولا ينتفع به واثل قيل هو الطرفا
وقيل شجرة يشبه الطرفا الا انه اعظم منه وشيء من سدر قليل
هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن
السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء
قيل كان شجر المؤمن من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر
باعمالهم وهو قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا
الكفور اي هل يكافي بعمله الا الكفور لله في نعمته قبل المؤمن به
يجزي ولا يجازي يجزي حسناته ولا يجازي بسيئاته وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها اي بالماء والشجر وهي قرى الشام قرى
ظاهرة اي متواصلة يظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل
كان منزلهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون
باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت
قراهم اربعة آلاف وسبعماية قرية متصلة من سبا الى الشام
وقدرنا فيها السير اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان
سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا سار واصف
يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن والشام
كذلك سيروا اي وقلنا لهم سيروا فيها ليالي واياما اي في اي
وقت شئتم امنين اي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا
النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا
لو كان بين اسفارنا اي بين قرانا التي نسافر اليها بعد مما هي كان اجدر ان يشتهى وطلبوا
الكد والتعب في الاسفار ربنا بعد بين اسفارنا وقرئ باعداد اي
اجعل بيننا وبين الشام مفاوز قفوات نركب فيها الرواحل ونتزود
الازواد ففعل ذلك فجعل الله لهم الاجابة وظلموا انفسهم اي
بالبطر والطغيان فجعلناهم احاديث اي عبرة لمن بعدهم يتحدثون

باموهم وضنائنهم ومزقناهم كل ممزق اي مزقناهم في كل وجه
من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد
فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة
ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة
عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق ال خزيمة بالعراق
ان في ذلك لايات اي لعبرة ودلالات لكل صبار على المعاصي
اي لله على نعمه وقيل هو المومن صبور على البلا شكور للنعما
وقيل المومن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قوله عز وجل ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه قيل علي اهل سبا وقيل علي الناس
كلهم فاتبعوه الا فريقا من المومنين قال ابن عباس يعني به
المومنين كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل الدين وقيل هو خاص
في المومنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان
ابليس لما سال النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم
ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة انما قاله فيهم رجما
قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال
الحسن انه لم يكن بسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم
ومناهم فاغتروا وما كان له عليهم من سلطان اي ما كان
تسليطا اياه عليهم الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها
في شك اي كتركي وتميزي المومن من الكافر واراد علم الوقوع
والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب وربك على
كل شي حفيظ اي رقيب وقيل حفيظ بمعني حافظ قوله تعالي
قل اي قل يا محمد لكفار مكة ادعوا الذين زعمتم انهم الهة
من دون الله والمعني ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في
سني الجوع ثم وصف عجز الالهة فقال لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض يعني من خير وشر ونفع وضر

ومالهم اي للالهة فيهما اي في السموات والارض من شرك
اي شركة ومالله اي لله منهم اي الالهة من ظهير اي عون
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اي اذن الله له في الشفاعة
قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هولا شفعاونا عند الله وقيل لا
يجوز ان يكون المعني الا لمن اذن الله له في ان يشفع له حتى
اذا فزع عن قلوبهم معناه كشف الفزع واخرج عن قلوبهم
قيل هم الملايكة وسبب ذلك من خشية تصيبهم عند سماع
كلام الله ح عن ابي هريرة ان نبي الله صلي الله عليه وسلم قال
اذا قضي الله الامر في السما ضربت الملايكة باجنحتها فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا اي الذي قال الحق وهو
العلي الكبير وللترمذي اذا قضي الله في السما امرا ضربت
الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة علي صفوان
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو
المنقاد والمطيع الصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود قال
اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السما صلصلة كجر السلسلة علي الصفا
فيصعقون فلا يزالون كذلك حتي ياتيهم جبريل فاذا فزع
عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم فيقول الحق فيقولو
الحق الحق اخرجه ابو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة
بعضها علي بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة
قيل كانت الفترة بين عيسي ومحمد عليهما السلام خمسمايه سنة
اوستمايه لم تسمع الملايكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلي الله
عليه وسلم امر جبريل بالرسالة الي محمد صلي الله عليه وسلم فلما
سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلي الله عليه وسلم
عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا فلما سمعوا خروا

من قيام الساعة قال انحدر جبريل جدل يميز اهل كل سما فيكشف
عنهم فيرفعون رؤسهم وينظر بعضهم لبعض ماذا قال ربكم
قالوا قال الحق اي بني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوف بذلك
هو المشركون وذلك اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول
الموت قال الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا اقامة الحجة عليهم
قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير اي
ذو العلو والكبريا قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض
يعني المطر والنبات قل الله يعني ان لم يقولوا ارزقنا هو الله فقل
انت ان ارزقكم هو الله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
معناه ما نحن وانتم على امر واحد بل احد الفريقين مهتد والاخر
ضال وهذا ليس هو على طريق الشك بل على جهة الالزام له
والانصاف في الحجاج كما يقول القائل احدنا كاذب وهو يعلم انه
صادق وصاحبه كاذب والنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه
على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير ان يصرح
بالتكذيب ومنه بيت حسان

انهجوه ولست له بكفو ... فشركما لخيركما الفداء

وقيل او بمعنى الواو ومعنى الاية انا لعلى هدى وانكم لفي
ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا اي لا تؤاخذون به ولا
نسئل عما تعملون اي من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام
الصغاير والزلات التي لا يخلوا منها مومن وبالعمل الكفر والمعاصي
العظام قل يجمع بيننا ربنا يعني يوم القيامة ثم يفتح اي يقضي
ويحكم بيننا بالحق اي بالعدل وهو الفتاح اي القاضي العليم
اي بما يقضي قل ارونيَ اي اعلموني الذين الحقتم به اي
بالله شركاء اي الاصنام معه في العبادة هل تخلقون او يرزقون
واراد بذلك ان بربهم الخطا العظيم في الحاق الشركاء بالله كلا

كلمة

كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا
يرزقون بل هو الله العزيز اي الغالب على امره الحكيم اي في
تدبير خلقه فلا يكون له شريك في ملكه قوله عز وجل وما ارسلناك
الا كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربيهم
وعجميهم وقيل ارساله عامة لهم لانها اذا استملتهم فقد كفتهم ان
يخرج منها احد ف عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم
تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه
خاصة وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضايل التي
خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون ساير الانبياء وان هذه
الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء ونبه اختصاصه
بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث
الى قومه او الى اهل بلده فعمت رسالة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون ساير الانبيا
وقيل في معنى كافة اي كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون
الهاء للمبالغة بشيرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين يعني يوم القيمة قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون معناه لا يتقدمون على يوم القيمة
وقيل عن يوم الموت ولا تتاخرون عنه بان يزيد في اجالكم او
ينقص منه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا
بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل والزبور ولو ترى
اي يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم

وعمله

تقربكم عندنا زلفى اي بالتي تقربكم عندنا تقريبا الا اي لكن
من امن وعمل صالحا قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله تقربه مني
فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يضعف الله لهم حسناتهم
فيجزي بالحسنة الواحدة عشر الى سبعمائة وهم في الغرفات
امنون والذين يسعون في اياتنا اي يعملون في ابطال حجتنا
معجزين اي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتونا اولئك
في العذاب محضرون قوله عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اي
يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه
لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد
واما الثواب في الاخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما انصدقتم
من صدقة او انفقتم في الخير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد
من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليتصدق فان الرزق
مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه
فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يبتلى بذلك
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الاخرة ومعنى الاية
ما كان من خلف فهو منه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك
ولمسلم يا ابن ادم انفق انفق عليك ق عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان
يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا والاخر يقول اللهم اعط
ممسكا تلفا م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما
تواضع احد لله الا رفعه الله وهو خير الرازقين اي خير من
يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده

الى بعض القول معناه ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجادبون
اطراف المحاورة ويتراجعون بينهم لرايت العجب يقول الذين
استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة الاشراف
لولا انتم لكنا مومنين اي انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله
قال الذين استكبروا اي اجابوا المتبوعين في الكفر للذين
استضعفوا انحن صددناكم اي منعناكم عن الهدى اي عن
الايمان بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي بترككم الايمان وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اي
مكركم لنا في الليل والنهار وهو طول السلامة وطول الامل
فيهما اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي هو قولكم
القادة للاتباع ان دينا حق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تبيين
لكفرهم اذ تضيرطاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم
في الاخرة واسروا الندامة اي اظهروها وقيل اخفوها وهو
من الاضداد لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اي في النار الاتباع والمتبوعين هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اي من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها اي رؤساؤها واغنياؤها انا بما
ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين
امنوا نحن اكثر اموالا واولادا يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن
عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن
بمعذبين اي ان الله قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا
يعذبنا في الاخرة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يعني ان الله تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل
البسط على رضى الله تعالى ولا التضييق على سخطه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون اي انهم لذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتي

او سيد يرزق برزق مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله
اجراه الله على ايدي من يشاء وهو الرازق الحقيقي الذي لا رازق
سواه قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني الكفار ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اي في الدنيا وهذا استفهام تقرير وتقريع
للكفار فتبرا منهم الملايكة من ذلك وهو قوله تعالى قالوا سبحانك اي
تنزيها لك انت ولينا من دونهم اي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا
باثبات موالات اسو معادات الكفار براتهم من الرضي بعبادتهم
لهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون يعني الشياطين
فان قلت قد عبدوا الملايكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون
الجن قلت اراد ان الشياطين زينوا عبادة الملايكة فاطاعوهم
في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا
لهم صورا وقالوا هذه صور الملايكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون
في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مومنون
اي مصدقون قول الشياطين قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض اي شفاعة ولا ضرا اي بالعذاب يريد انهم عاجزون لا
لا ينفع عندهم ولا ضر ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم ايانتنا بينات قالوا ما هذا
الا رجل يريد محمد اصلي الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد
اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما اتيناهم يعني
هؤلاء المشركين من كتب يدرسونها اي يقرؤنها وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير اي لم ياتي العرب قبلك نبي ولا انزل عليهم
كتاب وكذب الذين من قبلهم اي من الامم السالفة رسلا وما
بلغوا يعني هؤلاء المشركين معشار اي ما اتينا هم اي اعطينا الامم
الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار فكذبوا رسلي فكيف كان

نكير

نكيري اي انكاري عليهم يحذر ربذلك كفار هذه الامة عذاب الامم
الماضية قوله عز وجل قل انما اعظكم اي امركم واوصيكم بواحدة
اي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى ان تقوموا لله
لاجل الله مثنى اي اثنين اثنين وفرادى اي واحدا واحدا ثم تتفكروا
اي يجتمعوا جميعا فتنظرون وتحاورون وتتفكرون في حال محمد
صلي الله عليه وسلم فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ومعنى الاية
انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وخلصتم وهي ان
تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب
في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا
في امر محمد صلي الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران به
ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه نظر
متصاد قين منتاصفين لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر
في نفسه ايضا بعدل ونصفة هل رايتما في هذا الرجل جنونا قط
او جربتما عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلي الله عليه وسلم
ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واحدهم
ذهنا واثبتهم رايا واصدقهم قولا واركاهم نفسا واجمعهم لما يحمد
عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه باية
واذا جاءها تبين انه نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل ثم الكلام عند
قوله ثم تتفكروا اي في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد
لا شريك له ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم
بين يدي عذاب شديد قل ما سالتكم على تبليغ الرسالة من اجر
اي جعل فهو لكم اي لم اسالكم شيئا ان اجري اي ثوابي الا على الله
وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اي يامر بالوحي
من السماء فيقذفه الى الانبياء علام الغيوب اي خفيات الامور قل
جاء الحق اي القران والاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد اي

ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدي شيئا او يعيده ـ
وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس احدا ابتدا ولا يعيده
اذا مات وقيل الباطل الاصنام قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين
ابايك فقال الله تعالى قل ان ضللت فبما تزعمون انتم فانما اضل
على نفسي اي انتم ضلالتي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي
الي ربي اي من القرآن والحكمة انه سميع قريب قوله عز وجل
ولو ترى يا محمد اذ فزعوا اي عند البعث اي حين يخرجون من قبورهم
وقيل عند الموت فلا فوت اي لا يفوتونا ولا نجاة لهم واخذوا
من مكان قريب قيل من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن
الارض الى ظهرها وحيث ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه
ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو
القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الاية ولو ترى
اذ فزعوا لرايت امرا يعتبر به وقالوا امنا به اي حين عاينوا ـ
العذاب قيل هو عند الياس وقيل هو البعث وانا لهم التناوش
اي التناول والمعنى لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة
وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسالون
الرد الى الدنيا فيقال وانا لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد
اي من الاخرة الى الدنيا وقد كفروا به من قبل اي بالقرآن
وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب
واهوال القيامة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قيل هو
الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم
ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون
من حيث لا يبصرون وهو قولهم انه ساحر شاعر كاهن لا علم
لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا

نار

نار وحيل بينهم وبين ما يشتهون يعني الايمان والتوبة والرجوع
الى الدنيا وفيهما وزهرتهما كما فعل باشياعهم اي بنظرائهم ومن
كان على مثل حالهم من الكفار من قبل اي لم يقبل منهم التوبة
والايمان في وقت الياس انهم كانوا في شك اي من البعث ونزول
العذاب بهم مريب اي موقع الريبة والتهمة والله اعلم بمراده ـ

تفسير سورة فاطر وتسمى لها سورة الملائكة

وهي مكية وهي خمس واربعون اية وتسعماية وسبعون كلمة
وثلاثة الاف ومايتان وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقها ـ
ومبتدعها على غير مثال سبق جاعل الملائكة اي الى الانبياء
اولي اجنحة اي ذوي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي بعضهم له
جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة يزيد في
الخلق ما يشا اي يزيد في خلق الاجنحة ما يشا قال عبد الله بن
مسعود في قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل
في صورة له ستمائة جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشا
قيل هو حسن الصوت وقيل هو حسن الخلق وتمامة الخلق وقيل
هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز ان الله على كل
شي قدير اي مما يريد ان يخلقه قوله تعالى ما يفتح الله للناس
من رحمة قيل هو المطر وقيل من خير ورزق فلا ممسك لها
اي لا يستطيع احد على حبسها وما يمسك فلا مرسل له من
بعده اي لا يقدر احد على فتح ما امسك وهو العزيز اي فيما
امسك الحكيم اي فيما ارسل م عن المغيرة بن شعبة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان يقول في دبر كل صلاة لا اله
الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك

منك الجد والجد الغنى والبخت لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه
لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله
عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم قيل الخطاب لاهل
مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم
هل من خالق غير الله اي لا خالق الا الله وهو الاستفهام تقرير
وتوبيخ يرزقكم من السما بعني المطر والارض اي النبات لا اله الا
هو فاني تؤفكون اي من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد
الله وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم والى الله ترجع الامور اب فيحارب المكذب من الكفار
بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق يعني وعده
يوم القيمة فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي لا تخدعنكم بلذاتها وما
فيها من عمل الاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
اي لا يقبل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة الغرور
العرور من هو فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
اي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي
انما يدعو حزبه اي اشياعه واولياؤه ليكونوا من اصحاب
السعير ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى الذين
كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة واجر كبير قوله تعالى افمن زين له سوء عمله قال ابن عباس
نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهوا
والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دما المسلمين وليس
اصحاب الكباير من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون
تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين لهم اي شبه له ومنه
عليه قبيح عمله فراه حسنا وفي الاية حذف مجازه افمن زين له

سوء

سوء عمله فراي الباطل حقا لكن هداه الله فراي الحق حقا والبا-
طلا فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا وقيل مجاز الاية
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرا
والحسرت شدة الحزن علي ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وجهلهم
وضلالهم ان لم يؤمنوا ان الله عليم بما يصنعون نبه وعيد -
بالعقاب علي سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
اي يزعجه من مكانه وقيل يجمعه ويجيء به فسقناه اي فنسوقه
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور اي مثل
احيا الموات ننشر الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن
ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى
وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا
ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله -
الموتى وتلك اياته في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة
قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا
وقيل معناه من كان يريد العزة اي يعلم لمن العزة فليتعزز
بطاعة الله وهو دعا الى طاعة من له العزة اي فليطلب العزة
من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا
بها التعزز فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله واوليا المؤمنين
اليه اي الى الله يصعد الكلم الطيب قيل هو قول لا اله الا الله
وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى
البغوي باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا اتيناكم
بتصديقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس
كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك
الله الا اخذ من ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر
بهن على جمع من الملايكة الا استغفروا القايلهن حتى يجي بها-

وجه الله رب العالمين ومصداقه من كتاب الله تعالى قوله اليه
يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف علي ابن مسعود وفي اسناده
الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل
معني اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن
عباس اي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر
الله والعمل الصالح اداء الفرايض ممن ذكر الله ولم يرد فرايضه رد
كلامه علي عمله وليس الايمان بالتمني وليس بالتحلي ولكن ما وقر
في القلوب وصدقه الاعمال ممن قال حسنا وعمل صالحا رد الله
عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه ذلك العمل بان الله
يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث
لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقيل الهاء في
يرفعه راجعة الي العمل الصالح اي الكلام الطيب يرفع العمل
الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن توحيد وقيل
معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص
وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال
والذين يمكرون السيات اي يعملون السيات اي الشرك وقيل
يعني الذين مكروا برسول الله صلي الله عليه وسلم في دار
الندوة وقيل هم اصحاب الريا لهم عذاب شديد ومكر
اولئك هو يبور اي يبطل ويهلك في الاخرة قوله عز وجل
والله خلقكم من تراب يعني ادم ثم من نطفة يعني ذريته ثم
جعلكم ازواجا يعني اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم
ببعض وما تحمل من انثي ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر اي
لا يطيل عمر احد ولا ينقص من عمره اي عمر احد قيل ينصرف
الي الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان
كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يوما

يوما ذهب ثلاثة ايام حتي ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول
عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضر عمر الوفاة
والله لو دعا عمر ربه ان يؤخر اجله لاخر فقيل له ان تعالي يقول فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك
فيجوز ان يزاد ذلك وقرا هذه الاية الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ
ان ذلك علي الله يسير اي في كتاب الاحال والاعمال علي الله هين
قوله تعالي وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم وصفهما فقال
هذا عذب فرات اي طيب يكسر العطش سايغ شرابه اي سهل في
الحلق هين مرتي وهذا ملح اجاج اي شديد الملوحة يحرق الحلق
بملوحته وقيل هو المر ومن كل تاكلون يعني من البحرين تاكلون
لحما طريا يعني السمك وتستخرجون اي من الملح دون العذب حلية
تلبسونها يعني اللولو والمرجان وقيل نسب اللولو اليهما لانه لا يكون
في البحر الملح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللولو منهما وترى
الفلك فيه مواخر اي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا
من فضله اي بالتجارة ولعلكم تشكرون اي تشكرون الله علي
نعمه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمي ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون
من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير اي هو لفافة النواة
وهي القشرة الرقيقة التي تكون علي النواة ان تدعوهم يعني
الاصنام لا يسمعوا دعاءكم يعني انهم جماد ولو سمعوا اي علي
سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم اي ما اجابوكم وقيل
ما نفعوكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يتبرون منكم ومن
عبادتكم اياها ولا ينبئك مثل خبير يعني نفسه اي لا ينبئك احد
مثل اني عالم بالاشياء قوله تعالي يا ايها الناس انتم الفقراء الي
الله اي الي فضله واحسانه والفقير المحتاج الي من سواه والخلق

كلهم محتاجون الي الله فهم فقرا والله هو الغني اي عن خلقه
لاحتياج اليهم الحميد اي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه
عليهم ان يحمدوه ان يشا يذهبكم اي لاجل ذنوبكم اداوكفركم بايانه
ويات بخلق جديد اي يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به
شيا وماذلك علي الله بعزيز اي بممتنع ولا تزر وازرة وزر اخري
اي ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تواخذ
بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية في الضالين وتلك
في المضلين انهم يحملون اوزارا من ضلوه من الناس مع اثقال
انفسهم وذلك كله من كسبهم وان تدع مثقلة الي حملها معناه
وان تدع نفس مثقلة الي حمل ذنوب غيرها لا يحمل منه شي
ولو كان ذا قربي اي ولو كان المدعو اذا قربة كالاب والام والابن
والاخ قال ابن عباس يلقي الاب والام الابن ويقول يا بني احمل عني
بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما تنذر الذين يخشون
ربهم اي يخافون ربهم بالغيب اي لم يروه والمعني انما ينفع
انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكي
اي اصلح وعمل خيرا فانما يتزكي لنفسه اي لها ثوابه والي الله
المصير وما يستوي الاعمي والبصير اي العالم والجاهل وقيل
الاعمي عن الهدي وهو الشرك والبصير بالهدي وهو المومن
ولا الظلمات ولا النور يعني الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور
يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل
والسموم بالنهار وما يستوي الاحيا ولا الاموات يعني المومنين
والكفار وقيل العلما والجهال ان الله يسمع من يشا يعني حتي
يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في القبور يعني الكفار شبههم
بالاموات في قبورهم لانهم لم يجيبوا اذا دعوا ان انت الا نذير اي

رها

241

وما انت الا منذر وخوفهم بالنار انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذ
اي بشيرا بالثواب لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر وان من
امة اي من جماعة كثيرة فيما مضي الاحلا اي سلف فيها نذير
اي نبي منذر فان قلت كم امة في الفترة بين عيسي ومحمد صلي
الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كان اثار النذارة باقية
لم تخل من نذير الا ان قد درس وحين اندرست اثار رسالة
عيسي عليه السلام بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم واثار نذارته
باقية الي يوم القيامة لانه لا نبي بعده وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الدالة
علي نبوتهم وبالزبر اي الصحف وبالكتاب المنير اي الواضح
قيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب
بعد الزبر تاكيد ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قوله عز
وجل الم تر ان الله انزل من السما ما يعني المطر فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها يعني اجناسها من الرمان والتفاح والتين العنب
والرطب ونحوها وقيل يعني الوانها في الحمرة والصفرة والخضرة
وغير ذلك مما لم يحصر ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني
الخطط والطرائق في الجبال مختلف الوانها يعني منها ما هو
ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو اخضر وغرابيب سود اي
شديد السواد كما يقال اسود غربيب فشبيها بلون الغراب
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اي خلق مختلف
الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام هاهنا ثم
ابتدا فقال تعالي انما يخشي الله من عباده العلما قال ابن عباس
يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني
وقيل عظموه وقدروا قدره واخشوه حق خشيته ومن ازداد
به علما ازداد به خشية ق عن عايشة قالت صنع رسول الله صلي

الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلي
الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال مابال قوم يتنزهون عن
الشيء اصنعه فوالله اني لا اعلم بالله واشدهم له خشية قوله ما
ترخص فيه اي لم يتشدد فيه قوله فتنزه عنه اقوام اي تباعد
عنه وكره وتورع عن انس قال خطب رسول الله صلي الله عليه
وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانشاق
الصوت من الانف وقال مسروق كفي بخشية الله علما وكفي بالاغترار
بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال الشعبي
انما العالم من خشي الله عز وجل قال مقاتل اشد الناس لله خشية
اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم
ان الله عزيز اي في ملكه غفور لذنوب عباده وهو تعليل
لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو احق
ان يخشى ويتقى قوله عز وجل ان الذين يتلون كتاب الله
اي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به واقاموا
الصلاة اي ويقيمون الصلاة في اوقاتها وانفقوا مما رزقناهم
اي في سبيل الله سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور اي لن
تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال ابن عباس سوى
الثواب يعني ما لم تر عين ولم تسمع اذن انه غفور شكور قال
ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم
والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن هو الحق مصدقا
لما بين يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير قوله
تعالى ثم اورثنا الكتاب اي اوحينا اليك الكتاب وهو القرآن

ثم

ثم اورثناه بعني حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى توريثه
الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس يريد امة محمد صلي
الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرا
بان جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم
قسمهم وورثهم فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات روي عن اسامة بن زيد قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكرهم
البغوي بغير سند وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلي الله
عليه وسلم قال في هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وعن عمر ابن الخطاب قرا هذه الاية على المنبر
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له قال ابو اقلابة احد رواته فحدثت به يحيى بن معين
فجعل يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده وروي بسنده عن
ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحشتي
وسق الي جليسا صالحا فقال ابو الدرداء لئن كنت صادقا لانا
اسعد بك منك سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرا هذه
الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما السابق
بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا
يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم
ثم يدخله الجنة ثم قرا الاية الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور وقال عقبة بن صهبان سالت عايشة عن قول

ب

الله عز وجل ثم اورى ثنا الكتاب الذين اصطفينا الاية فقالت بابني
كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
واما المقتصد ممن اتبع اثره من اصحابه حتى تحوبه واما الظالم
لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس
السابق المؤمن المخلص والمقتصد المراي والظالم الكافر نعمة الله
غير الجاحد لها انه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن
يدخلونها وقيل الظالم هم اصحاب المشئمة والمقتصد اصحاب
الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم
وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من
استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على
حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد
الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من
ظاهره وقيل الظالم التالي للمنكرات ولم يعمل به والمقتصد التالي
له العالم به والسابق الناهي له العالم به العامل بما فيه وقيل
الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر والسابق الذي
لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم
والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم
السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا انه لا يئول
اليه الا بكرمه وان الظلم لا يورثه الا صطفا ثم ثنى بالمقتصد لانهم
بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين ليلا يأمن احد مكره وكلهم
في الجنة وقيل رفيهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان
احوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى
الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين
فاذا صحت توبته وكثرت عباداته ومجاهداته دخل في عداد السا

السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل
بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم وكف
ومعنى سابق بالخيرات اي بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى رحمة
الله بإذن الله اي بامره اياه واراداته ذلك هو الفضل الكبير يعني ايراثهم
الكتاب ثم اصطفاهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى جنات عدن
يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير تقدم تفسيره وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت
وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وانهم لا يدرون
ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف المعا
وقيل حزن اهوال يوم القيامة وهم الحصر والمعيشة في الدنيا
وقيل ذهب عن اهل الجنة كل حزن ما كان فيها الماش او معاد
روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في
نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
يعني عمر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال الذي احلنا
اي انزلنا دار المقامة اي الاقامة من فضله اي باعمالنا لا يمسنا
فيها نصب اي لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب
اي اعياء من التعب قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم فيموتوا اي يستريحوا مما هم فيه ولا يخفف عنهم من عذابها
اي من عذاب النار كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون اي
يستغيثون ويصيحون فيها يقولون ربنا اخرجنا اي من النار
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا من الشرك والسيئات
فيقول الله تعالى توبيخا لهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر

قيل هو البلوغ وقيل هو ثمانية عشر سنة وقيل اربعون سنة
وقال ابن عباس ستون سنة ويروي ذلك عن علي وهو
العمر الذي اعذر الله تعالى لابن ادم في عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى كل امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وجاء
النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل
هو الشيب اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي
الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب
الموت فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير
اي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه ان الله عالم غيب السموات
والارض انه عليم بذات الصدور يعني انه اذا علم ذلك وهو اخفى
ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم قوله تعالى هو الذي جعلكم
خلائف في الارض اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت
من قبلها من الامم وابيت وما ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم
خلفا في ارضه وملكه منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر اي بجحد هذه النعمة وعظمها
كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
اي غضبا وقيل المقت اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا
خسارا اي في الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون
الله يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم اروني ماذا خلقوا من
الارض اي جزا ستبدوا بخلقه من الارض ام لهم شرك في
السموات اي في خلق السموات والارض ام اتيناهم كتابا فهم
على بينة منه اي على حجة وبرهان من ذلك بل ان يعد الظالمون
بعضهم يعني الروساء بعضا الا غرورا يعني قولهم هو الاصنام

شفعاؤنا عند الله قوله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا اي لكيلا تزولا فيمنعها من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين
بان تزولا وتهدا هذا العظيم كلمة الشرك ولئن زالتا ان امسكهما من
احد من بعده اي لبيس يمسكها احد سواه انه كان حليما غفورا
اي غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا قد هممتا بمعقوبة
الكفار لولا حلمه وغفرانه واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني كفار
مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم وقالوا لعن
الله اليهود والنصارى انتهم الرسل فكذبوهم فاقسموا بالله
لوجاءنا نذير لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اكذبوه فانزل
الله هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير اي
رسول لنكونن اهدى من احدى الامم يعني اليهود والنصارى
فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه
الا نفورا اي تباعدا عن الهدى استكبارا في الارض يعني
عتوا وتكبرا عن الايمان به ومكر السيء يعني عمل القبيح وهو
اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي
لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة
الشرك لا تحل الا من اشرك فهل ينظرون اي ينتظرون
الا سنة الاولين يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى
من الكفار قلت فقد لسنة الله تبديلا اي تغييرا ولن تجد
لسنة الله تحويلا اي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم اولم
يسيروا في الارض فينظروا الى كان عاقبة الذين من قبلهم
معناه انهم يقتبرون بمن مضى وباثارهم وعلامات هلاكهم
وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه اي ليفوت عنه

من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا وليؤاخذ الله
الناس بما كسبوا اي من الجرايم ما ترك على ظهرها اي من
ظهر الارض من دابة اي من نسمة تدب عليها يريد بني ادم
وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان
في السفينة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى يجيء يوم القيامة فاذا
جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا قال ابن عباس يريد
اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة
ومن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة يس

وهي مكية وهي ثلاث وثمانون اية وسبعماية وعشرون كلمة وثلاثة
الاف حرف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لكل شيء قلبا وقلب القران يس ومن قرا يس كتب له بقراتها
قراة القران عشر مرات اخرجه الترمذي وقال حديث غريب في
اسناده شيخ مجهول عن معقل بن يسار قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرءوا على موتاكم يس اخرجه ابو داود
وغيره بسم الله الرحمن الرحيم قوله عزوجل يس
قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طي
يجيء يا محمد وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقران
والقران الحكيم اي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو
قسم وجوابه انك لمن المرسلين اي قسم بالقران ان محمدا
لمن المرسلين وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا على
صراط مستقيم معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه
انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز
الرحيم اي القران تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم يعني لم ينذروا اباؤهم لان قريشا لم

يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم من العذاب فهم غافلون اي عن ما يراد
بهم من الايمان والرشد لقد حق القول اي وجب العذاب على
اكثرهم فهم لا يومنون فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة
فيهم فهم لا يومنون بما سبق لهم من القدر وذلك قوله تعالى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزومي
وذلك ان ابا جهل حلف لين راى محمدا يصلي ليرضخن راسه بالحجارة
فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انيبست يده
الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما
راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر
فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع
صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا
له ما صنعت قال ما رايته ولكن سمعت صوته وحال بيني
وبينه كهيئة الجمل يخطر بنابه لو دنيت منه لاكلني فانزل الله
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن
هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال
مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع
كالاغلال وقيل انها مواضع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل
انها وصف في الحقيقة وهي ما يسترله الله بهم في النار فهي
بين الايدي الى الاذقان جمع ذقن وهي اسفل اللحيين لان
الغل يجمع اليد الى العنق فهم مقمحون اي رافعوا رؤسهم غض
البصر وقيل راد في الاغلال رفعة رؤسهم فهم مرتفعوا الرؤس
برفع الاغلال لها وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون
الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد

وقيل حجبناهم بالظلمة عن ادي رسول الله صلي الله عليه وسلم
قوله تعالي فاغشيناهم اي فاعميناهم فهم لا يبصرون يعني سبيل
الهدي وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من
رد الله اضلاله لم ينفعه الانذار انما تنذر من اتبع الذكر يعني
انما ينفع انذارك من اتبع القران فعمل بما فيه وخشي الرحمن بالغيب
اي خافه في السر والعلانية فبشره بمغفرة اي بتوبة واجر كريم
يعني الجنة قوله تعالي انا نحن نحي الموتي ونكتب ما قدموا اي من
الاعمال من خير وشر واثارهم اي ونكتب ما سنوا من حسنة او سيئة
عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم من سن سنة في الاسلام حسنة فله اجرها واجر من عمل بها
من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء ومن سن في الاسلام
سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير
ان ينقص من اوزارهم شيء وقيل نكتب حفظا يا هم اني المسجد
عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة
فاراد وا النقلة الي قرب المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي
الموتي ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وفي عن انس قال اراد وا بنو سلمة ان يتحولوا قرب
المسجد فكره رسول الله صلي الله عليه وسلم ان تعري المدينة
فقال يا بني سلمة الا تحتسبون اثاركم واقاموا قوله تعري يعني
تخلي فتترك عراي وهو الفضي من الارض الخالي الذي لا بيوت
فيه وعن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد وا بنو سلمة
ان ينتقلوا قرب المسجد فقالوا لنعم يا رسول الله قد اردنا ذلك
فقال بني سلمة دياركم تكتب اثاركم فقالوا يا سرنا ان نحولنا
قوله بني سلمة ايها بني سلمة وقوله دياركم اي الزموا دياركم عن

الي

اي الي سمع

ابي موسي الاشعري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
الناس اجر اني الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشي والذي ينتظر
الصلاة حتي يصلي مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي وينام
قوله تعالي وكل شيء احصيناه اي حفظناه وعددناه واثبتناه
في امام مبين يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل واضرب لهم مثلا
اي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة اصحاب القرية يعني به
انطاكية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسي عليه السلام
ذكر القصة قال العلما باخبار الانبيا بعث عيسي عليه السلام
رسولين من الحواريين الي اهل انطاكية فلما قربا من المدينة راي
شيخا يرعي غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه
فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسي ندعوكم من عبادة
الاوثان الي عبادة الرحمن فقال الشيخ معكما اية قالا نعم نشفي
المريض وبشرى الاكمه والابرص باذن الله تعالي قال الشيخ ان لي
ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع علي حاله فاتاهما
الي منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالي صحيحا فمشي
الخبر في المدينة وشفي الله علي ايديهما كثيرا من المرضي وكان لهم
ملك يعبد الاصنام يسمي ابطيخش وكان من ملوك الروم فانتهي
خبرهما اليه فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسي قال وما
جيتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الا عبادة من يسمع
ويبصر فقال ولنا اله دون الهتنا قالا نعم الذي اوجدك والهتك
قال لهما قوما حتي انظر في امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما
وقال وهب بعث عيسي هذين الرجلين الي انطاكية فاتيا هما فلم
يصلا الي ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبر وذكر
الله تعالي فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد اكل واحد منهما مائة
جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسي راس الحواريين شمعون

الصفا علي انزهما ليصبرت فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يباشر
حاشية الملك فدعاه وانسربه واكرمه ورضي عشرته فقال للملك
ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك
الي غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني
وبين ذلك قال فان راي الملك دعاهما حتي نطلع الي ما عندهما
فدعاهما فقال لهما شمعون من ارسلكما الي ههنا قالوا الله الذي
خلق كل شي وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا
قالا انه يفعل ما يشا وبحكم ما يريد فقال شمعون وما ايتكما قالا
ما تمنناه فامر الملك حين جاز ابغلام مطموس العينين وموضع عينيه
كالجبهة فازالا يدعوانه ربهما حتي انشق موضع البصر فاخذا
بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر
بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت سالت الهك حتي
يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس
لي عندك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر
ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك علي الصنم ويصلي
ويتضرع حتي ظنوا انه علي ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر
الهكما الذي تعبدانه علي احيا ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر
علي كل شي فقال الملك ههنا ميت قدمات منذ سبعة ايام بن
دهقان وقد اخرته فلم ادفنه حتي يرجع ابوه وكان غايبا فجاوا
بالميت وقد تغير وارواح فجعلا يدعوان ولهما علانية وشمعون
يدعو ربه سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة ايام وجدت
منشرا كافا دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم
مما انتم عليه فامنوا بالله ثم قالت فتحت ابواب السما فنظرت
شابا حسن الوجه يشفع لهولا الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة قال
شمعون وهذان واشار بيده الي صاحبيه فتعجب الملك من

ذلك

ذلك فلما علم شمعون انه قوله قد اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فامن
الملك وامن معه قوم وكفر اخرون وقيل بل كفر الملك واجمع علي قتل
الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو علي باب المدينة فجا يسعي
اليهم يذكرهم ويدعوهم الي طاعة المرسلين فذلك قوله تعالي
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما قال وهب اسمهما يحيي ويونس
وقال كعب صادق ومصدق فعززنا بثالث اي قوينا برسول ثالث
وهو شمعون وقال سلوم وانما اضاف الله الارسال اليه لان عيسي
انما بعثهم باذن الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية
انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شي
اي لم يرسل رسولا ان انتم الا تكذبون اي فيما تزعمون قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اي وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ
المبين اي بالايات الدالة علي صدقنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا
بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم اي
لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ولنعذبنكم قبله بالحجارة وليمسكم
منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم اي بشؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم
يعني اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر
الذي ذكرتم معناه اطيرتم بذكرنا وعظتم بل انتم قوم مسرفون
اي في ضلالتكم وشركم متمادون في غيكم قوله عز وجل وجا من
اقصي المدينة رجل يسعي هو حبيب النجار وقيل كان قصارا
وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام
وكان منزله عند اقصي باب من ابواب المسجد وكان مومنا ذا
صدقة يجمع كسبه فاذا امسي قسمه قسمين نصفا لعياله وينصدق
بنصف فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصد واقتلهم جاهم
قال يا قوم اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه فلما
بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لهم اتسالون علي

هذا اجرا قالوا لا فاقبل علي قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي لا تخسرون منهم شيا
من دينكم وتربحوا صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والاخرة فلما
قال ذلك قالوا له وانت تخالف لدينا ومتابعة دين هولا الرسل
ومومن باصنامهم فقال ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
قيل اضاف الفطرة الي نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة انعم
النعمة وكان عليه اظهر وفي الرجوع فيه معنى الزجر فكان
البق بهم وقيل معناه واي شيء لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون
عند البعث فيجزيكم باعمالكم اتخذ من دونه الهة اي لا اتخذ من
دونه الهة ان يردن الرحمن بضر اي بسوء ومكروه لا تغن
عني اي لا تدفع عني شفاعتهم شيا اي لا شفاعة لها فتغن
عني ولا ينقذون اي من ذلك المكروه وقيل من العذاب اني
اذا لفي ضلال مبين اي خطا ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون
اي فاشهدوا الي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب
لقومه فلما قال ذلك وثب عليه القوم وشد رجل واحد فقتلوه
قال ابن عباس وطيوها برجلهم حتى خرج قصبه من دبره
وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى علموه
وقبره بانطاكية فالقي الله قيل ادخل الجنة قلما افضي الي الجنة
ورأي نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا
في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له فعجل لهم العقوبة
فامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن
اخرهم وذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من
جند من السماء يعني الملايكة وما كنا منزلين اي ما كنا لنفعل
هذا بل الامر في هلاكهم كان ايسر مما تظنون تمر بين عقوبتهم

فقال

فقال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ
جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة فاذا هم خامدون
اي ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكابة
على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا
نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم
لما عاينوا العذاب حيث لا يومنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان
حين لم ينفعهم وقيل تحسر عليهم الملايكة اذ لم يومنوا بالرسل
وقيل يقول الله يا حسرة على العباد يوم القيامة حين لم يومنوا
بالرسل ثم بين سبب ذلك الحسرة فقال تعالى ما ياتيهم من
رسول الا كانوا به يستهزءون قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا
اي لم يخبروا والخطاب لاهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون
اي من الامم الخالية والقرون اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم
في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الي الدنيا فلا
يعتبرون بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع
الامم يحضرون يوم القيمة وايه لهم يعني تدل لهم على كمال
قدرتنا على احيا الموتى الارض الميتة احييناها اي بالمطر
واخرجنا منها حبا اي من الارض يعني الحنطة والشعير وما
اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها اي في الارض
جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون
لياكلوا من ثمره اي بالثمر الحاصل بالماء وما عملته ايديهم اي من
الزرع والغرس الذي تعهدوا فيه وقري عملت بغير ها وقيل ما النفي
والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها
معمولة وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعلمها يد خلق مثل
النيل والفرات ودجلة افلا يشكرون اي نعم الله سبحان
الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض اي

من الاشجار والثمار وعن انفسهم اي الذكر والانثي وعما
لا يعلمون يعني مما خلق الله من الاشيا في البر والبحر من الدواب
قوله تعالي وايه لهم يعني تدلهم علي قدرتنا الليل نسلخ اي
نتزع منه ونكشط منه النهار فاذا هم مظلمون فنجي بالظلمة وذلك
ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا اعربت الشمس -
سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها اي
الي مستقر لها قيل الي انتهاء سيرها حتي تنتهي لاقصي مستقرها الذي
لا تجاوزه ثم ترجع الي اول منازلها وهو انها تسير حتي تنتهي الي
ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية
ارتفاعها في السما في الصيف ونهاية هبوطها في الشتا وعن ابن
عباس تجري لمستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية ابدا
الي يوم القيامة وقد صح عن النبي صلي الله عليه وسلم فيما
رواه ابو ذر قال سئلت النبي صلي الله عليه وسلم عن قوله
والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي
رواية قال النبي صلي الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس
اتدري اين تذهب الشمس قال الله ورسوله اعلم قال انها
تذهب حتي تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك
ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها ويقال لها
ارجعي من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالي
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه
في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النواوي اختلف المفسرون
فيه فقال جماعة ظاهر الحديث قال الواحدي فعلي هذا القول
اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الي ان تطلع
وقيل تجري الي وقت لها واصل لانتهاه وعلي هذا مستقرها
انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا واما سجود الشمس فهو تسيير

والليل

وادراك يخلقه الله تعالي فيها والله اعلم وذلك اي الذي ذكر
من جري الشمس علي ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر
عن ادراكه ويتحير الافهام علي استنباطه تقدير العزيز
اي الغالب بقدرته علي كل مقدور العليم اي المحيط علما بكل
شي قوله تعالي والقمر قدرناه منازل اي قدرنا له منازل وهي
ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه
يسير من الليلة المستهل الي الثمانية والعشرون ثم يستتر
ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان اخر منازله رق وتقوس وذلك
قوله تعالي حتي عاد كالعرجون القديم وهو العود الذي عليه شماريخ
العرق التي منبته من النخلة والقديم الذي اتي عليه الحول فاذا
قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهاء
اخر منازله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار
علي الليل قبل انقضايه ولا يدخل الليل علي النهار وقيل
انقضايه وهو قوله تعالي ولا الليل سابق النهار اي هما يتعاقبان
بحساب معلوم لا يجي احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما
في سلطان الاخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار
وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة وقيل
معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل
بليل لا يكون بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون اي والشمس
والقمر في ذلك يسيرون قوله عز وجل وايه لهم انا حملنا ذريتهم
يعني اولادهم في الفلك المشحون اي المملوة وخلقنا لهم من مثله
اي مثل الفلك ما يركبون اي من الابل وهم سفاين البر وقيل
اراد بالفلك المشحون سفينة نوح ومعني الاية ان الله حمل اباهم
الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم
وفيه قول العباس بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا

واهله الغرق وانما ذكروا ذراريهم دونهم لانه ابلغ من الامتنان عليهم
وابلغ في التعجب من قدرته فعلي هذا القول يكون قوله من مثله
اي مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق في الانهار
الكبار والصغار وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم
ولا هم ينقذون اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد
ينقذهم من بعد ابي الا رحمة منا ومتاعا الى حين يعني الا
ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء اجالهم واذا قيل لهم اتقوا
ما بين ايديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة
فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل
ما بين ايديكم يعني وقايع الله بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم
يعني الاخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجا الرحمة وجواب اذا
محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على المحذوف
قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي لا دلالة له
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين
قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي مما اعطاكم
الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا
على المساكين مما زعمتم ان الله من اموالكم وهو ما جعلوه لله من
حروثهم وانعامهم قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم اي انرزق
من لو يشا الله اطعمه اي رزقه وقيل كان العاص بن وايل
السهمي اذا ساله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى مني
بك ويقول قد منعه افاطعمه انا ومعنى الاية انهم قالوا اراد الله
ان يوسع رزقهم لوسع فنحن نوافق مشيية الله فيهم فنطعم من لم يطعمه
وهذا مما تمسك به البخلا ويقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا
الذي يزعمون باطل لان الله انما عنى بعض الخلق واقتر بعضهم
ابتلا ممنع الدنيا من المقتر لبخلا واعطي الغنا لاستحقاقا وامر

الغني بالانفاق لا لحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض
له من مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيية الله تعالى وحكمته
في خلقه والمومن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل
الاستهزا انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين
معناه ما انتم الا في خطا بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل
هو من قول الله للكفار لما ردوا من جواب المومنين ويقولون
متى هذا الوعد يعني يوم القيامة والبعث ان كنتم صادقين
قال الله تعالى ما ينظرون اي ينتظرون الا صيحة واحدة قال
ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون
اي في امر الدنيا من البيع والشرا ويتكلمون في الاسواق والمجا
لس وفي متصرفاتهم فتاتيهم الساعة اعمل ما كانوا عنها وقد صح
في حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه
ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته
فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه
ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه
البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عمرو بن
عبد الله بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغا ليتا واول من
يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس
اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة الغزيرة العهد من النتاج
وقوله وهو يليط حوض ابله واصله من اللصوق وقوله
اصغا ليتا اللليت صغت العنق واصغى يعني اماله عنقه
يسمع وقوله فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون الا بما
اي اعجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون

على الرجوع الي اهلهم لان الساعة لا تمهلهم لنفي ونفخ في الصور
هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون
سنة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ما بين النفختين اربعون وقيل اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت
ابيت قال اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون
كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلي الا عظم واحد
وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة فاذا هم من
الاجداث اي القبور الي ربهم ينسلون اي يخرجون منها
احبا قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ابن عباس انما
يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين نم
فيرقدون فاذا بعثوا في الثانية وعاينوا اهوال القيامة دعوا
بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها صار عذاب
القبر في جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون فزواجين لا ينفعهم الاقرار نم
وقالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من
مرقدنا فيقول المومنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي
للحساب فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
قوله تعالي ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن عباس
في قتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في
ضيافة الله عز وجل وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في
الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم فاكهون
قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه
هم وازواجهم في ظلال يعني علي السرر في الحجال متكئون اي
ذوو اتكاء تحت تلك الظلال لهم فيها فاكهة اي في الجنة ولهم ما يدعون

يعني

يعني ما يتمنون ويشتهون والمعني ان كل ما يدعون اهل
الجنة يا تيهم سلام قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عليهم
روي البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع
لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم
من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل
سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه حتي لا
يلتفتوا الي شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتي يحتجب
عنهم فيبقي نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم
الملائكة من ربهم وقيل تدخل الملائكة علي اهل الجنة من
كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعظم السلا
يقول سلموا السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها المجرمون
اي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المومنين الصالحين
وكونوا علي حدة وقيل ان لكل واحد في النار بيتا فيدخل
ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الابدين لا يري ولا يري
فهاي هذا القول يمتاز بعضهم من بعض الم اعهد اليكم يا بني
ادم يعني الم امركم وامرتكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان
يعني لا تطيعوه فيما يوسوس لكم ويزين لكم من معصية الله
انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وان اعبدوني اي اطيعوني
ووحدوني هذا صراط مستقيم اي لا صراط اقوم منه قوله
تعالي ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا افلم تكونوا
تعقلون يعني ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس
ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون
يعني لها في الدنيا اصلوها اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون
قوله عز وجل اليوم نختم علي افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد

ارجلهم بما كانوا يكسبون معني الايه ان الكفار يجحدون وينكرون
كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم علي افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التي
كانت عونا لهم علي المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك ان
اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في
تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد
مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر علي غيره شهادة بما
راي وقول الفاعل اقرار علي نفسه بما فعل م عن ابي هريرة
قيل يسول رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
هل نري ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة
البدر ليس في سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون
في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا
يا رسول الله قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية
ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما قال فيلقى العبد ربه فيقول
اي عبدي الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل
والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلي يا رب فيقول افظننت
انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقي
الثاني فيقول الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل
والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلي يا رب فيقول
افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول واني اليوم انساك كما نسيتني
ثم يلقي الثالث فيقول اي قل الم اكرمك واسودك وازوجك
واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلي يا رب
فيقول افظننت انك ملاقي فيقول اي رب امنت بك وبكتابك
وبرسولك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع
فيقول ها هنا اذا قال ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر

في

252

في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم علي فيه ويقال لفخذه
انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه
وذلك المنافق هو الذي يسخط الله عليه قوله تعالى يا ويلتي
قوله اسودك اي جعلتك سيدا قوله واذرك اي واترك ترأس
اي تنفذ مر علي القوم يقال تصير رئيسهم وتربع يأخذ المرباع
وهو ما يأخذ رئيس القوم الجيش لنفسه من الغنايم وهو
ربعها وروي وترتع بتاء اي تتنعم وتنبسط من الربع وذلك
ليعذر من نفسه اي ليقيم الحجة عليها بشهادة اعضائه عليه
م عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلي الله عليه وسلم
فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم
قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم
قال يقول بلي فيقول فاني لا اجيز علي نفسي الا شاهدا مني
قال فيقول كفي بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين
شهودا قال فيختم علي فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق
باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز علي لا اقبل شاهدا علي قوله
بعدا لكن وسحقا اي هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اي اجادل
واخاصم قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا علي اعينهم اي اذهبنا
اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعني ولو
نشاء لاعميناهم اعينهم الظاهرة كما اعميناقلوبهم فاستبقوا الصراط
اي تبادروا الي الطريق فاني يبصرون اي كيف يبصرون وقد
اعمينا اعينهم والمعني ولو نشاء لاضللناهم عن الهدي وتركناهم عميا
يترددون فكيف يبصرون الطريق وقال ابن عباس معناه
نشاء لعقاناهم عن مشيهم فلا لتهم فاعميناهم عن عيونهم وحولنا
ابصارهم من الضلالة الي الهدي فابصروا رشدهم

فاني يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم
يعني ولو نشاء جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم
حجارة لا روح فيها فما استطاعوا مضيا ولا ادبارا اي لا يقدرون ان يرجعوا
ولا يرجعون اي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب
والرجوع ومن نعمره ننكسه في الخلق اي نرده الى ارذل العمر
كشيبه الصبي في اول الخلق وقيل نمنعه جوارحهم بعد قوتها
ونقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف
جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد ويتنقل
من حال الى حال الى ان يبلغ اشده واستكمل قوته
وعقله يعلم ماله وعليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية
رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول وذلك نكسه في الخلق
افلا يعقلون اي فيعتبروا ويعلموا ان الذي قدر على تصريفه
احوال الانسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل وما
علمناه الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر
وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما
ينبغي له اي ما سهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر
لم يتأت له كما جعلنا اميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة اثبت
والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل
ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى
بالشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا نبي الله
انما انا الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا اشهد انك
رسول الله هذا حديث مرسل وروي عن عائشة وقيل لها
هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل ببيت شعر ابن رواحة ويقول
ويأتيك بالاخبار من لم تزود اخرجه الترمذي وفي رواية لغيره

ان عائشة سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل
ببيت من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت فلم
يتمثل الا ببيت اخي بني قيس طرفة بيت

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس
هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي قلت قد صح
من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال هل انت
الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اخرجاه في الصحيحين ولهما
من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا عيش الا
عيش الاخرة فاكرم الانصار والمهاجرة ويروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قلت ما
هو الا من كلامه الذي يبرهي من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه
اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاموزنا كما يتفق كثير من
انشاد الناس في خطبهم ورسايلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا
يدخل في وزن البحر ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز
شعرا ولما نفي ان يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى ان هو
الا ذكر يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن ليس
بشعر لانه ليس على اساليب الشعر ولا يدخل في بحوره وقرآن
مبين اي انه كتاب مساوي بقرى في المحاريب ويتلى في المتعبدات
ويتال بتلاوته الثواب والدرجات وتبين الحدود والاحكام وبيان
الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من هذات الشياطين
واقاويل الشعراء الكاذبين لينذر اي يا محمد وقرئ بالتاء اي القرآن
من كان حيا يعني مؤمنا في القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر
ولا يتفكر ويحق القول اي يجب حجة العذاب على الكافرين قوله

عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي نحن ولينا خلقه بابداعنا
له من غير اعانة احد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا انفرد
به ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك
لبدايع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو انعاما انما خص الانعام
بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله وايجاده لان النعم اكثر
اموال العرب والنفع بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم
فلكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم
لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك راس البعير ان نفر لا اضبط راس البعير والمعنى لم نخلق
الانعام وخشيتها فترة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها
مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي
الابل ومنها يأكلون اي الغنم ولهم فيها منافع ومشارب اي
من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها ومشارب من
البانها افلا يشكرون اي رب هذه النعم واتخذوا من دون الله
الهة يعني الاصنام لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب الله
ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم قال ابن عباس لا تقدر
الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون
اي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي
لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى
بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه في الدنيا
كانهم جند محضرون في النار فلا يحزنك قولهم يعني كفار مكة في
تكذيبك انا نعلم ما يسرون اي في ضمايرهم من التكذيب وما يعلنون
اي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى وقوله
تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من مطعة قذرة
خسيسة فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة

والمعنى والعجب من جعل هذا الخاصم مع مهانة اصله لانه يتصد
بخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث فكيف لا يتفكر في بدء
خلقه وانه من نطفة وبدع الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي
خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكاره البعث واتاه بعظم رميم
وبلا فتته بيده وقال اترى يحيي هذا بعدما رم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم نعم ويميتك ويدخلك النار فانزل الله هذه الايات
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه يعني بدء امره قال من يحيي العظام
وهي رميم اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم
البالي يحيي فتته بيده ويتعجب ممن يقول ان يحييه ونسي خلقه
اول مرة وانه مخلوق من نطفة قل يحييها الذي انشاها اي خلقها
اول مرة وابتدا خلقها وهو بكل خلق اي من الابتداء والاعادة عليم
اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبدء والمعاد الذي
جعل لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس شجرتان يقال لاحدهما
المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة ممن اراد النار
تقطع منها غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الما
فيحتك المرخ على العفار ويخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول
العرب في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثروا ذلك لان
هذين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نارا لا
العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقتدحون فتوقدون النار
من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز
وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم بلى اي هو القادر على ذلك وهو الخلاق العليم يعني
يخلق خلقا بعد خلق العليم اي بجميع ما خلق انما امره اذا اراد شيا
اي احداث شيء وتكوينه ان يقول له كن اي يكون من غير توقف
فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت

كل شئ اي وهو مالك كل شئ والمتصرف فيه واليه ترجعون اي
ترددون بعد الموت والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الصافات

وهي مكية وهي مائة واثنتان وثمانون اية وثمانمائة وستون
كلمة وثلاثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن
عباس هم الملايكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة
عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الا
تصفون كما تصف الملايكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملايكة
عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في
الصف لفظ داود وقيل هم الملايكة تصف اجنحتها في الهوا واقفة
حتي يامرها الله بما يريد وقيل اراد بها الصافات الطير تصف اجنحتها
في الهوا فالزاجرات زجرا يعني الملايكة تزجر السحاب وتسوقه
وقيل هي زواجر القران تنهي وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا
يعني الملايكة يتلون ذكر الله تعالي وقيل هم قرا القران وهذا كله
قسم اقسم الله بهذه الاشيا وقيل فيه اضمار تقديره ورب
الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالي ان
الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم
الله بهذه الاشيا ان الهكم لواحد وانما قسم بهذه الاشيا لتنبيه
علي شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد علي عبدة الاصنام في
قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالي رب السموات والارض وما بينهما
يعني انه المالك القادر العالم المنزه عن التشريك وقوله
ورب المشارق قيل اراد والمغارب واكتفي باحدهما قال السدي
المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس
تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في

موضع

موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب
فكيف وجه الجمع بين الايات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة
التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف
ومشرق الشتا ومغرب الصيف ومغرب الشتا وبالمشارق
والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه
الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب
وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالي انا زينا السما الدنيا يعني
التي تلي الارض وهي ادني السموات الي الارض بزينة الكواكب
قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن
الصفات واكملها ولولم تحصل هذه الكواكب في السما لكانت شدة
الظلمة عند غروب الشمس وقبل زينتها اشكالها المتناسبة
والبديعة في الشكل كشكل الجواري اوبنات نعش وغيرها وقيل
الانسان اذا نظر في الليلة الظلمة الي السما ورأي هذه الكواكب
الزواهر مشروقة متلالية علي سطح ازرق فهو غاية الزينة
وحفظا من كل شيطان مارد اي وحفظنا السما من كل شيطان
متمرد عات يرمون بالشهب لا يسمعون الي الملا الاعلي يعني
الي الملايكة والكينة لانهم سكان السما وذلك ان الشياطين
يصعدون الي قرب السما فربما سمعوا كلام الملايكة فيخبرون
به اولياهم الانس ويرجون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم
الله من ذلك بهذه الشهب وقوله ويقذفون اي يرمون
بها من كل جانب اي من افاق السما دحورا اي يبعدون عن
مجالس الملايكة ولهم عذاب واصب اي دايم يخرجون ويحتلون
الا من خطف الخطفة اي اختلس الكلمة من كلام الملايكة فاتبعه
اي الحقه شهاب ثاقب اي كوكب مضي ثوب لا يخطيه بل
يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمي النجم الذي يرمي به الشياطين

ثاقبا لانه تعتهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الي
حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الي مقصودهم ثم انه
يعودون الي مثل ذلك قلت انما يعودون الي استراق السمع مع
علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجائهم المقصود
كراكب البحر يغلب علي ظنه حصول السلامة وهو قوله عز وجل
فاستفتهم اي سل اهل مكة ام اشد خلقا ام من خلقنا انه
يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقدير اي
هذه الاشياء اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعني الامم الخالية والمعنى
ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بما
يزعمون انهم الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال
تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني ادم من طين جيد حر يلصق
لزج يعلق باليد وقيل طين نتن بل عجبت قرئ بالضم علي
اسناد التعجب الي الله تعالي وليس هو كالتعجب من الادميين لان
التعجب من الناس محمول علي انكار الشيء وتعظيمه والتعجب من الله
محمول علي تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها التوبيخ
وقيل قد يكون بمعني الانكار والذم وقد يكون بمعني الاستحسان
الاستحسان كما جاء في الحديث عجب ربكم من شباب ليست له
صبوة وفي حديث اخر عجب ربكم من ايكم وقنوطكم وسرعة
اجابته اياكم تقوله من اكلم الاول اشتد القنوط وقيل هو رفع الصوت
بالبكاء وسكيل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شيء
ولكنه وافق رسوله وطا عجب رسوله قال وان تعجب تعجب قولهم
اي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء علي انه خطاب للنبي صلي الله
عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من
تعجبك وقيل عجب نبي الله صلي الله عليه وسلم كان يظن ان
كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون سخروا منه

ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلي الله عليه وسلم
فقال الله تعالي بل عجبت وبسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي
واذا وعظوا لا يتعظون واذا رأوا اية يعني انشقاق القمر يستسخرون
اي يستهزؤن وقيل يدعي بعضهم بعضا الي ان يسخر وقالوا
ان هذا الا سحر مبين اي بين ايذا منا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
او ابا ونا الاولون قل نعم وانتم داخرون اي صاغرون فانما هي
زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث فاذا هم ينظرون
يعني احيا وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يوم الحساب والجزاء هذا
يوم الفصل اي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء الذي كنتم به تكذبون
اي في الدنيا احشروا اي اجمعوا الذين ظلموا اي اشركوا وقيل هو عام
في كل ظالم وازواجهم اي اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع مثلها
فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اي
قرناؤهم من الشياطين يقترن كل كافر مع شيطان وقيل ازواجهم
المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله اي في الدنيا يعني الاصنام
والطواغيت وقيل ابليس وجنوده فاهدوهم الي صراط الجحيم قال
ابن عباس الي طريق النار وقفوهم اي احبسوهم انهم مسئولون لما
سيقوا الي النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن
جميع اقوالهم وافعالهم ومروي عنه عن لا اله الا الله ومروي
عن ابن برزة الاسلمي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا تزول
قدما ابن ادم يوم القيامة حتي يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعلمه
ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما
ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ابن مالك ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال ما من داع دعي الي شيء الا كان موقوفا يوم القيامة
لازما به لا يفارقه وان دعي رجلا تمرقرا وقفوهم انهم مسئولون
مالكم لا تناصرون اي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لا ينصر

بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر انا جميع منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس يا خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم وان لا منقادون لاحيلة لهم واقبل بعضهم على بعض يعني الروساء والاتباع يتساءلون اي تتخاصمون قالوا يعني الاتباع للروساء انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا وتزورننا ان الدين ما نضلونا به وقيل كان الروساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم تحلفون لنا فتوقعننا باليمانكم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة والقول الاصح قالوا يعني الروساء للاتباع بل لم تكونوا مومنين اي لم تكونوا على حق في فضلكم علينا بل كنتم على الكفر وما كان لنا عليكم من سلطان اي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اي ضالين فحق علينا اي وجب علينا جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين انا لذائقون يعني ان العذاب والضلال في النار جميعا فاغويناكم اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين قال الله تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الروساء والاتباع انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركا ثم بين الله تعالى انهم لما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى رد اعليهم بل جاء بالحق وصدق المرسلين يعني انه اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك انكم لذائقوا العذاب الاليم

وما

وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك والتكذيب الا اي لكن وهو استثنا منقطع عباد الله المخلصين اي الموحدين اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهون يوتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورايحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه يعني جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يوكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون اي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال يطاف عليهم بكاس من معين كل اناء فيه شراب يسمى كاسا وان لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر

وكاسا شربت على لذة ... ومعين معين اي من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون بيضا بيعني ان خمرة الجنة اشد بياضا من اللبن لذة اي لذ بمذقة للشاربين لا فيها غول اي لا يغتالهم فتذهب بها وقيل لا تثمر فيها ولا يجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفا وخمر الدنيا يحصل منه انواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الراس والقي والبول والخمار والعربدة وقيل غير ذلك ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون اي لا تغلبهم على عقولهم فتوذيهم ولا يسكرون وقيل معناه لا يبعد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين عما سواهن العيون قصرت اعينهن عن ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم

عين اي حسان الاعين عظامها ناهن بيض مكنون اي مصون
مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار
فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال هذا من احسن الوان النساء
وهو ان يكون المراة بيضا مشربة صفرة والعرب تشبه النساء
ببيض النعام وتسميهن ببيضات الخدور وقوله عز وجل فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون اي يسال
بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قال قائل منهم اي من اهل الجنة
اني كان لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا
وقيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا مشتركين احدهما
كافر اسمه قهروس والاخر مومن اسمه يهوذا وهما اللذان قص
الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين
يقول اينكل لمن المصدقين اي بالبعث ايذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اينا لمدينون اي يجزون ويجازيون وهذا استفهام
انكاري قال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون اي الى
النار وقيل يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة هل انتم مطلعون
اي لتنظروا كيف منزلتي اجي في النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به
منا فاطلع اي المومن قال ابن عباس انه في الجنة كوى ينظر منها
اهلها الى النار فراه في سواء الجحيم اي فراى قرينه في وسط النار
يسمى وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه قال قائلهم ان
كدت لتردين اي والله لقد كدت ان تهلكني وقيل لتغويني
ومن اغوى انسانا فقد اراده واهلكه ولولا نعمة ربي اي رحمة
ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين اي معك في
النار افما نحن بميتين الموتتا الاولى اي في الدنيا وما نحن
بمعذبين قيل يقول هذا اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت
فتقول الملائكة لهم لا فيقولون ان هذا لهو الفوز العظيم وانما

يقولونه

يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون
ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم على طريق الاستفهام لانهم
قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام
ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل يقول المومن لقرينه على
جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى لمثل هذا اي المنزل
والنعيم الذي ذكره في قوله اولئك لهم رزق معلوم فليعمل
العاملون هذا ترغيب في ثواب الله وما عنده بطاعته قوله تعالى
اذلك اي الذي ذكره لاهل الجنة من النعيم خير نزلا اي رزقا
ام شجرة الزقوم اي التي تنزل اهل النار والزقوم شجرة خبيثة
مرة كريهة الطعم يكوى النار على تناولها فهم يتزقمونه على
اشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من اخبث
الشجر انا جعلناها فتنة للظالمين اي للكافرين وذلك انهم
قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن عطية
الزعبري لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم
بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فادخلهم
ابو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال
ابو جهل تزقموا هذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر النار واغصانها ترتفع الى
دركاتها طلعها اي ثمرها يسمى طلعا لطلوعه كانه رؤس
الشياطين قال ابن عباس هو الشياطين باعيانهم شبهها
بهم لقبحهم عند الناس فان قلت شبهها بشيء لم يشاهد
فكيف وجه التشبيه قلت الله قد استقر في العقول قبح الشياطين
ولم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الاشياء في الوهم والخيال رؤس
الشياطين فهذه الشجرة شبهها في قبح المنظر والعرب اذا راى
منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس بيت

اقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال
تشبه بسنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة
واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمي رؤس الشياطين فشبهها بها
وقيل اراد بالشياطين الحيات والغرب تسمي الحية القبيحة المنظر
شيطانا فانهم لاكلون منها اي من ثمرها ثم لشوبون عليها البطون
وذلك انهم يكرهون على اكلها حتي تمتلي بطونهم ثم ان لهم
عليها لشوبا اي خلطا ومزاجا من حميم اي من ماء شديد الحرارة يقال
انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم ثاب الزقوم فصار يشوبا
لهم ثم ان مرجعهم لالي الجحيم وذلك انهم يردون الي الحميم بعد
شراب الحميم انهم الفوا اي وجدوا اباهم ضالين فهم على اثارهم
يهرعون اي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ولقد ضل قبلهم
اكثر الاولين اي الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي
وارسلنا فيهم رسلا منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
اي الكافرين وكان عاقبتهم العذاب الا عباد الله المخلصين اي
الموحدين ينجوا من العذاب والمعني انظر كيف اهلكنا المنذرين
الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح اي دعا ربه علي قومه
وقيل دعا ربه ان ينجيه من الغرق فلنعم المجيبون اي نحن
دعانا فاجبناه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم
اي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق وجعلنا ذريته هم
الباقين يعني ان الناس كلهم كانوا من ذرية نوح وقال ابن عباس
لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنسا
الا ولده ونساه عن سمرة بن جندب عن النبي صلي الله عليه
وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال عام
وسام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي
رواية اخري سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم

وقيل

وقيل سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث
ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك وتركنا عليه في
الاخرين اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبيا
والامم الي يوم القيامة سلام علي نوح في العالمين اي سلام عليه
لنا في العالمين وقيل تركنا في الاخرين ان يصلي عليه الي يوم القيامة
انا كذلك نجزي المحسنين اي جزاء له باحسانه الجزا الحسن في
العالمين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الاخرين يعني الكفار
قوله عز وجل وان من شيعته اي من شيعة نوح لابراهيم يعني
انه علي دينه وملته ومنهاجه وسنته اذ جاء ربه بقلب سليم اي
مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحسد يحب
للناس ما يحب لنفسه اذ قال لابيه وقومه ما ذا تعبدون ائفكا
استفهام توبيخ ايفكا الهة دون الله تريدون اي تأفكون افكا
وهو سوء الكذب وتعبدون الهة سوي الله فما ظنكم برب العالمين
يعني اذا لقيتموه وقد عبد تم غيره انه يصنع بكم فنظر نظرة في
النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه ينقاطون علم
النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به ليلا
ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم
الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ويجمع فكانوا
يدخلون علي اصنامهم ويتزينون بها القربان ويضعون
بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الي عيدهم زعموا ان بترك
عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم اخرج
معنا الي عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس
اي مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض
وقيل معناه متسأقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم
الجواب عنه في سورة الانبيا وقيل انه خرج معهم الي عيدهم فلما

فلما كان ببعض الطريق التقى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي
فتولوا عنه مدبرين اي الي عيدهم فدخل ابراهيم علي الاصنام
فكسرها وهو قوله فراغ اي مال الي الهتهم اي ميلة في خفية
فقال اي للاصنام استهزاء بهم الا تاكلون يعني الطعام الذي بين
ايديكم مالكم لا تنطقون فراغ اي مال عليهم ضربا باليمين اي ضربهم
بيده اليمني لانها اقوي من الشمال في العمل وقيل باليمين اي بالقوة والقدرة
عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله تعالي وتالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه اي الي ابراهيم يزفون اي يسرعون وذلك
انهم اخبروا بصنع ابراهيم علي وجه الحجاج بالهتهم فاسرعوا
اليه ليأخذوه قال لهم ابراهيم علي وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون
اي بايديكم من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وعملكم وقيل
خلق العمل الذي تعملونه بايديكم من الاصنام وفي الاية دليل علي
ان افعال العباد مخلوقة لله تعالي قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في
الجحيم قيل انهم بنوا له حايطا من الجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا
وعرضه عشرون ذراعا وملوه من الحطب واوقدوا عليه النار
وطرحوه فيها وهو قوله فالقوه في سواء الجحيم فاراد به كيدا اي شرا وهوان يحرقوه
فجعلناهم الاسفلين اي المقهورين بن حبيب سلم الله ابراهيم ورد
كيدهم وقال يعني ابراهيم اني ذاهب الي ربي سيهدين اي
مهاجرا الي ربي واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار سيهدين
الي حيث امرني بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما راي الارض
المقدسة سبل ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي
هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره
عظيم في كبره ونبه ببشارة الي انه ابن وانه يعيش وينتهي في
السن حتي يوصف بالحلم قوله تعالي فلما بلغ معه السعي قال
ابن عباس يعني المشي معه الي الجبل وعنه انه لما شب حتي

بلغ

بلغ سعيه سعي مع ابراهيم والمعني انه بلغ انه ينصرف معه ويعينه
في عمله وقيل السعي العمل لله وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث
عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بني اني اري في المنام اني
اذبحك قيل انه لم ير في منامه ان يذبحه وانما امر بذبحه وقيل
بل راي انه يعالج ذبحه ولم يرق دمه ورويا الانبياء حق اذارا و
شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي
كان امر ابراهيم بذبحه علي قولين مع اتفاق اهل الكتابين
علي انه اسحق فقال قوم هو اسحاق واليه ذهب من الصحابة
عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم
كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة
وعطا ومقاتل والزهري والسدي واختلف الرواية عن ابن
عباس فروي عنه انه اسحاق وروي انه اسماعيل وممن ذهب
الي انه اسحاق قال كانت هذه القصة بالشام سعيد بن
جبير راي ابراهيم ذبح اسحاق في المنام وهو بالشام فسار به
مسيرة شهر في غداة واحدة حتي اتي به المنحر من منى فلما امر
الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة
طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسماعيل واليه ذهب
عبد الله ابن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد
والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وروايه عطا بن ابي
رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المقدسي اسماعيل وكلا
القولين يروي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم واحتج الي
من ذهب الي ان الذبيح اسحق بقوله تعالي فبشرناه بغلام حليم
فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر
بولد سوي اسحق كما قال تعالي في سورة هود وبشرناه باسحق
نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل علي انه تعالي

اتما بشره بالنبوة لما حمل من الشدايد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان
اول اية وآخرها يدل على ان اسحاق هو الذبيح وبما ذكر ايضا من كتب
يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله
بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى
ان الذبيح هو اسمعيل بان الله ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ
من قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
دل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود
فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يامره بذبح
اسحاق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل
بالصبر دون اسحاق في قوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل
كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله
انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح
فوفاه بذلك وقال القرطبي سئل عمر بن عبد العزيز رجلا من
علماء اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه اي ابن ابراهيم امر الله
بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المومنين ان اليهود لتعلم
ذلك ويكن ليحسد ونكم يا معشر العرب ان يكون ابوكم هو الذي
امره الله بذبحه ويدعون انه اسحاق ابوهم ومن الدليل ايضا
ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسمعيل
الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير وقال الشعبي رايت قرني
الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده
لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب
الكعبة وقد وحشي بعضه ببعض وقال الاصمعي سالت ابن عمر بن
العلا عن الذبيح اسحاق كان او اسمعيل فقال يا اصمع ابن
ذهب عقلك متى كان اسحاق بمكة انما كان بمكة اسمعيل وهو
الذي بنى البيت مع ابيه ذكر الاشارة الى قصة الذبح قال العلما

بالسير

بالسير الماضيين لما دعى ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين
وبشره قال هو اذا الله ذبيح فلما ولد ويلغ معه السعي قيل له اوفي
بنذرك هذا هو السبب في امر الله اياه بالذبح فقال لاسحاق
انطلق نتقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى
ذهب ببعض الجبال فقال الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بني
اني اري في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل
افعل ما تومر وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم صلى الله عليه
وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام
فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى بلغ به
اسمعيل معه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه
من عبادة ربه وعظيم التوطينة كان قائلا يقول ان الله يامرك
بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى بنفسه اي فكر من الصباح الى
الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم
يوم التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك
من الله فسمي بذلك اليوم يوم عرفة وقيل راى ذلك ثلاث ليال
متتابعات فلما عزم على ذبحه سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن
ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني اني اري في المنام اني اذبحك فانظر ماذا
ترى اي من الراي على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في امر
قد علم انه حتم من الله وما الحكمة في ذلك قلت ثم يشاوره ليرجع
الى راية وانما شاوره ليعلم ما به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على
امر الله وعونه على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع
ويراجع نفسه ويوطنها ويلقي اليها وهو كالمستانس ويكتسي التوبة
بالانقياد لامر الله قيل نزوله فان قلت لم كان ذلك في المنام
ولم يكن في اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر
كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطية

ثم تاكد حال الامر باحوال اليقظة فاذا تظاهر الحالتان كان ذلك
اقوى في الدلالة لهذه الرؤيا الانبياء وحي وحق قال يا ابت افعل
ما تؤمر اي قال الغلام لابيه افعل ما تؤمر به قال ابن اسحاق وغيره
لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني حد الحبل والمدية وانطلق الى
هذا الشعب تحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره بما امر
الله تعالى به قال افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين
انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن
معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله
تعالى الا بتوفيق الله تعالى فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله
وذلك ان ابراهيم عليه السلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه وقد
للجبين اي صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه
على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطي كيلا
اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء
فينقص اجري وتراه امي فتحزن واسحد شفرتك واسرع مر
السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا
اتيت امي فاقرئها عليها السلام مني وان اردت ان ترد قميصي
على امي افعل فانه عسى ان يكون اسلا لها عني فقال ابراهيم
عليه السلام نعم العون انت يا بني على امر الله فتعمل ابراهيم ما امره
به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي ثم انه وضع السكين على
حلقه فلم يحد شيئا ثم انه اسحدها مرتين او ثلاثا فلم يحر ذلك
لا يستطيع ان يقطع شيئا وقيل ضرب الله صفيحة على حلقه
والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن القطع قالوا فقال الابن
عند ذلك يا ابت كبني لوجهي على جبيني فانك اذا نظرت لوجهي
رحمتني واوكنت رقة تحول بينك وبين امر الله وانا فلا انظر الى
الشفرة فاجزع منها فتعمل ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين

على قفاه فانقلبت وناديه يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروي
عن كعب وابن اسحاق عن رجاله قالوا لما راى ابراهيم ذبح ابنه
قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا ال ابراهيم لا افتن منهم
احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال
لها هل تدري اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطب
من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو
ارحم به واسد حيالة من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك
قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج
الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه
فقال له يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال يحتطب
لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ان يذبحك قال
ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به بربه فسمعا
وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد
ايها الشيخ قال لهذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى
الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه
ابراهيم عليه السلام فقال له اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين
لامر ربي فرجع ابليس بخيبة لم يصب من ابراهيم واله شيئا مما
اراد وا واعتصموا عنه بصوت الله عز وجل وروي عن ابن
عباس ان ابراهيم عليه السلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض عليه
الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم فذهب
به الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب فذهب فادركه عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب فذهب فادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله فقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اي حصل المقصود

من تلك الرويا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر
الله وكذلك الولد قال قلت كيف قيل قد صدقت الرويا وكان
قد راى الذبح ولم يذبح وانما كان تصد يقها لوحصل منه الذبح
قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده والى ما امكنه وفعل
ما بفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو اسلامهما لامر الله تعالى
وانقيادهما فلذلك قال قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين
يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى
انما كا عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان
هذا لهو البلاء المبين اي في الاختبار الظاهر حيث امتحنه بذبح
ولده وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل
ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر
ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم والى
به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرون كان هذا الكبش
يرعى في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه
ابراهيم هو الذي قربه ابن ادم قبل حق له ان يكون عظيما وقد
تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله وقيل في الثواب
وقيل لعظمه وسمنه وقيل الحسن ما فدي اسماعيل الا بتيس
من الاروى اهبطه عليه من ثبير وتركنا عليه في الاخرين
اي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده سلام على ابراهيم كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وبشرناه
باسحاق نبيا من الصالحين اي بوجود اسحاق وهذا على قول
من يقول ان الذبيح هو اسماعيل ومعناه انه بشر باسحاق
بعد هذه القصة جزاء طاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو
اسحاق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحاق ولذلك روي
عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولده وحين نبي وباركنا

عليه

عليه يعني على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق اي يكون اكثر
الانبياء من نسله ومن ذريتهما محسن اي مومن وظالم لنفسه
اي كافر مبين اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة
فضايل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل ولقد منا على موسى
وهارون اي انعمنا بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما من
يعني بني اسرايل من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من
استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق ونصرناهم
يعني موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين اي على القبط
واتيناهما الكتاب يعني التوراة المستبين اي المستبين وهدينا
الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الجنة وتركنا عليهما في
الاخرين اي الثناء الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك
نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين قوله عز وجل وان
الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو
ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال اكثر المفسرين هو نبي من
انبياء بني اسرايل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن
اسحاق هو الياس بن بشير بن فنحاص ابن العيزار بن عمران
بن هارون ذكر الاشارة الى قصته قال محمد بن اسحق
وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه
السلام عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم الفساد والشرك
ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل
اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى بني
بني اسرايل بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وكان بنو لبنة
لما فتح البلاد قسمها على بني اسرايل وان سبطا منهم حصل
في قسمته ببعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس
وعليهم يومئذ ملك اسمه اوجب وكان قد اضل قومه وجبرهم

على عبادة الاصنام وكان صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا
وله اربعة وجوه وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه
وجعلوا له اربع مائة سادن وجعلوهم ابناءه فكان الشيطان
يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها
عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم
الى عبادة الله عز وجل وهو لا يسمعون له ولا يوقنون به الا كان
من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره
ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها
على ملكه اذا غاب فغضب من رجل مومن له جنينة كان
يعيش منها فاخذها وقتله فبعث الله تعالى الياس الى الملك
وقومه وامره ان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حين قتلوه
ظلما وال على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويودا له
الجنينة الى ورثة المقتول ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم
يدعها جيفتين ملقاتين فيها ولا يمتنعان الا قليلا فاخبر الياس
فاخبر الملك بما اوحي الله اليه في امره وامر امراته والجنينة فلما
سمع ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله
ما ارى ما تدعوني اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله
فلما احس الياس بالشر ركضه وخرج هاربا عنه ورجع الملك
الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي
الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين خائفا مستخفيا
يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا
عليه العيون والله يستره عنهم فلما طال الامر على الياس
وسكن الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه فضاق بذلك
ذرعا فاوحي الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف محزون
يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست اميني

على وحبيبي وحجتي في ارضي وصفوتي في خلقي سلني اعطك فاني
ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني
بابائي فاني قد ملت بني اسرايل وملوني فاوحي الله اليه يا الياس
ما هذا باليوم الذي اعري منك الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها
بك وبامثالك وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطيك قال الياس
ان لم تمتني فاعطني فارى من بني اسرايل قال الله عز وجل واي
شيء تريد ان اعطيك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا
تمشي عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي
فانه لا يد لهما الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من
ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكن اعطيك
تارك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فاني
شيء اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل لك طعامك
وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت
فامسك الله عنهم المطر حتى هلك الماشية والهوام والشجر وجهد
الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه قد
يوضع له الرزق حيث ما كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس
اصاب بني اسرايل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها
اعندك طعام قالت لم يبق من دقيق وزيت قليل قال فدعا لهما
ودعا لهما بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملا جرابها
زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من لك هذا قالت مر بي رجل من
حالة كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه
فوجدوه فهرب منهم فاتاه اوي الى بيت امراة من بني اسرايل
ولها ابن يقال له اليسع بن اخطب به ضر فاوته واحتبت امره
لدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس
وامن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيث ما ذهب وكان الياس

قد كبر واسن واليسع غلام شاب فتراءى الله تعالى اوحى الى الياس
انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب
والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قد قال دعني اكون
انا الذي ادعوالهم وانيهم بالفرج مما هم فيه من البلا لعلهم يرجعوا
عما هم فيه وينزعوا عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجا الياس الى
بني اسرايل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت الدواب
والبهائم والطير والهوام خطايا كم وانتم على باطل فان كنتم تحبون
ان نعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون
وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فتنزعتم ودعوت الله ليفرج
عنكم ما انتم فيه من البلا فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم فدعوها
فلم يفرج عنهم ما كانوا فيه من البلا فقالوا للياس انا قد اهلكنا
فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع فالفرج فخرجت سحابة
مثل الترس على راس البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم بطبقت
الافاق ثم ارسل الله عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما
كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم به
واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك الياس ودعا ربه
عز وجل ان يقبضه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا
فاخرج الى موضع كذا فما جاك من شي فاركبه ولا تهبه فخرج
الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امره به اقبل
فرس من نار وقبل فرسه كالنار حتى وقف بين يدي الياس
فوثب عليه فانطلق به الفرس فنادا ه اليسع يا الياس ما تامرني
فقذف اليه الياس بكسايه في الجو الاعلى فكان ذلك علامة به
استخلافه اياه على بني اسرايل وكان ذلك اخر العهد به ورفع
الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والملبس وكساه
الريش وصار ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله على جب الملك عدوا

لهم

لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رصفهم فقتل اخب
وامراته ارميل في الجبينة التي اغتصبتها امراة الملك من هودكه
المومن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجبينة حتى بليت لحومهما
وسمت عظامهما ونبي الله اليسع وبعثه رسولا الى اسرايل واوحى
الله اليه وايده فامنت به بنو اسرايل واوحى الله اليه وعلمه وكان
يعظمونه وحكم الله فيهم فابوا الا ان فارقهم اليسع روي السدي
عن يحيى بن عبد العزيز عن ابي داود قال الياس والخضر يصومان
رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان
الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان
الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا تعبدون
اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم
بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن وتذرون اي وتتركون
عبادة احسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم ورب اباييكم الاولين
تكذبوه فانهم لمحضرون اي في النا ر الا عباد الله المخلصين اي
من قومه الذين امنوا به فانهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الاخرين
سلام على الياسين قرى ال ياسين بالقطع قيل اراد ال محمد وقيل
القران لان بياسين من اسما القران وفيه بعد وقرى الياسين
بالوصل معناه الياس وانباعه من المومنين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب ثم دمرنا
اي اهلكنا الاخرين وانكم اي يا اهل مكة لتمرون عليهم اي على اثارهم
ومنازلهم مصبحين اي وقت الصباح وبالليل اي وبالليل في اسفاركم
افلا تعقلون اي فتعتبرون بهم قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين
اي من جملة رسل الله اذ ابق اي هرب الى الفلك المشحون اي المملو
قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه فتاخر عنهم فخرج

كالستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة
فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت
على يونس فاقترعوا ثلاثا فقع على يونس فقال انا الابق وزج
نفسه في الماء قيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له
فجاء مركب فاراد ليركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال
الموج بينه وبين المركب وذهب المركب موجة اخرى فاخذت
ابنه الاكبر فركبت وجاذبت فاخذ الابن الاصغر فبقي فريدا فجاء مركب
اخر فتركبه وقصد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت
فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم تحصل وقوف السفينة ملتزاه
من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نعرفه
فلان يعرف واحد حيز من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس
وذلك قوله تعالى فساهم اي فقارع فكان من المدحضين يعني من
المقرعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبيا
فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فلولا انه
كان من المسبحين اي الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال
ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت
له صلوة في بطن الحوت قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم
في الشدة قال يونس كان عبدا صالحا ذاكرا الله فلما وقع في الشدة
في بطن الحوت تذكر الله ذلك قال الله تعالى فلولا انه كان من
المسبحين للبث في بطنه الا يوم يبعثون وقيل انه كان يسبح
في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون اي لصار بطن الحوت قبره الى
يوم القيامة قوله تعالى فنبذناه اي طرحناه انما اضافه
النبذ الى نفسه وانما كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد
مخلوقة لله تعالى بالعراء اي بالارض الخالية عن الشجر

والنبات

والنبات وقيل بالساحل وهو سقيم اي عليل كالفرخ الممعط وقيل
كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة وقيل انه لبث في بطن
الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين
وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا عليه شجرة من يقطين
يعني القرع وقيل كان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض
كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله له ولم تكن
قبل ذلك وكانت ممرسة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فايدة
وهو ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بذلك
الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يكن ان يستظل بها
قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى
اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فقام يوما ثم استيقظ وقد يبست
الشجرة واهتم لها حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي له
فاوحى الله اليه جبريل وقال لتحزن على شجرة ولا تحزن على
مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا وارسلناه الى مائة الف
قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه
ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه الى مائة الف فلما خرج من بطن
الحوت امر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه
من بطن الحوت وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم اخرين
غير القوم الاولين او يزيدون قال ابن عباس معناه ويزيدون
وقيل معناه بل يزيدون وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون
في تقدير الرائي اذا رآهم قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على
ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس
الاول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا يعضده
ما روي عن ابي بن كعب قال سئلت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال

يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا فامنوا
بنبي الذي ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فمتعناهم الى
حين اي الى انقضاء اجالهم قوله عز وجل فاستفتهم اي فسل
يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ الربك البنات ولهم البنون وذلك
ان جهينة وبني سلمة من عبد الدار زعموا ان الملايكة بنات
الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب
كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق
فكيف ينسبونه للخالق ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون
اي حاضرون خلقنا اياهم الا انهم من افكهم من كذبهم ليقولون
ولد الله اي في زعمهم وانهم لكاذبون اي فيما زعموا اصطفى
البنات اي في زعمهم على البنين وهو استفهام توبيخ وتقريع
مالكم كيف تحكمون اي بالبنات ولكم البنين افلا تذكرون انجب افلا
تشطرون ام لكم سلطان مبين اي برهان بين علي ان لله
ولدا فاتوا بكتابكم اي الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين اي
في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قيل اراد بالجنة الملايكة
سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس مي من الملايكة
يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا عمر بنات الله فقال لهم ابو
بكر الصديق فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى
النسب انهم اشركوا الشياطين في عبادة الله وقيل قولهم الزنادقة
الذين يقولون الخير من الله والشر من الشيطان ولقد علمت
الجنة انهم اي قايل هذا القول لمحضرون في النار سبحان
الله عما يصفون تره نفسه مما يقولون الا عباد الله المخلصين هذا
استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون فانكم يا اهل مكة
وما تعبدون اي من الاصنام ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين

اي بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم اي الا من سبق في
علم الله الشقاوة انه سيدخل النار وقوله عز وجل اخبار
عن حال الملايكة وما منا الا له مقام معلوم يعني قال جبريل للنبي
صلى الله عليه وسلم وما ننا ممتشر الملايكة الا له مقام معلوم يعبد
ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه
ملك يصلي ويسبح وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه
الترمذي وهو من طرق حديث قيل الاطط اصوات الابل
وقيل اصوات الاقتاب وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من
الملايكة قد اقتلها حتى اطت وهذا مثل وايمان بكثرة الملايكة
وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم في العبادة
والشهادة وقيل بعبد الله علي مقامات مختلفة كالخوف والرجا
والمحبة والرضا وانا لنحن الصافون يعني الملايكة صفوا اقدامهم
في عبادة الله كصفوف الناس للصلاة في الارض وانا لنحن المسبحون
اي المصلون لله وقيل المنزهون الله من كل سوء يخبر جبريل
صلى الله عليه وسلم وانهم ليعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح
وانهم ليسوا المعبودين كما زعم الكفار قوله عز وجل وان
كانوا ليقولون يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه
وسلم لو ان عندنا ذكرا من الاولين يعني كتابا مثل كتاب
الاولين لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله
فكفروا به اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون نبه
تهديد لهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم انهم لهم
المنصورون اي بالحجة البالغة وان جندنا اي حزبنا المومنين

لهم الثالوث اي لهم النصرة في الدنيا فقول اي اعرض عنهم حتى
حين قال ابن عباس يعني الموت وقيل الي يوم بدر وقيل حتى امرك
بالقتال وهذه الاية منسوخة بآية القتال وقيل الي ان يأتيهم
العذاب فابصرهم اي اذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون
اي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل لنبيه
يستعجلون فاذا نزل بفنا العذاب بساحتهم اي بحضرتهم
وقيل بفنائهم وبمتوافسا صباح المنذرين يعني فبئس صباح
الكافرين الذين انذروا عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت
خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث
مرات فتكرر ذكر ما تقدم تاكيد الوعد العذاب فقال تعالى
وتول عنهم حتى وقيل المراد من الاية الاولى احوالهم
في الدنيا وهذه ذكر احوالهم في الاخرة فعلى هذا القول يزول
التكرار وابصر اي العذاب اذا نزل بهم فسوف يبصرون ثم
نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب العزة اي العلية
والقدرة وفيه اشارة الي كمال القدرة وانه لقادر على
جميع الحوادث عما يصفون عن اتخاذ الشركاء والاولاد وسلام
على المرسلين اي الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرايع
لان اعلا مراتب البشر ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره
وهم الانبياء عليهم السلام فلا جرم يجب على كل احد الاقتداء
بهداهم والحمد لله رب العالمين اي على هلاك الاعداء ونصرة
الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المومنين ان يقولوه ولا يجاوزوا
به ولا يعملوا عنه لما روي عن علي ابن ابي طالب قال من احب
ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه
اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام

على

على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم بمراده

تفسير سورة ص وتسمى ايضا سورة داود

وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون اية وسبعمائة واثنان
وثلاثون كلمة وثلاثة الاف وسبع وسبعون حرفا بسم
الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص قيل هو قسم وقيل اسم للسورة
وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه
صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
ذي الذكر قال ابن عباس اي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو
قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله تعالى
بالقرآن ان محمدا الصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره
والقرآن ذي الذكر ما الامر كما يقول الكفار دل على هذا المحذوف
قوله تعالى بل الذين كفروا قيل بل الذين كفروا موضع القسم
وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين كفروا في عزة
وشقاق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب
الرسل وقيل جوابه ان هذا لرد قضا وقيل ان ذلك لحق تخاصم
اهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب
اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي الاخر ومجاز
الاية ان الله تعالى اقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من
اهل مكة في عزة اي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اي
خلاف وعداوة بمحمد صلى الله عليه وسلم كم اهلكنا من قبلهم
من قرن يعني من الامم الخالية فنادوا اي استغاثوا عند
نزول العذاب وحصول النقمة ولات حين مناص اي ليس حين
فرار وتاخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا
في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم
فلما نزل العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى ولات حين

امناص امولبيس حين هذا القول وعجبوا اي كما وعكة ان جاء
منذر منهم يعني رسولا من انفسهم ينذرهم فقال الكافرون
هذا ساحر كذاب قوله عز وجل اجعل الالهة الها واحدا وذلك
ان عمر بن الخطاب اسلم فشق ذلك على ابي قريش وفرح به المومنون
فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف
وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة
امشوا الى ابي طالب فاتوا الى ابي طالب وقولوا انت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هولا السفها وانما اتيناك لتقضي بيننا وبين
ابن اخيك فارسل اليه ابو طالب فدعاه فلما اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي هولا قومك يسلونك السو
فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وماذا يسلونني قالوا ارفض الهتنا ويدعك والهك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتعطونني كلمة واحدة تملكون بها
العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها
وعشرة امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا
لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا
انا لعجيب يسمع الخلق اله واحد ان هذا لشي عجاب اي عجيب
وانطلق الملا منهم اي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي
طالب ان امشوا اي يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا
على الهتكم اي اثبتوا على عبادة الهتكم ان هذا لشي يراد
اي لامر يراد وذلك ان عمر بن الخطاب لما اسلم وحمل مسلمين
قوته بمكانه قالوا هذا الذي نراه زيادة اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم لشي يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد
صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا ما سمعنا بهذا اي بالذي
يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد في الملة الاخرة قال

ابن

ابن عباس يعنون النصرانية لانها اخر الملل وانهم لا يوحدون
بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهو دينهم
الذي هم عليه ان هذا الا اختلاق اي كذب وافتعال انزل
عليه الذكر اي القرآن من بيننا اي يقول اهل مكة ليس هو
بأكبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى بل هم في شك من ذكري
اي وحيي وما انزلت بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه لما قالوا
هذا القول ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني مما تيح النبوة
يضعونها من شاء العزيز في ملكه الوهاب الذي وهب النبوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم ام لهم ملك السموات والارض وما
بينهما اي ليس لهم ذلك فليرتقوا في الاسباب يعني ان ادعوا
شيئا من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السما
اوليأتوا منها بالوحي الى من يختارون واراد وقيل اراد بالاسباب
الاسباب ابواب السما وطرقها من سما الى سما وهذا امر توبيخ
وتعجيز جند ما هنالك اي هولا الذين يقولون هذا القول جند
ما هنالك مهزوم اي مغلوب من الاحزاب يعني ان قريشا
من جملة الاجناد الذين تحزبوا وتحزبوا على الانبيا بالتكذيب
فقهروا واهلكوا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين في تاويلها يوم بدر وهنا
اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال الله عز وجل معزيا لنبيه
صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد قال ابن عباس ذو البنا المحكم وقيل ذو الملك به
السند يد الثابت والعرب تقول لعمر في عز ثابت الاوتاد يريدون
بذلك انه دايم قال الاسود بن يعفر التميمي

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ٥ في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو القوة واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل

لك

ذوالقوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس ذكر الجنود والجنود الكثيرة يعني انهم يتعاونون امره ويشد دون ملكه كما يتعاون الوتد الشيء وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت لها اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد يشد منه كل طرف الى وتد بنركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كان له اوتاد واربطة وملاعب يلعب عليها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب الذين تحزبوا على الانبيا فاعلم الله ان مشركي قريش حزب من اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب يعني ان لوليك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا الرسل وجب عليهم العذاب فكيف هولا الضعفا المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الاية زجر وتخويف للسامعين وما ينظر هولا اي ينتظر كفار مكة الا صيحة واحدة مالها من فواق اي رجوع يه والمعنى تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قال النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي احصرت كل شيء قبل لما ينزل في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قال استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقيل قطنا اي حسابنا يقال للكتاب الحساب قط وقيل القط بالكتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون اي على ما يقول الكفار من تكذيبك واذكر عبدنا داود ذا الايد قال ابن عباس ذوالقوة في العبادة ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم ان احب الصيام الى الله صيام داود واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذوالقوة في الملك انه اواب اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله وقيل مسبح بلغة الحبشة انا سخرنا الجبال معه يسبحن اي يسبحه اذا سبح يه بالعشي والاشراق اي عدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويبتاها ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت امر بهذه الاية لا ادري ما هي حتى حدثتني امرهاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا امرهاني ان هذه صلاة الاشراق قلت والذي اخرجاه في الصحيحين من حديث امرهاني في صلاة الضحى قالت امرهاني ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قالت انا امرهاني بنت ابي طالب فقال مرحبا بامرهاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا في ثوب قالت امرهاني وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ما حدثنا احد بانه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير امرهاني فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم ار صلاة قط اخف غير انه يتم السجود والركوع قوله عز وجل والطير اي وسخر له الطير محشورة اي مجموعة اليه تسبح معه كل له اواب اي رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه وشددنا ملكه اي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض

سلطانا كان يجلس بمحرابه كل ليلة سنة وثلاثون الف رجل روي
عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرايل استدعى علي رجل من
عظمايهم عند داود فقال ان هذا غصبني بقرا فسأله داود فجحده
فسأل الاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر
في امركما فاوحى الله الي داود في منامه ان يقتل الذي استدعى اليه
فقال هذه رويا ولست اعجل عليه حتى اثبت فاوحى الله اليه مرة
اخرى فلم يفعل فاوحى الله اليه الثالثة ان يقتله او ثالثة العقوبة
فارسل اليه داود فقال اوحى الله الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير
بينة فقال داود ونعم والله لانفذن امر الله فيك قيل فلما عرف الرجل انه
قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما احدثت هذا الذنب ولكني
كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك احدث فامر به داود فقتله
فاشتد هيبة بني اسرايل عند ذلك قوله تعالى وشددنا ملكه و
واتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامور وفصل الخطاب قال
ابن عباس من بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والبصر بالقضا
وقال علي ابن ابي طالب هو ان البينة علي المدعي واليمين علي من
انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال ابي بن كعب فصل
الخطاب الشهود والايمان وقيل فصل الخطاب هو قول الانسان
بعد حمد الله والثنا عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام اخر
واول من قاله داود عليه السلام وهل اتاك اي وقد اتاك يا محمد
نبؤا الخصم اي خبر الخصم فاستمع له ولا تقضه عليك وقيل ظاهره
الاستفهام ومعناه الدلالة علي انه من الاخبار العجيبة والتشويق
الي استماع كلام الخصمان يقع علي الواحد والجمع اذ هم سوروا المحراب
اي صعدوا وعلوا المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه داود
ويتنقل فيه بالطاعة والعبادة والمعني انهما اتوا المحراب من سوره
وهو اعلاه وفي الاية قصة امتحان داود عليه السلام واختلف

العلما

العلما باخبار الانبيا في سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه
بفصل فيه تنزيهة داود عما لا يليق بمنصبه لان منصب النبوة اشرف
المناصب واعلاها فلا يليق بها الا ما يليق بها فاما ما قاله المفسرون
ان داود عليه السلام قسم دهره اربعة ايام منزلة ابائه ابراهيم واسحاق
ويعقوب وذلك انه قد كان اقسم الدهر ثلاثة ايام يقضي فيه بين
الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لنسايه واشغاله وكان
يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال
يارب ارني الخير كله قد ذهب به اباي الذين كانوا قبلي فاوحى
الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي ابراهيم
بنمرود وذبح ابنه وابتلي اسحاق بالذبح وذهب بصره وابتلي يعقوب
بالحزن علي يوسف فقال داود رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت
ايضا فاوحى الله اليه انك مبتلي في شهر كذا في يوم كذا فاحترس
فلما كان في اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه
وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جا الشيطان وقد تمثل
له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن
وجنا حاها من الدر والياقوت والزبرجد فوقعت بين رجليه
فاعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرايل ينظروا
الي قدرة الله تعالي فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من
غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت عنه
فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة
فنظر داود اين تقع فتبعت من يصيدها له فابصر امراة في
بستان علي شفا بركة وقيل راها تغتسل علي سطح لها فراي
امراة من اجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وجلنت
النعامة فابصر ظله فنفضت شعرها فغطي بدنها فزاده ذلك
اعجابا فسأل عنها فقيل هي تسابع بنت تسابع امراة اوريا بن

حنانا وزوجها في غزاة بالبلقا مع ايوب بن صوريا بن اخت داود
فكتب داود الي ابن اخته ان يبعث اوريا الي موضع كذا وقدمه
قبل التابوت وكان من قدم للتابوت لايحل له ان يرجع الي
داره حتي يفتح الله علي يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب
الي داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الي عدو كذا وكذا استشهد
منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المراة
تزوجها داود فهي ام سليمان عليه السلام وقيل ان داود واعد
ان يقتل اوريا فيتزوج امراته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود
كان ذنب داود ان التمس من الرجل ان ينزل له عن امراته وقيل
كان ذلك مباحا لهم غير ان الله لم يرض لداود ذلك لانه رغبة
في الدنيا وازدهادا من النساء وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من
غيرها وقيل في سبب امتحان داود اياه فجزا الدهر اجزا
يوما لنسائه ويوما لبني اسرائيل ويوما للعبادة ويوما يذاكرهم
فيه ويذاكرونه ويذاكرهم ويكيهم ويكونه فلما كان يوم
بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يابى علي الانسان يوما لايعيب
فيه دينا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم
ذكروا فتنة النساء فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلي اعتصم
فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وامر ان لايدخل عليه
احد وكان علي قرابة الف فرس فبينما هو يصلي اذ دخلت حمامة
وذكر نحوما تقدم فلما دخل بالمراة لم يلبث الا يسيرا حتي بعث
الله الملكين اليه وقيل ان داود مازال يجتهد في العبادة حتي
برزله حافظاه من الملايكة فكانوا يصلون معه فلما استانس
بهم قال اخبروني باي شيء انتم موكلون قالوا لانكتب صالح عملك
ويوفقك ويصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري كيف
اكون لو خلوت بنفسي وتمني ذلك ليعلم كيف يكون فاوحي الله

الملكين يعني ليعلم انه لااعتني به عن الله فلما تقدم جد واجتهد
في العبادة الي ان ظن انه غلب نفسه فاراد الله تعالي ان يعرفه
ضعفه فارسل طايرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل
قال داود لبني اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل
انه اعجبه عمله فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين وذلك في
يوم عبادته فظنا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا
عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسين وهو يصلي
يقال كان جبريل وميكاييل وذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبا
الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا علي داود ففزع منهم
اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما ما
ما ادخلكما علي قالوا لاتخف خصمان اي نحن خصمان بغي
بعضنا علي بعض اي تعدي وخرج عن الحد جيناك لتقضي
بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغي منهما
والملايكة لايبغي بعضهم علي بعض قلت هذا من معاريض
الكلام لاعلي تحقيق البغي من احدهما والمعنى راينا خصمين
بغي احدهما علي الاخر فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط اي لاتجر
في حكمك واهدنا الي سواء الصراط ارشدنا الي طريق الحق
والصواب فقال لها داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي علي
ديني وطريقتي لامن جهة النسب له تسع وتسعون نعجة
يعني امراة ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة والعرب تكني
بالنعجة عن المراة وهذا علي سبيل التعريض للتنبيه والتفهم
لانه لم يكن هناك نعاج ولابغي فقال اكفلنيها قال ابن عباس
اعطنيها وقيل معناه انزل عنها وضمها الي واجعلني كافلها
والمعنى طلقها لاتزوجها وعزني في الخطاب يعني غلبني وقهرني
في القول لانه افصح مني في الكلام وان حاربت كان ابطش مني

لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على الضعفى في بيده وان
كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا في نزوج امراة
التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولا
لاوريا واحده فضمها داود الي نسايه قال داود لقد ظلمك
بسوال نعجتك الي نعاجه اي بضمها الي نعاجه قال قلت
كيف يقول داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الاخر قلت
معناه ان كان الامر كما تقول لقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد
اعتراف صاحبه بما يقول وان كثيرا من الخلطا اي الشركا لبغي
بعضهم على بعض اي يظلم بعضهم بعضا الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم اي هم قليل
وحاصل المعنى ان الصالحين الذين يظلمون قليل قال فبغى
داود بينهما نظر احدهما الي صاحبه وضحك وصعد الي السما
فعلم داود ان الله ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن داود انما
فتنّاه اي ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس
ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا في
صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود
انه انما عني به وروي المغوي باسناد الثعلبي عن انس بن
مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
داود النبي عليه السلام حين نظر الي امراة قهرمانه تقطع
على بني اسرايل فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو
فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان
يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل
او ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المراة ونزل الملكان بعقبان
عليه فصعدته فتغطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا
حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من

جبهته

273

جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود ازلة ابعد ما بين
المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر له جعلت
ذنبه حديثا في الخلوف من بعده فاجبريل من بعد اربعين
ليلة فقال يا داود ان الله قد سمع بكاءك وانه قد غفر لك
الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لي
الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف به
بفلان ادلجا يوما لقيامة فقال رب دم الذي عند داود فقال
جبريل ما سالت ربك عن ذلك وان شيت لافعلن قال نعم
فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله ثم نزل جبريل فقال سالت
الله يا داود عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما
يوم القيمة فيقول له رب هب لي دمك الذي عند داود ويقول
مولك يا رب فيقول له الرب فان لك في الجنة ما شيت واشتهيت
عوضا فهذه اقاويل السلف من اهل التفسير في قصة امتحان
داود فصل في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وما
ينسب اليه اعلم ان من عصمه الله بنبوته واكرمه برسالته
وشرفه على كثير من خلقه وايمنه على وحيه واسطة بينه
وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب الي احاد الناس
لاستنكف منه وتحدث عنه فكيف يجوز ان ينسب الي بعض
اعلام الانبيا والصفوة الامنا ذلك روي سعيد بن المسيب
والحرث الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم به
بحد بث ما بة رويته فاضربوه حد ثه ما بة وستين جلدة
وهو حد الفرية على الانبيا وقال القاضي عياض ابي لاجب
ان يلتفت الي ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شي
من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه في

قصة داود وظن داود انما فتناه وليس في قصة داود وريا
خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان
يعول عليه من امر داود عليه السلام قال الامام فخر الدين
حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى
الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن به
بداود هذا وقال غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه
القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة
فكيف يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من
بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت في مدح
شخص كيف يجري ذمه في اثنائه حكى والله تعالى منزه عن
مثل هذا في كلامه القديم قال قلت في الاية ما يدل على
صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه
وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك ان
مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق
والاوصاف واثنى عليهم فاذا انزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم
الله على ذلك وغمرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
قال قلت على هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان في
الاية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في
هذه القصة الى ان داود عليه السلام ما زاد ان قال للرجل
انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فماثله الله على ذلك وبخه
عليه فانكر عليه سفله بالدنيا وقيل ان داود تمنى لو ان
امرأة اوريا له فانفق غزو اوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ
داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج
امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت
فهي عظيمة عند الله وقيل ان اوريا كان خطب تلك المرأة

ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت
منه لجلالته فاعتد لذلك اوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم
يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة
ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا
على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج
اوريا لها فعوتب بتسبيبه احدهما خطبته على خطبة اخيه
الثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسايه وقيل ان
ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب اوريا والمرأة
وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام
الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان
هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة
تشبثت بهذه الوجوه تنزاهة داود صلى الله عليه وسلم عما نسبه
اليه والله اعلم فاستغفر ربه اي سال ربه الغفران وخر راكعا
اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه
انحنا وقيل معناه خر ساجدا بعد ما كان راكعا فصل
اختلف العلما في سجدة ص هل هي من عزايم السجود فذهب
الشافعي الى انها ليست من عزايم سجود التلاوة وقال
ابو حنيفة هي من عزايم سجود التلاوة واستدل بهذه الاية
على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة وعن احمد
في سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم
سجد فيها ح عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من عزايم
السجود وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها ح قال
مجاهد قلت لابن عباس اسجد في ص فقرا ومن ذريته داود
وسليمان حتى اتى بهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر ان يقتدي

فسجد هاداود فسجد هارسول الله صلي الله عليه وسلم وللساي
عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم سجد في ص وقال
سجد هاداود توبة فنسجدها شكرا عن ابي سعيد الخدري
قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم سورة ص وهو علي المنبر
فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان في يوم
اخر قراها فلما بلغ السجدة تشزف الناس للسجود فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رايتكم تشوفتم
فنزل وسجد وسجدوا اخرجه ابوداود وقوله تشوف بفتح اي
تهيا واستعد والسجود عن ابن عباس قال جا رجل الي النبي
صلي الله عليه وسلم فقال يارسول الله رايتني الليلة وانا نايم
فاكاني اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي
فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا
واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك
داود قال ابن عباس فسمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
قرا السجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة
اخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود اربعين يوما
لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود
ساجدا تمام اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت
العشب حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسال التوبة
وكان من دعايه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي
الخلق بما يشا سبحان خالق النور سبحان الحايل بين القلوب
سبحان خالق النور الهي حلت بيني وبين عدوي ابليس
فلم اقم لغشته اذ تزلت بي سبحان خالق النور الهي انت خلقتني
وكان في سابق علمك ما انا اليه صاير سبحان خالق النور
الهي الويل لداود فاكتفى عنه الغطا يقال يوم يكشف عنه الغطا

هذا

هذا داود الخاطي سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم
القيامة ويوم ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق
النور الهي باي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل اقدام
الخاطيين سبحان خالق النور الهي من اين يطلب للعبد المغفرة
الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي اني لا اطيق
شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي اني
لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق
النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصابه سبحان
خالق النور الهي كيف يستر الخاطيون خطاياهم دونك وانت
تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري
وعلانيتي فاقبل عذري سبحان خالق النور الهي اغفر
لي ذنوبي فلا تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق
النور الهي اعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوب النبي او بتني
سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت
بخطيتي فلا تجعلني من القانطين ولا تحرقني يوم يبعثون سبحان
خالق النور قيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع راسه حتى
نبت المرعي من دموع عينيه حتى غطى راسه فنودي يا داود
اجايع انت فنطعمك اظمان انت فنسقيك اعار انت فنكسيك مظلوم
انت فننصرك فاجيب من غير ما طلبه ولم يجب في ذل خطيئته
شيء فنحن نحبه هاج ما حوله من العشب واحترق من
حر جوفه فما تزال الله له بالتوبة والمغفرة قال وهب
ان داود اتاه نداء اني قد غفرت لك قال يارب كيف وانت
لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا اسمعه
بذاك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح
حتى جلس عند قبره فنادى يا اوريا فقال من هذا الذي

قطع علي لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاءك يا نبي الله
قال اسبك ان تحملني في حل مما كان مني اليك قال وما كان
منك قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى
الله اليه يا داود الم تعلم اني احكم عدل لا اقضي بالنقمة الا
اعلمته انك قد تزوجت امراته قال فرجع فناداه فاجابه
فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال انا داود قال يا نبي
الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لم
لمكان امرائك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة
اخرى فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل يحثو
التراب على راسه وينادي الويل لداود مرة الويل الطويل
لداود سبحان خالق النور الويل لداود اذا نصبت الموازين
بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود مرة الويل الطويل
لداود حتى يوحد بذلته فيدفع المظلوم سبحان خالق
النور الويل لداود حتى يسحب على وجهه مع الخاطئين
الى النار سبحان خالق النور فاتاه من السماء يا داود
قد عفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واصبحت ذنوبك واقلت
عثرتك قال يا رب وكيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود
اعطيه بدل جنته من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه
فاقول له رضي عبدي فيقول يا رب من اين لي هذا ولم
يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك
منه فيهبك لي قال يا رب الان قد غفرت انك قد غفرت
لي منذ ذكر قوله تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب اي
رجع فغفرنا له ذلك اي الذنب وان له عندنا اي يوم
القيامة بعد المغفرة لزلفى اي لقربى ولمكانة وحسن مآب
اي حسن مرجع ومنقلب قال وهب من منبه ان داود لما

قام

تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرفى دمعه ليلا
ولا نهارا وكانت اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر
بعد الخطيئة على اربعة اجزاء يوما للقضاء بين بني اسرائيل ويوما
لنسائه ويوم يسبح في الجبال والغياض والساحل ويوم يخلو
في داره فيها اربعة الاف محراب فتجتمع اليه الرهبان فينوح
معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته
خرج الى الغياض ويرفع صوته بالمزامير فتبكي معه الشجر
والرمال والطير والوحوش حتى تسيل من دموعهم سيل الانهار
ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته فيبكي فتبكي معه الجبال والحجارة
والطير والدواب حتى فيسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى
الساحل فيرفع صوته فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر
وطيره فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه
يحضر من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط
فيها ثلاث فرش من مسوح وحشية ليف فيجلس عليها ويجلس
عليها اربعة الاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي
فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنواح
على نفسه ويرفع الرهبان منه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى
تغرق الفرش في دموعه ويقع داود فيها مثل العرم يضطرب
فيجيء اليه سليمان فيأخذه ويحمله ويأخذ داود من تلك
الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول رب اغفر ما ترى
فلو عدل بكاء داود ببكاء اهل الدنيا لعدله وقال الاوزاعي
مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عبيتي
داود كمثل الفرشتين يتغطان دما ولو خدت الدموع في وجهه
لخدين لما في الارض وقال وهب لما تاب الله على داود
قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر

منها وللخاطئين الى يوم القيامة فقال فوسم الله خطيئته في
يده اليمنى فمارفع لها طعاما ولاشرابا الا بكا اذا راها وما قام خطيبا
في الناس الا وسط راحته فاستنقيل بها الناس ليروا وسم
الخطيئة وكان بيد اذا دعا استغفر للخاطئين قبل نفسي
وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول
تعالوا الي داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع
عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته فلا يزال يبكي
عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد
فيأكل ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود قبل الخطيئة
يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته
ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود
اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يتيدها الا الاسراء اي
اذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تسمع
الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته وقيل انها
قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي لتدبر امر الناس
بامرنا فاحكم فيهم فاحكم بين الناس بالحق اي به بالعدل ولا
تتبع الهوى اي لا تعمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله فيضلك عن
سبيل الله اي دين الله وطريقه ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بان تركوا الايمان
بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل
في القضا قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا
قال ابن عباس لا للثواب ولا للعقاب وقيل معناه وما خلقناهما
عبثا لا لشي ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا
انهما خلقا لغير شي وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا من

النار

النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
قيل ان كفار قريش قالوا للمومنين انا نعطى في الاخرة من الخير
ما نعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين يعني الذين اتقوا
الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالفجار يعني الكفار
والمعنى لا نجعل العريقين سواء في الاخرة كتاب انزلناه اليك اي
هذا كتاب يعني القرآن انزلناه اليك مبارك اي كثير خيره ونفعه
ليدبروا اياته اي يتدبروا ويتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه
اللطيفة وقيل تدبر اياته اتباعه في اوامره ونواهيه وليتذكر
اي وليتعظ اولوا الالباب اي ذوا العقول والبصائر قوله عز وجل
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد قيل ان سليمان غزى اهل دمشق ونصيبين
فاصاب منهم الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت
خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان الصلاة الاولى التي هي
الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها
شيا بعد شي فشغله لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته
الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي
فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله سبحانه
وتعالى وطلبا لمرضاته حيث استغل بها عن طاعته وكان ذلك
مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس والذي
في ايدي الناس من الخيل يقال انها من نسل تلك المائة
فلما عقرها ابدله الله بخير منها واسرع وهي الريح تجري بامره
كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد
قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم واقامت الرابعة على طرف
الحافر من رجل او يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من
سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوا مقعده من النار اي

فيام الجياد اي الخيار السراع في الجري واحدة جواد قال ابن عباس
يريد الخيل السوابق فقال اني احببت حب الخير اي اثرت
حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود في نواصيها
الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي
عرضت عليه عن ذكر ربي يعني صلاة العصر حتى توارت اي
سترت الشمس بالحجاب اي ما يحجبها عن الابصار يقال ان الجياد
جبل دون قاف بمسيرة سنة لغرب الشمس من ورايه ردوها
علي اي ردوا الخيل علي فطفق مسحا بالسوق جمع ساق
والاعناق اي جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا
قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبي
الله سليمان لم يكن ليقدم علي ما حرم ولم يكن يتوب عن
ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل اذ كان
ذلك اسفا علي ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها
وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى
وكوا سوقها واعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي معنى قوله
ردوها علي يقول بامر الله للملايكة الموكلين بالشمس تردوها
عليه فصلي العصر في وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير
الحق المطابق لالفاظ القران ان نقول ان رباط الخيل كان
مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان
عليه السلام احتاج الي غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر
باجرايها وذكر اني لاحبها لاجل الدين وبسبب النفس وانما
احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد من قوله عن
ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدايها وجريها حتى توارت
بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر برد الخيل عليه وهو قوله
ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والقوم

من

من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم
الاعوان في دفع العدو الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط
السياسة والملك يبلغ الي انه يباشر الامور بنفسه الثالث
انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان
يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل
علي المرض فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق عليه لفظ القران
ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحذورات والعجب من الناس
كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا
الاية بتلك الوجوه فما قولك فيه نقول ها هنا مقامات المقام
الاول ان ندعي ان لفظ الاية لا يدل علي شيء من تلك الوجوه
الذي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا
يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الاية يدل
عليه الا انه كلام ذكره الناس وان الدلايل الكثيرة قد قامت علي
عصمة الانبيا ولم يدل دليل علي صحة هذه الحكايات قوله
عز وجل ولقد فتنا سليمان اي اختبرناه وابتليناه بسلب
ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان
بمدينة في جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون وبها ملك
عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان
الله تعالي اعطي سليمان في ملكه سلطانا ولا يمتنع عليه شيء في بر
ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الي تلك المدينة تحمله الريح علي
ظهر الماء حتي نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها
واستباح ما فيها واصاب فيها بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة ولم
ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الي الاسلام
فاسلمت علي جفا منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيئا من
نسايه وكانت علي منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقي دمعها

فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذي لا يذهب
والدمع الذي لا يرقى قالت ايه اذكره واذكر ملكه وما كان فيه
وما اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله به
ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه وهلك
الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته
اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا
صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشية لرجوت ان
يذهب ذلك حزني وان يسلي عني بعض ما اجد في نفسي فامر
سليمان الشياطين فقال صوروا لها صورة مثل دارها حتى
لا تنكر منه شيا ممثلوه لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه
لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه
التي كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه
في ولايدها فتسجد له ويسجدون له كما كانت تصنع في ملكه
وتروح كل عشية مثل ذلك وسليمان لا يعلم شيء من ذلك اربعين
صباحا وبلغ ذلك اصف بن برخيا وكان صديقا وكان
لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شيء من بيوته
دخل حاضرا سليمان او غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبرت سني
ورق عظمي ونقص عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت
ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبيا الله واثني
عليهم بعلمي فيهم وعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير
امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا به
فذكر من مضى من انبيا الله واثنى على كل نبي بما فيه وذكر
ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كانت احكمك
في صغرك واورعك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم
امرك في صغرك وابعدك من كل ما يكره الله في صغرك ثم

انصرف

279

ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملا غضبا
فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا اصف ذكرت من مضى
من انبيا الله تعالى فما شئت عليهم الا خيرا في كل زمانهم وعلى
كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري
وبسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت
في آخر عمري فقال اصف ان عبد الله يعبد في دارك منذ اربعين
صباحا في هوى امراة فقال سليمان في داري قال في دارك
قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي
قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك
الصنم وعابت تلك المراة وولايدها ثم امر بثياب الطهرة فاوتي
بها وهي ثياب لا يمسها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا
يغسلها الا الابكار ولا يمسها بيد امراة قد رات الدم فلبسها
ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد فغرش له ثم
اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك
فيه بثيابه تذللا لله وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما
كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى
داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل الخلا
او اراد اصابة امراة من نسايه وضع خاتمه عند ها حتى
يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه
فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه
صخر المارد في صورة سليمان لا ينكر منه شيا فقال خاتمي
يا امينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس
على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس
وخرج سليمان واتى الامينة وقد تغيرت وهيئته عند كل من
راه فقال يا امينة خاتمي قالت من انت قال سليمان بن

داود فقالت كذبت قد جا سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على
سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف
على الدار من دور بني اسرايل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون
عليه التراب ويقولون انظر الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه
سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان ه
لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى
باع احدى سمكتيه بارغفة وبشوي الاخرى فيأكلها فمكث على
ذلك اربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان امين
وعظما بني اسرايل انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة ه
فقال اصف يا معشر بني اسرايل هل رابكم من اختلاف حكم ابن داود
ما رابنا قالوا نعم فقال امهلوني حتى اتحلل على نسايه فاسالهن
هل انكرن في خاصة امره ما انكرنا في عامة الناس وعلانيته
فدخل على نسايه فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود
ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل
من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان
الله ليسلط الشيطان على نسائيه عليه السلام قال وهب
ثم ان اصف خرج على بني اسرايل فقال ما في الخاصة اشد
مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن
مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها
بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى
اعطاه سمكتيه فباع سليمان احدهما بارغفة ونقر بطن الاخرى
ليبتاعها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في
يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس
عليه وعرف الذي كان قد دخل عليه ما كان احدث في داره
فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان

يأتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتي به فادخله في جوف صخرة
وسد عليه بالاخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به ه
فقذف في البحر وقيل في سبب فتنة سليمان ان جرادة كانت
اترسايه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي
بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل
فابتلي بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن
سقط الخاتم من يده فاعاده الى يده فسقط وكان في ملكه
فايقن سليمان بالفتنة فاتاه اصف فقال لسليمان انك مفتون
بذنبك والخاتم لا يتماسك في يدك فمر الى الله تايبا فانا اقوم مقامك
واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك فمر سليمان الى الله
ماربا واعطى اصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام
اصف في ملكه سليمان يسيرا اربعة عشر يوما الى ان رد الله على
سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره ه
واعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه
وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس
ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت الناس ثلاثة ايام فلم تنظر
في امور عبادي فامتلاه عز وجل ذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم
واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين
لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسليطه على
ملكه وتصرفه في امته والجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون
على مثل هذا وقد عصم الله الانبيا من مثل هذا والذي ذهب اليه
المحققون ان سبب فتنة ما اخرجاه في الصحيحين من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان
لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله

فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل
والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل
الله فرسانا اجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امراة قال له الملك
قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي
القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته لانه لم
يستثني لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي
ان يستثني كما صح في الحديث ليمضي امر الله ومراده وقيل ان
ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد فاختطفته
الشياطين وقال بعضهم ان عاشق له ولد لم تنفك من البلاء اما
ان تقتل ولده او تحمله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله
فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل
في بعض مهماته اذا القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله
تعالى على خوفه من الشيطان ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطاياه
فاستغفر ربه فذلك قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا
ثم اناب اي رجع الى ملكه بعد الاربعين وقيل اناب الى الاستغفار
وهو قوله تعالى قال رب اغفر لي اي سال ربه المغفرة وهب
لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يكون لاحد من بعدي
وقيل لا تسلبنيه في ابائي وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما
مضى من عمري انك انت الوهاب فان قلت قول سليمان
لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر على الحسد والحرص على طلب
الدنيا والنفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط
عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان
استولى على ملكه وقيل سال ذلك ليكون علما وآية لنبوته
ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث اجاب
الله دعاءه ورد ملكه اليه وزاد فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه

اخبر

احب ان يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحيا
الموتى وابرا الاكمه والابرص فسال شيا يختص به كما روي في الصحيحين
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا
من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه
فاخذته ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا
اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي فرددته خاسيا قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري
باموره رخاء حيث اصاب اي حيث
اراد والشياطين اي وسخرنا له الشياطين كل بناء اي يبنون
له ما يشاء وغواص يعني يستخرجون له اللالي من البحر وهو اول
من استخرج اللولو من البحر واخرين اي وسخرنا له الشياطين
مقرنين في الاصفاد اي مشدودين في العقود وسخر والده حتى
قرنهم في الاصفاد هذا عطاؤنا اي قلنا له هذا عطاؤنا فامنن
اي احسن الي من شئت او امسك اي عن من شئت بغير حساب
اي لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن ما انعم
الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطا اجر
وان لم يعط لم يكن عليه تبعه وقيل هذا اي امر الشياطين
يعني هو لا الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم
فحل عنهم وامسك اي احبس من شئت منهم في العمل به
وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وان له عندنا
لزلفى وحسن ماذكر الله ما انعم عليه به في الدنيا اتبعه بما انعم
عليه في الاخرة قوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه
اني مسني الشيطان بنصب اي بمشقة وعذاب اي ضر
وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب اركض برجلك
الله لما انقضت مدة بلايه قيل له اركض اي اضرب برجلك

بعيني الارض فغمل فنبعت عين ما عذب هذا مغتسل بارد
فامره ان يغتسل فغمل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى
اربعين خطوة فركض برجله في الارض مرة اخرى فنبعت عين
ماء عذب اخرى فشرب منه فذهب كل داء في باطنه فذلك قوله
وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا اي انما فعلنا
ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم وذكرى
لاولي الالباب يعني سلطنا عليه البلاء فصبر ثم ازلنا عنه وكشفنا
ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر وخذ بيدك
ضغثا اي املك كفك من حشيش او عيدان او نحو فاضرب
به ولا تحنث وكان قد حلف ان يضرب امرأته مائة سوط
فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه في ضربها وسهل له الامر
فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها
مائة ضربة واحدة فتفعل ذلك ولم يحنث في يمينه وهذا ذلك
لايوب امرا نبيه فقولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس
وعطا بن ابي رباح والثاني انه خاص لايوب قال مجاهد واختلف
العلماء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه
بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال
ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة فقد بر احتجوا
بهذه الاية انا وجدناه صابرا اي على البلاء الذي
ابتليناه به نعم العبد انه اواب قوله تعالى واذكر عبادنا
ابراهيم واسحاق ويعقوب اي اذكر صبرهم فابراهيم القي
في النار فصبر واسحاق ذهب بصره واضجع للذبح في قول
فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر اولي
الايدي قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار
اي في المعرفة بالله وقيل باليد اكثر الاعمال وبالبصر اقوى

الادراكات

الادراكات فعبر عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان
قوى عالمية وعاملية فاشرف ما يصدر عن القوة العالمية طاعته
وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدي والابصار انا اخلصناهم
اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصتين بخالصة ذكر الدار
قيل معناه اخلصناهم بذكر الاخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل
نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة
وذكرها وقيل كانوا يدعون الى الاخرة والى الله تعالى وقيل
اخلصوا بخوف الاخرة وهو الخوف الدايم في القلب وقيل اخلصناهم
بافضل ما في الاخرة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يعني من
الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس
والاكدار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل اذكرهم بفضلهم
وصبرهم لتسلك طريقهم وكل من الاخيار قوله عز وجل
هذا ذكر اي الذي يتلى عليكم ذكره وقيل شرف وقيل جميل تذكرون
به وان للمتقين لحسن مآب اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون
ويتقلبون اليه في الاخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى جنات عدن
مفتحة لهم الابواب يعني تفتح ابوابها لهم بغير فتح بها بيد
بل بالامر يقال لها انتفتحي انغلقي متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب اي مستويات
الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل
متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا ما توعدون
ليوم الحساب اي قيل للمومنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعدون
المتقون ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي دايم ماله من فناء
وانقطاع بل هو دايم كلما اخذ منه شيء عاد مثله في مكانه قوله
تعالى هذا اي الامر الذي ذكرناه وان للطاغين لشر مآب لشر
مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها اي

النار لانهم هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار امر دخلوها
فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه امرهم
في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه امر كانوا خيرا منا نحن
ولا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيأ ان ذلك اي
الذي ذكرت لحق تخاصم بين ذلك فقال تعالى تخاصم اهل النار اي في النار
وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع
للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل يا محمد
لمشركي مكة انما انا منذر اي مخوف وما من اله الا الله الواحد بيني
الذي لا شريك له في ملكه القهار اي الغالب وفيه استمرار بالترهيب
والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجا والترغيب فقال تعالى رب
السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية
والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان
عظمت ويرحم قل هو نبأ عظيم يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل
يعني القيامة انتم عنه معرضون اي لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي
في نبوتي وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحي من الله تعالى ما كان
لي من علم بالملا الاعلى يعني الملائكة اذ يختصمون يعني في شان
ادم حين قال الله اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدما قال قلت كيف يجوز ان يقال ان
الملائكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدما والمخاصمة مع الله لا تليق ولا تمكنت قلت لا شك انه جرى
هناك سوال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز
المخاصمة بوحي فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه
ان يوحى الي اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الا
انما انا نذير مبين يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم ما تأتونه
وتجتنبونه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه

اي يدخلونها فبئس المهاد اي الفراش هذا حميم وغساق فليذوقوه حميم
وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس
هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرق النار بحرها وقيل هو
ما يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم
وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد
المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه واخر من شكله
اي مثل الحميم والغساق ازواج اي اصناف من العذاب هذا
فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار
ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني
جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم
قيل انهم يضربونهم بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا
من تلك المقامع قالت القادة لا مرحبا بهم اي الاتباع انهم
صالوا النار اي داخلوها كما صليناها نحن قالوا اي الاتباع
للقادة بل انتم لا مرحبا بكم اي لا رحبت بكم الارض والعرب تقول
مرحبا اهلا وسهلا اي اتيت رحبا وسعة انتم قدمتموه لنا
اي يقول الاتباع للقادة انتم بدا تم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا
وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم اياتا الى الكفر فبئس
القرار فليس دار القرار جهنم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا
اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه العذاب
في النار قال ابن مسعود حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش وصنا
ديدها واشرارها وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
اي في الدنيا من الاشرار يعيبون بذلك فقراء المومنين مثل عمار وخباب
وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على
خلاف دينهم اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان الكفار
اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا

وسلم اتاني ربي في احسن صورة قال احسبه قال في المنام فقال
يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين
كتفي حتى وجدت برد انامله بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في
السموات وما في الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا
الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد
الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات وابلاغ الوضوء في
المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته
كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسألك
فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام
واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية قلت
لبيك وسعديك في المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق
والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
فصل في الكلام على معنى هذا الحديث وبيان ما في هذا
الحديث وفي امثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما
وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه
ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له والسكوت عنه وعن
امثاله مع الاعتقاد بانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
المذهب الثاني وهو تاويل الحديث وقيل الكلام على معنى الحديث
نتكلم على اسناده ونقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في
اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن
خالد بن الدجاج عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن
يحيى بن ابي كثير عن يزيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عايش
الحضرمي عن مالك بن جابر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن يزيد
عن جده مطور وهو ابو سلام عن ابن السلكي عن مالك
بن يخامر وقيل فيه عبيد بن ثمامة ورواه ابو ايوب عن ابي قلابة
عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال في المنام ورواه قتادة عن
ابي قلابة عن خالد بن الوليد الدجاج عن ابن عباس قال البخاري
عبد الرحمن ابن عايش الحضرمي له حديث واحد الا انهم يضطربون
فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من اوجه كلها
ضعاف وفي شيء منها نظر واحسن طريق فيه رواية جهضم
ابن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على
ان ذلك كان في المنام فاما قوله فاتاني ربي فالصورة هي التركيب المصور
وهو المركب ولا يجوز ان يكون الباري تعالى مصورا ولا ان يكون
له صورة لان الصور مختلفة والهيات متضادة ولا يجوز اضافة
ذلك اليه فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق الباري المصور
فقوله اتاني ربي في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما واتاني
احسن صورة كانه زاده جمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة
ذلك تقريبنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند
رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي وثقله الوجه
الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى
والمعنى انه راه في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال
اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات
الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل في افعاله وذلك نوع من
الاحسان والاكرام فذلك حسن صفة الله تعالى وقد يكون
حسن الصورة ايضا يرجع الى صفاته العلية من التناهي في العظمة
والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون
معنى الحديث على هذا تقريبنا ما تزايد من معارفه صلى الله

عليه وسلم عند ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه
وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزاهه عن صفات النقص وانه ليس
كمثله شئ وهو السميع البصير وقوله صلي الله عليه وسلم فوضع يده
بين كتفي حتي وجدت بردها بين ثديي فتاويله ان المراد باليد النعمة
والمنة والرحمة وذلك شايع في لغة العرب فيكون معناه علي هذا
الاخبار باكرام الله اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه
وعرفه مالم يعرفه حتي وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما
نور قلبه وشرح صدره تعلم ما في السموات وما في الارض باعلام
الله اياه وانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون اذ لا يجوز
علي الله تعالي ولا علي صفاة ذاته مماسة او مباشرة او تفصي
وهذا هو اليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث علي
المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض
ولا حاجة بنا الي التاويل لان روية الباري عز وجل وجل في المنام
علي الصفات الحسنة دليل علي البشارة والخير والرحمة للرايي
وسبب اختصام الملا الاعلي وهم الملايكة في الكفارات وهي الخصال
المذكورة في الحديث في ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات
لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشئ باسم لازمه
وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سوال وجواب وذلك يشبه
المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه
والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من
طين يعني ادم فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت فيه من
روحي اضاف الروح اليه لي تعظيمه اضافة ملك علي سبيل التشريف
كناقة الله وبيت الله ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري
في بدن الانسان كسريان الضوئي المضا وكسريان النار في الفحم
فقوله ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر

اي تعظم وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي اي قويت خلقه استكبرت اي تعظمت بنفسك
عن السجود امر كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت
عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله قال انا خير منه
بين لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف
وانا خير منه ثم بين قوله خير منه فقال خلقتني من نار وخلقته
من طين والنار افضل من الطين واشرف منه واخطا ابليس في القياس
لان مال النار الي الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام
نابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة
خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية
فالطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه
عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل
ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون افضل من ذلك النسيب
بدرجات كثيرة قال فاخرج منها اي من الجنة وقيل من السما وقيل
من الخلقة التي كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير
الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونور بنيته فانك رجيم اي
مطرود وان عليك لعنتي الي يوم الدين فان قلت اذا كان الرجيم بمعني
الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجيم
علي الطرد من الجنة او السما ويحمل اللعنة علي معني الطرد من الرحمة
فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الي لانتها
الغاية وقوله الي يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه بمجي يوم
الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيمة
زيد عليه مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسي بذلك اللعنة فكانها
انقطعت عنده قال رب فانظرني الي يوم يبعثون قال فانك من
المنظرين الي يوم الوقت المعلوم يعني النفخة الاولي قال فبعزتك

لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول
اي انا اقول الحق وقيل الاول قسم اي فبالحق وهو الله اقسم
بنفسه لاملان جهنم منك اي بنفسك وذريتك ومن تبعك منهم
اجمعين يعني من بني ادم قل ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة
من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين اي من المقولين القران من
تلقاء نفسي وكل من قال شيا من تلقاء نفسه فقد تكلف له ق عن
مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم
شيا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول
لما لا يعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين لفظ البخاري ان هو يعني القران
الا ذكر اي موعظة للعالمين اي للخلق اجمعين ولتعلمن يعني انتم
يا اهل مكة نبأه اي خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس بعد
الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره
وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن ادم عند الموت
يأتيك الخبر اليقين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الزمر

نزلت بمكة الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله
الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث ايات مدنيات من قوله
يا عباد الذين اسرفوا على انفسهم الى قوله لا يشعرون وهي اثنتان
وقيل خمس وسبعون اية والف ومايتان واثنتان وسبعون كلمة واربعة
الاف وتسعمايتة وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل تنزيل الكتاب اي هذا الكتاب وهو القران
تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق اي لم ننزله باطلا لغير شيء فاعبد الله مخلصا له الدين
اي الطاعة الا لله الدين الخالص اي شهادة ان لا اله الا الله

وقيل

وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من الشرك
وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان راس العبادات
الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا
من دونه اي من دون الله اولياء يعني الاصنام ما نعبدهم
اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعني قربى وذلك
انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن
رزقكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا
الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من
امر الدين ان الله لا يهدي اي لا يرشد لدينه من هو كاذب به
اي قال ان الالهة تشفع له كفار اي باتخاذه الالهة دون الله
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاختار مما يخلق ما يشاء
يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها له
عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه هو الله الواحد اي في
ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار اي الغالب الكامل القدرة
قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على
النهار ويكور النهار على الليل يعني يغشى هذا وقيل يدخل
احدهما على الاخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد في الاخر
فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في
الليل ومنتهى النهار تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس
عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما
على الاخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الى يوم القيامة الا هو العزيز
الغفار معناه انه خلق هذه الاشياء العظيمة وان دلت على
كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم
الرحمة والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني ادم

ثم جعل منها زوجها يعني حوى ولما ذكر الله تعالى اياته قدرته
في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر
الانسان عقبه بذكر الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى
من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه وقيل انه هنا بمعنى
الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات
لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان الانزال سببا لما الذي
يعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت في
الجنة ثم انزلت الى الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر الله تعالى
اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر خلق الانعام عقبه بذكر
حالة مشتركة بين الحيوان والانسان وهي كونها مخلوقة في بطون
الامهات وانما قال في بطون امهاتكم تغليبا من يعقل وشرف
الانسان على سائر الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم
علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن
وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة
البطن ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشياء ربكم لا ملك
اي لا غيره لا اله الا هو اي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود غير الله
فانى تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل
ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني انه تعالى ما كلف المكلفين لعود
الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غني
على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو
كان محتاجا لكان ذلك نقصا والله تعالى منزه عن النقصان
فثبت بما ذكرنا انه غني عن جميع العالمين لو كفروا او اصروا عليه
فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر يعني
انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى به

لعباده

لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المومنين بالكفر وهم الذين
قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا
يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد
الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى
لاحد من عباده الكفر ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا به
وهو قول السلف قالوا الكفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته
لان الرضى عبارة عن مدح الشيء والثنا عليه بفعله والله تعالى
لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى
به ولا يمدح به ولا يرضى عليه فقد بان الفرق بين الارادة والرضا
وان تشكروا اي تومنوا يرضه لكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه
ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم بيانه ثم الى ربكم مرجعكم اي في الاخرة
فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور
اي بما في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان ضر اي شدة
وبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله
اي اعطاه نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل
والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا
يعني الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي
لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اي في الدنيا انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في ابي
حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر امر هو قانت قيل
انه حذف مجازه كمن هو قانت وقيل مجازه الذي جعل لله
اندادا خير امن هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك انك من
اصحاب النار يا من هو قانت انت من اصحاب الجنة قال ابن
عباس نزلت في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان
وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الاية في كل قانت

وهو القيام على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام
وقيل الثابت الغائب مما يجب عليه اتا الليل اي ساعات الليل اوله
واوسطه واخره مسلجدا او قائما اي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح
قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون
ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى
الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال باحوال الخارجية رجع
الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي
له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه شاقا
على النفس فيكون الثواب فيه اكثر يحذر اي يخاف الاخرة ويرجوا
رحمة ربه فتقبل المعذرة وقيل الجنة وفيه فايدة وهي انه لو قال
في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه وقال
في مقام الرجاء ويرجوا رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء
اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى وبعضهم هذا ما روي عن
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو
في الموت فقال له كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني
اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان
في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجوا وامنه
مما يخاف اخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون
اي ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون اي ذلك
وقيل الذين يعلمون عمر واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة
المخزومي وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من
باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا
حصل للانسان ذلك علي كماله وفضله انما يتذكر اولوا الالباب
قوله تعالى قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب
معاصيه للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني امنوا واحسنوا

العمل

العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في هذه الدنيا
وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه
حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من امر
بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة
وقيل نزلت في جعفر ابن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم
لما نزل بهم من البلاء وهاجروا وصبروا انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب قال علي ابن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن
له وزنا الا الصابرون فانه يحثى عليه حثيا روي انه يوتى باهل
البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان وينصب عليهم الاجر
صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا لو ان اجسامهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قوله عز وجل
قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له
التوحيد لا اشرك به شيا وامرت ان اكون اول المسلمين اي
من هذه الامة وقيل امره اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب
ثم امره ثانيا بعمل الجوارح ولان شرايع الله لا يستفاد الا من
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان اول الناس شروعا
فيه وانما خص الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر تنبيها
على ان غيره احق بذلك فهو كالمترغيب لغيره قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم وذلك ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ما حملك على هذا الذي ابتدعنا به الا انتظار الاملة ابيك
وجدك وقومك فنحن نتابعك فانزل الله هذه الايات ومعنى الاية
زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته
ومنصب نبوته اذا كان خائفا من العاقبة فغيره اولى بذلك
قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قلت ما معنى التكرار في قوله
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد

هنه

مخلصا له دينى قلت ليس هذا بتكرار لان الاول اخبار بانه مامور
من جهة الله بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بانه
امر ان يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه
لان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد
الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا سواه ثم اتبعه بقوله فاعبدوا
ما شئتم من دونه ليس امرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ
تزيين كمال للزجر بقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يعنى ازواجهم وحدهم يوم القيامة قال ابن عباس
وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا فى الجنة فمن عمل
بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل
النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر
نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بتحول النار وخسران
الاهل بان يفرق بينه وبين اهله الا ذلك هو الخسران المبين
لهم من فوقهم ظلل من النار اى اطباق وسرادقات ومن تحتهم
ظلل اى فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات
والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان تكيف سمى ما تحته
بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين
على الاخر الثانى ان الذى تحته من النار يكون ظله للاخر تحته
فى النار لانها دركات الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت شبيهة
بالظلة الفوقانية فى الايذاء والمرارة سميت باسمها لاجل المماثلة
والمشابهة ذلك يخوف الله به عباده اى المومنين لانهم اذا سمعوا
حال الكفار فى الاخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله وهو
قوله يا عباد فاتقون اى تحاذرون قوله تعالى والذين اجتنبوا
الطاغوت يعنى الاوثان ان يعبدوها وانابوا الى الله اى رجعوا
الى عبادة الله بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره لهم البشرى

اى

اى فى الدنيا وفى الاخرة اما فى الدنيا فالثنا عليهم بصالح اعمالهم وعند
نزول الموت وعند الوضع فى القبر واما فى الاخرة فعند الخروج من
القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول
الجنة وفى الجنة وفى كل موقف من هذه المواقف يجعل لهم البشارة
بنوع من الخير والراحة والروح والريحان فبشر عباد الذين يستمعون
القول يعنى القرآن فيتبعون احسنه اى احسن ما يومرون به
يعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم
وذكر العفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزايم والرخص
فيتبعون الاحسن وهو العزايم وقيل يستمعون القرآن وغيره من
الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس لما اسلم ابو
بكر الصديق جاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد
بن ابى وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فنزلت
فيهم فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل
نزلت هذه الاية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا
الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسى اولئك الذين
هداهم الله الى ابى الى عبادته وتوحيده واولئك هم اولوا الالباب
ممن حق عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق فى علم الله
انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملان جهنم وقيل قوله هو لا
فى النار ولا ابالى افانت تنقذ من فى النار اى لا تقدر عليه قال
ابن عباس يريد ابا لهب وولده لكنت الذين اتقوا ربهم لهم
غرف من فوقها غرف مبنية اى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها
منازل هى ارفع منها تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف
الله الميعاد اى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه
فى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب

الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا
يارسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي
بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر اي الباقي في
الافق اي في ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى الم تر ان الله
انزل من السما ما فسلكه اي ادخل ذلك الما ينابيع في الارض اي
عيونا وسواقيا ومسالك ومجاري في الارض كالعروق في الجسد
قال الشعبي كل ما في الارض فمن السما نزل ثم يخرج به اي بالمطر زرعا
مختلفا الوانه اي مثل اصفر واخضر واحمر وابيض وقيل اصنافه
مثل البر والشعير وسايرانواع الحبوب ثم يهيج اي ييبس فتراه
اي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم يجعله حطاما اي فتاتا
متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله عز وجل افمن
شرح الله صدره اي وسعه للاسلام وقبوله الحق لمن طبع
الله على قلبه فلم يهتد فهو على نور من ربه اي على بيان وبيانه
وهدايته روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ممن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يارسول الله كيف انشراح
صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا
يارسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت قوله تلين جلودهم
قلوبهم من ذكر الله التسوية جمود وصلابة تحصل في القلب
فان قلت كيف يقسو القلب من ذكر الله وهو سبب لحصول
النور والهداية قلت انه كما يتلى عليهم ذكر الله الذي يكذبون
به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا ألفت
خسيسة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها
لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كما ان الشمس يلين الشمع

ويعقد

ويعقد الملح فلذلك القرآن يلين قلوب المومنين عند سماعه
ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد
بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا
نزع منهم الرحمة اولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الاية
في ابي بكر الصديق وفي ابي بن خلف وقيل في علي وحمزة
وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي ابي جهل قوله عز وجل الله نزل احسن الحديث يعني القرآن
وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر
من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام واجزله
وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب
والرسايل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه واما الوجه الثاني
وهو كون القرآن من احسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب
منزه عن التناقض والاختلاف مشتملا على اخبار الماضين
وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة والوعد والوعيد
والجمع النار كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن
ويصدق بعضه بعضا مثاني اي يثني فيه ذكر الوعد والوعيد
والامر والنهي والاخبار والاحكام تقشعر اي تضطرب وتشمئز
منه جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تاخذهم قشعريرة
وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل
والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي لذكر الله
تعالى قيل اذا ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود
الخائفين منه واذا ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت جلودهم
وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر
عند الخوف وتلين عند الرجاء روي عن العباس ابن عبد المطلب

مقام الخوف لان الخبر مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا
حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجا اطمان اليه القلب
لان الجلد ذلك اي القران الذي هو احسن الحديث هدي الله
يهدي به من يشا اي الذي شرح الله صدره لقبول الهداية ومن
يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا مناقيا لقبول الهداية فما له من
هاد اي يهديه قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي
شدته يوم القيامة قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمي
في النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر
يرمى به في النار منكوسا مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة
من كبريت تقل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في
عنقه تحرقها وهي على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال
التي في يديه وعنقه ومعنى الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
كمن هو امن من العذاب وقيل للظالمين اي تقول لهم الخزنة ذوقوا
اي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا من المعاصي كذب الذين من قبلهم
اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون يعني وهم غافلون امنون من العذاب فاذاقهم
الله الخزي اي العذاب والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة
اكبر لو كانوا يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا
القران من كل مثل لعلهم يتذكرون اي يتعظون قرانا عربيا
اي فصيحا اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته غير ذي عوج
اي منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلق وقيل غير
ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروي ذلك عن انس بن مالك وحكي
عن سمياك بن عبيدة عن سبعين من التابعين ان القران
ليس بخالق ولا مخلوق لعلهم يتقون اي الكفر والتكذيب قال
قلت ما الحكمة في تقدم التذكر في الاية الاولى على التقوى في

قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا اقشعر جلد العبد
من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة
ورقها وفي رواية حرمها الله على النار قال بعض العارفين
السيار بن في بيد اجلال الله تعالى فاذا نظروا الى عالم الجلال
طاشوا قال قتادة واذا لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال
قتادة هذا نعت اولياء الله الذين وفقهم الله به ان تقشعر جلودهم
وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم يفقهم بذهاب عقولهم والشيطان
عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وروي عن عبد
الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر الصديق
كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ
عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم
وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا
قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم وروي ان ابن عمر مر برجل قرئ عليه القران
او سمع ذكر الله سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط قال
قال وقال ابن عمر الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا
صنع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين
الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان
يعتد احدهم على ظهر بيت باسط رجليه ثم يقرا عليه القران
من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم
ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب
ثانيا في الرجا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اشفعت
الجلود من ذكر ايات الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره
على الرافة والرحمة استبشروا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة
لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في

في هذه الاية قلت سبب تقدم التذكر ان الانسان اذا تذكر وقوف
وقف علي علي محبوب الشي فاختلط بمعناه اتقاه واحترز منه
قوله تعالي ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اي
متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم والمشكس السي الخلق
المخالف للناس لا يرضي بالانصاف ورجلا سالما لرجل اي خالصا
له لا شريك له فيه ولا منازع والمعني واضرب لقومك مثلا وقل لهم
ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف
وتنازع كل واحد يدعي انه عبده وهم يتجاذبونه في مهمات شتي
فاذا عنت له حاجة تدافعوه وهو متحير في امره لا يدري ايهم
يرضي بخدمته وعلي ايهم يعتمد في حاجاته وفي رجل اخر
مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه علي سبيل الاخلاص ويدله
السيد بعيني خادمه في حاجاته واي هذين العبدين احسن
حالا واحمد شاما وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد الهة
شتي والمومن الذي يعبد الها واحدا احسن واصلح من حال
الكافر الذي يعبد الهة شتي وهو قوله هل يستويان مثلا
وهذا استفهام انكار ما يستويان في الحال والصفة تعالي
تعالي الحمد لله اي لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين
وقيل لما ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق بالدلايل الباهرة
والامثال الباهرة قال الحمد لله علي حصول هذه البينات وظهور
هذه الدلالات بل اكثرهم لا يعلمون اي المستحق للعبادة هو
الله وحده لا شريك له لا غيره قوله تعالي انك ميت اي ستموت
وانهم ميتون اي سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول
الله صلي الله عليه وسلم موته فاخبر الله ان الموت يعمهم جميعا
فلا معني للتربص وشماتة الاعداء بالفناء وقيل يعني
اني بنيه نفسه وايكم المسلم والمعني انك ميت وانهم ميتون

وان كنتم احياء فانكم عداد الموتي ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد
الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
قال الزبير يا رسول الله اتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان
بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان الامر اذا الشديد اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر مكثنا برهة من الدهر
وكنا نري ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتاب ثم انكم يوم
القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ودينا واحد
وكتابنا واحد حتي رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف
عرفت انه فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري في هذه
الاية قال كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد وما هذه الخصومة
فلما كان يوم صفين وشد بعضنا علي بعض بالسيوف قلنا
نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند
ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم وعن اخواننا فلما قتل عثمان
قالوا هذه خصومتنا وعن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله
اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه
بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه
فحملت عليه رعن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا
متاع قال ان المفلس من امتي ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام
وزكاة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك
دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من
حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ
من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل

ممن اظلم ممن كذب على الله اي فزعم ان له ولدا او شريكا وكذب
بالصدق اذ جاه اي بالقران وقيل بالرسالة اليه اليس في جهنم
مثوى اي منزل ومقام للكافرين قوله تعالى والذي جا بالصدق
وصدق به اي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جا به
بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جا بلا اله الا الله
وصدق به هو رسول الله ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذي
جا بالصدق هو جبريل جا بالقران وصدق به محمد رسول
الله وقيل الذي جا بالصدق رسول الله وصدق ابو بكر الصديق
وقيل وصدق به المومنون وقيل الذي جا بالصدق الانبيا
وصدق به الاتباع وقيل الذي جا بالصدق اهل القران وهو
الصدق يجيوف به يوم القيامة وقد اداحقه فهم الذين
حققوا به اولئك هم المتقون اي الذين اتقوا الشرك لهم
ما يشاون عند ربهم اي من الجزا والكرامة ذلك جزا المحسنين
اي الذي اقوالهم وافعالهم ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا اي
يستر ها عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون اي يجزيهم باحسن اعمالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله
عز وجل اليس الله بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقري عباده يعني الانبيا عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوا
فكفاهم الله شر من عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه
وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة الاوثان
وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون
ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل
اليس الله بعزيز اي منيع في ملكه ذي انتقام اي منتقم من
اعدايه ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
يعني ان هولا المشركين مقرون بوجود الالهة القادر العالم الحكيم

وذلك متفق

متفق عليه عند جمهور المحققين فان فطرة الخلق شاهدة به
بصحة هذا العلم فان من تامل في عجايب السموات والارض وما
بينهما من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم
قدره الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله
لا قدرة لها على جلب خير ودفع ضر وهو قوله تعالى قل ارايتم
ما تدعون من دون الله يعني الاصنام ان اراد بي الله بضر اي
شدة وبلا هل هن كاشفات ضره او اراد بي برحمة هل هن
اي بنعمة وبركة وخير هل هن ممسكات رحمته فسالهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى
الله عليه وسلم قل حسبي الله اي هو يكفيني وعليه اعتمادي عليه
يتوكل المتوكلون اي عليه ينبغي ان يتوكل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اي اجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وهوامركم انه بيد وتقديره اني
عامل اي فيما امرت به من اقامة الدين فسوف تعلمون من
ياتيه عذاب يخزيه اي انا او انتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دايم
وهو عذاب جهنم وتخويف انا انزلنا عليك الكتاب يعني القران للناس
بالحق اي ليهدي به كافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه اي يرجع
فايدة هدايته عليه ومن ضل فانما يضل عليها اي يرجع وبال
ضلالته عليه وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولم تؤخذ
بهم قيل هذا منسوخ بايات القتال وقوله تعالى الله يتوفى الانفس
اي الارواح حين موتها اي يقبضها عند فنا اجلها وانقضا
اجالها وهو موت الاجساد والتي لم تمت في منامها والنفس التي
يتوفاها عند النوم هي التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان
نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت ويتزول
بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي تكون بها التمييز وهي التي
تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس فيمسك التي

قضي عليها الموت اي فلا يردها الي جسدها ويرسل الاخري
اي ويرد النفس التي لم يقض عليها الموت الي جسدها الي اجل
مسمي يعني الي ان يأتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفس
وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقي الروح وقال علي بن ابي
طالب تخرج الروح عند النوم ويبقي شعاعها في الجسد وذلك
يري الرويا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الي الجسد بامر
من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف
ما شاء الله تعالي فاذا اراد ت الرجوع الي اجسادها امسك الله
ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الي اجسادها
الي حين انقضاء مدتها اخرج مالك عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اذا اوي احدكم الي فراشه فلينفض
فراشه بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول
باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي
فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين قال
قلت كيف الجمع بين قوله تعالي الله يتوفي الانفس وبين قوله قل
يتوفاكم ملك الموت وبين قوله حتي اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالي وملك الموت
هو القابض للروح باذن الله وملك الموت اعوان وجنود
من الملائكة ينزعون الروح من ساير البدن فاذا بلغت
الحلقوم قبضها ملك الموت ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
اي في البعث وذلك ان توفي نفس النايم وارسالها بعد التوفي
دليل علي البعث وقيل ان في ذلك دليل علي قدرة من احيث
لم يغلط في امساك ما امسك من الارواح وارسال ما ارسل
منها قوله تعالي ام اتخذوا من دون الله شفعاء بعني الاصنام
قل يا محمد اولو كانوا الا لهتهم لا يملكون شيئا اي من الشفاعة ولا
يعقلون

لا يعقلون اي انكم تعبدونها وانتم تعبدونهم وان كانوا لا يعقلون ٥
الصفحة قل لله الشفاعة جميعا اي لا يشفع احد الا باذنه فكان ٥
الاستثناء بعبادته اولي لانه هو الشفيع علي الحقيقة وهو باذن
في الشفاعة لمن يشاء من عباده له ملك السموات والارض اي
لا ملك لاحد فيهما سواه ثم اليه ترجعون اي في الاخرة قوله
تعالي واذا ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت وقال ابن عباس
انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة قيل اذا اشمأز القلب من عظم عمه وغيظه انقبض الروح
الي داخله فيظهر علي الوجه انكر ذلك من الغبرة والظلمة واذا
ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون اي
يفرحون والاستبشار ان يمتلي القلب سرورا حتي يظهر علي
الوجه فيتهلل قوله تعالي قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال سالت عايشة باي شيء
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من
الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب
جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما
اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الي صراط مستقيم
قوله عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل
بهم في الاخرة وقيل ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيات ٥
والمعني انهم كانوا يتقربون الي الله بعبادة الاصنام فلما عوتبوا عليها

بالهم من الله مالم يحتسبوا روي ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت
فقيل له في ذلك فقال اخشى ان يبدو لي مالم احتسب وبدا لهم سيات
ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله وحاق اي
نزل بهم ما كانوا به يستهزؤون فاذا مس الانسان ضر اي شدة دعانا
ثم اذا خولناه اي اعطيناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اي من
عند الله اني له اهل وقيل على خير علم الله عندي بل هي فتنة
يعني تلك النعمة استدراج من الله وامتحان وبلية ولكن اكثرهم
لا يعلمون يعني انه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون
فانه قال انما اوتيته على علم عندي مما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
اي فما اغنى الكفر عنهم من العذاب شيئا فاصابهم سيات ما كسبوا
اي جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من
هؤلاء سيصيبهم سيات ما كسبوا وما هم بمعجزين اي بفائتين
لان مرجعهم الى الله عز وجل الم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر اي يقتر ويقبض على من يشاء ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله روي عن ابن عباس في سبب نزول هذه الاية ان
ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا واتوا محمدا فقالوا ان الذي
تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله
الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك
يلق اثاما يعاقب به العذاب يوم القيامة وانا قد فعلت ذلك

فانزل الله الا من تاب وامن وعمل صالحا فقال وحشي هذا شرط
شديد يعني لا اقدر عليه لعل غيره ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد
في شبهة فلا ادري ان يغفر لي ام لا فانزل الله قل يا عباد الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم
هذا جيء فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه
الاية في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين
كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله
من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب
عذبوا به فانزل الله هذه الاية فكتبها عمر بن الخطاب بيده
ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد ابن الوليد والى
اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وعن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا
الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فعلمنا
الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من اصاب شيئا منها قلنا
هلك فنزلت هذه الاية فكففنا عن القول وكنا لا نرى ولا نرى احدا اصاب
شيئا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له قوله
قل يا عباد الذين اسرفوا على انفسهم اي جاوزوا الحد في كل عمل مذموم قيل
في ذلك ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة
الله والقنوط من رحمة الله اي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من
رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم قال قلت تحمل هذه الاية على ظاهرها
اعني المعاصي واطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد
منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن بالمعاصي فانه لا مخلص له من

العذاب قال من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله ولا احد من العصاة
الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان
الله يغفر الذنوب جميعا اي اذا تاب وصحة التوبة ندمه على ذنوبه ومن
مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشيئة الله فان شاء عفر له وان
شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة
واجبة على كل احد وخوف العقاب قائم فلعل الله ان يغفر مطلقا
ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم فصل
في ذكر احاديث تتعلق بالاية روي عن ابن مسعود انه دخل المسجد
فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال
مذكرا يقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا ابالي اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة
وتسعين انسانا ثم خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال له اي توبة
قال لا تقتله وجعل يسال فقال له رجل ايت قرية كذا وكذا فادركه
الموت فناى بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي
وقال قيسوا ما بينهما فوجد اقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ
البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل
تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به
مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال
انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه
وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون

الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق
حتى اذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي
فقاسوا ما بينهما فوجدوه الى الارض التي اراد فنبعته ملائكة الرحمة ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل يسرف على
نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة
قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم اطحنوني
ثم ذروني في الريح فوالله لين قدر علي ربي ليعذبني عذابا
ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله الارض فقال
اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على
ما صنعت قال خشيتك يا رب او قال مخافتك فغفر له بذلك
وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان
في بني اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والاخر مجتهد
في العبادة فكان المجتهد لا يزال يرى الاخر على ذنب فيقول
له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني
وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك قال او لا يدخلك
الجنة فقبض الله ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال
الرب للمجتهد اكنت علي ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب
فادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به الى النار قال ابو
هريرة فتكلم والله بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود
عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله عز وجل يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت
لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان

السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب
الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفرة .
اخرجه الترمذي قوله عنان السما العنان السحاب وقيل هو ما عن
لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملاها قوله عز وجل
وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة واسلموا له اي
اخلصوا له التوحيد من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي
لا تمنعون منه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران
لانه كله حسن ومعنى الاية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا
معصيته فانه انزل في القران ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا
ترغب فيه وذكر الاحسن لتوتره وقاصده وقيل الاحسن اتباع
الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم
لا تشعرون بغتي عما قليل عنه ان تقول نفس اي لئلا تقول
نفس وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوفا ان
تصير الى حال ان تقول نفس ياحسرتى اي ندما وحزنا والتحسر
الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت في جنب الله اي
على ما قصرت في طاعة الله وقيل في امر الله وقيل في حق الله
وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في
الجانب الذي يودي الى رضا الله وان كنت لمن الساخرين اي
المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله والمومنين قيل لم
يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول لو ان الله
هداني اي ارشدني الى دينه وطاعته لكنت من المتقين اي الشرك
او تقول حين ترا العذاب عيانا لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا
فاكون من المحسنين اي الموحدين ثم اجاب الله هذا القائل
بان الاعذار والاباة والتعلل باطل وهو قوله تعالى بلى قد جاءتك
اياتي يعني القران فكذبت بها اي قلت ليست من الله واستكبرت

اي

اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى
الذين كذبوا على الله اي فتروا ان له ولدا او شريكا وقيل هم الذين
يقولون الاشيا الينا ان شيئا فعلنا وان شيئا لم نفعل وجوههم
مسودة قيل هو سواد مخالف لسايرانواع السواد الليس في جهنم
مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله تعالى وينجي الله الذين
اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطريق التي تودي بهم الى الفوز
والنجاة وقرى بمفازاتهم اي بنجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة
من النار لا يمسهم السوء لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله
خالق كل شي اي مما هو كائن او يكون في الدنيا والاخرة وهو على
كل شي وكيل اي ان الاشيا كلها موكولة اليه فهو الحافظ يحفظها
له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح خزائن السموات والارض
واحدها مقلاد مثل مفتاح ومفتح وقيل اقليد على غير قياس قيل
هو فارسي معرب قال الراجز لم يوذها الديك بصوت تغريد ولم تقالج
غلقا باقليد والمعنى الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب
الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها
وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض
النبات والذين كفروا بايات الله اي جحدوا بايات الله الظاهرة
الباهرة اولئك هم الخاسرون قوله عز وجل قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين ابايه فعصمه
الله بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة دون غيره فخوطبوا
بخطاب الجهل ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت
ليحبطن عملك اي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع الرسول
صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عصم نبيه من الشرك
وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن
من الشاكرين اي لانعامه عليك قوله تعالى وما قدروا الله حق

قدروا الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على
اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار
على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفي رواية
والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا
وتصديقا ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الاية وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم
القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون
اين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين
الجبارون اين المتكبرون وفي رواية ويقول انا الله ويقبض اصابعه
ويبسطها انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه
حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه
مسلم وللبخاري ان الله ان الله يقبض يوم القيامة الارضين
وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك عن ابي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض
ويطوي السما بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارضين قال
ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة
اليد بين شمالا الان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا
يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها
التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا تكيفها وتنتهي الى حيث انتهى
بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا هو مذهب اهل
السنة والجماعة قال سفيان ابن عيينة كلما وصف الله نفسه

به

به في كتابه تفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل ونفخ في
الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الى ما تواصى الفزع
وهي النفخة الاولى الا من شاء الله تقدم تفسيره في سورة النمل تفسير
هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده ثم ينفخ فيه
اخرى في الصور اخرى مرة اخرى وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام الى من
قبورهم ينظرون اي ينتظرون امر الله فيهم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون
قال اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قال اربعون شهرا قال ابيت
قال اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله من السما ما فينبتون كما
ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو
عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله تعالى واشرقت
الارض بنور ربها وذلك حين يتجلى الرب تعالى لفصل القضايا بين
خلقه فلا يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم
الصحو وقيل يعدل ربها وازدادت الارض عن صفات الغيامة ووضع
الكتاب اي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق
من المبتدي الى المنتهى وجي بالنبيين يعني ليكونوا شهداء على
امهم والشهداء قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل
بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة
وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيا
ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت
وهو اعلم بما يفعلون يعني الله سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج
الى كاتب ولا شاهد قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم
يعني سوقا عنيفا زمرا اي افواجا بعضهم على اثر بعض كل امة
على حدتها وقيل جماعات في تفرقة واحدتها زمرة حتى اذا جاءوها
فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة وقال لهم

تفهم

خزنتها يعني توبيخا وتقريعا الم ياتكم رسل منكم اي انفسكم ومن جنسكم
يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت
كلمة العذاب اي وجبت على الكافرين وهي قوله لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
فان قلت عبر عن القولين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت
المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل
بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق
مراكبهم لانهم يؤتون بها راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم
الى دار الكرامة والرضوان فسئلت ما بين السوقين حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها فان قلت قال في اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد
حرف الواو قلت فما الفرق بينه وجوه احدها انها زيدة والثاني
انها واو الحال مجازة وقد فتحت ابوابها فادخل الواو لبيان انها كانت
مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الاية الاولى لبيان ان ابواب
جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل
الجنة اذا جاؤها وجدوا ابوابها مفتحة حصل السرور والغرض بذلك
واهل النار اذا رؤها مغلقة كان نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت
الواو هنا لبيان ان ابواب الجنة ثمانية وفتحت هناك لان ابواب جهنم
سبعة والعرب تعطف بالواو على ما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية
فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه احدها
انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ من الكمال الى حيث
لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله قال لهم خزنتها سلام عليكم
بغير واو والثالث تقديره فادخلوها خالدين فحذف ودخلوها
لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم اي ايتشرفوا بالسلامة
من كل الافات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا

تطهروا

تطهروا النار وحبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم
من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا وادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان
واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه اذا اسبغوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها
وجدوا عندها شجرة تخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن
من احداهما فيطهر ظاهره وينشرب من الاخرى فيطهر باطنه
وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي
بالجنة واورثنا الارض اي ارض الجنة نتصرف فيها كما نشاء
شبهها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله نتبوأ اي
نتزل من الجنة حيث نشاء فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء
وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم
جنة الا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فتبوأ جنته
حيث شاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم
يدخلون الجنة قبل الامم فتنزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم
بعدهم فيما فضلوا به قال الله عز وجل فنعم اجر العاملين اي ثواب
المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين من
حول العرش محدقين به طائفين به طائفين بحافته وحوا
له يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان
التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق اي قضي بين
اهل الجنة واهل النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول
اهل الجنة شكرا حين علموا ان الله لهم وقيل انما ذكر الحمد
بلفظ الماضي في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد
في اخر الامر وهو استقرار الرؤية في منازلهم ضد بدء الخلق
تحميده في بدايته كل امره خاتمة والله اعلم بمراده واسراره كتبه

تفسير سورة المؤمن وتسمى غافر وهي مكية
خيل غير اثنين وهي قوله الذين يجادلون في ايات الله والى
بعدها وهي حمس وثمانون اية وثلثمائة وتسع وتسعون
كلمة وار بعة الاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن
مسعود قال ان مثل صاحب القران كمثل رجل انطلق برتاد
لاهله منزلا فمر بارض خيفة فيما هو يسير فيه ويتعجب منه
اذ هبط على روضات وريشات فقال اتعجب من الخيف الاول
فقد اتعجب واتعجب فقيل له ان مثل الخيف الاول مثل علم
القران وان مثل فضل الروضات الدشات مثل الحم في القران
وعن ابن عباس قال لكل شي لباب ولباب القران الحواميم
وقال ابن مسعود اذا وقعت في الحم وقعت في روضات
انا نفف فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم يسمين العرائس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم
قال ابن عباس هو اسم الله الاعظم وعنه قال الرحيم و
حروف الرحمن مقطعة وقيل هو اسم للسورة وقيل الحا افتتاح
اسمايه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان ومنان افتتاح اسماء
مالك ومجيد ومنان وقيل هو معناه حم نعم الحا اي قضى ما هو
كائن تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب القاهر
وقيل الذي لا مثل له العليم اي بكل المعلومات غافر الذنب
اي بسائر الذنب وقابل التوب اي التوبة قال ابن عباس غافر
الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله
شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله ذي الطول اي ذي
السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم واصل الطول الانعام
الذي يطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اي هو الموصوف بهذه
الصفات الواجد البيّن الذي لا يوصف بها غيره اليه المصير اي مصير

العباد

العباد عليه في الاخرة قوله تعالى ما يجادل اي ما يخاصم ويحاج في ايات
الله اي في دفع ايات الله بالتكذيب والانكار الا الذين كفروا قال ابو
قال ابو العالية اتيان ما اشدهم على الذين يجادلون في القران
قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا
في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان جدالا في القران كفر واخرجه ابو داود وقد روى
المدائني القران كفروا عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمادون فقال
انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا الكتاب الله عز وجل وانما قال
نزل يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم
منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه وعن عبد الله بن عمر
وابن العاص قالا هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا في اية فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم
باختلافهم في الكتاب فلا يبقى تقلبهم اي تصرفهم في البلاد
للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فتان عاقبة امرهم العذاب
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين
تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة
برسولهم ليأخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل
ليأسروه وجادلوا اي خاصموا بالباطل ليدحضوا اي ليبطلوا
به الحق الذي جاءت به فاخذتهم فكيف كان عقاب اي انزلت بهم
من الهلاك ما هو اهم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان
عقابي اياهم اليس كان مهلكا مستاصلا وكذلك حقت اي
وجبت كلمة ربك اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة
حقت على الذين كفروا من قومك انهم اي بانهم اصحاب النار قوله

عز وجل الذين يحملون العرش قيل هم حملة العرش اليوم اربعة فاذا
كان يوم القيمة امد هم الله باربعة اخرى كما قال وحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية وهم من اشرف الملائكة واقربهم لقربهم من الله عز
وجل وهم على صور الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه
رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة
جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان
يهفون بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتمجيد والتكبير
والتحميد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سما الى سما وقال ابن
عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة
خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون
والسموات الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذي الملك والملكوت
سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح
وقيل ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم
خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السما السابعة
واهل السما السابعة اشد خوفا من اللتي وروى جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال قال اذن لي ان احدث عن ملك من
ملائكة الله من حملة العرش اذا ما بين شحمة اذنه الى عاتقه
مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود واما صفة العرش فقيل
انه جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا روى جعفر
بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم
العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام
ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر
اليه خلق من خلق الله ولا اشباها لهما في العرش كحلقة في فلاة
وقال مجاهد بين السما السابعة وبين العرش سبعون الف
حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان

العرش

العرش قبلة لاهل السما كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض قوله تعالى
ومن حوله يعني الطائفين به وهما الكروبيون وهم سادات الملائكة
قال وهب بن منبه ان حول العرش لسبعون الف صف من الملائكة
صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء ومن وراء
سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم قد رصوها صوا تهم فقالوا سبحانك
فاذا سمعوا التكبير اولبيك رتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك
ربنا نحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم
اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة صف من الملائكة قد رصوا
اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر
ما بين حجاجي احدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين منكبي احدهم
احد هم الى عاتقه اربعمائة عام واحتجب الله من الملائكة الذين
حول العرش بسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين
حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت
احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين
حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل فقوله
يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون الله عما لا يليق بجلاله والتحميد
والتسبيح هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق ويومنون به
اي يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثيل له ولا نظير له فان
قلت الذين يسبحون بحمد ربهم يومنون به ولا يكون التسبيح الا
بعد الايمان فما فايدة قوله ويومنون به قلت فايدته
التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله
عز وجل محتجبا عنهم بحجاب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان
به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم

يمم

يريدون ذنوب بني ادم ويستغفرون للذين امنوا اي يسالون الله
طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملايكة مقابل لقولهم اجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدما فلما صدر هذا منهم ولا تاركوه بلا استغفار
لهم تاديبا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في احد بشيء يكره ان
يستغفر له ربنا اي ويقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثنا على الله بما هو اهله
قبل المطلوب بالدعا فلما قدموا الثنا على الله عز وجل قالوا فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك اي دينك وقهم عذاب الجحيم قال معروف
الفصح عباد الله للموحدين الملايكة واعش الخلق للموحدين هم الشياطين
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم
وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم قيل اذا دخل المؤمن
الجنة قال اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال انهم لم
يعملوا بعملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة
فاذا اجتمع باهله في الجنة كان اكمل لسروره ولذته وقهم السيات
اي عقوبات السيات بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب
العقاب ومن تق السيات يومئذ اي تقه في الدنيا فقد رحمته
اي في القيامة وذلك هو الفوز العظيم اي النعيم الذي لا ينقطع في
جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى ان
الذين كفروا ينادون اي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا
انفسهم حين عرض عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم
لمقت الله اي اباكم في الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون
الى الايمان فتكفرون اليوم عند حلول العذاب بكم قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال ابن عباس كانوا امواتا في
اصلاب ابايهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم ثم يحييهم الموتة
التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان

وقيل

وقيل امتنا في الدنيا ثم احيوا في القبر للسوال ثم اميتوا في قبورهم
ثم احيوا للبعث في الاخرة وذلك انهم عدموا في اوقات البلا والمحنة
وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة
للبعث فاما الاولى الحياة التي هي في الدنيا فلم يعدوها لانها لم تسبق
من افتسام البلا وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القبر وموتتين
وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السوال
ولم يعد حياة السوال لقصر مدتها فاعترفوا بذنوبنا يعني
انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم
ثم سالوا الرجعة بقولهم وهل الى خروج اي من النار من سبيل
والمعنى هل من رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك
وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك
تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جا الجواب على
حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم معناه
فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بانكم
اذا دعي الله وحده كفرتم بعبادته اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك وان
يشرك به اي غيره تؤمنوا اي تصدقوا ذلك المشرك فالحكم لله العلي
اي الذي لا اعلى منه الكبير اي لا اكبر منه قوله عز وجل هو الذي يريكم
اياته اي عجايب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وينزل لكم من
السما رزقا يعني المطر الذي هو سبب الارزاق وما يتذكر اي يتعظ
بهذه الايات الا من ينيب اي يرجع الى الله في جميع اموره فادعوا
الله مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله
تعالى رفيع الدرجات اي رافع درجات الانبيا والاولياء والعلما
في الجنة وقيل معناه المرتفع اي انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته
في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن من سواه وكل
الخلق فقراء اليه ذو العرش اي خالقه ومالكه والمفيد في تخصيص

العرش بالذكر لانه اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال
القدرة فكل ماكان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى يلقي الروح
يعني ينزل الوحي سماه روحا لان به تحيي الارواح كما تحيي الابدان
بالارواح من امره قال ابن عباس من قضايه وقيل امره وقيل من قوله
على من يشاء من عباده يعني الانبياء لينذر يوم التلاق يعني ليندر
النبي صلى الله عليه وسلم بالفرجي يوم التلاق وهو يوم القيامة
والمعنى يلتقي اهل السماء واهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق
وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل
يلتقي الظالم والمظلوم يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم
ظاهرون لا يسترهم شيء لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم
واحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في سائر الايام
فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا
استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم
وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال
لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم
اي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق من الملك
والاحد يجيب نفسه تعالى فيقول لله الواحد القهار
اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون
في يوم القيامة نادى مناد من الملك اليوم فيجيبه جميع الخلائق
في يوم القيامة لله القهار فالمؤمنون يقولونه قلبا واجابة كانوا
يقولونه في الدنيا وثوابه المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار
يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه
في الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزى المحسنون
باحسانهم والمسيئون باسيائهم لا ظلم اليوم اي ان الخلق
امنون في ذلك اليوم من الظلم لان الله ليس بظلام للعبيد

ان

ان الله سريع الحساب اي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب
الخلق كلهم في وقت واحد قوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة يعني
يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت قريب اذ القلوب
لدى الحناجر وذلك انها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى
الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا
ويستريحوا كاظمين اي مكربين مغتمين حزنا وحرنا حتى يضيق
القلب عنه ما للظالمين من حميم اي من قريب ينفعهم ولا شفيع
اي يشفع لهم يطاع اي فيهم يعلم خائنة الاعين اي خيانتها
وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله
عنه وما تخفي الصدور اي مضمرات القلوب والله يقضي بالحق
اي يحكم بالعدل والذين يدعون من دونه يعني الاصنام
لا يقضون بشيء لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء ان الله هو
السميع اي لاقوال الخلق البصير لافعالهم اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم
قوة واثارا في الارض اي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان
الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق اي يدفع
عنهم العذاب ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد
العقاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق
من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا
معه وقيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون قد كان امسك
عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه
اعيدوا عليهم القتل واستحيوا نساءهم اي استحيوا النساء كي

وقارون

يصد وهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته وماكيد الكافرين
اي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم الا في ضلال اي يذهب
كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريدونه الله تعالى وقال فرعون اي
للملا الذين حوله دعوني اقتل موسى وانما قال فرعون هذا لانه كان في عامة
قومه من يمنعه من قتل موسى كان فيهم من يعتقد بقلبه انه صادق
وقيل قالوا لا تقتله وانما هو ساحر يضعفنا ولا بد ان يغلب علينا
بسحره فان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزنا عن جوابه
فتقتلوه والبدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله
الينا فليمنعه منا اني اخاف ان يبدل دينكم يعني يقول فرعون
لقومه غيروا دينكم الذي انتم عليه وان يظهر في الارض الفساد يعني
بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره وقال موسى لما
تواعده فرعون بالقتل اني عذت بربي وربكم يعني ان موسى
لما رأيات في وجوه بني اسرائيل اي عند سماعهم من فرعون
صانه الله عن كل بلية من كل متكبر اي متعظم عن الايمان بالله
بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مومن من ال فرعون
يكتم ايمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل
كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الاية وقال رجل
مومن يكتم ايمانه من ال فرعون وكان اسم هذا المومن حزقيل
عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحاق كان اسمه
حبريل وقيل حبيب اتقتلون رجلا ان يقول اي لان يقول
ربي الله وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد
وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه اشارة الى تقدير نبوته
باظهار المعجزات والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه وان يك
كاذبا فعليه كذبه اي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه
وان يك صادقا اي فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم قيل

معناه

معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض
على اصلها ومعناه كانه قال على طريق الاحتجاج اقل ما في
صدقه ان يصبكم بعض الذي يعدكم وفيه نظر لان كل من تدكر البعض يوجب
الكل ان الله لا يهدي اي الى دينه من هو مسرف كذاب اي علي
الله في عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن
العاص عن اشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة
اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل
ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من
ربكم قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي عالين
في الارض اي ارض مصر ممن ينصرنا اي يمنعنا من باس الله
ان جاءنا والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل
النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم قال فرعون ما اريكم اي
من الراي والنصيحة الا ما اري لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد
اي ما ادعوكم الي طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مومن ال
فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به مثل ما حل
بالامم قبله بقوله وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى اتاهم العذاب
وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيامة سمي يوم
القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل اناس بامامهم وينادي
بعضهم بعضا فينادي اصحاب الجنة اصحاب النار واصحاب النار

اصحاب الجنة ويناديي منه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان
سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقوة لا يسعد
بعدها ابدا ويناديي حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت وقيل ينادي المومن هاوما اقر واكتابيه
وينادي الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم
التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير
النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة
صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه يوم تولون مدبرين اي منصرفين عن موقف الحساب الى النار مالكم من الله
من عاصم اي يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد
اي يهديه ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف بن يعقوب من قبل
اي من قبل موسى بالبينات يعني قوله اربا يا متفرقون امر الله
الواحد القهار قيل مكث يوسف فيهم عشرين سنة نبيا وقيل
ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون اخر فما
زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده
لا شريك له والمعنى انهم يتواشكون في نبوته ثم يتيقنوا بتلك
البينات التي جاءهم بها حتى اذا هلك بعض ما قلتم لن
يبعث الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان
الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التهكم والتمرد
من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم اماسا في تكذيب
الاشياء الذين ياتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من
بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها
وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموما الى التكذيب
برسالته كذلك يضل الله من هو مسرف اي في شركه وعصيانه
مرتاب اي في دينه الذين يجادلون في ايات الله قيل هذا

تفسير

تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال ايات
الله بالتكذيب بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان اتاهم
من الله كبر مقتا اي ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين
امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار قوله عز وجل وقال
فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي صرحا اي بناء ظاهرا
لا يخفى على الناظر وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي طرقها وابوابها من
سماء الى سماء فاطلع الى اله موسى واني لاظنه يعني موسى كاذبا
اي في ما يدعي ويقول ان له ربا غيري وكذلك زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل قال ابن عباس صده الله عن
سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح اي وصد فرعون الناس السبيل
وما كيد فرعون الا في تباب اي وما كيده في ابطال ايات موسى
الا في خسار وهلاك قوله تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعون
اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى يا قوم انما هذه الدنيا
متاع اي متعة يتمتعون بها مدة ثم تنقطع وان الاخرة هي
دار القرار اي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية متقرضة
لا منفعة فيها وان الاخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني
قال بعض العارفين لو كانت الدنيا مباحا فانيا والاخرة محرما باقيا
لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا حرام فان والاخرة
ذهب باق من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها قيل معناه من
عمل بالشرك فجزاؤه النقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير
حساب اي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل
يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير ويا قوم مالي ادعوكم الى
النجاة وتدعونني الى النار معناه انا ادعوكم الى الايمان الذي

الحاقة مكي

يوجب النجاة من النار وانتم تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار
ثم فسر ذلك فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به
علم اي لا اعلم ان هذا الذي تدعونني اليه اله وما ليس باله كيف
يعقل جعله شريكا للاله الحق وها بي اتم بيد عوت الي الكفر والشرك
بين انه يدعوهم الي الايمان بقوله وانا ادعوكم الي العزيز اي
في انتقامه ممن كفر الغفار اي لذنوب اهل التوحيد لا جرم بعني
حقا انما تدعونني اليه بعني الصنم ليس له دعوة في الدنيا ولا
في الاخرة بعني ليست له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في
الاخرة وقيل ليست له دعوة الي عبادة في الدنيا لان الاصنام
لا تدعي الربوبية ولا تدعوا الي عبادتها وفي الاخرة تتبرا من عابديها
وان مردنا الي الله اي مرجعنا الي الله اي فيجازي كلا باستحقه
وان المسرفين بعني المشركين هم اصحاب النار فستذكرون
ما اقول لكم اي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر وافوض
امري الي الله اي ارد امري الي الله وذلك انهم توعدوه وهموا
بينهم ان الله بصير بالعباد بعني يعلم المحق من المبطل فوقاه الله من
من بينهم يطلبوه فلم يقدروا عليه فوقاه الله سيئات ما مكروا
اي ما اراد وا به من الشر قيل انه لحق مع موسى وكان قبطيا وحاق
اي نزل بال فرعون سوء العذاب بعني الغرق في الدنيا والنار
في العقبا الاخرة وذلك قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
بعني صباحا ومساءا قال ابن مسعود ارواح ال فرعون في جوف
طيور سود يعرضون علي النار كل يوم مرتين فتغدوا وتروح
الي النار ويقال يا ال فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة
وقيل تعرض ارواح كل كافر علي النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا
ويستدل بهذه الاية علي اثبات عذاب القبر اعاذنا الله منه بمنه
وكرمه ق عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم

قال

قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن
اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة
قال تعالي ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اي يقال
لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب قال ابن عباس ان
العذاب غير الذي كانوا فيه فوت به منذ اغرقوا قوله تعالي واذ
يتحاجون اي اذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون بعني اهل النار
في النار فيقول الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا اي في
الدنيا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا
بعني الرؤساء والقادة انا كل فيها بعني نحن وانتم ان الله قد
حكم بين العباد اي قضي علينا وعليكم وقال الذين في النار بعني
حين اشتد عليهم العذاب لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما
من العذاب قالوا بعني الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات بعني
الاعذار لكم بعد مجي الرسل قالوا بلى اعترفوا بذلك قالوا فادعوا بعني
انتم انا لا ندعوا لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب فقال الله
وما دعاء الكافرين الا في ضلال بعني يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله
عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا قال
ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعدا
في الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة علي
من خالفهم تارة وقد ينصرهم الله بالقهر علي من ناواهم واهلك
اعداهم بالانتقام منهم كما نصر يحيي بن زكريا لما قتل فانه قتل
به سبعين الفا ويوم يقوم الاشهاد بعني وينصرهم يوم القيمة
يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملايكة يشهدون للرسل
بالتبليغ وعلي الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين بعني
اعتذارهم عن كفرهم لم يقبل منهم ولهم اللعنة اي البعد من

الظالمين

من خلق الناس اي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون
ان الله خلق السموات والارض وذلك اعظم من الصدور من
خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت ولكن اكثر الناس
لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حق لا يستدلون بذلك على
خالقهم وقال قتادة لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس اي اعظم من خلق
الناس لدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين
يحاصمون في امر الدجال فصل في ذكر امر الدجال م
عن هشيم ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر من
الدجال مما ناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال ق عن ابن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين
اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود والترمذي عنه قال قام
النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله
ثم ذكر الدجال فقال انذركموه وما من نبي الا وقد انذر قومه
لقد انذر نوح قومه ولكني سا قول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه
تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور وفي عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته
الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين
عينيه كافر وفي رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجاها كل
يقرأه كل مسلم عن اسما بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه
ثلاث سنين سنة تمسك السما ثلث قطرها والارض ثلث نباتها
والثانية تمسك السما ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة
تمسك السما قطرها والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا
ذات ضرس من البهايم الا هلك ومن اشد فتنه انه ياتي الاعرابي

الرحمة ولهم عقبى الدار يعني جهنم ولقد اتينا موسى الهدى
يعني التوراة وقيل التوراة والزبور وانا بني اسرائيل الكتاب يعني
التوراة وقيل سايرالكتب المنزلة على انبيايهم هدى وذكرى لاولي
الالباب قوله تعالى فاصبر اي يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق
اي في اظهار دينك واهلاك اعدايك قال الكلبي نسخت اية القتال
اية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغاير وهذا على قول من
يجوزها على الانبيا وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل
على من كان قد صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغاير
على الانبيا يقول هذا تعبد من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
ليزيده به درجة وليصير به سنة لغيره من بعده وذلك لانه
مجامع الطاعات محمورة في تسميح التوبة عما لا ينبغي الاشتغال
بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال
بالطاعات وهو قوله وسبح بحمد ربك اي تنزه ربك عن ما لا يليق به
جلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والابكار يعني صلاة العصر
وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ان الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتاهم يعني كفار قريش ان في صدورهم
الا ماني قلوبهم الا كبر قال ابن عباس ما هم ببالغيه تكذيبك
الا ماني صدورهم من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه اي ما هم بالغي
مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الا كبر على محمد
صلى الله عليه وسلم وطمع ان يقلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل
نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان
صاحبنا المسيح بن داود يعني الدجال يخرج في اخر الزمان
فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى فاستعذ
بالله من فتنة الدجال انه هو السميع لاقوالهم البصير اي
لافعالهم قوله تعالى لخلق السموات والارض اي مع عظمها اكبر

من

فيقول ارايت ان احييت لك ابلك اتشت تعلم اني ربك قال فيقول
بلى فيمثل له خوابله كاحسن ما كوت مرو عا واعظمها اسمنة
ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت
لك اباك واخاك اتشت تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان
كخوابيه وكخواحيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قال فاخذ
بلحمتي الباب فقال مهيم اسما قلت يا رسول الله لقد خلعت
افيدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه والا فان
ربي خليفتي على كل مومن قالت اسما فقلت يا رسول الله وانا
لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمومنين يومئذ قال
يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية
عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في
الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة
كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار رواه احمد وبث اخرجه
البيهقي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول
الله ما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر
ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول فذاك اليوم الذي
كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا
يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته
الريح وفي رواية ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح
سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وغيلوم ينزل عيسى عند
المنارة البيضا شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله ثم
حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع
الدجال اذا خرج ماء ونارا فالذي يراه الناس انه نار فماء بارد واما الذي
يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادركه منكم فليقع في الذي يرى

انه نار فانه ماء عذب بارد ثق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه
انه اعور وانه يجي بمثال الجنة والنار فالذي يقول انها الجنة هي
النار واني انذركم كما انذر نوح قومه ق عن المغيرة بن شعبة قال
ما سالم احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر ما سا
وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر
ما قال هو اهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينا منه
فوالله ان الرجل ليانيه وهو يحسب انه مومن فيتبعه مما يبعث
به من الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه ابو
داود ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس
من بلد الا سيطاه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من انقابها
الا عليه الملايكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف
المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق م
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي المسيح
من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم يصرف
الملايكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الدجال يخرج بارض المشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان
وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع
الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة عن
مجمع بن حارثة الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النواوي

قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في فتنة الدجال
حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلي الله
به عباده فاقدره على اشياء من المقدور ات من احيا الميت الذي
يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره وانباء
كنوز الارض له وامره السما ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت
وبمنع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجز الله بعد ذلك
فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى
ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقها خلافا لمن انكره
وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي
المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود
ولكن الذي يأتي به زعموا انها مخاريق وخبايات لا حقائق لها
وزعموا انها لو كانت حقا لصاحت معجزات الانبيا وهذا غلط من
جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما
يدعي الربوبية وهي في نفسي دعواه مكذب لها بصورة حاله
وجوده لاهل المحدث فيه وبقص صورته وعجزه عن ازالة
الامور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين
عينيه ولهذه الدلايل لا يغتر به الاعوام من الناس لشدة الحاجة
والفاقة في الرمق او خوفا من اذاه لان فتنته عظيمة جدا
يدهش به العقول ويحير الالباب ولهذا حذرت الانبيا من
فتنته فاما اهل التوفيق فلا يغتروا به ولا يخدعوا بما معه
لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه
ما زدت فيك الا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون
ان معه جبل خبز ونهرا ما قال هو اهون على الله من ذلك
معناه هذا هو اهون على الله من ان يجعل ما خلقه الله عز

وجل

وجل على يديه ممتلا للمومنين ومشكلا للغلو بهم بل انما جعله الله له
ليزداد الذين امنوا ايمانا وليثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس
معناه انه ليس معه شي من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ما
ونار فماوه نار وناره ما بارد والله اعلم قوله عز وجل وما يستوي
الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسي اي لا يستوون قليلا ما تتذكرون ان الساعة يعني
القيامة لاتية لا ريب فيها اي لا شك في قيامها ومجيبها ولكن
اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله
تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم اي اعبدوني دون غيري
اجبكم واثيبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعا جعل الاثابة
استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول على المنبر الدعا هو العبادة ثم قرا وقال ربكم
ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيد
جهنم داخرين اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذي وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شي اكرم على الله من الدعا
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن انس ابن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني
استجب لكم وقد يدعوا الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت
الدعا له شروط منها الاخلاص في الدعا وان لا يدعوا وقلبه
لاه مشغول بغير الدعا وان لا يكون المطلوب بالدعا مصلحة للداع
للانسان وان لا يكون فيها قطيعة رحم فاذا كان الدعا بهذه
الشروط كان حقيق الاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يدخرها

له يدل عليه ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من رجل يدعو الله بها الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما
ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع
باثم او قطيعة رحم ويستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول
دعوت ربي فما استجاب لي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وقيل الدعا هو الذكر والسؤال ان الذين يستكبرون عن عبادتي
اي عن توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين
ذليلين قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي
لتحصل لكم الراحة بسبب النوم والسكون والنهار مبصرا اي ليحصل لكم
فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم ان الله لذو فضل على الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم اي ذلكم المميز بالافعال الخاصة
الذي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اي هو
الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء واوانه
لا شريك له في ذلك فاني تؤفكون اي فاني تصرفون عن الحق كذلك اي
كما افكتم عن الحق مع قيام الدلايل كذلك يؤفك الذين كانوا بايات
الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي قرارا تستقرون واعليها
وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت والسماء بناء اي سقفا مرفوعا
كالقبة وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن
عباس خلق ابن ادم قائما ممتدا يأكل وينتاول بيده وغيره ابن
ادم يتناول بفيه ورزقكم من الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده
من المآكل والمشارب من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين هو الحي وهذا يفيد الحصر اي لا حي الا هو فوجب ان يحمل
ذلك على الذي يمتنع ان يموت امتناعا ثابتا وهو الله تعالى
الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي المدرك الفعال لما يريد وهذا
اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات

نبه على كمال الوحدانية بقوله لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين
الحمد لله رب العالمين اي فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال
لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان
اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى الكفر امره الله تعالى ان يقول
ذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب يعني اصلكم ادم وقيل يحتمل
ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية من
النبات والنبات من التراب ثم من نطفة من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم
لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه
من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية وهي حال النمو والزيادة الى ان يبلغ
كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة ومنكم
من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا ولتبلغوا اجلا مسمى اي
وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني اجل الحياة الى الموت ولعلكم تعقلون
اي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده
وقدرته هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته
على الاحياء والاماتة وسايره ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته فانه
قال من الافتقار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه قوله تعالى
الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله يعني القرآن الى يصرفون
اي عن الحق وقيل نزلت في القدرية الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا
به رسلنا فسوف يعلمون ثم وعيد وتهديد ثم وصف ما وعدهم
به فقال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون اي يجرون
بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار يسجرون اي توقد بهم النار
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا
ضلوا عنا اي فقدناهم فلا نراهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا قيل

المتمردين للهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا واعدادا واموالا
من هولاء فما اغنى عنهم اي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون اي اي
شيء اغنى عنهم كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا قيل
هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم واحوال الدنيا سمي
ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي فرادا مما كنا نعبد من دونه
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في
عباده يعني ان سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول
الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعني بتلك السنة
انهم اذا راوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب
وخسر هنالك الكافرون اي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر
في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا راى العذاب والله اعلم

تفسير سورة حم السجدة

وتسمى فصلت وسورة المصابيح وهي مكية وهي اربع وخمسون
اية وسبعمائة وست وسبعون كلمة وثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم
تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته اي بينت وميزت
جعلت معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد
قرانا عربيا اي باللسان العربي لقوم يعلمون اي انما انزلناه
على العرب بلغتهم ليفهموا عنه المراد ولو كان بغير لسانهم
ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقران اي يبشر الاولياء الله
بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب فاعرض اكثرهم اي عنه فهم
لا يسمعون اي لا يصغون اليه تكبرا وقالوا اي بعني مشركي مكة
لرسولنا في اكنة اي اغطية مما تدعونا اليه اي فلا نفقه ما تقول

انهم انكروا عبادتها وقيل لم تكن تدعوا من قبل شيئا لذلك يضل الله به
الكافرين اي كما اضل هولاء ذلكم اي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون
اي تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي تختالون
وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين اي عن الايمان قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ان ينصرك الله على الاعداء فاما
نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب في حياتك او نتوفينك
اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك اي خبره وحاله في القران ومنهم
من لم نقصص عليك اي ولم يذكر لك حال الباقين وليس منهم
احد الا اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه وكذبوه فيها
وما جرى عليهم يتاب ما جرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه
صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
اي بامره واراداته فاذا جاء امر الله اي قضاوه بين الانبياء والامم
قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون اي الذين يجادلون
في ايات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى
جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في
اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم اي تحمل اثقالكم من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم وعليها
وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم
اياته اي دلايل قدرته فاي ايات الله تنكرون يعني ان هذه الايات
الذي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض يعني مصانعهم وقصورهم
والمعنى لو سارهولاء في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين

وفي اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول عنك
بمنزله من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين
وحاجز في البجلة فلا توافقك علي ما تقول فاعمل اي انت علي دينك
انا عاملون اي علي ديننا قل يا محمد انما انا بشر مثلكم اي كواحد
منكم يوحي الي اي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله التواضع
انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اي توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا
عن سبيله واستغفروه اي من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين
الذين لا يأتون الزكاة قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله -
لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد
وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون انيانها واجبا يقال
الزكاة فطرة الاسلام فمن قطعها لحق ومن تخلف عنها هلك وقيل
معناه لا يتقربون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم
وهم بالاخرة هم كافرون اي جاحدون بالبعث بعد الموت ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس
غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به
وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى -
والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب له الاجر كما صح ما كانوا
يعملون فيه خ عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا
فشغله عنه مرض او سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح
مقيم قوله عز وجل قل ائنكم لتكفرون استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين
منكرين احدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وثانيهما وتجعلون له اندادا اثبات الشركاء والاند اد له
والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة انداد الله مع
الله تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد والاثنين

ذلك

ذلك رب العالمين اي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة
لا الاند اد المجعولة من الخشب والحجر وجعل فيها رواسي اي جبالا
ثوابت من فوقها اي من فوق الارض وبارك فيها اي في الارض
بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار
والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر
فيها اقواتها اي قسم في الارض ارزاق العباد والبهايم وقيل قدر في
كل بلده ما لا يحمله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل
قدر الخير لاهل قطر من الارض والثمر لاهل قطر اخر والذرة لاهل
قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سايرالاوقات قيل ان الزراعة
اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال الله
تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين
خلق الارض في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثا
والاربعا فصارت اربعة ايام مردود الاخر علي الاول في الذكر سوا
للسايلين معناه سواء لمن سال عن ذلك فهكذا الامر سواء زيادة
ولا نقصان جوابا لمن سال عن ذلك هكذا اي كما خلقت الارض
والاقوات ثم استوى الى السما اي عمد الى خلق السما وهي
دخان بيني ان ذلك الدخان كان بخار الماء قبل كان العرش
قبل خلق السموات والارض علي الماء فلما اراد الله تعالى ان يخلق
السموات والارض امر الريح فضربت الماء ونتج منه بخار كالدخان
فخلق منه السما ثم يبس الماء فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها
سبع ارضين فتلك هذه الاية مشعرة بان خلق الارض كان قبل
خلق السما وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعرة بان خلق
الارض بعد خلق السما فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور
ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السما بعدها ثم بعد خلق
السما دحى الارض ومدها وجواب اخر وهو ان يقال ان خلق

السما مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الاية خلق الارض
في يومين ليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو
عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في
يومين بعد احداث السما فعلى هذا يزول الاشكال والله اعلم
بالحقيقه فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها اي ايتيا امرنا كما
اي انقادا وقيل افعلا ما امركما طوعا او الا لجانكما الي ذلك حتى
تفعلاه كرها فاجابتاه بالطوع قالتا اتينا طايعين معناه انهما
بما فيهما طايعين فلما وصفهما بالعقول اجراهما في الجمع مجرى من
يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع
لمصالح العباد اما انت يا سما فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت
يا ارض تشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقوله تقضاهن
سبع سموات اتمهن وفرغ من خلقهن في يومين وهما الخميس
والجمعة واوحى في كل سما امرها قال ابن عباس خلق في كل
سما خلقها من الملايكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما
لا يعلمه الا الله وقيل اوحى الى كل سما ما اراد من الامر والنهي وزينا
السما الدنيا اي التي تلي الارض بمصابيح اي بكواكب تشرق
كالمصابيح وحفظا اي وجعلناها بعني الكواكب حفظا للسما من
الشياطين الذين يسترقون السمع ذلك اي الذي ذكر من
صنعه وخلقه تقدير العزيز اي في ملكه العليم اي بخلقه وفيه
اشارة الى كمال القدرة والعلم قوله تعالى فان اعرضوا يعني هولا
المشركين عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم اي خوفتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة
المهلكة من كل شي اذ جاتهم الرسل يعني الى عاد وثمود من بين
ايديهم يعني الرسل الذين ارسلوا الى اباهم وهم هود وصالح
وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم

ان اي بان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملايكة بدل
هذا الرسل فانا بما ارسلتم به كافرون روى البغوي باسناد
الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملا من قريش وابو جهل
قد التبس علينا امر محمد فلو نعلم رجلا عالما بالشعر والكهانة
والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة
والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما
يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال انت يا محمد خير ام
هاشم ثم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم
الهتنا وتضلل ابانا فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك الوية
فكنت راسا ما بقيت وان كان بك الباة زوجناك عشر نسوة تختار
من اي ابيات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به انت
وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم
فلما فرغ قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت ايا ته الى قوله فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال
ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد
واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه
فانطلقوا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا
انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا
لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم
محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته
وقصصت عليه القصة فاجابني بتي والله ما هو بشعر ولا
كهانة ولا سحر وقرا السورة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف

وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب
وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان
سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله
صلي الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد فقال يا معشر
قريش الا اقوم الي محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها
فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة ورا وان اصحاب محمد
يزيدون ويكثرون فقالوا بلي يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة
حتي جلس الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك
منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب
وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم
وعبت الهتهم وكفرت بي من مضي من ابايهم فاسمع مني اعرض
عليك امورا تنظر فيها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم قل يا ابا
الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به ما لا جمعنا لك
من اموالنا حتي تكون من اكثرنا مالا وان كنت تريد بها شرفا سودناك
علينا وان كان هذا الذي بك رايا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك
الطب ولبذل هذا شعرجا شئ به صدرك سنعدر لك فانك تعري
بني عبد المطلب تقدرون من ذلك علي ما لا تقدر عليه حتي
اذا فرغ قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم قد فرغت يا ابا
الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
فاعمل انا عاملون قال امسك امسك ما عندك ما نريد ان نقول ولا نعلم
ما نرد عليك الا ما قلنا فانك اعلم بما قلت فان كنت تري ان قبول ما
جئتنا به يصدنا عن ديننا فلا نقبله ولا حاجة لنا به وان كنت تري ان
تصيب منا شرفا سودناك علينا حتي لا نقطع امرا دونك وان كنت تري
ان تصيب ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع
رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتي نبرئك منه او كما
قال له فلما فرغ عتبة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا قال
فاني افعل فقال

الهون اى ذي الهوان بما كانوا يكسبون اي من الشرك وتخبيثا الذين
امنوا وكانوا يتقون اي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح
ومن امن معه من قومه تولد تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار
فهم يوزعون اي يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق
اخرهم حتى اذا ما جاءوها اي بني النار شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم اي بشرانهم وقيل فروجهم بما كانوا يعملون معناه ان
الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم وعن انس قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون
مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول
يارب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فاني لا اجيز اليوم على
نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا لجلودهم الكفار الذين يحشرون
الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل
شئ معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا انطقكم
ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله
تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل تم الكلام عند
قوله الذي انطق كل شئ ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون وقيل لانه ليس من جواب الجلود وما كنتم تستترون
اي تستخفون وقيل معناه تظنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من
جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون قال ابن عباس كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم
ما في انفسنا ولكنه يعلم ما يظهر فعن عبد الله بن مسعود قال

اجتمع

اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم
بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع
ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال
الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي
هو عبد ياليل وختناه العزى شيبات ربيعة وصفوان بن
امية قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله
لا يعلم ما تعملون اردا كم اي اهلكم وقال ابن عباس طرحكم في
النار فاصبحتم من الخاسرين ثم اخبر عن حالهم بقوله فان
يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن وان يستعتبوا اي يسترضوا
ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذي قبل عتابه واجيب الى ما سال
فما هم من المعتبين اي المرضين وقيضنا لهم اي بعثنا ووكلنا
وقيل هيئنا وسببنا لهم قرناء اي نظرا من الشياطين حتى
اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم اي من امر الدنيا حتى اثروه
على الاخرة وما خلفهم اي يدعوهم الى التكذيب بالاخرة وانكار
البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة
وحق عليهم القول اي وجب في امم اي مع امم قد خلت من
قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله تعالى وقال
الذين كفروا يعني مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه قال ابن عباس يعني والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة
الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض اذا رايتم محمد يقرا فارموه
بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول
والغوا فيه وقيل الغوا فيه باللغا والصفير وقيل صيحوا في
وجهه لعلكم تغلبون يعني محمدا على قراءته فلنذيقن الذين

كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذي باسوء الذي كانوا
يعملون اي في الدنيا وهو الشرك ذلك اي الذي ذكر من العذاب جزاء
اعداء الله ثم بين ذلك الجزاء فقال لهم فيها دار الخلد اي دار الاقامة
لا انتقال لهم عنها جزاء بما كانوا بايانا يجحدون وقال الذين كفروا
اي في النار ربنا اي فيقولون ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن
والانس يعنون ابليس وقابيل ابن ادم قتل اخاه لانهما سنا المعصية
نجعلهما تحت اقدامنا اي في النار ليكونا من الاسفلين اي في
الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا
منا قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال اهل
التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لاجل العمل به وراس
المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى والية الاشارة بقوله ان الذين
قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما
في الوسط غير مايل الي طرف الافراط والتفريط فتكون الاستقامة
في امر الدين والتوحيد وتكون في الاعمال الصالحة سبيل ابوابكر
الصديق عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال
عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا
تروغ روغان الثعلب وقال عثمان استقاموا اخلصوا
في العمل وقال علي بن ابي طالب ادوا الفرايض وهو قول ابن عباس
وقيل استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه
وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لقوا ربهم
وكان الحسن اذا تلا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا
الاستقامة تتنزل عليهم الملايكة قال ابن عباس عند
الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون لهم
في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث الا تخافوا
اي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الاخرة

ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله
وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا اغفرها لكم وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون نحن اولياؤكم اي تقول لهم الملايكة عند نزولهم
بالبشرى نحن اولياؤكم اي انصاركم واحباؤكم وقيل نقول لهم
الحفظة نحن كنا معكم في الحياة الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة
لانقارنكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم
اي من انكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون نزلا
اي رزقا والنزل ترف النزيل وهو الضيف من غفور رحيم قال
اهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الاية جارية مجرى
النزل والكرامة اذا اعطي هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف
والكرامة قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى
طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس
الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المومن اجاب الله فيما دعاه
اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه وعمل صالحا في اجابته وقالت
عايشة اري هذه الاية نزلت في المودنين وقيل ان كل من دعا
الى الله بطريق من الطرق فهو داخل في الاية وللدعوة الى الله
مراتب الاولى دعوة الانبيا الى الله بالمحجات وبالحجج والبراهين
وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبيا المرتبة
الثانية دعوة العلما الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلما اقسام
علما بالله وعلما بصفات الله وعملا باحكام الله المرتبة الثالثة
دعوة المجاهدين الى الله بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى
يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المودنين
الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله والى طاعته وعمل صالحا قيل
العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب وهو معرفة
الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو ساير الطاعات وقيل وعمل صالحا

صلي ركعتين بين الاذان والاقامة عن ابن عبد الله بن مغفل
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة قال
في الثالثة لمن شاء انس بن مالك قال الرعاية بين الاذان
والاقامة لابرد اخرجه ابوداود والترمذي وقال هذا حديث
حسن وقال انبي من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط
بل بضم اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به
قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب
والحلم والجهل والعفو والاساءة ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس
امرنا بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي الصديق القريب
قيل نزلت في ابي سفيان ابن حرب وذلك لانه لان للمسلمين بعد
شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلي
الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة وما يلقاها
اي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة
الا الذين صبروا اي علي تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ
وترك الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اي من الخير والثواب
وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة
واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان
ينزغ الانسان كانه ينخسه اي يبعثه علي ما لا ينبغي ومعنى
الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي
احسن فاستعذ بالله اي من شره انه هو السميع اي لاستعاذتك
العليم باحوالك قوله تعالي ومن اياته اي ومن دلايل قدرته
وحكمته الدالة علي وحدانيته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اي انهما عبدان مخلوقان مسخران
فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبادة عن نهاية التعظيم

والسجود

واسجدوا لله الذي خلقهن اي المستحق للسجود والتعظيم هو الله
خالق الليل والنهار والشمس والقمر ان كنتم اياه تعبدون يعني انه ان
كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه
الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وامروا
بالسجود لله الذي خلق هذه الاشياء كلها فان استكبروا اي عن
السجود فالذين عند ربك يعني الملايكة يسبحون له بالليل والنهار
وهم لا يسامون اي لا يفترون ولا يملون فصل وهذه السجدة
من عزايم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلما وهما
وجهان لاصحاب الشافعي احدهما انه عند قوله ان كنتم اياه تعبدون
وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد
ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح عند اصحاب الشافعي وكذا نقله
الرافعي انه عند قوله وهم لا يسامون وهو قول ابن عباس وابن عمر
وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن ابي حنيفة
لان عنده تمام الكلام وهو ايانه ان ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على
كل شي قدير قوله تعالى ان الذين يلحدون اي يميلون عن الحق في
اياتنا اي في ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية والعفو واللغط وقيل
يكذبون في اياتنا ويعاندون ويتمادون لا يخفون علينا تهديد
ووعيد قيل نزلت في ابي جهل افمن يلقى في النار خير هو ابو جهل
امن ياتي امنا يوم القيامة يعني الذين يلحدون في اياتنا يلقون
في النار والذين يومنون باياتنا امنون يوم القيامة قيل هو
حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر اعملوا ما شيتم امر تهديد
ووعيد انه بما تعملون بصير اي انه عالم باعمالكم فيجازيكم بها ان
الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يعني القران وفي جواب ان وجهان
احدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون

بلغهم والثاني جوابه اولئك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ في وصف
الذكر فقال تعالى وانه لكتاب عزيز قال ابن عباس كريم على الله وقيل
العزيز القديم العظيم وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه
الله بحفظه منه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه قيل الباطل هو الشيطان فلا يقدر
ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل
من بين يديه او يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون
معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب
التي قبله ولا يجيء بعده كتاب يبطله وقيل معناه ان الباطل لا يطرق
اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل
لا يأتيه الباطل بما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر تنزيل
من حكيم اي في جميع افعاله حميد اي في جميع خلقه بسبب فعله
عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم
اياه فقال عز وجل ما يقال لك اي من الاذى والتكذيب الا ما قد
قيل للرسل من قبلك يعني انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما
يقال لك وكذبوا كما كذبت ان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب وامن
بك وذو عقاب اليم اي لمن اصر على التكذيب قوله عز وجل ولو
جعلناه اي هذا الكتاب الذي قراه على الناس قرآنا اعجميا اي
بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي هلا بينت اياته بالعربية
حتى نفهمها اعجمي وعربي يعني كتاب اعجمي ورسول عربي وهذا
الاستفهام انكار للمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون
المنزل عليه عربيا والمنزل اعجميا وقيل في معنى الآية انا لو انزلنا هذا
القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى القوم
العرب ويصح قولهم ان يقولوا لو بنا في اذاننا وقر لا
نفهمه ولا نحيط بمعناه اما اذا انزلناه القرآن بلغة العرب وهم

يفهمونه

يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر
الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه
يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فانزل
الله هذه الآية قل يا محمد هو يعني القرآن للذين امنوا
هدى اي من الضلالة وشفاء اي لما في القلوب من مرض الشرك
والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام والذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اي صموا عن استماع القرآن وعموا
عنه فلا ينتفعون به اولئك ينادون من مكان بعيد اي كما ان من ادعي
من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون
به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه اي فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت
من ربك اي في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن لقضي بينهم اي
لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم وانهم لفي شك منه مريب اي
من كتابك وصدقك من عمل صالحا فلنفسه اي يعود نفع ايمانه
وعمله لنفسه ومن اساء فعليها اي ضرر اساءته وكفره يعود على
نفسه ايضا وما ربك بظلام للعبيد بمعنى فيعذب غير المسيء
قوله عز وجل اليه يرد علم الساعة يعني اذا سئل عنها سائل قيل
لا يعلم وقت قيامها الساعة الا الله ولا سبيل للخلق الى معرفة
ذلك وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها وقال ابن
عباس هو الكوز قبل ان ينشق وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
اي يعلم عدد ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر هو الحمل
او الولد ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم
ما يحدث من كل شيء كائنا او الثمار والنتاج وغيرها فان قلت فقد تقول
الرجل الصالح من اصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان

والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله
واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان
والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم
ادعاظن فتصيب قل ما يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين القطوع
به الذي لا يشترك فيه احد ويرمينا بهم اي برمي الله المشركين يقول
ابن شركاء اي انها الهة قالوا بعض المشركين اذناك اي اعلمناك
ما منا من شهيد اي بشهد ان لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبرؤا
من الاصنام وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدونه
في الدنيا وظنوا ما لهم من محيص اي مهرب بقوله تعالى لا يسام
الانسان اي لا يمل الكافر من دعا الخير اي لا يزال ان يسال ربه
الخير وهو المال والغنى والصحة وان مسه الشر اي الشدة
والفقر يئوس اي من روح الله فنوط اي من رحمته ولئن اذقناه
رحمة منا اي اتيناه خيرا وعافية وغنا من بعد ضراء مسته اي
من بعد شدة وبلا اصابته ليقولن هذا لي اي استحقه بعملي
وما اظن الساعة قائمة اي ولست على يقين من البعث ولئن
رجعت الى ربي بقول هذا الكافر فان كان الامر على ذلك ورجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة والمعنى كما اعطاني في الدنيا
سيعطيني في الاخرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اقال ابن عباس
لنوقفنهم على مساوي اعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ اذا
انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم
واذا مسه الشر اي الشدة والفقر فذو دعاء عريض اي كثير قل يا محمد
لكفار مكة ارايتم ان كان من عند الله يعني القرآن ثم كفرتم به اي جحدتموه
من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى
فلا احد اضل منكم سنريهم اياتنا في الآفاق قال ابن عباس يعني
منازل الامم الخالية وفي انفسهم اي بالبلاء والامراض وقيل ما نزل

بيان

بهم يوم بدر وقيل في الآفاق وهو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد
والمسلمين وفي انفسهم هو فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق يعني
دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم
ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق
يعني اقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار
والنبات وفي انفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى
يتبين لهم انه الحق يعني لا يقدر على هذه الا الله تعالى اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد يعني بيشهد ان القرآن من عند الله
وقيل اولم يكفهم هذه الدلايل الكثيرة التي اوضحها الله لهم على
التوحيد وانه يشاهد لا يغيب عنه شيء الا انهم في مرية من لقاء
ربهم اي في شك عظيم من البعث والقيامة الا انه بكل شيء محيط
اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها احاط بكل شيء علما واحصى
كل شيء عددا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة حم عسق

وتسمى سورة شوري وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور
وحكي عن ابن عباس الا اربع ايات نزلت بالمدينة اولها قل لا اسالكم
عليه اجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي يبشر الله
الى قوله ذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم
ينتصرون الى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون اية وثمانماية
وست وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم عسق سبل
الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع المص والمر وكهيعص
فقال لانها باين سور اوايلها حم فجرت مجرى نظايرها فكانت حم مبتدا
وعسق خبره لانه حم عسق عدت ابيات وعدت اخواتها التي
لم تقطع اية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص

واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من خبر
الحروف وجعلها فصلا فقال معناها حم الامر اي قضي وبقي عسق علي
اصله وقال معناه اي معني حليم مجيد ع علمه س سناؤه ق قدرته
اقسم الله بها وقيل ان العين العزيز والسين من قدوس والقاف
من قاهر وقيل ح حرب قريش بعزتها الذليل ويذل فيها العزيز م
ملك يتحول من قوم الي قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين
كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في ثناء محمد صلي
الله عليه وسلم فالحا حوضه المورود والميم ملكه المحمود والعين عزه
الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود
وقربه من الملك المعبود قال ابن عباس لبيس من نبي صاحب كتاب
الا قد اوحي اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالي كذلك يوحي اليك
والي الذين من قبلك وقيل معناه كذلك يوحي اليك احبار الغيب كما
اوحينا الي الذين من قبلك الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه ه
والمعني كانه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه
وسمة ملكه فقال تعالي له ما في السموات وما في الارض وهو العلي
العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين ه
وقيل تتفطر كل واحدة من فوق التي تليها من عظمة الله تعالي
وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا والملايكة يسبحون بحمد ربهم
اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ويستغفرون
لمن في الارض اي من المومنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان
تستغفر له الملايكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما في حق
الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار
ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سيياتهم
وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سوال الرزق لهم فيدخل فيه
المومن والكافر الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه تعالي يعطي المغفرة

التي

التي سالوها ويعم اليها بمنه وكرمه الرحمة التامة الشاملة قوله تعالي
والذين اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء اتداد الله ه
حفيظ عليهم اي رقيب علي احوالهم واعمالهم وما انت عليهم ه
بوكيل اي لم نوكل بهم حتي يوخذ بهما انت تذبر وكذلك اي
ومثل ما ذكرنا اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القري يعني مكة والمراد
اهلها ومن حولها يعني قري الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذر يوم
يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل
السموات واهل الارضين لا ريب فيه اي لا شك فيه الجميع انه كائن
ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون فريق في الجنة وفريق السعير عن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال خرج علينا رسول الله صلي الله عليه
وسلم ذات يوم قابضا علي كتابين ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذا
الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمني هذا كتاب
من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء ابايهم وعشايرهم وعددهم
قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في ه
الارحام اذا هم في الطينة مجملون فليس يزاد فيهم ولا ناقص
منهم اجمال من الله عليهم الي يوم القيامة ثم قال للذي في يساره
هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء ابايهم وعشايرهم
وعددهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا ه
نطفا في الارحام اذا هم في الطينة مجملون فليس يزاد فيهم
ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الي يوم القيامة فقال عبد
الله بن عمرو فيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب
الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل واي صاحب النار يختم له
بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في
السعير عدل من الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده قوله
تعالي ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال ابن عباس علي دين

واحد وقبل على ملة الاسلام ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي في
دين الاسلام والظالمون اي الكافرون مالهم من ولي يدفع عنهم العذاب
ولا نصير اي يمنعهم من العذاب ام اتخذ وا بمعنى الكفار من دون الله
اولياء تالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير بمعنى من يكون بهذه الصفة
فهو الحقيق بان يتخذ وليا ولا يكون بهذه الصفة فليس بولي
وما اختلفتم فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي
فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل عمله الى
الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه
من حكم الله ولا تتوثروا حكومة غيره على حكومته ذلكم الله اي الذي
يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت اي في جميع اموري واليه
انيب اي واليه ارجع في كل المهمات فاطر السموات والارض جعل
لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا اي حلائل وقيل انما قال
من انفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع ادم ومن الانعام ازواجا
اي اصنافا ذكرانا واناثا يذرؤكم اي يخلقكم وقيل يكثركم فيه
اي في الرحم وقيل في البطن لانه تقدم ذكره الازواج وقيل نسلا
بعد نسل حتى كانت بنو ذكورهم واناسهم التوالد والتناسل
وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام
الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام
وقيل في بمعنى الباء اي يذرؤكم به اي يكثركم بالتزويج ليس كمثله
شيء المثل صلة اي ليس هو كشيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس
مثله شيء قال ابن عباس ليس له نظير قلت هذه الاية دالة
على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض
يقتضي اثبات المثل مما الفرق المثل قلت هو الذي يكون
مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وقوله ليس كمثله

شيء

معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس او يكون معناه ليس لذاته
سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى
الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد ظهر بهذا التفسير
معنى الايتين وحصل الفرق بينهما وهو السميع اي لسماير المسموعات
البصير اي لسماير المبصرات له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح
الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض النبات يدل عليه
قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه يوسع على من
يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده انه بكل شيء
عليم يعني البسط والتضييق قوله عز وجل شرع لكم من الدين
اي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين اي دينا لطالما بعث على
صحبته الانبياء وهو قوله ما وصى به نوحا يعني انه اول الانبياء اصحاب
الشرايع والمعنى قد وصينا واياك يا محمد دينا واحدا او الذي اوحينا
اليك اي من القرآن وشرايع الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب
الشرايع المعظمة والاتباع الكثيرة واولي العزم ثم فسر المشروع
الذي اشتركت فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه والمراد من اقامة الدين هو توحيد الله والايمان
به وبكتبه ورسله واليوم الاخر وطاعة الله في اوامره ونواهيه
وسايرما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح
الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متعاونة قال الله تعالى جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل
تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل
لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار
لله بالتوحيد والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين
والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه

اي من التوحيد ويرضى الاوثان الله يجتبي اليه من يشا اي يصطفي لدينه من يشا من عباده ويهدي اليه من ينيب اي يقبل الى طاعته وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتاب الامن بعد ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم اي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على نبي محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يعني الى يوم القيامة لقضي بينهم اي بين من امن وكفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وان الذين اورثوا الكتاب يعني اليهود والنصارى من بعدهم اي من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية لفي شك منه اي من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به مريب يعني مرتابين شاكين فيه فلذلك اي الى دينه فادع اي الى ما دعى الله به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث من الاختلاف الكثير في الدين فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنفية واستقم كما امرت اي اثبت على الدين الذي امرت به ولا تتبع اهواءهم اي المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اي امنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك ان المشركين امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قال ابن عباس امرت ان لا احيف عليكم بالكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الي الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان الله الكل واحد وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمال الناس فكل يجازى بعمله لا حجة اي لا خصومة بيننا وبينكم وهذه الاية منسوخة باية القتال الم يعزم بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة الله يجمع بيننا اي في المعاد لفصل القضا واليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون

في

في الله اي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجاب الناس لدين الله فاسلموا وعلوا ان دينه الظهور بمجيء نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة اي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي في الاخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق اي الكتاب المشتمل على انواع الدلايل والاحكام والميزان اي العدل سمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا ونهى عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا لنا كذبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها اي ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا مشفقون منها اي خايفون ويعلمون انها الحق اي انها اتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون اي يخاصمون في الساعة قيل يشكون فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يعلكهم جوعا بعاصيهم يدل عليه قوله يرزق من يشا يعني ان الاحسان والبر انعام في حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مومن وكافر وذي روح ونفس من يشا الله ان يرزقه وقيل المطيع في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزق كل من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليه مرة واحدة وهو القوي اي القادر على كل ما يشا العزيز اي الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث الاخرة اي كسب الاخرة والمعنى من كان يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف بالواحدة عشرة الى ما يشا الله من

الزيادة وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات
والطاعات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا
موثرا لها على الاخرة نؤته منها اي ما قدر وقسمله منها وما له
في الاخرة من نصيب يعني انه يعمل لها عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة
والتمكين في الارض فمن كل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة
نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة
واخرجه البغوي باسناده قوله تعالى ام لهم يعني كفار مكة شركا
يعني الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن
عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام مما لم يأذن به الله يعني
ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله الذي امر به وذلك
انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا انهم لا يعلمون
غيرها ولولا كلمة الفصل يعني ان حكم الله بين الخلق بتاخير العذاب
عنهم الى يوم القيامة لقضي بينهم اي لعجل من عذاب الذين
يكذبونك في الدنيا وان الظالمين يعني المشركين لهم عذاب
اليم اي في الاخرة ترى الظالمين يعني يوم القيامة مشفقين
اي وجلين خائفين مما كسبوا اي من الشرك والاعمال الخبيثة وهو واقع
بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كان هذه
الروضات اطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين امنوا وعملوا الصالحات
بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو
دونهم وهم الذين امنوا وعملوا الصالحات من اهل القبلة لهم ما يشاؤن
عند ربهم اي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير اي الذي ذكر من
نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم الجنة يبشر الله عباده الذين
امنوا امنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل قل لا اسالكم عليه علي
تبليغ الرسالة اجرا اي جزاء الا المودة في القربى ح عن ابن عباس

سئل

سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى
ال محمد قال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم
من القرابة وعن ابن عباس ايضا في قوله الا المودة في القربى يعني
ان تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة
وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك ح عن ابن عمر ان ابا بكر قال
ارقبوا محمدا في اهل بيته واحسنوا في قرابته فتتل علي وفاطمة
والحسن والحسين رضي الله عنهم وقيل اهل بيته تحرم عليهم
الصدقة من اقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم
يفترقوا في جاهلية ولا اسلام عن زيد بن ارقم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب
الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على
كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين من اهل بيته يا زيد
اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل
بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم ال علي
وال عقيل وال جعفر وال عباس قال فكل هؤلاء حرم عليه الصدقة
قلت طلب الاجر على تبليغ
الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الانبياء
ما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فلا
نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن
قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه
لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم
وان المودة بين المسلمين امر واجب واذا كان كذلك في حق جميع

المسلمين كان في اهل بيت النبي صلي الله عليه وسلم فقوله قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربي والمودة في القربي ليست اجرا في الحقيقة لان
قرابتهم قرابتهم كانت مودتهم وصلتهم لازمة له وثبت ان لا اجر البتة ه
والوجه ان هذا الاستثنا منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا اسالكم عليه
اجرا ثم ابتدا فقال الا المودة في القربي اي لكن اذكركم المودة في القربي
واذكركم قرابتي منكم في الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه
منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله
صلي الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فامرهم فيها بمودة رسول
الله صلي الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الي المدينة واواه م
الانصار ونصروه احب الله ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل
الله قل ما سالتكم عليه من اجر فهو لكم ان اجري الا علي الله فصارت
هذه الاية ناسخة لقوله تعالي قل لا اسيلكم عليه اجرا الا المودة في القربي
واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الاية غير
مرضي لان مودة النبي صلي الله عليه وسلم وكف الاذي عنه ومودة
اقاربه من فرايض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الي نسخ
هذه الاية وروي عن ابن عباس في معني الاية قول اخر قال الا ان
تؤادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو التقرب الي
الله بقول الا التقرب الي الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقوله
تعالي ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا اي
بالتضعيف ان الله غفور للذنوب شكور اي القليل من الاعمال حتي
يضاعفها ام يقولون اي بل يقولون كفار مكة افتري علي الله كذبا
فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجري علي لسانهم ان ينسبوا
مثله الي الكذب وانه افتري علي الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب قل
ان يشا الله يختم علي قلبك اي يربط علي قلبك بالصبر حتي لا يشق عليك
اذا هموا وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع علي قلبك فينسيك ه

القران

القران وما اتاك فاخبر هما انه لو افتري علي الله كذبا لفعل به ما اخبر
به في هذه الاية ويمح الله الباطل اخبر الله تعالي انما يقولونه باطل والله
يمحوه ويحق الحق بكلماته اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل
الله ذلك فمحي باطلهم واعلي كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور قال
ابن عباس لما نزل قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي وقع في قلوب
قوم منها شي وقالوا يريد ان يحثنا علي اقاربه من بعده فنزل
جبريل فاخبره انهما تهموه وانزل هذه الاية فقال القوم يا رسول
الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده قال ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته فصل
في ذكر التوبة وحكمها قال العلما التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت ه
المعصية بين العبد وبين الله تعالي لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاثة شروط
احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم علي فعلها والثالث يعزم
ان لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة واذا فقد احد
الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة
هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرا من حق صاحبها فهذه شروط التوبة
وقيل التوبة ترك المعاصي بنية وقلا والاقبال علي الطاعات بنية وفعلا
وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة
الي الاحوال المحمودة ح عن ابي هريرة قال سمعت صلي رسول الله
صلي الله عليه وسلم يقول والله اني لا استغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة ح عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الي الله فاني اتوب اليه في اليوم
مايه مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض
دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام
نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتي اذا اشتد الحر والعطش

او ما شاء الله قال ارجع الي مكاني الذي كنت فيه فانام حتي ا
اموت فوضع راسه فلوا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه ه
فاسه اعتد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته وزاده الدوية
الفلاة والمفازة ق عن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط علي بعيره وقد اضله
في ارض فلاة فالاولمسلم عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم الله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم
كان علي راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه
فايس منها فاتي شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس من راحلته فبينما
هو كذلك اذ هو بها قايمة عنده فاخذ خطامها ثم قال من شدة فرحه
اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن
عسال المرادي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله جعل
بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع
الشمس من قبله وذلك قوله تعالي يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ه عن ابي موسي الاشعري
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده
بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل
حتي تطلع الشمس من مغربها قوله عز وجل ويعفوا عن السيات اي
بمحوها اذا تابوا ويعلم ما يفعلون يعني من خير او شر فيجازيهم عليه
ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المومنين اليه
فيما دعاهم له طاعته وقيل معناه ويجيب للذين امنوا اذا دعوه وقال
ابن عباس ويثبت الذين امنوا ويزيدهم من فضله اي ثواب اعمالهم
تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله ه

قال

قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل
ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه
الاية وذلك انا نظرنا الي اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ه
فتمنيناها فانزل الله تعالي ولو بسط الله الرزق لعباده اي وسع
الله الرزق لعباده ليبغوا اي لطغوا وعتوا في الارض قال ابن عباس
بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد
ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغني والقدرة
رجع الي مقتضي خلقته وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه
وفقر انكسر ورجع الي الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع الغنى
والفقر اقل ومع البسط والغني اكثر لان النفس مايلة الي الشر
لكنها اذا كانت فاقدة لالة كان الشر اقل واذا كانت واجدة
كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان ولكن
ينزل بقدر ما يشاء يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله
انه بعباده خبير بصير والمعني انه تعالي عالم باحوال عباده ه
وبطباعهم وعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم علي وفق
مصالحهم بدل علي ذلك ما روي انس بن مالك عن النبي صلي
الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد
وما تقرب الي عبدي المومن بمثل ادائي ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن يتقرب الي بالنوافل
حتي احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا وان
دعاني اجبته وان سالني اعطيته وما ترددت في شيء انا فاعله
ترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته
ولابد له منه وان من عبادي المومنين لمن يساليني الباب
من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان

من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك الى اخر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي باسناده قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي يئسوا الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر وذكرهم بنعمته لان الفرج يحصل النعمة بعد الشدة وينشر اي رحمته يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به الخصب وهو الولي اي لاهل طاعته الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته ومن اياته خلق السموات والارض وما بث اي وجد فيهما اي في السموات والارض من دابة قال قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملايكة قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملايكة مشي مع الطيران وهو مختص بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله خلق في السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يعني يوم القيامة قوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يعني المراد بهذه المصايب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والمحل والغلا والغرق والصواعق وغير ذلك من المصايب فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصي ويعفوا عن كثير قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلي الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر رواه البغوي باسناد الثعلبي

عن

عن ابي سخيلة قال قال علي بن ابي طالب الا اخبركم باوفق اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلي الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وسافسرها لكم يا علي ما اصابكم من مصيبة اي من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليه العقوبة في الاخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال علقمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره الا بها او درجة لم يكن الله ليرفعه الا بها عن عايشة قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يصيب المومن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وما انتم بمعجزين اي بفايتين في الارض هربا يعني لا تعجزوني حيث ما كنتم فما بكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله تعالى ومن اياته الجوار في البحر يعني السفن وهي السيارة في البحر كالاعلام اي كالقصور وكل شي مرتفع عند العرب فهو علم ان يشا يسكن الريح اي التي تجري بها السفن فيظللن يعني السفن الجواري رواكد اي ثوابت على ظهره اي على ظهر البحر لجري ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وهذه صفة المومن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخا او يوبقهن اي يغرقهن بما و يهلكهن بما كسبوا اي بما كسبت ركابها من الذنوب ويعف عن كثير اي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون بالقران اذا صاروا الى الله ما لهم من مهرب من عذابه وما اوتيتم من شي اي من زينة الدنيا فمتاع الحياة الدنيا اي ليس هو من زاد المعاد وما عند الله اي من الثواب خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى ان المومن والكافر يشتركان في متاع الحياة الدنيا فاذا صار الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا للمومن والذين

يجتنبون كبايرالاثم يعني كل ذنب يعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة
وشبه ذلك والفواحش يعني ماعظم قبحه من الافعال والاقوال
واذا ماغضبوا هم ينتصرون حيفي يكظمون الغيظ ويحلمون والذين
استجابوا لربهم اي اجابوه الي ماد عاهم اليه من طاعته واقاموا
الصلاة يعني المفروضة وامرهم شورى بينهم يعني يتشاورون
فيما يعيد والهم ولا ينجملون ولا ينفردون برايي مالم يجتمعوا عليه
قيل ماتشاور قوم الاهدوا لارشد امرهم ومما رزقناهم ينفقون
والذين اذا اصابهم البغي يعني الظلم والعدوان هم ينتصرون يعني
ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله المومنين
صنفين صنف يعفون عن من ظلمهم بعد ان ذكرهم وهو قوله واذا
ماغضبوا هم ينفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين
ذكروا في هذه الاية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم
فاذا قدروا عفوا وقيل ان المعنوا عنا للسفيه وقال عطاهم المومنون
الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض
حتي انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالي ان شريعة الانتصار
مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي
الجزاء سيئة وان لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل ان الجزاء
يسوء من يتزل به وقيل هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله فقل له
اخزاك الله ولا تزد اذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعده وقيل هو في
القصاص في الجراحات والدماء بقتص بمثل ما جني عليه وقيل
ان الله لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو
اولي بقوله تعالي فمن عفي اي عن من ظلمه واصلح اي بالعفو بينه
وبين الظالم فاجره علي الله قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادي
منادمن كان له علي الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفي ثم قرا هذه
الاية انه لا يحب الظالمين قال ابن عباس الذين يبدون بالظلم

ولمن

ولمن انتصر من بعد ظلمه اي بعد ظلم الظالم اياه فاولئك يعني ما
المنتصرين ما عليهم من سبيل اي بعقوبة ومواخذة انما السبيل
علي الذين يظلمون الناس اي يبدون بالظلم ويبغون في الارض
بغير الحق اي يعملون فيها بالمعاصي اولئك لهم عذاب اليم ولمن
صبر اي لم ينتصر وغفر اي تجاوز عن ظالمه ان ذلك اي الصبر
والتجاوز لمن عزم الامور يعني تركه الانتصار لمن عزم الامور م
الجيدة التي امر الله بها وقيل ان الصابر يوتي بصبره الثواب فالرغبة
في الثواب انقد عزم ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده يعني
ماله من احد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه
وترا الظالمين لما راوا العذاب يعني يوم القيامة يقولون هل الي مرد
من سبيل يعني انهم يسالون الرجعة الي الدنيا وتراهم يعرضون
عليها اي علي النار خاشعين من الذل اي خاضعين متواضعين
ينظرون من طرف خفي يعني بسارقون النظر الي النار خوفا منها
وذلة في انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من
الذل وقيل ينظرون الي النار نظر من لا يشعر لانهم يحشرون عميا والنظر
بالقلب خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم يعني بان صاروا الي النار واهليهم يوم القيامة يعني
وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة الا ان الظالمين في
عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله
ومن يضلل الله فما له من سبيل اي وصول الي الحق في الدنيا و
الجنة في الاخرة قد استدل عليهم طرق الخير استجيبوا لربكم اي
اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلي الله عليه وسلم من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد علي دفعه وهو يوم القيامة
وقيل هو يوم الموت مالكم من ملجا يومئذ اي مالكم من مخلص من
العذاب وقيل من الموت ومالكم من نكير اي ينكر حالكم وقيل النكير

الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من اعمالكم شيأ فان اعرضوا اي عن
الاجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا اي تحفظ اعمالهم انما عليك البلاغ
اي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واذا
اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنى والصحة فرح بها
وان تصبهم سيئة اي تحط بما قدمت ايديهم اي من الاعمال الخبيثة
فان الانسان كفور اي لما تقدم من نعمة الله عليه قوله عز وجل لله
ملك السموات والارض يعني له التصرف فيما يريد يخلق ما يشا اي لا يقدر
احد ان يعترض عليه في ملكه واراد انه يهب لمن يشا اناثا اي فلا يولد
له ذكر ويهب لمن يشا الذكور اي فلا يولد انثى او يزوجهم ذكرانا و
اناثا اي يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث ويجعل من يشا عقيما
اي فلا يولد له ولد قيل هذا في الانبيا عليهم السلام وقوله يهب
لمن يشا اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكرا انما ولد له ابنتان ويهب لمن
يشا الذكور يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثى او يزوجهم
ذكرانا وانا تابعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين وار
بنات ويجعل من يشا عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام لم
يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالاية عامة في جميع الناس م
انه عليم اي بما يخلق قدير اي على ما يريد ان يخلق قوله تعالى ه
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قيل في سبب نزولها ان اليهود
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا نكلم الله وننظر اليه ان كنت نبيا كما
كلمه موسى وينظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله فانزل الله
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحي اليه في المنام او بالالهام
كما اري ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت ام موسى
ان تقذفه في البحر او من وراء حجاب اي يسمعه كلامه من وراء حجاب
ولا يراه كما كلم موسى او يرسل رسولا بعض من الملايكة اما جبريل او
غيره فيوحي باذنه ما يشا يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه

باذن

باذن الله ما يشا وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم بشر الا من وراء
حجاب في الدنيا واما في بيان هذه المسالة ان شا الله تعالى في سورة
النجم انه علي اي عن صفات المخلوقين حكيم اي في جميع افعاله قوله عز
وجل وكذلك اي وكما اوحينا الى سايرر رسلنا اوحينا اليك روحا من
امرنا قال ابن عباس نبوة وقيل قرانا انا به حياة الارواح وقيل رحمة
وقيل جبريل ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب يعني القران
والايمان اختلف العلما في هذه الاية مع اتفاقهم على ان الانبيا قبل
النبوة كانوا مومنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرايع
الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحاق وابن خزيمة الايمان في
هذا الموضع الصلوة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم
ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله ويحج ويعتمر ويبغض الكلا
والعوي ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم
عليه السلام ولم يتبين له شرايع دينه الا بعد الوحي اليه ولكن جعلناه
نورا قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القران لانه يهتدي به من
الضلالة وهو قوله تهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي
اي لتدعوا الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام صراط الله
يعني الذي شرعه لعباده الذي له ما في السموات وما في الارض الا
الى الله تصير الامور يعني امور الخلايق في الاخرة فيجزي المحسن
ويعاقب المسي والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الزخرف

وهي مكية وهي تسع وثمانون اية وثمانمايه وثلاثون كلمة وثلاثة
الاف واربعمايه حرف لبسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان
طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة

وقيل المبين بمعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم انا جعلناه اي
صيرناه قرانا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه
وقيل انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون بعني معانيه واحكامه وانه
بعني القران في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق
الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق في الكتاب عنده ثم قرا وانه
في ام الكتاب لدينا فالقران مثبت عند الله تعالى في اللوح المحفوظ
لعلي اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقران
فانه عندنا لعلي رفيع شريف وقيل علي جميع الكتب حكيم اي محكم
لا يتطرق اليه الفساد والبطلان قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا
معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القران فلا نامركم وننهاكم
من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى ان اي
لان كنتم قوما مسرفين والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان
هذا القران دفع حين رده او قبل هذه الاية لهلكوا ولكن الله اعاد
بعايدته ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شا الله وقيل
معناه افنضرب عنكم بذكرنا ايانا كم صلحين اي معرضين عنكم وقيل
معناه افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل
افنترككم فلا نعاقبكم علي كفركم وكم ارسلنا من نبي في الاولين
وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون بعني كما استهزا قومك بك
وفيه تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي اقوي من قومك قوة ومضي مثل الاولين اي صفتهم
والمعني ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان
قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما انزل بالاولين من الخزي
والعقوبة قوله عز وجل ولين سالتهم اي سالت يا محمد قومك من
خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم يعني انهم
اقروا بان الله تعالى خالقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم به لك

عبدوا

عبد واغيره وانكروا قدرته علي البعث لغرط جهلهم ثم ابتدا
تعالي والاعلي نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الارض
مهادا معناه وانفة ساكنة يمكن الانتفاع بها كما يكون المهد موضع
راحة الصبي فكذلك جعل الارض مهادا لكثره ما فيها من الراحة
للخلق وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون اي مقاصدكم في
اسفاركم والذي نزل من السما ما بقدر اي بقدر حاجاتكم اليه لا كما
انزل علي قوم نوح حتي اهلكهم فاسقرنا به اي بالمطر بلدة ميتا
اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم
احيا والذي خلق الازواج كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل
ما سوي الله تعالي فهو زوج وهو الفرد الذي منزه عن الاضداد
والزوجية وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا علي ظهوره
اي علي ظهور الفلك والانعام بعني في البر والبحر ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه بعني بتسخير المركب في البر والبحر وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين
وقيل ضابطين وانا الي ربنا لمنقلبون اي لمنصرفون في المعاد عن
ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اذا استوي علي
بعيره خارجا الي سفر حمد الله تعالي وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون اللهم
انا نسالك في سفرنا هذا البر والتقوي ومن العمل ما ترضي اللهم هون
سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة
في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثا السفر وكابة المنظر وسوء المنقلب
في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن ايبون تايبون عابدون
لربنا حامدون قوله وعثا السفر يعني تعبه وشدته ومشقته
وكابة السفر الكابة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من
سفره حزينا كيسا ويصادف ما يحزنه في اهل ومال عن علي بن

ابي ربيعة قال شهدت علي بن ابي طالب وقد اتي بدابة ليركبها فلما وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال
الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين
مم ضحكك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت
قلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده
اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا يعني ولدا
وهو قولهم الملايكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا
هنا حكموا واثبتوا ان الانسان كفور مبين اي لجحود لنعم الله تعالى ام
اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم
لنفسه البنات واصفاكم اي اخصكم بالبنين واذا اشتراحدهم بما ضرب للرحمن
مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس
الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل
له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى
ظل اي صار وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض
العرب ولد له انثى فهجر بيت امراته الذي ولدت فيه الانثى فقالت له
المراة ما لابي حمزة لا ياتينا ٭ يظل في البيت الذي يلينا
غضبان انا لا نلد البنينا ٭ ليس لنا من امرنا ما شينا
وانما ناخذ ما اعطينا ٭ وكلنا في الحالة قادر فينا
قوله عز وجل او من ينشا يعني او من يربى في الحلية يعني الزينة
والنعمة والمعنى او جعل من الرحمن من الولد هذه الصفة المذمومة
صفته واولا نقصانها اذا احتاجت ان تتزين لنفسها بالحلية تتزين
لنقصان حالها بوجه اخر وهو قوله وهو في الخصام غير مبين الحجة

وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قل ما تكلمت امراة فتريد ان
تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا اي احكموا واشتد الملايكة الذين
هم عباد وقرئ عبد الرحمن انا قالوا اشهدوا خلقهم اي حضروا خلقهم
حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا واذا لك ستكتب شهادتهم
اي على الملايكة انهم بنات الله ويسالون اي عنها قيل لما قالوا هذا
القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ومايدريكم انها بنات
الله قالوا سمعنا من اباءنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله
تعالى ستكتب شهادتهم ويسالون عنها في الاخرة وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم يعني الملايكة وقيل الاصنام وانما لم يجعل هم
عبودتنا على عبادتنا اياه لرضاه منا بذلك قال تعالى رد اعليهم
ما لهم بذلك من علم اي بما يقولون انهم الا يخرصون يعني ما هم الا
كاذبين في قولهم ان رضا منا بعبادتنا وقيل يكذبون في قولهم
ان الملايكة اناث وانهم بنات الله ام اتيناهم كتابا من قبله اي من
قبل القران بان عبدوا غير الله فهم به مستمسكون اي باخذون
بما فيها بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين وملة وانا
على اثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع
اباءهم وتقليدهم من غير حجة ثم احتج ان غيرهم قد قال هذا
المقالة بقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير
الا قال مترفوها اي اغنياوها ورؤساءها انا وجدنا اباءنا على امة
وانا على اثارهم مقتدون اي انهم قال اولو جيتكم باهدى اي بدين
هو اصوب من ما وجدتم عليه اباءكم قالوا ان بما
ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء اي بري مما تعبدون
الا الذي فطرني معناه انا بري مما تعبدون الا من الذي خلقني
فانه سيهدين اي يرشدني الى دينه وجعلها اي وجعل ابراهيم

تهم

كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه اي في ذريته
فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الي توحيده لعلهم يرجعون اي لعل
من الشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون
هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الي دين ابراهيم بل متعت
هؤلاء يعني كفار مكة وابا هم في الدنيا بالمد والعمر والنعمة ولم اعاجلهم
بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق اي القران وقيل الاسلام ورسول
مو محمد صلى الله عليه وسلم مبين اي بين لهم الاحكام وقيل مبين الرسالة
واوضحها بما معه من الايات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام يطيعونه
فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ولما جاءهم
الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم معناه انهم قالوا منصب النبوة
منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من
احد بلدي القريتين وهما مكة والطايف واختلفوا في هذا الرجل العظيم فقيل
الوليد بن المغيرة بمكة وعروة ابن مسعود بالطايف وقيل حبيبة بن
ربيعة من مكة وكنانة بن عبد يا ليل الثقفي من الطايف وقال ابن عباس
الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطايف حبيب بن عمير الثقفي قال الله
تعالى رادا عليهم اهم يقسمون رحمت ربك معناه ابا بيدهم مفاتيح
الرسالة فيضعونها حيث شاءوا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم
والتعجب من اعراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب
لهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
اي نحن اوجدنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا
وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق
لم يعترض علي تقديرنا حكمنا ولا علي الخروج عن قضايانا فاذا عجزوا عن الاعتراض
في حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها ودنائتها فكيف يقدرون علي الاعتراض
علي حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى

كما فضلنا بعضهم على بعض كما سنبينا كذلك خصصنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة من بين سائر
قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا يعني لو اننا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يسخر
منهم احد مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد
حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء
باموالهم الاجراء الفقراء لعلهم ينالون بعضهم ببعض سبب المعايش
فهذا بماله وهذا بعمله فتتم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بمال بعض
بالملك ورحمة ربك يعني الجنة خير للمومنين مما يجمعون اي يجمع الكفار
من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته
يبقى ابدا الاباد ثم قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي لولا
ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعوا على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار
في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المعينة لهم
للتنعم وهو قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
يعني مصاعد ودرجات من فضة عليها يظهرون يعني يصعدون
ويرتقون عليها ولبيوتهم ابوابا اي من فضة وسررا اي وجعلنا لهم
سررا من فضة عليها يتكيون وزخرفا اي ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو
الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء وان كل ذلك لما متاع الحياة
الدنيا يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم يفنى لان الدنيا
سريعة الزوال والاخرة عند ربك للمتقين يعني الجنة خاصة للمتقين
الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة ما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن
المسور بن مخرمة واحد بني زهرة قال كنت في الركب الذي وقفوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السهلة المبتة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزوت هذه هانت على اهلها حين القوها قال

من هوانها الغوها يا رسول الله قال فان الدنيا عند الله اهون من هذه
على اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن قتادة بن النعمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا
كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا
سجن المومن وجنة الكافر قوله تعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر
الرحمن اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن
نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه وسلطه عليه
فهو له قرين يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى
وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم عن
الهدى يحسبون انهم مهتدون يعني ويحسب كفار بني ادم انهم
على الهدى حتى اذا جانا يعني الكافر وحده وقراحا رفا على التثنية
يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة قال الكافر لقرينه
الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني بعد ما بين المشرق
والمغرب فغلب اسم احدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران
ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق
الشتاء والقول الاول اصح فبئس القرين يعني الشيطان قال ابو سعيد
الخدري اذا ابعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى
يصيرا في النار ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم يعني اشركتم انكم في العذاب
مشتركون يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا
لان كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن
ينفعكم الاعتذار والندم انكم اليوم انتم وقرناؤكم مشتركون في
العذاب كما كنتم مشتركون في الكفر افانت تسمع الصم او تهدي العمي
ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة
العذاب انهم لا يومنون قوله عز وجل فاما نذهبن بك اي بان

نميتنك قبل ان نعذبهم فانا منهم منتقمون اي بالقتل بعدك او نرينك
اي في حياتك الذي وعدناهم اي من العذاب فانا عليهم مقتدرون
اي قادرون على ذلك متى شينا عذبناهم واردنا بهم مشركي مكة
وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا بعيد لان السورة مكية والنبي صلى الله عليه
وسلم لا يعده الانتقام منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول
اكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون في امته ولكن اكرم الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم فذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر
به عينه وابقى النعمة بعده وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى
ما يصيب امته بعده فلما روي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله
تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك يعني القرآن انك على صراط
مستقيم اي على دين مستقيم لا يميل عنه الا ضال وانه يعني القرآن
لذكر لك اي لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسالون يعني عن حقه
واداء شكره وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
سيل عن هذا الامر بعدك فلم يجبر بشي حتى نزلت هذه الاية فكان بعد
ذلك اذا سيل قال لقريش ف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان خ عن معاوية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش ما
اجابهم احد الا اكبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل لقوم هم
العرب والقرآن لهم شرف اذ انزل بلغتهم ثم خص بذلك الشرف الاخص
والاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر
لك اي ذلك شرف لك بما اعطاك من النبوة والحكمة ولقومك يعني المومنين
ما هداهم الله تعالى وسوف تسالون عن القرآن وعما يلزمهم من القيام
بحقه قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
يعبدون اختلف في هوالا المسيولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه
لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل ادم وولده من

المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة
قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا اسال قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن
جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامرات يسالهم فلم
يسال فصلي هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت ببيت المقدس
ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه
سل مومني اهل الكتاب الذي ارسلت اليهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
هل جائهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات عنه
ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ومعني الامر
بالسوال التقرير لمشركي قريش انه لم ياتي رسول ولا كتاب بعبادة غير
الله عز وجل قوله تعالى ولقد ارسلنا موسي بايتنا الي فرعون وملايه فقال
الي رسول رب العالمين فلما جاءهم بايتنا اذا هم منها يضحكون
اي استهزاوا وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي قرينتها التي قبلها
واخذناهم بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمس فكانت هذه ايات ودلالات لموسي عليه الصلاة والسلام
وعذاب اليم وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون اي عن
كفرهم وقالوا يعني لموسي لما عاينوا العذاب يا ايها الساحر العالم الكامل
الحاذق وانما قالوا ذلك تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصفة
ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي علينا بسحره ادع لنا ربك بما عهد
عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا العذاب
فسله ان يكشف عنا انا لمهتدون اي لمومنون فدعا موسي عليه السلام
ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يومنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون علي كفرهم ونادي فرعون
في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي
يعني انهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بامري

بدي جناني وبساتيني وقيل تجري بامري افلا تبصرون اي عظمتي وشدة
ملكي ام انا اي بل انا خير وليس حرف عطف علي قول اكثر المفسرين وقيل
فيه اضمار مجازه افلا تبصرون ثم ابتدا فقال انا خير من هذا الذي هو مهين اي
ضعيف حقير يعني موسي ولا يكاد يبين يعني يفصح بكلامه لكنة
كانت في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجة
التي تدل علي صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له علي الكلام فلولا القي
عليه ان كان صادقا اساورة من ذهب قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه
بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته
فقال فرعون هلا القي رب موسي عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا
تجب طاعته او جاء معه الملايكة مقترنين اي متتابعين يقارن بعضهم
بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه علي امره قال الله تعالى
فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط اي وجدهم جهالا وقيل
حملهم علي الخفة والجهل فاطاعوه اي علي تكذيب موسي انهم كانوا
قوما فاسقين يعني حيث اطاعوا لفرعون فيما استخفهم به فلما اسفونا
اي اغضبونا وهو في حق الله تعالى ارادة العقاب وهو قوله انتقمنا
منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا يعني جعلنا المتقدمين الماضين
عبرة وموعظة لمن يجي من بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا
قال ابن عباس نزلت هذه الاية في مجادلة عبد الله ابن الزبعري مع
النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسي بن مريم عليه السلام وذلك
لما نزلت قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد
تقدم ذكره في سورة الانبيا ومعني الاية ولما ضرب عبد الله بن الزبعري
عيسي بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلي الله عليه بعبادة النصاري
اياه اذا قومك يعني قريشا منه اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم
ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون محمد اصلي الله عليه وسلم ما يريد
منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصاري عيسي بن مريم

عليه السلام وقالوا الهتنا خير ام هو يعنون محمدا صلي الله عليه وسلم
فتعبده ونطيعه ونترك الهتنا وقيل معنى ام هو يعني عيسى قالوا ايريد
محمد صلي الله عليه وسلم ان كل ما عبد من دون الله في النار فلنحن قد رضينا
ان تكون الهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه
يعني هذا المثل لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من
قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هو الاصنام بل هم قوم خصمون
اي بالباطل عن ابي امامة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ضل
قوم بعد هدي كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلي رسول الله صلي الله عليه
وسلم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا
عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا اي اية وعبرة لبني اسرايل يعرفون
به قدرة الله تعالى علي ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا
منكم الخطاب لاهل مكة ملائكة معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا
منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض
ويعبدونني ويطيعوني وقيل يخلف بعضهم بعضا وانه يعني عيسى
لعلم للساعة يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي داود ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل
فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الي الحمرة والبياض بين
ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بل فيقاتل الناس علي الاسلام
فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل
كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم مكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ق عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم

كيف

كيف انتم اذا نزل ابن مريم واماكم منكم وفي رواية فاماكم منكم قال ابن ابي ذويب
فاماكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلي الله عليه وسلم ويروي انه ينزل عيسى
بيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة
العصر فيتاخر الامام فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه علي شريعة محمد صلي
الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل
النصاري الا من امن به وقيل في معني الاية وانه يعني القران لعلم للساعة
اي يعلم قبامها ويخبركم باحوالها واهوالها فلا تمترن بها اي لا تشكون فيها
وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعوني اي علي التوحيد هذا اي الذي
انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله
الذي امر به انه يعني الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي من
احكام التوراة وقيل اختلاف الفرق الذي تحزبوا في امر عيسى في غير
الانجيل ما احتاجوا اليه فاتقوا الله واطيعون اي فيما امركم به ان الله
هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم
اي اختلفت الفرق المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب
يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي
فجاة والمعني انها اتيتهم لا محالة وهم لا يشعرون الخ اي علي الكفر
والمعصية في الدنيا يومئذ يعني يوم القيامة بعضهم لبعض عدو اي
ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة الا المتقين اي الا
الموحدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين علي طاعته روي عن علي
بن ابي طالب في الاية قال خليلان مومنان وخليلان كافران مات احد
المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك صلي
الله عليه وسلم ويامرني بالخير وينهاني عما لا خير فيه ويخبرني اني ملاقيك فلا تضله
بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله جمع بينهما
فيقول ليثن كل منكما علي صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الصاحب قال ويموت

احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك
ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول بئس الاخ
وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم الا فزع فينادي
منادٍ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم
فينتفعها الذين امنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فيياس الناس كلهم غير المسلمين
فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي تسرون وتنعمون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحيفة وهي القصعة الواسعة
واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة وفيها اي في الجنة ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل
يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني احب الخيل قال ان يدخلك الله
الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك في اي الجنة شئت
الا فعلت وساله اخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني احب
الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الجنة فيكن لك
فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي وانتم فيها
خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة
كثيرة منها تاكلون وورد في الحديث انه لا ينزع رجل في الجنة من
ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعني
المشركين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم وهم
فيه مبلسون اي ايسوس من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم اي ولا
عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين اي بانفسهم باجترائهم
عليها ونادوا يا مالك يعني يدعون مالكا خازن النار ويستغيثون
به فيقولون ليقض علينا ربك اي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى
انهم توسلوا به ليسال الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة
قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروي عن عبد الله بن عمر

وبئس

وبئس العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد
عليهم قال انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك
ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب لعد جيناكم بالحق يقول ارسلنا اليكم
يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون امر ابرموا امرا
اي احكموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي
محكمون امرا في مجازاتهم ان كادوا شر اكدنهم بمثله ام يحسبون انا
لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرون من غيرهم ويتناجون بينهم
بلى يسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا يعني الحفظة من الملائكة لديهم يكتبون
قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين معناه ان كان
للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لا شريك
له ولا ولد وقال ابن عباس ان كان اي ما كان للرحمن وانا اول العابدين
اي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا اول من
عبده بذلك ولكن لا ولد وقيل العابدين بمعنى الانفين اي انا اول الجاحدين
المنكرين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشري
في معنى الاية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت برهان صحيح يورد دونه
وحجة واضحة تدلون بها وانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته
كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض
والتمثيل لعرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع التنزيه عن
نفسه بثبات العقد مرفي باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونه
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن
الولد فقال تعالى سبحان رب السموات ورب الارض رب العرش عما
يصفون اي عما يقولون من التكذيب قذرهم يخوضوا اي في اباطيلهم
ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم
القيامة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله هو الاله الذي يعبد في
السماء وفي الارض لا اله الا هو وهو الحكيم اي في تدبير خلقه العليم بمصالحهم

وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه
ترجعون لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها ان
النضر بن الحارث ونفر امعه قالوا ان كان ما يقول محمد حق فنحن نتولى الملايكة
وهم احق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وارد
بالذين يدعون من دونه الهتهم ثم استثنا عيسى والعزير والملايكة
بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبد وامن دون الله ولهم شفاعة وقيل
المراد بالذين يدعون من دونه عيسى والعزير والملايكة فان الله تعالى
لا يملك لاحد من هولا الشفاعة الا شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص وهي
لا اله الا الله ممن شهد ها بقلبه يشفعوا له وهو قوله وهم يعلمون اي بقلوبهم
ما شهدوا بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خالق عيسى والعزير والملايكة
ويعلمون انهم عباده وبين سبحانه من خلقهم ليتولون الله يعني انهم اذا
اقروا بالله خالق العالم باسره فكيف اقدموا على عبادة غيره فانى يوفكون
اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يارب يعني قول محمد صلى الله
عليه وسلم شاكيا الى ربه ان هولا قوم لا يومنون قال ابن عباس شكى الى
الله تعالى خلق قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى
ربه فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم
بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بد لا من
شرهم فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وقيل تهديد لهم وقيل
معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها اية السيف والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

حم

تفسير سورة الدخان

وهي مكية وهي سبع وقيل وخمسون اية وثمانمايه وستة واربعون
كلمة واربعمايه واحد واوثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه من
حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام انا انزلناه في ليلة مباركة قيل هي
ليلة القدر انزل الله تعالى فيها القران جملة من اللوح المحفوظ الى سما

الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقايع في عشرين سنة وقيل
هي ليلة النصف من شعبان عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر
لاكثر من عدد شعر غنم بني كلب اخرجه الترمذي انا كنا منذرين اي
مخوفين عقابنا بانزالنا اياه في تلك الليلة يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي
محكم قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كايت في السنة
من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحاج يقال يحج فلان ويحج فلان لا
وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحيا
من الاموات وروى البغوي باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد
وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية كلها
في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي
انزلناه امرا من عندنا انا كنا مرسلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ومن قبله من الانبيا رحمة من ربك قال ابن عباس رافة مني بخلقي ونعمة
عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه في ليلة مباركة رحمة من
ربك انه هو السميع اي لاقوالهم العليم اي باحوالهم رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان الله رب السموات والارض لا اله الا هو يحيي
ويميت ربكم ورب اباكم الاولين قوله عز وجل بل هم في شك يلعبون
اي يمترون به لا هون فارتقب اي يا محمد يوم ياتي السما بدخان مبين
يغشى الناس هذا عذاب اليم

عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد
الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان
قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجي فتاخذ بانفاس
الكفار وياخذ المومنين منها كهيية الزكام فقال عبد الله وجلس وهو
غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيا فليقل به ومن لا يعلم شيا
فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل

اي من هذا القران
الى

قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع
يوسف وفي رواية لما دعي قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعني
عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حلنت كل شيء حتى اكلوا الجلود
والميتة من الجوع وينظر احدهم الى السما فينظر كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان
فقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع
الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله انكم عايدون
قال عبد الله انكشف عذاب الاخرة يوم تبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا
مومنون فقيل ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا
فانتقم الله تعالى منهم يوم بدر وذلك قوله فارتقب يوم تاتي السما بدخان
الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شيء الحاء والصاد المهملتين اي حلقت
واهلكت فاسنا صلت كل شيء ق عن عبد الله بن مسعود قال خمس
قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم من الجوع
كالظلمة في ابصارهم وسبب ذلك ان في سنة المحل العظيم يبست الارض
بعده انقطاع القمر وبرتفع الغبار ويظلم الهوا والجو وذلك يشبه الدخان
وقيل هو دخان يجي قبل قيام الساعة وليرياث بعد فيدخل في اسماع
الكفار والمنافقين حتى يكون راسه كالراس الحنيذ يعني المشوي
ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار
وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي باسناد
الثعلبي عن حذيفة ابن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
الايات الدجال وينزل عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان
فتلى هذه الاية يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب
اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث

اربعين

اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فكمثل
السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره اي لهم الذكر اي كيف يتذكرون
وينتظرون بهذه الحالة وقد جاهم رسول مبين معناه وقد جاهم ما مواعظم
وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المعجزات الظاهرات والايات البينات الباهرات ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه
وقالوا معلم يعلمه بشر مجنون اي يلقوت اليه الجن هذه الكلمات حال
ما يعرض له الغشي انا كاشفوا العذاب اي الجوع قليلا اي زمانا يسيرا
قيل الى يوم بدر انكم عايدون اي الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى
هو يوم بدر انا منتقمون اي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن عباس واكثر
العلما وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيمة قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم
اي قبل هولا قوم فرعون وجاهم رسول كريم اي على الله عز وجل وهو موسى
بن عمران عليه السلام ان ادوا الي عباد الله اي اطلقوا الي بني اسرايل و لا
تعذبوهم اني لكم رسول امين اي على الوحي وان لا تعلوا على الله اي لا
تتجبروا عليه بترك طاعته اني اتيكم بسلطان مبين اي ببرهان بين على صدق
قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون
اي تقتلوني وقال ابن عباس تشتمون وتقولون هو ساحر وقيل ترجموني
بالحجارة وان لم تومنوا لي فاعتزلون اي فاتركوني لا معي ولا علي وقال
ابن عباس اعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم يومنوا فدعا ربه ان هولا قوم
مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاه وامره ان يسير
ببني اسرايل بالليل انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اي
اذا قطعتموه انت واصحابك رهوا اي ساكنا والمعنى لا تامره ان يرجع بل
اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اترك طريقا يابسا به
وذلك انه لما قطع موسى البحر بعصاه ليلته وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده
فقيل لموسى صلوات الله وسلامه عليه اترك البحر كما هو انهم جند مغرقون
كم تركوا اي بعد الغرق من جنات وعيون وزروع ومقام كريم اي

مجلس شريف حسن ونعمة وعيش لين رغيد كانوا فيها اي في تلك النعمة
فالهين اي ناعمين وقرئ فكهين اي اشرين بطرين كذلك اي افعل بمن
عصاني واورثناها قوما اخرين يعني بني اسرايل فما بكت عليهم السما
والارض وذلك ان المومن اذا مات تبكي عليه السما والارض اربعين صباحا
وهو لم يكن يصعد لهم عمل صالح لتبكي السما علي فقده ولا لهم علي الارض
عمل صالح فتبكي الارض عليه عن الشعبي بن مالك عن النبي صلي الله عليه
وسلم انه قال ما من مومن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب
ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فلذلك قوله تعالي فما بكت عليهم
السما والارض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكا السما حمرة اطرافها قاله
ما مات مومن الا بكت عليه السما والارض اربعين صباحا فقيل او تبكي
قال وما للارض لا تبكي علي عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسما
لا تبكي علي عبد كان تسبيحه وتكبيره فيها له دوي كدوي النحل وقيل المراد
اهل السما واهل الارض وما كانوا منظرين اي لم يمهلوا حين احدهم العذاب
لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين
اي من قتل الابنا واستحيا النسا والمقت في العمل من فرعون انه كان
عاليا اي جبارا من المسرفين ولقد اخترناهم علي علم اي علمه الله فيهم
علي العالمين اي علي عالمي زمانهم واتيناهم من الايات ما فيه بلا مبين
اي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوي والنعم
التي انعمنا بها عليهم وقبل ابتلاهم بالرخا والشدة ان هولا يعني مشركوا
مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولي اي الاموتة لنا الا هذه التي نموتها في
الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله تعالي وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد
موتتنا هذه فاتوا بابائنا اي الذين ماتوا قبل ان كنتم صادقين اي انا نبعث
احيا بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلي الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي
بن كلاب فرحوهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالي اهم خير ام قوم

تبع اي ليس خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع
الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من
ملوك اليمن سمي تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة
وكان تبع هذا بعبد النار فاسلم ودعي قومه وهم حمير الي الاسلام فكذبوه
عن سهل بن سعيد قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لا تسبوا
تبعا فانه قد اسلم اخرجه احمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ادري
تبعا كان نبيا او غير نبي وعن عايشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا
صالحا وكان من فضله علي ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره وذكر عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنه قالوا كان تبع الاخر وهو ابو كرب اسعد
بن سليل وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتي جبر الحيره وبني سمرقند
ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه علي المدينة وقد كان حين مر بها
خلف بني اظهرهم ابنا له فقتل عبلة بعدهما وهو مجمع علي حرابها
واستيصال اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك فخرجوا
لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك
وقال ان هولا لكرام فبينما هو كذلك اذ جا حبران عالمان من احبار بني
قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والاخر اسد حين سمعا ما يريد من
اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد
حيل بينك وبينه ولم تامل عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة
مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار
هجرته ومنزلك التي انت فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه
وفي عدوهم قال تبع ومن يبتلله وهو نبي قالا يسير اليه قومه فيقتتلون
ها هنا فيقتلها القوم لما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الي دينهما
فاجابهما واتبعهما علي دينهما والزمهما وانصرف من المدينة وخرج
بهما ونفر من اليهود حامدين الي اليمن فاتاه في الطريق نفر من هذيل

وقالوا له انا نذكر علي بيت فيه كنز من لولو وزبرجد وفضة قال ابي بيت
هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هدبل بذلك لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء
الا هلك فذكر الملك ذلك الاحبار فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا
البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده والحر واحلق راسك وارد
ارادك القوم الا هلاكك وما نادا احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده
ما يصنع اهله فلما اقبلوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هدبل فقطع ايديهم
وارجلهم وسمر اعينهم ثم صلبهم فلما قدم بمكة نزل بالشعب شعب
المطابخ وكسي البيت الوصايل وهي برد تصنع باليمن وهي اول من كسي
البيت وخر بالشعب سنة الا ان بدنة واقام به سنة ايام وطاف به
وحلق وانصرف فلما دنى من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك
وقالوا له لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا وعدت الى دينه وقال
انه دين خير من دينكم قال نحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار في اسفل الجبل
يحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتاكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع انصفتم
فخرج العرم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما
في اعناقهما حتى قعدوا والنار عند مخرجها التي تخرج منه فخرجت النار
فاقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال
حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تقرقر حياهما لم تضرهما النار
حتى رجعت الى مخرجها التي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على
دينهما فمن هناك اصل اليهودية باليمن قال الرياشي كان ابو كريب اسعد
الحميري من المتابعة ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان
يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قوله
تعالى والذين من قبلهم اي من الامم الكافرة اهلكناهم انهم كانوا اشد منهم قوة
السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق اي بالعدل وهو الثواب
على الطاعة والعقاب على المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم
الفصل اي يوم يفصل فيه بين العباد ميقاتهم اجمعين اي يوم القيامة الاولين

والآخرون

والآخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا يتبع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا ولا
هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل الا من رحم الله يعني المومنين
فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اي في انتقامه من اعدايه الرحيم اي
باوليايه المومنين قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي ذو الاثم وهو
ابو جهل المهل اي دردي الزيت اسود نظير قوله تعالى في البطون اي في بطون الكفار كغلي الحميم
يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله كالمهل تغلي في البطون كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت
فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث يزيد بن سعد
وقد تكلم عليه من قبل حفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
الا وانتم مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم
قطرة في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى خذوه اي يقال للزبانية
خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اجذفوه وسوقوه بالعنف الى سواء الجحيم اي الى
وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قيل ان حارت النار يصب
على راسه فيغلي راسه من دماغه ثم يصب فيه ما حميما قد انتهى حره ثم يقال
له ذق اي هذا العذاب انك انت العزيز الكريم اي عند قومك بزعمك وذلك ان
ابا جهل لعنه الله كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له خزنة النار
هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون
فيه والامتراء به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى ان المتقين في مقام امين
اي في مجلس امنوا فيه من الغير في جنات وعيون يلبسون من سندس
واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو
معرب استبرق فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ
اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان التعريب ان يجعل عربيا
بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرايه على اوجه الاعراب متقابلين اي

يقابل بعضهم بعضا لذلك اي كما اكرمناهم واوصفناهم من الجنات والعيون واللباس
كذلك اكرمناهم وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ليس هم من عقد التزويج
وقيل جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء
المنقيات البياض وقيل بحار الطرف من بياضهن وصفاوتهن وقيل الحور الشديدات
بياض العينين يدعون فيها بكل فاكهة يعني ارادوها واشتهوها امنين اي من
نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب من الشياطين
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون في الجنة الموت البتة
سوى الموتة التي ذاقوها وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها
الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة موت في
الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله تعالى الى اسباب
الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة وكان موتهم في
الدنيا كانامهم في الجنة لا يصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها ووقاهم عذاب
الجحيم فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار
والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا
منه ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اي سهلنا القرآن على
لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون اي يتعظون فارتقب اي
فانتظر العصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب انهم مرتقبون اي
منتظرون تهدك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية
منسوخة بآية السيف عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذي وقال هشام ابو
المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم بمراده واسراره

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة وهي مكية

وهي سبع وثلاثون اية واربعمائة وثمانون كلمة والفان ومائة واحد
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض

لايات اي ان في خلق السموات والارض لايات خلقات عظيمات يدلان على قدرة
القادر المختار وهو قوله تعالى لايات للمؤمنين وفي خلقكم اي وفي خلق انفسكم
من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتمييز وما يبث من دابة اي
وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها في الخلق والشكل
والصورة لايات دلالات تدل على وحدانيته من خلقها وانه الاله القادر
المختار لقوم يوقنون بعينه انه لا اله غيره واختلاف الليل والنهار يعني
بالظلام والضياء والطول والقصر وما انزل الله من السماء من رزق يعني المطر
الذي هو سبب ارزاق العباد فاحيى به اي بالمطر الارض بعد موتها اي
بعد يبسها وتصريف الرياح اي في مهابها منها الصبا والدبور والشمال
والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك لايات لقوم يعقلون فان
قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لايات للمؤمنين ولقوم يوقنون
ويعقلون قلت معناه ان المتصفين من العباد اذا نظروا في هذه
الدلايل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا
به واقروا انه الاله القادر على كل شيء ثم ازداد المعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال
عنهم اللبس فحينئذ استحكم عليهم وعد وابي رتبة العقلاء الذين عقلوا عن
الله عز وجل مراده في اسرار كتابه تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق
فبأي حديث بعد الله اي بعد كتاب الله وايانه يومنون قوله عز وجل
ويل لكل افاك اثيم اي كذاب فاجر اثيم يعني النضر بن الحارث يسمع ايات
الله يعني ايات القرآن تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره
بعذاب اليم واذا علم من ايآتنا شيئا يعني ايات القرآن اتخذها هزوا اي
سخر منها اولئك اشارة الى من هذه صفته لهم عذاب مهين ثم وصفه
فقال تعالى من ورائهم جهنم يعني امامهم جهنم وذلك ان لهم في الدنيا
خزي ولهم في الآخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا اي من الاموال شيئا ولا
ما اتخذوا من دون الله اولياء اي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من
الآلهة ولهم عذاب عظيم هذا يعني القرآن هدى اي هو هدى من الضلالة

والذين كفروا بايات الله لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بامره ولتبتغوا من فضله اي بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون
نعمته عليه بذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى خلقها ومنافعها
كلها مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة
منه وفضل كل ذلك تفضل منه واحسان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله
عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يجازون وقايع
الله تعالى ولا يسالون نقمته قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وذلك ان رجالا من بني غفار شتموا رجلا بمكة فهم عمر ان
يبطش به فانزل الله تعالى هذه الاية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت هذه
الاية في اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في
اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية ثم نسخها اية القتال
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى من
عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله عز وجل
ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب يعني التوراة والحكم يعني معرفة ايام الله
والنبوة ورزقناهم من الطيبات اي الحلالات وهو ما وسع عليهم في
الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون ودياره وانزل عليهم المن والسلوى
وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من
العالمين في زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم واتيناهم بينات من
الامر اي بيان الحلال والحرام وقيل المعلوم بعثت النبي صلى الله عليه وسلم
وما بين لهم من امره صلى الله عليه وسلم فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب
ارتفاع الاختلاف وذلك لانه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان
مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا ما فاتوا واظهروا
النزاع والحسد والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه

يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة اي على طريقة ومنهاج وسنة بعد
موسى من الامر اي من الدين فاتبعها اي اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرون وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع
الى ديانة ابائك فانهم كانوا افضل منك فقال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
اي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا اذا اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم
اولياء بعض يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في
الاخرة والله ولي المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا وليهم في الاخرة هذا
بيان للقرآن بصائر للناس اي معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون
به هدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات اي
اكتسبوا المعاصي والكفر ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات هذه
الاية نزلت في نفر من بني مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون
حقا لنفضلن علينا في الاخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا سواء محياهم ومماتهم
معناه احسبوا ان حيوة الكافرين ومماتهم كحيوة المؤمنين وموتهم سواء كلا
والمعنى ان المؤمن كما هو مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والاخرة والكافر كافر
في محياه ومماته في الدنيا والاخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل
ساء ما يحكمون اي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من
اهل مكة هذا مقامك اخيك تميم الداري ولقد رايته قام ذات ليلة حتى اصبح
او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله تعالى يركع بها ويبكي ويتوقد ام حسب
الذين اجترحوا السيئات الاية وخلق الله السموات والارض بالحق اي بالعدل
والحق لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الاية ان المقصود من خلق
هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيمة ليحصل التفاوت بين
المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات قوله عز وجل افرايت من اتخذ
الهه هواه قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه
لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده
ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا

وجد واشيا احسن من الاول رموا الاول وكسروه وعبدوا الاخر وقيل انما
سمي هوي لانه يهوي بصاحبه في النار واضله الله علي علم ابي علي علم منه
بعاقبة امره وقيل علي ما سبق في علم الله تعالي انه هناك قبل ان يخلقه وختم
علي سمعه وقلبه اي فلم يسمع الهدي ولم يعقله بقلبه وجعل علي بصره غشاوة
اي ظلمة فهو لا يبصر الهدي ممن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله
الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقي للقدرية من هذه الاية عذر
ولا حيلة لان الله سبحانه وتعالي صرح بمنعه اياهم عن الهدي حين اخبر
انه ختم علي سمعه وبصره وقلبه وقالوا يعني منكري البعث ما هي اي حياتنا
الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي اي تموت الاباء ونحيي
الابناء وقيل نقدر به نحيي ونميت وما يهلكنا الا الدهر اي وما يفنينا
الا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك من علم اي لم يقولوه
عن علم علموه ان هم الا يظنون عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي
الامر اقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن ادم ويقول ياخيبة الدهر
فلا يقولن احدكم ياخيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت
قبضتهما وفي رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار
ومعني هذا الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وشتمه عند
النوازل لانهم كانوا ينسبون الي الدهر ما يصيبهم من المصايب والمكاره
فيقولون اصابتهم قوارع الدهر واباد هم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله
وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الي الدهر ما نالهم من الشدايد وسبوا فاعلها
فكان مرجع سبهم الي الله عز وجل اذ هو الفاعل في الحقيقة الامور التي يضيفونها
الي الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو
الله عز وجل والدهر مصرف يقع فيه التاثيرات كما يقع بكم والله اعلم قوله
تعالي واذا تتلي عليهم ايانا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابائنا
ان كنتم صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك

فاتوا

فاتوا بابائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم
ثم يجمعكم الي يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك
السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يعني في ذلك
اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون الي الناس وترى كل امة
جاثية اي باركة علي الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال
سليمان الفارسي ان في يوم القيامة هي عشر سنين يحشر الناس فيها جثاة علي
الركب يعني سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ينادي ربه لا اسئلك الا
نفسي كل امة تدعي الي كتابها اي الذي فيه اعمالها ويقال لهم اليوم تجزون
ما كنتم تعملون اي من خير وشر هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة فان
قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعي الي كتابها واضافها اليه
ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لامتباينة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب
اعمالهم واضافته اليه لانه تعالي هو امر الحفظة بكتبه ينطق عليكم بالحق اي
يشهد عليكم ببيان شان لانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ
انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر الملايكة بنسخ اعمالهم وكتابتها
وانما تضاف الي المباشرين لها علي وجه المجاز وقيل ينسخ اي ياخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان
عمل الانسان فيثبت الله منه ما له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو
نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملايكة
كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ لا يكون الا من اصل فينسخ
كتاب من كتاب فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في
رحمته اي جنته ذلك هو الفوز المبين اي الظفر الظاهر واما الذين كفروا
اي يقال لهم افلم تكن اياتي تتلي عليكم يعني ايات القرآن فاستكبرتم اي
عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني كافرين منكرين قوله عز وجل واذا
قيل ان وعد الله حق اي البعث كائن والساعة لا ريب فيها اي لا شك في انها
كاينة قلتم ما ندري ما الساعة اي انكرتموها وقلتم ان نظن الا ظنا اي لا نعلم
ذلك الا حدسا ونوهما وما نحن بمستيقنين اي انها كاينة وبدا لهم اي

قيل غير قوله تعالى قل ارايتم قيل وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
فانهما نزلا بالمدينة وهي اربع وقيل خمس وثلاثون اية وسبعمايتان واربع واربعون
كلمة والفان وخمسمايتان وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي
اليه فنا السموات والارض والذين كفروا انذروا اي التي خوفوا به في القران
من البعث والحساب معرضون اي لا يؤمنون به قل ارايتم ما تدعون من دون
الله يعني الاصنام ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني
بكتاب من قبل هذا اي بكتاب حاكم قبل القران فيه بيان ما تقولون او اثارة
من علم اي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم ويؤثر عنهم وقيل برواية
عن علم الانبيا وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب
تخطه في الارض وهو الميافة ان كنتم صادقين اي ان لله شريكا ومن اضل ممن
يدعو من دون الله من لا يستجيب له يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء
يسالونها الى يوم القيامة يعني لا يجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم
غافلون يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا
للحق لما جاءهم هذا سحر مبين سموا القران سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق
القران محمد صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه فقال الله عز وجل قل يا محمد
ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه
ان عذبني على افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم هو اعلم اي الله اعلم
بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب والافتراء بالقران والقول فيه
انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي القران جا من عنده وهو الغفور الرحيم
اي في تاخير العذاب عنكم وقيل هو دعاكم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن
تاب منكم رحيم به قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا اي بديعا من الرسل اي

في الاخرة سيات ما عملوا اي في الدنيا والمعنى بد الهم جزا سيا تهم وحاق بهم
اي نزل بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا
اي نتركم الايمان والعمل للقا هذا اليوم ومأواكم النار وما لكم من ناصرين اي مانعين
من ما نعين يمنعونكم من العذاب ذلكم اي هذا الجزا بانكم اتخذتم ايات الله هزوا
وغرتكم الحياة الدنيا يعني حتى قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها
اي من النار ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله
والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب
الارض رب العالمين مما ه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات
والارض والعالمين وان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثنا على كل احد
وله الكبريا اي وكبروه فان له الكبريا والعظمة في السموات والارض وحقيقته
ان يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم عن ابي سعيد وابي هريرة قالا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبريا رداه فمن ينازعني عذبته
لفظ مسلم واخرجه البرقاني وابو مسعود يقول الله عز وجل العز ازاري
والكبريا ردائي فمن نازعني في شيء منهما عذبته ولابي داود عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبر ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار والله سبحانه
وتعالى اعلم شرح الحديث قيل خرج هذا الكلام على ما تعتاده العرب
في بديع استعارا تهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون
شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء
مثالا له في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبريا والعظمة انها له لتيا كسائر
الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرامة وغيرهما
وسبهما بالازار والرداء الان التصف بهما يشتمل انه كما يشتمل الرداء الانسان
ولانه سبحانه وتعالى لا يتشاركه في رداية وازاره احد فكذلك الله سبحانه
لا ينبغي ان يتشاركه فيهما احد لانهما من صفاته سبحانه اللازمة له المختصة
به التي لا تليق لغيره والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير

لست بادل مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون نبوتي وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلما في معنى هذه الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي
ولا بكم يوم القيمة فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا
وامره عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقول
من ذات نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل
بك فما ذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل الله المومنين والمومنات جنت تجري من
تحتها الانهار الاية وانزل الله عز وجل ليسر المومنين ان لهم من الله فضلا كبيرا
فبين الله عز وجل ما يفعل الله به وبهم وهذا انزل انس وقتادة والحسن وعكرمة
قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه عالم الحديبية فنسخ ذلك عن
خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلا امراة من الانصار كانت بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون
فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعة الذي توفي به فلما توفي وغسل وكفن في
اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا
السايب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وما يدريك ان الله اكرمه فقلت يا ابي انت وامي يا رسول الله فمن يكرمه
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاه اليقين والله اني لارجو
له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده احدا
يا رسول الله قالت واريت لعثمان في النوم عينا تجري فجيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت
لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا
عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم هذا
في الدنيا اما في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلي هذا
الوجه قد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات

سباخ

سباخ وخيل رفعت له بهاجر اليها فقال لما صحابه مني تهاجرا لي الارض التي
اريت فسكت فانزل الله تعالى الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك في مكاني ام
اخرج واياكم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا ادري الي ما اؤل صيرا مري وامركم
في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبيا من قبل ام اقتل كما قتل بعض الانبيا
من قبلي واما انتم ايها المصدقون فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل
بكم وما ادري ما يفعل بكم كما فعل بالامم المكذبة ثم اخبر الله عز وجل انه يظهر دينه
على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وقال الله تعالى في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل معناه -
لا ادري الي ما يصل امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر
دينه على الاديان وامته على سايرالامم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه
ما اتبع غير القران الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيا وما انا الا نذير
مبين اي انذركم العذاب وابين لكم الشرايع قل ارايتم اي اخبروني ماذا تقولون
ان كان من عند الله يعني القران وكفرتم به اي ايها المشركون وشهد شاهد
من بني اسراييل على مثله اي انه من عند الله فامن يعني الشاهد واستكبرتم
اي عن الايمان والمعنى اذا كان الامر كذلك فليس قد ظلمتم وقد علم ان الله -
لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن
سلام امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود
فلم يومنوا يدل عليه ما روي عن انس ابن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام
مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يحترف النخل فاتاه وقال
اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام
ياكله اهل الجنة ومن اي شي ينزع الولد الى اخواله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبرني بهن انفا جبريل فقال عبد الله ذاك عدو اليهود
من الملايكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس

من المشرق الى المغرب واول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت وما
الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماوه الشبه له واذا سبقت
كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم
بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم يهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل
عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن
سلام فقالوا اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افرايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك وفي رواية فاعاد عليهم
فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه رواه في رواية فقال
يعني عبد الله بن سلام هو الذي كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري
في صحيحه وعن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله ابن سلام
قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله قال الراوي
لا ادري قال مالك الاية او في الحديث وقيل الشاهد هو موسى ابن
عمران عليه الصلاة والسلام قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في
عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة
ونزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه ومثل
القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد صلى الله عليه وسلم على
القرآن وكل يصدق الاخر فيكون المعنى فشهد على التوراة التي هي مثل القرآن
انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله
فامن من امن بموسى والتوراة واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل
انه تهديد وهو قايم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان
من عند الله وكفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ظالمين قوله تعالى
وقال الذين كفروا يعني من اليهود للذين امنوا لو كان خيرا يعني دين محمد

صلى

صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه وقيل
نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقتنا اليه فلان
وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعني جهينة ومزينة
لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاة اليهم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا
به اي بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم اي كذب
متقدم ومن قبله اي من قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة اماما
اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة اي من الله لمن امن به وهذا كتاب
يعني القرآن مصدق اي الكتب التي قبله لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا
يعني مشركي مكة وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعملون تقدم تفسيره قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا
اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة حملته امه كرها يعني حين تحمل
وتثقل عليها الولد ووضعته كرها يريد شدة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون
شهرا يعني ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا
فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال
ابن عباس اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا
واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده
اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوايه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى
اربعين سنة وهو قوله وبلغ اربعين سنة وهو قوله تعالى وبلغ اربعين
سنة قيل نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة
وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق وذلك انه
صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو بن ثماني عشرة سنة والنبي صلى
الله عليه وسلم بن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا قريبا سدرة
فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك
يساله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها
بعد عيسى احد الا هذا وهو نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق
وكان لابي بكر رفيق النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] في سفر ولا حضر
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله تعالى بنبوته
واختصه برسالته امن به ابو بكر الصديق وصدقه وهو ابن ثلاث وثلاثين
فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل قال رب اوزعني اي الهمني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي بالايمان والهداية وقال
علي بن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه
جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله تعالى بهما وولد
ذلك من بعده وان اعمل صالحا ترضاه ظل ابن عباس اجابه الله تعالى
فاعتق سبعة من المومنين يعذبون في الله تعالى منهم بلال ولم يرد
شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي
فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه
وابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابن ابي بكر عبد
الرحمن وابن عبد الرحمن ابو عتيق محمد فهو لاء اربعة ابو ابكر وابوه وابن
عبد الرحمن وابن ابنه كلهم اد ركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يحل
ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله الي تبت اليك اي رجعت
اليك والي كل ما تحب والي من المسلمين اي واسلمت بقلبي ولساني
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها
في الدنيا وكلها احسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها ويتجاوز عن سيئاتهم
اي فلا يواخذهم بها في اصحاب الجنة اي مع اصحاب الجنة وعد الصدق
اي وعدهم ان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وعده صدقا وقيل
وعدهم بان يدخلهم الجنة الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا على لسان
الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي قال لوالديه يعني اذا دعوه
الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة كراهة [illegible]

ان اخرج اي من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي اي فلم يرجع منهم
احد وهما يستغيثان الله اي يستصرخان بالله عليه ويقولان له ويلك امن
ان وعد الله حق اي بالبعث فيقول ما هذا اي الذي تدعوني اليه الا اساطير الاولين
قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق قبل اسلامه فكان
ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول ادعوا لي عبد الله بن جدعان
وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما تقولون وانكر عايشة ان
يكون هذا قد نزل في عبد الرحمن بن ابي بكر عن يوسف بن ماهك قال
كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية
لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت
عايشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي انزل الله فيه والذي قال
لوالديه اف لكما فقالت عايشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القرآن
الا ما انزل الله في سورة النور في براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية
شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعا
ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابا وانكر وقيل نزلت في كل كافر
عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل
اسلامه يبطله قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول اعلم الله تعالى
ان هولاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مومن من افاضل
المومنين فلا يكون ممن حقت عليهم كلمة العذاب اولئك الذين حق عليهم
القول اي وجب عليهم العذاب في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس
يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد
من الفريقين المومنين والكافرين والبار والفاجر درجات يعني منازل
ومراتب عند الله عز وجل يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج
الجنة تذهب الى علو ودرج النار تذهب الى سفل وليوفيهم اعمالهم اي
جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار

اي فيجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموها في
الدنيا وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون
اي الذي فيه ذل وخزي بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون
على هذا القول بامرين احدهما الاستكبار وهو التترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان
والثاني الفسق وهو المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح
فصل لما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات اثر النبي صلى الله
عليه وسلم والصالحين بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الاخرة ف
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبيه فقلت استاذن يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت
فيه شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع
على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال اني اعتك يا
يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر
لي يا رسول الله ف عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع ال محمد صلى الله
عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم ف عنها قالت كان بانى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الا تمرات
التمر والماء الا ان يوتى باللحم وفي رواية قالت انا كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال
ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه
وسلم نار فقال عروة قلت يا خالة فما كان يقيتكم قالت الاسودان التمر والماء
الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم
منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا
عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبيت الليالي
المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه
الترمذي وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت

في

347

في الله ما لم يخف احد واوذيت في الله ما لم يوذ احد ولقد اتي علي ثلاثين من
بين يوم وليلة وما لبلال طعام الا بواري ابط بلال خ عن ابي هريرة قال
لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما
كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين
فيجمعه بيده كراهة ان ترى عورته خ عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد
الرحمن بن عوف اتي بطعام وكان صايما فقال قتل مصعب بن عمير وهو
خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطت رجلاه بدا
راسه قال واراه قال قتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة
ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا
الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله راني عمر بن الخطا
كما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر
وكلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
قوله تعالى واذكر اخا عاد يعني هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف قال
ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهره وقيل كانت منازل عاد باليمن في
حضرموت موضع يقال له مهره وكانوا اهل محد سيارة في البرية فاذا هاج
العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احياء باليمن
وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها السحر والاحقاف جمع حقف
وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الهيل ولم يبلغ ان يكون جبلا
وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقد خلت النذر اي مضت الرسل
من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي بعده الا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا انذرهم بذلك واعلمهم
ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثوا بعده كلهم منذرون نحو انذاره
قالوا ائتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
اي من العذاب ان كنت من الصادقين يعني ان العذاب نازل بنا قال يعني هودا
انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى يانيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به يعني

من الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه اليكم ولكني ابراكم قوما تجهلون يعني ذلك
العذاب الذي نزل بكم فلما راوه يعني راوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه بقوله
فقال عارضا يعني راوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السما
ثم يطبق السما مستقبل اوديتهم وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من
ناحية واد يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا
تلك السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله عز وجل رد
عليهم بل هو ما استعجلتم به يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب
فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تعالى تدمر كل شي
بامر ربها يعني تهلك كل شي مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان
تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما راوا
ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجات الريح فقلعت الابواب وصرعتهم
وامر الله عز وجل الريح فاسالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال
وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشف عنهم الرمل فرمت بهم في البحر
وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه
من المومنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب
قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام
وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم
فاهلكهم الله عز وجل بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة عن
عايشة قالت ما راايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا
حتى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا راى غيما عرف في
وجهه الكراهة تقال يا عايشة وما يومني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح
وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا راى مخيلة في السما اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا
امطرت السما سري عنه فعرفت عايشة فقال وما ادري لعله كما قال قوم عاد
فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الاية وفي

رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعصفت الريح قال اللهم اني
اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها
وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السما تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت
السما سري عنه فعرفت ذلك عايشة فسالته فقال لعله يا عايشة كما قال
قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة
السحاب الذي يظن فيه مطر وتخليت السما اذا تغيمت وقولها سري عنه اي
كشف وازيل عنه ما كان به من الغم والحزن قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
قرى بالتا مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد
الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرى يرى بالياء المضمومة
والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الاثار والمساكن معطلة
كذلك نجزي القوم المجرمين يجزي بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان
وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة يعني انا اعطيناهم
هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم من امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا
ولذاتها فلذلك لم تجر عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي يعني ٢٢
الله لما نزل بهم العذاب ما اغنى عنهم شيا اذ كانوا يجحدون باليات الله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل
الاستهزاء ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى
ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن
يحذر اهل مكة بذلك وصرفنا الايات يعني وبينا لهم الحجج والدلايل الدالة على التوحيد
لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم
في الكفر فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة يعني
انهم اتخذوا الاصنام الهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب
به الى الله تعالى بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب
بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى ويشفع

لهم عنده وما كانوا يفترون يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية ذكر القصة في ذلك قال المفسرون لما مات ابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه ويضره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشته من قومه فخرج الى الطايف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومييذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب هو عمرو بن عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله تعالى وكلمهم بما جاله من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم وهو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لين كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعلنتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيدهم ذلك في تجبرهم عليه فلم يفعلوا واغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجوه الى حايط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المراة التي من بني جمح فقال ما ذا لقينا من اخايك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه

تمر

نيا

عداس ح

امر الدنيا والاخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له ياكل منه ففعل ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال لبسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه قال فقال احد ابنا ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاهم عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقال ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطايف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد امنوا به واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الاية قول اخر وسياتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وروي ان الجن لما رموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرن الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وسادا تهم فبعثهم الى تهامة وقال ابا حمزة الثمالي انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرانا عجبا

وقال جماعة بل امر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الي الله وعلمه القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من اهل نينوي وجمعهم له فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني امرت ان اقرئ علي الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعتهم فاطرقوا ثم استتبعتهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود وقال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتي اذا كنا باعلا مكة دخل نبي الله صلي الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتي اعود اليك فانطلق حتي عاد اليهم فافتتح القرآن فجعلت اري امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتي خفت علي نبي الله صلي الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتي لما سمع صوته تطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين فقرع النبي صلي الله عليه وسلم منهم رجع النجي فانطلق الي فقال لي تمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان اسطقيث بالناس حتي سمعتك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بياض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقدرها الناس علينا فنهي رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يستنجي بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله ما يعني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجد واعليه لحمه يوم اكله ولا روثة الا وجد وا فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا قال ان الجن تداعرات بي فتيل فتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبوز رسول الله صلي الله عليه وسلم واتاني فقال هل معك ما قلت معي يا رسول الله اداوة فيها نبيذ من نبيذ التمر فاسندعاه فصببت علي يديه فتوضا فقال تمرة طيبة وماطهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة راي شيوخا شمطا من الزط فاقزعوه حين راهم ثم قالوا اظهروا فقيل لهم ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث

التوضيح بتبييد التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلي الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه منا احد ولكنا كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات قوم قال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال السبعين وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الآية فقوله تعالي واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم بمعني واذكر اذ بعثنا يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلي الله عليه وسلم رسلا الي قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من السبعة الذين استمعوا القرآن وروي ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها في الهوي وصنف علي صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاذا اسلموا قالوا واوفي الجن ملك كثيرة مثل الانس فمنهم اليهود والنصاري والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء علي ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يستمعون القرآن فلما حضروه الضمير يعود الي القرآن يعني فلما حضروا الاستماع القرآن وقيل يحتمل ان يعود علي الرسول صلي الله عليه وسلم ويكون المعني فلما حضروا رسول الله صلي الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن قالوا انصتوا يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع الي قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فانصتوا وسمعوا القرآن حتي كاد وا يقع بعضهم علي بعض من شدة حرصهم علي سماعه فلما قضي اي فرغ من قراءته ولوا اي رجعوا الي قومهم منذرين يعني داعين لهم الي الايمان مخوفين

لهم من المخالفة وذلك بامور رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم وذلك
لانهم لا يدعون غير هم الي سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم وتصديقهم له
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا قال عطا كان دين
اليهودية لذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يعني من الكتب المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة علي الدعوة
الي التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب
وهو القرآن المنزل علي محمد صلي الله عليه وسلم كذلك حذلك هو تصديقه لما بين
يديه من الكتب يهدي الي الحق والي طريق مستقيم يعني يهدي الي دين الحق وهو
دين الاسلام ويهدي الي طريق الجنة يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلي
الله عليه وسلم انه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل علي ان مبعوث الي الانس
والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله عز وجل نبيا الي الانس والجن قبله وامنوا به
قال قلت قوله تعالي اجيبوا داعي الله يا جابته في كل ما امر به يدخل
فيه الامر بالايمان فلم اعاده ذكره بلفظ التعيين قلت انما اعاده لان الايمان
اهم اقسام الامور واشرفها فلذلك ذكره علي التعيين فهو من باب ذكر العام
ثم يعطف عليه اشرف انواعه يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال
بعضهم لفظه من هنا زايدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي علي اصلها وذلك
ان الله عز وجل يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا جرت عليهم
احكام الاسلام فمن اتي بذنب اخذ به ما لم يتب منه او يبقي تحت خطر المشيئة
ان شاء الله غفر له وان شاء اخذه بذنبه واختلفوا العلما في حكم مومني الجن فقال
قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتا ولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من
عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث قالوا ثوابهم ان يجاروا
من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين
الناس قيل لمومني الجن عودوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس
وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلي قال

الضحاك

الضحاك تدخل الجنة ويا كلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سالت حمزة بن حبيب
هل للجن ثواب قال نعم وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس
والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن حول الجنة في ربض ورحاب
وليرافيها يعني في الجنة قوله عز وجل ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض
يعني لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اولياء يعني انصارا يمنعونه من الله
اولئك يعني الذين لم يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله تعالي اولم يروا ان
الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن يعني انه تعالي خلق هذا الخلق
العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتقديره بقادر علي ان يحيي الموتي يعني
ان اعادة الخلق واحيايه بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه والكل عليه
هين وهو قوله تعالي بلي انه علي كل شيء قدير يعني من اماتة الخلق واحيايهم
لانه قادر علي كل شيء ويوم يعرض الذين كفروا علي النار فيه اضمار تقديره
فيقال لهم اليس هذا بالحق يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو
الحق قالوا بلي وربنا هذا اعتراف منهم علي انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك
وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك يقال لهم قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلي الله عليه
وسلم امره الله تعالي بالاقتداء باولي العزم من الرسل بالصبر علي اذي قومه قال
ابن عباس ذوو الحزم منهم وقال الضحاك ذو والجد والصبر واختلفوا في اولي
العزم من الرسل منهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم لم يبعث الله
عز وجل نبيا الا كان ذا عزم وجزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار
الامام فخر الدين الرازي قال كان لعطفه من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض
كما تقول توقب من خبرك انه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك علي اذي
قومهم وضعفهم بالعزم لقوة صبرهم ونباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم
اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل للنبي صلي الله عليه وسلم
ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم نجب الرسل المذكورون في
سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدي

الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاسرة لاعدا
الله تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون
في السنف في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى
قومه وابراهيم صبر على النار واسحاق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على
فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على الضر
وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع ثم
مع محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله تعالى على التخصيص
والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
الاية روى البغوي بسنده عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عايشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عايشة ان الله عز وجل لم يرض
من اولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض الا ان
كلفني ما كلفهم قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لابد
لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى
ولا تستعجل لهم يعني اصبر على اذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه
نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب
بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب
فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب في الاخرة لم
يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني انهم اذا عاينوا العذاب صار طول
لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان
طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو ابد الابدين بلا انقطاع ولا
فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدا فقال تعالى بلاغ اي هذا القرآن
وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله تعالى اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ
فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون يعني الخارجين
عن الايمان بالله تعالى وطاعته قال الزجاج فاويله يهلك مع رحمة الله تعالى

وفضله

وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة الله اية اقوى من
هذه الاية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها ولم يقبلها منهم
واراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام
وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه
السورة متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قايلا قال كيف يهلك
القوم الفاسقون ولهم اعمال بر صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال
والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال حبة من خير فاخبر بان الفاسقين
هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن
لله ولا بامره انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك وهذا السبب
ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه
وسلم وجعل الدايرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا وهم الذين
يطوفون الجليش يوم بدر وهم سبعمايه كفار قريش منهم ابو جهل والحارث ابن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل جميع كفار قريش وقيل كفار اهل الكتاب
وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم من
الدخول في دين الله وهو الاسلام ومنعوا انفسهم من الدخول في الاسلام اضل
اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا والذين امنوا وعملوا الصالحات قال ابن عباس الذين
كفروا من مشركي قريش والذين امنوا هم الانصار وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقيل
هو عام فيدخل فيه كل من امن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الاولى
ليشمل جميع المومنين وامنوا بما نزل على محمد يعني القرآن الذي انزله الله تعالى على محمد
صلى الله عليه وسلم وانما ذكر بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان لجميع ما جاء به
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل تعظيما لشان القرآن الكريم وتنبيها

علي انه لابد من الايمان الابه والكذلك بقوله تعالي وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين
محمد صلي الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان
الثوري في قوله وامنوا بما نزل علي محمد يعني لم يخالفوه في شيء كفر عنهم سيئاتهم يعني
ستر ذنوبهم وعملوا الصالحات ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم
منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم واصلح بالهم يعني حالهم وشانهم وامرهم
بالتوفيق في امور الدين والتسليط علي امور الدنيا بما اعطاهم من النصر علي
اعدائهم وقيل اصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد
وقال ابن عباس عصمهم وامر حيالهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الي اصلاحهم
اعمالهم حتي لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين
امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن ومعني الاية ذلك الامر وهو ضلال الكفار
وتكفير سيئات المومنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المومنين الحق
من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الي الناس
علي انه تعالي ضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بهم قال الزجاج كذلك
يضرب الله امثال حسنات المومنين واضلال اعمال الكافرين للناس قوله
تعالي فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب يعني فاضربوا
رقابهم وضرب الرقاب عبارة عن القتل لكن المراد ضرب الرقاب فقط دون
سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اسرع ما يكون بضرب
رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الرؤس من اشرف اعضاء
البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الي الموت والهلاك بخلاف غيره من
الاعضاء حتي اذا اثخنتموهم يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ما خوذ من الشيء
الثخين الغليظ والمعني حتي اذا اذللتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض
والحركة فشدوا الوثاق يعني في الامر والمعني فاسروهم وشدوا الوثاق حتي
لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به فاما منا بعد واما فداء يعني
بعد الاسر اما تمنوا عليهم منا بالطلاقهم من غير عرض واما ان تفادوهم فدا
في حكم الاية اختلف العلماء في حكم الاية هذه فقال قوم هي

منسوخة

منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشردبهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي
واصحاب الراي قالوا لا يجوز المن علي من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل
او الاسترقاق ابيحا سراي الامام وقال صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم
من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم
بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيجعلوا الجزية ان كانوا من اهل
الذمة ويراد بالفداء ان يفادي باسارى اهل اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي
مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور عنه انه لا يري فداهم لا بمال ولا بغيره حيفة ان
يعود واحرابا للمسلمين وذهب اكثر العلماء ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال
البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم
بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب بن عمر وقال
الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق
قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى
اما منا بعد واما فداء وهذا القول الصحيح وثبت به عمل النبي صلي الله عليه وسلم
والخلفاء بعده ق عن ابي هريرة قال بعث النبي صلي الله عليه وسلم خيلا قبل نجد
فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري
المسجد فخرج اليه النبي صلي الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة قال عندي خير
يا محمد ان تقتل ذا دم وان تنعم تنعم علي شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه
ما شئت فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الي نخل قريب
من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله والله ما كان علي الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك
احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب
الدين كله الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد
الي كلها وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلي الله عليه
وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل اصبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول

الله صلي الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتي يأذن بها رسول الله
صلي الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن الحصين قال
اسر اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف
قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فمر رسول الله
صلي الله عليه وسلم بالرجلين الذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده
واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالي حتي تضع الحرب اوزارها
يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعني حتي يضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال
فاصل الوزر ما يحمله الانسان فسمي الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون
مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتي تضع المحاربون اوزارهم بان
يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله صلي الله عليه وسلم وقيل معناه حتي تضع
حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقتالهم بان يسلموا ومعني الاية الحث علي المشركين
بالقتل والاسر حتي يدخل اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون
بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسي بن مريم عليه السلام وجاءت
الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل الي ان
يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الحلبي معناه حتي
يسلموا او يسالموا قال القراحتي لا يبقي الا مسلم او مسالم وذلك يعني الذي ذكرنا بين
من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني ولو يشاء الله لاهلكهم بغير قتال
وكفاكم اسرهم ولكن يعني ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني بالصبر
من قتل من المؤمنين الي الثواب ومن قتل من الكافرين الي العذاب والذين قتلوا
في سبيل الله يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل
اعمالهم يعني فلم يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالي قال قتادة
ذكر لنا ان هذه الاية نزلت في يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل
سيهديهم يعني اياما حياتهم في الدنيا الي ارشد الامور وفي الاخرة الي الدرجات
العلي ويصلح بالهم ويرضي اعمالهم ويتقبلها ويدخلهم الجنة عرفها لهم يبين لهم
منازلهم في الجنة حتي يهتدوا الي مساكنهم لا يخطونها ولا يستدلون عليها كانهم

سكنوها

سكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن من اهدي الي درجته ومنزله وزوجته وخدمه
منه الي منزله واهله في الدنيا هذا اقول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم
طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معروف اي مطيب قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله
وحزبه ينصركم يعني علي عدوكم ويثبت اقدامكم يعني عند القتال وعلي الصراط
والذين كفروا فتعسا لهم قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سحقا
لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا
العثرة وفي الاخرة التردي في الدنيا يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يرد وا
قيامه ومعنده ان دعوا له واراد وا قيامه وفي هذه الاشارة جلية وهي انه تعالي
لما قال في حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجائز ان
يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال فاخبر الله
تعالي ان كل الثبات ايها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق
المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالي لا يجب عليه شيء ولا في حق الكفار بصيغة
الدعاء عليهم واضل اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان وذلك
يعني النفس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القرآن الذي فيه النور
والهدي وانما كرهوا لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة علي النفس لانهم كانوا
قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك
والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله تعالي فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله
فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله تعالي ولان الشرك
محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالي افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة دمر
الله عليهم يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا هلك ما يختص به والمعني
اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وللكافرين
يعني بمحمد صلي الله عليه وسلم امثالها يعني ان لم يؤمنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم وبما
جاءهم به من عند الله وهو التصديق امثال ما يكون في الآخرة ذلك يعني الاهلاك والعذاب

بان اي بسبب ان الله مولى الذين امنوا يعني ناصرهم ووليهم ومتولي امرهم
وان الكافرين لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام
وهي جماد لا تقدر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان
الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هناك بمعنى الرب
والمولى هنا بمعنى الرب والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فبان الفرق
بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المومنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في
الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار يعني لهم هذا في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا
يشهواتها ولذاتها وياكلون كما تاكل الانعام يعني ليس لهم همة الا بطونهم
وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا شبههم
بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو
كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي سجن
المومن بالنسبة لما اعد الله له في الاخرة من النعيم العظيم الدايم والنار مثوى لهم
يعني مثوى للكافرين ومستقرهم قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك يعني اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال
هم اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله عز وجل بدل عليه قوله تعالى اهلكناهم
ولم يكن اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي
حل بهم قال ابن عباس لما خرج النبي صلي الله عليه وسلم الي الغار التفت الي
مكة وقال انت احب بلاد الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني
لم اخرج منك فانزل الله عز وجل هذه الاية افمن كان على بينة من ربه يعني
على يقين من دينه وهو محمد صلي الله عليه وسلم والمومنون معه كمن زين له سوء
عمله وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا اهواهم يعني في عبادة
الاوثان قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الله عز وجل حال الفريقين
في الاهتداء والضلال بين في هذه الاية ما اعد الله لكل واحد من الفريقين فبين

اولا ما اعد للمومنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة
الجنة قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف لمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي
تشبيهها به وقيل المثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد
المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في
النار فيها يعني في الجنة انهار من ماء غير اسن يعني غير متغير والاسن يقال لكل ما
ماء اسن اذا تغير طعمه وريحه وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا
فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا مايكره من المطعوم وانهار من خمر لذة للشاربين
يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا
الايدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي بخلاف ذلك
وانهار من عسل مصفى يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولا يخرج من بطون النحل
حتى يمون فيه بعض محله بل هو خالص صاف من جميع شوايب عسل الدنيا
عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال في الجنة بحر الماء
وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين
النواوي في شرح سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان
المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان
نهر اذنه وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا
هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه
الانهار من الجنة فعليه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة
من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال كعب
الانهار تخرج جلة نهر من اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم
ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر كذا نقله البغوي
عنه وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة
الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا للحاجة فهكذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه

والدة ومغفرة من ربهم فان قلت ليس بالامر المومن المتقي لا يدخل الجنة الا
بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بالامر ان يكون المعني ولهم مغفرة
فيها الان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعني ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة
قبل دخولهم اليه وجواب اخر وهو ان المعني ولهم مغفرة فيها يوقع المكلفين عنهم
فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعم
الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه وقوله تعالى كمن هو خالد في النار يعني من هو
في هذا النعيم المقيم الدايم كمن هو خالد في النار يخرج من جحيمها وهو قوله وسقوا
ماء حميما يعني بشدة الحر قد اسعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا دنى منهم شوى
وجوههم فاذا شربوا وقعت فروة وجوههم فاذا شربوه قطع امعاءهم يعني
تخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معا وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال
الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الي ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع
امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم
فينفذ الحميم حتي يخلص الي جوفه فيسلت ما في جوفه حتي يمرق من قدميه
وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح
عن ابي امامة عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله يسقي من ماء صديد يتجرعه
قال يقرب اليه فيكرهه فاذا اوتي منه شوي وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا
شرب قطع امعاءه حتي يخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم
ويقول ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب قوله ومنهم يعني ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك
وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعوه ولا يفهموه تهاونا به وتغافلا عنه حتي
اذا خرجوا من عندك يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون
كلامك واذا خرجوا من عندك قالوا يعني للمنافقين الذين اوتوا العلم يعني من
الصحابة ماذا قال انفا ما الذي قاله محمد الآن وهو من الاستئناف يقال ابتدأت
الامر ابتداء عنه قال مقاتل وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يخطب

ويعيب

المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء
ماذا قال محمد صلي الله عليه وسلم وقال ابن عباس وقد سئلت فيمن سيل اولئك يعني
المنافقين الذين طبع الله على قلوبهم يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول
الله صلي الله عليه وسلم واتبعوا اهواءهم يعني من الكفر والنفاق والمعني انهم لما تركوا
اتباع الحق اماتت الله قلوبهم فلم يفهموا ولم يعقلوا وعند ذلك اتبعوا اهواءهم الباطل
والذين اهتدوا يعني المومنين لما بين الله عز وجل ان المنافقين يسمع ولا ينتفع بل
هو مصر على متابعة الهوي بين حال المومن الذي ينتفع بما يسمع فقال تعالى
والذين اهتدوا يعني بهداية الله تعالى اياهم الي الايمان زادهم هدي يعني انهم
كلما سمعوا من رسول الله صلي الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا
منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدي مع هداياتهم وايمانهم وآتاهم تقواهم
يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوي وقال سعيد بن جبير اتاهم ثواب تقواهم
وقيل اتاهم نفس تقواهم بعني انه تعالى بين لهم التقوي فوله عز وجل فهل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة يعني ان الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن
الايمان فلم يؤمنوا فالساعة اتيتهم بغتة ففجاهم على كفرهم ونفاقهم فيه وعيد
وتهديد والمعني لا ينظرون الا الساعة والساعة اتيه لا محالة وسميت القيامة
ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا هل ينظرون الا فقرا منسيا او غنا مطغيا
او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غايب ينتظر
والساعة ادهي وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى فقد جاء
اشراطها اي امارتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كانت قيام الساعة امرا مشكلا
في النفوس وقد قال الله تعالى هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان
قائلا ان قال متي يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قال المفسرون من
اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلي الله عليه وسلم عن سهل
بن سعد قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا الوسطى
والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت انا والساعة

كهاتين ويشير باصبعيه بمد هما ق عن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما علي الاخري وضم السبابة والوسطي وفي
رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه علي الاخري قيل
معني الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلي الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء
يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الي قرب المجاورة ق عن انس
قال عند قرب وفاته الا احدثكم حديثا عن النبي صلي الله عليه وسلم لا يحدثكم به احد
غيري سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من
اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال
وتبقي النساء حتي لا يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية ويظهر الزنا وتقل الرجال وتكثر
النساء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان من اشراط
الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم ويظهر الفتن ويبقي الشح ويكثر الهرج
قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل او قال ويظهر الجهل
خ عن ابي هريرة قال بينا رسول الله صلي الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم
اذ جاءه اعرابي فقال متي الساعة فمضي رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديثه
فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتي اذا قضي
حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت
الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الي غير اهله
فانتظر الساعة وقوله تعالي فاني لهم اذا جاءتهم ذكراهم يعني ممن اين لهم التذكر
والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا
جاءتهم الساعة فلا ينفعهم الذكري ولا يقبل منهم التوبة ولا يحسب بالايمان
في ذلك الوقت فاعلم انه لا اله الا الله الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم واورد
علي هذا ان صلي الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فايدة
هذا الامر واجيب عنه بان معناه دم علي ما انت عليه من العلم وكقول القائل
لمجالسه اجلس اي دم علي ما انت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد
علما الي علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلي الله عليه وسلم

فالمراد

فالمراد به غيره من امته قال ابن العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل
بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجا ولا منجا ولا مفزع عند قيامه الا الي
الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل
عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو واستغفر لذنبك
امر الله عز وجل نبيه صلي الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له لتستن
به امته ويقتدوا به في ذلك م عن الاغر المزني اعز مزينة قال سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول انه ليغان علي قلبي حتي استغفر في اليوم
مائة مرة وفي رواية قال توبوا الي ربكم فوالله اني لاتوب الي ربي عز وجل مائة
مرة في اليوم خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية اكثر من
سبعين مرة قوله انه ليغان علي قلبي الغين التغطية والستر اي يلبس علي
قلبي ويغطي وسبب ذلك ما اطلعه الله عليه من احوال امته بعده فاحزنه
ذلك حتي كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين
وهمالهم حتي يري انه قد تشغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف
عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه
وخلوص همه مع كل شيء سواه فلهذا السبب كان صلي الله عليه وسلم يستغفر
الله فان حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل هو ما خوذ من الغين وهو
الغيم الرقيق الذي يغشي السماء فكان هذا الشغل والهم يغشي قلبه صلي
الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله عز وجل منه وقيل هذا
الغين هو السكينة التي تغشي قلبه صلي الله عليه وسلم وسبب استغفاره
لها اظهارا للعبودية والافتقار الي الله تعالي وحكي الشيخ محيي الدين النواوي
عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شانه
صلي الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا افتتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر
منه وحكي الوجوه المتقدمة ممنه وعن غيره وقال الحارث المحاسبي
خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا امنين من عذاب

الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا المبين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون
استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل في معنى الاية استغفر
لذنبك اي لذنوب اهل بيتك وللمومنين والمومنات يعني من عبر اهل بيته
وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر به صلى الله عليه وسلم ان
يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال
ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومتقلبكم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم
يعني مصيركم الى الجنة والى النار وقيل متقلبكم في اشغالكم بالنهار ومثواكم
بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات
وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم
فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا
نزلت سورة وذلك ان المومنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله
وقالوا فهلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد لكنا نجاهد فاذا انزلت سورة
محكمة وذكر فيها القتال قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي
اشد القرآن على المنافقين رايت الذين في قلوبهم مرض يعني شك فاقاموا
المنافقون ينظرون اليك يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد وحيا
عن لقاء العدو نظر المغشي عليه من الموت يعني كما ينظر الشاخص ببصره عند
معاينة الموت فاولى لهم فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد
اولاك اي ويلك وثبورك ماتكره ثم الكلام عند هذا ثم ابتدا بقوله طاعة
وقول معروف فعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول
معروف امثل لهم واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل
واحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازا فاولى بهم
طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وقول معروف بالاجابة والمعنى
لو اطاعوا واجابوا كانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا قول ابن عباس
في رواية عطاء عنه فاذا عزم الامر فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر
وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع

الاية

الاية واذا عزم الامر خالف المنافقون ولكذبوا فيما وعدوا به فلو صدقوا الله
لكان خيرا لهم يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان
والطاعة لكان ذلك خيرا لهم فهل عسيتم اي فلعلكم ان توليتم يعني اعرضتم
عن سماع القرآن وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض يعني تعودوا الى
ما كنتم عليه من الجاهلية من الافساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك
الدم وتتراجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وتقطعوا ارحامكم قال
قتادة كنتم ترايتم القوم حين تولوا من كتاب الله سفكوا الدم الحرام وقطعوا
الارحام وعصوا الرحمن وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم ان
الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك
قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه
قالت هذا مقام العايذ بك من القطيعة قال فما اترضين ان اصل
من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لكتم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرءوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو
شد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من
الرحمن استعار له الاستمساك به والاخذ كما يستمسك الثوب من قريبه
والقريب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم
وقطع الرحم ضد صلتها والعايذ اللاجي المستجير قال القاضي عياض صلة
الرحم التي توصل وتقطع وبرا انما هي معنى من المعاني وليست بجسم
وانما هي قرابة ونسب لجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك
الاتصال رحما والمعاني لا يتاتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر كلامها
هنا وتعلقها صوب مثل وحسن استعارة بل عادة العرب في استعمال ذلك
والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثر قاطعها ولهذا سمي العقوق

ق ت

قطعا لانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملوك
وتعلق بالعرش وتكلم على لسانها فبدا بامر الله تعالى هذا كلام القاضي عياض
في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية في قوله ان توليتم هو من الولاية يعني
فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم
ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم
الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى
عالم بكل شيء فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلى
وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم ويتوقع ذلك منهم وقال الزمخشري
معناه انه لما عهد منكم حقا بان يقول لكم كل من فاتكم وعرف تحريضكم ورخاوة
عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس لم
وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تتناحروا على الملك وتتهالكوا
على الدنيا اولئك اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع الارحام
الذين لعنهم الله بعني ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته فاصمهم
بعني عن سماع الحق واعمى ابصارهم بعني عن طريق الهدى وذلك انهم
لما سمعوا القران فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم
يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر افلا يتدبرون
القران بعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في
عاقبة الشيء وما يؤول اليه امره وتدبر القران لا يكون الا مع حضور القلب
وجمع الهمم وبذل تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذا من الحلال الصرف وخلوص
النية امر على قلوب اقفالها بعني بل على قلوب اقفالها وجعل الفعل مثالا
لكل مانع للانسان من تعاطي فعل يقال فلان متقفل عن كذا بمعنى ممنوع
منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم
وقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم تكليف يمكنهم تدبر القران مع هذه الموانع
الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جايز عندنا لان الله تعالى امر بالايمان
من سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك هذا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد

عليه

لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون المراد به التاسي وقيل ان هذه الاية
محققة للاية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القران كالتهييج على
ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت لهم على
اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده روى البغوي باسناد الثعلبي عن
عروة بن زيد قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران
ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى
يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفسي عمرتي ولي فاستعان
به هذا الحديث مرسل عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلهم ادرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك
قوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم يعني رجعوا القهقرى كفارا
من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهدى قال
قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه
ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم
المنافقون وذلك انهم امنوا ولا تم كفروا ثانيا الشيطان سول لهم يعني زين
لهم القبيح حتى راوه حسنا واملى لهم قرى بهم الالف وكسر اللام وفتح الياء
على ما لم يسم فاعله بعني امهلوا ومد لهم في العمر وقرى واملي لهم
بفتح الالف واللام بمعنى واملى لهم الشيطان بان مد لهم في الامل قال
قلت الاملا والامهال لا يكون الا من الله تعالى لانه الفاعل المطلق
وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة
قلت ان المسبول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما
اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قد ذلك على يده ولسانه فالشيطان
يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم
ورياستكم الى اخير عمركم ذلك اشارة الى التسويل والاملا بالهم يعني بان
اهل الكتاب والمنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم

في بعض الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك
الجهاد والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله عليه
وسلم خبرهم ثم قال والله يعلم اسرارهم يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية
من امرهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يعني وكيف يكون حالتهم اذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم ذلك يعني ذلك الضعف بانهم يعني بسبب انهم
اتبعوا ما اسخط الله يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه
يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاحبط اعمالهم التي عملوها من اعمال البر لانها لم تكن لله
ولا باهوه امر حسب الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وهم المنافقون
ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على المومنين فيبديها
حتى يعرف المومنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال
ابن عباس حسدهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال الله تعالى
ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا يقول
لم لم يخرج الله اضغانهم ويظهرها فاخبر الله تعالى انه انما اخر ذلك لمحض
المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم اي لامانع لهما من ذلك والارادة
بمعنى التعريف والعلم وقوله ولتعرفنهم لزيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق
ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم
عرفانا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع
معه اشتباه وقولهم بسيماهم يعني بعلامتهم اي تجعل لك علامة تعرفهم
بها قال انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية
شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول يعني
في معنى القول ونحوه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطا صرف
الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث
البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض والله

يقصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف
الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى الاية وانك
يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول في تهجين امرك وامر المسلمين
وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بنحوي كلامه على فساد باطنه ونفاقه
ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم يعني اعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر
عمله قوله تعالى ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله عالم بجميع
الاشياء قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين يعني
انا نامركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه
من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم الوجود والظهور ونبلوا خباركم
يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد ان
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما
يامرهم من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد
ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا
الله شيئا يعني انما يضرون انفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك
وسيحبط اعمالهم يعني وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة لانها
لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب
مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر المومنين بطاعته وطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا يعني
بالشرك والنفاق والمعنى دوموا على ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا
تشوبوا تبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال الكلبي لا تبطلوا اعمالكم بالرياء والسمعة لان الله تعالى لا يقبل من
الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصي

والكبائر قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه
لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكبائر
بعد ان تحبط الاعمال واستدل بهذه الاية من يرى احباط الطاعة بالمعاصي ولا
حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما فالله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية
واحدة وروي عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا ينهى من حسناتنا الا مقبولة
فنزلت ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات
والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لا
يصيبها واستدل بهذه الاية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة
تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم
ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم اصبح صائما فاتي البيت وجيء حيسا فقال لعائشة قربيه
فلقد اصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي
الصحيح ايضا ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قرب اليه قال
كل فاني صائم قال لست باكل حتى تاكل فاكل معه وقال مالك في معنى
الاية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت في بني اسد
وقد ذكر القصة في تفسير سورة الحجرات ان منا الله تعالى ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت في
اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر والقول في قليب
بدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فان الله لا يغفر له لعموم قوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلا تهنوا الخطاب
فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا
ايها المؤمنون وتدعوا الى السلم يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح ابتداء مع الله

تعالى

تعالى المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بجربهم حتى يسلموا وانتم الاعلون
يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخبره الله تعالى ان الامر للمسلمين والغلبة
لهم عليهم وان يبلوا المسلمين في بعض الاوقات والله معكم يعني بالنصرة
والمعونة ومن كان معه فهو العالي الغالب ولن يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم اجورها
ثم حض على طلب الاخرة وقد علمت ان الدنيا لعب كلها ولهو الا ما كان منها في
عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في
الحال ولا في المال ثم اذا استغله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم يبتغ استغلاله
لعبا فهو لعب وان شغله عن مهماته نفسه فهو لهو وان تؤمنوا وتتقوا
يؤتكم اجوركم يعني يوتكم جزاء اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم اموالكم يعني ان الله
لا يسال من العباد اموالهم لانه الاجر عليهم بل يامرهم بالايمان والتقوى
والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يبالكم بجهد اموالكم وقيل معناه
لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما يسالكم بعضا من بعض
وهو ربع العشر من اموالكم وهي زكاة اموالكم ثم يرد عليكم ليس لله ولرسوله
فيها حاجة انما فرضها الله في اموال الاغنياء وردها على الفقراء فتطيب بالخراج
الزكاة انفسهم وفي هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق
الاية وهو قوله تعالى ان يسالكموها الضمير عايد على الاموال فيحفكم يعني يجهدكم
يطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسئلة وبلوغ الغاية في الالحاح تبخلوا يعني بالاموال
فلا تعطوها ويخرج اضغانكم يعني ضغائنكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال
قتادة علم الله ان الاحفاء بمسئلة الاموال خروج الاضغان هانتم هؤلاء يعني انتم
يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استانف وصفهم فقال تعالى تدعون لتنفقوا
في سبيل الله قيل اراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة
وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني بما فرض عليه اخراجه
من الزكاة او ندب الى انفاقه في وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة والاداء
المفروضة فلا ينفعه ذلك وهو تحذير فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني
عن صدقاتكم وطاعتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض وانتم الفقراء

يعني اليه والى ما عنده من الخير والثواب في الدنيا والاخرة وان تتولوا يعني عن
طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن اتباع ما امركم به والزمكم
اياه يستبدل قوما غيركم يعني يكونوا اطوع لله ورسوله منكم قال الكلبي هم
كندة والنمع من عرب اليمن وقال الحسن هو العجم وقال عكرمة هم فارس والروم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال
ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين
ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وسلمان بجنب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال
هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال
من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح تردي سورة الحجرات ان شاء الله
تعالى والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

خ عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر
بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر
ثكلتك امك يا عمر نزدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت
ان ينزل في قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت
ان يكون قد نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه
فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم
قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا اخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره
بالحديبية ق عن انس لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر الى قوله فوزا عظيما امر جعه من الحديبية وهم محاطهم الهدي

والكابة

اصدر ثنا نحن وما شيئنا وركانا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وصفوا كل خيل ربلغ الهدي محله وظهرت الروم علي فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب علي المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلي الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعني فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مودود الي قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المومنين والمومنات جنات وقال بن جرير هو راجع الي قوله في سورة النصر فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ليغفر لك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك علي عدوك وغفرنا لك وهدينا لك صراطا مستقيما يجتمع لك عز الدارين واعراض العاجل والاجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للمغفرات لانه جهاد لعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعني الاية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تاخر يعني بعدها وهذا علي قول من يجوز الصغاير علي الانبياء وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابويك آدم وحوا وما تاخر من ذنب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك وما كان منك قبل النبوة وما تاخر يعني كل شيء لم تعلمه ويذكر مثل هذا علي طريق التاكيد كما تقول اعط من نراه ومن لم نره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعني ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من

سهو وغفلة وتاويل لان النبي صلي الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذا توب غيره والمراد بذكر الذنب هنا ما عسي ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالي ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصرة والتمكين ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهديك الي صراط مستقيم ويثبتك عليه والمعني ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة والهداية الي صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهديك به الي صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور علي الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالي فان قلت وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله تعالي عيشة راضية اي ذات رضي وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا كما يقال هذا الكلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الي هذا التقدير اذا كانت الغلبة والعزيز الغالب اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل او العديم النظير فلا يحتاج الي هذا التقدير لان النصر الذي هو من الله تعالي عزيز في نفسه لكونه من الله فصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله تعالي هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين يعني الطمانينة والوقار في قلوبهم ليلا تتزعزع نفوسهم قال ابن عباس قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمانينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها كما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كي هو وذلك انه تعالي جعل السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند التقاء الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلي الله عليه وسلم ثم قال تعالي ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وذلك ان الله تعالي جعل السكينة في قلوب المومنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم

وذلك ان كل ما ورد عليهم امرا ونهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه كان ذلك زيادة
في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلي الله عليه وسلم بشهادة ان
لا اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه ازداد وا تصديقا الي تصديقهم وقال الضحاك
يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله
الرويا بالحق وقبل لما امنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلي
الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وامنوا بالبعث بعد الموت والجنة
والنار وامنوا بالفروع وجميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في
ايمانهم ولله جنود السموات والارض قال الله عز وجل ويبصرك الله
نصرا عزيزا وكان المومنون في قلة من العدد والعدد فكان قال لا قال كثير
ينصره فاخبره الله تعالي ان له جنود السموات والارض وهو قادر علي ان ينصر رسوله
صلي الله عليه وسلم بعض جنوده بل هو قادر علي ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة
وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينته في قلوبكم ايها المومنون ليكون
نصر رسول الله صلي الله عليه وسلم واهلاك اعدايه علي ايديكم فيكون لكم
الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات الملبكة وجنود الارض جميع الحيوانات
الثالث ان جميع جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض
مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكان الله عليما يعني بجميع جنوده الذين
في السموات والارض حكيما يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المومنون
حكيما حيث جعل النصر لعلي اعدايكم قوله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار قوله ليدخل المومنين يستدعي سابقا تقديره
هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين بصلح الحديبية وعدم الفتح والغنم
ليشكروه علي نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ويكفر عنهم سياتهم فان قلت تكفير السيات انما يكون قبل
دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضي الترتيب
وقيل ان تكفير السيات والمغفرة توابع كون المكلف من اهل الجنة بعد مروره
بالذكر يعني انه من اهل الجنة وكان ذلك عند الله فوزا عظيما يعني ان ذلك الادخال

والتكفير

والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات يعني المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات
من اهل مكة انما قدم المنافقين علي المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين
كانوا اشد علي المومنين من الكافر يمكن ان يتحرز منه ويجاهد لانه عدو مبين
والمنافق لا يمكن ان يتحرز منه ويجاهد فلهذا كانت شره اكثر من شر الكافر فكان
تقديم الكافر بالذكر اولي الظانين بالله ظن السوء يعني انهم ظنوا ان الله لا ينصر
نبيه صلي الله عليه وسلم والمومنين عليهم دايرة السوء يعني عليهم دايرة العذاب
والهلاك وغضب الله عليهم زيادة في تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم يعني وابعدهم
وطردهم عن رحمته واعد لهم جهنم يعني في الاخرة وساءت مصيرا يعني ساءت
جهنم منقلبا ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره يعني ما فايدة التكرير
ولم تقدم ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين
نقول فايدة التكرار التاكيد وجنود السموات والارض منهم للرحمة ومنهم من
هو للعذاب فقد ذكر السموات والارض قبل ادخال المومنين الجنة ليكون مع
المومنين جنود الرحمة فيثبتوهم علي الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة
انضموا الي جوار الله تعالي ورحمته والغرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الي
شيء واخر ذكر جنود السموات والارض تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون
معهم جنود السخط فلا يغاثون فوهم فان قلت قال في الاية الاولي وكان
الله عليما حكيما وفي هذه وكان الله عزيزا حكيما فما معناه قلت لما كان في
جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المومنين
ناسب ان يكون خاتمة الاولي وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب
الكافرين والمنافقين وشدته ناسب ان يكون خاتمة الاية الثانية وكان الله عزيزا
حكيما فهو كقوله ليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله احدناهما احد عزيز مقتدر
قوله تعالي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الخطاب للنبي صلي الله عليه
وسلم ذكر في معرض الامتنان عليه حيث شرف بالرسالة وبعثه الي الكافة شاهدا
علي اعمال امته ومبشرا يعني لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه

وعمي امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله
والضمير فيه للناس المرسل اليهم ويعزروه يعني ويقووه ويبصروه والتعذير فيه
مع تعظيم ويوقروه يعني ويعظموه يعني والتوقير التعظيم والتبجيل ويسبحوه من
التسبيح الذي هو التنزيه عن جميع النقايص ومن السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري
والضمير لله تعالى والمراد بتعزيز الله تعزيز دينه ورسوله ومن قرأ الضمائر كلها لله
وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله
عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدي بقوله
ويسبحوه بكرة واصيلا على ان الكناية ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني
ويصلوا لله ويسبحوا الله بالغداة والعشي قوله عز وجل ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما
بايعوا الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده
الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفا بالعهد الذي التزمه له والمراد
بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين
مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببير هناك وقد جاي الحديث ان الحديبية
بير قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل وبعضها من الحرم
ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين
يشددونها عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة ابن الاكوع على اي شي بايعتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت وعن معقل بن يسار قال لقد
رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصن من
اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة مية قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه
على ان لا نفر قال العلما لا منافاة بين الحديثين ومعناها صحيح بايعه منهم
جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا
او ينتصر وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا وعن ابن عمر قال
ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر
فاذا الناس مجدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم تقال يعني عمر يا عبد الله انظر

الى

ما شان الناس احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعو
فبايع ثم رجع عمر فجعل يبايع وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم قال ابن عباس يد الله بالوفا
بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الطيبي نعمة الله عليهم
في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم
يحتمل وجوها وذلك لان اليد التي هي الجارحة اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون
بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم
فوق احسانهم الى الله كما يقال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وتانيهما يد
الله فوق ايديهم ان نصرته اياهم اقوى واعلا من نصرتهم اياه يقال اليد
للقلات العلية والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فتقول اليد في حق الله
تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المتبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله
فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا
على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المتبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح
وعن صفات الاجسام وانما المعنى ان تقرير عقد الميثاق مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما لقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التاويل واما مذهب اهل السنة في امثال هذه الايات
قراتها والايمان بها من غير تنكير ولا تشبيه ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث
فانما ينكث على نفسه يعني من نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه
وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه ومن
اوفى بما عاهد عليه الله اي من البيعة فسيوتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة وهو
الجنة وقوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني
اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة
من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او

الموضعين ص

يصدوه عن البيت فاحرموا بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فنبئنا قل عنه
كثير من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه
وعاتبتهم علي التخلف عنك شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النسا والذراري يعني
لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا انا مع عذرنا معترفون
بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالي فقال يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر
لهم النبي صلي الله عليه وسلم او لا فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا اي سوء
او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلي الله عليه وسلم يدفع عنهم
الضر او يجلب لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله عز وجل
انه ان اراد شيئا من ذلك لم يقدر احد علي دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني
من اظهاركم الاعتذار واطلب الاستغفار واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمومنون الي اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون
الي اهليهم وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتي قطعتم
به حتي صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان
الشي ويزينه له حتي يقع به وظننتم ظن السوء يعني ان الله يخلف وعده وذلك
انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قتلهم فلا يرجعون
فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم
بسبب ذلك الظن الفاسد بايرين هالكين ومن لم يومن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالي حال المتخلفين عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الي الكفر
حرضهم علي الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالي ومن لم
يومن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشا ويعذب من يشا لما ذكر
الله تعالي حال المومنين المبايعين لرسول الله صلي الله عليه وسلم وحال
الظانين ظن السوء اخبر انه مالك السموات والارض ومن كان كذلك فهو

يغفر

يغفر لمن يشا بمشيئته ويعذب من يشا ولكن غفرانه ورحمته اتم واشمل واتم واكمل
والبه الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل سيقول المخلفون يعني
الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المومنون الي
مغانم لتاخذوها يعني غنايم خيبر وذلك ان المومنين لما انصرفوا من الحديبية علي
صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنايم شيا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل
غنايمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنايم اهل مكة حيث انصرفوا
عنهم ولم يصيبوا منهم شيا ذرونا نتبعكم يعني الي خيبر لنشهد معكم قتال
اهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا
اذ لم يكن هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة
يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله اهل
الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال
مقاتل يعني امر الله تعالي نبيه صلي الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم
احد الي خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالي فان استاذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الي
خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد
الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد
ان نصيب معكم من الغنايم شيا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون ولا
يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم
وصدق الله ورسوله قوله تعالي قل للمخلفين من الاعراب لما قال للنبي صلي
الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبايل متفرقة وكان فيهم
من يرجي توبته وخيره بخلاف الذين مردوا علي النفاق واستمروا عليه بجعل الله
لقولهم توبتهم علامة وهي انهم يدعون الي قوم الي باس شديد فان اطاعوا كانوا
من المومنين وبوتهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا
من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله ستدعون
الي قوم اولي باس شديد قال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب

يصدوه عن البيت فاحرموا بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فنتا قل عنه
كثير من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه
وعاتبتهم علي التخلف عنك شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري يعني
لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا انا مع عذرنا معترفون
بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر
لهم النبي صلى الله عليه وسلم او لا فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او
اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم
الضر ويجعل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله عز وجل
انه ان اراد شيئا من ذلك لم يقدر احد علي دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني
من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون
الى اهليهم وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم
به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان
الشيء ويزينه له حتى يقع به وظننتم ظن السوء يعني ان الله يخلف وعده وذلك
انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة رأس يريدون بذلك قتلهم فلا يرجعون
فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم
بسبب ذلك الظن الفاسد بائرين هالكين ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالى حال المتخلفين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر
حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم
يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما ذكر
الله تعالى حال المومنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال
الظانين ظن السوء اخبر ان له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو

يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء لكن غفرانه ورحمته اعم واشمل وانتم واكل
والبه الا نادرة بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل سيقول المخلفون يعني
الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المومنون الى
مغانم لتاخذوها يعني غنائم خيبر وذلك ان المومنين لما انصرفوا من الحديبية على
صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل
غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا
عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال
اهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية قالوا استغلتنا اموالنا واهلونا
اذ لم يكن هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة
يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله اهل
الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال
مقاتل يعني امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم
احد الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الى
خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد
الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد
ان نصيب معكم من الغنائم شيئا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون ولا
يفهمون عن الله مالهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم
وصدق الله ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال للنبي صلى
الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبايل متفرقة وكان فيهم
من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله
لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم الى باس شديد فان اطاعوا كانوا
من المومنين وبوتهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا
من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله تستدعون
الى قوم اولي باس شديد قال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب

هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف
وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة
اهل اليمامة واصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا
نعلم منهم حتى دعي ابو بكر الي قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال بن جرير
دعاهم عمر الي قتال فارس وقال ابو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد واقوي
هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلي
الله عليه وسلم وابعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب
اما الدليل علي صحة القول الاول هو ان العرب كان قد ظهر امرهم في اخر الامر
علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم فلم يبق الامر من تقي ظاهر وكافر مجاهر
واما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلي الله عليه وسلم من الصلاة
عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلي الله عليه وسلم الي حرب من حالفه من
الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستقر
النبي صلي الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان
ان الداعي هو النبي صلي الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال تخرجوا معي ابدا فكيف كانوا
يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل
في قلوب العرب كافة فنقول الجواب علي الوجه الاول من وجهين احدهما ان
يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيد ابقيد وهو ان يكون تقديره
لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا اما متم علي ما انتم عليه من النفاق والتخلف وهذا
القيد لابد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من
الخروج الي الجهاد مع النبي صلي الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه
الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها
كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان
النبي صلي الله عليه وسلم لو لم يكن بد عهم الي الجهاد معه او منعهم من الخروج الي
الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الي الجهاد معهما كما امتنعا

من

من اخذ الزكاة من سلمة لامتناع النبي صلي الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب
عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلي الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولي باس شديد
ثبت بهذه البيانات ان الداعي للمخلفين هو النبي صلي الله عليه وسلم واما قول من قال ان
ابا بكر دعاهم الي قتال بني حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم لقتال
فارس والروم فظاهر في الدلالة وقيل دليل علي صحة خلافتهما لان الله وعد علي
طاعتهما الجنة وعلي مخالفتهما النار وقوله تعالي تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة
الي وقوع احد الامرين اما الاسلام او القتل فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يعني
الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد كما تولتم من قبل يعني عام الحديبية
يعذبكم عذابا اليما يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال اصحاب الزمانة والاعذار
كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل ليس علي الاعمي حرج ولا علي الاعرج
حرج ولا علي المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز
ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون علي الكر والفر لان الاعمي لا يمكنه الاقدام
علي العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي
معني الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معني المريض صاحب السعال الشديد
والطحال الكبير والذي لا يقدرون علي الكر والفر بهذه اعذار مانعة من الجهاد
ظاهره ومن وراء ذلك اعذار اخر دون ما ذكر وهي العقر الذي لا يمكن صاحبه
ان يسير فيصحب معه ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاثقال التي تعوق عن الجهاد
كالمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمي علي
الاعرج لان عذر الاعمي مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرب ولا غيره بخلاف الاعرج
لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج علي المريض لانه عذره
اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع الله ورسوله
يعني في امر الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول
يعني يعرض عن الطاعة ويستمر علي الكفر والنفاق يعذبه عذابا اليما يعني في
الآخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك يعني بالحديبية
علي ان يناجزوا قريشا فلا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة ق

عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلي الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك رواه مسلم وفي رواية عن سعيد ابن المسيب قال رايت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها رواه ابن عمر يريد ذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال ابن كانت تجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا قال وكثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا في العام المقبل فاجمع منا اثنان من الشجرة بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى عن ابن الزبير انه سمع جابر بن عبد الله كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة قال بايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال بايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفي تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه علي ان لا نفر ولم نبايعه علي الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فقال بايعنا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ان لا نفر ولم نبايعه علي الموت ق عن عمرو ابن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروي بسالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفي قال كنا اصحاب الشجرة الفا وثلاثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمي بيعة الرضوان بهذه الاية وكانت سبب البيعة علي ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم دعي خراش بن امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الي قريش بمكة وحمله علي جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عن ما جاله فعقروا جمل رسول الله صلي الله عليه وسلم واراد وا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتي اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الي مكة فقال يا رسول الله اني اخاف

قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن ادلك علي رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الي ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم ياتي لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الي مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتي بلغ رسالة رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال عظما قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسوله الله صلي الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتي يطوف به رسول الله صلي الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا نبرح حتي نناجز القوم ودعا الناس الي البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكانت الناس يقولون بايعهم رسول الله صلي الله عليه وسلم علي الموت قال بكير بن الاشج بايعوه علي الموت فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بل علي ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه علي الموت ولكن بايعناه علي ان لا نفر وقد تقدم ايضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه علي الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس اخو بني سلمة قال جابر كاني انظر اليه لاصطابط ناقة يستتر بها من الناس ثم اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الذي ذكر من امر عثمان باطل عن جابر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم يعني من الصدق والاخلاص والوفا كما علم ما في قلوب المنافقين من الغش والنفاق فانزل السكينة يعني الطمانينة عليهم يعني

علي المومنين المخلصين ان تبتوا وبايعوك علي الموت وعلي ان لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلي الله عليه وسلم وذلك يوجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالي في الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الغائي علم للتعقيب وعلم الله قبل الرضي لانه تعالي علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان ثم رضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الي الرضي لم يكن عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فانزل السكينة عليهم للتعقيب لانه تعالي لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل السكينة عليهم وقوله تعالي واثابهم فتحا قريبا يعني خيبر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني من اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلي الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا حكيما يعني منيعا كامل العلة غنيا عن اعانتكم حكيما حيث حكم لكم بالغنايم ولاعدائكم بالهلاك علي ايديكم قوله تعالي وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها يعني المغانم التي تفتحوها من الفتوحات التي تفتح لهم الي يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الي كثرة الفتوحات والغنايم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كمجالة الراكب علما الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنايم كالقليل من الكثير وليكون اية للمومنين وهو عطف علي ما تقدم تقديره فعجل لكم المغانم لتنتفعوا بها ولتكون اية للمومنين بعني ولتحصل من بعدكم اية تدل لهم علي ان ما وعدهم الله ليحصل مثله لهم او ولتكون اية للمومنين دالة علي صدق الرسول صلي الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الي يقينهم ويعلموا ان الله هو المتولي احاطتهم وحراستهم في مشيهم ومقيلهم ويهديكم صراطا مستقيما يعني ويهديكم الي دين الاسلام ويثبتكم عليه

(ويزيدكم)

ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم بستة سبع ق عن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يغر بنا حتي يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الي خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلي الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله صلي الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما راهم النبي صلي الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم مساء فساء صباح المنذرين م عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الي خيبر مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الاقدام اذ لاقينا وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلي الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادي عمر بن الخطاب وهو علي جمل له يا نبي الله اولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه علي نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عمي عامر قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل اجره مرتين ثم ارسلني الي علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو

اسر مدحتي اتيت به رسول الله صلي الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرا واعطاه
الراية فخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر اني مرحب ٭ شاكي السلاح بطل مجرب ٭
اذا الحروب اقبلت تلهب ٭ فقال علي رضي الله تعالي عنه
انا الذي سمتني امي حيدره ٭ كليث غابات كريه المنظره ٭
اوفيكم بالصاع كيل السندره ٭ قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح علي يده ٭
اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روي
حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس وابو هريرة يزيد بعضهم
وينقص وفيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج الي
الناس فاخذ ابو بكر راية رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا
شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع
فاخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله علي يديه فدعا عليا فاعطاه
الراية وقال له امشي ولا تلتفت حتي يفتح الله علي يديك فاتي خيبر فخرج مرحب
صاحب الحصن وعلي راسه مغفر من حجر قد ثقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج
اليه علي بن ابي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق راسه حتي اخذ السيف
بالاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام
فقالت امه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان
شاء الله ثم التقيا فقتل الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلي الله عليه وسلم
يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويجوز الاموال قال محمد بن اسحاق
كان اول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود
عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن ابي الحقيق فاصاب منه سبايا منهم
صفية بنت حيي بن اخطب جاء بها بلال وباخرين معها ممن يليها علي قتلي من قتل
يهود فلما رآهم النبي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب علي راسها
فلما راها رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية

فحولت

فجهزت خلفه والقي عليها رداه فعرف المسلمون ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لبلال لما راي من
تلك اليهودية ما راي نزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين علي قتلي رجالها
وكانت صفية قد رات في المنام وهي عروس لكنانة بن الربيع ابن ابي الحقيق ان
قمرا وقع في حجرها فعرضت رويا ها علي زوجها قال ما هذا الا انك تمني ملك
الحجاز محمدا صلي الله عليه وسلم فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها فاتي بها رسول
الله صلي الله عليه وسلم وبها اثر منها فسالها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر واتي رسول
الله صلي الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فساله
فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتي رسول الله صلي الله عليه وسلم برجل من اليهود
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان رايت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان وجدناه عندك اقتلك
قال نعم فامر رسول الله صلي الله عليه وسلم بالخربة فحفرت واخرج منها بعض
كنزهم ثم سالة ما بقي فابي ان يوديه اليه فامر به رسول الله صلي الله عليه وسلم
الي الزبير ابن العوام ان يعذبه حتي يستانا صل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده
علي صدره حتي اشرف علي نفسه ثم دفعه الي محمد ابن مسلمة فضرب عنقه
باخيه محمود بن مسلمة ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلي الله عليه وسلم
وركب ابو طلحة وانا ردف ابي طلحة فاجري نبي الله صلي الله عليه وسلم في
زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلي الله عليه وسلم ثم حسر الازار
عن فخذه حتي اني انظر في بياض فخذ نبي الله صلي الله عليه وسلم فلما دخل
القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
قالها ثلاثا قال وخرج القوم الي اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي
قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي بن اخطب فجاء رجل الي النبي
صلي الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة

والتضبير لا تصلح الاكل قال ادعوه فجاءها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ
جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت
يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها ام سليم له
واهدتها له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء
فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر
السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عبد
الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فكان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية
فانحرناها فلما غلت بها القدور نادى مناديي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اكفئوا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس
وقال اخرون نهى عنها البتة وعن انس ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن
ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك علي ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها
قال لا فما زلت اعرفها في لهوات محمد صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال
يونس عن الزهري قال عروة قالت عايشة ما زال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر
فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم ح عن عايشة قالت لما فتحت خيبر
قلت الان نشبع من التمر ق عن ابن عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت
الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج
اليهود منها فسالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان
يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على
ذلك ما شئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيما واريحا قال محمد بن
اسحاق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه ان يحقن دماءهم وان يسيروا ويخلوا الاموال
ففعل فبعث اهل خيبر سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على
النصف نفعل على ان لنا اذا شئنا اخرجناكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت

خيبر

خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا
عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب
بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسالت اي
عضو من الشاة احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له الذراع لانها
اكثرت فيها السم وسمت سايرالشاة ثم جات بها فلما وضعتها بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذ هالك منه قطعة فلم يسغها وممه
بشر ابن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما
بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها وقال
ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك
فقالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت ان مات استرحنا منه وان كان
نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه
الذي توفي فيه فقال يا امر بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان
ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنايمهم
من المتاع والسبي فجعل الناس يبتاعون غنايمهم فجاء رجل فقال يا رسول
الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما
ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة اوقية فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انبيك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين
بعد الصلوات اخرجه ابوداود وقوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها يعني وعدكم
الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها يعني حفظنا لكم حتى تفتحوها
وتغنموها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله تعالى ان يفتحها
لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وقيل كانت العرب
تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا يخافون لهم حتى اقدرهم الله عليها
بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم

قبل ان يصيبها ولم يكونوا بريحونها فعنتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه
المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان وكان الله على كل شئ قديرا اي من فتح القرى
والبلدان وغير ذلك ولو قاتلكم الذين كفروا يعني اسد وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار
اي لانهزموا عنكم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يعني من يتولى حذلانه فلا ناصر له ولا
مساعد سنة الله التي قد خلت من قبل يعني هي سنة الله في نصر اوليائه وقهر
اعدائه ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم سبب نزول هذه الآية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا
من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم مسلحين
يريدون غدر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم
فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان
اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن معقل المزني كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى
ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب
بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فساروا الى
وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم
فاخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد
امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته فحجز بين الفريقين
حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح وهو قوله تعالى
وهو الذي كف ايديهم عنكم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي قضى بينهم وبينكم
بالمكافة والمجاهدة ببطن مكة قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي
مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم وكان الله بما يعملون
بصيرا قوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ذكر
صلح الحديبية روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان
بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة

البيت

البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكان كل بدنة
عن عشرة فقرفها اي ذي الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث
عينا له من خزاعة يخبر عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير
الاشطاط قريبا من عسفان اتى عينه الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا
وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس ترون ان اميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم
نصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكون عنقا قطعها الله انما جيت
عامدا لهذا البيت لا نريد قتال احد ولا حرب فتوجه له فان صدوا عن البيت
فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جيت عامدا لهذا
البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على
اسم الله فنفذوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل
لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم منتور
الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان
بالثنية التي يهبط عليهم منها برکت راحلته فقال الناس هل حل خلأت
قالوا خلأت القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي
نفسي بيده لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله ويسألوني
صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل
باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يترضخه الناس ترضخا فلم يلبث الناس ان
نزحوه وشكى الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما
من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه فقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن
النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش
لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقا الخزاعي في
نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على اعداد مياه
الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال

النبي صلي الله عليه وسلم انا المرجي لعتاب احد وكنا جيشا معتبرين وان قريشا قد
نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاءوا ماد دتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان
اظهر فان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي
نفسي بيده لاقتلنهم علي امري هذا حتي تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال
بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتي اتا قريشا فقال انا جيناكم من عند هذا الرجل
وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاءهم لا حاجة
لنا ان تخبرنا عنه بشئ وقال ذوا الرأي منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول
كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلي الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي
فقال اي قوم السنم بالوالد قالوا بلي قال اولست بالولد قالوا بلي قال فهل تتهمونني
قالوا لا قال السنم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جيتكم باهلي وولدي
ومن اطاعني قالوا بلي قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني
اته قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلي الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة
عند ذلك يا محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح
اصله قبلك وان تكن الاخري فاني والله لا اري وجوها واني لا اري ناشوابا من الناس
خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر
عنه وندعه فقال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت
لك عندي ولم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلي الله عليه وسلم فكلما
كلمه اخذ بلحيته والمغيرة ابن شعبة قايم علي راس النبي صلي الله عليه وسلم
ومعه السيف وعليه المغفر فلما اهوي عروة بيده الي لحية رسول الله صلي
الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول
الله صلي الله عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن
شعبة فقال اي غدر الست اسعي في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما
في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء اسلم فقال النبي صلي الله عليه
وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شئ ثم ان عروة جعل يرمق
اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلي

الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم
ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون علي وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الي اصحابه وقال اي قوم
والله لقد وفدت علي الملوك ووفدت علي قيصر وكسري والنجاشي والله ان رايت
ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل
منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون
علي وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد
عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني اتيه فقالوا ائته
فلما اشرف علي النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله
الناس يلبون فلما راي ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت
فلما رجع الي اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما اري ان يصدوا
عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما راه
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدي في
وجهه حتي يراه فلما راي الهدي يسيل اليه من عرض الوادي في قلايده قد اكل اوبارة
من طول الحبس عن محله رجع الي قريش ولم يصل الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
اعظاما لما راي فقال يا معشر قريش اني قد رايت ما لا يحل صد الهدي في قلايده
قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك
فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما علي هذا حالفناكم ولا علي
هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاه معظما له والذي نفسي الحليس بيده لتخلن
بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له كف عنا
يا حليس حتي ناخذ لانفسنا ما نرضي به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص
فقال دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلي الله عليه وسلم هذا
مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلي الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل
بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلي الله عليه

امره

وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال
هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن والله فما ادري ما هو ولكن
اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا
البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم
اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع
الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال
سهيل والله لا نتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل
فكتب فقال سهيل وعلى ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك
الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد
جاء مسلما ورغب عن البراقصة الصلح وفيه قالوا والوا نك رسول الله ما فعلناك
مشيا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله
ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه اياه
فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى
عليه محمد ابن عبد الله قال البراعلي ثلاثة اشياء على ان من اتاه من
المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان بيدخلها
من داخل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها بجلباب السلاح السيف والقوس
ونحوه ورغب ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه
وسلم فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه

علينا

علينا فقالوا يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله
ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهري
قال بينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انجلت
وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد
اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض
الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم
فاجره لي قال ما انا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد اجزناه
لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت
مسلما الا ترون ما لقيت وكان عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر
فوثب عمر الى جنب ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم
احدهم دم كلب ويدني قائم السيف منه قال عمر فرجوت ان يأخذ السيف
فيضربه به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرويا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
رأوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كاد يهلكهم وزادهم ابو جندل شرا
الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ قال الزهري في
حديثه عن مروان والمسور ورأى ابو وائل عن سهل بن حنيف قال اتى
الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا بلى قال
السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم
في النار قال بلى قلت فلم نعط الدنية في ديننا اذا قال اذا الى رسول الله م
ولست اعصيه وهو ناصري قلت اولست كنت تحدثنا انا نأتي البيت
فنطوف به قال بلى فاخبرتك انك اتيته العام قلت لا قال فانك اتيته وتطوف
به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله قال بلى قلت فلم
نعط الدنية في ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه

قال معمر

وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه
سيأتي البيت ويطوف به قال بلى افاخبرك انه اتيه العام قلت لا قال فانك تاتيه
وتطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك اعمالا قال فرغ من قضية الكتاب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل
منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت ام سلمة يا نبي الله
اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك
فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك
قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا فقال ابن
عباس وابن عمر حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله
المحلقين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم
لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف البيت قال ابن عباس
واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي
جهل في راسه برة من فضة يغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه
ثم جاءت سوة مومنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امراتين يومئذ كانتا في الشرك
فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية فلما
ان يردوا النساء ويردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس
بمكة فكتب فيه الاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لوي ومعه مولى
لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العهد الذي جعلت
لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هولاء القوم
ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من

المستضعفين

المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة
فنزلوا ياكلون من تمرهم قال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لا ارى سيفك
هذا جيد فاستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال
ابو بصير اري انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى
المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد راى
هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال
قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف
حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوفى الله ذمتك
قد رددتني اليهم ثم انجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه يردها اليهم
فخرج حتى اتى سيف البحر ويلغ المسلمين الذي كانوا احبسوا بمكة قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج
عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب
من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا
اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى
الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم من اتاه فهو امن فارسل
اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو
الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم
انهم لم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت
اخرجه البخاري بطوله بسوي الغاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها
قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما زال
يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقالوا اكفف عنا
يا حليس حتى نأخذ لانفسنا بما نرضى ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد
بن عبد الله الى قوله وعلى ان نخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى
البراقصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اباجندل الي قوله قال عمر فاتيت النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الي قوله
وقال الزهري في حديثه ثم جاءه سوة مومنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري
في صحيحه شرح غريب الفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع في
العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين الثلاثة الي التسعة وقيل ما بين الواحد الي
العشرة قوله وبعث عينا له اي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم
احيا القارة وانضموا الي بني ليث في مجاورتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم
بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناه وبنو المصطلق من خزاعة
كانوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة
وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين
اي منقوصين قوله فنفذوا اي مضوا وتخلصوا قوله ان خالدين الوليد بالغميم
اسم موضع ومنه كراع الغميم طليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش
ليطلعوا على اخبار العدو وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله
يركض نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر
للناقة قوله خلأت القصوى يعني انها برقت عن المشي وتعمقت ظنوا
ذلك خلقا في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت
اي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اي منعها عن المسير
الذي منع الفيل عن مكة وهو والله تعالى اعلم والقصوى اسم ناقة النبي صلى الله
عليه وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية يعظمون
فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام بها يريد بذلك حرمة
الحرم ونحوه قوله حتى ينزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي قرية
ليست بالكبيرة سميت ببير هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة
مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هي من الحرم وقال ابن
القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي لا مادة له
والنزح اخذ الشيء قليلا قليلا قوله فما زال يجيش بالري يقال جاشت

البير

البير بالماء اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد
الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح بكسر العين اذا كان موضع سره
وثقته في ذلك قوله نزلوا اعداد مياه الحديبية الماء المعد الكثير الذي
لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ
جمع عائذ وهي الناقة اذا وضعت الى ان يقوى ولدها وقيل هي كل انثى
لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها
فصيلها وهذه استعارة ذلك للناس وأراد به ان معهم
النساء والصبيان قوله وان قريشا نهكتهم الحرب اي اضرت بهم واثرت
فيهم وقوله ماردتهم اي جعلت بيني وبينهم مدة وقوله والا تفعل
جموا اي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله بعد تنفد
سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة
حبل العنق وهو العرق الذي بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها
لا تفرد عمة الا بالموت قوله اني استنفرت يقال استنفروا القوم
اذا عاهدوا الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة
وقوله ملجوا على ضبه لقتال التحقيق والتشديد واصله الاعياء والفتور
والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم قوله استاصلت قومك واجتاح
اصله من الاجتياح ابتياع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستيصال والا
والاجتياح متقاربات في مبالغة الاذى قوله اني لارى وجوها واسرابا
الاسراب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق
بذلك اي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات هي اسم صنم
كانوا يعبدونه شتما لهم وبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة
التي تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما بدويا في السنتهم قوله
لولا يد لك عندي لم اجزك بها اليد النعمة ما يتمن به الانسان على غيره قوله اي
عذر معدود عن عاذر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد
يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشا خلاف الغي والمراد منه انه قد

طلب منكم طريقا واضحا في هدي واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون الهدى
اي الابل تهدى الى البيت في حج او عمرة وتقليدها هو ان يجعل في رقابها شيء
كالقلادة من لحاء الشجر او نعل او غيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار هو ان يشق
جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما راى الهدي الهدى يسيل عليه اي
يسيل عليه كالسيل من عرض الوادي اي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل
فاجر الفجور الميل عن الحق وكل اتباعات في شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه
اي فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة علي وجوه مرجعها
الى انقضاء الشيء وانمامه قوله ضغطه هو كناية عن القهر والضيق قوله
بجلباب السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تحتية الباء ويروى بضم اللام ايضا
مع التشديد وهو رداء من ادم يشبه الجراب يوضع فيه السيف معمودا ويعلق
في موخرة الرحل قوله بوسق بضم السين وكسرها لغتان وهي مئتي القيد
قوله فاجره لي قال ابن الاثير يكون بجوز ان يكون بالزاي من الاجارة اي اجعله
جايزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لي وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة
والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم يعط الدنية اي الخصلة التي
لا ترضي بها ولا يراد اي لم يرض بالاهون والاقل في ديننا قوله فاستمسك
بعرزه العرز كعرز الناقة كالركاب للسرج للفرس والمعنى فاستمسك به لانفارقه
ساعة كما لا يفارق راحل الراكب قوله عرز رحله فاء على الحق الذي
لا يجهل لاحد تركه قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكرهه وتنجب بها
ايضا ويسعر الحرب اي موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها
والمسعر الذي توقد بها النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله
اعلم واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم
اي منعوكم عن المسجد الحرام اي تطوفوا به والهدي اي وصدوا الهدي وهو البدن
التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا اي
محبوسا ان يبلغ محله اي منحره حيث يحل نحره وهو الحرم ولولا رجال مومنون
ونساء مومنات يعني المستضعفين بمكة لم تعلموهم اي بان تقتلوهم فان تطوهم اي

بالقتل

377

بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل غرم الدية وقيل
كفارة الخطا لان الله اوجب على قاتل المومن المحرم في دار الحرب اذا لم يعلم
ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعنبونكم ويقولون قتلوا
اهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا ان تطيوا رجال المومنين ونساء مومنات
لانقاموهم فيلزمكم به كفارة اوسبه وجواب لولا محذوف تقديره لاذن
لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب ليدخل الله في رحمته
من يشا اي في دين الاسلام من يشا اي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها
لو تزيلوا اي تفرقوا واعين المومنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما اي بالسبي والقتل بايديكم وقيل عذبنا جواب الكلامين احدهما لو
رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشا بعين المومنين
والمومنات في رحمة اي في جنته قال قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع
بالمومنين عن مشركي مكة قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية
اي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا
ان يكون محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا
واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انافنا
واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت
قلوبهم فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اي حتى لا يدخلهم
ما دخلهم من الحمية فيصدوك الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال
ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقال علي وابي عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطا الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم
وكانوا احق بها اي من كفار مكة واهلها اي كانوا اهلها في علم الله ان الله
تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح

وكان الله بكل شيء عليما يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر
المومنين وما كانوا يستحقونه من الخير فقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام
وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه
فتفرحوا وحسبوا انهم دخلوها مكة عامهم فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم
ذلك وقال المنافقون اين رويا ه التي راها فانزل الله هذه الاية ودخلوا في
العام المقبل وروي عن مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر
قال بعضهم لبعض مالناس قال اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا
نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع
الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال هو او فتح هو يا رسول الله قال نعم الذي
نفسي بيده وفي هذا دليل على ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرويا
كان في العام المقبل وقوله صدق الله رسوله الرويا بالحق اخبر ان الرويا
التي اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق
بالحق اي الذي راه حقا وصدقا وقيل ان يكون بالحق قسما لان الحق من اسماء
الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام
وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية
عن رويا ه فاخبر الله عز وجل عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك
بمشيئة الله امنين قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتاكيد
القول ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ
مجازه اذ شاء الله وقيل لما رجع الدخول في عام الحديبية وكان المومنون
يريدون الدخول وياتون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم
واراداتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثنا راجع على الامن لا على
الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان
شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت محلقين رووسكم اي كلها ومنهن

اي تاخذون من بعض شعور راسكم لا تخافون اي من عدو في رجوعكم كان
قوله امنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن
هذا احرام وفي حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني علم ان الصلاح كان في
الصلح وتاخير الدخول وكان ذلك سبب لوطي المومنين والمومنات وقيل علم
ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم تظنتم انه في السنة الاولى فجعل
من دون ذلك اي من قبل دخولكم الحرم فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله
الاكثرون وقيل هو فتح خيبر وقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق هذا البيان صدق الرويا وذلك ان الله تعالى لما ري رسوله صلى
الله عليه وسلم ما لا يكون يحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا لضلال
فحقق الله امر الرويا بقوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وبقوله هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو
قوله تعالى ليظهره على الدين كله اي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير
الاديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا اي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه تسلية لقلوب المومنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انه
رسول الله ما صددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا اي في
انه رسول الله ثم قال محمد رسول الله اي هو محمد رسول الله الذي سبق
ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له الرسالة ثم ابتدا فقال
والذين معه يعني اصحابه المومنين اشداء على الكفار اي غلاظ اقوياء لا
على قريبته لا تاخذهم فيه راحة رحماء بينهم اي متعاطفون متوادون
بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال في حقهم اذلة على المومنين اعزة
على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلواتهم ومداومتهم عليها
يبتغون اي يطلبون فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا اي يرضى
عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله والمراي
بعمله لا ينبغي له اجر وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق
اشداء على الكفار عمر ابن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا

سد

سجد استنوت فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم اي علامتهم
في وجوههم من اثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما
ان المراد به في يوم القيامة هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة
انهم سجدوا لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل يكون مواضع
السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يعتمون غرا محجلين يوم القيامة
يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم
بالنور من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع
قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسمته
وخشوعه والمعنى ان الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه
من سهر الليل في الصلاة ويعرف ذلك رجلين احدهما سهر الليل في الصلاة
والعبادة والاخر في اللهو واللعب اذا اصبحا ظهر الفرق بينهما يظهر في وجه
المصلي نورا وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وضبابا وقيل هو اثر التراب على
الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الثياب قال عطا الخراساني دخل
في هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس ذلك مثلهم في التوراة يعني
ذلك الذي ذكر من صفتهم في التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدا بذكر نعتهم
وصفتهم في الانجيل فقال تعالى ومثلهم اي صفتهم في الانجيل كزرع اخرج
شطاه اي افراخه قبل فراخه قيل هو نبت فاخرج بعده فهو شطاه فازره
اي قواه واعانه وشد ازاره فاستغلظ اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى
اي تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق اي على اصوله يعجب
الزراع اي يعجب ذلك الزرع زارعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون
قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه يسيخ
قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقيل الزرع
محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه والشطا اصحابه والمؤمنون فقيل كزرع هو
محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى

على

على سوقه علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني جميع المومنين ليغيظ بهم الكفار
قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل الكتاب مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد
اليوم وقيل قولهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح
وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية
فصل في فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عبد الله
بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم م عن عائشة رضي الله عنها قالت سال رجل النبي صلى الله عليه
وسلم اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس
قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن اهل زمان
قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة
وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن ابي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير
في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد
بن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة اخرجه الترمذي واخرج
عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح من الحديث الاول عن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر م
واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حيا عثمان واقضاهم علي واعلمهم بالحلال
والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقرؤهم ابي بن كعب
ولكل قوم امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وما اظلت الخضرا
ولا اقلت الغبرا اصدق لهجة من ابي ذر اشبه عيسى في ورعه قال عمر
فشرف له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي معنقا في موضعين
احدهما الى قوله ابو عبيدة بن الجراح والاخر عن ابي ذر خ ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال
اثبت احد اراه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن
ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين بعدي من

اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ق عن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل فاتيته فقلت اي الناس
احب اليك قال عايشة فقلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال ثم عمر بن
الخطاب فعد رجالا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله ابا بكر رزوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق
بلال من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق
رحم الله عثمان تستحي منه الملايكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث مادار
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ه عن رويفع بن جبيش قال سمعت عليا
يقول والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبي صلى الله عليه الي الا
لا يحبني الا مومن ولا يبغضني الا منافق عن عبد الله بن بريده عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت من اصحابي بارض الا
بعث الله قايدا ونورا لهم يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
فقال وقد روي عن بن بريدة مرسلا وهو اصح ق عن ابي سعيد ه
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي
نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
وعن ابي هريرة نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم
لفظه من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان ليكون معنى الاية وعد الله الذين امنوا من جنس الصحابة
وقال ابن جرير يعني من الشطير الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون
في الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنا الشطي لا على لفظه

ولذلك لم يقل منه مغفرة واجرا عظيما بعني الجنة وقيل ان المغفرة جزا الايمان
فان لكل مومن مغفرة والاجر العظيم جزا العمل الصالح والله اعلم بمراده واسراركتابه

تفسير سورة الحجرات وهي مدنية

وهي ثمانية عشر اية وثلثماية وثلاثة واربعون كلمة والف واربعمايه وستة
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله من التقديم اي
لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي
الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله ولا تهجموا وقيل
لا تجعلوا انفسكم قدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وقيد اشارة الى الحزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى
لا تجعلوا بقول او فعل قبل ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم او
قبل ان يفعل وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى
الاية فروي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى اي لا تذبحوا قبل ان يذبح
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه
وسلم فامروا ان يعيدوا الذبح عن البرا بن عازب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر
من فعل ذلك فقد اصاب ومن ذبح قبل ان يصلي فانما لحم عجله لاهله ليس من النسك
في شي زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر
وذكر الحديث وروي عن عايشة انه في النهي عن صوم الشك اي لا تقدموا
قبل رمضان بيوم او يومين بسبب الشك عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى
ابا القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح وقيل في سبب نزول هذه الاية ما روي عن عبد الله بن الزبير انه قدم
وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد
بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي
وقال عمر ما اردت خلافك فتمار يا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية
فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه
البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا او صنع كذا
وكذا انكره الله لذلك وقيل في معنى الآية لا تقضوا علي رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرايع الدين لا تقضوا
امرا دون الله ورسوله واتقوا الله ايي في تضييع حقه بمخالفة امره ان الله
سميع اي لاقوالكم عليم بافعالكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى
الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام
وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض امرهم ان يجلوه ويفخموه ويعظموه
ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا يناد وه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد
بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله ان تحبط اعمالكم اي ليلا تحبط حسناتكم
وانتم لا تشعرون اي ذلك ق عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في
بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال
النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا اباعمرو ما شان ثابت ايشتكي
فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الآية ولقد علمتم اني
من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر
ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
هو من اهل الجنة زاد في رواية لكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة
لفظ مسلم والبخاري نحوه وروي لما نزلت هذه الآية فقد ثابت في الطريق
يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية اتخوف
ان تكون انزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم واخاف ان يحبط

علي

في

عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغلب ثابتا البكاء فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول فقال لها اذا دخلت
بيت ثابت فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفى
الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي راه فيه
فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال انا صيت واخوف ان تكون هذه
الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله
تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية قال انس فكنت انظر
الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة
راى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طايفة منهم قال اف لهؤلاء
ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه
رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له ان فلانا رجل من المسلمين
نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستره في طيله
وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي
وان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى
تقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس
على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالدا ابا بكر بتلك الرويا فاجاز ابو بكر هـ
وعينه قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه
قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث

عمر النبي صلي الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلي الله عليه وسلم كلامه حتي
يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالي ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله اي اجلالا له وتعظيما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي اي
اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه لهم مغفرة واجر
عظيم قوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال ابن عباس
بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم سرية الي بني العنبر وامر عليهم عيينة
بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم
عيينة وقدم بهم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم
بعذوق الذراري فقدموا وقت الظهيرة وراحوا رسول الله صلي الله عليه
وسلم قائلا في اهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الي ابائهم بيكون وكان لكل امراة
من نساء رسول الله صلي الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله
صلي الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتي ايقظوه من نومه
فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله
تعالي يامرك ان تحمل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو علي دينكم قالوا نعم قال سبرة
انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاقرع بن حابس بن هشامة فرضوا به فقال الاقرع اني
لاتادي نصفهم واعتق نصفهم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم قد رضيت
فنادي نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معني الاية
اكثرهم اشارة الي من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لم يرجع فيستمر علي حاله
وهم الاكثر ولو انهم صبروا حتي تخرج اليهم فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف
ما جاوا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج لكان خيرا لهم اي الصبر
لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب وترك
طاعة الله ورسوله صلي الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من
اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن

بدر

بدر فنادوا علي الباب ويروي ذلك عن جابر قال جاء بنو تميم فنادوا علي
الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا مدحنا زين ومدنا مشين فخرج رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين ومدمه شين قالوا
نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالمفاخرة ولكن هاتوا
فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلي الله عليه وسلم
لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاجبه وقام شاعرهم فذكر ايباتا فقال النبي صلي الله عليه وسلم لحسان
اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتي له لتكلم خطيبنا وتكلم
شاعرنا فكان شاعرهم احسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله وكساهم وقد كان
تخلف في رحالهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلي الله
عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازري به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط
عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الا يات الي قوله والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم قال
زيد بن الاسلم قدم ناس من العرب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال
بعضهم لبعض انطلقوا بنا الي هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به
او يكن ملكا نعش في جنابه فجاوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه
الاية قوله تعالي يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية نزلت في
الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم الي بني
المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم
تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلي الله عليه وسلم فحدثته الشيطان انهم يريدون
قتله فلما هم فرجع من الطريق الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ان بني
المصطلق قد منعوا صدقاتهم واراد وا قتالي فغضب رسول الله صلي الله

عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ الصدقة مرجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا لتلقاه واكرمه ونؤدي
له ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فحسبنا انه انما رده من الطريق كتاب
جاه منك لغضب غضبته علينا ونحن نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله
فانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد حضية في عسكر
وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رايت ما يدل على ايمانهم فخذ
منهم زكاة اموالهم وان لم ترذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار فعمل ذلك
خالد فوافاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشا فاخذ منهم صدقاتهم ولم
ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره
الخبر فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا الوليد بن عقبة
وهو عام نزلت لبيان التثبيت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اولى
من حكم الاية على رجل بعينه بعيد لان الفسوق خروج عن الحق والباطن
بالوليد ذلك الا انه ظن ونوهم فاخطي فعلى هذا يكون معنى الاية ان
جاكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا وتركي فتثبتوا اي فتوقفوا واطلبوا بيان
الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ان تصيبوا اي كي لا تصيبوا
بالقتل والسبي قوما بجهالة اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا
على ما فعلتم اي من اصابتكم بالخطا نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله اي
فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا
لو يطيعكم اي الرسول في كثير من الامر اي مما تخبرونه به فيحكم برايكم لعنتم اي
لاثمتم وعللكم عن ابي سعيد الخدري انه قرا واعلموا ان فيكم رسول الله لو
يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ايمتكم لو اطاعهم
في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح غريب ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه
اي حسنه وقربه منكم وادخله في قلوبكم حتى اخترتموه لان من احب شيا
اذا طال عليه قد يسام منه والايمان في كل يوم مزيد يزداد في القلب حسنا وثباتا

وبذلك

تطيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق
قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله تعالى وفي هذه
الطبقة وهوان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة اشياء مقابلة الايمان الكامل
المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق
بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر وهو الكذب في
مقابلة الاقرار باللسان ذكره الى عبده المومن الكذب وهو الجحود وحبب اليه
الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان جعله في مقابلة
العمل بالاركان ثم قال تعالى اولئك هم الراشدون اشارة الى المومنين
المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اي اولئك هم المعتدون الى محاسن
الاعمال ومكارم الاخلاق فضلا من الله اي فعل ذلك بكم تفضلا منه ونعمة عليكم
والله عليم اي بكم وبما في قلوبكم حكيم في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما
في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر
الحاجة اليه على وفق الحكم قوله عز وجل وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
ن عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله ابن ابي
فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون
معه وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله
لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتم فغضب
لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال
بلغنا انها نزلت فيهم وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى
انها لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض
ن عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه
الحاف تحته قطيفة فدكية وارداف اسامة ابن زيد وراه يعود سعد بن عبادة
من بني الحرث بلي الخزرج قبل وقعة بدر فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله
بن ابي بن سلول واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام

والیهود وفی المسلمین عبد الله بن رواحة فلما غشیه المجلس عجاجة الدابة
خمر عبد الله بن ابی انفه برداءه ثم قال لاتغیروا علینا فسلم رسول الله صلی
الله علیه وسلم علیهم ثم وقف فنزل فدعاهم الی الله تعالی وقرأ علیهم القرآن
فقال عبد الله بن ابی بن سلول ایها المرء انه لا احسن مما تقول ان کان حقا
فلا تؤذنا به فی مجالسنا وارجع الی رحلک فمن جاءک فاقصص علیه فقال
عبد الله بن رواحة بلی یا رسول الله فاغشنا فی مجالسنا فانا نحب ذلک
واستب المسلمون والمشرکون والیهود حتی کادوا یتثاورون فلم یزل
النبی صلی الله علیه وسلم حتی سکتوا ثم رکب النبی صلی الله علیه وسلم دابته
وذکر الحدیث وقال قتادة نزلت فی رجلین من الانصار کان بینهما مماراة
فی حق بینهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقی منک عنوة بکثرة عشیرته
وان الاخر دعاه لیحاکمه الی النبی صلی الله علیه وسلم فابی ان یتبعه فلم
یزل الامر بینهما حتی تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالایدی والنعال
ولم یکن قتال بالسیوف وقیل کانت امراة من الانصار یقال لها امرئ
تحت رجل وکان بینها وبین زوجها شیء فرقی بها ابی علیة فجمسها فابتها
فبلغ ذلک قومها فجاءوا وجاءوه فاقتتلوا بالایدی والنعال فانزل الله عز
وجل وان طائفتان من المومنین اقتتلوا قیل المراد من الطائفتین الاوس
والخزرج فاصلحوا بینهما ای بالدعاء الی حکم کتاب الله والرضی بما فیه لهما
وعلیهما فان بغت ای تعدت احداهما علی الاخری وابت الاجابة الی حکم
کتاب الله فقاتلوا التی تبغی حتی تفی ای ترجع الی امر الله ای الی کتابه الذی
جعله حکما بین خلقه وقیل ترجع الی طاعته فی الصلح الذی امر به فان
فاءت ای رجعت الی الحق فاصلحوا بینهما بالعدل ای الذی یحملها علی
الانصاف والرضی بحکم الله واقسطوا ای اعدلوا ان الله یحب المقسطین
ای العادلین انما المومنون اخوة ای فی الدین والولایة وذلک ان الایمان
قد عقد بین اهله من النسب والقرابة کعقد النسب اللاصق وان بینهم
بسلمین الاخوة من النسب والاسلام لهم کالاب قال بعضهم الی الاسلام

لابن

والاب لی سواه اذا افتخروا بقیس او تمیم فاصلحوا بین اخویکم ای اذا اختلفا
واقتتلا واتقوا الله ای فلا تفعلوه ولا تخالفوا امره لعلکم ترحمون ق عن
ابن عمر ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا یظلمه ولا یشتمه
ومن کان فی حاجة اخیه کان الله فی حاجته ومن فرج عن مسلم کربة فرج الله
بها کربة من کرب یوم القیامة ومن ستر مسلما ستره الله یوم القیامة ٥٥
فصل فی حکم قتال البغاة قال العلماء فی هاتین الایتین دلیل علی
ان البغی لا یزیل اسم الایمان لان الله تعالی سماهم اخوة مومنین مع انهم باغین
ویدل علیه ما روی عن علی بن ابی طالب وهو العمدة فی قتال اهل البغی
وقد سئل عن اهل الجمل وصفین اشرکوا هم فقال لا انهم من الشرک
فروا قیل امنافقون هم فقال لا ان المنافقین لا یذکرون الله الا قلیلا
فما هم قال اخواننا بغوا علینا والباغی فی الشرع هو الخارج علی الامام
العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعه فامتنعوا عن طاعة الامام
العدل بتاویل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحکم فیهم ان یبعث الیهم الامام
ویدعوهم الی طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم یذکروا
مظلمة واصروا علی البغی قاتلهم الامام حتی یفیئوا الی طاعته ثم الحکم فی
قتالهم ان لا یتبع مدبرهم ولا یقتل اسیرهم ولا یذفف علی جریحهم نادی
منادی یوم الجمل الا لا یتبع مدبر ولا یقتل اسیر ولا یذفف علی جریح وهو
بذال معجمة وهو الاجهاز علی الجریح وتحریر قتله وتتمیمه وابی علی یوم
صفین باسیر وقال لا اقتلک صبرا انی اخاف الله رب العالمین وما اتلفت
احد الطائفتین علی الاخری فی حال القتال من نفس ومال فلا ضمان
علیهم قال ابن شهاب کانت فی تلک وما یعرف بعضها القاتل والمقتول
واتلف بینها اموالا ثم صار الناس الی ان سکنت الحرب بینهم وجری
الحکم علیهم فیما رایته اقتص من احد ولا اعرف ما لا اماما لم تجتمع فیه هذه
الشروط الثلاثة فان کانوا جماعة قلیلین لا منعة لهم اولم یکن لهم تاویل
ولم ینصبوا اماما فلا یتعرض لهم ان لم ینصبوا قتالا ولم یتعرضوا للمسلمین

وان يعملوا ذلك فهم قطاع الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول
في نلحمية المسجد لاحكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها الله باطل لكم علينا
ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت
ايديكم مع ايدينا ولا نبدأكم بقتال قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يسخر
قوم من قوم الاية نزلت في ثلاثة اسباب السبب الاول من اولها الى قوله خيرا
منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر
فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا
له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة
من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة احدث
اصحابه مجالسهم فظل كل رجل في مجلسه تلا يكاد يوسع احد لاحد
وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قريبا كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة
اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا
تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له اصبت مجلسا فاجلس فجلس
ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة عن ثابت الرجل فقال من هذا قال
انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر امرأة كان يعير بها في الجاهلية فنكس
الرجل رأسه واستحى فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد
بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤون بفقراء اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى
حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه
بمن لم يستر ولاه وحسب بليم واشباه ذلك مما ينقصه به ولعله عند الله
خير منه وهو قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم السبب الثاني قوله
تعالى ولا نساء من نساء اي لا يستهزئ نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن
روي عن انس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة

بالقصر

بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية حتى قال لها بعض نساء النبي
صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة
قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال
ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي نعم تفخر عليك ثم قال اتقي
الله يا حفصة اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب والسبب الثالث
قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب عن ابي جبيرة بن
الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الاية
في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله
اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون
له يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزلت هذه الاية ولا تنابزوا
بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اخرجه ابو داود والترمذي
قال كان الرجل منا يكون له اسمان او ثلاثة فيدعى ببعضها لعسى ان يكره
قال فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن
قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض
والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تفعلوا اخوانكم من المسلمين لانهم
كانفسكم فاذا عاب عايب احدا فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من
عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العايب لنفسه
ولا تنابزوا بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيات ثم تاب عنها فنهي ان يعير
بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل
كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني
فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال العلماء
المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادي او يعتاد ماله فاما الالقاب التي صارت
كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا باس به اذا لم يكرهه
المدعو به واما الالقاب التي تكسب حمدا او مدحا فتكون حقا وصدقا فلا تكره

كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو التراب وخاصة
سبق الله وخوذلك يبس الاسم الفسوق بعد الايمان اي يبس الاسم ان تقولوا
له يا يهودي او يا نصراني بعد ما اسلم او يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان
فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز يصير فاسقا ويبس الاسم الفسوق بعد
الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم يتب اي من ذلك كله
فاولئك هم الظالمون اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم
وقيل ظلم من الذين قالوا لهم ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين
موسرين يخدمهما ويتعهدهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام
والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان
الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيئا لهما فلما قدما قالا له ما صنعت
شيئا قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا انطلق الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وساله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة ابن
زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام واداما فليعطك وكان اسامة
خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله فاتاه فقال ما عندي
شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن جل تبعنا
سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه
الى بير لجمة لغار الماء ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امرهما به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما مالي اري جضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا
يومنا هذا لحما قال ظلمتما قالا ان لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوء
يعني امر المومن ان يظن باخيه المومن شرا وقيل هو ان يسمع من اخيه

المومن كلاما لا يريد به سوءا او يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه اخوه
المومن فيظن به سوءا ان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي
نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا ويكون الرائي
مخطيا فاما اهل السوء والفسق المجاهرين بذلك فلسنا ان نظن فيهم مثل
الذي يظهر منهم ان بعض الظن اثم قال سفيان الثوري الظن هنا ظنان
احدهما اثم هو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به
وقيل الظن انواع فمنه واجب وما مور به وهو حسن الظن بالله
عز وجل ومنه مندوب اليه وهو حسن الظن بالاخ المسلم الظاهر العدالة
ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ
المسلم ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهي الله عز وجل عن
البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى يظهر على ما ستره
الله منها وقال عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم
والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا
ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو
المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير
الى صدره بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم
حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس التفتش عن بواطن الامور واكثر ما يقال
في الشر ومنه الجاسوس وبالحا هو الاستماع الى حديث الغير وقيل
معناهما واحد وهو طلب الاخبار قوله ولا تنافسوا اي لا ترغبوا
فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال
النعمة عن صاحبها ولا تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه دبره
وقفاه ويعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم
بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا توذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا

تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع
الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر عمر يوما الى الكعبة
فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمومن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود
فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله قد نهينا عن التجسس
ولكن ان يظهر لنا شيء ناخذ به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن
عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى عورة فسترها كان
كمن احيى موودة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة
ولا يغتب بعضكم بعضا يعني لا يتنا ول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو
فيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما
الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال ارايت ان
كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته اخرجه مسلم عن عايشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك
من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو
مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت
انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح قوله لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة
نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة قوله تعالى
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا
ذكره بسوء غايبا قيل تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه
وهو ميت انه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه
ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتالم جسمه اذا قطع لحمه
والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحس من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم

اولى

387

قلت

اولي وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه
وقوله ميتا ابلغ في الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
وفي نسخة وصدورهم فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين ياكلون
لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه ابو داود وقال ميمون بن سياه
بينا انا نايم اذا بجيفة زنجي وقايل يقول كل يا عبد الله ولم اكل قال بما
اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك
سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب
عنده احدا قوله تعالى واتقوا الله في امر الغيبة واجتناب نواهيه ان
الله تواب رحيم قوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله لرجل الذي
يفسح له ابن ظانه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقال
ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت
يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين
والتقوى فنزلت في ثابت هذه الاية ونزل في الذي لم يفسح له يا ايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا الاية وقيل لما كان
يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر
الكعبة واذن قال عتاب بن اسيد ابن العيص الحمد لله الذي قبض ابي ولم
يره هذا اليوم وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب
الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيا يغيره وقال ابو
سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان يخبره رب السما فنزل جبريل فاخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل
الله هذه الاية زجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدرا
ببني الفقرا فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوا
والمعنى انكم متساوون في النسب فلا تتفاخروا بعضكم على بعض لكونكم ابنا

رجل واحد وامراة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد
منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الاخر سوا
فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا جمع شعب بفتح
الشين وهو رؤس القبايل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا
شعوبا لتشعب القبايل منهم وقيل لتجمعهم وقبايل جمع قبيلة وهي
دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبايل العمايرواحدها
عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمايرالبطون
واحدها بطن وهي كبني غالب ولوي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدها
فخذ بفتح الفا وهم كبني هاشم وبني اميه من لوي ودون الافخاذ الفصايل واحدها
فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من هاشم ثم بعد ذلك العشايرواحدها
عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف وقيل الشعوب من العجم والاسباط
من بني اسرايل وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى
المدايني والقروي والقبايل للعرب الذين ينتسبون الى ابايهم لتعارفوا اي
ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا لتفاخروا بالانساب ثم بين
الخصلة التي بها يتفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى
فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوى والامر اللوم
الفجور قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وعن سمرة بن
جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وعن ابي هريرة قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله
اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن
نبي الله بن خليل الله قالوا عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب
تسالوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا
بضم القاف على المشهورة وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته ليستلم الاركان

بمجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ابدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه
وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها انما الناس رجلان رجل
بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم المجن بضم الميم عصا محنية الراس
كالصولجان وقوله عيبة الجاهلية بعني كبرها وفخرها ان الله عليم اي
بظواهركم يعلم انسابكم خبير اي ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى
زادكم الى معادكم قيل التقي هو العالم بالله المتواظب لبابه المتقرب الى جنابه
وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويابى بالاوامر والفضايل ولا
يغتر ولا يامن فان اتقى ان يرتكب منهيا لا يامن ولا يتكل بل يتبعه بخشية
ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة
وغره طول الامل فليس بتقي لان المتقي يابى بما امر به ويترك ما نهي عنه وهو مع
ذلك خائف من الله خايف منه لا يشتغل لغير الله تعالى فان التفت لحظه الى نفسه
واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه ربه وجدد له توبة جعلنا الله
واياكم من المتقين قوله عز وجل قالت الاعراب امنا الاية نزلت في نفر من بني
اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة واظهروا
الاسلام ولم يكونوا مومنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا
اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون
اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجيناك بالعيال والاثقال والذراري
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يعنون على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه
الاية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهو جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم
فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا
اي صدقنا قل لم تومنوا اي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا
وانقدنا لخوف القتل والسبي ولما يدخل الايمان في قلوبكم اخبرك حقيقة ما

الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان لا
لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص ق عن سعيد بن ابي وقاص
قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا منهم وهو اعجبهم الي فقمت فقلت مالك عن فلان
والله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما فذكرذلك سعد
ثلاثا واجابه صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب
الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى
ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم ان
الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة
على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله عز وجل لابراهيم عليه
الصلاة والسلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنها ما هو الانقياد باللسان
دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل
الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمانينة النفس عليه والاسلام هو
الدخول في السلام والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار
الشهادتين فان قلت المومن والمسلم واحد عند اهل السنة
فكيف يتهمذ لك مع هذا القول قلت بين العلم والخاص فرق
فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان
فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص
ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان
في الوجود فذلك المومن والمسلم وقوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله
اي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس يخلصوا له الايمان
لا بالتكم اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اي ثواب اعمالكم ان الله غفور رحيم
ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم لمومنون صادقون وعرف
الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في
السموات وما في الارض اي لا يخفى عليه خافية والله بكل شيء عليم اي
لا يحتاج الى اخباركم يمنون عليك ان اسلموا اي هو قولهم اسلمنا واخباركم
بذلك عليك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك ان اسلامهم لم يكن
عن صدق فقال لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعتدوا علي باسلامكم بل لله من عليكم
ان هداكم للايمان اي هذه المنة عليكم ان ارشدكم وامدكم بتوفيقه حيث
هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ان كنتم صادقين اي
انكم مومنين ان الله يعلم غيب السموات والارض اي الله سبحانه وتعالى
لا يخفى عليه شيء في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم
وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اي بجواركم الظاهرة والباطنة والله سبحانه
وتعالى اعلم بمراده واسراركتاب

تفسير سورة ق مكية

وهي خمس واربعون اية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ق
قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء القران
وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والمقتدر والقابض
والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن وقيل
هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها
الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا
يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس
من وراءه مسيرة سنة والقران المجيد اي الشريف الكريم على الله الكثير
الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن
وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان

مسعود

يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعد الله وامانته وصدقه فقال
الكافرون هذا شئ عجيب اي مجيب غريب ايجاد امتنا وكنا ترابا اي حين نموت
ونبلى فنبعث ذلك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اي يبعد ان
نبعث بعد الموت قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل
الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ وعندنا اي
مع علمنا بذلك كتاب حفيظ يعني محفوظ اي من التبدل والتغير وقيل
حفيظ بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم واسمائهم ولا تنقص الارض منهم ومن
اللوح المحفوظ وقد ثبت فيه ما يكون بل كذبوا بالحق لما جاءهم اي بالقران
لما جاءهم قيل معناه كذبوا الله لما جاءهم وقيل النذر لما جاءتهم فهم في امر مريج
اي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاف امرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم
مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون مرة في القران سحر ومرة
رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا منتبسا عليهم وقيل في هذه الاية
من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا
مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى افلم ينظروا الى السما
فوقهم كيف بنيناها اي بغير عمد وزينا ها اي بالكواكب وما لها من فروج اي
شقوق وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء والقينا فيها
رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن
كريم يبتهج به اي يسر به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي تذكرة
لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى والمعنى لتبصر وتتذكر من اناب ونزلنا
من السما ماء مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر فانبتنا به
اي بذلك الماء جنات اي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وسائر
الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات لها طلع
اي ثمر يطلع ويظهر يسمى طلعا قبل ان يشقق نضيد اي متراكب بعضه على
بعض في اكمامه فاذا انشق وخرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا للعباد
اي جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا فيها

الكلا

الكلأ العشب كذلك الخروج اي من القبور احيا بعد الموت قوله تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط
واصحاب الايكة قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال
واخوان لوط وقوم تبع هو ابو اكسر اسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم
قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستحق
لقومه فلهذا خص بالذكر وانهم كل كذب الرسل فحق وعيد اي كل هولاء المذكورين
كذبوا رسولهم فحق وعيد اي وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيدي للرسل
بالنصر فعبينا بالخلق الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى
ابجزنا حين خلقنا اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك انهم اعترفوا بالخلق الاول
وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث قوله عز وجل
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يحدث به قلبه فلا
يخفى علينا سرائره وضمائره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه
اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويتصل الى كل جزء من
اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والسرى ومعنى الاية ان اجزاء الانسان وابعاضه
يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيا وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب
اليه بقدرته بقدر تنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى
المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان به ويعلمه ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه
عليه عن اليمين وعن الشمال بيمينه ان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله
صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيآت قعيد اي
قاعد لان كل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد
الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه الا
لديه رقيب عتيد اي حاضر اينما كان سوي وقت الغائط وعند جماعه فانهما
يتاخران عنه فلا يجوز للانسان ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يودي الملكة
بالتوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبان ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه
كل شئ يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له اجر وثواب او عليه

اي حاضر لديه

وشر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري
يعجبه ان ينطق عنفقته روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا
عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة
الموت بالحق اي غمرته وشدته التي تعتري الانسان وتغلب على عقله بالحق
اي بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يتنبه الانسان ويراه
بالعيان وقيل بما يوول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك
ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه
تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث
ذلك ما كنت منه يوم الوعيد اي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار
ان يعذبهم فيه وجاءت اي في ذلك اليوم كل نفس معها سائق اي يسوقها
الى المحشر وشهيد اي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق
من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل يقول الله تعالى لقد كنت في
غفلة من هذا اي من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا
عنك غطاءك اي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا فبصرك
اليوم حديد اي قوي ثاقب نافذ تبصر ما كنت تنكره في الدنيا وقيل ترى
ما كان محجوبا عنك وقيل نطرك الى لسان ميزانك حتى توزن حسناتك
وسيئاتك وقال قرينه يعني الملك الموكل به هذا ما لدي اي الذي عندي
عتيد اي معه محضر وقيل يقول الملك هو الذي وكلني به من بني ادم
وقد احضرته واحضرت ديوان عمله القيا في جهنم اي يقول الله تعالى لقرينه
وقيل هذا امر للسابق والشهيد كل القيا اي شديد الكفر عنيد اي معاند
معرض عن الحق معاند الله تعالى فيكا امره مناع للخير اي للزكاة المفروضة
وكل حق وجب عليه في ماله معتد اي ظالم لا يقر بتوحيد الله عز وجل
مريب اي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب

قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ربنا
ما اطغيته هذا جواب لكلام مقدر وهو الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا
اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته
ولكن كان في ضلال بعيد اي عن الحق فتبرا منه شيطانه وقال ابن عباس
قرينه يعني الملك قيل يقول الكافر يا رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول
الملك ربنا ما اطغيته اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في
ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله عز وجل قال لا تختصموا
لدي اي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم وقد
قدمت اليكم بالوعيد اي بالقرآن وانذرتكم على لسن الرسل وحذرتكم عذابي
في الآخرة لمن كفر ما يبدل القول لدي اي لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل
لاملان جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه
لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب واعلم كيف ضلوا
وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل
قولي وما انا بظلام للعبيد اي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد
على اساءة المسيء او انقص من احسان المحسن قوله عز وجل يوم نقول لجهنم
هل امتلات بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملاها من الجنة
والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول
هل من مزيد يعني تقول قد امتلات ولم يبق في موضع لم يمتل فهو استفهام
انكار وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون
السؤال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن
عباس ان الله تعالى ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة ٥
والناس اجمعين فلما سبق اعداء الله اليها لا يبقى فيها فرج الا ذهب فيها ولا
يمتلاها شيء تقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها وتقول
هل امتلات تقول قط قد امتلات وليس مزيد ق عن انس ابن مالك رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول

هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتزوى
بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها
خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابي هريرة نحوه زاد ولا يظلم الله من خلقه احدا
فصل هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات وللعلماء
في امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين
انه لا يتكلم في تاويلها بل يؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله وبخرجها عني ظاهرها
ولها معنا يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور
المتكلمين انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل هذا الحديث
فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو شايع في اللغة والمعنى حتى يضع الله
عز وجل فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض
المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يخلق
ان في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض
اظهر التاويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من
صرفه عن ظاهره بنيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على
الله تعالى والله تعالى اعلم قوله قط قط اي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث
لغات اسكان الطاء وبكسرها منونة وغير منونة وهو قوله ولا يظلم الله من خلقه
احدا يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى ممن عذبه بذنب او بغير ذنب
فذلك عدل منه سبحانه وتعالى في قوله عز وجل وازلفت الجنة اي قربت
وادنيت لاتقين اي الذين اتقوا الشرك غير بعيد يعني انها جعلت عن
يمين العرش بحيث يراها اهل الموقف قبل ان يدخلها هذا ما يوعدون اي
يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على السنة الانبيا لكل اواب اي رجاع
عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقيل
هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي حفيظ قال ابن
عباس الحافظ لامر الله تعالى وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع

عنها

عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لاستودعه الله من حقه وقيل هو الحافظ على
نفسه المتعهد لها المراقب وقيل هو الحافظ على الطاعات والاوامر من خشي
الرحمن بالغيب اي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل اخافه في الخلوة
حيث لا يراه احد اذ الا ترخي الستر واغلق الباب وجا بقلب منيب اي
مخلص مقبل على طاعة الله تعالى ادخلوها اي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة بسلام اي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله
وملايكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود اي في الجنة
لانه لا موت فيها لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد اي يسئلون الله تعالى حتى تنتهي
مسئلتهم فيعطون ما سالوا ثم يزيد الله عز وجل عنده ما لم يسئلوه مما
لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر
الى وجه الله الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار
كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم اي قبل كفار مكة
من قرن هم اشد منهم بطشا يعني سطوة والبطشة الاخذ بصولة وعنف
فنقبوا في البلاد اي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق هل من
محيص اي فلم يجدوا ولم يحيصوا من امر الله تعالى وقيل لا يجدون لهم مفرا
من الموت بل يموتون فبصيروا الى عذاب الله وفيه تحويف لاهل مكة
لانهم على مثل سبيلهم ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكر من اهلاك القرى
تذكرة وموعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل وقيل له قلب
حاضر مع الله تعالى واع عن الله عز وجل او القى السمع اي استمع القران
واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد اي حاضر القلب
ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي اعيا وتعب قال المفسرون نزلت
في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
اولها الاحد واخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على
العرش فذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم وتكذيبا

لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال فخر الدين
الرازي في تفسيره الظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات
والارض وما بينهما وقوله وما مسنا من لغوب يعني ما تعبنا بالخلق الاول
حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال تعالى افعيينا بالخلق الاول الآية واما
ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم او لم يعلموا تاويله وذلك
ان الاحد والاثنين ازمنة مستقرة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات
ابتدا يوم الاحد لكانت الزمان قبل الاجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير
الشمس من الطلوع الى المغروب وقيل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن
اليوم يطلق وتد يراد به الوقت والحين وقد يراد به عين حدة الزمان اي مدة
كانت قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي اصبر يا محمد على ما يقولون اي من كذبهم قال الله لهم يا ملوصا وهذا
قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد ربك اي صل بحمد الله عز وجل قبل طلوع
الشمس يعني صلاة الصبح وقبل الغروب يعني صلاة المغرب وقال ابن عباس
صلاة الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشا وقيل
يعني صلاة الليل اي وقت صلي واد بار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي
ابن ابي طالب وغيرهما اد بار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب واد بار النجوم
الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن
عايشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا
منه على ركعتي الفجر وعنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير
من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل
الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وقيل في قوله واد بار السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات
المكتوبات خ عن ابن عباس قال امروا ان يسبح الصلوات كلها يعني في قوله
السجود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح

الله

الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين
فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المايه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر
ح عنه ان نفرا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما
صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال
قال افلا احبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جا بعدكم ولا
ياتي احد بمثل ما جيتم به الا من جا بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون
عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى واستمع يوم ينادي المنادي يعني استمع يا محمد
حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والمنادي قال
المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر
ليقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وهو قوله تعالى من مكان
قريب قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب من الارض الى السما بثمانية عشر ميلا
وقيل وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق اي الصيحة الآخرة ذلك
يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي ونميت يعني عند انقضا الاجل والينا
المصير اي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير
بعد البعث يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى المحشر وهو
قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة
في تكذيبك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت
مذكرا وذلك قبل ان يوم وقتالهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اوعدت
من عصباني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت
فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظ بالقران من يخاف وعيد والله اعلم
بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والذاريات وهي مكية

وهي ستون اية وثلاثمائة وستون كلمة والف ومايتان وتسعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح
التي تذروا التراب فالحاملات وقرا يعني السحاب تحمل ثقلا من الماء فالجاريات
يسرا يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا فالمقسمات امرا يعني الملائكة يقسمون
الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هي اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء
الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل
صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف
الاربعة في الرياح لانها تسحب السحاب وتسيره ثم تحمله وتنقله ثم تجري
به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله عز وجل بهذه الاشياء
لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على تحيب صنعته وتدبيره والمعنى قسما بالذاريات
وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم
فقال تعالى انما توعدون اي من الثواب والعقاب في يوم القيامة لصادق
اي لحق وان الدين اي الحساب والجزاء الواقع اي للعابدين ثم ابتدأ قسما اخر
فقال تعالى والسماء ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي
وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البهجات المتقن وقيل
ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وكحبك الرمل ولكنها لا تدرك
لبعدها من الناس وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل مكة لفي قول مختلف
يعني في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرآن سحر وكهانة
واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر مجنون وقيل
لفي قول مختلف اي مصدق ومكذب يؤفك عنه من افك اي يصرف عن
الايمان من صرف حين يكذب به وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلعثمون الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر كاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان
به قوله تعالى قتل الخراصون اي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا
اعناب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن

الاسلام

الاسلام وقيل هم الكهنة الذين هم في غمرة اي غفلة وعمى وجهالة ساهون
اي لاهون عما فاتوا من امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب العقل عنه
يسئلون ايان يوم الدين اي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة
تكذيبا واستهزاء قال الله جل جلاله يوم هم اي يكون هذا الجزاء في يوم هم
على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار
ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون اي في الدنيا تكذيبا به
قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون يعني في ظلال الجنان عيون جارية
اخذين ما اتاهم اي اعطاهم ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك
محسنين اي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف احسانهم فقال
تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يصلون قليلا من الليل
وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من اولها او
من اوسطها وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
قال كانوا يصلون بين المغرب والعشا اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون
حتى يصلوا العتمة وقيل كل ليلة اتت عليهم هجعوا كلها ووقف بعضهم
على قوله كانوا قليلا اي من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون اي لا ينامون
بالليل بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة وبالاسحار هم يستغفرون
اي يصلون وقت السحر ثم احدوا في الاستغفار وقيل يستغفرون
من تقصيرهم في العبادة في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل
الذي كانوا ينامونه بالليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة ق
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى
سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من
يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم فيقول انا الملك انا الملك وذكر
الحديث وفيه يعني النجم وزاد في رواية من تعرض غير عديم ولا ظلوم وفصل
هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو
مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه

وفي امتثاله مع الايمان به وتنزيه الرب جل جلاله عن صفات الاجسام المذهب
الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات
الاجسام والله تعالى متقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة
والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالقبول والاجابة
وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر
الناس عنه وعن التعرض لنفحات رحمة الله جل جلاله وفي ذلك الوقت تكون
النية خالصة والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى
اعلم ق عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل
يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد
انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض
ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة
حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك
امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت اعلم
به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت او لا اله غيرك زاد النسائي ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خ عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او قال دعا الله استجيب له فان توضأ
وصلى قبلت صلاته قوله تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت قوله
عز وجل وفي اموالهم حق اي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما او يتزينون
به ضيفا او يحملون كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس
وقيل الزكاة المفروضة للسايل الذي يسال الناس ويطلب منهم والمحروم
قيل هو الذي ليس له في الغنايم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء قال
ابن عباس المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم

الخير

الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسال وقيل هو صاحب الحاجة
الذي اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق
والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب واظهر الاقوال انه المتعفف لانه
قرنه بالسايل والمتعفف لا يسال ولا يكاد الناس يعطون من لا يسال وانما
يغلط الا متيقظ وفي الارض ايات اي عبر من الجبال والبحار والاشجار
والثمار وانواع النبات للموقنين اي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه
بصنعته وفي انفسكم ايضا ايات ان كنتم فطنة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى
ان نفخ فيه الروح وقال ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان
والطبايع وقيل يريد سبيل الغايط والبول باكل ويشرب من مدخل واحد
ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل
الى غير ذلك من العجايب المودعة في ابن ادم افلا تبصرون يعني كيف خلقكم
تتصرفون فتقدرونه على البعث وفي السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر الذي
هو سبب الارزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب وقيل من
الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال فورب
السماء والارض انه لحق اي ما ذكره من امور الرزق وغيره مثل ما انكم
تنطقون اي بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق
الادمي معناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل معناه في صدقه وجوده كالذي
يعرض ضرورة وقال بعض الحكما معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان
نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذي
قسم له لا يقدر ان ياكل رزق غيره قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
يعني هل اتاك يا محمد حديث الذي جاء ابراهيم بالبشرى فاستمع ما نقصه
عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود المكرمين قيل
سماهم مكرمين لانهم كانوا ملايكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف
ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله عز وجل يومئذ وضيف الكريم مكرمين
وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته

396

ايا هم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤا
غير مدعوين ق عن ابي شريح العدوي قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه قالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون اي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلا
قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا بغير استيذان وقيل انكر
سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض فراغ اي عدل ومال الي اهله فجا
بعجل سمين اي حنيذ وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجا بعجل
فقربه اليهم هذا من ادب المضيف ان يقدم الطعام الي الضيف ولا يحوجهم الي
السعي اليه فلما لم ياكلوا قال الا تاكلون يعني حثهم علي الاكل وقيل عرض عليهم
الاكل من غير ان يامرهم فاوجس اي فاضمر منهم خيفة لانهم لم يتحرموا بطعامه
قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وقيل عليم اي نبي فاقبلت
امراته قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الي مكان بل كانت في البيت فهو كقول
القايل اقبل يفعل كذا اذا احدث فيه في صرة اي في صيحة والمعني انها احدثت
قولا وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيا فصكت وجهها قال ابن عباس
لطمت وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة
النساء ايضا اذا انكرت شيا وقالت عجوز عقيم معناه انا عجوز عقيم وذلك ان
سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك اي كما قلنا لك قال ربك انك
تلد بن غلاما انه هو الحكيم العليم ثم ان ابراهيم عليه السلام لما علم حالهم وانهم
من الملايكة قال فما خطبكم اي شانكم وما طلبكم ايها المرسلون قالوا انا
ارسلنا الي قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين قيل
هو الآجر مسومة اي معلمة قيل علي كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة
بعلامة تدل علي انها ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين قال
ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها فاخرجنا
من كان فيها اي في قري قوم لوط من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالي بالايمان والاسلام جميعا لانه

مامن

مامن مومن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام علي الخاص
لا مانع منه فاذا سمي المومن مسلما لا يدل علي اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها اي
في مدينة قوم لوط اية اي عبرة للذين يخافون العذاب الاليم وفي معناه
تركنا فيها علامة للخايفين فقد لهم علي ان الله تعالي مهلكهم فيخافون مثل
عذابهم قوله عز وجل وفي موسي اي وتركنا في ارسال موسي اية وعبرة
اذ ارسلناه الي فرعون بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة فتولي اي
اعرض عن الايمان بركنه اي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوي بهم وقال
ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فاغرقناهم
في البحر وهو مليم اي اتي بما يلام عليه من دعوي الربوبية وتكذيب الرسل
وفي عاد اي وفي اهلاك عاد ايضا اية وعبرة اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم يعني التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر
من شي اتت عليه اي من انفسهم واموالهم وانعامهم الا جعلته
كالرميم اي كالشي الهالك البالي وهو ما يبس ودق من نبات الارض
في الشجر والنبن ونحوه واصله من رمة العظم اذا بلي وفي ثمود اذ قيل لهم
تمتعوا حتي حين يعني الي وقت انقضاء اجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة
قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم اي تكبروا واعرضوا عن طاعة
ربهم فاخذتهم الصاعقة اي بعد مضي ثلاثة ايام من وقت عقر الناقة
وهو الموت في قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة
كل عذاب مهلك وهم ينظرون اي يرون ذلك العذاب عيانا فما استطا
عوا من قيام اي فما اقاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا علي نهوض
من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين اي ممتنعين منا وقيل ما كانت
عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه
وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح من قبل اي من
قبل هولا وهم عاد وثمود وقوم فرعون انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين
عن الطاعة قوله تعالي والسما بنيناها بايد اي بقوة وقدرة وانا لموسعون

قيل هو من السعة اي اوسعنا السماء حيث صارت الارض وما يحيط بها
من السماء والفضاء بالنسبة الى سعة السمك كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال
ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون اي الرزق
على خلقنا وقيل معناه واتخذوا السعة والغنا والارض فرشناها اي
بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين
اي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار
والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتا والجن والانس والذكر والانثى
والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو
والحامض لعلكم تذكرون اي فتعلمون ان خالق الازواج لا نظير له ولا شريك
معه ففروا الى الله اي قل يا محمد ففروا الى الله اي فاهربوا من عذابه الى ثوابه
بالايمان والطاعة له قال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته
قال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير اي مخوف
مبين اي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع
ولا تجعلوا مع الله الها اخر اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا اني لكم منه نذير
مبين قيل انما كرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي
عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العلم كما ان العلم لا ينفع الا مع الايمان
وانه لا يعذر عند الله تعالى الا الجامع بينهما كذلك اي كما كذبك قومك قالوا
ساحر ومجنون كذلك ما اتى الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة والامر الحالة
من رسول يعني يدعوهم الى الايمان والطاعة الا قالوا ساحر او مجنون قال
الله تعالى اتواصوا به اي اوصى اولهم واخرهم بعضهم بعضا بالتكذيب
وتواطئوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا بهذا القول
لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان
وهو الحامل لهم على ذلك فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي
لا لوم عليك فقد ادّيت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما امرت
قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم

واشتد

واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فاذا امر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى
تنفع من علم الله عز وجل انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من امن من
قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وقيل هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما
خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعدا
من الجن والانس الا لعبادتي والاشقيا منهم الا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه
من الشقاوة والسعادة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا ليعبدون
الا امرهم ان يعبدون وادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا ليقروا لي وهذا
احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه ليخضعوا
الي ويذلوا للوالاتي معنى العبادة في اللغة الذل والانعباد وكل مخلوق من
الجن والانس خاضع لقضاء الله تعالى منذل لمشيته تعالى لا يملك احد لنفسه
خروجا مما خلق له وقيل معناه الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده اختيارا
في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة
والرخاء ما اريد منهم من رزق اي ما اريد ان يرزقوا احدا من خلقي ولا
ان يرزقوا انفسهم لاني انا الرازق القايم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما اريد
ان يطعمون اي ان يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه
لان الخلائق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه كما صح من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم
القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب
العالمين قال لما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته
لوجدتني عنده يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك
وانت رب العالمين اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت
انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقني

قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه
اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي اخرجه مسلم ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال
تعالى ان الله هو الرزاق يعني لجميع خلقه ذو القوة المتين يعني هو القوي الشديد
المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في افعاله مشقة فان للذين ظلموا
من اهل مكة ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب
اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون اي بالعذاب لانهم
اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الطور وهي مكية

وهي تسع واربعون اية وثلاثمائة واثنتي عشر كلمة والف وخمسمائة حرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والطور اراد
به الجبل الذي كلم الله عز وجل موسى عليه السلام عليه بالارض المقدسة
وقيل بمدين وكتاب مسطور اي مكتوب في رق يعني الاديم الذي
يكتب فيه الصحف منشور اي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب
الله بيده لموسى عليه السلام من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو
اللوح المحفوظ وقيل هو ما اورثن الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فاخذ
بيمينه واخذ بشماله وقيل هو القران والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والاهل
وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته
في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور في السماء السابعة واذا
هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفي رواية اخرى قال
فانتهيت الى بناء تقلت للملك ما هذا قال بناه الله للملايكة يدخل فيه كل
يوم سبعون الف ملك لا يعودون فيه وفي افراد البخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون
الف ملك والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور يعني الموقد المحمى بمنزلة

التنور

التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي ان الله تعالى يجعل البحار
كلها يوم القيامة نيرانا فيعذب بها اهل النار في نارجهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر
وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا
او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو
اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروي
عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات
الى سبع ارضين فيه ماغليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة
الاولى منه اربعين صباحا فينبتون في قبورهم اقسم الله عز وجل بهذه
الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى ان عذاب ربك
لواقع يعني انه حق وكائن ونازل بالمشركين في الاخرة ماله من دافع اي
مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اساري بدر وقد فعت له وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من
المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع
فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم اكن اسلم حين قاله فاسلمت خوفا من
نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين
الله متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء مورا اي تدور كدور الرحى وتتكفا
باهلها ككفي السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها في بعض وتضطرب
وتسير الجبال سيرا اي تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في
مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك
لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة
الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازال الله تعالى ذلك
وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي شدة العذاب يومئذ لكذبين
اي يوم القيامة الذين هم في خوض اي بخوضون في الباطل يلعبون
يعني لاهين غافلين عما يراد بهم يوم يدعون اي يدفعون الى نارجهنم دعا
يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى

اعناقهم ويجمعون نواصيهم الي اقدامهم ويدفعونهم الي النار دفعا علي وجوههم
وسر خافي اعقابهم حتي يردوا الي النار فاذا ادنوا منها قال لهم خزنتها هذه
النار التي كنتم بها تكذبون اي في الدنيا افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
محمد صلي الله عليه وسلم الي السحر وانه يغطي علي الابصار ونحو ذلك وقيل لهم
افسحر هذا امر انتم لا تبصرون اصلوها يعني قاسوا شدتها فاصبروا علي العذاب
او لا تصبروا عليه سواء عليكم اي الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اي من
الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالي ان المتقين في جنات ونعيم ناكهين اي
معجبين بذلك ناعمين بما اتاهم ربهم اي من الخير والكرامة ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اي ماموت العاقبة من التخمة والسقم
بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين علي سرر مصفوفة
اي موضوعة بعضها علي بعض وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم
ذرياتهم بايمان يعني اولادهم الصغار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار
بايمان ابايهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين الحقنا
بهم ذرياتهم يعني المومنين في الجنة بدرجات ابايهم وان لم يبلغوا
باعمالهم درجات ابايهم تكرمة لابايهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية
عن ابن عباس وفي رواية اخري عنه ان معني الاية والذين امنوا واتبعتهم
ذرياتهم يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا
الايمان بايمان ابايهم اخبر الله تعالي انه يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما
كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيد خلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم به درجته
بعمل ابيه من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيا وذلك قوله تعالي وما التناهم
من عملهم من شيء يعني وما انقصنا الاباء من اعمالهم شيا عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي يرفع ذرية المومن
في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعتهم
ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الي اخر الاية عن علي قال سالت خديجة
النبي صلي الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله

صلي

صلي الله عليه وسلم هما في النار فلما راي الكراهة في وجهها قال لو رايت مكانهما
لابغضتيهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار
ثم قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا
بهم ذرياتهم اخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي كل امري اي
كافر بما كسب اي عمل من الشرك رهين اي مرتهن بعمله في النار والمومن لا يكون
مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة لاصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم
به من الخير والنعمة فقال تعالي وامددناهم بفاكهة يعني زيادة علي ما كان لهم
وهم مما يشتهون من انواع الملذات يتنازعون اي يتعاطون ويتناولون
فيها اي في الجنة كاسا لا لغو فيها اي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب
عقولهم فيلغوا او يرفثوا ولا تاثيم اي لا يكون منهم ما يوثمهم ولا يجري بينهم
ما ليه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يا ثمون في شربها ويطوف
عليهم اي للخدمة غلمان لهم كانهم اي في الحسن والبياض والصفا ولو لؤ مكنون
اي محزون مصون لم تمسسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل
الجنة الا يسعي عليه الف غلام كل واحد منهم علي عمل غير عمل صاحبه وعن
قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال
فضل الخادم علي المخدوم كفضل القمر ليلة البدر علي ساير الكواكب قوله تعالي
واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون يعني يسال بعضهم بعضا في الجنة قال
ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من النصب والحزن في الدنيا قالوا انا كنا
قبل في اهلنا اي في الدنيا مشفقين اي خايفين من العذاب فمن الله
علينا اي بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وهو اسم
من اسماء جهنم انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه اي نخلص الدعاء
والعبادة له انه هو البر قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما
وعد وقيل البر العطوف علي عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه
الرحيم قوله عز وجل فذكر يعني فعظ يا محمد بالقران كفار مكة فما انت بنعمة

ربك يعني برحمته وعصمته وقبل بانعامه عليك بالنبوة كاهن ولا مجنون
وهو الذي يوهم انه يعلم الغيب ويخبر بما يأتي عند من غير وحي والمعنى انك لست
كما يقول كفار مكة انه كاهن ومجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا
اعتاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر
والجنون ام يقولون يعني هو لاء المقتسمين شاعر اي هو شاعر نتربص به اي
نتنظر به ريب المنون يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك
من كان قبله من الشعراء وتتفرق عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن
نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون اسم للموت والدهر واصله القطع سمي
بذلك لانقطاع الاجل قل تربصوا اي انتظروا اني الموت معكم من المتربصين
اي من المنتظرين حتى يأتي امر الله فيكم فعند ذلك ابو مريد رسالقتل بالذين ا م
تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون الاحلام
والعقول فاخبر الله بعقولهم حتى لم يتركوا لهم معرفة الحق من الباطل ام هم
قوم طاغون اي يتجاوزون الحد في الطغيان وانكفوا م يقولون تقوله اي
اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا تستعمل الا في الكذب والمعنى
ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون اي بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال
تعالى فليأتوا بحديث مثله اي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه ان كانوا
صادقين يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه ام خلقوا من غير شيء قال
ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا من غير شيء فوجد وا بلا خالق
وذلك ما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان
انكروا الخالق فلم يجز ان يوجد وا بلا خالق ام هم الخالقون اي لا نفسهم
وذلك في البطلان اشد لان من لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت
الحجة عليهم بان لهم خالقا فليوحدوه وليعبدوه وقيل معنى
الآية اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينتهون ام هم الخالقون
اي لانفسهم فلا يجدون عليهم بد من امر خلقوا السموات والارض يعني ليس
الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو توحيد الله وقدرته على البعث

وان

وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليوحدوه ويوقنوا
انه ربهم وخالقهم ام عندهم خزائن ربك يعني النبوة ومفاتيح الرسالة
فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق ام هم المسيطرون اي
المسلطون الجبارون وقيل ارباب قاهرون فلا يكونوا تحت امر ولا نهي يفعلون
ما يشاؤن ام لهم سلم يعني مرقى ومصعد الى السماء يستمعون فيه اي يستمعون
عليها الوحي من السماء فيعلمون ان ما هم عليه حق فليأت مستمعهم
مستمعهم اي ان ادعوا ذلك بسلطان مبين اي بحجة بينة ام له البنات ولكم
البنون هذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ام تسألهم اجرا
اي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين فهم من مغرم
مثقلون يعني اثقلهم ذلك الغرم الذي سألتهم فمنعهم عن الاسلام ام عندهم
الغيب اي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول صلى الله
عليه وسلم من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب
المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون اي يحكمون قال ابن عباس
معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون
كيدا اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اي المجزيون بكيدهم
والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به
في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يعني يرزقهم وينصرهم
سبحان الله عما يشركون المعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى وان يروا
كسفا من السماء ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول
لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا
معاندة منهم هذا سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا فذرهم
حتى يلاقوا اي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون ويهلكون يوم
لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا
يمنعهم من العذاب مانع وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك اي
عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر

وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي ان العذاب نازل بهم فقوله عز وجل واصبر لحكم ربك اي بالي ان يقع بهم
العذاب الذي حكمنا عليهم به فانك باعيننا اي بمرأى منا قال ابن عباس
ترى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه
وسبح بحمد ربك حين تقوم اي حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك
فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غيره كان كفارة له
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر
فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من مقامك وقيل هو ذكر
الله باللسان من حين يقوم من الفراش الى ان يدخل في الصلاة عن
عاصم بن حميد قال سالت عايشة اي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفتتح قيام الليل فقالت سالتني عن شيء ما سالني عنه احد قبلك كان اذا
قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي
وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم
القيامة اخرجه ابو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك
اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي وابو داود وقال قد
تكلم في احد رواته وقوله تعالى ومن الليل فسبحه اي فصل له يعني صلاة
المغرب والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر
النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل
الفجر وادبار السجود الركعتان قبل المغرب اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وقيل ادبار النجوم نوافل الصبح عن جابر بن مطعم قال سمعت

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور والله اعلم بمراده واسراره

كتابه

تفسير سورة النجم مكية

وهي اثنتان وستون اية وثلاثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنجم اذا هوى
يعني الثريا اذا استقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما قولهم اذا طلع النجم عشيا
ابتغى الراعي كسيا وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي
الارض من العاهة تعني الارفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها
وتهوي بها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وفيه ما روي عن ابن عباس انه
المرجوم من النجوم وهو ما ترمي به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي
النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد بالنجم القران سمي نجما لانه تراءى نجوما متفرقة
في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له
وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم
وهويه ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى ما ضل صاحبكم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى اي ما جهل وقيل
الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا
اصلا والغواية هو ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال
اكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل
لانهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول القران من تلقاء نفسه ان هو
اي ما هو يعني القران وقيل نطقه في الدين الا وحي اي من الله يوحى اليه
علمه شديد القوى يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله عز
وجل اليه كونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه
حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه
بالوحي على الانبياء اسرع من رجفة الطرف ذو امرة اي ذو قوة وشدة وقال
ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن فاستوى يعني

جبريل عليه الصلاة والسلام وهو يعني محمد صلي الله عليه وسلم والمعني استوى جبريل
ومحمد صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج بالافق الاعلى عند مطلع الشمس وقيل
فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اي قام في صورته التي خلقه
الله فيها وهو بالافق الاعلي وذلك ان جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله صلي
الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان يأتي للانبيا قبله فسأله رسول
الله صلي الله عليه وسلم ان يريه نفسه علي صورته التي جبل عليها فاراه نفسه
مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما التي في الارض فبالافق الاعلي والمراد بالافق
الاعلي جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له
جبريل من ناحية المشرق فسد الافق الي المغرب فخر رسول الله صلي الله عليه
وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه الي نفسه وجعل
يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنى فتدلى واما التي في السما فعند سدرة
المنتهى ولم يره احد من الانبيا علي تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد
صلي الله عليه وسلم قوله تعالي ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اه
اختلف العلما في معنى هذه الاية فروى عن مسروق بن الاجدع قال
قلت لعايشة رضي الله تعالى عنها فاين قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه اتاه
في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق اخرجاه في الصحيحين
وعن ذر ابن حبيش في قوله فكان قاب قوسين او ادنى وفي قوله ما كذب
الفواد ما راى وفي قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال فيهما كلهما ان ابن
مسعود قال راى جبريل عليه السلام له ستمايه جناح زاد في رواية راى
جبريل عليه السلام في صورته اخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى فكان
قاب قوسين او ادنى فاوحى الي عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية
ثم دنى جبريل بعد استوايه في الافق الاعلى من الارض فتدلى الي محمد صلي
الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى ربه قال ابن عباس
والحسن وقتاده وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنى فكان قدر

سبب

سيب الدنو وقال اخرون ثم دنى الرب عز وجل من محمد صلي الله عليه وسلم فتدلى
اي قرب منه حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد في الصحيحين في حديث
المعراج من رواية شريك بن ابي عبد الله ابن ابي نمر عن انس دنى الجبار رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن
ابن عباس والتدلي هو النزول الي النبي صلي الله عليه وسلم قال الحافظ بن
عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك
وقد زاد فيه زيادة مجهولة والي فيه بالفاظ غير محفوظة وقد روي حديث
الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن
انس فلم يات احد منهم بما اتى في صحيحه في رواية شريك وقد روا حروفا زاد
ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك
دنى محمد صلي الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود
فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر وهو الذي يرمى فيه وهو رواية
عن ابن عباس وقيل معناه حبك الوتر من القوس فاخبر انه كان جبريل ومحمد
صلي الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذا اشارة الي تاكيد القرب واصله
ان الحليفين من العرب كان اذا اراد اعقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما م
فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران بحامي كل واحد منهما عن صاحبه
وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع الذي
يقاس بها من قاس يقيس اوادنى بل اقرب ماوحى اي اوحى الله عز وجل
الي عبده محمد صلي الله عليه وسلم ما اوحى وعن ابن عباس في رواية عنه
قال اوحى جبريل الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل
قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الي قوله ورفعنا لك ذكرك
وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة علي الانبيا حتى تدخلها انت وعلي الامم
حتى تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب الفواد ما راى قرئ بالتشديد
اي ما كذب قلب محمد صلي الله عليه وسلم وقرئ بالتخفيف اي ما كذب فواد
محمد صلي الله عليه وسلم الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفواد فيما راى

واختلفوا في الذي راه فقيل راي جبريل وهو قول ابن مسعود وعايشة وقيل
مراه عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرويه فقيل جعل بصره في فواده وهو قول
ابن عباس مرعن ابن عباس ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى
قال راه بفواده مرتين وذهب جماعة الى انه راه بعينه حقيقة وهو قول انس
ابن مالك والحسن وعكرمة قالوا راى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن
ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام
واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرويه وقال كعب ان الله قسم رويته وكلامه
بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم فكلم موسى مرتين وراه محمد صلى الله
عليه وسلم مرتين اخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عايشة ترضي
الله عنها تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على رويه
جبريل عن مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد
قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكن فقد كذب من حدثك ان
محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك
انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك
ان محمدا كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه
راى جبريل في صورته مرتين اخرجه في الصحيحين م عن ابي ذر قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نوراني اراه
قوله عز وجل افتمارونه على ما يرى يعني افتجادلونه على ما يرى وذلك
انهم جادلوه حين اسري به وقالوا صف بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا
في الطريق وعيرة تك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترمون به
رتبه عما راه وعلمه ولقد راه نزلة اخرى يعني راى جبريل في صورته
التي خلق عليها نازلا من السما نزلة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين
مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى م عن ابي هريرة رضي الله
عنه ولقد راه نزلة اخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس معنا

نزلة

نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات ه
لسيلة التحقيق من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه عز
وجل في بعضها وروى عن ابن عباس انه راى ربه بفواده مرتين وعنه
انه راه بعينه عند سدرة المنتهى م عن ابن مسعود رض قال لما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة
واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها يهبط به من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ه
الترمذي اليها ينتهي علم الخلايق لا يعلم ما فوق ذلك وفي حديث المعراج
المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الى السما السابعة ثم قال رفعت الى سدرة
المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه ه
سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وفي افراد مسلم من حديث انس
قال ثم عرج بنا الى السما السابعة وذكره الى ان قال فيه ثم ذهب بي الى سدرة
المنتهى واذا اوراقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من
امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى
وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على راس حملة العرش
واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله جل جلاله وعن
اسما بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر سدرة
المنتهى قال يسير الراكب في ظل الغصن منها ماية سنة او قال يستظلها ماية
راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي وقال مقاتل
هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار في جميع الالوان ولوان ورقة منها ه
وضعت في الارض لاضات لاهل الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله
في سورة الرعد عندها جنة الماوى قال ابن عباس الماوى باوى
اليها جبريل والملايكة وقيل تاوي اليها ارواح الشهدا اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال ابن مسعود فراش من ذهب قيل يغشاها ملايكة امثال

الغربان وقيل امثال الطير حتى يغشى عليها وقيل غشيها نور الخلايق وغشيها
الملايكة من جند الله تعالى امثال الغربان حتى يغشى عليها وقيل نور رب
العزة فاستنارت وروي في الحديث قال رايت على كل وريقة منها ملكا
قايما يسبح الله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصر النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا او شمالا
وما جاوز ما راي وقيل ما امر به وهذا وصف ادب به صلى الله عليه وسلم في ذلك
المقام الشريف اذا لم يلتفت الى شيء سوى ما امر به وقيل في معنى الاية ان
قلنا الذي يغشى السدرة فراشي من ذهب اي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به
وفيه بيان ادب صلى الله عليه وسلم اذا لم يقع بصره على المعصود وان قلنا الذي
يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان احدها انه صلى الله عليه
وسلم لم يلتفت عن يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه
الثاني ما زاغ البصر بصفته ولا غشية كما اخبر عن موسى بقوله تعالى وخر
موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل فانه
قطع نظره وغشي عليه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام
العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف
الله عز وجل قوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله
تعالى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى يعني
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات العظام وقيل اراد ما راى
تلك الليلة في سيره ورجوعه وقيل معناه لقد راى من ايات ربه
الكبرى م عن عبد الله بن مسعود قال لقد راى من ايات ربه الكبرى
قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح خ عنه قال لقد راى
من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر سد افق السما فصل
من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله ولقد راه نزلة اخرى
وهل راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرا قال القاضي
عياض اختلف السلف والخلف هل راى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى

فانكرت

فانكرت عايشة كما وقع في صحيح مسلم وجماعة عن ابي هريرة وجماعة وهو
المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي
عن ابن عباس انه راه بعينه ونقله عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على
ذلك وحكي نقله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكي اصحاب
المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه انه راه وتوقف بعض
مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل راجح ولكنه جايز ورويه الله جل
جلاله في الدنيا جايزة وسوال موسى اياه يدل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز
او يمتنع على ربه واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه جل جلاله
ليلة الاسرى بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين
انه كلمه وعن بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس
وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالاكثرون على ان هذا الدنو والقرب منه
بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الاخر وعن
سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد ابن كعب وابن محمد وغيرهم انه
دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله تعالى هذا القول يكون الدنو
والتدلي منه حقيقة لا تجوزا ليس على وجه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لاحد
له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور
عظيم منزلته لديه واشراف انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار
ملكوته على ما لم يطلع عليه واحد من الله تعالى له اظهار ذلك له وعظيم
بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين او ادنى عبارة عن
لطف المحل وايضاح المعرفة واشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم
ومن الله تعالى اجابة الرغبة واثابة المنزلة هذا اخر كلام القاضي عياض قال
الشيخ محيي الدين النواوي واما صاحب التحرير فانه اجاز اثبات الرؤية قال
والحجة في المسيلة وان كانت كثيرة ولكنها لا تمسك الا بالاقوى منها وهو حديث
ابن عباس انتجبوت ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى
الله عليهم وسلم اجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه

وسلم ربه قال نعم وكان الحسن يحلف لقد راى محمد ربه والاصل في المسئلة
حديث ابن عباس حبر الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه
ابن عمر في هذه المسئلة وسأل هل راى محمد ربه عز وجل فاخبره انه راه و لا
يقدح في هذا احاديث عايشة لان عايشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما تاولته لقوله عز وجل وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار و
الصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا صح الرواية
عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرويه وجب المصير اليها لانها
فانها ليست مما تدرك بالعقل وتوخذ بالظن وانما تتلقى بالسمع ولا يستبعد احد
ان يظن بابن عباس انه يتكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر
ابن راشد حين ذكر اختلاف عايشة وابن عباس ما عايشة عندنا بأعلم من
ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت قدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير
في اسباب الرويه قال الشيخ محيي الدين والحاصل ان الراجح عند اكثر العلما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعيني راسه ليلة الاسرى
لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يوخذ الا بالسماع عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ما لا ينبغي ان يشكك فيه ثم ان عايشة لم تنف الرويه
بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما
اعتمدت على الاستنباط من الايات وسنوضح الجواب عنها اما احتجاج عايشة
بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر وان الادراك هو الاحاطة والله
تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرويه بغير
احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها بقوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية فالجواب عنه من اوجه
احدها انه لا يلزم من الرويه وجود الكلام حال الرويه فيجوز وجود الرويه
من غير كلام لتاتي انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله
بعض العلما ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا

لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام والرويا في المنام وكلاهما يسمى
وحيا واما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر
لهم بالكلام بل يسمعون كلام الله سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه وليس
المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو
بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عايشة في اول الحديث لقد قف
شعري فمعناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول
العرب عند انكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمازت نفسي وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نور اني اراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة
في اني وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال الماوردي
الضمير في اراه عايد على الله ومعناه ان النور يمنعني الرويه كما جرت العادة
بالاغشا الانوار الابصار وضعفها عن ادراك ما حالت بين الراي والمرئي
وفي رواية رايت نورا معناه رايت النور فحسب ولم ار غيره وفي رواية ذاك
نور اني اراه معناه هو خالق النور المانع من رويته فيكون من صفات
الافعال ومن المستحيل ان يكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام
والله متعال عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله عز وجل اعلم قوله عز
وجل افرايتم اللات والعزى هذه اسما اصنام اتخذوها الهة يعبدونها
واشتقوا لها اسما من اسما الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى
وقيل العزى تانيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها
من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصفه بها رب العزة شيء وقيل
كانت اللات بالطايف وقيل ببيت نخلة كانت قريش تعبده وتزري اللات
بالتشديد ح عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج فلما
مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في راس جبل له غنيمة بسلامنها
السمن وياخذ منها الاقط ويجعل سلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان
ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجل من ثقيف يقال
له صرمة بن غنم وكان يسلا السمن بيضعه على صخرة فتاتيه العرب فتلت

به اسرقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها فمدرت الطايف على موضع اللات واما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عزا كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رايت شيئا فقال ما قطعت نوادها ومعه المعول فقطعها واجذت اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا او قيل هي صنم بنطفان وصفها لهم سعد ابن غانم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه انا لاهل مكة الصفا والمروة وليست لكم ولهم اله يعبد ولا يبصر ولا يسمع لكم قالوا فما ترونا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة وقعدا الى نخلة فوضع الذي اخذ من الصفا وقال هذه الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار واسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطايف كانت تعبده ثقيف وقوله ومناة قيل هي لخزاعة بقديد وقالت عايشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت خزاعة وقديد وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها الثالثة الاخرى الثالثة نعت لمناة او الثالثة للتعيين في الذكر وما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة اخرى وانما الاخرى هاهنا الثالثة قال الخليل قاليا لوفاق رؤس الاي كقوله ما رب اخرني ولم يقل اخر الاخرين وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كانه تعالى قال ومناة الثالثة المتاخرة الذليلة فعلى هذا

فالا

للاصنام ترتيب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة ادمي والعزى شجرة فهي بنات ومناة صخرة فهي جماد فهي في اخريات المراتب ومعنى الاية هل رايتم هذه الاصنام حق الروية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل افرايتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله الكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملايكة بنات الله كان الرجل اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قال ابن عباس اي قسمة جايرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجا غير معتدلة ان هي اي ما هي هذه الاصنام الا اسما سميتموها انتم وابا وكم والمعنى انكم سميتموها الهة وليست بالهة حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزي ولا عزى لها فلا يكون لها مسمى حقيقة ما انزل الله بها من سلطان اي حجة بما تقولون انها الهة ان يتبعون الا الظن اي في قولهم انها الهة وما تهوى الانفس بعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عباداتهم بحسب ما تشتهي انفسهم والذي ينبغي ان تكون العبادة بحسب ما يقتضي الشرع لا بمتابعة هوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار قوله تعالى ام للانسان ما تمنى معناه ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام اي ليس الامر كما يظن ويتمنى فلله الاخرة والاولى اي لا يملك احد فيهما شيا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الاخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا والاخرة وان شاء امهله الى الاخرة وكم من ملك في السموات اي ممن يعبدهم هؤلاء يرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيا يعني الملايكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى الا من بعد ان ياذن الله اي في الشفاعة لمن يشاء ويرضى

اي من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملايكة الا لمن رضي الله عنهم
وقيل الامن بعد ان باذن الله لمن يشاء ويرضى من الملايكة والشفاعة لمن شاء
الشفاعة له ان الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني الكفار الذين انكروا البعث
ليسمون الملايكة تسمية الانثى اي تسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله
فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه
بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبة رؤس الاي وقيل ان كل
واحد من الملايكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملايكة بنات الله
وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل
ما يستيقنون ان الملايكة اناث ان يتبعون الا الظن اي في تسمية الملايكة بالاناث
وان الظن لا يغني من الحق شيا اي لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل
معناه انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشي بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم
وقيل الحق هو الله جل جلاله وتقدست اسماؤه والمعنى ان الاوصاف الالهية
لا تستخرج بالظنون فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القران وقيل عن الايمان
ولم يرد الا الحياة الدنيا يعني انهم لا يؤمنون بالاخرة متى يريدوها ويعملوا لها
وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغرها بهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم
اي ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم اثروا الدنيا على الاخرة وقيل معناه لم
يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملايكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا
على ذلك واعرضوا عن الايمان والقران ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى اي هو عالم بالفريقين فيجازيهم باعمالهم ولله ما في
السموات وما في الارض وهو اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض
بين الاية الاولى وبين قوله تعالى ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى والمعنى انه اذا كان اعلم بهم جازى كلا بما يستحقه فيجزي
الذين اساؤا اي اشركوا بما عملوا اي من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي
وحدوا ربهم بالحسنى يعني الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسي
اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الارض

ثم وصف المحسنين فقال الله عز وجل الذين يجتنبون كبايرالاثم قيل الاثم الذنب
الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال البطيئة عن الثواب وقيل
هو فعل لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كباير وصغاير وجمعه اثام والكبيرة
مقارفة في كل ذنب بعظم عقوبته وجمعه كباير والفواحش جمع فاحشة وهي
ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هي ما فحش من الكباير الا اللمم اي الا ما قل
وصغر من الذنوب وقيل هو مقاربة المعصية من قولك المم بكذا اذا قاربته
من غير مواقعة واختلفوا في معنى الاية فقيل هذا الاستثنا صحيح واللمم من
الكباير والفواحش ومعنى الاية الا ان اللمم بالفاحشة ثم يتوب او يقع الوقعة
ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن ابن عباس قال
عبد الله ابن عمرو ابن العاص اللمم ما دون الشرك سيلت عن قول الله
عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود وقد ذكرت ذلك لابن عباس
فقال انا بك عليها ملكا كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون
كباير الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر
اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب
قيل اصل اللمم والالمام ما يحمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة
ولا اقامة وقيل هو استثنا منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من
الكباير والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا
يواخذ هم الله عز وجل به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين
انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا قول
زيد ابن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغاير الذنوب كالنظرة
والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابي
هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس ق عن
ابن عباس قال ما رايت شيا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك
ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي

والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك
ذلك لا محالة العينان زناها النظر والاذنان زناها الاستماع واللسان زناه الكلام
واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك
الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما ان كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه
حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان
مالم يبلغ الكبايروالفواحش والوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد
المرة فيتوب منه وقيل هو ما الم على القلب اي خطر وقيل اللمم النظرة من
غير عمد فهو مغفور فان عاد النظر فليس بلمم بل هو ذنب **فصل**
في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلما اكبر الكبايرالشرك
بالله وهو الظاهر لاخفا فيه لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل
بغير حق فاما ملسواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور
واكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين
والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبايرالتي ورد بها النص فلها
تفاصيل واحكام تعرف بها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد
المترتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من اكبر الكبايربالنسبة
الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس انه سيل عن الكبايرا سبع هي فقال
هي الى سبعين اقرب وفي رواية الى سبعمايةاقرب وقد اختلف العلما
في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجا عن ابن عباس كل شيء نهي الله
فيه هو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو عبد الله اسحاق الاسفرايني وحكاه
القاضي عياض عن المحققين واحتج القايلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة
الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف
الى انقسام المعاصي الى كبايروصغايروقد تظاهرت على ذلك دلايل الكتاب
والسنة واستعمال سلف الامة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغايروكبايرفقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس قال الكبايركل
ذنب ختمه الله تعالى بنار او غضب او لعنة او عذاب وعن الحسن

نحو

نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه نارا في الاخرة او حد في الدنيا وقال
الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم
عليها المرء من غير استشعار خوف او استحداث ندم كالتهاون في ارتكابها
والمجري عليها اعتيادا فانما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة
وما حمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم مزعج
به تنغيص المتلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز
الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا اردت معرفة الفرق بين
الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبايرالمنصوص
عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبايرفهي من الصغايروان ساوت ادنى
مفاسد الكبايرا وزادت عليه فهي من الكبايرفمن امسك امراه محصنة لمن
يزني بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك اعظم من اكل
درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبايروكذلك لو دل الكفار على عورة
المسلمين مع علمه بانهم يستاصلونهم بدلالته فان نسبته الى هذه المفسدة
اعظم من توليته يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبايروكذلك لو كذب
على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم ان ياخذ
منه تمرة بسبب كذبته لم يكن ذلك من الكبايرقال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح
في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه ان يطلق عليه اسم
الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا احد الكبيرة ولها امارات
منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة
ومنها ما وصف فاعلها بالفسق او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير
منار الارض ونحو ذلك والله تعالى اعلم وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة
قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب روي عن عمر بن الخطاب وابن
عباس قالا لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة
تمحي بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في
حد الاصرار هو ان تكرر منه الصغيرة تكررا يشعر بقلة مبالاته بدينه وقيل

الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال تعالى هو اعلم بكم اي قبل
ان يخلقكم وهو قوله تعالى اذ انشاكم من الارض اي خلق اباكم ادم من التراب
واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون امهاتكم سمي جنينا لاستتاره في بطن
امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله عز وجل
من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم ولا تبرؤها من
الاثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل في معنى الاية هو اعلم بكم ايها المؤمنون
علم حالكم من اول خلقكم الى اخر بيومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن
لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك واتقى منك فان العلم عند الله
وفيما اشارة الى وجوب خوف العاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى
هو اعلم بمن اتقى اي بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الاية فلا تزكوا
انفسكم اي تنسبوها الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها
الى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها وامضوها فقد علم الزكي
منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم وقبل ان تخرجوا
من بطون امهاتكم قبل نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون
صلواتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية قوله عز وجل
افرايت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى
الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له انركت دين الشيخ
وضللتهم قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عائبه ان اعطاه كذا
من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله عز وجل فرجع الوليد
الى المشرك واعطى للذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه م
اتمامه فانزل الله عز وجل افرايت الذي تولى اي ادبر واعرض عن الايمان
واعطى اي لصاحبه الذي عيره قليلا واكدى اي بخل بالباقي وقيل
اعطى الوليد قليلا اي من الخير بلسانه واكدى اي قطعه وامسك ولم
يتم بالقطيعة وقيل نزلت في العاص ابن وايل السهمي وذلك انه كان رتما
يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت في ابي جهل

وذكر

وذلك انه قال والله يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله واعطى قليلا
واكدى اي لم يدم ومعنى اكدى اي قطع واصله من الكدية وهي حجر تظهر
في البئر تمنع من الحفر اعنده علم الغيب فهو يرى اي غاب عنه ويعلم ان صاحبه
يتحمل عنه عذابه ام لم ينبا اي يخبر بما في صحف موسى اي اسفار التوراة
وابراهيم اي ويخبر بما في صحف ابراهيم الذي وفى اي كمل وتمم ما امر به وقيل
عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل
قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى سهلا الاسلام وهو قوله
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شان
الناسك روى البغوي بسنده عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى قال اربع ركعات اول النهار
عن الدرداء وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك
وتعالى انه قال ابن ادم ارحمني باربع ركعات من اول النهار اكفك اخره اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى
الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة على نفس اخرى والمعنى
لا توخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة
ان يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل م
بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخوه وامراته وعبده
حتى كان ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل
الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى اي عمل وهذا
في صحف ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلها ما سعوا وما سعى لهم غيرهم
لما روي عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله
الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان امي توفيت افينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي
رواية ان سعد ابن عبادة اخا بني سعد وذكر نحوه اخرجه البخاري وعن
عايشة ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي قتلت نفسها م

واظنها لو تكلمت بصدقة فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في
الصحيحين في حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد
وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه
عن حجة الاسلام بل يقع قطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون
ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديث بيان الاجر في دليل على ان الصدقة عن
الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذا اجمعوا على وصول
الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة
الاسلام وكذا الوصي بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلماء
في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة
والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة
من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد ابن حنبل واما الصلوات وسائر التطوعات
فلا تصله عند الشافعي والجمهور وقال احمد يصل له ثواب الجميع والله اعلم
وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه
في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الاخرة
نصيب روي ان عبد الله بن ابي سلول كان اعطى العباس قميصا البسه اياه
فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له
في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب
العدل فاما من باب الفضل فجايز ان يزيده الله ما شاء من فضله وكرمه
وان سعيه سوف يرى اي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة
للمؤمن وذلك ان الله تعالى يزيد اعماله الصالحة ليفرح بها ويجزي الكافر باعماله
الفاسدة ثم يزاد عامل الجزاء اي السعي الجزاء الاوفى اي الاتم الاكمل والمعنى ان
الانسان يجازى سعيه بالجزاء الاوفى في قوله تعالى وان الى ربك المنتهى اي
منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الاخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب
بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع والعاقل
كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء

عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي
صلى الله عليه وسلم تعالى هذا تنبيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن
فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتدأ المنة واليه انتهاء الامال روي
النوي باسناد الثعلبي عن ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة
مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة ومعناه
لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة
علمت انه لا بد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى
الامر اليه فهو اشارة الى وجود وحدانيته سبحانه وتعالى وانه هو اضحك و
ابكى اي هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكا فيه
دليل على ان جميع ما يعلمه الانسان بقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك
والبكا قيل اضحك اهل الجنة وابكى اهل النار وقيل اضحك الارض بالنبات
وابكى السما بالمطر وقيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب
البكا عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من ماية
مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشيا من امر الجاهلية
وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وسيل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من جبره وعن انس قال خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخا المعجمة لهم بكا مع صوت يخرج من الانف
وانه هو اماتوا واحيا اي اماتوا في الدنيا واحيا للبعث وقيل اماتوا الاباء واحيا
الابناء وقيل اماتوا الكافر بالنكرة واحيا المؤمن بالمعرفة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على

النطق يخلق بعضها ذكرا ويخلق بعضها انثى وهذا انثى لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدر ذكر الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة اذا اعنى اي يصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شيء واحد يخلق منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا المعنى يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيرها كما لم يقدر احد ان يدعي خلق السموات والارض وان عليه النشأة الاخرى اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة وانه هو اغنى واقنى اي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهو اصول الاموال وما يدخر ون بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف المال واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اي اعطى فارضى وقيل اغنى يعني دفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شيء الا انا الغنا عند العقبة واقنى اي زاد فوق الغنا وانه هو رب الشعرى اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تطلع اليها عرضا والشعرا تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له به لخلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب مضيء خلف الجوزا ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحدهما العبور والاخرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمحوه بينهما واراد بها هنا العبور وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكانت لهم عقب تكاثروا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق صلاكا بعد قوم نوح وثمود وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احدا وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية

والمؤتفكة

والمؤتفكة يعني قوم لوط هوى اي اسقط وذلك ان جبريل عليه السلام رفعها الى السماء ثم اهوا بها فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المنضودة المسومة فبأي الاء ربك تتمارى اي تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اي تكذب هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذرت الرسل من قبله ازفت الازفة اي دنت القيامة واقتربت ليس لها من دون الله كاشفة اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادر فعلي كشفها اذا وقعت الا الله وحده غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة بمعنى المكشفة كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها مرد يعني اذا عشيت الخلق اهوالها وشدايدها لم يكشفها ولم يرد عنهم احد قوله تعالى افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون اي تشكون وتضحكون اي استهزاء ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا واصل السمود في اللغة رفع الراس ماخوذ من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمعنى وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضبان متبرطمون قيل له ما التبرطم قال الاعراض فاسجدوا لله يعني ايها المومنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة واعبدوا اي اعبدوا الله واما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى

ق

عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا اخذ كفا من حصا او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا فرايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في اخره وهو امية بن خلف

خ

عن ابن عباس ان رسول الله

صلي الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
ف عن زيد بن ثابت قال قرات علي رسول الله صلي الله عليه وسلم النجم فلم يسجد
فيها نفي هذا الحديث دليل علي ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي
واحمد وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله عز وجل لم يكتبها علينا الا
ان نشاء وذهب قوم الي وجوبها علي القاري والمستمع وهو قول سفيان
واصحاب الراي والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القمر مكية

وهي خمس وخمسون اية وثلاثمائة واثنان واربعون كلمة والف واربعمائة
وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اقتربت الساعة اي دنت القيامة وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره
انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من ايات رسول الله صلي الله
الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن انس ان اهل مكة سالوا
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين
اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر
الي قوله سحر مستمر يقول ذاهب ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر
علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال قريش سحر
محمد اعجلنا فقال بعضهم لبعض ان كان سحر ما يستطيع ان يسحر الناس
كلهم اخرجه الترمذي زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم
قد راوه فكذبوهم قال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروي مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر علي عهد رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسالوا السفار فقالوا انهم قد راوه فنزل
الله تعالي اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت
بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القران المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوي
مثبت له وامكانه لا يشك فيه مومن وقد اخبر عنه الصادق يجب الايمان به
واعتقاد وقوعه قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرحه صحيح مسلم

قال

412

تر

قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفة الملة وذلك لما اعمي
الله تعالي قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالي يفعل فيه ما يشا
كما يفعله ويكوره في اخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا
واشترك اهل الارض كلهم في رويته ومعرفته ولم يختص بهذا اهل مكة فاجاب
العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس بنام وهم
غافلون والابواب مغلقة وهم منقطعون بفنائهم فقل من يتفكر في السماء او
ينظر اليها الا النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره
مما يحدث في السماء في الليل من الهجايب والانوار الطوالع والشهب العظام وهو
ذلك يقع ولا يتحدث به الا احاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك كما ذكرنا
من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل للقوم
سالوها واقترحوا رويتها فلم يباهت غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر
في بعض الهجاير والمنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما يكون ظاهرا
للقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل معني
الاية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع
المسلمين علي خلافه ولان الله تعالي ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي علي المستقبل
بعيد يحتاج الي قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالي وان يروا اية يعرضوا
دليل علي وجود هذه الاية العظيمة وقد كان ذلك في زمن النبي صلي الله عليه
وسلم وقيل في معني قوله وان يروا اية اي تدل علي صدق الرسول صلي الله
عليه وسلم والمراد بالاية هنا انشقاق القمر يعرضوا اي عن التصديق بها ويقولوا
سحر مستمر اي دايم مطرد وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر ومك لما راوا وتتابع
المعجزات وتزادف الايات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اي قوي محكم
شديد يعلوه يعلوا كل سحر مستمر وقيل مستمر اي ذاهب سوف يبطل
ويذهب ولا يبقي وانما قالوا ذلك تعنتا لانفسهم وتغليطا لاوكد بوا يعني النبي صلي
الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله تعالي واتبعوا اهواهم اي ما زين لهم
الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القوم وكل امر مستقر اي لكل

امر حقيقته ما كان منه في الدنيا فيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقيل وكل
امر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر
قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل
حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر
مستمر يعني ليس امره ذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر وان امر
محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين الحق ولقد جاءهم يعني اهل
مكة من الانبا اي من اخبار الامم المكذبة في القران ما فيه مزدجر اي منتهى
وموعظة حكمة بالغة يعني القران حكمة تامة وقد بلغت الغاية فما تغني
النذر تغني اي غنا يعني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم اي اعرض
عنهم فسحتها اي اية القتال يوم يدع الداعي اي اذكر يا محمد يوم يدع الداعي
هو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس الى شيء نكر اي
منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما خاشعا وقرئ خشعا ابصارهم
اي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب يخرجون من الاجداث اي من القبور
كانهم جراد منتشر مثل في كثرتهم ويموج بعضهم في بعض كحيارى اي الذعرين
مهطعين اي مسرعين ماد بي اعناقهم مقبلين الى الداعي اي الى صوت
الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقطعون ابصارهم يقول الكافرون
هذا يوم عسر اي صعب شديد وقيل فيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم
شديد على الكفار لا على المومنين قوله تعالى كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة
قوم نوح فكذبوا عبدنا اي نوحا وقالوا مجنون وازدجر زجروه عن دعوته
ومنعوا منها بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
فدعا ربه نوح ربه وقال اني مغلوب اي مقهور فانتصر اي فانتقم لي
منهم ففتحنا ابواب السماء قيل صوبا على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق وقيل
بسبب لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل صوبا على الاستعارة فان
الظاهر ان يكون المطر من السحاب بما منهمر اي منصب منصبا بشدة فما
لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا اي وجعلنا الارض كلها عيونا

تسيل بالماء فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي قضى
عليهم في ام الكتاب وقيل قدر الله تعالى ان يكون الماءان على
قدر واحد وحملناه يعني نوحا على ذات الواح اي سفينة ذات الواح وارا د
بالالواح خشب السفينة العريضة ودسر اي مسامير التي تشد بها الالواح
وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هو عوارض السفينة واضلاعها وقيل
الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها تجري يعني السفينة
باعيننا اي بمرانا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا جزاء لمن كان كفر بنعمنا
ذلك به ويعم من انجا نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كفر به وبجحد امره وقيل
من بمعنى ما اي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين اغرقهم
وقيل جزاء لما صنع نوح واصحابه ولقد تركناها اية يعني الفعلة التي فعلنا بهم
اية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى بباقردى
من ارض الجزيرة عبرة حتى ينظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي متذكر
معتبر متعظ فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري ولقد يسرنا القران
اي سهلنا القران للذكر اي ليتذكروا ويعتبروا به قال سعيد بن جبير
يسرناه للحفظ والقران وليس شيء من كتب الله يقرى كله ظاهرا الا القران
فهل من مدكر اي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القران والاشتغال
به لانه قد سهله الله ويسره على عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير
والعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر اي
انذاري بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديد الهبوب في
يوم نحس اي في يوم مشوم مستمر اي دايم الشوم استمر على جميعهم بحيث لم
يبق منهم احد الا هلك فيه قيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في اخر الشهر
تنزع الناس اي الريح تقلعهم ثم ترميهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل
كان تنزع عنهم من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول نخل منقعر

اي منقطع من مكانه ساقط على الارض قبل كانت الريح تبين رؤسهم من
اجسادهم فتبقى اجسامهم بلى رؤس كجذع النخلة الملقات فتلك كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر
اي بالانذار الذي جاءه صالح فقالوا ابشرا منا واحدا اي ادميا واحدا منا
نتبعه اي ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال اي خطا وذهاب عن الصواب وسعر
قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عنا وعذاب مما يلزمنا
من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق ألقي الذكر عليه يعني
انزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب اشر اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا
بادعائه النبوة سيعلمون غدا اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني
يوم القيامة وانما اكد للتقريب من الكذاب الاشر اي اصالح امن كذبه
انا مرسلوا الناقة اي باعثوها ومخرجوها اليهم من الهضبة التي سألوا ولذلك
انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال
الله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة اي محنة واختبارا لهم فارتقبهم اي فانتظر
ما هم صانعون واصطبر اي على اذاهم ونبئهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اي
بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال الله تعالى بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب
اي نصيب من الماء محتضر اي بحضرة من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة
حضرته وشربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء
اذا عاينت الناقة فاذا جاءت حضروا الذين نادوا صاحبهم يعني فدار بين
سالف فتعاطى اي فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان
عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
يعني صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر قال ابن عباس هو الرجل يجمع لغنمه
خظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم
فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حتى تذروه الرياح والمعنى
انهم صاروا كيبس الشجر اذا بلي وتحطب وقيل كالعظام النخرة المتمرقة
وقيل هو التراب بيتا تزمن الحايط ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

قوله

قوله عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا يعني الحصبا
وهي الحجارة التي دون ملا الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون
المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اي يرميهم بالحجارة ثم استثنا فقال
تعالى الا ال لوط يعني لوطا وابنتيه خيرناهم يعني من العذاب بسحر نعمة من
عندنا اي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم كذلك نجزي اي كما انعمنا على
ال لوط كذلك نجزي من شكر يعني ان من وجد الله تعالى لم يعذبه مع المشركين
ولقد انذرهم اي لوط بطشتنا يعني احذفا ابانهم بالمثوبة فتماروا بالنذر
اي شكوا بالانذار وكذبوا ولم يصدقوا ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه
بسيلهم اليهم اضيافه فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا
الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للداخل بينهم وبين الدخول فانا
رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم
عميا يبادون الله تعالى يتردون متحيرين لا يهتدون الى الباب فاخرجهم
لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم اي صيرناها كسائر الوجوه
اي لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا قد راينام
حين دخلوا فانذروا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر يعني ما انذركم به
لوط من العذاب ولقد صبحهم بكرة اي جاءهم وقت الصبح عذاب مستقر اي دايم
استقر فيهم حتى اقضى بهم الى عذاب الاخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى ولقد جاء فرعون النذر يعني موسى
وهارون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الايات التي انذرهم بها موسى
عليه الصلاة والسلام كذبوا بايتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اي بالعذاب
اخذ عزيز مقتدر اي غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف
كفار مكة فقال تعالى اكفاركم خير من اولئكم يعني اقوى واشد من الذين
اهلكت ثم نفى ان يكون مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وال فرعون وهذا
استفهام انكار اي ليسوا باقوى منهم ام لكم براءة اي من العذاب في الزبر اي
الكتب انذلن يضيركم ما اصاب الامم الخالية ام يقولون يعني كفار مكة نحن

جميع اي امرنا منتصر اي من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا
منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الاية وقيل معناه نحن
كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى
سيهزم الجمع يعني كفار مكة ويولون الدبر اي الادبار فوحد لاجل رؤس الاية
وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يجاهد
احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم في ذلك دبر واحد عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني انشدك
عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم فاخذ ابو بكر بيده
فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول
سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر فصدق
الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب
يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان
يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في ادراعه ويقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر علمت تاويلها قبل الساعة موعدهم بينى جميعا والساعة ادهى
وامر اي اعظم داهية واشد مرارة من الامر والقتل يوم بدر وقوله عز وجل
ان المجرمين يعني المشركين في ضلال وسعر قيل في بعد عن الحق وسعر اي
نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسعورة في الاخرة وقيل
في ضلال اي عن طريق الحق وعذاب الاخرة ثم بين عذابهم فقال يوم يسحبون
اي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر اي ذوقوا
ايها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر
اي مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدره الله لكل شيء من
خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك
على خدك فصل في سبب نزول هذه الاية وما ورد في القدر وما
قيل فيه مر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى
الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الاية ان المجرمين في ضلال وسعر

الى

اي نولد انا كل شيء خلقناه بقدر م عن عبد الله بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان
يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء عن
طارق قال اوركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد
مؤمن حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق
ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذي وله
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن
بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه
لم يكن ليصيبه وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن
ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر
خيره وشره قال صدقت ثم ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون
لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم
هم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود
عن ابي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تكلموهم في الكلام وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس
لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب ورواه ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلايق يوم القيامة امر مناد فنادى نداء
يسمعه الاولون والاخرون ابن خصما الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى
النار فيقول الله عز وجل ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال
ابن الجوزي وانما قيل خصما الله لانهم يخاصمون في انه لا يجوز ان يقدر

المعصية على العبد ثم يعذبه عليها ورويت عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام
حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام
لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر
قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى اعلم ان مذهب اهل الحق
اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى
انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة
فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت ان الله
سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اي انما
يعلمها سبحانه وتعالى وتتبره بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى
عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارها القدر
قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا
القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية
في الازمان المتاخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر
من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتابه
غريب الحديث وابو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول
الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم
اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين وهذا تمويه من هؤلاء الجهلة
ومباهتة وتوائم فان اهل الحق يضيفون امورهم الى الله تعالى ويضيفون
القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفون الى انفسهم ومدعي
الشيء لنفسه ويضيفه اليها اولى بان ينسب اليه من يعتقد خلافه ويبرىء
ويتنزه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة تشبيها بهم لتقسيمهم الخير والشر
في حكم الارادة كما قسمت المجوس تعريف الخير الى يزدان والشر الى اهرمن
ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس
هذه الامة رواه حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

اخرجه

اخرجه ابو داود في سننه والحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين وقال
صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم
صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين
النور والظلمة فصار والثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله تعالى والشر
الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته
فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده
تعالوا كتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر
اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه
وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها
عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن
فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء
وهو معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن وقد تظاهرت
الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من
السلف والخلف على اثبات قدر الله تعالى وقد قرر ذلك ايمة المتكلمين احسن
تقرير بدلايله القطعية السمعية والعقلية والله سبحانه وتعالى اعلم واما
معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جامسترکوا فتريش الى قوله انا كل شيء خلقناه
بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله تعالى وقضاه وسبق
به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذا قوله
كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه
على الماء المراد منه تجديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل القدر
فان ذلك ازلي لا اول له وقوله وعرشه على الماء اي قبل ان يخلق السموات
والارض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز العجز
عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتاخيره عن وقته
ويحتمل ان المراد من امور الدنيا والاخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق
بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه قوله تعالى

وقيل يحتمل ان المراد من الطاعات

وما امرنا الا واحدة وقيل معناه وما امرنا للشئ اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلي هذا اذا اراد الله شيئا قال له كن فهنا شيآن الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر كلمح بالبصر قال ابن عباس يريد ان قضائي في خلقي اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجئ الساعة الا كطرف البصر ولقد اهلكنا اشياعكم ونظراءكم في الكفر من الامم السالفة فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك حق فيخاف ويعتبر وكل شئ فعلوه يعني الاشياع من خير وشر في الزبر اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم مستطر اي مكتوب قوله عز وجل ان المتقين في جنات اي بساتين ونهر اي انهار واما وحده لموافقة رؤس الاي واراد بها انهار الجنة من الماء الخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى ان الليل عندهم في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في متعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق عند مليك قيل معناه قرب المنزلة والشرف لا معنى المكان مقتدر اي قادر لا يعجزه شئ وقيل مقتدر بين عند مليك امره في الملك والاقتدار اعظم شئ فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للعبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرحمن سبحانه وتعالى مكية

وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من احدى القولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون اية وثلاثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القرآن قيل لما نزلت اسجد والرحمن قال كفار مكة وما الرحمن وانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله عز وجل الرحمن يعني الذي

انكروه

انكروه هو الذي علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن بعني علم محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده تفخيما لعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه اعظم وحي الله الى انبيائه واشرف منزلة لانبيائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو مسنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية خلق الانسان يعني ادم عليه السلام قاله ابن عباس رضي الله عنهما علمه البيان يعني اسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم يتكلم بسبعماية لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان اي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام يعني عرفه ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان انه كان صلى الله عليه وسلم ينبي عن خبر الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وقيل يعني بهما يحسب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الملك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكواكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة سماويين والسماء رفعها اي فوق الارض ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله ان لا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الآلة التي يوزن بها ليصل به الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لا تطغوا في الميزان ليلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحد في الميزان واقيموا الوزن بالقسط

اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب
ولا تخسروا ولا تنقصوا الميزان ولا تطغوا في الكيل والوزن امرا بالتسوية ونهي عن
الطغيان الذي هو اعتداد او زيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر
لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتثنية للام باسنادها والحث عليه والارض
وضعها اي خفضها ممدوحة على الماء للانام اي للخلق الذي يتمم بها وعلى
كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانسان والجن فهي كالمهاد لم يتصرفوا فوقها
اي في الارض فاكهة اي من انواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به من النوم التي لا تجتبى
والنخل ذات الاكمام يعني الاوعية التي يكون فيها الثمرات ثم النخل يكون في
غلاف وهو الطلع ما لم يتشقق وكل شيء ستر شيئا فهو كم وقيل اكمامها ليفها
واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانها اعظمها واكثرها بركة والحب
يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب
على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن
ذو العصف قال ابن عباس يعني التبن ونحوه والريحان الورق الزرع الاخضر اذا
قطع رؤوسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف ورق كل شيء يجز
منه الحب بيدا واولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله عز وجل
فيه احكاما ثم يحدث في الاحكام الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس
كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف
التبن والريحان ثمرته فذكرت قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس
والجن فقال تعالى فبأي الاء ربكما تكذبان يعني ايها الثقلان يريد بهذه
الاشياء المذكورة وكرر هذه الاية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا
تقرير النعمة وتاكيدا في التذكير مما عدد على الخلق الاوه وفصل بين كل
نعتين بما يبنههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن
اليه وتابعه عليه بالاياد ي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر
هذا الم تكن عريانا فكسيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فنوهت بك افتنكر هذا
ومثل هذا الكلام سائغ في كلام العرب حسن تقريرا وذلك ان الله تعالى ذكر

في هذه السورة ما يدل على وجدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق
الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن
فقال فبأي الاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن
من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن
منكم ردا فيه ولا بشيء قوله تعالى خلق الانسان من صلصال يعني من طين
يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار
وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي
اراد هنا فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقيل
من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارة
اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا
لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار
صلصالا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل هو ابليس من مارج
من نار يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط
بعضه ببعض من الوان الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا وقدت
فبأي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع
الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس ورب المغربين يعني مغرب
الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس وحسون القمر ومغرب الشمس
ومغرب القمر فبأي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين يعني ارسل البحرين العذب
والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين المائين لان من شأنهما الاختلاط وهو
قوله يلتقيان لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله بينهما برزخ
اي حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل
لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالعذوبة وقيل مرج البحرين

يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ
يعني الجزاير وقيل بحر السما وبحر الارض يلتقيان كل عام فباي الاء ربكما تكذبان يخرج
منهما قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله تعالى وجعل القمر فيهن
نورا وقيل اراد يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران صارا
كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر والا يخرج من جميع
البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من السما والبحر قيل اذا مطرت السما فتحت
الاصداف افواهها فحيث ما وقعت قطرة كانت لولوة على قدر القطرة وقوله
اللولو قيل ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل
المرجان هو الخرز الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان وله الجواري يعني السفن الكبار
المنشات اي المرفوعات وهي التي توقع خشبها بعضه على بعض وقيل هي مارفع
قلعها من السفن اما ما لم يرفع قلعها فليس من المنشات وقيل المنشات المحدثات
المخلوقات المسخرات في البحر كالاعلام اي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
منه السفن في البحر كالجبال في البر فباي الاء ربكما تكذبان قوله عز وجل كل من
عليها اي على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظ من تغليبا للعقلا فان اي هالك
لان وجود الانسان في الدنيا عرض فهو عرضة لان وما ليس ببات فهو فان فيه
الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة ويبقى وجه ربك يعني
ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب وجهان احدهما ان مع كل واحد
والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان يكون
الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال اي ذو العظمة والكبريا
ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه والاكرام اي المكرم لانبيايه
واوليايه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته فباي الاء ربكما
تكذبان عن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا
بيا ذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي قال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى
الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها قوله تعالى يسئله من في السموات والارض
يعني من ملك وانس وجن ولا يستغني عن فضله اهل السموات والارض قال

الى

ابن عباس فاهل السموات يسالونه المغفرة واهل الارض يسالونه الرزق والمغفرة
وقيل كل احد يسئله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه او دنياه وفيه اشارة الى
كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز الى تحصيل ما يحتاج
اليه مفتقر الى الله تعالى كل يوم هو في شان قيل تولت رد اعلى اليهود حيث قالوا
ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت قال المفسرون من شانه ان يحيي ويميت
ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا
ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا الا ما يحصى من افعاله
واحدا ثم في خلقه ما يشا سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا وقلمه نور
حمرا قلمه نور وكتابه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة
يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا فذلك قوله تعالى كل يوم
هو في شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله عز وجل يومان احدهما
مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة والشان الذي هو فيه في اليوم الذي هو
مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع والشان
يوم القيامة الجزا والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق
المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو
كائن فاذا جاذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال
ابو اسليمان الداراني في هذه الاية له في كل يوم الى العبيد برجديد وقيل
شانه تعالى ان يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الاباء الى
ارحام الامهات وعسكرا من ارحام الامهات الى الدنيا وعسكرا من الدنيا
الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان سنفرغ
لكم ايها الثقلان قيل هو وعد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو تفرغ عن شغل
لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فهو كقول القايل لمن يريد تهديده لا تفرغن
لك وما بي شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان
وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والاهمال ونا خذ في امركم فهو كقول القايل

الذي لا مثل له قد فرغت الي وقيل معناه ان الله عز وجل وعد اهل التقوى واوعد
اهل الفجور فقال سنفرغ لكم ما وعدناكم واخبرناكم فيحاسبكم ويجازيكم وننجز لكم ما
ما وعدناكم فتم ذلك وتفرغ منه فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن
سميا ثقلين لانهما ثقل على الارض احياء واموتا وقيل كل شيء له قدر ووزن
يسمى ثقلا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين كتاب
الله تعالى وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق
سميا الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب فبأي الاء ربكما تكذبان يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا اي تخرجوا من اقطار السموات والارض اي
من جوانبها واطرافها فانفذوا اي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من
الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها لحيث ما كنتم
يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا
من اقطار السموات والارض فتخرجوا دون امري وقضائي حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه
ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سماي وارضي
فافعلوا وتقدم الجن على الانس في هذه الاية لانهم اقدر على النفوذ والهرب
من الانس واقوى على ذلك ثم قال الله تعالى لا تنفذون الا بسلطان يعني لا تقدرون
الا بقوة وقهر وغلبة وابى لكم ذلك لانكم حيث ما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني
وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا
ولن تعلموه فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اي بينة من الله تعالى فبأي الاء
ربكما تكذبان وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الاية
وذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار قال اكثر المفسرين هو اللهب
الذي لا دخان فيه وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار ونحاس قيل
هو الدخان وفي رواية عن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم
وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل
يرسل عليهم هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج

احد ما

احدهما بالاخر فلا تنتصران اي فلا يمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه فبأي
الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة وقيل
المراد خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر في
هذه الاية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم الامر لان فيه اشارة
الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها
وهو قوله تعالى فكانت وردة كالدهان جمع دهن مثل تلوين السماء عند انشقاقها
بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي الى الحمرة وقيل ان السماء تلون يومئذ
الوانا كلون الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وفي اول الشتاء احمر فاذا اشتد
البرد صار اغبر فشبه السماء بتلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه
وقيل كالدهان اي كعصير الزيت وقيل لانه يتلون في الساعة الواحدة وقيل
تغير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان
اي بالاديم الاحمر فبأي الاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
قيل لا يسألون عن ذنوبهم ليعلم من جهتهم ان الله تعالى علم منهم وكتب
الحفظة عليهم وهذا رواية عن ابن عباس وعنه لاشتغال الملائكة بالجرمين
لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس ايضا في الجمع بين هذه الاية
وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم
بذلك منكم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسأل في بعضها
ولا يسأل في بعضها وعن ابن عباس ايضا قال لا يسألون سؤال استفهام ورحمة
انما يسألون سؤال توبيخ وتوبيخ وقيل لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم
فبأي الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني بسواد وجوههم وزرقة
عيونهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام وقيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي
من خلف ظهوره وقيل تجعل ركبهم على وجوههم في اصابع ارجلهم
مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون في النار
فبأي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يعني المشركين يطوفون
بينها وبين حميم ان يعني قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم

فاذا استقروا من النار جعل عذابهم الحر الان الذي صار كالمهل وقال كعب الاحبار
الان واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغوصون
فيه حتى تتقطع اوصالهم فيخرجون منه وقد احدث الله تعالى لهم خلقا جديدا
فيلقون كذلك فوله يطوفون بينها وبين حميم ان فباي الاء ربكما تكذبان قال
قلت هذه الامور المذكورة في هذه الايات من قوله كل من عليها فان الى هنا
ليست تكليفا فكيف قال في هذه الايات فباي الاء ربكما تكذبان قلت هذه الامور
المذكورة في هذه الاية زواجر ومواعظ وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها
تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما لحسن ختم كل اية منها بقوله تعالى فبأي
الاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعد الله لمن اتقاه وخافه من عباده المومنين فقال
عز من قائل ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه فترك الشهوة
والمعصية وقيل فيما مر به عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية
فيذكر الله تعالى واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله تعالى وقيل لمن راقب
الله تعالى في السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشية الله تعالى
وما عمل من خير اخلصه لله تعالى ولا يحب ان يطلع عليه احد قيل ان المومنين
خافوا ذلك المقام فملوا الله مع الاخلاص وداوموا الليل والنهار جنتان يعني
جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه مشتهاه عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ
المنزل الا ان سلعة الله عالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي
قوله ادلج الادلاج محققا سيرا اول الليل ومثقلا سيرا اخر الليل والمراد من
الادلاج التشمير والجهد والاجتهاد في اول الامر فان من سار في اول الليل كان
جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن ابي الدرداء انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان
قلت وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فعلت الثالثة وان زنا وان سرق
يا رسول الله قال وان زنا وان سرق على رغم انف ابي ذر فبأي الاء ربكما تكذبان

ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا افنان اي اغصان واحدها افنن وهو الغصن
المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس
ذواتا الوان يعني الوان الفواكه وجمع عطايين الغوليين فقال في كل غصن فنون
من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على سواهما فبأي الاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان
بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير
اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين فبأي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان اي عصنان ونوعان وقيل معناه ان بينهما من كل ما يتفكه به صنفين
رطبا ويابسا وقال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة
حتى الحنظل الا انه حلو فبأي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش جمع فراش يطاء
جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة من استبرق وهي ما غلظ من
الديباج قال ابن مسعود وابي هريرة هذه البطانة فما ظنكم بالظهارة قيل لسعيد
بن جبير البطانة من استبرق فما الظهارة قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطانها من استبرق وظواهرها من
نور حامد وقال ابن عباس وصف البطانة وترك الظهارة لانه ليس في الارض
احد يعرف ما الظهارة وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم
وهذا مما يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر بطانها من الاستبرق
ولابد ان تكون الظهارة خيرا من البطانة فهو مما لا يعلمه البشر وجنى الجنتين
دان يعني ان ثمرها قريب ينالها القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا
فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس قد نزلوا الثمرة حتى يجتنيها ولي الله
ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا ترد ايديهم عنها بعد ولا شوك فبأي الاء
ربكما تكذبان فان قلت الضمير في ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما
جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس فاصرات الطرف
اي عاضات الاعين قصرت طرفهن الا على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم
ولا يرون سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما اري في الجنة شيئا

احسن منك والحمد لله الذي خلقك ر وجي وجبلني ر وجتاك لم يطمثهن اي يجامعهن
ولم يفترعهن والمعنى لا يذممن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول العرب راوف خرجن
اي لم يطمثهن قبلي وهن اصح من بيض النعام اي لم يمسهن والمعنى لم يطاهن ولم يفتضهن
انس قبلهم اي قبل ازواجهن من اهل الجنة ولا جان وقيل انما نفى الجن لان لهم ازواجا
في الجنة منهم وفي الاية دليل ان الجن يفشي كما يفشي الانسي وسئل ضمرة بن حبيب
هل للجن ثواب فقال نعم وقرا هذه الاية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال
مجاهد في هذه الاية اذا جامع ولم يسم يطوي الجني على احليله يجامع معه واختلف
في هولاء اللواتي لم يطمثهن فقيل هن الحور لانهن خلقن فلم يمسهن احد قبل ازواجهن
وقيل هن من نساء الدنيا انشئن خلقا اخر ابكارا ومنهم لم يمسهن منذ نشئن
خلقا اخر احد وقيل هن الادميات اللاتي متن ابكارا ومعنى الاية المبالغة في
نفي الطمث عنهن ان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يطمثهن احد غيره بباي
الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اراد صفا الياقوت في بياض المرجان
وهو صغار اللؤلؤ واشتده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة
الياقوت ان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة والاصح ان شبههن بالياقوت
لصفايه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من ظاهره
لصفايه وقال عمرو ابن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة
فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء له
يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان المراة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى
يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من وراءه اخرجه الترمذي
قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم
على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب
دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون امشاطهم

الذهب

الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة وروشحهم المسك ولكل
واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن والجمال اختلافا ويتنهم
ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم على
قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يستمون تولد مجامرهم الالوة يعني بخورهم
العود فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي ما جزاء من احسن
في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله
وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناده الثعلبي
عن انس ابن مالك قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا
الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول
هل جزاء الاحسان من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنته جنتي م
وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الاية هل جزاء من اتى بالفعل الحسن
الا ان يوتى مقابلته بفعل حسن وفي الاشارة الى رفع التكليف في الاخرة وتركه
العبد لا يستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف
فباي الاء ربكما تكذبان قوله عز وجل ومن دونهما جنتان اي من دون الجنتين
الاولتين اخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل
وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من
فضة للتابعين وقال ابن جرير هن اربع جنات جنتان للمقربين السابقين
وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين بهما ألهم وحل ورماث ق عن ابي
موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة م
انيتهما وما فيهما وما بين القوم وما بين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على
وجهه في جنة عدن وقال الكلبي ومن دونهما جنتان بعيني اما مهما وقبلتهما
يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان
من ياقوتة ورزبرجد وهما افضل من الاوليين فباي الاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين
فقال تعالى مدهامتان اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما الى
الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان

اي فواره قائمة بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة
وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله تعالى وقال انس ابن
مالك ينضخان بالمسك والعنبر وفي رواية اهل الجنة كطش المطر فبأي الاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان يعني فيهما من انواع الفواكه كلها وانما فضل النخل والرمان
بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلها وشرفها على سائر الفواكه وعلى
هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فضلها بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فضلهما
وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من
الفاكهة فان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه
ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه
صاحباه وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي بسنده
عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكرمها ذهب
احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها امثال القلال والدلا اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل والبن من الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة
من رمان اهل الجنة كجلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها
كالقلال كلما نزعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنى عشر ذراعا فبأي
الاء ربكما تكذبان فيهن اي في الجنان الاربع حيرات حسان روي عن ام
سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله تعالى في خيرات
حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه فبأي الاء ربكما تكذبان حور
مقصورات اي محدرات مستورات لكرامتهن وشرفهن وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض
لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا
وما فيها وقال ابن عمران ادنى اهل الجنة منزلة من يجد معه الف حادم
كل واحد على عمل ما عليه الآخر وروي ان سوق اهل الجنة ينبه يجتمع الحور
العين فمن اشتهى زيادة باحذ ما شاء وقيل قصرطرفهن وانفسهن على

ازواجهن

ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا في الخبام قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون
الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالتمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل
وخيم بها اقام بها وتظلل بفنائها وقيل هي خيام من درلولو وزبرجد مجوف تعانق
البه القصور في الجنة عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا
فبأي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان تقدم تفسيره فبأي
الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر محدقة
وبه روي هذا عن ابن عباس وقيل الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف
فضول المحاسن والبسط منه وقيل هو محاسن خضر فوق العرش وقيل هي
المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف وعبقري
حسان قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس المحملة الى الروقة
ماهي وقيل كل ثوب موشي عند العرب عبقري وقال الخليل كل جليل لقيس
فاخر من الرجال او عبيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في عمر لم ار عبقريا يفري فريه واصله هذا فيما قيل انه ينسب الى عبقر
وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل شيء رفيع منسوب الى شيء عجيب
وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل امر عجيب
ولما كان عبقر معدنا لكل شيء عجيب نسبوا اليها كل شيء عجيب بليغ فبأي الاء ربكما
تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قيل لما ختم نعيم الدنيا بقوله ويبقى وجه
ربك ذي الجلال والاكرام وبه اشارة الى الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية
ختم نعم الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تحميده وتمجيده م عن ثوبان قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال
اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول
اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود

والنسائي عن ابن مسعود قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الواقعة مكية

وهي تسع وتسعون اية وثلاثمائة وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي ظبية عن عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا اخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يقره

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وقيل اذا انزلت صيحت القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالازفة ليس لوقعتها اي لمجيئها كاذبة اي ليس لها كاذب والمعنى انها تقع صدقا حقا وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اي كل ما اخبر الله عنها وقع من غيرها نفس صادقة عن غيرها كاذبة لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها خافضة رافعة اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة اذا رجت الارض رجا اي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله تعالى اذا اراد ان يحيي بها اضطربت قرقا وخوفا قال المفسرون ترجف كما يرجف الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها ويتكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت متماسكة وقيل معناه قلعت من اصلها وصيرت على وجه الارض حتى ذهب بها فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخلت الكوة وهو الهبا وكنتم ازواجا اي اصنافا ثلاثة ثم فسر الازواج فقال تعالى فاصحاب الميمنة يعني اصحاب اليمن والميمنة ناحية اليمن وهو الذي يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا يامنين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في

طاعة

طاعة الله تعالى وهم التابعون باحسان ما اصحاب الميمنة يعني ما حالهم في السعادة والمعنى اي منتهى هم واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة يعني اصحاب الشمال وهم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس كانوا على شمال ادم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى والسابقون السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعي الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما المحسن فيزداد رغبة في الثواب واما المسيء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يجر نفعهم الفرع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى اولئك هم المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه وداركرامته وموقوله تعالى في جنات النعيم قوله تعالى ثلة اي جماعة غير محصورة العدة من الاولين اي من الامم الماضية من لدن ادم الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سبقوا المهاجرين والانصار وقليل من الاخرين اي ممن اتى بعدهم جاءوا بعدهم من الصحابة على سرر موضونة اي منسوجة بالذهب والجوهر وقيل موضونة

يعني مصفوفة متكئين عليها اي علي السرر متقابلين يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض
وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا اخوانا على سرر متقابلة صافية ليس
لهم ادبار وظهور ويطوف عليهم اي للخدمة ولدان اي غلمان مخلدون
لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الي حالة وقيل مخلدون
مقرطون والخلد المقرط وهو الحلقة تعلق في الاذان واختلفوا في هؤلاء الولدان
فقيل هم اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وقيه ضعف لان الله تعالي اخبر ان
يلحقهم بابائهم ولان من المومنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة
بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وقيل هذا القول
اقرب من الاول لانه قد اختلف في اولاد المشركين علي ثلاثة مذاهب فقال
الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم وتوقف فيه طائفة والمذهب الثالث وهو
الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس
هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا
سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة
والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله تعالي انهم ولدان خلقوا في الجنة
لخدمة اهل الجنة كالحور العين وان لم يولدوا ولم يخلصوا عن ولادة اطلق عليهم
اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليد ما لم يحتلم والامة وليدة وان اشتق
باكواب جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا اذان لها ولا عري واباريق
جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعري سميت اباريق لبروق لونها من الصفا
وقيل لانها يبري باطنها كما يبري ظاهرها وكاس من معين اي من خمر جارية
لا يصدعون عنها اي لا تصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس
وقيل لا يتفرقون عنها ولا ينزفون اي لا يغلب علي عقولهم ولا يسكرون
منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم وفاكهة مما يتخيرون
اي ياخذون خيارها ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر علي قلبه لحم
الطير فيصير ممثلا بين يديه علي ما اشتهي وقيل انه يقع علي صحفة الرجل فياكل
منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتها

بلاغة

بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القران بلاغة وفصاحة
والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجايع تميل نفسه الي اللحم واذا حضرا
عند الشبعان تميل نفسه الي الفاكهة فالجايع مشتهي والشبعان غير مشتهي بل
هو مختار واهل الجنة انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الي الفاكهة اكثر فيتخيرونها
ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه علي
ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادني ميل وحور عين اي يطوف عليهم ولهم حور
عين وجا تفسير حور اي بيض عين اي ضخام العيون كامثال اللولو المكنون اي
المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوي
فيكون في نهاية الصفا وروي انه سطع نور في الجنة فتقبل ما هذا فقيل صوت تفرحوا
ضحكت وروي ان الحور اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل في ساقها وتمجيد
الاسورة من ساعدها وان عمة الياقوت يضحك من نحرها وفي رجلها نعلان
من ذهب شراكهما من لولو يصران بالتسبيح جزاء بما كانوا يعملون اي فعلنا ذلك
بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا لا يسمعون فيها اي في الجنة لغوا قيل
اللغو ما يرغب عنه من الكلام وينبغي ان يلغي وقيل هو القبيح من القول والمعني
ليس فيها لغو فيسمع ولا تاثيما قيل الا بمعناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت لانهم
لا يتكلمون بما فيه اثم كما تتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا ياثمون قائلها اي ما هو سبب
التاثيم من قول او فعل قبيح الا قيلا مثله لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا سلاما
سلاما يعني يسلم بعضهم علي بعض وقيل تسلم الملايكة عليهم او يرسل الرب
بالسلام اليهم وقيل ان قولهم يسلم من الاثم ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من
شانهم فقال تعالي واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين لما بين حال السابقين
شرع في بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالي في سدر مخضود اي لا شوك
فيه كانك خضد شوكه اي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وقيل هو
الموقر حملا وقيل ثمرها اعظم من النخل وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الي
نبق ثقيف وادٍ مخصب بالطايف فاعجبهم سدره فقالوا ليست لنا مثل هذا فانزل
الله تعالي هذه الاية وطلح قيل هو الموز عن اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل

بارد رطب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك وثمر طيب الرائحة نحو طبرا وعدوا
بمثل ما يحبون ويصرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا منضود
اي متراكم قد نضد بالحمل من اوله الى اخره ليست سوق بارزة بل عروقه الى اعصانه
ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في خلق كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوها بل كلها
ماكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وظل ممدود اي لا يم لا تنسخه الشمس
كظل اهل السماء ذلك ان الجنة ظل كلها لا تشمس فيها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال
شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيجدون في اصلها فيشتهي بعضهم
لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا
وما مسكوب اي مصبوب يجري دائما في غير اخدود ولا ينقطع وفاكهة كثيرة
لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمنع من احد اذا اراد
اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في
الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يخطر عليها كما يخطر على بساتين الدنيا
وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا بدل الله عز وجل مكانها اضعافين
وفرش مرفوعة قال علي مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي
مرفوعة عالية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش
مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما مسيرة خمسمائة عام
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم
معنى هذا الحديث وارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة
في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل اراد بالفرش
النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون
معنى مرفوعة اي رفيعة من بالجمال والفضل على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل
قوله في عقبه انا انشأناهن انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس
يعني الادميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا اخر

فجعلناهن

فجعلناهن ابكارا يعني عذارا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا انشأناهن انشاء قال من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز رمصا رمصا خرجه
الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده
عن الحسن قال اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع
الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي
قال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاء
فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل اي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا
رمصا رمصا فجعلهن ابكارا قال ابن المسيب بن شريك عن عجائز الدنيا انشأهن
الله تعالى خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن
على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل من الحور العين انشأهن الله لم يقع
عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذاريا وليس هناك وجع عربا جمع عروب
وهي المتحببة الى زوجها قال ابن عباس في رواية عنه وعنه انها الملفة وقيل
الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام اترابا يعني امثالا
في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين
عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة
جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين وثلاثة وثلاثين سنة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب لاصحاب اليمين يعني انشأناهن لاصحاب اليمين
وقيل هذا الذي ذكرناه لاصحاب اليمين ثلة من الاولين يعني من المؤمنين
الذين هم قبل هذه الامة وثلة من الآخرين يعني من مؤمني هذه الامة يدل عليه
ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما انزل الله عز وجل
على رسوله الله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر
فقال يا نبي الله امنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقناه ومن ينجو
منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمر فقال انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا

وصدقنا نبينا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من ادم الينا ثلثة ومشي الي القيامة
ثلثة ولا يستثنيها الا سواد من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله ف عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عرضت علي الامم فرايت النبي صلي الله
عليه وسلم ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ ا
رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسي وقومه ولكن انظر الي
الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الي الافق الاخر فاذا سواد عظيم فقيل
لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب
ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب
ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشيا
فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال
هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلي ربهم يتوكلون فقام عكاشة
بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام رجل اخر فقال
ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط بضم الراء وهط وهم
دون العشرة وقيل الاربعين ش عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع
اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي
نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها
الا نفس مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود او كالشعرة
السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال
اهل الجنة عشرون وماية صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر
الامم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الي ان الثلثين
جميعا من هذه الامة وهو قول ابو العالية ومجاهد وعطا وابن ابي رباح
والضحاك قال ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين
من هذه الامة ايضا في اخر الزمان يدل علي ذلك ما روي البغوي

باسناد

باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم هما جميعا من امتي وهذا القول اختيار الزجاج قال معنا ه
جماعة ممن اتبع النبي صلي الله عليه وسلم وامن به وعاينه وجماعة ممن امن به وكان
بعده ولم يعاينه فان قلت تكون ثلة الاولي وقليل من الاخرين وقال في
هذه الاية وثلة من الاخرين قلت الاية الاولي في السابقين الاولين وقليل من
يلحق بهم من الاخرين وهذه الاية في اصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين
والاخرين وحكي عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولي واستدل بحديث
عن عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الاخبار خبر والخبر
لا يدخله النسخ واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال قد تقدم انه بمعني التعجب
من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمايلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم
من العذاب فقال تعالي في سموم اي في اخر النار وقيل في ريح شديدة الحرارة
وحميم اي ماء حار يغلي وظل من يحموم يعني في ظل من دخان شديد السواد
قيل انه النار سودا واهلها سود وكل شئ فيها اسود وقيل اليحموم اسم من
اسما النار لا بارد ولا كريم يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فايدة
الظل ترجع الي امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه
مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين
بما استحقوا ذلك فقال تعالي انهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا مترفين يعني
منعمين وكانوا يصرون علي الحنث العظيم يعني الذنب الكبير وهو الشرك وقيل
الحنث العظيم اليمين الفاجرة وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك
يدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالي وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ايئنا لمبعوثون او اباونا الاولون فرد الله تعالي عليهم بقوله عز وجل قل ان الاولين
والاخرين يعني الاباء والابنا لمجموعون الي ميقات يوم معلوم يعني انهم يجمعون
ويحشرون ليوم الحساب ثم انكم ايها الضالون اي عن الهدي المكذبون اي بالبعث
والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام في كل ضال مكذب لاكلون من شجر من زقوم
تقدم تفسيره فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون

شرب الهيم يعني الابل العطاش قبل ان الهيام ما يصيب الابل فلا ترويء معه ولا تزال تشرب حتي تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا ترويء قيل يلقي علي اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اي رزقهم وعذابهم وما اعد لهم يوم الدين يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالي نحن خلقناكم يعني ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك فلولا اي فهلا تصدقون يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل افرايتم ما تمنون اي ما تصبون في الارحام من النطف ءانتم تخلقونه اي ءانتم تخلقون ما تمنون بشرا مر نحن الخالقون اي انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم لا تعبدون انه واحد قادر علي ان يعيدكم كما انشاكم احتج عليهم في البعث بالقدرة علي ابتداء الخلق نحن قدرنا بينكم الموت يعني الاجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الاجال الغريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء يشتركون فيهم وضيعهم فعلي هذا القول يكون معني قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين يعني لا يفوتني شيء اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما نحن بعاجزين عن اهلاككم وابداكم بامثالكم وهو قوله تعالي علي ان نبدل امثالكم اي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في اسرع حين ونشئكم اي نخلقكم فيما لا تعلمون اي من الصور والمعني نغير خلقتكم الي ما هو اسمج منها من خلق شيئا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم ان اردنا ان نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طير سود لها خطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل علي المسخ وعلي انه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بني ادم قدر ولو شاء ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعاني هذا يدل علي النشاة الثانية بكونها الله تعالي وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا النشاة الاولي من جهة التناسل ويكون التقدير علي هذا وما نحن بمسبوقين علي ان نفنيكم وقت لا تعلمون بميتي وقت البعث والقيمة وفيه فائدة وهو التحريض علي العمل الصالح لان التبديل والانشاء والموت

والبعث

والبعث فاذا كان ذلك واقعا في الازمان لا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان علي طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ولقد علمتم النشاة الاولي اي الخلقة الاولي ولم تكونوا شيأ وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيامة فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون فتعلمون ان من قدر علي اعادتكم كما قدرت علي بديكم اول مرة قوله تعالي افرايتم ما تحرثون لما ذكر الله عز وجل ابتداء الخلق وما فيه من دلايل الوحدانية ذكر بعده الرزق الذي به البقاء وذكر امورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به اصلاح المأكول والمشروب وزينته ترتيبا حسنا فذكر المأكول اولا لانه هو الغذاء وابتدء المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من انواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصطلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية قوله افرايتم ما تحرثون اي تثيرون من الارض وتلقون فيها البذر ءانتم تزرعونه اي تنبتونه وتنشؤنه حتي يشتد ويقوم علي سوقه امر نحن الزارعون م معناه الم تعلم ذلك ام الله عز وجل ولا شك ان في ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالي وان كان الغالب البذر من فعل الناس لو نشاء لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه من البذر حطاما اي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل وقيل هو جواب لما ماذا يقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعا لا يفعلونه ولا يفعل غيرنا فرد الله تعالي علي هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهلا تقدرون انتم علي حفظه او هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الافات التي تصيبه ولا يشك احد في ان دفع الافات ليست الا بالله تعالي وحفظه فظلتم تفكهون اي تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون علي نفقاتكم وقيل تندمون علي ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تفكهن علي ما فات انا لمغرمون اي ويقولون انا لمغرمون فحذف القول ومعني المغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه المولع بنا وقال ابن عباس لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فايدة والمعني انا غرمنا الذي بذرناه وذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون والمعني احرمنا الذي كنا نطلبه من الربح في الزرع

افرايتم الماء الذي تشربون انتم انزلتموه من المزن امر نحن المنزلون ذكرهم
الله تعالى فيه عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه الا الله عز وجل ولو شاء جعلناه
اجاجا قال ابن عباس متتابعا والملوحة وقيل مرا يمكن شربه فلولا تشكرون
يعني فهلا عليكم افرايتم النار التي تورون يعني تقدحون من الزند انتم انشاتم شجرتها
يعني التي يقدح منها النار وهي المرخ والعفار شجرتان يقدح منهما النار وهما
سلطان وقيل اراد جميع الشجر الذي يوقد به النار امر نحن المنشئون نحن جعلناها
يعني نار الدنيا تذكرة اي للنار الكبرى فانا راي الراي هذه النار ذكرى بها
نار جهنم يخوف الله عز وجل ويحذر عقابه وقيل موعظة ينتفظ بها المؤمن
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار كم التي توقدون
جزء من سبعين جزء من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال
فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزء اكلها مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة
للمقوين يعني المسافرين والموفي النازل في الارض القوي وهي القفر الخالية
البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل الوادي والسفار فان منفعتهم
اكثر من المقيم فالمقيم يوقد بها بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال الى غير
ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل للمقوين المستمتعين بها في
الظلمة ويصطلون بها من البرد ويستضيئون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك
من المنافع وقيل المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال
ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء
جميعا لا غنى لاحد عنها فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته
وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان يكون خطابا لكل مولود من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اي نزه
الله ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى
فسبح باسم ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه فاقسم
ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها وفي معناها وجهان احدهما انها ترجع
الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا واما ذكرته من

النجم

النجم والحجج الوجه الثاني ان لا رد لقول الكفار في القرآن من انه شعر وسحر
وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم فقال اقسم والمعنى والله لصحة
قول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفي فهو كقول القائل لا نسأل عما جرى وهو
يريد تعظيم الامر لا النهي عن السؤال بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القرآن
فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب
النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها يوم القيامة وقيل م
مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا
يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم
لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون فاعلموا
عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم
انه لقرآن كريم اي ان الكتاب الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآن
كريم اي عزيز مكرم لانه كلام الله عز وجل ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم
وقيل الكريم الذي من شانه ان يعطي الكثير وسمي القرآن كريما لانه يفيد
الدلايل التي تؤدي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن
كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به
ويأخذ منه والحكيم يشهد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل
عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمي كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير
وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا
يسأم السامعون ويمجون في الاعين وتمله الاذان والقرآن كريم عزيز لا يمجون
بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة
بل هو غض طري يبقى ابد الدهر كذلك في كتاب مكنون اي مصون مستور
عند الله في اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب
المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول
الاول اصح لا يمسه اي ذلك الكتاب المكنون الا المطهرون وهي الملايكة الموصوفون
بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس

واس وهو قول سعيد بن جبير وابي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اي من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القران قال القرا لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقدره الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا الحايض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطا وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال والشافعي واكثر الفقها يدل عليه ما روي مالك في الموطا عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القران الا طاهر اخرجه مالك مرسلا وقد جا موصولا عن ابي بكر بن عمرو ابن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروي الدارقطني بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القران الا طاهر والمراد بالقران المصحف سماه قرانا على قرب الجوار والاتساع كل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحاكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون هم الملايكة ولو كان مراده في الحديث لقال لا يمسه الا المطهرون من المطهرين فكيف يصح قول الشافعي لا يجوز للمحدث مس المصحف قلت من قال الشافعي احد في صريح الاية حملت على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال نفي المس بغير طهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع اسنتها نه وهذا الايلتبق بما نشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله تعالى اعلم وقوله تنزيل من رب العالمين صفة للقران

اي

اي القران منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع الكلام المعدور قدر المخلوق خلق وفيه رد على من قال بان القران شعر وسحر او كهانة فقال الله تعالى بل القران تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل افبهذا الحديث يعني القران انتم يا اهل مكة مدهنون قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والداهن الكذاب والمنافق وهو الجري في الباطل على خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم من القران انكم تكذبون قال الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقا بالانوا وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوكذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله ونعمه وكذب بما جا به القران والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب ق عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مومن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوكذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكواكب رواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون م عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون من الكواكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مكرنا بنوكذا وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله على اثر سما اي اثر مطر والنوا الكوكب يقال نا النجم ينوا اذا سقط وغاب وقيل نا اذا انحط وطلع واختلف العلما في معنى

الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله سبحانه وتعالى سالب
لاصل الايمان يخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل
مدبر مختص للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم ممن اعتقد هذا لا شك في كفره وهذا
القول الذي ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال
مطرنا بنوء كذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله تعالى ورحمته وان النوء مجانات له
ومراده ان المطر نازل وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى
بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض في
الافق سبع ليال وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى عيث الناس وانما اراد
عمر كم بقي من الوقت الذي اذا جرت العادة انه اذا تم اتى الله تعالى بالمطر فهذا جايز
لا كراهة فيه واختلفوا في كراهية هذا والاظهر انها كراهة تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم
وسبب هذه الكراهة انها كلمة متردد بين الكفر وغيره ويسبق الظن بقائلها
ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في تاويل اصل
الحديث اذ المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتضاء ه على اضافة الغيث الى الكوكب
وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤكد هذا التاويل حديث ابي هريرة
ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح مومن بها كافرين فتوله بما يدل على
انه كافر بالنعمة والله تعالى اعلم قوله تعالى فلولا اي فهلا اذا بلغت الحلقوم
اي النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت وانتم ياايها الميت حينيذ تنظرون
يعني الى الميت حتى تخرج نفسه وقيل تنظرون الي امري وسلطاني لا يمكنكم
الدفع ولا تملكون شيا ونحن اقرب اليه منكم اي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل
ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم ولكن لا تبصرون اي
الذي حضروه من الملايكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون ذلك
فلولا ان كنتم غير مدينين اي مملوكين وقيل بحاسبين ومجزيين ترجعونها
ان كنتم صادقين اي ترد روح نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم
فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين
بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث

ولا حساب ولا اله يجازي فهلا ترددون نفس من بلغ عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا
لم يمكنهم ذلك فاعلموا ان الامر الي غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر طبقات
الخلق وبين درجاتهم فقال تعالى فاما ان كان من المقربين يعني السابقين
فروح اي فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة وريحان اي وله
استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق
احد من المقربين الدنيا حتى يوتى بقضبان من ريحان الجنة فيشمه فتقبض
روحه وجنة نعيم اي وله جنة نعيم يعني اليها في الاخرة قال ابو بكر الوراق
الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار واما ان كان يعني
المتوفي من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي تسلمة لك يا محمد
منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من سلام الله وانك ترى فيهم ما تحب
من السلامة وقيل معناه ان الله تعالى يتجاوز عن سيياتهم ويتقبل حسناتهم وقيل
سلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين واما
ان كان من المكذبين اي بالبعث الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال
فنزل من حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم اي وادخال نار عظيمة
ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين لهو حق اليقين اي لا شك فيه وقيل
ان هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله
تعالى لاوليايه من النعيم وما اعد الله تعالى لاعدايه من العذاب الاليم وما ذكر
مما يدل على وحدانيته يقينا لا شك فيه فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه ربك
العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره عن عقبة بن
عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود
عن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي
سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على اية رحمة الا وقف وسال وما اتى على
اية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة

في الجنة ثم عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام
الي الله تعالي سبحان الله وبحمده ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم كلمتان خفيفتان علي اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الي
الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخرجه البخاري والله
سبحانه وتعالي اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحديد مدنية

وهي تسع وعشرون اية وخمسمائة واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة
واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله
ما في السموات والارض يعني كل ذي روح وغيره يسبح لله تعالي فتسبيح العقلاء
تنزيه الله تعالي عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق
وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته علي صانعه فكانه ناطق بتسبيحه
وقيل تسبيحه بالقول بدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي قولهم الحق
ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالي وما سوي
العاقل نفي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل علي تعظيمه وتنزيهه والثاني ان
جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح
المذكور في الاية علي القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم
الملايكة ومسبحون الارض هم المومنون العارفون بالله تعالي وان حملنا التسبيح
علي التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات من شمس وقمر وكوكب وغير ذلك وجميع
ذرات الارض وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة
خاشعة خاضعة لجلال الله تعالي منقادة يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت
قد جاء في بعض فواتح السور بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع فما معناه
قلت فيه اشارة الي كون جميع الاشياء حال ابداعه غير مختص بوقت دون
وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون ابدا مسبحة في المستقبل
وهو العزيز اي الغالب الكامل القدرة لا يمانعه شيء الحكيم اي الذي جميع
افعاله علي وفق الحكمة له ملك السموات والارض اي انه الغني عن جميع خلقه وهم

محتاجون

محتاجون اليه يحيي ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وهو
علي كل شيء قدير قوله تعالي هو الاول والاخر والظاهر والباطن يعني هو الاول
قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجود والاخر بعد فناء كل شيء بلا
انتهاء يعني الاشياء ويبقي هو والظاهر الغالب العالي علي كل شيء والباطن العالم
بكل شيء هذا معني قول ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شيء والاخر ليس بعده
شيء وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقيل لا ابتداء والاخر بوجوده في الابد
وبعد الانتهاء والظاهر بالدلايل الدالة علي وحدانيته والباطن الذي احتجب
عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذي سبق وجوده كل موجود والاخر الذي
يبقي بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر بن الباقلاني معناه انه تعالي الباقي بصفاته
من العلم والقدرة وغيرها التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلايق
وذهاب علومهم وقدرتهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت
المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا
ومعناه انه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل السنة بخلاف ذلك
وان المراد الاخر بصفته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال اخر من بقي منهم بمعني فلان
يراد حياته لا يراد فناء الاجسام موقام وذهابهم بالكلية هذا اخر كلام ابن
الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والاخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر
بحجه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة علي وحدانيته
والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا يستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول
القديم والاخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك
توحيده الاخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة علي ما جنيت والظاهر بتوفيقه
اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت بستره عليك قال الجنيد هو
الاول بشرح القلوب والاخر لغفر الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم
الغيوب وسال عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناه ان علمه بالاول كعلمه بالاخر
وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شيء عليم عن سهل بن ابي صالح قال
كان ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام يضطجع علي شقه الايمن ثم يقول

ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء
فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل شيء انت
اخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة انت اخذ بناصيتها اللهم انت الاول
فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء
وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغنا من الفقر وكان بريد
ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة قال بينا نبي الله
صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا بيكم وبينها خمسمائة
سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق
ذلك العرش وبينه وبين السما بعد ما بين السمائين ثم قال هل تدرون ما الذي
تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي
تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارض اخرى بينهما مسيرة
خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارض خمسمائة سنة ثم قال
والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة لهبط على الله
ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا
الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته
وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه السحاب
اسم للسحاب ومعنى سرايا الارض الحوامل والرفيع اسم للسما وقيل هو اسم
لسما الدنيا قوله عز وجل هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من
من السما وما يعرج فيها تقدم تفسيره وهو معكم اينما كنتم اي بالعلم والقدرة
فليس ينفك احد من تعلق علم الله تعالى وقدرته اي ما كان من ارض
او سما او بحر وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله والله بما تعملون بصير
يدل على صحة القول الاول له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم
تفسيره قوله تعالى امنوا بالله ورسوله لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على
التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويامرهم بالايمان بالله
وبرسوله ويامرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والتنفق في جميع وجوه البر وهو
قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي بيد غيركم فاهلكهم
واعطاكم اياه فكنتم في ذلك المال خلفا عما مضى فالذين اصلوا منكم وانفقوا لهم
اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم يعني واي عذر
لكم في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم
الكتاب الناطق بالبرهان الجلي وقد اخذ ميثاقكم اي اخذ الله ميثاقكم حين
اخرجكم من ظهر ادم عليه الصلاة والسلام بان الله ربكم لا اله الا هو وقيل اخذ
ميثاقكم حين ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعوا
الى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ان كنتم مومنين اي بوما ما لان احدكم
الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات
بينات يعني القرآن ليخرجكم يعني الله تعالى بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة
من الظلمات الى النور اي من ظلمات الشرك الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف
رحيم قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض
يقول اي عذركم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله تعالى وانتم ميتون تاركون
اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله وتستحقون به
الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله والجهاد فقال تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين
وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من انفق ماله وقاتل العدو
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق وقاتل بعد
الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي
ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول

من انفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال عبد الله ابن مسعود
اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبي صلي الله عليه وسلم وابو بكر وروي النسوي
باسناد الثعلبي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلي الله عليه وسلم وعنده
ابو بكر وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال
فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له ارض انت عني في فقرك هذا مرتين
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله عز وجل يقرأ السلام ويقول
لك ارض انت في فقرك هذا مرتين فقال ابو بكر اسخط علي ربي اني علي ربي
راض اني علي ربي راض وكلا وعد الله الحسني يعني الجنة قال عطاء درجات
الجنة متفاضلة فالذين انفقوا قبل الفتح في افضلها والله بما تعملون خبير من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا اي عملا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه
وسمي هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال
بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان يكون المال
من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان
تضرف صدقتك الي الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها
بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله تعالى ولا تباهي بها الناس وان تستحقر
ما تعطي وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك وان لا تركن
عن نفسك قرأ ذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت
قرضا حسنا فيضاعفه له يعني يعطيه اجره علي انفاقه مضاعفا ولاجر كريم
يعني ذلك الاجر كريم في نفسه قوله عز وجل يوم ترى المومنين والمومنات
يعني علي الصراط يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي عن ايمانهم وقيل
اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الي الجنة وقال
قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلي الله عليه وسلم قال من المومنين من يضيء نوره
من المدينة الي عدن وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المومنين من لا يضيء
نوره الي موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يوتون نورهم علي
قدر اعمالهم فمنهم من يرى نوره كالنخلة ومنهم من يرى نوره كالرجل

القائم

القائم واد نائم نورا من نوره علي ابهامه فيطفأ مرة ويقد مرة وقيل في معنى
الاية يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة بشراكم
اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا اي انتظرونا نقتبس من نوركم
اي نستضيء من نوركم قيل يغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي
الله المومنين نورا علي قدر اعمالهم يمشون به علي الصراط ويعطي المنافقين
ايضا نورا خدعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور
المنافقين وذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما
سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المومنين ولا يعطون النور
فاذا سبقهم المومنون بقوا في الظلمة قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا وراءكم قال ابن عباس يقول لهم المومنون وقيل تقول لهم
الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الي الدنيا فاعملوا فيها
اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم فالتمسوا
ايما طلبوا لانفسكم هناك نورا اي لا سبيل لكم الي الاقتباس من نورنا فيرجعون
في طلب النور فلا يجدون شيئا فيصرفون اليهم ليجتمعوا فيميز بينهم وبين
المومنين وهو قوله تعالى فضرب بينهم اي المومنين والمنافقين بسور وهو حايط
بين الجنة والنار له اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة اي في باطن ذلك
السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب اي من قبل ذلك الظاهر
العذاب وهو النار روي عن عبد الله بن عمرو قال ان السور الذي ذكر في
القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من
قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى
باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور
له باب الاية بنادونهم يعني ينادي المنافقون المومنين من وراء ذلك السور
حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم قالوا

بلي ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملوها في المعاصي
والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة وقبل تربصتم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وتلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في نبوته وفيما اوعدكم
به وغرتكم الاماني اي الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمومنين حتى
جاء امر الله يعني الموت وقيل هو القتال وهم في النار وهو قوله تعالى وغركم بالله
الغرور يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم
الله في النار فاليوم لا يوخذ منكم فدية اي عوض بدل بان تفدوا انفسكم من العذاب
وقيل معناه لا يقبل منكم توبة ولا من الذين كفروا يعني المشركين وانما عطف الكفار
على المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر
اظهره فصار غير المنافق محسن عطفه على المنافق ماواكم النار اي مصيركم
هي مولاكم اي وليكم وقيل هي اولي منكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي
عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهي اولي بكم من كل شيء وقيل معنى الاية
لا مولي لكم ولا ناصر لاحد من كانت النار مولاه فلا مولي له وبيس المصير قوله تعالى
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة
بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا لو حدثنا عن التوراة
فان فيها العجايب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران
احسن من غيره فكفوا عن سوال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسالوه مثل ذلك
فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون تاويل قوله الم يان للذين امنوا يعني
في العلانية بالسان ولم يومنوا بالقلب وقيل نزلت في المومنين وذلك لما قدموا
المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا
ونزل في ذلك الم يان للذين امنوا ان تخشع الاية قال ابن مسعود وما كان
بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال
ابن عباس ان الله عز وجل استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة
سنة من نزول القران فقال الم يان يعني اما حان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
اي ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اي لمواعظ الله وما نزل من الحق يعني

القران

القران ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى فطال
عليهم الامد اي الزمان الذي بينهم وبين انبيايهم فقست قلوبهم قال
ابن عباس ما لوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القران والمعنى ان الله عز وجل
نهى المومنين ان يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال
عليهم الدهر وروي عن ابي موسى الاشعري انه بعث الى قرى البصرة
فدخل عليه ثلثمايه رجل قد قروا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراهم
فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير
منهم فاسقون يعني الذين تركوا الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
اعلموا ان الله يحيي الارض اي بالمطر بعد موتها اي يخرج منها النبات بعد يبسها
كذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيحملها
مجيبة منيبة بالحكم والحكمة والافعد علم احيا الارض بالمطر مشاهدة قد بينا لكم
الايات اي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالمنفعة والصدقة في سبيل الله تعالى يضاعف
لهم اي ذلك القرض ولهم اجر كريم اي ثواب حسن وهو الجنة والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون اي الكثيروا الصدقة قال مجاهد كل من امن
بالله ورسوله فهو صديق وقال هذه الاية فعلى هذا الاية عامة في كل من امن بالله
ورسوله وقيل ان الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض
في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة
وتاسعهم عمر بن الخطاب لحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهدا عند
ربهم قيل اراد بالشهدا المومنين المخلصين قال مجاهد كل مومن صديق شهيد
وتلا هذه الاية وقيل هم السفنة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم
الصديقون ثم ابتدا الشهدا عند ربهم وهم الانبيا الذين يشهدون على الامم
يروي ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم اي
بما عملوا من العمل الصالح ونورهم اي على الصراط والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك
اصحاب الجحيم لما ذكر حال المومنين اتبعه بحال الكافرين قوله عز وجل اعلموا انما

الحياة الدنيا اي مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وانما اراد من صرف حياته في غير
طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها
بقوله لعب اي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي
عن قريب وزينة اي منظر يتزينون به وتفاخر بينكم يعني انكم تتفاخرون في حياتكم بما
يفتخر به بعضكم على بعض وتكاثر في الاموال والاولاد اي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد
وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله واهل طاعته ثم
ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار اي الزراع انما سمي
الزراع كفارا لستره هم البذر في الارض بنباته اي ما ينبت بذلك الغيث ثم يهيج
اي يبيس فتراه مصفرا اي بعد خضرته ثم يكون حطاما اي يتحطم ويتكسر بعد
يبسه وفي الاخرة عذاب شديد اي لمن كان حياته بهذه الصفة قال اهل
المعاني رحمهم الله تعالى بهذه في عمل الدنيا وهي صفة حياة الكافر وحياة من
يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للاخرة بقوله ومغفرة من الله ورضوان
اي لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة من الله ورضوان
لاولياء الله لان الاخرة اما عذاب واما جنة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي
لمن عمل لها ولم يعمل للاخرة فمن اشتغل في الدنيا يطلب الاخرة فهو له بلاغ الى
ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن يشتغل فيها بطلب الاخرة قوله عز وجل م
سابقوا الى مغفرة من ربكم معناه ليكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه
بل احرصوا على ان تكونوا مسابقتكم في طلب الاجر والمعنى سارعوا مسارعة
السابقين في الاضمار الى مغفرة اي الى ما يوجب المغفرة وهو التوبة وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها وجنة عرضها
كعرض السماء والارض قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح
والزقت بعضها ببعض لكانت عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس يريد
ان تجعل لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله عز وجل شبه
تعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون اكثر من العرض فذكر العرض
تنبيها على طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويتعارفون

تنوسهم وانكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه
عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس اعدت للذين امنوا
بالله ورسله فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله
ورسوله ولم يذكر مع الايمان شيئا اخر بدل قوله في الاية ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء فبين انه لا يدخل الجنة الا بفضل الله لا بعمله والله ذو الفضل العظيم ق عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احد منكم عمله
الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضله ورحمته
قد تقدم الكلام على معنى الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون في تفسير سورة النحل قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
يعني قحط المطر وقلة الثمار ونقص النبات ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد
الاولاد الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل ان نبرأها اي من قبل ان
نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة ان ذلك على
الله يسير اي ان اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل لكيلا تأسوا اي
تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا اي لا تفتروا بما اتاكم اي اعطاكم قال
عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا
وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسى على مفقود لا يرده اليك
الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت والله لا يحب كل مختال اي
متكبر بما اوتي من الدنيا فخور اي بذلك الذي اوتي على الناس الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل قيل هذه الاية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب
الذين يبخلون بوجود ما امروا به من الانفاق في سبيل الله ووجوه الخير ولا يكتفيهم انهم يبخلون حتى
يأمرون الناس بالبخل وقيل الاية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله انها في
صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته ومن يتول
قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو الغني اي عن عباده الحميد اي الى
اوليائه قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالدلالة والحجج وانزلنا

معهم الكتاب اي المتضمن للاحكام وشرايع الدين والميزان يعني العدل اي وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط اي ليتعاملوا بينهم بالعدل وانزلنا الحديد قيل ان الله تعالى انزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروي عن عمر رفعه ان الله انزل اربع بركات من السما الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشانا واحدثنا الحديد وذلك لان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه فيه باس شديد اي قوة شديدة ممنه جنة وسلاح وهو آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب ومنافع للناس اي ومنه ما ينتفعون به في معالجهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك ان الحديد له لكل صفة فلا عنا لاحد عنه وليعلم الله اي وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق والعدل وليركب الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله بالغيب اي الذي لم يروا الله ولا الاخرة وانما يجاهد في الغالب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي اي في امره عزيز اي في ملكه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما فمنهم اي من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا اي اتبعنا على اثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت الرسالة الى عيسى بن مريم وقوله تعالى وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه اي على دينه رافة ورحمة يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاوا بها من قبل انفسهم وهي ترهيبهم في الجبال والكهوف والغيران والدبرة فارين من الفتنة وجعلوا انفسهم المشاق في العبادة الزايدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك ما كتبناها عليهم اي ما فرضناها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله اي لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما

رعوها حق رعايتها يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والالحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم واقام الناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فامنوا به وذلك قوله تعالى فآتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم الذين تمسكوا على الدين الصحيح وكثير منهم فاسقون وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سايرهن فرقة ادهلت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه السلام فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بمواجهة الملوك ولا ان يتخذوا بين ظهراني قومهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن ام عبد هل تدري من اين اخذت بنو اسرايل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت على بني اسرايل الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزموا اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلا افتتنونا ولم يبق احد يدعو اليه فقالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله عز وجل النبي الذي وعدنا عيسى به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية منهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين امنوا منهم يعني من تبعوا عيسى اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على البلاع وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله عز وجل وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة

والانجيل وكان فيهم مومنون بالتوراة والانجيل ويدعوهم الى دين الله عز
وجل فقتل ملوكهم لو جمعتم هولاء الذين ستقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن
فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا مايدلوا
منها فقالوا الى ذلك ندعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طايفة منهم ابنوا لنا اصطوانة
ثم ارصدوا فيها ثم اعطونا شيا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طايفة
ندعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في
ارضكم فاقتلونا وقالت طايفة منهم ابنوا لنا دورا في الغيافي ونحتفر الابار
ونحرث السهول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبايل الا ولهم فيهم
قال فعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى عليه السلام وخلف
قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يبتدل يكون في مكان فلان فيتعبد
كما يتعبد ويسيح كما ساح فلان ويتحدد دودا كما اتخذ فلان وهم على شركهم
لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم عند ذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها
يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الاخرين الذين جاوا
من بعدها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يبق منهم الا قليل اخطر رجل من صومعته وجا سايح من سياحته
وصاحب دير من ديره فامنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته اي اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة
والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم قال ويجعل لكم نورا تمشون
به القران واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلا يعلم اهل الكتاب الذين
يشتهون بكم ان لا يقدرون على شيء من فضل الله الاية اخرجه النسايي موقوفا
على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم ابتدع فقال ورهبانية ابتدعوها
وذلك انهم كانوا تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل
من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن
غير مذكور فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم اهل الرافة والرحمة وكثير منهم

فاسقون

فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وانتبوا الرهبانية ويكون معنا
قوله ابتدعوها وضرات الله ابتداع ما امر به دون التوهيب لانه لم يومر
به قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الخطاب لاهل الكتابين
من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد
صلى الله عليه وسلم وامنوا به وهو قوله وامنوا برسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
يوتكم كفلين اي نصيبين من رحمته يعني يوتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد
صلى الله عليه وسلم والفرات ت عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى
الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله عز وجل وحق مواليه ورجل
كانت عنده امة يطاوها فادبها واحسن ادبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها
فتزوجها فله اجران ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط قال ابن عباس
النور هنا القران وقيل هو الهدى والبيان اعني يجعل لكم سبيلا واضحا في
الدين تهتدون به ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والله غفور رحيم ليلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم يومن من
اهل الكتاب قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا
بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يومن فله اجر كاحدكم
فما فضلكم علينا فنزل ليلا اي ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعني الذين لم يومنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المومنين ان لا يقدرون يعني انهم لا يقدرون
على شيء من فضل الله والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم
ليعلم الذين لم يومنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله وقيل لما نزل
في مسلمي اهل الكتاب اولئك يوتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين من
زيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين ونزل ليلا يعلم اهل الكتاب يعني المومنين
منهم ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يعني الذي
فضلكم به فانه فضلكم على جميع الخلايق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر
من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل

فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله عز وجل هذه الاية فعلي هذا يكون فضل
الله النبوة يؤتيه من يشاء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد
الله اي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء الله قادر مختار والله ذو الفضل العظيم
ق عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم
على المنبر يقول انما اجلكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى
غروب الشمس او في اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم
عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا
قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب اي ربنا اعطيت هولاء قيراطين قيراطين
واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتم من اجركم شيئا قالوا
لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا من
الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى
كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت
اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار
الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى
صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب
الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى
غروب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر
عملا واقل عطاء قال الله عز وجل هل ظلمتم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي
اعطيه من شيخ عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى
الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة الى اجرك الذي
شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا اجركم
كاملا فابوا وتركوا واستاجر اجرين بعدهم فقال لهم اعملوا بقية يومكم ولكم الذي
شرطت لكم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا لما عملنا
باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية يومكم فان ما بقي من

النهار

النهار شيء يسير فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس
واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبل من هذا النور والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المجادلة مدنية

وهي اثنتان وعشرون اية واربعمايتان وثلاثة وسبعون كلمة والف وسبعماية
واثنتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها
حميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت
هي حسنة الجسم فاراد ها فابت عليه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على
ما قال وكان الظهار والايلاء في طلاق الجاهلية فقالت ما اظنك الا قد
حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصا
تزوجني وانا شابة غنية وذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي
وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه
فتغشاني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول
الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس
الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي
ووحدتي فقد طالت له صحبتي وحفظت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم ارو مني شانك بيني فجعلت فراجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه
هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبيانا صغارا ان
ضمتهم اليه ضاعوا وان ضمتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء تقول
اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول الظهار في الاسلام
فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظري في امري جعلني الله
فداك يا رسول الله فقالت عايشة قصري حديثك ومجادلتك اما ترين

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه اخذه مثل السبات فلما قضي
الوحي قال ادعي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله
قول التي تجادلك في زوجها الآية خ عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه
الاصوات لقد جاءت المجادلة حوله الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمة في
جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل الآية بقوله تعالى قد سمع
الله قول التي تجادلك اي تحاورك وتراجعك في زوجها اي
في امر زوجها وتشتكي الى الله اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله
يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع
اليه بصير اي ممن يشكوا اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى الذين يظهرون
منكم من نسايهم يعني يقولون لمن انتن كظهر امهاتنا ما هن امهاتهم
اي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهن بالامهات بالمهات والمعنى ليس هن
بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللاواتي ولدنهم وانهم يعني المظاهرين
ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في الشرع وزورا يعني كذبا وقيل
انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما موبدا والزوجة
لا تحرم عليه بهذا القول تحريما موبدا فلاجرم صار منكرا من القول وزورا
وان الله لعفو غفور عفى الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم فصل
في احكام الظهار وفيه مسايل المسئلة الاولى
في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس من ظهر الانسان
اذ ليس الظهر باولى من سايرالاعضا التي هي مواضع التلذذ والمباضعة فلثبت
بهذا انه ما اخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امراة الرجل مركب له وظهر
ويدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امري اي طلقتها وفي قولهم
انت علي ظهر امي حذف واضمار لان فاويله ظهرك علي حرام اي منكي
اياي وعلوي عليك حرام كما علوا مي ومكنها علي حرام المسئلة الثانية
كان الظهار من اشد طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان
الحكم مقررا في الشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل

في الشرايع لا في الاحكام الجاهلية وعادتهم المسئلة الثالثة في الفاظ
المستعملة لهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقها الاصل في هذا قوله انت علي
ظهر امي او انت مني او معي او عندي كظهر امي وكذا لو قال انت عندي كبطن
امي او كراس امي او كيدامي او قال بطنك او راسك او يدك علي كظهر امي
او شبه عضوا منها بعضو من اعضا امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة
ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير
هذه الاعضا لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت
علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذلك لو شبهها بامراة محرمة عليه بالقرابة
بان قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي او شبهها بامراة محرمة بالرضاع
يكون ظهارا على الاصح المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط
في هذا ان من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة
لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظهرون من نسايهم واحتج ابو حنيفة بان
هذا خطاب للمومنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمومنين واجيب عنه
بان هذا خطاب لنا ولجميع الحاضرين فلم يلزم انه مخصوص بالمومنين والذين
يظهرون من نسايهم يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون لما قالوا
اختلف العلما في معنى العود في قوله تعالى ثم يعودون ولا بد اولا من بيان اقوال
اهل العربية ثم بيان اقوال الفقها فنقول قال الفراء العرب في اللغة يبين ان يقال
يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله
واوحى الى نوح وان ربك اوحى لها واما لفظه ما في قوله لما قالوا فيه وجهان
احدهما انه الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد
لما قالوا ان المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول
منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى
نفي وذلك النفي هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالقول
الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اي دخل مرة اخرى وعلى هذا الوجه
الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيا ثم اراد

ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالنقض
فيه فقد ظهر مما قدمنا ان قوله يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه
بان يفعلوا مثله مرة اخري ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع
والازالة والي هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلف فيه علي وجوه الاولي وهو
قول الشافعي ان معني العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا
يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق
فقد عمل ما شرع فيه من انقطاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق
فذلك يدل علي انه ندم علي ابتدايه من التحريم ويجب عليه الكفارة وفسر ابن
عباس العود بالعزم فقال يندمون فيرجعون الي الالفة الوجه الثاني في
تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطي والملامسة والنظر
اليها بالشهوة وذلك لانه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشيا ثم قصد استباحة
ذلك كان مناقضا للقول الذي علي ظهاره فهذا هو الوجه الثالث وهو قول مالك ان
العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلما والعود
المذكور هنا انه صالح للجماع او للعزم عليه او لاستباحة الا ان الذي قاله الشافعي
هو اقل ما يطلق عليه الاسم في تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمي العود
واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول في قوله ثم يعودون اي يفعلون
مثل ما فعلوه وهذا الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والنوري
العود هو الانتباه بالظهار في الاسلام ويجب الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود
هو العود الي ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار
فجعل الله عز وجل حكم الظهار في الاسلام علي خلاف حكمه عندهم ومعني ثم
يعودون لما قالوا اي في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في
الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قالوا ابرا العالية اذا كرر لفظ الظهار
فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر
قوله ثم يعودون لما قالوا يدل علي اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان
لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالي فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا المراد

بالتماس المجامعة فلاجل الظاهر وطي امراته التي ظاهر منها ما لم يكفر ذلكم
توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتي تتركوا الظهار ولا تعاودوه
والله بما تعملون اي من التكفير وغيره خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالي
فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اي الصيام لكفارته فاطعام ستين
مسكينا ذلك اي الفرض الذي وصفناه لتؤمنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا الله فيما
امر به وتصدقوا الرسول صلي الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وتلك
حدود الله يعني ما وصف من الكفارة في الظهار وللكافرين اي لمن جحد هذا
وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم يوم القيامة فصل في احكام
الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسايل المسئلة الاولي اختلفوا فيما يحرم
الظهار فللشافعي رحمه الله قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول
الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسئلة
الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة
الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد فان عليه كفارة واحدة وقال
مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة
المسئلة الثالثة الاية تدل علي ايجاب الكفارة قبل المماسة سوا اراد التكفير
بالاعتاق او بالصيام او بالطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالطعام يجوز له
الوطي قبله لان الله تعالي قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقيل في الاطعام
من قبل ان يتماسا فدل علي ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول علي
المقيد في العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة
وهو قول اكثر الفقهاء هل العلم كذلك وابي حنيفة والشافعي واحمد وسفيان وقال
بعضهم ان وطيها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي
المسئلة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مومنة وقال
ابو حنيفة هذه الرقبة تجزي سواء كانت مومنة او كافرة لقوله تعالي فتحرير
رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا ان اجمعنا علي الرقبة

في كفارة القتل معتبرة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى
المسئلة الخامسة الصوم من لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين م
متتابعين فان افطر يوما متعمدا او ناسيا النية يجب عليه استيناف الشهرين
فلو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم
الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استيناف الشهرين وعند ابي حنيفة
يجب استيناف الشهرين المسئلة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض
او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل
مسكين مد من الطعام الذي يقتات به من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر
ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او صاعا
من تمر او صاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزيه عند الشافعي
وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعي ظاهر الاية وحجة ابو حنيفة ان المقصود
رفع الحاجة وهو حاصل واجيب بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا
اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد المسئلة السابعة
ان كانت له رقبة الا انه يحتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته
ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق
ان كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا
لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا للثمن الرقبة
لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة الثامنة قال اصحاب الشافعي
الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصوم الى الاطعام والدليل
عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرأ اصيب من النساء ما لا
يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيئا تتابع بي
حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة
اذ انكشف لي منها شيء فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي
فاخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لا والله فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذلك

يا سلمة

يا سلمة قلت بذلك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم فيها ولك الله قال فحرر
رقبة قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال
فصم شهرين متتابعين قال قلت وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال
فاطعم ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما املك لنا طعاما
قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا م
وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق
وسوء الراي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وقد
امرني بصدقتكم وبنو اياضة بطن من زريق اخرجه ابو داود وقوله نزوت
عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتابع من التتابع الرفوع في الشر
والمنهي في الوسق ستون صاعا وقوله وحشني بفتح الراء رجل وحش اذا
لم يكن له طعام والوحش الرجل اذا اجاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر
مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه
وارسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت
حتى نزل القران قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة
قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قالت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به
من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني
ساعينه بعرق من تمر فلت يا رسول الله وانا اعينه بعرق اخر قال احسنت ر
اذهبي فاطعمي عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود او دوى في رواية
قالت ان اوس اتظاهر مني وذكرت انه به لمم وقالت والذي بعثك بالحق ما جئت الا
رحمة لان له بي منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء الزنبيل يسع
ثلاثين صاعا وقيل يسع خمسة عشر صاعا وقولها ان به لما طرف من الجنون وقال
الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك لم ظاهر في تلك الحالة لم
يلزمه شيء بل معنى اللمم هاهنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله اعلم
قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله
ويشاقون ويحاربون امرهما كبتوا اي ذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت الذين

من قبلهم اي كاخري من كان قبلكم من اهل الشرك وقد انزلنا اليات بينات يعني فرايض واحكاما ولكافرين اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا يبنهم بما عملوا احصاه الله اي حفظ الله اعمالهم وانسوه اي انسوا مكانوا يعملون في الدنيا والله على كل شيء شهيد قوله تعالى الم تراي تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني ان الله سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة اي من يكون اسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا وهو رابعهم اي بالعلم يعلم بنجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما يكون نجواهم ملومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة الا وهو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم العرض فيكون اثنان كالمشاور عيب في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تجد تلك المشاورة ويتم ذلك العرض وهكذا اكل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد المفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر يعني ولا اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من العدد الا وهو معهم اينما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم ينبئهم بما عملوا اي في يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون ما عليهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوهم فحزنت المؤمنون كذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتلا او هزيمة فبينما ذلك في قلوبهم وبصرهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا

عنها

عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شيء يسوهم وكلاهما اثم وعدوان ومعصية الرسول وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم واذا جاوك يعني اليهود حيوك بما لم يحيك به الله وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يريدون انهم يدعون له بالموت وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ويقولون في انفسهم يعني اذا امرجوا من عنده قالوا لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله عز وجل حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم ف عن عايشة قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عايشة ففهمتها فقلت لهم عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عايشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عايشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت او لم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا اثبت الواو صار لهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردي من القول

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول في المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما انه خطاب للمومنين وذلك انه لما
ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول انتهى بان
نهى المومنين ان يسلكوا مثل طريقتهم او يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم
وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يودي الى الظلم ومعصية الرسول
وهو ما يكون خلافا والقول الثاني وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى
يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وقيل امنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى اي بالطاعة وترك
المعصية واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان اي من تزيين
الشيطان وهو ما يامرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول ليحزن الذين
امنوا اي انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين ف عن بن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود
في رواية فان ذلك يحزنه هذه الزيادة لابي داود وليس بضارهم شيا يعني
ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس بضارهم شيا الا باذن الله اي الا ما اراد
الله وقيل الا باذن الله في الضرر وعلى الله فليتوكل المومنون اي فليكل
المومنون امرهم الى الله تعالى ويستعيذون به من الشيطان فان من
توكل على الله لا تخيب امله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الاية في سبب نزولها ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس
منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا فقالة النبي صلى الله عليه وسلم وسلموا
عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينظرون
ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله
قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدرهم فجعل الذين قاموا يعرفون
ذلك به من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه
وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ثابت بن قيس

ابن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا من جاء مقبل
طنوا بمجالسهم فلموهم الله عز وجل ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم
الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم كانوا يتنافسون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المومنين بالتواضع وان يفسح في
المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في
الاخذ بالحفظ منه وقرب في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل
رجل في مجلسه فافسحوا اي فانسحوا في المجالس اموروا بان يوسعوا في
المجالس لغيرهم يفسح الله لكم اي يوسع الله لكم الجنة والمجالس بنيها عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى
مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا
على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الاية ان هذا في مجالس الحرب
ومقاعد القتال كان الرجل يابى ان يوسع لاخيه في الصف فيقول توسعوا فيابون
عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم
لان الرجل الشديد البأس قد يكون متاخرا عن الصف الاول والحاجة داعية
تقدمه فلا بد من الفسح له ثم قياس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقراءة
والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والبر والراحة
وسع الله عليه خيري الدنيا والاخرة واذا قيل انشزوا فانشزوا اي اذا قيل
انهضوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يثقلون
عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا
نودي للصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد
والى كل خير فقوموا يرفع الله الذين امنوا منكم اي
بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره وقبا مهم في مجالسهم وتوسيعهم
لاخوانهم والذين اوتوا العلم اي يرفع الذين اوتوا العلم من المومنين بفضل علمهم به

وسابقتهم درجات اي علي من سواهم في الجنة وقيل يقال للمومن الذي ليس بعالم
اذا انتهى الي باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع فمن اشفع فاخبر الله عز وجل
ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك متابون بما اتبعوا ان
النفر من اهل البدر مستغفرون لما عمل ولوابه من الاكرام رواه بما تعملون خبير
قال الحسن قرا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هذه الاية وقال ايها الناس اتهموا
هذه الاية ولتر غبتكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المومن العالم فوق الذي
ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل
لغيره لانه يقتدي بالعالم في اقواله وافعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم كثير
رجل من المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال
حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت
لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت في تجارة قال لا قال ما جيت الا في طلب
هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
سلك طريقا يبتغي فيها العلم سلك الله به طريقا الي الجنة وان الملئكة تضع
اجنحتها رضي لطالب العلم وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض
حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلما
ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه
فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه ق عن سماوية بن ابي
سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي ورزين العبدري بسنده
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في
مسجده احد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه
فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هولا فيدعون الله
ويرغبون اليه واما هولا فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهولا افضل وانما بعثت
معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم

449

وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفايدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة
استحقره ويتسع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المتقدمة قبل المناجاة قال ابن
عباس ان الناس سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه
فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويقطعهم عن ذلك فامرهم
ان يقدموا صدقة على المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت
في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون
مناجاته ويطيلون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه
وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما
الفقراء اهل العسرة فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء اهل الميسرة فطنوا واشتد
ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن
المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب تصدق بدينار ونا جاه
ثم نزلت الرخصة فكان ينزل اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد
بعدي وهي اية المناجاة وعن علي بن ابي طالب قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا
اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما تري دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت
شعيرة قال انك لزهيد فنزلت اشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
الاية قال بلي حتى الله تعالى عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب قوله قلت شعيرة اي وزن شعيرة من ذهب وقوله
انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه
الاية منقبة عظيمة لعلي بن ابي طالب اذ لم يعمل بها احد غيره قلت كما
قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة وجه ذلك ان الوقت لم يتسع لعملوا
بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلي تقدم ان سماع الوقت
ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا واما بتصدقون
لو احتاجوا الي المناجاة فيكون ذلك سببا لخزف الفقراء اذا لم يجدوا واما بتصدقون

به عند مناجاته وجه اخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من
الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه
المناجاة اولي بان تتركك فلم يعملوا بها وليس فيها طعن علي احد منهم وقوله تعالي
ذلك خير لكم يعني تقديم الصدقة علي المناجاة لما فيه من طاعة الله تعالي وطاعة
رسوله صلي الله عليه وسلم واطهر اي لذنوبكم فان لم تجدوا يعني الفقراء الذين
لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني ان الله تعالي عفي عنهم
ذلك اشفقتم قال ابن عباس ابخلتم والمعني اخفتم العيلة والعائلة ان قدمتم
وهو قوله تعالي ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا اي ما امرتم
به وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان
ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال
فاقيموا الصلاة اي المفروضة واتوا الزكاة اي الواجبة واطيعوا الله ورسوله
اي فيما امرتم به والله خبير بما تعملون اي انه محيط باعمالكم ونياتكم قوله عز وجل
الم تر الي الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا
اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المومنين اليهم واراد بقوله غضب الله عليهم
اليهود ما هم يعني المنافقين منكم ايها المومنون في الدين والولاء ولا منهم يعني ولا
من اليهود ويحلفون علي الكذب وهم يعلمون اي انهم كاذبة نزلت في عبد الله
ابن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلي الله عليه وسلم ويرفع حديثه الي
اليهود فبينا رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم
الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان
ازرق العين فقال له صلي الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل وجاء اصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله تعالي هذه الايات اعد الله
لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة جنة
يعني يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم فصدوا
عن سبيل الله يعني انهم صدوا المومنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب
ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام فلهم عذاب

مهين

مهين اي في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم يعني يوم القيامة من الله
شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا وقيل كان الحالف جبة
لهم في الدنيا فطمعوا انها تنفعهم في الاخرة ايضا ويحسبون انهم علي شئ يعني
من ايمانهم الكاذبة الا انهم هم الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم
الشيطان اي غلب واستولي عليهم وملكهم فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
اي في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل احد الحصمين علي حسب
عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية
كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضا الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل علي نوعين
منهم من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يومر بالحرب فهو غالب بالحجة ان
الله قوي اي علي نصر رسله واوليائه عزيز اي غالب علي اعدائه قوله تعالي
لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله
تعالي ان ايمان المومنين بعيد مودة الكافرين وان كان مومنا لا يوالي من كفر ان من
احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة علي
انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت
المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دنيا ودينا مع كفرهم فاما سوي
ذلك فلا حظر فيه ثم ان الله تعالي بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا اباهم او
ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل الي هولاء من اعظم انواع الميل ومع
هذا فيجب ان يطرح الميل الي هولاء والمودة لهم لسبب الدين قيل نزلت هذه الاية
في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الي اهل مكة ومشاقص قصته في سورة الممتحنة
وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباهم يعني ابا عبيدة
بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه
يوم بدر الي المبارزة وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولي فقال
له رسول الله صلي الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما انك اخوانهم يعني

مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشير تهم بعني عمر بن الخطاب
قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب وحمزة
وابو عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر
اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مومنة مخلصة
وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي نوارهم
بنصر منه وانما سمي نصره اياهم روحا لانه به يحيي امرهم وقيل بالايمان وقيل
بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمة منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انما رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم
واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله تعالى فقال
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

ذكره

تفسير سورة الحشر

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي
مدنية وهي اربع وعشرون اية واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة
وثلاثة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله
ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة
من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على
ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوهم فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اعز الرسول
الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه
النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم احد وهزم المسلمون
ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهد
الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في
اربعين راكبا من اليهود الى مكة فنزلوا في بيتا لحي العوم وعاقدوهم على ان تكون
كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من
قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على

بعض

بعض الميثاق بعني استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل
عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وابو سفيان
وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة
ال عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم
يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضميري فهموا بقتله
معونة ثم ابطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله تعالى منهم
واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المايدة فلما قتل كعب بن الاشرف
اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية
يقال لها زهره فلما سار لهم النبي صلى الله عليه وسلم وحدهم يتوحون على كعب بن الاشرف
فقالوا يا محمد واعية على الترواعية وباكية على التر باكية قال نعم فقالوا وادر فانبكي صنحونا
ثم ايتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب
الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي
واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فلن نخذلكم معكم ولا نخذلكم ولنصرنكم
ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فتربصوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول
الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج الينا في ثلاثين رجلا من اصحابك
ويخرج منا ثلاثون فلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان
صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من
اصحابه وخرج اليهم ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض قال
بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم
يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهمه ونحن سبعون اخرج في ثلاثة من
اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان امنوا بك امنا بك
وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة
من اليهود معهم الخناجر واردوا القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت
امراة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فارسلته بما اراد بنو
النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فسار اليهم فاخبرهم قبل ان يصل اليهم

سبع فرجع النبي صلي الله عليه وسلم فلما كان من الغد غزا عليهم رسول الله صلي الله
عليه وسلم فحاصرهم احدي وعشرين ليلة فقذف الله تعالي في قلوبهم الرعب وايسوا
من نصر المنافقين سألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم الصلح فابي عليهم الا ان يخرجوا
من المدينة علي ما يامرهم به ففعلوا ذلك فصالحهم علي الجلاء وعلي ان لهم ما اقلت
الابل من اموالهم الي الحلقة وهي السلاح وعلي ان يجلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر
اموالهم اموالهم وقال ابن عباس علي ان يجمل كل اهل بيت علي بعير ما شاءوا من
متاعهم وابني صلي الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطي كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء
ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الي اذرعات واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم لابي الحقيق والي حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منه
بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا ابني من اهل الكتاب يعني بني
النضير من ديارهم التي كانت بالمدينة قال ابن اسحاق كان اجلاء بني النضير مع
النبي صلي الله عليه وسلم بمرجع النبي صلي الله عليه وسلم من احد وقتل قريظة
بمرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم
يصبهم جلاء فيما مضي وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في
الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرا هذه الاية فكانت
هذا اول حشر الي الشام قال النبي صلي الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الي اين
قالوا الي ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الي الشام وقيل انما قال لاول
الحشر كانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلي اخرهم
عمر بن الخطاب وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر
وجميع جزيرة العرب الي اذرعات واريحا من ارض الشام في ايام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني فار تحشرهم يوم القيامة
من المغرب الي المشرق تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم
ايها المومنون ان يخرجوا اي الي المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل
حصون وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي وظن
بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله تعالي فاتاهم الله اي اتاهم امر

الله

الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله عز وجل امر نبيه صلي
الله عليه وسلم بقتالهم واجلابهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم
الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم
وايدي المومنين قال الزهري وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم لما صالحهم علي ان
لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الي الخشب في منازلهم فينهدمونها ويتزعون
ما استحسنوه منها فيحملونه علي ابلهم ويخربون المومنون باقيها وقيل كانوا
ينقلون العمد وبعضوت السقوف وبعضوت الجدران لبلا يسكنها المومنون
حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها
اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون علي دار من دورهم هدموا
اتسع لهم المقابل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم في ادبارها فيخرجون الي التي
بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب
النبي صلي الله عليه وسلم فاعتبروا يا اولي الابصار
اي يا ذوي العقول والبصائر ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء يعني الخروج من
الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في
الاخرة عذاب النار ذلك بانهم الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله
اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب قوله تعالي
ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة علي اصولها فباذن الله الاية وذلك ان
النبي صلي الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع
نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت تنهي عن الفساد
عقر الشجر وقطع النخل وعلي وجدت فيما انزل عليك الفساد في
الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا
في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نقطعها
نغيظهم بقطعها فانزل الله عز وجل هذه الاية تصديقا لمن نهي عن قطعها وتحليلا لمن
قطعها من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالي عن ابن عمر قال حرق رسول الله
صلي الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة او

448

تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير
وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وهان على سراة بني لوي ٭ حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لبينة ما خلا العجوة قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع
على اهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوك وقبل النخل كلها
الا العجوة والبرنية وقبل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية
اخرى عنه هي لون من النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهي شديدة
الصفرة يرى نواه من خارج يضرب بها المثل في الفرس وكان من اجود تمر هم واعجبها اليهم
وكانت النخلة الواحدة منها تمنها وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها
شق عليهم ذلك وقالوا للمسلمين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون وعاهدوا
النخل فما هي لمن غلب عليها فاخبر الله تعالى ان قطعها كان باذنه وليخزي الفاسقين
يعني اليهود والمعنى ولاجل اختيار اليهود اذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الاية
على ان حصون الكفار ودبارهم لا باس ان تهدم وتحرق وترمي بالمجانيق وكذلك
قطع اشجارهم ونحوها قوله عز وجل وما افاء الله على رسوله منهم اي ما رده الله على
رسوله صلى الله عليه وسلم منهم اي من يهود بني النضير فاوجفتم يعني اوصفتم ومن
سرعة السير عليه من خيل ولا ركاب يعني الابل التي تحمل القوم وذلك ان بني النضير
لما تركوا اوباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها
بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله عز وجل في هذه الاية انها لم توجف المسلمون
عليها خيلا ولا ركابا ولم يتعطموا اليها مشقة ولا نالوا مشقة واتما كانوا يمشون بني النضير
على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
على جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي من اعدائه والله على كل شيء قدير يعني
لخاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم
يعط من الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهو ابو دجانة سماك بن
خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة قال مالك بن اوس بن الحدثان النضري
ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المومنين في عثمان وعبد الرحمن

بن

بن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء فقال
هل لك في عباس وعلي يستاذنون قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المومنين
اقض بينهما واراح احدهما من الاخر فقال مالك بن اوس يخيل الا انهم كانوا قدموهم بذلك
فقال عمر اتئدوا انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم
اقبل عمر على العباس وعلي وقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله
تعالى خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افاء
الله على رسوله منهم ما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الاية قال فقسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استاثر ها عليكم ولا احذها دونكم
فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياخذ منه نفقة سنة ثم ما بقي فيجعله مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم حياته ثم انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا
نعم ثم قال انشدكم عباسا وعليا بمثل ما انشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال
فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقبضها ابو بكر فعمل فيه ما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتيل علي عليا وعباسا
وقال تذكران ان ابا بكر عمل فيه ما تقولان والله يعلم انه فيه لصادق بار راشد تابع
للحق ثم توفي الله تعالى ابا بكر فقلت انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فقبضتها
سنتين من امارتي اعمل فيها بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله
يعلم اني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما
جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا
لي ان ادفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما
عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وبما
عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما
افتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا اقضي فيه

بعضنا عنق هذا الى يوم القيامة ذلك حتى تقوم الساعة فان عمر تماعنه فاد فعاه الى
فاني اكفيكما قوله تغلب ما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني من اموال كفار اهل
القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة فلله وللرسول
ولذي القربى يعني بني هاشم وبني المطلب واليتامى والمساكين وابن السبيل قد تقدم
في سورة الانفال حكم الغنيمة وقسمتها واما حكم الفيء فانه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مدة حياته يضعه حيث شاء فكان ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل
ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف
الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للامة بعده وللناس فيه
قولان احدهما انه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم
فالاهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم الى ان يخمس خمس
لاهل خمس الغنيمة واربعة للمقاتلة او للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل
يصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق فراعوا من الخطاب ما افاء الله على رسوله
من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاءوا من بعدهم ثم قال
هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذا الفيء
حق الا ما ملكت ايمانكم كيلا يكون دولة يعني كيلا يكون الفيء دولة والدولة اسم الشيء
الذي يتداول فيتملكه القوم بينهم بين الاغنياء منكم يعني بين الرؤساء والاقوياء فيتعاطوا
عليه العنوة والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا اغنموا غنيمة اخذ الرئيس
ربعها للنفس وهو المرباع ثم يصطفي بعد الغراغ ما شاء فجعله الله عز وجل لرسوله
صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما امره به وما اتاكم الرسول فخذوه اي من مال
الفيء والغنيمة وما نهاكم عنه اي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في اموال
الفيء وهو عام في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم او نهى عنه من قول او عمل من واجب
او مندوب او مستحب او نهي عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره وعن عبد الله بن
مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات
للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني اسد يقال لها ام يعقوب
وكانت تقرأ القرآن فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا او كذبته

فقال

فقال عبد الله ومالي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله
عز وجل فقالت المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأتيه لقد
وجدتيه قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو
عرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل او المستوشمة هي التي تطلب ان يفعل
بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة التي تتكلف تفرج ما بين
ثناياها بصناعة وقيل هي التي تفعل في مشيها تكلفا ذلك منهي عنه ق عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو
رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد عن ابي رافع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته يأتيه امري مما امرت به او
نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث حسن الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك
واتقوا الله اي في امر الغنوم ان الله شديد العقاب اي على تركهم ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه ثم بين من له الحق من الفيء فقال
عز وجل للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون
الله ورسوله اي بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته
اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار
والاموال والعشائر وخرجوا لصحبة الله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كان فيه
من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان
الرجل يجد التمرة فيشتاقها ثم يدفعها حتى تأتي على آخرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة
الى الجنة بأربعين خريفا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابشروا يا معاشر المهاجرين بالنور التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل
اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود قوله عز وجل
والذين تبوءوا الدار والايمان يعني الانصار تبوأوا الدار وهي المدينة واتخذوها

يعني الجنة

سكنا من قبلهم يعني انهم اسلموا في ديارهم واثروا الايمان واتخذوا المساجد قبل قدوم
النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعني تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد امنوا
لان الايمان لايبين بمكان يتبوأ يحبون من هاجر اليهم وذلك انهم آثروا المهاجرين في
مساكنهم واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حزازة
وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطوا المهاجرين من الفيء دونهم وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا
الا ثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك ويؤثرون على انفسهم اي ويؤثر الانصار المهاجرين
باموالهم ومنازلهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي فاقة وحاجة الا ما يؤثرون
به ق عن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل
الى بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم ارسل الى اخرى فقالت
مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا رحمه
الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق الى رحله
فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعللیهم بشيء ونومهم
فاذا دخل ضيفنا فاريه انا ناكل فاذا اهوى بيده ليأكل فقومي الى السراج حتى
تصلحيه فاطفيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله
عز وجل او ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية وانزل الله تعالى ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة خ عن ابي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى
الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقال اتكفونا المؤنة ونشرككم
في الثمرة قالوا سمعنا واطعنا خ عن انس بن مالك قال دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا ان يقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها
فقال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم اثرة بعدي وفي رواية ستلقون
بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه
بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء الاولى اشهر ومعناه الاستيثار وهو ان يستأثر
عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يحل لكم في الامر نصيب وقيل هو من

اثر

اثر اذا اعطى اراد انه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستيثار
والانفراد بالشيء وقيل الاثرة الشدة والاول اولى وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار اذا شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم وديارهم
وشاركوهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء
من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا
نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص
وقد فرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال البخل لنفس المنع والشح هي الحالة التي
تقتضي ذلك المنع ولما كان ذلك الشح من صفات النفس لا جرم عز وجل ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفايزون بما اراد او روي ان رجلا
قال لعبد الله بن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني اسمع
الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد
يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن
ولكن الشح ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر
ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل بما ليس له وقيل الشح
هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيا
نهاه الله تعالى عن اخذه ولم يمنع شيا امره الله باعطايه فقد وقاه الله شح نفسه
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة
واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرمايي الرجل شح هالع وجبن
خالع اخرجه ابو داود والخلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا
ويحزن على شيء يفوته او يخرج عن يده والخالع الذي خلع ثوبه لشدة خوفه وفزعه
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله
تعالى ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا
اخرجه النسائي قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يعني من المهاجرين والانصار

نية

وهم التابعون لهم الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا اي غشا وحسدا وبغضا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم فكل من
كان في قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الاية لان الله تعالى رتب المومنين على ثلاث
منازل المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن
لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المومنين وليس له في الاسلام
نصيب وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل المهاجرين والذين تبوؤا
الدار والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل
ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه م عن
عروة بن الزبير قال قالت عايشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي قال مالك بن انس لم
ينقص احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في قلبه غل عليهم فليس
له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الاية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى والذين
جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن سعود قال الشعبي يا مالك تفاضلت
اليهود والنصارى على الرافضة فضيلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا حواري
عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم قالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسبق عليهم مسلوك الى يوم القيامة لا تقوم
لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بشؤم
دمايهم وتفريق شملهم واد حاض جمعهم اعاذنا الله واياكم من الاهوا المضلة ومروي
عن جابر قال قيل لما بينة ان فاسا بينا ولوث اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى ابا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لا يقطع
عنهم الاجر وروي ان ابن عباس سال رجلا نيال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له من المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا
اشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان فقال تعالى الم تر الى الذين نافقوا
يعني اظهروا خلاف ما اضمروه عبد الله بن ابي ابن سلول واصحابه يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود من بني قريظة والنضير وانما جعل المنافقين
اخوانهم لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع
فيكم احدا ابدا يعني ان سالنا احدا اجلاكم وحده لانكم فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم
لننصرنكم اي لنعينكم ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم يعني المنافقين لكاذبون
اي فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عز وجل عن حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار يعني
لو قدروا وجود نصرهم ولو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون
يعني بني النضير لا يبقون منصورين بل اذا انهزم ناصروهم لانهم يعني يا معشر
المسلمين اشد رهبة في صدورهم من الله اصل الرهبة الخوف الشديد مع حزن
واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد لخوفهم من رهبتهم من
الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله تعالى لا يقاتلونكم
يعني اليهود جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين
بالقرى والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدار وقرى جدرانهم بينهم شديد
اي بعضهم سط على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل انهم فيما بينهم
من وراء الحيطان والحصون شديدة فاذا خرجوا اليكم فهم احبن خلق الله تحسبهم
جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة
اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين
المنافقين واراءهم يخالف دين اليهود واراءهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود
مثلا فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم

بعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم اي في الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخليهم بعضهم عن بعض فقال تعالى كمثل الشيطان اي مثل المنافقين وحده لانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وذلك ما روي عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا يعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الابنيا وهو الذي يقصدني نبي صلى الله عليه وسلم وجاه في صورة جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا يشتغل عن صلاته الا في كل عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل الصومعة فلما انتقل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فراى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله تذبر في نفسه اي لام نفسه حين لم يجبه فقال لعلك نادبتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتي اني احببت ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك وتجمع علي العبادة فتدعو الي وادعو اليك قال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مومنا فان الله سيجعل لك فيما للمومنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انتقل بعد ما راه قائما يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال لعل حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعهده لا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا يشتغل من صلاته الا كذلك وشمر حتى انتهى الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده نقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما جاء الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحب غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان بيلعنا غير الذي رايت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما راى من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي

دعوات اعلمكها تدعو بها من لهو خير لك مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنو
قال برصيصا انا اكره هذه المنزلة ان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس شغلوني
عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت
الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال
لاهله انما بصاحبكم جنون افلا ادلكم فعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يبعد فقال لهم اني لا اقوى على
جنبته ولكني سارشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فانه
عنده الاسم الذي اذا دعي به اجاب قال فانطلقوا به اليه فسالوه ذلك فدعا بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يعمل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعوا
لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرايل ولها ثلاثة
اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بني اسرايل
فحنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان ياتي الناس في صورة متطبب فقال لهم اعالجكم
قالوا نعم فقال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى من تتعوذ به
تدعوها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علم انها قد عوفيت فردوها صحيحة
قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا بان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شانا من ذلك
قال فانطلقوا فبنوا صومعة الى جنب صومعته ولكن لزيقة صومعته حتى تشرف
عليه فان قبلها والا دعوها في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب
امانتك قال فانطلقوا فسالوه على ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ملا من الابيض
ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه احدثنا امانة عندك
فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انتقل برصيصا من صلاته عاين الجارية وما هي عليه
من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاها الشيطان فحنقها فدعا برصيصا
بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجاها الشيطان
فحنقها فكادت تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاه الشيطان وقال له ويحك
واقعها فلم يجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى
واقعها فلم يزل على ذلك يا بنيها حتى حملت فظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا
قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم

افرغ عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل
فاحد طرفي ازارها في خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته فاقبل على
صلاته اذ جاءت فاتها يتعهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسالون عنها
ويوصون بها فلما قالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها
ولم اطلع فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى كبيرهم في منامه
فقال له ويحك ان برصيصا قتل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا فقال هذا
حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث
فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا
فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخوته والله لقد رايت كذا وكذا فقال
الاوسط والله والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت
اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني فقالوا والله لانتهمك واستحيوا منه
وانصرفوا فجاء الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وان طرف ازارها خارج
من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما وصف لهم فمشوا في مواليهم وعلمائهم مع
القوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا واثاروه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك
فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس فقال له تقتلها وتكابر بجمع عليك
امرات قتل ومكابره اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب
اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني فقال لا قال انا صاحبك الذي علمك الدعاء
فاستجيب لك ويحك اما افتيت امس في امانة حدث اهلها وزعمت انك اعبد بني
اسرايل ما استحييت فلم يزل يعايره ويعنفه حتى قال في اخر ذلك لم يكفيك ما صنعت
حتى افتريت علي نفسك وفضحت نفسك وفضحت اشباهك من الناس فانت
مت على هذه الحالة لم يفلح احد من مطابرك قال فكيف اصنع قال فاطعني في خصلة
واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فاخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي
قال تسجد لي قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت
عاقبة امرك الى ان كفرت بربك فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين
قال تعالى فكان عاقبتهما اي عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين

فيها

فيها وذلك جزاء الظالمين قال ابن عباس ضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بني النضير والمنا
من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بني النضير وقد سئل المنافقون
الى اليهود وقالوا لا تخرجوا محمد صلى الله عليه وسلم الا ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم
فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم وديروا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم وجا
نصر المنافقين حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فنا صبوه الحرب برجون نصر المنافقين
فخذلوهم ونبروا منهم كما نبذ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة المنافقين النار
قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني اسرايل الا بالتغبية والكتمان
وكتم اهل الفسوق والفجور في الاحبار ورهبانهم باليهتان والقبيح حتى كان من
امر جريج الراهب ما كان فلما راى الله تعالى ما رموه به انبسطت الرهبان بعده وظهروا
للناس وكانت قصة جريج على ما روي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج
وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتت امه وهو يصلي فقال
يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المو
فذكر بنو اسرايل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم
لافتنه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته س
فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه
وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت
منك فقال اين الصبي فجاوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي
فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه
ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت
ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو سارة حسنة
فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال
اللهم لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يمصه قال كاني انظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه اصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال
ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم

مسات

نقتين

الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني
مثلها فهنالك تراجع الحديث فقال مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله
فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت
فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان
جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون انها زنت ولم تزن وسرقت ولم
تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري
مختصرا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزواني جمع
مومسة وهي المرأة الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي يجيء منه
ويضرب به المثل وقوله ذو اسارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس
والمركب ويحوذك والحيار العافي المتكبر الفاخر للناس قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لينظر احدكم اي شيء قدم لنفسه من الاعمال
عملا صالحا يجيء به ام شيا يوبقه والغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيمة
يأتي غدا وكل ما هو آت فهو قريب واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون قيل كرر الامر
بالتقوى تاكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا
الله فلا تاتوا المعصيات ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امر الله فانساهم انفسهم
اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده اولئك هم الفاسقون
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون هذا ارشاد
المومنين لما يصلحهم بقوله والتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا
الله فانساهم انفسهم بين الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار يعني
الذين هم في العذاب الدايم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله
اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما
قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله معناه ان لو جعل في الجبل تمييز وعقل كما جعل فيكم وانزل عليه القران
لخشع اي لطاطا وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع
صلابته ورزانته مشتق من خشية الله وحذران لا يودي حق الله في تعظيم القران

والكافر

والكافر مستحق بجفاته معرض عما فيه من العبر والحكم كان لم يسمعها وصفه بقساوة القلب
فهو غافل عما تضمنه القران من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل
والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه وجب له الخشوع
والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا
وعقلا يدل على انه تمثيل قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
اي الصرف وهذا للتنبيه على فساد قلوب هولاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم
ولما وصف القران بالتعظيم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى هو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى علم ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه
ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وعلموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية
والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والاخرة هو الرحمن الرحيم اسمان اشتقا
من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة
والاحسان الى خلقه وقيل ان رحمن اشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمن
الدنيا ورحيم الاخرة لانه تعالى احسانه في الدنيا يعم المومن والكافر وفي الاخرة يخص
احسانه وانعامه بالمومن هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المتصرف بالامر والنهي
في جميع خلقه المالك لهم يحت ملكه وارادته القدوس اي الطاهر من كل عيب المنزه
عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته السلام اي الذي سلم من النقايص وكل افعاله تلحق
بالحق فان قلت هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون
كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القران قلت الفرق بينهما اما كونه قدوسا
فهو اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقايص في الماضي والحاضر والسلام اشارة
الى براءته عن جميع ذلك لا يطرا عليه شيء من العيوب والنقايص في المستقبل فان الذي
يطرا عليه شيء من ذلك قد تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه
من ظلمة المومن قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن به من عذابه
وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم من
الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب المهيمن قال ابن عباس اي الشهيد على عباده
بأعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القايم على خلقه برزقه وانشد في معناه ٥

بعضها على بعض وقيل الخالق المبتدي للخلق المخترع له على غير مثال سبق الباري
اي المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على
صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل او الابانة
خلقا ثم ابرازه تصويرا وانما قدم لفظ الخالق على الباري لان ترجيح الارادة مقدم على تاثير
القدرة وقدم الباري على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات له الا
الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين الف
ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين
يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار
كتابه

تفسير سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة اية وثلاثمائة وثمان واربعون كلمة والف ومخمسمائة وعشرة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى اتينا
الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجي
الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال
يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من
معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها اموالهم واهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني
ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا
عن ديني ولا ارضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم

الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه في العرف والنكر
اي القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي
وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله
عليه وسلم في ابيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء ارفع النطق

وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتاويله واشد شعر
جل المهيمن عن صفات عبيده ولقد تعالى عن عقول اولي النهى
وامور عهم صنا مليكهم والوصف يقصر عن مليك لا يرى
العزيز الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر الجبار قال ابن عباس الجبار
هو العظيم من جبروت الله عظمته تعالى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر هو الذي
يقهر الخلق ويجبرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي
اذا اراد امرا فعله لا يجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يدرك والجبار في
صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة الناس
صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك يقبح في حقه لانه ليس لكبر
ولا علو له الحقارة والذلة فاذا ظهر الكبر كان كذلك في فعله لكان مذموما في حق
الناس واما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة
ولهذا المعنى قال في اخر الاية سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان بعض الخلق يتكبر ليكون
نعتا في حق الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فاذا ظهر ذلك كان ضم كمال الى
كمال كما قال ابن عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا ينبغي مثله وقيل هو الذي تكبر
عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل
الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون من ادعا
الكبرياء لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه محكمة متقنة
فهو راجع الى الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر للقلب للنبي بالتدبير
الباري اي المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود المصور اي الذي
يخلق صورة الخلق على ما يريد وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز

فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل روضة
خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة
المراة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الوجاء والعفاص الشعر المضفور قال المفسرون
نزلت هذه الآية في حاطب بن ابي بلتعة كما في الحديث وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن
صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم م
يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمة جيت قالت لا قال امهاجرة جيت
قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت
حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وابن انت من شباب
مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر بحث عليها بنو عبد
المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد
بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة اعطاها عشرة دنانير وكساها برد اهلي ان توصل
الكتاب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذ واحذركم فخرجت سارة
ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابي مرثد فرسانا فقال
انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى
المشركين يحذروه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها
في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله
ما معها كتاب فبحثوا وتفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله
ما كذبنا ولا كذبنا وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما
رات الجد احتجزته من دونها وقد حبانته في شعرها فحلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا
لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت
فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم

ولكن

457

ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي
بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل
بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره
فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى في شان حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء يعني اصدقاء وانصارا تلقون اليهم بالمودة اي باسباب
المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي
بينكم وبينهم وقد كفروا اي والحال انهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني القرآن يخرجون
الرسول واياكم يعني من مكة ان تؤمنوا اي لان امنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم
بالله ربكم ان كنتم خرجتم هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي
وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدو وكم اولياء وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة
اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم بالستكم
منها ومن ينفعله منكم اي الاسرار والقاء المودة اليهم فقد ضل سواء السبيل اي اخطا
طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ان يثقفوكم اي يظفروا بكم ويبدوكم
يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والشتم
والسب وودوا اي تمنوا لو تكفرون اي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء
الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا ينالهم خيرهم لما بينهم من الخلاف فلا تنالوا بمعونتهم
ولا تواد وهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذو ارحامكم
وقرباتكم واولادكم الذين بمكة الا حيابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وتركه
مساعدتهم وتفضل احبارهم وموالاة اعدائهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم
الله عز وجل لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته
النار والله بما تعملون بصير قوله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم يخاطب
حاطبا والمومنين وبامرهم بالاقتداء بابراهيم عليه السلام والذين معه اي من اهل
الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين انا برءاء منكم جمع بريء ومما تعبدون من دون

الله كفرنا بكم اي بجحودكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء الدائمة حتى تؤمنوا
بالله وحده والمعنى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام واصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم
لكفرهم فامرهما طبا والمومنين ان يتاسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك اي يعني
لكم ان تتاسوا باباهيم في جميع اموره الا في استغفاره لابيه المشرك فلا تتاسوا به فان
ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلا تبين له اقامته على الكفر تبرا منه وما املك
لك من الله من شيء هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب
الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم
ومن معه من المومنين ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا
بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك واغفر لنا ربنا انك انت
العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة اي اقتداء حسن
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة
ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويوالي الكفار فان الله هو الغني اي عن خلقه
الحميد اي الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله تعالى المومنين بعداوة الكفار عادى
المومنون امرباهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المومنين
بذلك انزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم اي من كفار مكة
مودة فعمل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم
وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان ولان لهم ابوا
سفيان والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واصلح ثم
رخص في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم اي لا ينهاكم الله عن البر الذين لم
يقاتلوكم ولم يخرجوكم وتقسطوا اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم وبرهم ان الله يحب المقسطين
اي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله تعالى في برهم قال عبد الله
بن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر الصديق وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت

عليها

عليها المدينة بهدايا حسانا وقرظا وسمنا وهي مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية
ولا تدخلي علي بيتا حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته فانزل الله عز
وجل هذه الآية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها
وتكرمها وحسن الهباف عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت قدمت
علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم مع
ابيها فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي
وهي راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله تعالى فيها
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله عز وجل الذين نهى الله عز وجل عن صلتهم
وبرهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الآية ح عن عروة بن الزبير
انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب
سهيل بن عمرو يومئذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه
لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المومنون
ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه
سهيل بن عمرو ولم ياتها احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المومنات
مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ وهي عاتق فجاء اهلها يسالون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها
حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى وان
جاءك احد منهن قال عروة فاخبرتني عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن
بهذه الآية يا ايها النبي اذا جاءك المومنات مهاجرات الى قوله غفور رحيم قال عروة فمن
اقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها به
والله ما مست يده يد امراة قط في المبايعة ما يبايعهن الا بقوله وقال ابن عباس انزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركوا مكة
على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوا عليه وكتبوا بذلك

كتابا وختموا عليه سبيعة بنت الحرث الاسلمية بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها
مسافر وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد
شرطت ان نرد علينا من اتاك منا وهذه طيبة الكتاب بعد لم يجئ فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات ابي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس
امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته
ولا التماس دنيا ولا خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
حلفت على ذلك لم يردها فاذا استحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة حلفت
فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال المفسرون والمراد بقوله يا ايها الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي
تولى امتحانهن بنفسه فكان يمتحن من جاء من الشابة بعد الامتحان ويعطي ازواجهن
مهورهن ويرد من جاء من الرجال فاختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا
صريحا فنسخ الله تعالى رد هن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد
وقيل لم يشترط رد هن لفظا صريحا وانما اطلق العقد فكان ظاهر العموم لاشتماله
على النساء الرجال فبين الله تعالى حرز وجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال
في الحكم الله اعلم بايمانهن ابي هذا الامتحان لكم والله اعلم بما لهن فان علمتموهن مومنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن يعني اذا اقررن بالايمان فلا ترددن
الى الكفار لان الله تعالى لم يبح مومنة لكافر وانتم اي ازواجهن ما انفقوا عليهن اي من
المهور الذي دفعوه اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن
اباح الله تعالى ذكره للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان
لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت
الفرقة على انقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي
والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين
ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب يعني الله تبارك وتعالى
المومنين عن المقام على نكاح المشركات بقول الله تعالى وان كان لامراة كافرة فلا
يقدرون بها فقد انقطعت عصمة الزوجة بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الاية طلق عمر بن

الخطاب

الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي
سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي امراة
عبد الله فتزوجها ابو الجهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة
بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين
قومها فوقع الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية
قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع
فاسلمت وهاجرت والحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى
المدينة واسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى في المومنات ما انفقتم يعني
ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا اسلموها ممن تزوجها
منهم وليسالوا ما يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ما انفقوا اي من المهر ممن
تزوجها منكم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي
كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك يصنع
بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اخر المومنون بحكم الله تعالى واداموا
بما امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم والى المشركون ان يقروا بحكم الله تعالى بينهم وامروا من
نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم ايها المومنون شيء من ازواجكم الى الكفار
اي فلحقن بهم مرتدة فعاقبتم معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهي
الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم اي الكفار
مثل ما انفقوا معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما
عليها من الغنائم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق المشركون
من نساء المومنين المهاجرين ست نسوة ام كلثوم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض
بن شداد الفهري وفاطمة بنت امية بن المغيرة تحت ام سلمة وكانت تحت عمر ابن الخطاب
فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة
بنت عبد العزيز بن مصلة وتزوجها عمير بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت
تحت هشام بن العاص بن وايل وام كلثوم بنت جرول وكانت تحت عمر ابن الخطاب فكلهن
رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة

انفقوا

واختلف القول في ان رد مهر من اسلمت من النسا الي ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصل
هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النسا ام لا فيه قولان احدهما ان وقع على رد الرجال
والنساجميعا انه لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد النسا منسوخا بقوله
تعالى فلا ترجعوهن الي الكفار فعلي هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع عن
رد النسا لانه روي عن علي انه قال لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته اليه لان
لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة والرد ما يخشى على المراة من اصابة الشرك اياها وان لا يؤمن
عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الي المخرج منه باظهار كلمة الكفر
مع التورية واضمار الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهداية نفسه
فعلي هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب العمل اليوم في رد المال اذا اشرط في معاقدة
الكفار فقال قوم لا يجب ورعموا ان الاية منسوخة وهو قول عطا ومجاهد وقتادة وقال
قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون وقوله عز
وجل يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النسا يبايعنه وعمر بن
الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة
مع النساخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بايعكن على ان لا تشركن بالله شيا فرفعت هند راسها فقالت انك لتاخذ
علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد
فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح
واني اصبت من ماله هنيهات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شي
فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك
لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ولا تزنين فقالت هند اوتزني
الحرة فقال ولا تقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم
وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند
والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في

معروف

معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي فاقر به
النسوة مما اخذ عليهن في البيعة قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اربعمائة
وسبع وخمسون امراة ولم يصافح في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام ق عن
عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النسا بالكلام
بهذه الاية لا يشركن بالله شيا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة لا يملكها
واما تفسير الاية فقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد وا د الهنات الذي كان يقتلها اهل
الجاهلية ثم هر علم في كل نوع من قتل الولدان ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن بيعني لا يلحق المراة بزوجها غير ولد او ذلك ان المراة كانت تلتقي بولدها فتقول
لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفتري وليس المراد منه نهيهن عن الزنا
لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط
بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن به او تنهاهن عنه
وقيل امر موافق طاعة الله تعالى وكل امر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعا
بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المراة الرجال
الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله
تعالى ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله تعالى على النسا اخرجه البخاري
ق عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله
شيا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد
ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيا فانطلقت ثم رجعت فبايعها ق
عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق
الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية عن اسيد بن اسيد عن امراة من المبايعات قالت
كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي اخذ علينا ان لا
نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه
ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساحين بايعهن
ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نساا اسعدننا في الجاهلية فاسعدهن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام اخرجه النسائي م عن ابي مالك

الاشعري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وفي سعيد الخدري قال لما نزل رسول الله صلي الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله تعالي فبايعهن يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم عن امية بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن قلت الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا قلت يا رسول الله ابايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم انما قولي لمائة امراة كقولي لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يجالسون اليهود اخبار المسلمين بتوصلون اليهم بذلك ويصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا نعت محمد صلي الله عليه وسلم وصدقوا ان رسول الله فكذبوه يئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الاخرة وذلك ان الكفار اذا ماتوا فقبورهم يئسوا من رحمة الله تعالي وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الصف

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي اربعة عشر اية وماية واحدي وعشرون كلمة وتسعماية حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل في سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الي الله عز وجل نعلمناه فانزل الله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قال المفسرون ان اناسا منهم قالوا لو علمنا احب الاعمال الي الله تعالي لعملناه

ولبذلنا

461

ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من الاية فابطاوا ذلك فوجد احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله عز وجل لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالي رسوله صلي الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنقرن فيه وسعنا فقروا يوم احد فعيرهم الله تعالي بهذه الاية وقيل نزلت في شان القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمومنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون معناه ان تعدوا من انفسهم شيا ثم يثبوا به ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون انفسهم عند القتال ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف والمعنى ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص قوله تعالي واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل يا قوم لم تؤذونني وقيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذي والمعت منها قولهم ان الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني توقرونني وانتم عالمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم والاذي فلما زاغوا اي عدلوا وما لوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي اماله عن الحق الى غيه والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان ايذاءهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم اي اني رسول ارسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة مصدقا لما بين يدي من التوراة اي اني مقرر ومعترف باحكام التوراة ومكتب الله وانبيائه جميعا من تقدم ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يعني قد بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد عن ابي موسى قال امر رسول الله صلي الله عليه وسلم اصحابه ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول ان محمدا صلي الله عليه وسلم وانه الذي بشر به عيسى

رسول الله

ولولا ما اثابه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعله اخرجه ابو داود عن
عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال ابو داود
المدني قد بقي في البيت موضع قبر اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا
لعيسى يا روح الله هل بعد نا من امة قال بلى امة محمد صلى الله عليه وسلم حلماء ابرار
كانهم من العفة انبياء يرضون من الله اليسير من الرزق ويرضى الله تعالى عنهم باليسير
من العمل عن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا
احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما
انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء حامدون الله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره
والثاني انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم مودون لما فيهم من الخصال
الحميدة وهو اكثر مبالغة تواجع للفضايل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره
فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا
سحر مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن افتح ظلما ممن بلغه القرآن
ان يكذب على الله وذلك انهم علموا انما قالوه من قلة علم لانه تم كفر وابه وهو يدعى الى الاسلام
يعني الآية اي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افترا الكذب على ربه هذا سحر مبين
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عند ربهم
يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم يعني اراد تهم ابطال الاسلام بقوله في القرآن هذا
سحر مبين والله متم نوره اي متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر
دينه ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله اي ليعليه على الاديان المخالفة له وقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب
مقهور لدين الاسلام ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب اليم نزلت هذه الآية حين قالوا لو علم اي الاعمال احب الى الله
لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يرجون بها رضى الله عز وجل وقيل جنته والنجاة
من النار ثم بين ذلك التجارة فقال تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في

سبيل

سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي امركم به من الايمان والجهاد في سبيله ان
كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه
معنى الامر المعنى امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم يعني
هذا الجزاء الذي ذكرته هو الفوز العظيم واخرى تحبونها اي ولكم تجارة اخرى وتفضل ولكم
خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة نصر من الله وفتح قريب
قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح فارس والروم وبشر المومنين اي يا محمد بالنصر
في الدنيا والجنة في الآخرة ثم خصهم على نصر الدين وجهاد المحالفين فقال تعالى يا ايها
الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله
قال الحواريون نحن انصار الله وكانوا اثني عشر رجلا اول من امن بعيسى عليه السلام
وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حواري الزبير
فامنت طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة قال ابن عباس في زمن عيسى عليه
السلام وذلك ان رفع فتفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا
كان الله فرفعه وفرقة قالوا عبد الله ورسوله فرفعه وهم المومنون واتبع كل فرقة
طايفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة فذلك قوله تعالى
فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي عالين وقيل معناه فاصبح
حجة من امن بعيسى ظاهرة لنصد بن محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله
والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة واية وماية وثنتان كلمة وسبعماية وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في
السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب وكانت
العرب امة امية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبي الله صلى الله عليه وسلم وقيل
الامي هو الذي على ما خلق عليه كانه منسوب الى امه ورسولا منهم يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم يعلون بسنته وهو من جنسهم وقيل امينا متلهم وانما كان امينا لان امته

ابن عباس

الله

ثنتا

في كتب الانبيا النبي الامي وكونه بهذه الصفة احد رد من قولهم الاستغناء بالكتابة على
ما اتي به من الوحي والحكمة وبكون حاله مشاكلة بحال امته الذي بعث فيهم وهو لكنا قرب
الي صدقه بتلوا عليهم ايا ته اي التي تبين رسالته وقيل ايا ته التي تبين بها الحلال
من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك ويعلمهم الكتاب اي
القران وقيل الفرايض والحكمة قيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال محمد
صلي الله عليه وسلم لفي ضلال مبين واخرين منهم اي من المرسل اليهم الذين بعثهم
لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالاخرين العجم وهو
قول عمرو وسعيد بن جبير وفي رواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلي الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ
واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هولا الذين لم يلحقوا بهم فلم يكلمه
حتي ساله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلي الله عليه وسلم يده
علي سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هولا ء رجاه
في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلي الله عليه
وسلم الي يوم القيامة لما يلحقوا بهم اي لم يدركوا منازل الصحابة وهو العزيز اي الغالب
الذي قهر الجبابرة الحكيم الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ذلك فضل الله يؤتيه
من يشا يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلي الله عليه وسلم والله ذو الفضل
العظيم اي علي خلقه كبي ارسل فيهم رسوله صلي الله عليه وسلم قوله تعالي مثل الذين
حملوا التوراة يعني اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ثم لم يفعلوا هو مثل الحمار
يحمل اسفارا جمع سفر وهي الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى
وهذا مثل ضربه الله تعالي لليهود الذين امروا عن العمل بالتوراة وبالايمان بمحمد صلي
الله عليه وسلم بسببه اليهود اذا لم ينتفعوا بما في التوراة الدالة علي الايمان بمحمد صلي الله
عليه وسلم كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرون
التوراة ولا ينتفعون بها لا يعرجا لفوا ما فيها وهذا المثل ايضا من لم ينتفع مما في القران
ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراضا من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون ان مهران

يا اهل القران اتبعوا القران قبل ان يتبعكم ثم ذلا هذا المثل والمراد لهم فقال تعالي بيس مثل القوم
اي بيس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله يعني محمدا صلي الله عليه وسلم وما ياتي به من
ايات القران وقيل المراد من الايات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا
انفسهم فكذبوا بايات الله وانبيائه قل اي يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من
دون الناس اي من دون محمد صلي الله عليه وسلم واصحابه فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
اي ادعوا علي انفسكم بالموت ولا يتمنوه ابدا بما زعموا انكم ابنا الله واحباوه فان الموت هو الذي
يوصلكم اليه لان الاخر مختبر لاوليا الله من الدنيا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر
والتكذيب والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي فلا ينفعكم
الفرار منه ثم تردون الي عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون فيه وعيد وتهديد قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي لوقت الصلاة من يوم الجمعة اي في
يوم الجمعة واراد بهذا النداء الان عند قعود الامام علي المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول
الله صلي الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلي الله عليه وسلم علي المنبر اذن بلال
عن السايب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام علي المنبر علي عهد
رسول الله صلي الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني
علي الزوراء زاد في رواية فثبت الامر علي ذلك ولابي داود قال كانوا يؤذنون بين يدي
رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا جلس علي المنبر يوم الجمعة علي باب المسجد وذكره نحوه الزوراء
موضع عند سوق المدينة قريب المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية
هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالي جمع فيه خلق ادم وقيل لان الله تعالي فرغ من خلق الاشيا
فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمي هذا اليوم
جمعة كعب بن لوي قال ابو اسامة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من سمي
الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم
النبي صلي الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة قالوا لليهود
يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصاري يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله
تعالي ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصاري فاجعلوه يوم العروبة ثم

ثم ان الله تعالى في ذكر بعد عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد
بن زرارة فقال له عبد الرحمن بن ابيت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة فقال له كعب الرحمن
قال اول من جمع بنا في هذا البيت من حزم بني بياضة يقال له نقيع الخضمات قلت له كم انتم
يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه
على ما ذكره اهل السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني
عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجده ثم خرج من بين
اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم
وقد اختط في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى فاسعوا
الى ذكر الله اي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي انما المراد منه العمل
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن لما والله ما هو بالسعي
على الاقدام وقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار وكن بالقلوب والنية
والخشوع وعن قتادة في هذه الاية فاسعوا الى ذكر الله قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك
وهو المشي الهين كان يتأول قوله فلما بلغ معه السعي يقوله فلما مشى معه ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة
والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها
تسعون وائتوها تمشون عليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى
الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب
هو موعظة الامام ودر والبيع يعني البيع والشراء لان اسم البيع يقع عليهما جميعا وهو في
لزومهما سواء انما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام
وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء فكل اي الذي ذكرت من حضور الجمعة
وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك الوقت ان كنتم تعلمون ان مصالح انفسكم

فصل في فضل الجمعة واحكامها وادابها وفيه مسائل المسئلة

الاولى في فضلها عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد
في رواية لا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم

الجمعة

الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه
واشار بيده يقللها وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل
الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة
ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب
دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة
يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة
يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من
اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة م عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر
له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصا فقد لغا قوله ومن مس الحصى
فقد لغا معناه انه بشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو ع عن عبادة
بن الصامت قال اردفني ابو اعيبي واذا اذهب الى الجمعة فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله تعالى حرمهما الله تعالى على النار ع عن
ابي هريرة قال خرجت الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة
وحدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه اهبط وفيه مات
وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة من حين تصبح حتى
تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو
يصلي يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في
كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم
لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال
عبد الله بن سلام قد علمت اي ساعة هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تكن عني
وفي نسخة ولا تضن علي قال هي اخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة فقلت وكيف تكون
اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم
يصلي وذلك ساعة لا يصلي فيها قال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه

وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فعلت يلي قال فهود كذا اخرجه مالك في الموطا والنسائي ح عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهر ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابوداود والنسائي قال ابوداود سمع مكحول من غضيف واغتسل قال غسل راسه وجده المسئلة الثانية في اثم تاركها عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره ليدعن اقوام ودعهم الجمعات او ليختمن الله عز وجل على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابوداود والنسائي والترمذي نحوهم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لينتهين مخلفون عن الجمعة هممت ان امر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم المسئلة الثالثة في تاكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فيجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل على ذلك ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك او امراة او صبي او مريض اخرجه ابوداود وقال طارق راى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله بن عمر وابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابوداود وقال رواه جماعة وابو نعوه وانما اسنده قبيصة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من اواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في العبد روايتان

تجب

وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط ان يبلغهم نداء المؤذن جمهور الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية تكون في موضع الجمعة في القرب على هذا العذر يجب على اهلها الحضور الى الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من اواه البيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد قيس نحوا من البحرين ولابي داود نحوه وفيه نحوا قرية من قرى البحرين المسئلة الرابعة في ترکها بعذر وكل من له عذر من مرض او تهمد مريض او خوف جار له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب في يوم ردي وريح فامر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا ذلك فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان احرجكم رواه في رواية تمشون في الطين والدحض والزلل اخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة اذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد المسئلة الخامسة في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف اهل العلم في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من اربعين وهو قول عبيد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحاق قال لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذكر بان يكونوا احرارا عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا لظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم والي والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الراي ثم ان عند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وابو حنيفة تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم والي قال وقال الحسن تنعقد باثنين كساير

الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد ممن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمسافر والصبي والمرأة ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال مالك والشافعي وابو يوسف وقال احمد تصح في موضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع

المسألة السادسة

لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال اذا كان قبل ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الراي ان يسافر بعد الزوال اذا كان بفناء البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز عنوانه يكره الا ان يكون سفره طاعة كحج او غزوة وذهب بعضهم انه اذا اصبح يوم الجمعة مغبانا فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم راه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك قال لو انفقت ما في الارض ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذي وروي ان عمر راى رجلا عليه اهبة السفر يوم الجمعة يقول لولا ان اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن السفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا العذر كفاية قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض اي اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين واذكروا الله كثيرا اي اذا فرغتم من الصلاة وارجعتم الى التجارة والبيع والشرا فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا تكونوا من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا لعلكم تفلحون قوله عز وجل واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما عن جابر قال بينا نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه

عليه وسلم الا اثني عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه وفيه الا اثني عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثني عشر رجلا انا فيهم وذكر في هذا الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وقط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلا السعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما راوه بالطبل قاموا اليه مخافة ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم يبق عاتق بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند حجارة الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج الناس يتبايعون منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثني عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لضرمت لهم الحجارة من السماء فانزل الله تعالى هذه الآية واراد بالهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اليها اي تفرقوا اليها وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قائما قال العلما والخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله تعالى هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعا ويجب ان يقرا في الاولى اية من القران ويدعوا

للموسنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم يصح خطبته ولا جمعته عند
الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا
العدد لا يتم عليه اسم الخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان
يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين
العلما والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد اذا
دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك ذكر الاحاديث
الواردة الدالة على هذه الاحكام ق عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة قايما ثم يجلس ثم يقوم
فيهم كما يفعلون الان م عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان
يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس زاد في رواية كن حدثك انه كان يخطب جالسا
فقد كذب عن كعب بن عجرة انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم قاعد الخطبة فقال
انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وتركوك قايما م عن جابر بن سمرة قال كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا يقرا ايات من القران ويذكر
الناس من ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد
فهي كاليد الجذما اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا وفي رواية ان يونس سال بن
شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما
فقد غوى ونسال ربنا ان يجعلنا من يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه
الحاكم به وله اخرجه ابو داود م عن جابر قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة يحمد الله تعالى ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته
واشتد غضبه حتى كان منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة

كهاتين

كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب
الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل
مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي عن ابن مسعود
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا
اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن
عمر راى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك في
الموطا وقال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاما صلاة الجمعة
ركعتان يجهر فيهما بالقراة ولجواز الجمعة خمسة شرايط الوقت وهو وقت الظهر ما بين
زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة واداة الاقامة فان فقد
شرط من هذه الشرايط الخمسة يجب ان يصلي الظهر ولا يجوز للامام ان يبتدي الخطبة
قبل اجتماع العدد وهو عدد اربعين عند الشافعي فلو احرموا وخطب بهم ثم انفضوا
قبل افتتاح الصلاة او انفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر
ولو افتتح الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعي ان بقا الاربعين شرط الى اخر الصلاة
كما ان بقا الوقت شرط الى اخر الصلاة فلو انفض واحد قبل ان يسلم الامام يجب على
الباقين ان يصلوها ظهرا وبه قول اخرون بقي معه اثنان انمها جمعة وقيل ان
بقي معه واحد انمها جمعة وعند المزني ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة انمها
جمعة وان بقي وحده وان كان في الركعة الاولى يتمها اربعا وان انفض من العدد واحد
وبه قال ابو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق الذي ادرك مع الامام
ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام انمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة انمها اربعا
ح عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن
عبيد الله بن ابي رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة
فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرا بعد الحمد سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية
قال فادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرات بسورتين كان علي بن ابي طالب
يقرا بهما في الكوفة قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بهما عن

النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم
ربك الاعلي وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد
يقرا بهما في الصلاتين عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان
يقرا في الجمعة بسبح اسم ربك الاعلي وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي
قوله تعالي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اي ما عند الله من الثواب
والاجر علي الصلاة والثبات مع النبي صلي الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة الذي
جاءها دحية والله خير الرازقين يعني ان الله يوجد الارزاق واصلها منه فاباها فاسالوا
ومنه فاطلبوا والله اعلم بمراده وبما في كتابه

تفسير سورة المنافقين مدنية

وهي احدي عشرة ومايتان وثمانون كلمة وتسعمايتة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون
يعني عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه قالوا نشهد انك لرسول الله وتم الخبر
عنهم ثم ابتدا فقال والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو علم بذلك والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا
خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام عن
الخبر عن شيء واعتقد خلافه واضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الا تري انهم كانوا يقولون
باللسان نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد انهم لكاذبون لما
كانوا اضمروا خلاف ما اظهروا اتخذوا ايمانهم جنة اي سترا يستترون بها من القتل ومعني ايمانهم ما اخبر الله عنهم من حلفهم
انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا بانفسهم
عن طاعة الله وطاعة رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل منعوا الناس عن الجهاد
وعن الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون اي حيث اثروا الكفر علي
الايمان ذلك بانهم امنوا في الظاهر وذلك اذا راوا المومنين اقروا بالايمان ثم كفروا
اي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد لقوله تعالي والله يشهد انهم
لكاذبون فطبع علي قلوبهم اي بالكفر فهم لا يفقهون اي الايمان وقيل لا يتدبرون
القران واذا رايتهم يعني المنافقين مثل عبد الله بن ابي بن سلول تعجبك اجسامهم

يعني ان لهم اجساما ومناظر حسنة وان يقولوا تسمع لقولهم اي تحب
ان تصدقه قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي بن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان
فاذا قال سمع السمع صلي الله عليه وسلم قوله كانهم خشب مسندة اي اشباح
بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الي جدار وليست باشجار
مثمرة ينتفع بما يحسبون كل صيحة عليهم يعني انهم لا يسمعون صوتا في العسكر
بان ينادي منادا وانفلتت دابة او انشدت ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم
انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اوتوا من قلوبهم من الرعب وقيل كل صيحة عليهم وجل
وخوف من ان ينزل بهم امرا يهتك استارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام علي قوله عليهم
ثم ابتدا فقال تعالي هم العدو فاحذرهم يعني انهم وان كانوا معكم ويظهرون قصد
اعدائكم فاحذرهم ولا تامنهم علي سرك لانهم عيون اعدائك من الكفار ينقلون
اليهم اسراركم قاتلهم الله اي لعنهم الله اي يرمون اي يصدون عن الحق قوله
عز وجل واذا قيل لهم تعالوا ليستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم اي امالوها
واعرضوا بوجوههم وهبه عن الاستغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون
عما دعوا اليه وهم مستكبرون اي عن الاستغفار ورسول الله صلي الله عليه وسلم
سواء عليهم استغفرت لهم اي يا محمد ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان
الله لا يهدي القوم الفاسقين ذكر القصة في سبب نزول هذه الاية
قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
بلغه ان بني المصطلق يجمعون لحربه وقائدهم الحارث بن ابي ضرار وهو ابو
جويرية زوج النبي صلي الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك
خرج اليهم حتي لقيهم علي ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الي الساحل
فتراجمت الناس واقتتلوا فهزم الله تعالي بني المصطلق وامكن منهم وقتل من قتل
منهم وسبي رسول الله صلي الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فافاءها عليه
فبينما الناس علي ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من
بني غفار يقال له جهجاه بن سعد الغفاري يقود له فازدحم جهجاه وسنان بن
وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج علي الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار

وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين واعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جهال وكان
فقيرا فقال عبد الله بن ابي لجهال وانك لهناك فقال جهال وما يمنعني اذا فعلت وذلك نفضب
عبد الله بن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حدث السن فقال
عبد الله اوقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل
سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من
حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما
والله لو امسكتم عن جماله ودونه فضل الطعام لم يركبوا الا رقابكم وليحولوا الى غير بلادكم
فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل
المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد
الله بن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك بعد فراغه من الغزو واخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه
يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل
وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس فارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي
بلغني فقال عبد الله والله الذي انزل الكتاب عليك ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا
لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من الصحابة
يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغشت الملاحة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان
زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتوك وكان زيد
يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحي بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم
فلما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة
وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابي فقال اسيد
وما قال فزعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد انت
والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به

فوالله

فوالله لقد جاء الله بك وان قومه ليعظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا
وبلغ عبد الله ابن عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني
به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني
اخشى ان تامر غيري بقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي
على الارض فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
نرفق به ونحن نصحبه ما بقي معنا قال واسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى
امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى اذا نهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان
وجدوا مس الارض ونوما انبا ما فعل ذلك يشغل الناس عن حديث عبد الله بن ابي
الذي كان منه بالامس ثم سار بالناس حتى نزل على ماء يقال له بئر بني النضير يقال له نعمان
فما جئته ركب شديدة او هيئتهم وحثوثها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء
الكفار توفي بالمدينة قبل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين
كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي ياتي بالوحي فاتاه جبريل عليه
السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه وقال ما زعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق
وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلقت زمامها بشجرة فخرجوا يبصرون فاذا هي
كما قال فجاؤا بها فاسلم ذلك المنافق وحسن اسلامه فلما قدموا المدينة وجد واس رفاعة
بن زيد ابن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهنا المنافقين فلما
دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من
الهم والحياء انزل الله عز وجل سورة المنافقين في نصديقي زيد بن ارقم وتكذيب
عبد الله بن ابي فلما نزلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد
ان الله صدقك واوفى باذنك في عمن زيد بن ارقم قال حججنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها

الارك قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الي عبد الله بن ابي فقال
فاجهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما
قالوه مشدة حتى انزل الله عز وجل يصدقني اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كانهم خشب مسندة قالوا كانوا رجالا
من اجمل بني عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغ معنا اس من
المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فلسع انصاريا فغضب الانصار غضبا
شديدا حتى تداعوا وقال الانصار يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بلسعة المهاجري
الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن ابي بن سلول قد نذلوا علينا لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر الا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال
اياس وليس نصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان
مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي لا ينقلب حتى
تقر انك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال اصحاب السير وكان عبد
الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى اناخ على باب طريق
المدينة فلما جاء عبد الله بن ابي قال له ابنه ورائك قال مالك ويلك قال لا والله ما تدخلها ابدا
الا ان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله
بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان خل عنه فخل فقال عبد الله اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم
فدخل قال فلما نزلت هذه السورة وبانت كذب عبد الله بن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل
فيك اي بشدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى راسه وقال
امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد
لمحمد فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية ويقول
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه
ولله خزائن السموات والارض اي بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احدا شيئا الا

باذنه

باذنه ولا يمنعه الا مشيئته ولكن المنافقين لا يعقلون يعني انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز
منها الاذل فرد الله تعالى عليهم بقوله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة
الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهاره ايه على الاديان
كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا
ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي بن سلول فلم
فلم يلبث الا اياما فاتى ابا بكر صاحب اشتكى ومات على نفاقه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم
اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي ومن يشغله
ماله وولده عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث اثروا الفاني على
الباقي وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان يأتي احدكم
الموت اي دلائله الموت ومقدماته وعلاماته فيسال الرجعة فيقول رب لولا اخرتني
اي هلا امهلتني وقيل لولا اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق اي فازكي مالي
واكون وقرئ واكن من الصالحين اي المؤمنين وقيل هذه الاية نزلت في المنافقين ويدل
على هذا ان المؤمن لا يسال الرجعة وقيل الاية نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا
الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يود زكاته واطاق الحج ولم يحج يسال
الرجعة عند الموت وتلا هذه الاية قال واكن من الصالحين اي احج وازكي ولن يؤخر الله
نفسا اذا جاء اجلها يعني ان الله تعالى لا يؤخر من حضر اجله وانقضت مدته والله خبير
بما تعملون اي انه لو رد الى الدنيا واجب الى ما سال ما حج ولا زكى وقيل هو خطاب يتابع
لكل عامل عملا من خير او شر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المنافقين مدنية

في قول الاكثرين وقيل هي مكية الا ثلاث ايات من قوله يا ايها الذين ان من ازواجكم واولادكم
الى آخر ثلاث ايات وهي ثمانية عشر كلمة ومائتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في
الارض له الملك وله الحمد يعني ان الله تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك

دكم

له فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال بالاستحقاق في جميع الاحوال ١٢
هو وهو على كل شيء قدير يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع هو
الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني ادم مؤمنا وكافرا
ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم وخلق للنار اهلا خلقهم
لها وهم في اصلاب ابائهم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم
ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها
قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال
جماعة في معنى الاية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وامنوا الا ان الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم
بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا في تاويلها فروي عن ابي سعيد الخدري انه
قال فمنكم كافر لجبانته ومنكم مؤمن في المعافية ومنكم مؤمن جبانته كافر في العافية وقال عطا
عن ابي رباح فمنكم كافر بانه مؤمن بالكوكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكوكب وقيل فمنكم كافر
اي بان الله تعالى خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مؤمن اي بان الله خلقه
وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا
له وكسبا فلكل واحد من العبدين كسب واختيار وكسبه واختياره فيتقدر بقدرة الله تعالى
ومشيته فالمؤمن بعد خلق الله تعالى اياه مختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه
منه وهذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا الصراط الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية
والله بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن خلق السموات والارض
بالحق وصوركم فاحسن صوركم اي اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن
والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الاعضاء وقد علم ان صورة الانسان احسن
صورة واكملها واليه المصير اي المرجع في القيامة يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات الصدور معناه انه تعالى لا يخفى عليه خافية فاستوى
في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزاء اعمالهم وهو
ما لحقهم من العذاب في الدنيا لهم عذاب اليم في الاخرة وذلك اي الذي نزل بهم من العذاب

بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان يكون
الرسول بشرا وذلك لقلة تعقلهم وسخافة احلامهم وانكروا ان يكون معبودهم حجرا
فكفروا اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم
والله غني اي عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال
تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن اي يوم
القيامة ثم لتنبؤن اي لتخبرن بما علمتم وذلك على الله يسير اي امر البعث والحساب
يوم القيامة فامنوا بالله ورسوله لما ذكر الله تعالى حال الامم الماضية المكذبة وما
نزل بهم من العذاب قال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة
والنور الذي انزلنا يعني القرآن سماه نورا لانه يهتدي به في ظلمات الضلال
كما يهتدي بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم
جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيمة يجمع الله
تعالى فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارضين ذلك يوم التغابن من
الغبن وهو فوت الحظ والمراد في التجارات والتجارة وذلك اذا اخذ الشيء بدون قيمته
فقد غبن فالمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر اهل
ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل
مؤمن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون
فلا غبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم منعوت في الدنيا
بنعوت الاخرة غالبا للظالم واصل الغبن في البيع والشراء وقد ذكره الله تعالى
في حق الكافرين انهم ضروا وغبنوا في اسرهم فقال تعالى فاشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم وقال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين ومن يؤمن بالله
اي على ما جاء به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا اي
في ايمانه الى ان يموت على ذلك يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا اي بوحدانية الله

تعالى وقدرته وكذبوا بايانا اي الدالة على البعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضاء الله تعالى وقدرته وارادته
ومن يؤمن بالله اي يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو
ذلك الا بقضاء الله تعالى وقدرته وارادته يهد قلبه اي يوفقه لليقين حتى يعلم ما اصابه
لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد
قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والله بكل شيء عليم واطيعوا الله اي فيما
امر واطيعوا الرسول اي فيما اجابه عن الله وما امركم به فان توليتم اي عن اجابة
الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو اي لا معبود
ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
هو لاء رجال اسلموا من اهل مكة واراد وا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم
واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا اصبروا يعيا الاسلامكم فلا تصبروا على فوائكم
فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم اي ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة
وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر
فراى الذين سبقوه الى الهجرة قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوا زوجته وولده
الذين بطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولم يتفق عليهم وقد يصيبهم خير فامره
الله تعالى بالعفو عنهم والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي وكان ذا اهل وولد فكان اذا اراد ان يغزو ابكوا عليه ورققوه فقال لهم ويحكم
تريدون ان يحرق علينا منزلنا فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ايا كم ان
تركتم طاعة الله تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا
اي فلا يعاقبوهم على خلافهم فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اي
بلاء واختبار وشغل عن الاخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق

وتناول

وتناول الحرام وغصب مال الغير وغيره ذلك والله عنده اجر عظيم يعني الجنة والمعنى
لا تباشروا المعاصي بسبب الاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال
بعضهم لما ذكر الله العداوة اوجل من التبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا
فكان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لا يخلوا عن الفتنة
واستعاذ النبي بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك
من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى اهل ومال وولد الا استمل على فتنة ولكن
ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجا الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق
الله العظيم انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران
فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب قوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم وهذه الاية ناسخة
لقوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم
عنه وانفقوا اي من اموالكم في حق الله الذي امركم به خيرا لانفسكم اي ما التقدم في
طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم تفسيره ان تقرضوا
الله قرضا حسنا القرض الحسن هو الصدقة من الحلال مع طيبة نفس يعني ان
تقرضوا اي تنفقوا في طاعة الله تعالى متقربين اليه بالانفاق يضاعفه لكم اي
يجزيكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شاء من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني
يجب المتقربين اليه حليم اي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة
العزيز الحكيم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الطلاق مدنية

وهي اثنتا عشرة اية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
نادى النبي صلى الله عليه وسلم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا اخرج خطاب
الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر القول

اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن اي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها
تعتد بذلك الطهر من عدتها ويجعل في العدة عقب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة
وكان ابن عباس وابن عمر يقرءان فطلقوهن في قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير
المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الاية في عبد الله بن عمر وكان قد طلق امرأته في حال
الحيض ق عن ابن عمر انه طلق امرأته وهي حايض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله
ان تطلق لها زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد
الله كما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امرأته وهي حايض فذكر
ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من
حديث ابي الزبير انه سمع عبد الرحمن ابن ايمن مولى عزة يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى
في رجل طلق امرأته حايضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهي حايض على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها ثم
قرء حتى تحيض حيضة مستقبلة سوى حيضتها التي طلقها فيها ثم ليمهلها حتى تطهر من
حيضها فان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان تطلق
النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن اي قبل عدتهن فصل اعلم ان الطلاق
في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه
وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا
في حق امرأة يلزمها العدة بالاقراء اما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق
الصغيرة التي لم تحض او الايسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في
حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هولاء لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا
لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها
ولو لا جواز ه في جميع الاحوال لاستبان ان يتعرف الحال ولو طلق امرأته في حال الحيض او
في طهر جامعها فيه فقد اعصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه
وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلو لا وقع الطلاق لما امره بالمراجعة واذا راجعها في حال

الجم

الحيض يجوز ان يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير
وانس بن سيرين عن ابن عمر ولم يجوزا ثم تحيض وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعة
ايا ها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض
اهل العلم حتى لو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي واحمد
وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي وقوله تعالى واحصوا العدة
اي عدد اقرائها فاحفظوها قيل امروا بحصا العدة كتعريق الطلاق على الاقراء اذا
اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم بمقادير زمان الرجعة ومراعات امر النفقة والسكنى واتقوا
الله ربكم اي واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به لا تخرجوهن من بيوتهن يعني اذا كان
المسكن الذي طلقها فيه الزوج للزوجة ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه ولا
يخرجن يعني ولا يجوز للمراة ان تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير
ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خانت هدما او عرقا جاز لها ان تخرج الى منزل
اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا
ولا يجوز لها الليال الا لعلي فلك ان رجالا استشهد وا باحد فقالت نساؤهم نستوحش
في بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجدثن عند احداهن فاذا كان
وقت الزوال فارجعي كل امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر طلقها
زوجها ان تخرج لجذ اذ نخلها واذا لزمتها العدة في السفر بعد ذاهبة وراجعة والبدوية
تتبع حيث يتبوء اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في المقيم وقوله تعالى الا
ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو على اهل زوجها
فيحل اخراجها السوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم
ترد الى منزلها بروي ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها
ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها وتلك حدود الله
اي ما ذكر من الطلاق وما بعده من الاحكام ومن يتعد حدود الله
اي يتطلق بغير السنة او يجاوز هذه الاحكام فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه لانه عرضها
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين

حشة

كما ذكرنا ان كان عمارة او خوف
فلا يحل الزوج ان يخرجها ولها ان تخرج
عنه ولا يجوز للزوج منعها

وهذا يدل على ان المستحب ان يطوف الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه
امكنه المراجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما احل الله شيا ابغض اليه
من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة
سالت زوجها الطلاق من غير ما باس به فحرام عليها رايحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي
قوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن اي اذا قربن من انقضاء عدتهن فامسكوهن اي راجعوهن
بمعروف او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن وتبين منك
واشهدوا ذوي عدل منكم اي على الرجعة ان اراق امرا بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق
عن عمران بن الحصين انه سيل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها
ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها
وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كما
في قوله اشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة
وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها او بلا يموت احد
الزوجين فيدعي الاخ ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان
تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة وتتزوج اخر واقيموا الشهادة يعني ايها الشهود
يعني طلبا لمرضاة الله وقياما برصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة
ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل معناه
ومن يتق الله ويطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف
بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله العدو قتل ابني وشكى اليه فاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله
واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي فعمل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ
اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة
فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي في امره ويرزقه من حيث لا يحتسب يعني
ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى
الله عليه وسلم واخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم نعم ونزلت الاية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شي هو انه يعلم انه
من فعل الله تعالى وان الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شي ضاق على
الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا مما نهاه الله عنه ومن يتوكل على الله فهو
حسبه يعني يثق بالله فيما نابه كفاه ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ان الله بالغ امره اي ينفذ
امره ويمضي في خلقه ما قضاه قد جعل الله لكل شي قدرا اي جعل لكل شي من شدة او رخا
اجلا ينتهي اليه ويحال مسروق في هذه الاية ان الله تعالى امره فتوكل عليه امر من يتوكل عليه غير
ان المتوكل عليه يكفر عنه سياته ويعظم له اجر قوله عز وجل واللاي يئسن من المحيض من
نسايكم قبل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان لنبي
قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله
عز وجل واللاي يئسن من المحيض من نسايكم يعني القواعد اللاي تعدن عن الحيض فلا
يرجون ان يحضن وهم العجايز الايسات من المحيض ان ارتبتم اي شككتم في حكمهن فلم
تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللاي لم يحضن يعني الصغار اللاي لم يحضن
بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ
سن الاياس فذهب اكثر العلما الى ان عدتها لا تنقضي حتى تياس وذهما الدم فتعتد بثلاثة
اقراو تبلغ سن الايسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت
وعبد الله بن مسعود وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي واصحاب الراي وحكي عن عمران
تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله في عدة الطلاق اما
المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشرا سواكانت ممن تحيض او لا تحيض واما
الحامل فعدتها وضع الحمل سواطلقها زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ق عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن
خولة وهو من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي
حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب
ترجين النكاح وانت والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة
فلما قال لي ذلك جمعت ثيابي حين امسيت واتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك

فانتابي قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه
وزاد خالد ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي ييسر عليه امر الدنيا والاخرة ذلك اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم اي لتعلموه ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله تعالى اسكنوهن يعني مطلقات نسائكم من حيث سكنتم من وجدكم اي سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن من اي لا تؤذوهن لتضيقوا عليهن اي مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اي فيخرجن من عدتهن فصل في حكم الاية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ويعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها فيها الزوج ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار مدة عدتها وان باجرة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال لبريرة ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الراي واظاهر القرآن يدل عليها لانها لا تستحق الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن واما الدليل على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ليس لك عليه نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابي اعتدي عند ام كلثوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فاذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية ابن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من

لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة له فيه وروي عن عائشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها قال سعيد بن المسيب انما فعلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها دراية واما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخة نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وسنافي فيه قولان احدهما لا سكنى لها بل تعتد حيث شاءت وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو به قال مالك والثوري واحمد واسحاق واحتج من اوجب لها السكنى بما روي عن الضحاك بن فيروز عن مالك بن نسان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب عبد له ابق حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت بالحجرة او في رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي فنودي فكان كنت قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من هلاك زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسألني عن ذلك فاخبرته فقضى به اخرجه ابو داود والترمذي وممن قال بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله اخر امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث في بيتها اخر استحبابا لا وجوبا لقوله عز وجل فان ارضعن لكم يعني اولادكم فاتوهن اجورهن يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان الابن وان كان قد خلق لكان الولد هو ملك للام والا لم يكن لها ان تأخذ عليه اجرا وفيه على ان حق الرضاع والنفقة على الاب واجب في حق الاولاد وائتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امر بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجل مسمى والخطاب للزوجين جميعا يأمرهم ان يأتوا بالمعروف

ومايلوا الاحسن ولايقصد الضرار وقيل المعروف هاهنا ان لايضار الرجل المراة ولاتضاره
والمراة في حق الولد ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد والاجرة الرضاف ابي الزوج ان
يعطي المراة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي
مرضعا غيرها وذلك قوله فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته اي على قدر
غناه ومن قدر اي ضيق عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما اتاه الله اي
على قدر ما اتاه الله من المال لايكلف الله نفسا اي في النفقة الا ما اتاها اي من المال والمعنى
لايكلف الفقير مثل مايكلف الغني من النفقة سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق
وشدة غنى وسعة قوله تعالى وكاين من قرية عتت اي عصت وطغت والمراد اهل القرية
عن امر ربها ورسله اي امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصا
وقيل حاسبناها بعملها في الكفر في الدنيا فاذاقناها وبال امرها في الاخرة النار وقوله تعالى وعذبناها عذابا نكرا اي
منكرا تظيعا وقيل في الاية تقديم وتاخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والخط
والسيف وسائر انواع البلا وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا اذاقت وبال امرها
اي شدة امرها وخسر انها وكان عاقبة امرها خسرانا في الدنيا والاخرة اعد
الله لهم عذابا شديدا اي يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية فاتقوا
الله يا اولي الالباب ايها ذوي العقول ثم نعتهم فقال الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني
القران رسولا اي وارسل اليكم رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات قرئ مبينات بالفتح
بالخفض اي بتبيين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب ومعناها واضحات ليخرج
الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن
ظلمة الجهل الى نور العلم ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني الجنة التي لاينقطع نعيمها وقيل يرزقه الله
تعالى طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة الله الذي خلق سبع سموات يعني بعضها فوق
بعض ومن الارض مثلهن اي في العدد ينزل الامر بينهن الى الوحي الى خلقه من السما العليا
الى الارض السفلي وقيل هو مايدبر فيهن من عجايب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات
وياتي بالليل وبالنهار وبالصيف وبالشتا ويخلق الحيران على اختلاف صفاته وينقله
من حال الى حال ليحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل سماوي

سموات وارضين ارضا خلق من خلقه وامرا من امره وقضاء من قضايه لتعلموا ان الله
على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما يعني الله سبحانه وتعالى عالم بكل شي
لايخفى عليه خافية وانه قادر على الاشيا بعد الافنا وكل الكاينات جارية تحت قدرته
واحاطة علمه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التحريم مدنية

وهي اثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون كلمة واثنان وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ذكر سبب نزولها قال عن عايشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلو وكان اذا انصرف من صلاة العصر
دخل على نسايه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فاحتبس
عندها اكثر ما كان يحتبس فغرت فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من
قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحالن له
فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو منك
فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي اجد وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد عليه منه الريح فانه سيقول لك سقتني
حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحلة العرفط وسانقول ذلك وقولي انت يا صفية
ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت ابادیه
بالذي قلت وانه ليقف الباب فرقا منك فلما دنى منها قالت له سودة يا رسول الله اكلت
مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قال
جرست نحلة العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك
فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول
سودة سبحان الله لقد حرمناه قال لها اسكتي قد عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة
ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير
فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود

له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذا اسر النبي الى بعض ازواجه
حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا راه في رواية
يبتغي مرضات ازواجه **شرح غريب الفاظ الحديث** وما يتعلق بها **قولها** كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلو والعسل الحلو بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعد ما ان
كان داخلا في جملة الحلو تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب الخاص **قولها** في الحديث الثاني
فواطبت انا وحفصة هكذا وقع في الرواية واصله فتواطأت بالهمز اي اتفقت انا وحفصة
قولها اني لاجد منك ريح مغافير مريعين مجهة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف
وله رائحة كريهة يفضحه شبه يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء بكوت بالجاء وقيل
العرفط نبات له ورق عريض يعترض على الارض له شوك وثمره خبيث الرائحة وقال المسلم الله
العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحة كرائحة النبيذ وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رائحة كريهة **قولها** جرست نحلة العرفط هو بالجيم والراء
وبالسين المهملتين معناه اكلت نحلة العرفط فصار منه العسل **قولها** في الحديث الثاني فقال
شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت
عمر بن الخطاب وان عايشة وسودة وصفية من اللواتي ظاهرن عليه قال القاضي عياض
والصحيح الاول قال النسائي اسناد وحديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد عالية
وقال الاصيلي حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله عز وجل والكيد فائدة يريد
قوله تعالى وان تظاهرا عليه فثنتان لا ثلاثة وانهما عايشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث
ابن عباس وسياتي الحديث وقد انقلبت الاسما على الراوي في الرواية الاخرى لعين الحديث
الاول الذي ذكر فيه ان الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب
العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم وكذا
ذكره القرطبي ايضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم
بين نسايه فلما كان يوم حفصة استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها
فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها
بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند عتبة الباب
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه بقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك

قالت

قالت انما اذنت لي من اجل هذا دخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي
اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاريتي قد احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمسي بذاك رضاك فلا تخبري بذلك امراة
منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة
فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته ماريته وقد اراحنا
الله منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سايرازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فغضبت عايشة فلم تزل بنبي الله حتى حلف لا يقربها عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له امة يطوها فلم تزل به عايشة وحفصة حتى حرمها
على نفسه فانزل الله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية اخرجه النسائي قال
العلما السبب في نزول الاية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين
ولم ثبت قصة ماريه من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عايشة في العسل جيد
صحيح غايته واما التعسير وقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل وملك اليمين
على اختلاف الروايتين فيه وهذا التحريم تحريم امتناع فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من الا
بد لك مع اعتقاده ان ذلك حلال **تبتغي مرضات ازواجك** اي تطلب رضاهن بترك
ما احل الله لك والله غفور رحيم اي عفو لك ذلك التحريم **قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم**
اي بين واوجب اسكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهي ما ذكر في سورة المايدة فامره الله
تعالى ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتقها وقيل ان الله مولاكم اي وليكم وناصركم
وهو العليم اي بخلقه الحكيم اي فيما فرض من حكمه **فصل** اختلف العلما
في لفظ التحريم فقيل هو ليس بيمين فان قال لزوجته انت علي حرام او قال حرمتك فان
نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فظهار وان نوى به تحريمها فهو ايلاء واطلق
فعليه كفارة يمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان
نوى تحريمها فهو ايلاء واطلق فعليه كفارة اليمين واذا قال ذلك لطعام حرمته علي نفسي فلا
شيء عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين وبه ذهب الشافعي
وان لم ينو شيئا فنيه قولان للشافعي اصحهما انه يلزمه كفارة اليمين والثاني لا شيء
عليه وانه لغو ولا يترتب عليه شيء من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك

لزوجته او جاريته فلا يجب الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطأها او ان حرم طعاما فهو كما لو
حلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه ق عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة وفي رواية اذا حرم امرأته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لفظ الحميدي قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني ما اسر الى حفصة
من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك احدا وقال ابن عباس اسر
امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتي
علي امتي من بعدي وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يتراضاها فاسر اليها بشيء
تحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها فلما اتاب به اي اخبرت بذلك
حفصة عائشة واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على قول
حفصة لعائشة عرف بعضه فرب بتخفيفي الراي اي عرف بعض الذي فعلته حفصة
فعضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب
خير ما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وامره بمراجعتها
وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال
لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه
عرف حفصة بعض ذكر الحديث واخبرها ببعض ما كان منها واعرض عن بعض اي لم يوبخها
اياه ولم يجبهها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض
عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة
وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان يفشي ذلك في
الناس فلما نبأها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت يعني حفصة من انبأك
هذا اي من اخبرك بأني فشيت السر قال نبأني العليم اي بما تكنه الضمائر الخبير
اي بخفيات الامور قوله عز وجل ان تتوبا الى الله يخاطب عائشة وحفصة اي من
التناوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له فقد صغت قلوبكما اي زاغت
ومالت عن الحق واستوجبتا ان تتوبا وذلك بافشاء سره ما ذكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو اجتناب مارية ق عن ابن عباس قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر بن

الخطاب

الخطاب عن المرأتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا
الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر
وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا امير المؤمنين
من المرأتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري كره والله ما سأله ولم
يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب
النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم
قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني
فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم لتراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة
فقلت اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت ما تهجره احداكن اليوم
الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت افتأمن احداكن ان
يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان
كانت جارتك ارضا واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة -
وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينزل يوما وانا يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وانا يومئذ ذلك وكنا نتحدث ان غسان
تنعل الخيل لتسير الينا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي
ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لا بل اعظم من
ذلك واطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة
وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي
ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت لا ادري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت
استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام
يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت يا رسول الله اطلقت نساءك يا رسول
الله فرفع راسه الي فقال لا يا عمر فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش
نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفقن نساؤنا يتعلمن من
نسائهم فتغضبت علي امراتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان
اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلي الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الي الليل
فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر منهن اتامن احداكن ان يغضب الله لغضب رسول
الله صلي الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله قد دخلت علي حفصة فقلت لا تغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم منك فتبسم اخري فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت
راسي في البيت فوالله ما رايت شيا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله ان
يوسع علي امتك فقد وسع علي فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوي جالسا ثم قال
افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت
استغفر لي يا رسول الله وكان اقسم لا يدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين فشته
حفصة الي عايشة من شدة ما وجد عليهن حين عاتبه الله قال الزهري فاخبرني
عروة عن عايشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
بدا بي فقلت يا رسول الله اقسمت لا تدخل علينا شهرا وانك قد دخلت في تسع وعشرين
اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة
ثم قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتي تستامري ابويك ثم قرا ايها
النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتي بلغ الي قوله عظيما قالت
عايشة قد علم الله ان ابوي لم يكونا ليامراني بفراقه فقلت اني هذا استامر ابوي فاني
اريد الله ورسوله والدار الاخرة زاد في رواية ان عايشة قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك
فقال النبي صلي الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولسلم عن ابن
عباس نحو عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من امر
النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وجبريل وميكايل وانا وابو بكر والمومنون معك
وكم ما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان الله يصدق قولي الذي اقول وانزلت هذه الاية عسي

ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استاذن رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام علي باب المسجد فنادي باعلي صوته
لم يطلق رسول الله صلي الله عليه وسلم نساءه شرح بعض غريبه
الفاظه قوله فعدلت معه بالاداوة فلما معه بالركوة فنبزل من اني البراز وهو القضا
من الارض لقضاء الحاجة العرا الجمع عالية وهي اماكن بالعلي اراضي المدينة قوله
ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عايشة اوسم منك اي اكثر حسنا
وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول المتناوب هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله
الاخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ علي رمال الحصير يقال
رملت الحصير اذا اظمزته ونسجته والمراد به ان لم يكن علي السرير وطا سوي الحصير
قوله ما رايت فيه ما يرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد
قوله وان تظاهرا عليه اي تتعاونا علي اذي النبي صلي الله عليه وسلم فان الله هو مولاه
اي وليه وناصره وجبريل اي وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا
في جملة الملايكة تعظيما له وتنبيها علي علو منزلته ومكانته وصالح المومنين روي
عن ابن مسعود وابي ابن كعب وصالح المومنين ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من
المومنين الذين ليسوا منافقين وقيل هم الانبيا والملايكة بعد ذلك اي بعد نصر الله
تعالي وجبريل وصالح المومنين ظهير اي اعوانا للنبي صلي الله عليه وسلم يضرونه
عسي ربه اي واجب من الله تعالي ان طلقكن يعني رسول الله صلي الله عليه وسلم ان
يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف الازواج اللواتي كان يزوجه بهن مسلمات اي خاضعات
لله تعالي بالطاعة مومنات اي مصدقات بتوحيد الله تعالي قانتات اي
طايعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل تايبات اي تاركات الذنوب
لعنهما عابدات اي كثيرة العبادة سايحات اي صايمات وقيل مهاجرات وقيل
يسحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم فارقت بزوج من الوجوه
وابكارا ايجعذا راجمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن
وتعلم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته ان طلقهن ان يبدله خيرا منهن تحريضا لهن قوله عز

وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم قال ابن عباس يا امنوا علموا انفسكم واهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوموهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا عليها ملائكة يعني خزنة النار وهم الزبانية غلاظ اي فظاظ على اهل النار شداد يعني اقوياء يدفع الواحد منكم بالدفعة منهم الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفون الله فيما امرهم به ويفعلون عنه ويفعلون ما يومرون او لا تاخذهم رافة في تنفيذ امر الله تعالى والانتقام من اعداء الله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينوا النار وعذابها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار انما تجزون ما كنتم تعملون يعني انما لكم السيئة الرمتكم العذاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي ذات نصح يصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ بن جبل التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الطيبي ان يستغفر باللسان وينده بالقلب ويمسك البدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها ثلاثة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان فحينئذ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تاخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاثة شروط احدها ان يقطع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم عزما ان لا يعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرطا منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رد الى صاحبه وان كان حد قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب ويبقى عليه ما لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت

دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة عن الاغر ابن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع من الله تعالى عباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوب عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه اي لا يعذبهم بعذاب حزب النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون ربنا يعني اذا طفئ نور المنافقين اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين شبها وحالا للذين كفروا امرأة نوح واسمها واعلة وامرأة لوط واسمها واهلة وقيل اسمها والهة ووالهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ومما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم لخيانتهما قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به احدا خبرت به الجبابرة من قومها واما امرأة لوط فكانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به بالنهار دخنت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اي لم يدفعا عنهما من امر الله شيئا اي لم يدفعا عنهما من امر الله شيئا اي لم يدفعا عنهما من امر

الكافر بنبيها كامراة نوح وامراة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتهما شيئا فتطلع
بهذه الاية طمع من يركب المعصية لا يدفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بام المومنين عايشة
وحفصة وما فرط منهما وحذر هما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا اخر يتضمن ان معصية
الغير لا تضر اذا كان هو مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر فقال تعالى وضرب الله مثلا
للذين امنوا امراة فرعون يعني اسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة امنت
به امراة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في
الشمس فاذا انصرفوا عنها ظلتها الملايكة او قالت امراة فرعون رب ابن لي عندك بيتا في
الجنة فكشف الله عز وجل عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة تلقى عليها فلما
اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من دوره فلم يضرها
وانتزع روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم يجد الما وقيل رفع الله عز وجل
امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني شركه وقال
ابن عباس عمله جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي
احصنت فرجها اي عن الفواحش والمحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها
ولذلك ذكر الكناية من روحنا اضافة عليك وتشريف كبيت الله وناقة الله وصدقت
بكلمات ربها جميع الشرايع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيايه وكتبه يعني
الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام وكانت من القانتين
يعني كانت من القوم القانتين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة
لله تعالى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين
مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واسية امراة
فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار
كتابه ٥

تفسير سورة الملك مكية

وهي ثلاثون اية وثلاثمايه وثلاثون كلمة ومايتان وثلاثة عشر حرفا
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القران سورة ثلاثون
اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث

حسن

حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم خباء على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى
ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب
ان قبرا فاذا قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة
هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ٥

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك اي الامر والنهي
والسلطان يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير اي الممكنات الذي خلق
الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله تعالى الدنيا دار حياة
وفنا وجعل الاخرة دار جزاء وبقا وانما قدم الموت لانه اقرب الى نظر الانسان وقيل قدمه
لانه اقدم موجود لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الاموات كالتراب والنطفة والعلقة
ونحوذلك ثم اعترضت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر
بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهي التي كان
جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي وهي التي احدث السامري
قبضة من اثرها فالقاها في العجل فحار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة
للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضد
الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل
ان الموت نعمة لانه العامل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار
والحياة ايضا نعمة اذ لولا عالم يتنعم احد بالدنيا ولم يصل اليه الثواب في الاخرة ليبلوكم
اي ليختبركم ويعاملكم بين الحياة الى الموت ايكم احسن عملا روي عن بن عمر مرفوعا احسن
عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع في طاعته وقال الفضيل بن
عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ابن العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا
في الخالص اذا كان لله تعالى والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا
وهو العزيز اي الغالب المنتقم ممن عصاه الغفور ايجلى عن تاب الودود اجع عن اساءة قوله
تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سما
مقببة على الاخرى وسما الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سما الدنيا موج

مكفوف والثانية مومرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفوا وقال بخاص والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وما بين السما الى الحجب السبعة مهارى
من نور ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي ما ترى يا ابن ادم في ما خلق الرحمن من اوجه
واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة مستوية فارجع البصر اي كرر النظر هل ترى
من فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع البصر كرتين قال ابن عباس مرة بعد مرة
ينقلب اي تنصرف اليك فيرجع البصر خاسيا اي صاغرا ذليلا حسيرا. الم ير ما يهول
وهو حسير اي كليل منقطع لم يدرك ما طلب ولقد زينا السما الدنيا اي الادنى من الارض
وهي التي يراها الناس بمصابيح اي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب
وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة السما وعلامات
يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى وجعلناها رجوما
للشياطين قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت
جعل الكواكب زينة للسما يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف
الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب
بل يجوز ان ينفصل من الكواكب شعل نور يرمى بها الشياطين تلك الشعلة وهي
الشهاب ومثله كمثل قبس يوخذ منه النار وهي على حالها واعتدنا لهم اي واعددنا
للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا عذاب السعير اي في الاخرة وهي النار الموقدة
وللذين كفروا بربهم اي ما هذا العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس
او جن عذاب جهنم وبيس المصير ثم وصف جهنم فقال تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها
شهيقا هو اول صوت الحمار وذلك اقبح الاصوات وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل
تفور بهم كما يفور الما بالحب القليل تكاد تميز اي تتقطع من الغيظ اي من غيظها على
كلما القي فيها فوج اي جماعة سالهم خزنتها سوال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول
ينذركم قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا يعني للرسل ما نزل الله من شي وهذا
اعتراف منهم بان ارواح عليهم بعثة الرسل وتكذيبهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شي
ان انتم الا في ضلال كبير فيه قولان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار والرسل
والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير وقالوا

لو

لو كنا نسمع اي من الرسل ما جاوا به او نعقل اي نتفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع
الهدى او نعقله فنعمل به ما كنا في اصحاب السعير وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من
يعي وتعقل عقل من يميز ويبصر ويفكر ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم هو
في معنى الجمع اي يتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شي فسحقا اي بعدا لاصحاب
السعير قوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون ربهم ولم يروه فيوشوا
بحرف من عذابه لهم مغفرة اي لذنوبهم واجر كبير يعني جنات النعيم الصالحة واسروا
قولكم او اجهروا به قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا يتالبون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع الهه محمد فاخبر الله
تعالى انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى انه عليم بذات الصدور ثم اكد ذلك بقوله تعالى
الا يعلم من خلق يعني الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم
الله ما في صدور من خلق وهو اللطيف اي باستخراج ما في الصدور والخبير بما فيها من
السر والوسوسة قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد من كل شي
والمعنى جعلها لكم سهلة لا تمتنع المشي فيها والحرث فيها وغلظها فامشوا في مناكبها امر اباحة
وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال
ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ التذليل وكلوا من
رزقه اي مما خلقه الله تعالى لكم في الارض واليه النشور اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف
كفار مكة فقال تعالى ا امنتم من في السما قال ابن عباس يعني عقاب من في السما ان عصيتموه
ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور اي تتحرك باهلها وقيل تغوص بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك
الارض عند الخسف بهم حتى تتلبهم الى اسفل وتعلوا الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجي وتذ
ا امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون
اي عند الموت في الاخرة كيف نذير اي انذاري اذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين من قبلهم اي
من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية فكيف كان نكير اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا
قوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
ويقبضن اي ويضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط ما يمسكهن اي في حال
القبض والبسط الا الرحمن والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في

هب

الجوا بامساك الله تعالى اياها وحفظه لها انه بكل شيء بصير يعني ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء
امن هذا الذي هو جند لكم استفهام انكاري اي لا جند لكم ينصركم اي يمنعكم من دون الرحمن
اي من عذاب الله تعالى قال ابن عباس اي ينصركم مني ان اردت عذابكم ان الكافرون الا في غرور
اي من الشيطان فيغرهم بان العذاب لا ينزل بهم امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه يعني
من ذا الذي يرزقكم المطر ان امسكه الله تعالى عنكم بل لجوا اي تمادوا في عتو اي سرو وتكبر ونفور
اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
اي كاب راسه في الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب
على الكفر والمعاصي في الدنيا فيحشره الله على وجهه يوم القيامة اهدى اي هو اهدى امن
يمشي سويا اي قائما معتدلا يبصر الطريق على صراط مستقيم يعني المؤمن يمشي يوم
القيامة سويا قل هو الذي انشاكم اي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني الله
تعالى ركب فيكم هذه القوى ليعتبروا فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا
تاملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت له قليلا
قليلا ما تشكرون وذلك لان شكر نعم الله تعالى صرفها في وجه مرضاته فلما صرفتموها في غير
مرضاته فكانكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم
في الارض واليه تحشرون في يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا السؤال يحتمل وجهين انه سؤال عن نزول
العذاب بهم والثاني انه سؤال عن القيامة فاجاب الله تعالى عن ذلك بقوله قل انما العلم عند
الله وانما انا نذير مبين امره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحي اليه فلما راوه يعني
العذاب في الاخرة على قرب الكثر المنكرين وقيل يعني العذاب ببدر زلفة اي قريبا سيئت
وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها الكابة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم اي
وقالت لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون اي من الدعاء فتتمنون وتطلبون ان يعجل
لكم وقيل من الدعوى ان تدعوا الله باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك اراءيتم
ان اهلكني الله ومن معي اي من المومنين او رحمنا اي بابقائنا واخرنا اجالنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الاية قل اراءيتم ان اهلكني
الله اي قعد بني ومن معي او رحمنا اي تغمدنا فنحن مع ايماننا خايفون ان يهلكنا بذنوبنا

لانه

وهي اثنان وخمسون اية وثلاثمائة كلمة والف ومايتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي
على ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم
خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال
فعادت الجبال تفخر على الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم وما يسطرون فقيل ان اسم النون
بهموت وقيل لبوتا وقيل لبوثا وعن علي بلهوت قال اصحاب السير والاخبار لما خلق
الله تعالى الارض ودحاها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا تهبط الى الارض
حتى دخل الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى
من العرش وسي ثور الداربعون الف قرف واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على
سنامه فلم يستقر قدمه فاحدث الله تعالى ياقوتة حمراء من اعلى درجة العرش وهو غلظها
مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدم الملك وقرون
ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومناكبه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس
مد البحر واذا رد نفسه رجز البحر فلم يكن لتوايم الثور قرار فخلق الله تعالى حوته كفلق سبع
سموات وسبع ارضين فاستقرت قوايم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن

في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالي نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة علي ظهره وبلغ
جسده خالد والحوت في البحر والبحر علي متن الريح والريح علي القدرة فكلما لدنيا بما عليها حرفان
قال لها الجبار سبحانه وتعالي ونزه وقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الي
الحوت الذي علي ظهره الارض فسوس اليه فقال له اتدري ما علي ظهرك يا لوثا من الامور
والدواب والشجر والجبال لو يفقتهم لا غيثهم عن ظهرك فهم ليوتا ان يفعل ذلك فبعث
الله دابة فدخلت منخره فوصلت الي دماغه فيج الحوت الي الله تعالي منها فاذن لها فخبت
قال كعب الاحبار والذي نفسي بيده انه لينظر اليها وينتظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت
كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان نون هو الدواه ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم ... الفت النون بالدمع السجام

اراد بالنون الدواه وعن ابن عباس ايضا ان نون حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن
وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة والقلم هو القلم الذي كتب
الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السما والارض وقيل اول ما خلق الله القلم به
فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الي يوم القيامة فجري علي اللوح المحفوظ
بذلك وانما يجري الناس علي امر قد فرغ منه وما يسطرون اي وما تكتب الحفظة من اعمال
بني اده وقيل ان حملنا القلم علي ذلك القلم المعنى فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون
اي به في اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ما انت يا محمد بنعمة ربك
بمجنون هذا جواب القسم اقسم بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو
رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله
عليك بالنبوة والحكمة فنفي عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة ردة وقيل هو
كما يقال ما انت بحمد لله والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة
والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل
مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها بينا في حصول الجنون فنبه الله
تعالي بهذه الاية علي كونه كاذبا في قولهم انك لمجنون وان لك لاجرا غير ممنون اي
غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد

عصي كواسب ما يمن طعامها ... اي ما يقطع بصوف يذبك باهضا وقيل في معني الاية

ان غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك عليا احتمالك الطعن
وصبرك علي هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك علي
اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا الخلق الي الله تعالي والصبر علي ذلك وبيان الشرايع
لهم اجرا عظيما لا يمنعك تسميتهم اياك الي الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي
قد حملته ثم وصفه بما هو ابلغ من حال الجنون فقال تعالي وانك لعلي خلق عظيم وهو كالتفسير
لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه
ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كملت اخلاق رسول الله صلي الله عليه وسلم كملت
افعاله الجميلة واثره وصفها الله تعالي بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوي نفسانية تصدر
علي المنصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه
ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات وتستعمل في
حسن الخلق التحبب للناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف
مع الاقارب والاجانب والمسامحة في جميع الامور والمسامحة بما يلزمه من الحقوق وترك
التقاطع والتهاجر واحتمال الاذي من الاعلي والادني مع طلاقة الوجه وادامة البشر وهذه
الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله
صلي الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالي بقوله وانك لعلي خلق عظيم وقال ابن عباس
معناه علي دين عظيم لا دين احب الي الله ولا ارضي عنده مني وهو دين الاسلام وقال
الحسن هو اداب القرآن سئلت عايشة عن خلق رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت كان
خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يامره به من اوامر الله تعالي وينتهي عنه من نهي الله تعالي
والمعني وانك لعلي الخلق الذي امرك الله به في القرآن وقيل سمي الله تعالي خلقه عظيما لانه
امتثل تاديب الله تعالي اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم من ذلك

ما روي جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله تعالي بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن
الافعال هم عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن البر والاثم
فقال صلي الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه
الناس عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان

المومن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصايم والقايم اخرجه ابوداود وعنها انها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وعن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من شيء اثقل في ميزان المومن يوم القيمة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش
البذي اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولمسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وعن البراء رضي
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس
بالطويل ولا بالمتردد متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولم يكن متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا
متفق عليه وعن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال
لي اف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا ولا الا فعلت كذا رواه الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيا كان الذ من يد النبي صلى الله عليه
وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه
عنه قال ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
زاد في رواية ويجيب اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل
فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى
يكون الرجل هو يصرفه ولم ير متقدما ركبتيه بين يدي جليس له اخرجه الترمذي
وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا
اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس عنه وما انتقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله متفق عليه وزاد مسلم عنها ما ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل
الله وعن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني
غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عنق رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبته ثم قال يا محمد مر
لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك واس

له بعطاء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
وجها وخلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل
النغير النغير كان يلعب به فربما حضر الصلوة وهو في بيتنا فيامر البساط الذي تحته
قال سالت عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته قالت كان يكون في
مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يخرج الى الصلاة اخرجه احمد وعن عبد الله بن
الحرث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي
قوله تعالى فسنبصر ويبصرون بيني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب بايكم المفتون
قال ابن عباس بايكم المجنون وقيل الباء مبني في معناه فستبصر ويبصرون في اي
الفريقين المجنون في رايك امن في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه انه مرصود بالجنون
والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين
الضال والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة ودك لو تدهن
دعوه الى دين ابايه فنهاه الله تعالى ان يطيعهم ودوا لو تدهن فيدهنون اصل الادهان
اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه ودامن في امره اذا
خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الاية انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه
مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم
ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد الهتهم ويعبدوا الله
مدة ولا تطع كل حلاف مهين اي الكثير الحلف بالباطل مهين اي ضعيف حقير وقيل
هو من المهانة وهو قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول
لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود
بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق هماز اي مغتاب ياكل لحوم الناس
بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز جليسه في المجلس مشاء بنميم اي فتان يسعى
بالنميمة ليفسد بين الناس مناع للخير اي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع
للخير اي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يعتد لبن دخل واحد منكم في دين محمد
صلى الله عليه وسلم لا انفقه بشيء ابدا معتد اي ظلوم يعتدي الحق اثيم اي فاجر تعالى

هان

الاثم عتل اي غليظ جاف وقيل هو الفاحش الخلق السيئ الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان مشيرة بذلك الى ما روي عن النبي ﷺ انه قال الا اخبركم بكل جعظري جواظ مستكبر ينفع بالمكاسب من اولئك سبعين الفا في النار دفعة واحدة بعد ذلك زنيم اي مع ملوصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم وقال ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم قيل انما دعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله عز وجل وصف احدا بالاذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق بها عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة ان كان ذا مال وبنين قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين ان كان ذا مال وبنين اي لا تطعه لماله وبنيه وقرئ ان كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه الا ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي جعل مجازات النعم التي حولها من المال والبنين الكفر بايانا وقيل لان كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى سنسمه على الخرطوم اي على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف ونجعل ذلك به يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شيا لا يفارقه اي سنسمه مسيسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يمحى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله تعالى انا بلوناهم اي اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا اصحاب الجنة روي عن ابن عباس في قوله انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال باليمن يقال له الصروان دون صنعا بفرسخين بطاوه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاح وكان لرجل فيما فريضة ثلاث بنين له وكان يكون للمساكين اذا اصرموا نخلهم كل شيء تعذاه المنجل فلم يجيء واذا طرح من فوق المحمل الى البساط فكل شيء يخرج عن البساط تركوه لنا ولا حصد وازرعهم فكل شيء تعذاه المنجل تركوه للمساكين واذا نسوه كان لهم كل شيء يفتشون ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال لكثير وانما هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال

قليلا

قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم ليصرمنها يوما ليغدن عدوة قبل خروج الناس فيصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى اذ اقسموا اي تحالفوا ليصرمنها اي ليقطعن ثمرها مصبحين اي اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقيل ان يعلم بها المساكين ولا يستثنون اي ولم يقولوا ان شاء الله وقيل ولا يستثنون شيا للمساكين من ثمرجنتهم فطاف عليها طائف من ربك اي عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى وهم نائمون وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله تعالى فاصبحت اي الجنة كالصريم اي كالليل الاسود المظلم وقيل ان صرم منها الخير فليس فيها شيء ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة فتنادوا اي فنادى بعضهم بعضا مصبحين يعني فلما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعني على الثمار والزرع والاعناب ان كنتم صارمين اي قاطعين ثمارهم فانطلقوا اي مشوا اليها وهم يتخافتون اي يتشاورون ينزل بعضهم لبعض سرا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد اي على قصد ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اي عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد فلما رأوها اي رأوا الجنة محترقة قالوا انا لضالون اي لمخطئون الطريق اضللنا من مكان جنتنا وليس هذه مكان جنتنا بل نحن محرومون اي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء قال اوسطهم اي اعدلهم رأيا وافضلهم المألى لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثناء في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم الله تعالى واقرار بانه لا يقدر احد على شيء الا بمشيته وعلى التفسير الثاني ان الاستثناء يعني لا يتركون شيا للساكين من ثمر جنتهم يكون في معنى لولا تسبحون تتوبون وتستغفرون الله تعالى من ذنوبكم وتعزيطلم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله تعالى وتشكرونه على ما اعطاكم من فضله قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين اي بمنعنا انفسنا حق الفقراء والمساكين حتى قهروه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اي بمنعنا حق الفقراء والمساكين حتى قهروه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا قالوا يا ويلنا نادوا على انفسهم بالويل

كنين

انا لنا ظاهره اي في ظنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه ظننا انا ان الله تعالى لم يشكرها
ولم يضع ما كان يصنع اباونا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله عز وجل
منهم الصدق فابدلهم بها جنة فيقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال
الله تعالى كذلك العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن قصد بي حدودنا وخالف امرنا بخروفي بذلك
كفار مكة ثم قال الله تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر بما اعد الله تعالى للمتقين
فقال تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي عند ربهم في الاخرة ولما نزلت هذه الاية
قال المشركون انا نعطى في الاخرة افضل مما يعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين افنجعل
المسلمين كالمجرمين يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جايزة فكيف يكون افضل
او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق
الالتفات مالكم كيف تحكمون يعني هذا الحكم المعوج امر لكم كتاب اي نزل من عند الله فيه
اي في ذلك الكتاب تدرسون اي تقرؤن ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب ما تخيرون
اي تختارون وتشتهون امر لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة
عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا الى يوم القيامة اي لا تستطيع تلك الايمان والعهود
الى يوم القيامة انه لكم اي في ذلك العهد لما تحكمون اي لا تسلكم من الخير والكرامة عند
الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل
بان لهم في الاخرة ما للمسلمين ام لهم شركاء اي بل شركاء يعني ما كانوا يجعلون لله شركا
وانما اضاف الشركاء الى البهم لانهم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون
بصدق ما اعدوه فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي في دعواهم يوم اي
فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم يكشف عن ساق اي عن امر فظيع شديد قال
ابن عباس هو اشد ساعة في القيامة تقول العرب الرجل اذا وقع في امر عظيم قطيع
يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه اذا قام في ذلك الامر وتقول
اذا اشتد الامر في الحرب كشف الحرب ساقه وسئل ابن عباس عن هذه الاية فقال
اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول
الشاعر
من لنا اذ عمد ضرب الاعناق وقامت الحرب على ساق ٥

ثم قال ابن عباس مر يوم كوب وشدة واشتد اهل اللغة ابيانا في هذا المعنى فمنهم ما انشده
ابو عبيدة لقيس بن رفيع اذا شمرت عن ساقها حربها ربع فلا سام ومنها قول
جرير اذا شمرت عن ساقها الحرب شمروا وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل
للامر العظيم الشديد وعن ابي سعيد الخدري ان ناسا قلن من النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون
في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة
البدر صحوا ليس به سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم
القيامة الا كما تضارون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت
تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار
حتى اذا لم يبق الا من يعبد الله عز وجل من بر وفاجر وغبرات اهل الكتاب ثم يدعى اليهود
فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من
صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار الا ترون فيحشرون
الى النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله
فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا
يا ربنا فاسقنا فيشار الا ترون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها
بعضا فيتساقطون في النار حتى لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله
في ادنى صورة من التي راوه فيها قال فما تنظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا
فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ
بالله منك ان نشرك بالله شيئا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول
هل بينكم وبينه اية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد
لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل
الله تعالى ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم
وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب
الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال
دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان

كان بعبد الله من بر وفاجر اقاهم الله في ادنى صورة راوه فيها وفي رواية فيأتيهم
الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله
منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته
التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين
النواوي وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها
وللعلماء فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو مذهب معظم السلف او كلهم انه
لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق
بجلال الله تعالى مع اعتقاده ان الجارحة عن الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزه
عن التجسم والتحيز في جهة من سائر صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب
جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا
الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يتكلفوا عن
باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل حال الا العلم بكنهه من هذا
الباب والقول الثاني مذهب معظم المتكلمين انها صوب تؤول على ما يليق بها على
حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب في قوله
صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان
من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية
مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل يأتيهم الله
اي بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث
قال ويكون هذا الملك هو الذي جاء في الصورة التي انكروها من سمات الحديث
الظاهرة على الملك والمخلوق قال اولم يكون معناه يأتيهم الله في صورة اي
بصورة ويعلمهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الله
ليختبرهم وهذا احد امتحان المؤمنين فاذا قال لهم انا ربكم
رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذ
بالله منه وامتثاله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونها
فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة

ون

غير المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم
ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي
نفسي بيده ما من احد بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله
يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون
ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد
اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به
فيقال ارجعوا فمن وجد تم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا
به فيقال ارجعوا فمن وجد تم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا
فمن وجد تم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثير
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول اذا لم تصدقوني بهذا
الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون
وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها
قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا فحما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له الحياة
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر والى الشجر
ما يكون الى الشمس اصيفر واخضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض
قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن
الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة
فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول
لكم عندي ما هو افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول
رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه فصل
في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الرؤية وما يتعلق
بها فسيأتي الكلام عليها في موضعها ان شاء الله تعالى قوله اذا الربيق الامن

كان

التي يعلمونها ويميزونها واما عن بصفته وان لم تكن قدمت لهم رؤية له
سبحانه وتعالى لانهم يرونه لا يشبه شيا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ليس
فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياه ومجانسة الكلام
فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد الخدري اكاد اجزم انه
ادنى صورة من التي راوه فيها معني رأوه فيها اي علموها وهي صفته المعلومة
للمومنين وهي انه لا يشبهه شيء ويقول نعوذ بالله منك اي لا اشرك بالله انما استعاذ
منه لما قد سماه من كونهم راوا سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي
رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب
الاسماء والصفات قال ابو سليمان الخطابي فيحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا
عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها
وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور
عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن
ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن موسى بن عمير بن
عبد العزيز وهو شامي باقي باحاديث منكرة لا تتابع عليها وموالي عمير بن عبد
العزيز كتبوف وفي اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد
للمومن عند رؤية الله تعالى من الفوايد والالطاف قال القاضي عياض وقد
يكون الساق علامة بينه وبين المومنين من ظهور جماعة من الملايكة على خلقه
عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمومنين خارجة عن
الساق المعتادة وقيل معناه كشف الخوف وازالة الرعب عنهم وما كانوا غلب
على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينيذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون
سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي
هي في الجنة لكرامة اوليا الله تعالى وانما هذه الرؤية امتحان لعباده وقوله
فلا يبقى من كان يسجد من تلقاء نفسه الا اذن الله له في السجود ولا يبقى
من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كالصفيحة اي فقارة
واحدة كالصفيحة فلا يتمكن على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد زال

المانع

المانع لهم في رؤيته ويتجلى لهم فيتولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم
الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط ويحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها
من يحل ويمضاه وتمنع الشفاعة وبوذن فيها قوله وحض مزلة اي تزلق فيه
الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء
وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له
السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل
ومكردس في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا ينال شيا اصلا
وقسم يخدش ثم يرسل فينجلي وقسم يكردس اي يلقى ويسقط في جهنم وفي
هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن
جهنم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فيمر الناس عليه كلهم فالمومنون
يجوزون على حسب منازلهم واعمالهم والاخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله
تعالى منها ومعنى مناشدة المومنين الله يوم القيامة في الشفاعة لاخوانهم
الذين في النار وقوله ممن وجد في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف
دينار من خير ومثقال ذرة من خير قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين
قال والصحيح ان معناه شيء زايد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق
لا يجزي وانما يكون هذا الخير زايد عليه من عمل صالح وذكر خفي وعمل من اعمال
القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة
مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المومنين لربهم فيها خيرا اي صاحب خير
وقوله تعالى شفعت الملايكة هو بفتح الفا وشفع النبيون وشفع المومنون
ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
هو لاء الذين سمهم بغير الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتمنون الله تعالى بعلم ما تكنه
القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اجمع
جماعة قوله عادوا حمما اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر
وهي اول النهر فيخرجون كاللولو اي من الصفا في رقابهم الخواتيم قيل معناه انه
يعلق في رقابهم اساور من ذهب او غير ذلك مما يعرفون بها والله تعالى اعلم

قوله عز وجل ويدعون الى السجود فلا يستطيعون السجود يعني الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر او كصحيفة نحاس فلا يستطيعون السجود خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وذلك ان الموحدين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم استنارت بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وسواد وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وحسرة وقد كانوا يدعون الى السجود يعني كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ايود عني والمكذبين بهذا الحديث بالقرآن وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الي فاني اكفيكهم اباهم سنستدرجهم اي سنأخذ بالعذاب من حيث لا يعلمون نعد لهم يوما بعد يوم بالقتل والاسر وقيل في معنى الآية كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة او سببا هم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالتوبة واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم ان كيدي متين اي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المودي للعذاب ام تسالهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة والمعنى الطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل المغرمات في اموالهم فيبتطهم ذلك صنى الايمان ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار فاصبر لحكم ربك اي اصبر على اذاهم بقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف ولا تكن في الضجر كصاحب الحوت يعني يونس بن متى اذ نادى اي في بطن الحوت وهو مكظوم اي مملوء غما لولا ان تداركه نعمة

من

من ربه اي حبيب رحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء اي لطرح في الفضاء من بطن الحوت على الارض وهو مذموم اي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الآية لولا نعمة ربه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذه بالعراء بالعيامة اي بارضها وفضائها فان قلت ها هنا قال وهو مذموم وفي موضع آخر قال وهو سقيم كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لو لا تدل على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله فاجتباه ربه والغا للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه فجعله من الصالحين اي النبيين قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وذلك ان الكفار اذا رأوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجته وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان كانت الناقة والبقرة لتمر باحدهم فيعاين بها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدرهم واتينا من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا مما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى تسقط فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ففعل به مثل ذلك فعصمه الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه يبغضونك وقيل يصيبونك باعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرات القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد يأكلني يدل على صحة هذا المعنى امة قولهم هذا النظر بسماع القرآن وصوته لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة يحدون النظر اليه بالبغضاء ويقولون انه لمجنون

اي يشيرونه الى الجن اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى رداً عليهم وما هو الا يعني القرآن الا ذكر للعالمين قال ابن عباس موعظة للمرسلين قال الحسن دواء من اصابة العين ان يقرأ الانسان هذه الآية وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق رواه البخاري ونهى عن الوشم وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا وعن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين فاسترقي لهم قال نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقوله العين حق احذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على ما قاله قوله ان كل مسمى ليس محالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع عن وقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة اثبات نفوذ عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص اخر فيؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدرة الله تعالى ولا ينفع الاعادي حسب ما قدر الله تعالى وسبق به علمه ولا يقع في صنع المعين ولا غيره من الخير والشر الا بقدر الله تعالى وفيه صحة اثبات صحة اثر المعين واما قوة المضرور اذا وافقت القدر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون اية ومائتان وست وخمسون كلمة والف واربع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحاقة يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقيق الامور تتعرف

على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال او يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم اي تقع بهم ما الحاقة استفهام ومعناه التعظيم لشانها وتهويل لها والمعنى اي شيء هي الحاقة وما ادراك ما الحاقة اي انك لا تعلمها اذا لم نبينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه في العظيم الشدة امر لا يبلغه دراية احد ولا تكتنهه وكيف قدرت حالها في اعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرعهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة للحد وقيل الطاغية العوقة التي عقروا الناقة فاهلكوا بحمود بسببهم واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصوصرة التي هي البرد وكثر فيها حرف لشدة برودها عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا كم يخرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بحيل ولا قوة سخرها عليهم اي ارسلها وسلطها عليهم وقيد رد على من قال ان ذلك كان بسبب اتصال الكواكب تنفي هذا المذهب بقوله سخرها عليهم سبع ليال فبين الله ان ذلك كان بقضائه وقدرته ومشيئته لا بانصال الكواكب سبع ليال وثمانية ايام قال وهي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تاتي في عجز الشتاء وقيل ان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتتبعتها الريح حتى قتلتها حسوما اي ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها حسمت الخير عن اهله وقيل الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم يبق منهم احد

فترى القوم اي في تلك الليالي والايام فيها صرعى اي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت
كانهم اعجاز نخل خاوية اي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة
ليس لها رؤس فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى
في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بانهم اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في
البحر ولم يبق منهم احد اقرا نافع وابن عامر وابو جعفر ويعقوب ومن قبله قرئ بكسر الثاء وفتح الباء اي
ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح الثاء وسكون الباء اي ومن قبله من الامم الكافرة
والمؤتفكات يعني قرى قوم لوط وقيل يريد بها اهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين يائتفكون
بخطيئتهم وهو قوله تعالى بالخاطئة اي بالخطية والمعصية وهي الشرك فعصوا رسول
ربهم قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا وقيل الاولى ان يقال المراد بالرسول
كلاهما لتقدم الخبر عن ذكر الامين جميعا فاخذهم اخذة رابية يعني نامية وقال ابن
عباس شديدة وقيل زايدة على عذاب الامم اما طغى الماء اي طغى وعتى وتجاوز
حده حتى على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان
حملناكم في الجارية يعني حملنا اباكم وانتم في اصلابهم فصح خطاب الحاضرين لتجعلها اي
السفينة التي تجري في المائكم اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح
ونجاة من حملنا معه تذكرة اي عبرة وموعظة وتعيها اي تحفظها اذن واعية
اي حافظة لمن حفظ عن الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت واوعت وقيل لتحفظها
كل اذن فتكون عبرة وعظة لمن ياتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى لتعتبر وتعمل
بالموعظة قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة يعني النفخة الاولى وحملت
الارض والجبال فدكتا اي وضعت من امكانها دكة واحدة اي كسرا وفتتا حتى صارا
هباء منثورا والضمير عايد الى الارض والجبال فصر عنها بلفظ الاثنين فيومئذ وقعت
الواقعة اي قامت القيمة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية اي لتشققها والملك
يعني الملايكة على ارجايها يعني نواحيها واقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال
الضحاك تكون الملايكة على حافاتها حتى يامرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن
عليها ويحمل عرش ربك فوقهم اي فوقهم وسمع يعني الحملة يومئذ اي يوم القيامة
ثمانية يعني ثمانية املاك جاء في الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم

الله

الله باربعة اخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال من اظلافهم الى ركبهم من سماء الى سماء
وعال تيوس الجبل وروى السدي عن ابي مالك قال انى الصخرة التي تحت الارض السابعة
ومنتهى علم الخلايق على ارجايها اربعة من الملايكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه
انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض
وروسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على
صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة
الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم امية بن ابي الصلت في شيء من الشعر
رجل وثور تحت رجل يمينه ٭ والنسر للاخرى وليس مرصد ٭
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله تعالى من حملة العرش
ان مابين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب
عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت
جالسا في البطحا في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر
اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا الله ورسوله اعلم
قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان
ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون بعد ما بين السماء والارض قالوا
الله ورسوله اعلم قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما اثنتان واما ثلاث
وسبعون سنة وبعد التي فوقهما كذلك وكذلك حتى عد هن سبع سموات كذلك ثم
فوق السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين
اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش ما بين اعلاه واسفله
مثل ما بين سماء الى سماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في
رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني ادم شيء عن ابن مسعود ما بين السماء الى الارض
خمسماية عام وما بين كل سماء وسماء خمسماية عام وبين كل سماء وارض مسيرة خمسماية عام
وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسماية عام وما بين الكرسي والماء خمسماية

عامر والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي
وابن خزيمة وغيرهما موقوفا وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال لحملة العرش قرون ما بين احدهم الى كعبه مسيرة
خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة
عام وعن عبد الله بن عمير قال الذين يحملون العرش ما بين سوق احدهم الى موضع عنقه
خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على
عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية
صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله عز وجل يومئذ تعرضون اي على الله سبحانه
وتعالى للحساب لا تخفى منكم خافية اي فعلة خافية والمعنى ان الله تعالى عالم باحوالكم لا
يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة تضيه المبالغة والتهديد وقيل معناه
لا تخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق فالمحسنون
يسرون باعمالهم والمسيئون يحزنون باسائهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ
بشماله اخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من
ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى فاما من اوتي اي اعطي كتابه بيمينه فيقول هوموا اي تعالوا اقرؤا كتابيه
والمعنى انه لما بلغ الغاية من السرور علم انه من الناجين فاعطى كتابه بيمينه احب
ان يظهر لغيره حتى يبشر احبابه وقيل يقول ذلك لاهله واقاربه اني ظننت اي
علمت وايقنت واجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العبادة
والاحكام اني ملاق حسابيه اي في الاخرة والمعنى اني كنت في الدنيا اعتقد اني
احاسب في الاخرة فعملت في عيشة راضية اي هي في حالة من العيش مرضية وذلك
بانه لقي الثواب وامن من العذاب في جنة عالية اي رفيعة قطوفها دانية اي ثمارها
قريبة لمن يتناولها قياما وقاعدا او مضطجعا بتعذر فاكهتي شئنا واكلوا اي يقال لهم كلوا

واشربوا

واشربوا هنيئا بما اسلفتم اي بما قدمتم لاخرتكم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية
اي في الايام الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول تكون يده
اليسرى خلف ظهره ثم يعطى بها وقيل تنزع يده اليسرى في صدره الى خلف ظهره
ثم يعطى كتابه بها فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبايح
اعماله متثبتة عليه تمنى انه لم يوت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ولم ادر
ما حسابيه ولم ادر اي شيء حسابيه لانه لا طايل ولا حاصل له واتما كملة لا له يا ليتها
كانت القاضية تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت
القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة التي ما احيي بعدها قال قتادة تمنى
الموت ولم يكن عنده شيء اكره اليه من الموت في الدنيا لانه رأى تلك الحالة اشنع
وامر مما ذاقه من الموت ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع عني يساري ومالي من العذاب
شيا هلك عني سلطانيه اي ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل
ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي
وسلطاني على الناس وبقيت ذليلا حقيرا خذوه اي يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه
تغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم
في الدنيا ثم في سلسلة وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ذرعها اي مقدار
والذرع التقدير بالذراع من اليد او غيرها سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع
الملك وقال نوفل البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ما بينك
وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال
الحسن الله اعلم اي ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من
السماء الى الارض وهي خمسمائة عام بلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت في راس
السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها واصلها اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن الرصاص من الحمأ وقوله مثل هذه واشار الى
الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم ومجه اي الراي وهو اشرف الاعضاء قال كعب
الاحبار جمع حديد الدنيا ما ورث حلقة منها وقوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها قال

ها

عليه

ابن عباس تدخل في فيه وتخرج من دبره ان كان لا يؤمن بالله العظيم اي لا يصدق بوحدانيته
وعظمته ولا يحض علي طعام المسكين اي ولا يحض نفسه علي اطعام المسكين ولا باهراهله بذلك
وفيه دليل علي تعظيم الجرم في حرمان المسكين لان الله تعالي عطفه علي الكفر وجعله قرينه
قال الحسن في هذه الاية ادركت قوما يعزمون علي اهليهم ان لا يردوا سايلا وعن بعضهم
انه كان يامر امراته بتكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلسنا نضف السلسلة بالايمان افلا
نحالج النصف الثاني بالاطعام فليس له اليوم ها هنا حميم اي ليس له في الاخرة قريب ينفعه
ويشفع له ولا طعام الا من غسلين يعني صديد اهل النار ما خوذ من الغسل كانه غسالة
جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يا كله اهل النار اي ليس في الاخرة قريب ينفعه ولا
يشفع له لا يا كله الا الخاطئون اي الاثمون قوله عز وجل فلا اقسم قيل ان لا صلة والمعنى
اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالي اقسم
وقيل لا ها نافية للقسم علي معني انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا اقسم علي
ان القران قوله رسول كريم لوضوحه المعني عن القسم بما تبصرون وما لا تبصرون
يعني بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون ولا تشاهدون اقسم بالاشيا كلها فيدخل فيه
جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والاخرة وقيل بما تبصرون يعني علي
ظهر الارض وما لا تبصرون اي ما في باطنها وقيل ما تبصرون يعني الاجسام وما لا
تبصرون يعني الارواح وقيل بما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني الملايكة
والجن وقيل ما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل
بما تبصرون هو ما اظهره الله من مكنون غيبه للملايكة والروح والقلم وجميع خلقه
وما لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه ثم ذكر المقسم
عليه فقال تعالي انه يعني القران لقول رسول كريم يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد
صلي الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلي هذا يكون المعني انه
لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما
وصفوا بهما محمد صلي الله عليه وسلم فان قلت قد توجه هنا سوال
وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون علي ان القران كلام الله فكيف يصح
اضافته الي الرسول قلت اما اضافته الي الله تعالي فلانه هو المتكلم به واما

اضافته

اضافته الي الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالي ما اوحي اليه ولهذا اكره بعضهم
تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد الله قول الرسول
وانما اراد الله قول الرسول المبلغ عن الله وفي الرسول ما يدل علي ذلك فاكتفي من
ان يقول عن الله وقوله تعالي وما هو بقول شاعر يعني القران ليس بقول شاعر
ولا موصوف بصوب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تومنون اراد بالقليل نفي ايمانهم
اي اصلا والمعني انهم لا يصدقون بان القران من عند الله ولا يقول كاهن اي
وليس هو بقول رجل كاهن ولا من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون يعني لا تتذكرون
البتة تنزيل اي هو تنزيل يعني القران من رب العالمين وذلك انه لما قال انه لقول
رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قوله تعالي ولو
تقول علينا اي اختلق علينا بعض الاقاويل يعني واتا بشي من عند نفسه ثم
قتله لخذنا منه باليمين اي لاخذناه وانتقمنا منه باليمين اي
بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة وقال الشماخ يمدح عرابة

تلك اليمين اذا ما زينة رفعت ... بمجد تلقاها عرابة باليمين

فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شي في ميامنه والمعني لاخذنا منه اليمين اي
سلبناه القوة تعالي هذا المعني البارزة وقيل المعني لوللناه واصناه كفعل
السلطان بمن اراد ان يهينه لتناول بعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر
لانها اشرف العضوين ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل
موصل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
وقيل هو عرق يتصل من القلب بالراس قال ابن قتيبة لم يرد ان نقطعه بعينه بل
المراد منه انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نمهله لمعناه من ذلك اما تاتي به
بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك
ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتي لا يشتبه الصادق
بالكاذب واما ان نميته فما منكم من احد عنه حاجزين اي ما نعين يحجزوننا عن عقوبته
والمعني ان محمدا صلي الله عليه وسلم لا يتكلم بالكذب علينا لعلمكم مع علمه انه لو تكلفه
تعالي لسلبناه ولا يقدر احد منكم علي دفع عقوبتنا له وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو فعل واحد

ق

ردا على معناه وانه يعني القران وذلك لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة نه
جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى لتذكرة اي عظة للمتقين اي
لمن اتقى عقاب الله تعالى وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقران وانه
يعني القران لحسرة على الكافرين يعني يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان
به لما يرون من ثواب الله لمن امن به وانه لحق اليقين معناه انه حق لا ابطال فيه ويقين لا شك
ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اي قوه ربك واشكره على ان جعلك اهلا لايجابه
عنك والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المعارج مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سال سائل بعذاب واقع قرئ
بغير همز وفيه وجهان الاول انه لغة في السوال والثاني انه من السيل ومعناه انه
اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقرئ سال سايل بالف
من السوال بعذاب قيل الباء بمعنى عن اي عن عذاب واقع اي فانزل وكابي وعلي
من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال تعالى يجيبا لذلك السايل للكافرين وذلك ان اهل
مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اصل هذا العذاب
ولمن هو سالوا عنه محمد صلى الله عليه وسلم فسالوه فانزل الله عز وجل سال سايل بعذاب
واقع للكافرين اي هو للكافرين وقيل الباء صلة ومعنى الاية دعى داع وطلب طالب
عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين وهذا السايل هو النضر بن الحارث حيث دعى
على نفسه وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فنزل
بما سال نقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له دافع اي ان العذاب
واقع بهم لا محالة سواطلبوه ام لم يطلبوه اما في الدنيا فبالقتل واما في الاخرة فالنار
العذاب واقع بهم في الاخرة لا يدفعه عنهم دافع من الله اي بعذاب من الله والمعنى
ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ذي المعارج قال
ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملايكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات
يعني المصاعد التي تعرج الملايكة فيها وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان افعاله

واتمامه

وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملايكة والروح يعني
جبريل عليه السلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملايكة لفضله وشرف منزلته
وقيل لان الله تعالى اذا ذكر الملايكة في معرض التهويل والتخويف افرد الروح بالذكر
وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملايكة تعرج اليه الى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة اي من سنين الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني ادم لما صعد من
منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امره الى فوق السماء السابعة
لما صعد في اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك في ساعة واحدة او اقل من ذلك
وذكروا ان مقدار الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة
من سنين الدنيا وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد
ان يوقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سنين
الدنيا وليس يعني ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من الايام
لان يوم القيامة له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود لا اخر له ولو كان يوم القيامة
يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد
الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة
ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه
ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في دار الدنيا وقال
ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين
الف سنة وقاله عطا ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي
يقول الله تعالى لو ولليت حساب ذلك اليوم الملايكة والانس والجن وطوقتهم بحما
لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال بيان
هو القيامة فيخمسون موقفا كل موقف الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس
له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتاخير فاصبر
اي يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا يعني لا جزع فيه وهذا قبل ان يومر بالقتل
ثم نسخ باية السيف انهم يرونه يعني العذاب بعيدا اي غير كايب ونراه قريبا اي
كايبا لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير في يرونه يعود الى يوم

ستتم

كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا
في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يبعد علينا امكانه يوم تكون السما كالمهل اي لعكر الزيت وقيل
كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اي الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من
الصوف لانها ذوات الوان الحمر والبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت
اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف
واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منبثا ولا يسأل حميم
حميما اي لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف مالك
ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة اي لا يسأله الاحسان اليه
والرفق به كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيمة يبصرونهم
اي يرونهم وليس في القيمة من جن او انس الا وهو نصب عيني صاحبه فيبصر الرجل
اباه واخاه وقرابته فلا يسأله ولا يبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس
يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك
لا يسأله عن حاله وقيل يبصرونهم اي يبصرونهم اما المؤمن فيعرف بياض وجهه واما
الكافر فيعرف بسواد وجهه يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ
اي عذاب يوم القيامة ببنيه وصاحبته اي زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته
وقيل قبيلته وقيل اقرب الاقربين الذين يؤويهم اي تضمهم وتؤوي اليها ومن في الارض جميعا
يعني انه يتمنى لو ملك هو لا وكافر اخت بعده ثم انه يفتدي بهم جميعا ثم انه ينجيه اي
ذلك الفداء من عذاب الله تعالى كلا اي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدأ فقال
تعالى انها اي النار لظى اي تلظى وتلهب اسم من اسمائها وقيل الدرك الثانية من النار سميت
لظى اي لانها تتلظى اي تلتهب نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما
ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس
تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تاكل الدماغ كله ثم تعود كما كان
فتاكله وذلك دابها وقيل لمكارم خلقته ومحاسن وجهه واطرافه تدعوا يعني النار
الى نفسها من ادبر اي عن الايمان وتولى اي عن الحق فتقول الي يا مشرك الي يا منافق
الي الي قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمائهم بلسان فصيح ثم تلفظهم كما يلتقط

الطير

الطير الحب وقيل تدعوا اي تعذب قال اعرابي لاحر دعاك الله اي عذبك الله وجمع فاوعى
بعيني وتدعوا من جميع المال الذي اوعاه ولم يؤد حق الله تعالى منه ان الانسان خلق هلوعا
قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل
جزوعا وقيل ضيق القلب وقيل الهلوع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس
تفسير ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا
اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان
يحب ما يسره ويهرب مما يكرهه ثم بعده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره فقيل
المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى
الا المصلين وهذا استثنا الجمع من الواحد لان الانسان واحد ومعنى الجمع الذين
هم على صلاتهم دائمون يعني يقيمون فيها اوقاتها وهي الفرايض فان قلت
كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون قلت
معنى ادامتهم عليها اي يواظبون على ادائها وان لا يتركونها في شيء من الوقت وان لا
يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمواظبة عليها ترجع الا الاهتمام بحالها وهو
ان يأتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق الصلاة
كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارتياد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجمع وتعلق
القلب بدخول وقتها وتعويقه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل
واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون
حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة
عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة وخوف ان لا تقبل منه مع الاتيان
والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبوله وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع
الى نفسها والمواظبة عليها ترجع الى احوالها وصفاتها وروى البغوي بسنده عن
ابي الجوزا قال سالت عقبة بن عامر عن قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون
اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا
خلفه والذين في اموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة
وقيل هو صدقة التطوع وذلك بان يواظب الرجل على نفسه من الصدقة يخرجه

على سبيل الندب في اوقات معلومة للسايل يعني الذي يسال الناس والمحروم يعني
الفقير المتعفف عن السوال بحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي
يوم مبعوث بالبعث بعد الموت والحشر والنشور والجزا يوم القيامة والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون اي خايفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مامون يعني
الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون
وقع منه تقصير من الجانبين فالاجدر ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجا وقوله تعالى والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ممن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة
المومنين والذين هم بشهاداتهم قايمون اي يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها بل
يبينونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تمشي
الحقوق وتظهر وقد تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان الله واحد
لا شريك له ولهذا عطف عليها والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم ذكر ما اعده لهم فقال
تعالى اولئك يعني من هذه صفتهم في جنات مكرمون قوله تعالى فما الذين كفروا اي
فما بالهم قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك ماديا اعناقهم ومد عنقه الى الشيء
مطلبين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجلسون حول النبي صلى الله عليه وسلم
يستمعون كلامه ويستهزءون به ويكذبونه فقال تعالى ايامعهم ينظرون اليك ويجلسون
عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا
عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعة في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم
ان يدخل جنة نعيم قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنتي كما يدخلها
المسلمون ويتموت فيها وقد كذبوا بنبي كلا اي لا يدخلها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم
مما يعلمون اي من الاشيا المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم بين الله
تعالى للناس على انهم خلقوا من اصل واحد ونبي وانما بينا ضلوا بالمعرفة ويتوصلون
الجنة بالايمان والطاعة روى الثعلبي باسناده عن بريدة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله
عز وجل يا ابن ادم اني بديتك ولم تك شيئا مذكورا وقد خلقتك من مثل هذا حتى اذا سويتك وعدلتك

مشيت

ومشيت بين برد بن وبالارض منك وتيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت الروح التراقي
قلت اتصدق وانا اوان الصدقة اخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى
الاية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا
خلقناهم مما يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهايم بلا علم ولا عقل فلا اقسم يعني واقسم
وقد تتحد بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل
يعني مشرق كل نجم ومغربه انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه انا لقادرون
على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين
عاجزين عن اهلاكهم وبدل الله من هو خير منهم فذرهم يخوضوا ويلعبوا
في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسخها اية القتال ثم فسر ذلك اليوم
فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور سراعا اي الى اجابة الداعي
كانهم الى نصب يعني الى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ نصب بضم النون
والصاد وهما الاصنام التي كانوا يعبدونها او نصب اي يسرعون ومعنى الاية انهم
يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون
الى اصنامهم يستلمونها خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة ترهقهم ذلة اي تغشاهم
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به
في الدنيا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة نوح عليه السلام

وهي مكية وهي ثمان وعشرون اية وماية وثمانية واربعة وعشرون كلمة وتسعماية وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان
انذر قومك اي بان خوف قومك وحذرهم من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني
الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا قال يا قوم اني
لكم نذير مبين اي انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله ربي اي وحدوه ولا تشركوا به شيا
واتقوه اي خافوه بان تحفظوا انفسكم مما يوثمكم واطيعون اي فيما امركم به من عبادة
الله وتقواه يغفر لكم من ذنوبكم اي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف
من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب ويوخركم الى اجل مسمى اي الى منتهى

اجلكم فلا يبقى لكم ان اجل الله اذا اجاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون معناه بتوبوا امنوا قبل الموت
تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا اجاء لا يؤخر عنكم ولا يمكنكم الايمان قال
يعني نوح عليه السلام ربي اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا اي
نفارا واد بارا عن الايمان واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليؤمنوا بك فتغفر لهم جعلوا
اصابعهم في اذانهم ليلا يسمعوا دعوتي واستغشوا ثيابهم اي غطوا وجوههم ليلا
يروني واصروا اي على كفرهم واستكبروا اي عن الايمان بك استكبارا اي تكبرا عظيما
ثم اني دعوتهم جهارا اي معلنا قال ابن عباس يا علي صوتي ثم اني اعلنت لهم اي كررت
الدعا معلنا واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني
وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما
عليكم مدرارا وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا احبس الله عنهم المطر واعقم
ارحام نسايهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم
اي من الشرك وطلب المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك ان الاشتغال
بالطاعة سبب لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا
بالايمان والطاعة حصل ما يجانسها وجرت البركة في الدنيا وروى الشعبي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خرج يستسقي بالناس فقال طلب الغيث بمجاري السما التي يستمطر
بها فقرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا ثم قال طلب الغيث بمجاري السما التي يستمطر
بها فقرأ لقد استغفروا ربكم انه كان غفارا ثم قال طلب الغيث بمجاري السما التي يستمطر
بها فقرأ لقد استغفروا ربكم انه كان غفارا ثم قال ما رأيتكم في شيء من هذا فقيل له
يا امير المؤمنين سمعناك تطلب الغيث بمجاري السما التي يستمطر بها فقرأت عليهم
هذه الآية في ثلاثة مواضع فقال ما ظننت انكم غفلتم عن شيء من هذا وقال الحسن
بينما رجل يحدث في مجلس الحسن اذ قال رجل يا ابا سعيد اشتكت الجدب فقال استغفروا الله
وشكى اليه الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال
يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى هذه الآية وقوله يرسل السما عليكم
مدرارا اي يرسل ما السما وذلك لان ما المطر ينزل من السما الى السحاب ثم ينزل من السحاب
الى الارض وقيل اراد بالسما المطر من قول الشاعر

اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

يعني المطر مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة مرارا بعد حال وقيل مدرارا متتابعا يقال
ويمددكم باموال وبنين اي بكثرة اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات يعني بساتين ويجعل لكم
انهارا وهذا كله مما تميل طباع البشرية اليه ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس
اي لا تؤمنون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله في الرجا بمعنى الخوف والوقار والعظمة
من التوقير والتعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل
معناه لكم لا تؤمنون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه وقد خلقكم اطوارا يعني تارات
حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه وقيل خلقكم اصنافا
مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله تعالى وسعة قدرته
القادر والذي خلق الله سبع سموات طباقا يعني بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا
يعني في السما الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل
الشمس سراجا اي مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمران الشمس والقمر وجوههما الى
السموات وضوءهما اي الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن
ابن عباس والله انبتكم من الارض نباتا يعني اراد بمعنى خلق ادم واصل خلقه من الارض
والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اي اسم جعل في موضع المصدر اي انباتا وقيل
تقديره انبتكم فتنبتون انباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو كان انبتكم انباتا كان المعنى
انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فتنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني
اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك
الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة احيا الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال
على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا العدول عن تلك الحيثية
الى هذا الجانب كان لهن السر العظيم اللطيف ثم يعيدكم فيها اي في الارض بعد الموت ويخرجكم
اي منها بعد البعث اخراجا يعني اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اي
فرشها مبسوطة يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاج
اي طريقا واسعة قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني اي لم يجيبوا دعوتي واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي اتبع السفلة والفقرا القادة والروسا الذين لم يزدهم

بكثرة المال والولد الاضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة ومكروا امكروا كبارا اي كبيرا عظيما يقال كبير وكبار بالتشديد اشد واعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم اي امتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريشهم السفلة على اذاه وصدهم عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسماء الصنم والصنم والوثن اذا افردوها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قولهم ولا تذرن الصنم لانها كانت اصنام هذه الخمسة المذكورة اعظمها عندهم قال مجاهد كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فلما ماتوا كانوا اتباع هو لا يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدأ عبادة الاوثان من ذلك وسميت تلك الصور بعدة الاسماء هذه صور هؤلاء الصور الصالحين خ عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجوف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم عبدة الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصناما اخر سوى تلك كانت لثقيف واللات لثقيف ولسليم وغطفان وود ومناة كانت لخزاعة وعبد مناف وناس من هذيل لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء وقد اضلوا كثيرا اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراؤهم نوحا كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا اي بتزيينك للمشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعا عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو ايمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه

قلت

قلت استماد عاعليهم بعد ان اعلمه الله تعالى انه لا يؤمن وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل المراد بالضلال امر الدنيا يتعلق بها مما خطايا هم اغرقوا اي بالطوفان فادخلوا نارا اي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضي التعقيب قوله اغرقوا فادخلوا نارا هذا مما يدل على ان ما حصل دخوله النار عقب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا في الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاصح الاول فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يعني ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله الذي نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعني احدا يدور في الارض ويذهب ويجيء من الدور ان وقيل اصله من الدار اي لا تذر دارا لك ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول لاحذرن منك هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا حين اخبر الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعتصم بعد ذلك ارحام النساء وابقى اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل سبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى اعقم اصلاب الرجال وارحام النساء قبل العذاب رب اغفر لي وذلك انه لما دعا على الكافرين قال رب اغفر لي بترك ما هو الاولى من ترك الافضل وقيل بحمل انه حين دعا على الكافرين انما دعا عليهم بسبب تاذيهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من ظاهر حظ النفس او لانه ترك الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه ملكان بن متوشلخ واسم امه شمخى بنت انوش وكان مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من ابائه كافر وكان بينهما عشرة آباء ولمن دخل بيتي مؤمنا اي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتقديم والتخصيص ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ في الدعاء ولا تزد الظا

لمين

الانبار ايما املاكا ودمارا استجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم جميعا والله اعلم

تفسير سورة الجن مكية

وهي ثماني وعشرون اية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الكلية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل فهو اي يشتمل باشكال مختلفة وقبل انها جواهر ولبست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها ردية خسيسة شريرة محبة للشرور والافات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقبل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي زعمهم وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق ويقسمون الي لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة على الافعال عجيبة او شاقة وفي البشر عن ذلك وقد يتشكل باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية اي وليست البنية شرطا للحياة وانه لا بد من صلابة البنية وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه رضي الله عنهم واوائل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول منكر عرف العادة ورد ما اثبت وجوده بعض الكتاب والسنة فصل واختلفت الرواية هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن ناقبتهما ابن مسعود فيما رواه مسلم عنه في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكر ما ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طائفة عامدين الي سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب

قالوا

قالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي قد حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الي سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الي قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الي الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد في رواية واما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تقرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادفوا هو لا القوم النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحي اليه من قوله قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجمع اخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن الحق والشياطين موجودون منصوصون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بحالهم وحالهم وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الي الجن والانس فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة ومن كذبه فهو الشيطان وليس من المومنين ومستقره النار وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الي انه كان قبل مبعثه واخرون الي انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يدفع التعارض بين الحديث هذا اخر كلام القرطبي والله اعلم وعكاظ سوبقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام وتقام كل ما ترك عن بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هواها وملكة من تهامة معدودة ونخلة وادي اودية مكة قريب منها واما التعسف فقوله تعالى قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الي الانس فهو ايضا مبعوث الي الجن ويعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فامنوا به انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الي العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

فقالوا اي لما رجعوا الي قومهم انا سمعنا قرانا عجبا قال ابن عباس بليغا اي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته يهدي الي الرشد اي يدعو الي الصواب يعني التوحيد والايمان فامنا به اي بالقران ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الي ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل علي ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا صابئين وقيل مجوسا ومشركين وانه تعالي جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم قال الرجل اذا فقر البعوضة واللهم ان جد فقرنا اي عظم قدره وقيل الجد الغنا ومنه الحديث ولا ينفع الجد منك الجد اي لا ينفع الغني غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة الله ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل الوهيته وسلطانه علي خلقه وقيل علامتك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اي الله تعالي جل جلاله ربنا ان يتخذ صاحبة ولا ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالي منزه عن كل نقص وانه كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا قيل هو ابليس علي الله شططا اي كذبا وعدوانا ومروصفه تعالي بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد في كل شيء وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن علي الله كذبا اي كنا نظن ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون علي الله في ذلك فلما سمعنا القران علمنا انهم كذبوا علي الله تعالي قوله تعالي وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وذلك ان العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسي في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منه حتي يصبح رواه البغوي باسناد الثعلبي عن كرد بن ابي السايب الانصاري قال خرجت مع ابي الي المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر من رسول الله صلي الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الي راعي غنم فلما انتصف الليل جا ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادي منادر لا نراه يا سرحان ارسله فاتي الحمل يشتد حتي دخل الغنم ولم يصبه كدمه فانزل الله عز وجل علي رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعني زاد الانس الجن باستعاذتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل عيبا وقيل شرا وقيل

الجاهلين

عظمة

عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظما الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم ظنوا يعني الجن كما ظننتم يا معشر الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا اي طلبنا ان بلوغ السما لدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا يعني ملايكة شديدا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد منها اي من السما مقاعد للسمع يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خاليا عن الحرس والشهب والان قد خليت المقاعد كلها فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمي به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملايكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الي السما فيستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها سبعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكر ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرجم بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلي الله عليه وسلم قايما يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي في الارض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن تنبية ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلي الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث حجبوا من ذلك اصلا فعلي هذا القول يكون حمل الجن علي الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاسترقاق بالكلية وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي برمي الشهب اما اراد بهم رشدا ومعني الاية لا ندري هل المقصود من المنع من الاسترقاق هو شر اريد باهل الارض اما اريد بهم صلاح وخير واما منا الصالحون اي المومنون المخلصون ومنا دون ذلك اي دون الصالحين مرتبة وقيل المراد بهم غير المكلفين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره كنا طرائق قددا اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والعدة القطعة من الشي قال مجاهد بعضنا مسلمين وكافرين وقيل اهوا مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوا كهوا الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجية والرافضة والخوارج وغيرهم كذلك من اهل الاهوا فعلي هذا التفسير يكون معني طرائق قددا مفسرا قددا اهوية لان القسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب

مختلفة متفرقة قيل معناه وكذلك اختلاف اموالنا مثل الطرائق المختلفة واما ظننا
الظن هنا بمعنى العلم والتبين اي علمنا وايقنا ان لن نفوت الله في الارض اي لن نفوته
ان اردنا امرا او لن نفوته هربا اي طلبنا فلن نعجزه اين كنا وانا لما سمعنا الهدى
امنا به اي لما سمعنا القرآن امنا به ونحمد صلى الله عليه وسلم فمن يؤمن بربه فلا
يخاف بخسا اي نقصانا من عمله ونوابه ولا رهقا بعض ظلما وقيل مكروها يناله
وانا منا المسلمون هم الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي الجائرون
العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله ندا فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه واما القاسطون يعني الذين كفروا فكانوا
لجهنم حطبا يعني وقودا للنار يوم القيامة قال قلت قد يتمسك
بظاهر هذه الآية من يرى ان المؤمنين الجن ثوابا وذلك ان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين
ولم يذكر ثواب المؤمنين قلت ليس فيها تمسك لمن يقول فاولئك
تحروا رشدا وقد ذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب
الراشد قال قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها
قلت وان خلقوا من النار فقد قيل وهي تلك الصبغة وصاروا خلقا آخر والله
تعالى قادر على ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة
اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم به
والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء لكثرة
طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة
التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا الرزق
عليهم لنختبرهم فيه وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس
فقال تعالى وان لو استقاموا كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والايمان والهدى
فكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين
والمعنى لو اسقوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم ما اكتالوا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء
الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف شكرهم
فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا اي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة ٥

لاعطيناهم مالا لنثرا ولوسعنا عليهم لنختبرهم فيه عقوبة لهم واسقدر اجالهم حتى
يمتنعوا بما متعهم به والقول الاول اصح لان الطريقة معروفة بالالف واللام وهي طريقة
الهدى والقول بان الآية في الانس اولا لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ومن يعرض
عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه يسلكه اي يدخله عذابا صعدا قال
وان المساجد لله يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيه دخل فيه
مساجد المسلمين والكنايس والبيع التي لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا
قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فيها فامر
الله عز وجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة له اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد
بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم تعلي هذا يكون
المعنى فلا تسجدوا واعلي الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى
الله عليه وسلم كيف نأتي مسجدك الصلاة ونحن نادوف عنك فنزلت وان المساجد لله
وروي عنه ايضا ان المساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة
واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود محلوقة لله
عز وجل فلا تسجد واعليها لغيره ق عن علي العباس بن عبد المطلب انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه
والاراب الاعضاء عن ابن عباس قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واشار بيده
الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر كف الشعر عضه
وغرز طرفه في اعلى الظغيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله
يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه يعني عبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كاد
يصلي التي يبطن نخلة كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا
ويزدحمون عليه حرصا على سمع القرآن قال ابن عباس وعنه ايضا انه من قول
النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة

حفظه عن اصحاب ابن عباس شفاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل صعبا

تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاهم ويطفئوا نور الله فابى الله
الى ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناداه وعداه واصل اللبد الجماعة بعضهم
فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرب قل على الا موا انما انا وحوارئي وذلك
ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نحميك
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا انما الضار والنافع
والمرشد والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني من
الله احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه وقيل حرزا احترز
به وقيل مدخلا في الارض مثل المسرب ادخل فيه الا بلاغا من الله ورسالاته اي فعليه
الجوار والامن والنجاة وقيل معناه وذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ
وقيل الا بلاغا من الله وذلك الذي املكه بموت الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا
رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا رسول لا املك الا ما ملكت ومن يعص الله
ورسوله يعني ولم يومن فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون
يعني العذاب يوم القيامة فسيعلمون اي عند نزول العذاب من هم اضعف ناصرا
واقل عددا اهم المومنون ام الكفار قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون يعني العذاب
وقيل يوم القيامة ام يجعل له ربي امدا اي اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان
علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل عالم الغيب اي هو عالم ما غاب عن
العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه احدا اي الغيب الذي يعلمه وانفرد به احدا
اي من الناس ثم استثنى تعالى الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته
ونبوته فيظهره على ما شاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات
فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان
الذين يضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين ولبسوا برسل وقد خص الله
تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم
لان اصحابها ابعد شيء من الرضا وادخله في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل
على ان المنجم قد يعلم ما يكون من حياة او موت او نحو ذلك فقد كفر بما في القرآن

فاما

قال

503

فاما الزمخشري فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال وواقق الواحدي
وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية
الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دليلا على المنع من احكام النجوم فيجب ان تكون
دليلا على المنع من الكرامات قال وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء من ذلك والذي
يدل عليه ان قوله تعالى لا يظهر على غيبه ليس فيه صيغة عموم فيكفي العمل بما اقتضاه
فلا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فيجعله على وقوع القيامة فيكون
المراد من الآية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الآية دلالة على انه لا يظهر
شيئا من الغيوب لاحدكم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على نبي من الصبيان غير الرسل
كالكهان وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب اهل السنة اثبات
كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله تعالى بعض اولياءه وقوع بعض
الوقايع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك
ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن
قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه
البخاري في تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد فانه عمر قال ابن الخطاب
منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامات للولي لما تميزت
معجزة النبي عن غيرها ولا نسد طريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين
بين معجزة النبي وكرامة الولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن
بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي لو ادعاه الولي لكفر من
ساعته فبان الفرق بين المعجز والكرامة وقد يظهر على يده امر خارق للعادة
من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على
يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه
واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بعثته نبينا صلى الله
عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر عاجا به القرآن وكذلك حكم المنجم
والله تعالى اعلم وقوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه اي من بين يدي الرسول

قال

ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين
اي يسترقون السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحي فينقلوه الى الكهان فيخبروا
به قبل الرسل وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيعلم
الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه
فاذا جاء شيطان في صورة ملك احضروه بانه شيطان فاحذروه واذا جاء ملك قالوا له
هذا رسول ربك ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان اي لن جبريل قد بلغ اليه
رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين ارسلوا قبله قد بلغوا
رسالات ربهم وان الله تعالى قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم ان الرسل قد
بلغوا رسالات ربهم فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيجب فيه الثواب واحاط بما
لديهم اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء من امورهم واحصى كل شيء عددا
قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المزمل مكية

قيل غير اية منها وهو قوله تعالى واصبر على ما يقولون وقيل غير اية وهي
ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية ومائتان وخمس وثمانون
كلمة وثمان مائة وثمانية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذي تزمل بثيابه اي تلفف قال
المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما جاءه جبريل فرقا
منه فكان يقول زملوني زملوني حتى انسي به وقيل خرج يوما من البيت وقد القى
ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متحمل النبوة اي حاملا والمعنى
زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما يخاطب بالنبي صلى الله عليه
وسلم والرسول لانه كان في اول الامر مبتدأه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا ايها المزمل
قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والصبودية

ولكن

وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام الا قليلا اي صل الليل الا قليلا ثم نسخ فيه
وصار نفلا ثم بين قدر القيام فقال تعالى نصفه اي نصف الليل او انقص منه قليلا
الى الى الثلث او زد عليه اي على النصف الى الثلثين فخيره بين هذه المنازل فكان
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير كان الرجل منهم لا يدري
متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان
لا يحفظ المقدار الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتخت اقدامهم فرحمهم الله تعالى
وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقرءوا ما تيسر منه ليس في القرآن سورة نسخ اخرها اولها
الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة وقيل سنة عشر شهرا وكان
قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبت فريضته على
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عن سعيد
بن هشام قال انطلقت الى عائشة رضي الله عنها فقلت يا ام المومنين اخبريني عن
خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان
خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ام المومنين قالت الست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله قد افترض قيام
في اول السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتخت اقدامهم
وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله تعالى التخفيف في اخر
السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا قال
ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرأه على مهلتك ثلاث اية او اربعا او خمسا
وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وبين القراءة حتى اذا مر على
اية يعجز بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تاكيد في الامر به وان لابد للقارئ منه وقيل
ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القراءة حتى يتمكن المصلي من حضور القلب
والتامل والتفكر في عقائب الايات وربما ينتهي عند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر
بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند
ذكر المقصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة
والاسراع بالقراءة لا يحصل منها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور

القلب عند القراة فصل ح عن قتادة قال سيل انس كيف كانت قراة
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله
ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم عن امر سلمة وقد سالها يحيى بن مالك عن قراة رسول
الله صلي الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت
قراة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي والترمذي قالت كان رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول
يوم الدين وفي رواية ابي داود قالت قراة رسول الله صلي الله عليه وسلم بسم
الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يقطع قراءته
آية آية عن عبد الله بن معقل قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم فتح مكة
علي ناقته يقرا سورة الفتح فرجع في قراءته ق عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال جا رجل
الي ابن مسعود قال اني لا اقرا المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان
اقواما يقرون القراءن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان افصل
الصلاة الركوع والسجود اني لا اعرف النظائر التي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقرا بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ
سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراة والعجلة بها وقوله لا يجاوز تراقيهم
التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت
والنظائر جمع نظير وهي الشبه والمثل عن عايشة رضي الله عنها قالت قام النبي
صلي الله عليه وسلم باية من القراءن اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي ذر نحوه
وزاد والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن
سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نتراقال الحمد لله
كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرءوه قبل ان يقراه
اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجلون اجره ولا يتاجلونه اخرجه ابوداود وزاد عمرو
في رواية لا يجاوز تراقيهم عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم
ونحن نقرا القراءن وفينا الاعرابي والعجمي فقال اقرءوا فكل حسن وسيجي اقوام يقيمونه
كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابوداود وعن ابن مسعود قال لا تهذوه

تهذ الدقل ولا تهذوه هذ الشعر تقفوا عند عجايبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم
اخر السورة قوله عز وجل انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال ابن عباس شديدا وقيل
ثقيلا بالامر والنهي كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظة لانه كلام رب العالمين وكل شي له خطر
ومقدار يقول ثقيل والمعنى فصبر نفسك مستعدة لتقبل هذا القول العظيم التكليف
الشاق قيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة علي
الانفس وقيل لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرايض والاحكام
وقيل ثقيل علي المنافقين لانه يفيد عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو يخفي علي
اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف
ولا بالسفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالي وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه
ونظمه كما تقول هذا كلام متين وهذا قول لوذعي اذا استجدته وعلمت انه صادق
الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل
ثقيلا بالوحي وذلك انه كان صلي الله عليه وسلم اذا انزل عليه القراءن والوحي يجد له
مشقة ق عن عايشة ان الحرث بن هشام سال رسول الله صلي الله عليه وسلم
وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم احيانا
ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال
واحيانا يتمثل الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة ولقد رايته ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا م عن
عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلي الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك ويربد
له وجهه وفي رواية كان اذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وفض عينيه ويربد وجهه
قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من
الاشيا الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم عني اي ينفصل عني ويفارقني
وقد وعيت اي حفظت ما قال وقوله لينفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري
الدم من الفاصد قوله تربد وجهه التربد هي الالوان غبره مع سواد وقوله
عز وجل ان ناشئة الليل اي ساعاته كلها وكل ساعة ناشئة لانها تنشا عن
التي قبلها وقال بن ابي مليكة سالت بن عباس وابن الزبير عنها فقال الليل كله

ناشئة وهي عبارة عن الامور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عايشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام اخر الليل وقيل اوله وقيل اي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روي عن زين العابدين بن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بين العشاء الاخيرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة الليل قيامه هي اشد وطاقرف بكسر الواو ومع المد بمعنى المواطئة والموافقة وذلك ان مواطئة القلب واللسان والسمع والبصر يكون بالليل اكثر مايكون بالنهار وقرئ وطابفتح الواو وسكون الطاء اشد على المصلي وانقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلاة اول الليل هي اشد وطابتولد هي احد ان يجمعوا به ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا قام لربه رعي بسفيظ وقيل اثبت في الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هي اوطا للقيام واسهل على المصلي من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار وكا يعرض لي في الليل خواطر ومواقع مثل النهار واسعى الشيطان ابعد من الرياء هو قوله تعالى واقوم قيلا اي اصوب قراءة واصح قولا من النهار ولعدة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا بالقراءة والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد عن الرياء واكثر بركة وابلغ في الثواب واد خل في التنزل ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا وانبا آوادبارا اي خواتيك وانشاكك وقيل فراغا وسعة لنومك ونصرفك في حوايجك افضل من الليل واذكر اسم ربك اي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح وتبتل اليه تبتيلا قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل اليه بتفسد وانقطعها عن كل شي سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله تعالى وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شي واقبل على العبادة قد تبتل اي انقطع عن كل شي الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجي على مصدره قلت جا تبتيلا على تبتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر

موقع

لتبتل

موقع متاريته في المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا ومركتوله انبتكم من الارض نباتا وقيل ان معنى تبتل بتل فجي به على معناه مراعاة حق المواصل وقيل الاصل في تبتل ان يقال تبتلت تبتلا وتبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لد قيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فهو تصرف والشغل بالتصرف لا يكون مقبلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله تعالى لا يكون منقطعا اليه الا لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه وب المشرق والمغرب يعني ان الانقطاع لابد وان يتجه الى الله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب لا اله الا هو واتخذه وكيلا اي فوض الامر اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه بامجد كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء واصبر على ما يقولون اي من التكذيب والاذى واهجرهم هجرا جميلا اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة باية القتال وذرني والمكذبين اي دعني وامر بكذبك لا تهتم به فاني اكفيك مواونة انتقامه اي اصحاب النعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر وهم سبعة قتلوا يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ان لدينا اي عندنا في الاخرة انكالا يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد وجحيما وطعاما ذا غصة اي غير سايغ في الحلق لا يبرز ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا اليما اي وجيعا يوم ترجف الارض والجبال اي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيمة وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعني رملا سايلا وهو الذي اذا اخذت منه شيا تبعك ما بعده انا ارسلنا اليكم يعني يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم اي بالتبليغ وايمان من امن منكم وكفر من كفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سايرالامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم اذوه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازعل موسى واذاه لانه ربا ه تعصى فرعون الرسول فاخذناه يعني فرعون اخذا

ويلا اي شديدا نتيلا ببني عافيناه عقوبة غليظة المحوف بذلك كفار مكة ثم خوف كفار مكة بيوم القيمة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة اذ كفرتم اي في الدنيا والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وابتم يوم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وباي شيء تحصنون من عذاب الله ذلك اليوم وكيف تتجوزون منه اذ اكفرتم في الدنيا يوما يجعل الولدان شيبا يشيبهم شيطان هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين قال الله لآدم عليه السلام ثم ابعث بعث النار من ذريتك ف عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله تعالى يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار فقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الولد ويرى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يا رسول الله ايانا ذلك الرجل فقال ابشروا فان من ياجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السوداء في جلد الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق بهذا في الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار معناه مبعثا من اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف من الارقم وهي باطن عصد الحمار وقوله اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة معناه البشارة العظيمة لاهل الجنة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة او ثلثها ثم الشطر فلها بداية حسنة وهي ان فتك او نقص في يوم واربع في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على اعتنائه وودادته ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله تعالى وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها واما ما يتعلق بهذه الآية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم

يوما

يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد فيه الوجهان الاولى انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا تعالى هذا هو على ظاهره الثاني انه في القيمة فعلى هذا يكون الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم يشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون من الشيخوخة والشيب السماء منفطر به ووصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء عظيمها تنفطر وتتشقق فاطنك بغيرها من الخلائق وقيل تتشقق لنزول الملائكة وقيل به اي بذلك المكان وقيل انها ترجع الى الله سبحانه وتعالى اي بامره وهيبته كان وعده مفعولا اي كائنا لا محالة فيه ولا خلف ان هذه اي ايات القرآن تذكرة اي مواعظ يتذكر بها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالايمان والطاعة قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل من ثلثي الليل ونصفه وثلثه اي وتقوم نصفه وثلثه وطائفة من الذين معك يعني المؤمنين وكانوا يقومون الليل والله يقدر الليل والنهار يعني ان العالم يمضي بالليل والنهار ولجريانهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما تفعلون فيعلم العذر الذي يقومون من الليل والذي تقاصرون منه علم ان لن تحصوه يعني ان تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر الله به من الصلاة فقال تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك فتاب عليكم اي تعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفى عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة فاقرؤا ما تيسر من القرآن فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة

المزمل والمشار قال قتيبة بن ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في اول
ركعة بالحمد واول اية من البقرة ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع
فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر منه وقبل نسخ ذلك
التهجد والتهجي بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الامة وثبت
قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول
الثاني ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر منه القران دراسته وتحصيل حفظه وان لا يعرض
للنسيان فقبل بمعنى اية وحرما يقل قراة السورة القصيرة كما في رواية البخاري
باسناده عن انس انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا بمئتي اية في يوم
وليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا بمائة اية كتب من القانتين ومن قرا مائتي
اية لم يحاجه القران يوم القيامة ومن قرا خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر والقنطار
الشيخ محيي الدين في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرا اربعين
اية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات لم يكتب من الغافلين ق عن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبرك انك
تصوم الدهر وتقرا القران كله قلت بلى يا نبي الله ولم ارد بذلك الا الخير
قال فصم صوم داود كان اعبد الناس واقرا القران في كل شهر قال قلت بلى يا نبي
الله اني اطيق افضل من ذلك قال فاقراه في عشر قال قلت يا نبي الله اني اطيق افضل
من ذلك قال فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله تعالى حكمة النسخ والتخفيف
فقال علم ان سيكون منكم مرضى يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل
فخفف الله تعالى عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه واخرون يضربون في الارض
يبتغون المسافرين للتجارة يبتغون من فضل الله اي يطلبون من رزق الله وهو
الربح في التجارة واخرون يقاتلون في سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين وذلك
لان المسافر والمجاهد مشتغل بالنهار بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت
عليه اسباب المشقة فخفف الله عنهم لاجل ذلك وروي عن ابن مسعود قال ايما
رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه

كان

كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرا عبد الله واخرون يضربون في الارض يبتغون من
فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه اي من القران وانما
اعاده للتاكيد واقيموا الصلاة يعني المفروضة واتوا الزكاة يعني الواجبة واقرضوا الله
الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف
وقيل يريد سائر الصدقات وذكر بان يخرجها باحسن وجه من كسب طيب
ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضات الله تعالى
بما يخرج والصرف الى المستحق وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي ثوابه
واجره هو خيرا واعظم اجرا يعني الذي قدمتم لانفسكم خيرا من الذي اخرتموه ولم تقدموه
روى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه
من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا لما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم
رجل الا مال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال احدكم
ما قدم ومال وارثه ما اخر واستغفروا الله ان لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل
ان الله غفور رحيم اي لجميع الذنوب والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة المدثر مكية

وخمس مئو

قيل عبر اياتها من اخرها وهي ست وخمسون اية ومائتان وخمسون كلمة والف
وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها
المدثر قال عن يحيى بن كثير قال سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن اول ما نزل
من القران قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرا باسم ربك الذي خلق قال ابو سلمة
سالت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك الا ما حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت
فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي
فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي
ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك
قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي

وذكر نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش في الهوى يعني جبريل فاخذتني رجفة شديدة
ق عن جابر من رواية الزهري عن ابي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا انا امشي سمعت صوتا من
السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض
فجئثت منه رعبا فانصرفت راجعا فقلت زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز
فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت فجئت الى اهلي وذكره وفيه قال ابو سلمة
الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع زاد قلت دل هذا الحديث
على ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن وبما رضه حديث عايشة المخرج في
الصحيحين ابتداني بدء الوحي وسياتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني
الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم
يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت
الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرا باسم ربك
الذي خلق كما صرح به في حديث عايشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل
من القرآن فمعناه لا ابتدائه وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية
الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن
فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه ايضا الحديث قوله فاذا
الملك الذي جاءني بحراء قلت وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ايضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع
فالصواب ان اول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرا باسم
ربك الذي خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فتحصل بعد الذي بيناه
الجمع بين الحديثين والله سبحانه وتعالى اعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش يريد به
السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي اي عن احكامه وعن قضاياه
وتواليه في النزول قوله فجئثت منه بوزن بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثا
مثلثة ساكنة ثم تا التانيث وروي بثابين مثلثتين بعد الجيم ومعناها فزعت منه
وفرعت وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله واراد بعد فترته من قولهم
حميت الشمس والنار اذا اردت حرها وقوله فصبوا على ما فيه انه ينبغي لمن وقع ان يطلب

عليه

509

عليه الماهية بسكن فرعه والله اعلم واما تفسير الاية قوله عز وجل يا ايها المدثر اصله
المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليعتد فيها واجمعوا على ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما سماه متدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا ايها المدثر بالنبوة
والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس
لجلالة قم فانذر اي حذر قومك من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك
وتاركك وقيل قم فتيا عزم واشتغل بالانذار الذي تحاوله وربك فكبر اي
عظمه بكل ما تقوله عبدة الاوثان وثيابك فطهر فيه اربعة اوجه احدها ان
يتاول لفظ الثياب والتطهير على حقيقته والثاني ان يتاول لفظ الثياب على الحقيقة
والتطهير على المجاز والثالث ان يتاول لفظ الثياب على المجاز والتطهير على
الحقيقة والرابع ان يتاول لفظ الثياب والتطهير عليهما مجازا اما الوجه الاول
فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا
يتحرزون عنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصونه من النجاسة وغيرها
خلافا للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك ان المشركين كانوا
يطولون ثيابهم ويجرونها بالمر على النجاسة وفي الثوب الطويل من الخيلاء
والكبر والتجبر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامره بتقصيره لذلك
وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تاوب من وجه حلال
وكسب طيب الوجه الثالث معناه حل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى فتحسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب
عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز
فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن
وسيل ابن عباس عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية
ولا غدر اما سمعت قول غيلان ابن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع

والعرب تتمدح في وصف الرجل بالصدق والوفاء وطاهر الثياب وتتمدح لمن تحذر

انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل انه من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى والرجز فاهجر يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما يرجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ولا تمنن تستكثر يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا العمر مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم واما نهي عن ذلك تقريبا لمنصب النبوة لان من اعطى شيا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل مهما يكن عن حلال وحرام فالحلال الهدية بعد بها الجليل الغير ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بعض الشروع وقيل معناه لا تعط شيا لمجازاة الدنيا اعطه وارد به وجه الله وقيل معناه لا تعط شيا تمنن على الله بعمله تستكثر ولا تكثر عملك في عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امور الدين وتسلمهم من الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاجرهم على ذلك تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم مستكثرا لمسك لتلك العطية فان المن يحبط العمل ولربك فاصبر اي على طاعته وعلى اوامره ونواهيه لاجل ثواب الله عز وجل وقيل معناه فاصبر بسبب ما اوذينا فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت مراد القضا لاجل الله عز وجل فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة يوم عسير اي شديد على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمايلهم وتسود وجوههم غير يسير اي هين فان قلت فما فايدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فايدة التكرار التاكيد كقولك انا احب لك غير محض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المومنين بخلاف

الكافرين

الكافرين عليهم عسير لا يسير وبه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المومنين قوله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه فالغيك هو تولت هذه الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه وجعلت له ما لا ممدودا اي كثيرا يمد بعضه بعضا واحدا بعد واحد غير منقطع وقيل ما يمد به الناس كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فكان الف دينار وقيل اربعة الاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس بستمائة الف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطايف ابل وجبل ونعم وكان له غلم كثيرة وعبيد وجواري وقيل كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر وبين شهودا اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اعدا غير محتاجين الى العيشة لطلب المكسب وقيل معناه شهودا اي رجالا لا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة هو خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش وطول التمرع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ثم يطمع اي يرجو ان ازيد اي يرجو ان ازيده مالا وولدا وتمهيدا كلا اي لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان ماله وولده حتى هلك انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان معاند اني جميع الاصول التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان دائما مستكبرا عن الحق وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو ابلغ الكفر وانجسه سارهقه صعودا يعني كلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود جبل في النار يصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا الخريف الترمذي وقال حديث غريب ورواه البغوي باسناده الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى سارهقه صعودا قال هي جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت

وقال الكلبي الصعود صخرة بلسا في النار يكلف الكافرون بصعودها كلما وضع يده عليها ذابت
صعوده يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها
في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه
ويضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر اي فكر في الامر الذي
يريده ويظر فيه ويدبره ورتب في قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله
وقدر اي بقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في
المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه
وسلم استماعه اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم
فقال والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو
وما يعلا ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله ابو الوليد ولتصبون
قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد
حزينا فقال له الوليد مالي اراك حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني ان احزن
وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك وبزعمون انك زينت
كلام محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة فتسأل من فضل طعامهم
فغضب الوليد وقال والله ما علمت قريشا ابغى من اكثرهم مالا وولدا واهل بشبع
محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس
قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا
قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه قط بتكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه
شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم
عليه شيا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل
النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد تاموا تفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر
ما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما ينزل عليه سحر يؤثر
فذلك قوله عز وجل انه فكر اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه

ماذا

ماذا يمكنه ان يقول في محمد والقرآن فقتل كيف قدر اي عذب وقتل لمن كيف قدر
وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل كيف قدر كرره للتاكيد وقيل معناه
لمن اي حال قدر من الكلام فنظر اي في طلب ما يدفع به القرآن ويرده ثم عبس
وبسر اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في شيء يريده ثم ادبر اي عن الايمان واستكبر
اي حين دعي اليه فقال ان هذا اي الذي يقوله محمد ويتلوه الا سحر يؤثر اي يروى
ويحكى عن السحرة ان هذا الا قول البشر يعني بعضا وخبرا تعلموا بأثره عنهما قال
الله تعالى ساصليه اي سادخله سقر وهو اسم من اسماء جهنم وقيل احد
دركاتها وما ادراك ما سقر اي وما اعلمك اي شيء هو سقر وانما ذكره على
سبيل التهويل والتعظيم لامرها لا تبقي ولا تذر قيل هما بمعنى كما تقول صد
عني واعرض عني وقيل لا يبقي من المعذبين فيها احدا ولا يذر الا اهلكه فعلى
هذا معناه لا تبقي احدا من المستحقين للعذاب الا احذته ثم لا تذر من لحومهم اولئك شيا الا التهمته
واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اي لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها
ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل
لكل شيء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة هي لا تبقي عليهم ولا
تذر لواحة للبشر جمع بشرة اي منبرة للجلد حتى تجعله اسود وقال قتادة
تلفح الجلد حتى تجعله اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد
وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر اي على النار
تسعة عشر ملكا من الملائكة وهم خزنتها مالك وسمه ثمانية عشر اي على
النار جاء في الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج
لهب النار من افواههم ما بين منكب احدهم مسيرة سنة قد نزعت
منهم الرحمة يرفع احدهم حسبين الناس بيديه يريد ان يرميهم بهم فيدعهم وقال
عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة
ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش تكلتكم
امهاتكم اسمع من ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم
بعض الشجعان اليجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد من خزنة جهنم فقال

ابو الاسود بن الاسود وكلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم اثنين وبروي عنه انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار وتمشي ندخل الجنة فانزل الله عز وجل وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة يعني الا رجالا ادميين من ذا يغلب الملئكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وامتحانا للذين كفروا اي ضلالة لهم وقيل فتنتهم هو قولهم لم يكونوا عشرين وما الحكم في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هو قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم لم يكونوا عشرين وبان افعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال لم فعل ولم لم يفعل وتخصيص الزبانية بهذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الاعداد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بان الله تعالى يعطي هذا القليل من القوى والقدرة ما يقدرون على ذلك نحن اعترف بكمال قدره الله تعالى وانه على كل شيء قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل وانه تسعة عشر ويزداد الذين امنوا ايمانا يعني من امن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذا العدد وان كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة ونعلم علما ان ما حصل له ذلك الا بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب اي ولا يشك الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيناف يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر

ف

والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والكافرون اي مشركي مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالمغيبات يعني هذا تفسير الآية مجمل للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض من اصل مكة لان بينهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني اي شيء اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه ما غرب من الكلام وبديع استغرابا منهم هذا العدد واستبعادا له والمعنى اي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكارهم هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا لذلك اي كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من صدق به يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال وما يعلم جنود ربك الا هو قيل هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة ما يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل ان له مقدورات الله تعالى غير متناهية وما هي يعني النار الا ذكرى للبشر اي الا تذكرة وموعظة للناس وقيل وما هي يعني ايات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها كلا اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا هذا يعني حقا والقمر والليل اذا دبر ولي ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبر عني فلان اي جاءني ليلا فالليل يأتي خلف النهار والصبح اذا اسفر اي اضاء وبان وهذا قسم جوابه انها لاحدى الكبر يعني ان سقر احدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذيرا للبشر وقال الحسن والله ما انذر بشيء اد هى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى

كرة

والمعنى انكم منعاندون فانتهوا وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم فانذر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اي يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنها فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد من وكفر وقد يتمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة في النار بكسبها وماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله تعالى لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم بما عملوا من الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم الموصوفون بالخلاص وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين او مريوم اخذ الميثاق وحين قال الله لهم ألست بربكم قالوا بلى وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا شيئا يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة في جنات اي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين اي يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقول لهم ما سلككم في سقر قيل وهذا يقوي قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسلمون للسابقين قلنا للذين ما سلككم اي ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سوال توبيخ وتقريع فقالوا لم نك من المصلين اي لله عز وجل في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اي نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخائضين اي في الباطل ولم نكذب بيوم الدين اي يوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين يعني الموت قال الله عز وجل فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع

المومنين فلا يبقى في اربعة ثم تلى قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هولاء الذين تسمومت رويت البغوي باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف اهل فيدخلون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا فيقول فانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول لما تريد فيقول ما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول نعم وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه فالهم عن التذكرة معرضين اي عن مواعظ القرآن كانهم حمر جمع حمار مستنفرة نفرت بالكسر اي نافرة وقرئ بالفتح اي منفرة مدبرة محمولة على النفار فرت من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه انها العناصر وعنه قال هي جبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اتوبارها كل فيهم شديد عند الحرب قسورة وقسورة وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك ان الحمر الوحشية اذا عابت بيت الاسد هربت فكذلك هولاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يبين القرآن هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبلد وذلك انه لا يرى مثل حمر الوحش اذا خافت من شيء بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة قال المفسرون كان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسوله برمزنيه فاتبعك وقيل ان المشركين قالوا بايمانهم بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راس ابنه وكناريته فاتنا بمثل ذلك كلا اي لا نوتى الصحف ومعنى رد لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الاخرة اي لا يخافون عذاب الاخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقتوحوا هذه الايات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة وطلب الزيادة يكون من باب العنت كما اي حقا انه يعني القرآن تذكرة يعني ان عظة عظية فمن شاء

ذكره اي اتعظ به وانما يعود نفع ذلك عليه وما يذكرون الا ان يشاء الله اي ان يشاء الله لهم بالهدى فيتذكروا وينتظموا اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان يتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سعد بن عبد الله المقطعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت عن انس والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القيمة مكية

وهي اربعون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيمة اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظ لا فقيل لو خال لفظة لا على القسم مستغنى في كلام العرب واشعارهم قال امرئ القيس

لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر

قالوا وخاصة فيها تاكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الرد مع انها وقيل انها صلة كقوله ليلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا ترد الا في وسط الكلام او في اوله واجيب عنه بان القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن في حكم السورة في عدم التناقض لا ان تعرف سورة بما بعد ما تذكر غير جايز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كانه قال لا اقسم بهذا اليوم

ولا بتلك النفس الا عظاما له فيكون القرض تعظيم المقسم به وتفخيم شانه وقيل سماه لا اقسم لعدم الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه روى البغوي في تفسيره القيامة عن المعيوفة بن شعبة قال يعرف اهل القيمة وقيامة احدهم لا موته ويشهد عليه جبارة فلما دفن قال اللهد افعد فاقيمك فيقيامك فيقعد فيسالك فيقول لا ادري فيقال له كنت لا تدري فيضرب ضربة بمرزبة فيصير رميمة الا من شاء الله تعالى وقال مقاتل يعرف اهل القيمة بعضهم بعضا ثم يتفرقون فيلقى الرجل اخاه فيقول لقد رايتك على غير هذا فيقول ما رايتك قط على حال احسن منها فيخبره بعمله وقال الحسن يعرف الرجل اخاه بالتكبير والتهليل وقال ابن عباس يعرف الرجل اخاه بالوضوء وقال ابن كيسان يعرف المؤمن بسيماه في وجهه من اثر السجود وقال ابن عباس ايضا يعرف المؤمن بسيماه في وجهه من اثر الوضوء وقال الضحاك يعرف المؤمن بسيماه في وجهه من اثر الخشوع وقال ابن عباس ايضا يعرف المؤمن بسيماه في وجهه من اثر الاسلام وقال ابن كيسان يعرف المؤمن بسيماه في وجهه من اثر الخير والشر ولا اقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على الخير والشر وقيل هي التي تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني لم افعل وقال الحسن هي نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي واما الكافر فيمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشعيفة تلوم نفسها حين تفاتها اموال القيامة تقول واحسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة تظهر احوال النفس اللوامة من الشقاوة والسعادة فلهذا الجمع بينهما في القسم وانما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لما من حيث انها ابدا تستقر ملها واحتها دها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكانه قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لانها النفس الكافرة او الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على يوم القيامة وفيه اشكال قلت المحققون قالوا المقسم به هو الاشياء اقسم بها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن

يدل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وقيل جواب القسم
قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه ومعنى ايحسب الانسان ايظن الكافر
ان النظام بعد تفرقها وجوعها رميما وترابا فانا محيطون بالتراب وبعد ما سفتها
الريح وطيرتها في اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اي لا يمكننا جمعها مرة اخرى
وكتب خطوبيا له هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابتداء ابعد على
الاعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وموحنق الاخنس
بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء
يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي
بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم امن به او يجمع الله النظام فانزل
الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعني بعد
التمزق والبلا فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر النظام واراد بها نفسه
جميعا لان النظام قالب المعنى ولا يستوي الحاق الاباستوائها وقيل انما خرج
على وفق قول هذا المنكر ايجمع الله النظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه
وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم
من ذلك وهو ان يستوي بنانه يعني انامله فيجعل اصابع يديه ورجليه شيئا
واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها في القبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه ظن الكافر انا لا نقدر
على جمع عظامه حتى يعيد السلاميات على صغرها الى مكانها ويولف بينهما
حتى يستوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو جمع كبارها فقد
وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه اخر ما يتم
به الخلق قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما
يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير
يعجل الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت
وهو على اسوء احواله وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش ما صيب
من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث

والحساب واصل الفجور الميل ثم سمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسال ايان
يوم القيامة اي متى يكون يوم القيامة منه والمعنى ان الكافر يسال سوال منكر متعنت
لقيام الساعة قال الله تعالى فاذا برق البصر اي اذا شخص البصر عند الموت فلا
يطرف هما اي من العجايب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل يبرق ابصار الكفار عند
رويتهم وقيل برق اذا لمع وتحير لما يرى من العجايب وبرق اي شق عينه وفتحها
من البرق وهو اللالا وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر بعني
اسود بن مكربن كانهما ثوران عنيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل
يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يومئذ يعني الكافر
المكذب يومئذ اين المفر اي المهرب وهو موضع الفرار كلا اي لا ملجا لهم يعتصمون
اليه ولا وزر اي لا حرز ولا ملجا ولا جبل وكانوا اذا توعدوا الجوا الى الجبل فيتحصنوا
به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون واصل الوزر الجبل المنيع وكل التجات
اليه فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا ... الا السيوف واطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لا ينجي يومئذ من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة
يستندون اليه من النار الى ربك يومئذ المستقر يعني مستقر الخلق قال
عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك
مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار وذلك معوض الى مشيته من شاء
ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله ينبا الانسان يومئذ بما قدم
واخر قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيي وما اخر
بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية
واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله عز وجل واخر من حق الله فيضيعه
وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله في اول عمره وفي اخره وقيل بما قدم من ما
لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل
الانسان على نفسه من نفسه رقيب يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه
وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه

وقيل معناه بل الانسان على نفسه بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان
على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر وبكل عذر
وحاول عن نفسه فانه لا ينفعه لانه تشهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر
فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون المعذار معذارا وجمعه
معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه
شاهدة عليه وهذا يحقق انكاثرا لانه يكون يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل
في الدنيا قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ق عن ابن عباس في قوله عز
وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة
وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير فقال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحركهما فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به
ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه واذا قرأناه فاتبع قرآنه قال
فاستمع وانصت ثم ان علينا بيانه ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم
كما اقرأه وفي رواية كما وعده الله لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري
وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه جبريل بالوحي
كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية
في لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال
ان علينا ان نجمعه في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا
بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما
وعده الله وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا انزل عليه مخافة ان ينفلت فقيل له
لا تحرك به لسانك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه ان تقرأه ومعنى الآية
لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه
لتعجل به اي باخذه ان علينا جمعه اي جمعه في صدرك وحفظك اياه وقرآنه اي
وقرآته عليك والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث لا تضيع شيئا منه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
اي لا تكن قرآنك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي

البك

اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فحذاك فيها وعلى قراءة جبريل قرآنه لانه بامره
نزل الوحي ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله
وحرامه والقول الاول اولى لانه ليس هذا موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع
امر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قرآنه فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ وعاه النبي صلى الله عليه وحفظه ثم
ان علينا بيانه اي نبينه بلسانك فتقرأه كما قرأك جبريل عليه السلام وقيل اذا
اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال
والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شيء سأل جبريل
عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى كلا اي حقا
بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة اي يختارون الدنيا على العقبى ويعملون
لها يخاطب كفار مكة وجوه يومئذ يعني يوم القيامة ناضرة من النضارة وهي
الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعم وقيل ناعمة وقيل مسفرة
مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم الى ربها ناظرة قال
ابن عباس واكثر المفسرين ينظرون الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن من ان
تنظر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما
فسروا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها عز وجل ما امر لها
به وقال صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى
ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ ان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى
انتظرت انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد بصروهم ابيا ضادرة للورد طال بها جوي ويلاسي

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون
تذكرا فيه وتدبرا بالقلب هذا الحق كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في
التنزيل بمعنى الانتظار كثير اولم يرد صلة في موضع بالي بقوله انظرونا نقتبس
من نوركم وقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والرجم
اذا وصف بالنظر وعدي بالي لم يحتمل غير الرؤية واما قول انظر الي الله ثم البيك

على معنى التوقع فصل الله عز وجل ثم فصلك وكيف النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما
يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه واذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار
واذا بطل المعنيان لم يبق لنا الا الرؤية كلا وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة
تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى ٠

فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة قال جملة
اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها
في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف اهل البدع كالمعتزلة والخوارج
وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهو
الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة
ممن بعدهم عن سلف الامة اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واياك القرآن بينها مشهورة واعتراضات
المبتدعة لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك ابانى شبههم
واجوبتها مستقصاة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان
الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة الراي
ولا غير ذلك واما الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية فمنها ما روي عن بن عمر رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر
الى جناته وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله
عز وجل من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال
وقد روي عن بن عمر لم يرفعه ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون
هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب فافعلوا لا تضامون روي بفتح التاء وتشديد الميم وقد
تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت

النظر

وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا يضام بعضكم بعضا في رؤيته فيزول بعضكم دون
بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في
الوضوح وزوال الشك والشبهة لا تشبيه المرئي بالمرئي عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول
الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر
ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب
قالوا لا يا رسول الله قال الترمذي وقد روي هذا الحديث عن ابي سعيد وهو صحيح
وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد اخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون
وتضامون واحد عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا
به يوم القيامة قال نعم قلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى
القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم واما هو خلق من خلق الله يعني
القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود وعن صهيب رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون
شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال
فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاد
في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله تعالى اعلم قوله عز وجل ووجوه يومئذ
باسرة اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت انوار النعمة
والسرور منها لما ادركها من البأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين اهل الجنة
والنار تظن اي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين ان يفعل بها فاقرة اي يفعل
بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي يكسر
فقار الظهر ويبقيه قيل الفاقرة دخول النار وقيل هي ان يحجب تلك الوجوه
عن رؤية الله تعالى كلا اي حقا اذا بلغت بمعنى النفس كناية عن غير مذكور
التراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس
التراقي عن الاشتغال عند الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب غطية رامت عنها ٠ وقد بلغت نفسها التراقي ٠

وقيل يعني وقال من حضره من راق اي هل من طبيب يرقيه ويداويه ما نزل

بث

به ويشفيه ويخلصه من ذلك بوقيته وذهابه وقيل لما فرغ قضاه عز وجل به من امر
اسه ما نزل المتسولة الاطبا فلم يبق واعمة من قضاء الله تعالى شيا وقيل هذا من
قول الملايكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه
اذا خرجت فيصعد بها ملايكة الرحمة او ملايكة العذاب وظن اي ايقن الذي
بلغت روحه التراقي اما العراق يعني الخروج من الدنيا وفراق الاهل والمال والولد
والتفت اي اجتمعت الساق بالساق اي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة
الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل بشدة الموت بشدة الاخرة وقيل تتابعت عليه
الشدايد لا خرج من كرب الاجاه اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة كما
في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة وقيل الناس يجهزون جسده
والملايكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا في الكفن وقيل هما
ساقاه عند الموت الانزاه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع
وقيل اذا مات بيست ساقاه والتفت احداهما بالاخرى الى ربك يومئذ
المساق اي مرجع العباد الى الله تعالى يوم القيامة فيفصل بينهم فوله عز وجل فلا
صدق ولا صلى يعني اباجهل لم يصدق بالقران ولم يصل لله تعالى ولكن كذب
وتولى اي اعرض عن الايمان والتصديق ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال
في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من المطى او لاك فاولى هذا وعيد
على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه
ويلك مرة بعد مرة دعا عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك احق
بهذا العذاب واحق بان يولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال
قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع
ثوب ابي جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو
جهل اتتوعدني يا محمد والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا وابي لاعز
من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله عز وجل شر صرعة وقتله
اشد قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل نبي امة فرعونا و
وفرعون هذه الامة ابو جهل يحسب الانسان ان يترك سدى اي هملا لا يؤمر

ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الاخرة الم يك نطفة اي ماء قليلا من مني
يمنى اي يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء قذر مستقذر ان يتكبر
ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة اي صار الانسان علقة بعد النطفة فخلق فسوى
اي فخلق خلقه وسواه وعدله وقيل معناه نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه فجعل منه
اي من الانسان الزوجين اي الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اي خلق
من سائر الاولاد الذكور والاناث اليس ذلك اي الذي فعل هذا وانشا الاشيا اول
مرة بقادر على ان يحيي الموتى اي بقادر على اعادته بعد الموت عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى
الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن
قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
فليقل بلى ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يومنون فليقل
امنا بالله اخرجه ابو داود وروله عن موسى بن ابي عن عايشة قالت كان
رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
قال سبحانك بلى فساله عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم والله تعالى اعلم

تفسير سورة هل اتى وتسمى الانسان ومكية

قال مجاهد وقتادة والجمهور وهي مكية على ذلك عن ابن عباس وعطا
ابن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها من اول كفورا وما فيها مدني
قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ومن هذه الاية الى اخرها مكي حكاه
الماوردي وهي احدى وثلاثون اية وماية وار بعون كلمة ومايتان
وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل هل اتى اي قد اتى على الانسان يعني ابي ادم حين من
الدهر يعني مدة اربعين سنة وهو من طين ملقى لم يكن شيا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله عز وجل ادم في الجنة تركه ما شا الله ان يتركه

تجمل ابليس يطيب به ويتظر اليه فلما راه اجوف عرف انه خلق لايبقا لك قوله يطيب
به اي يجوع حوله فلما راه اجوف اي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال
وقوله عرف انه خلق لايبقا لك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لايملك دفع
الوسواس عنه وقيل لايملك نفسه عند الغضب ويروى في تفسير الاية ان ادم
بقي اربعين سنة طينا واربعين حما مسنونا واربعين صلصالا كالفخار ثم خلقته بعد
مائة وعشرين سنة لم يكن شيأ مذكورا اي لايذكر ولايعرف ولايدري ما اسمه
ولاما يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر روي عن
ابن عباس انه سمع رجلا يقرأ هذه الاية لم يكن شيأ مذكورا فقال يعم ليتها تمت يعني
ليته بقي على ماكان عليه ويروى نحوه عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان
جميع الانسان وهم بنو ادم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان فالانسان في الموضعين
واحد تعالى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر على مقدار لم
يكن شيأ مذكورا بين انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام
لم يذكروا بشيء انا خلقنا الانسان بيني ولد ادم من نطفة اي من مني الرجل ومني
المراة امشاج اي اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ما الرجل وما المراة يختلطان
في الرحم فيكون منهما الولد فما الرجل ابيض غليظ وما المراة اصفر رقيق فايهما علا
صاحبه كان الشبه له فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم
وشعر فمن ما المراة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضا
ونطفة المراة صفرا وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هي العروق
التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت اي خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حملت
المراة انقطع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم
كسا العظام لحما ثم نشاه خلقا اخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة اختلافا من الطبايع
التي تكون في الانسان من الحرارة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من
نطفة ذات امشاج نبتليه اي لنختبره بالامر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا وقيل
فيه تقديم وتاخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لايقع الا بعد تمام
الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر

انه اعطاه مايصح الابتلاء وهو السمع والبصر وملك عليه جارحتين من الفهم والتمييز وقيل
المراد بالسمع والبصر الحاسة المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس
واشرفها انا هديناه بينا له السبيل بينا له سبيل الحق والباطل والضلالة والهدى
وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لايطلق اسم
السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال
الكتب اما شاكرا واما كفورا بيني اما موحدا مطيعا لله عز وجل واما مشركا بالله
في علم الله تعالى وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتميز شكر الانسان من
كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الاية اما مومنا سعيدا واما كافرا شقيا
وقيل معناه الجزاء اي بينا له الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذي
يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور
الذي لايقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر
فقال تعالى انا اعتدنا للكافرين اي يشعرون بها واغلالا اي في ايديهم
تغل بها الى اعناقهم وسعيرا بيني وقودا لابوصف شدته وهذا من اعظم انواع
التهويل والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموعدين فقال تعالى ان الابرار
بيني الموحدين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع
فعبر البر التوسع في الطاعة يشربون من كاس بيني فيه شراب كان مزاجها
كافورا قيل يمزج لهم شراب بالكافور ويختم بالمسك فان قلت
الكافور عين لذيذ ويشربه عباد الله فكيف قال
اهل المعاني اراد بالكافور في بياضه وطيب رايحته لان الكافور لايشرب وقال
ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان تلك الشراب بمزجه ماء هذه
العين التي تسمى كافورا ولايكون في تلك صفر لان اهل الجنة لايبصقون
فيها ولايكلون ويشربون وقيل موكافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة
وليس كافور الدنيا ولكن الله سمى ما عندهم باسم ما عندكم يمزج شرابهم بذلك
الكافور والمسك والزنجبيل عينا بدلا من الكافور وقيل اعني عينا بدلا من الكا
وقيل اعني عينا يشرب بها عباد الله قال ابن عباس اوليا

الله يجزونها تفجيرا اي يفجرونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم فتجيء
سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر لما وصف الله تعالى ثواب الابرار في
الاخرة وصف اعمالهم في الدنيا التي بها استوجبوا بها هذا الثواب والمعنى كانوا
في الدنيا يوفون بالنذر اذا اوجبوا والمعنى يوفون بما فرض الله تعالى عليهم فيدخل
فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك
من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه
شيأ ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله علي كذا وكذا من صلاة او صدقة
او صوم او حج او عمرة فيلزمه ذلك بامر يلزمه من الله تعالى وذلك بان يقول ان
شفى الله مريضي او قدم غائبي كان لله تعالى علي كذا او لو تذر في معصية لا يجب
الوفاء به ح عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
نذر ان يطيع الله تعالى فليوف بنذره ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه ولا يوف به وفي
رواية فلا يعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية
وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي عن ابن عباس
قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على
امه فتوفيت قبل ان تقضيه عنها فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي
الاية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم على اداء الواجبات
اذ من وفى بما اوجبه على نفسه كان بما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما
كان شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار حوفه في اهل
السموات وفي اهل الارض وفي اوليا الله تعالى واعدائه وقيل فشي في السموات
فانشقت وتناثرت الكواكب وتغيرت الملائكة وكورت الشمس والقمر وخسف
الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شيء على الارض من جبل
وبنا والمعنى انهم يوفون وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته
قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه اي حب الطعام وقلته وشهوتهم
له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يؤثرون غيرهم على انفسهم بالطعام
ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام

لانه

لانه قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اي لحب الله مسكينا يعني
فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب ويتيما اي صغيرا وهو الذي
لا اب له يكسب له وينفق عليه واسيرا قيل هو المسجون من اهل القبلة يعني
من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله تعالى بالاحسان
اليهم وان اسرهم يومئذ من اهل الشرك فعلى هذا يكون جواز اطعام
الاسير وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة
الواجبة كالزكاة والكفارات وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المرأة لقول
النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان يعني اسرا
وقيل عن يبيك اسيرك فاحسن الي اسيرك واختلفوا في سبب نزول الاية
فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان
وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له واهله
رجيف ولحد فنزلت هذه الاية فيه وروي عن ابن عباس انها نزلت في علي
ابن ابي طالب وذلك انه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير قطعي
منه ثلثه واصلحوا منه شيأ ياكلونه فلما نزع اتي مسكين فسال فاخرجوا ذلك الطعام
اليه ثم عمل الثلث الثاني فلما نزع اتى يتيم فسال فاطعموه ذلك وطووا يومهم ثلاثة
هذه الاية وقيل الاية عامة في كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى واثر
على نفسه انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قيل انهم لم يتكلموا
به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك مسالة للجازين
منا المكافات وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك ان الاحسان
الى الغير تارة يكون لاجل الله عز وجل لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة
يكون لطلب المكافات او لطلب المدح من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان
لا يقبلهما الله لان فيهما شركا وريا فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما يعني ان احساننا اليكم لنخوف من
شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم عبوسا وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال
صايم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم

بالعبوس لما فيه من الشدة قطريرا معبسا شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي الذي يجازون فيه ولقاهم نضرة اي حسنا في وجوههم وسرورا اي في قلوبهم وجزاهم بما صبروا اي على طاعة الله واجتنابه معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفا بالنذر والايثار جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير متكئين فيها اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجال ولا تسمى اريكة الا اجتمعا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير لما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طي واشد دانية ظلالها قاربها قطوفها والزمهرير بمازهره

والمعنى ان الجنة منيلة الاجتناء منها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها اي قربت منهم ظلال اشجارها وذللت اي سويت وقربت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي يأكلون من ثمارها قياما وقعودا او مضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا على اي حال اراد او يطاف عليهم بآنية من فضة واكواب قيل هو اكبيزات الذي لا عروة لها كالقدح ونحوه كانت قوارير من فضة قال اصل التقدير اراد وبياض الفضة في صفا القوارير وهو الزجاج والمعنى انية اهل الجنة من فضة بيضا في صفا الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها وقال الكلبي ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج قدروها تقديرا اي قدروا الكوس على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يشربونهم ويسقون فيها اي في الجنة كأسا كان مزاجها زنجبيلا قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد فيها طعم الزنجبيل يشربها المقربون صرفا وتمزج لاهل الجنة جميعهم وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في شرابهم لانه يجعل به ضرب من اللذع قال الاعشى

كان

كان المنزل والزنجبيل باريها وارياما شاراما مزاجي العسل

والمشار المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب في معناه

كأن طعم الزنجبيل به اذا تغنت وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا اي سلسلة منقادة لهم يجرونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم فتفتح من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى اي توصف لان اكثر العلما على ان سلسبيلا صفة لا اسم ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي في الجنة وقيل مخلدون مسورون ومقرطون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائهم واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان احسن من منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانهم يطوفون في الخدمة فقوله عز وجل واذا رأيت قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت بعينك وتنظر به ثم ببصرك في الجنة رأيت نعيما اي لا يوصف عظمه وملكا كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا بإذنه وهو استئذان الملائكة وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال عليهم اي فوقهم ثياب سندس خضر وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا من الاقذار لم تمسه الايدي ولا تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل لانه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما كلوا

رشحها يجزم من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل
الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من
غل وغش وحسد ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم الجنة
ينها وشاهدتم بعضها ان هذا كان لكم جزاء هذا اعده الله لكم الى هذا الوقت مقبولكم
باعمالكم وقيل مراعيا مرضيا عند الله تعالى لعباده المومنين انه قد اعده الله لهم في الآخرة
وكان سعيكم مشكورا اي مشكورا لكم عليه واثنكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله
لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعة واعطاه اياهم الكثير من الخيرات قوله
عز وجل انا نحن نزلنا عليك يا محمد القرآن تنزيلا قال ابن عباس نزل القرآن
اية بعد اية ولم ينزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا والحكمة
بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله اليه وحي منه ليس
بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت لمن قول الكفار انه سحر او
كهانة فاصبر لحكم ربك اي الصادر عن حكمة قبل مساه فاصبر لحكم
ربك في تاخير الاذن في القتال وقيل موعام في جميع النكاليف اي فاصبر في كل
ما حكم الله به سواء كان تكلفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا
بالغير كالتبليغ وادا الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ولا تطع منهم اثما او كفورا
يعني وكفورا وقيل اراد به ابا جهل وذلك انه لما مرضت الصلوات على النبي صلى
الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها فقال ان رايت محمدا يصلي لاطان عنقه وقيل
اراد به الاثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى
الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا
الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك بنير مهر وقال الوليد
انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه
الاية فان قلت على من فرق بين الاثم والكفور قلت نعم الاثم هو
المقدم على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور اثم
ولا ينعكس لان من عبد غير الله اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد

غير

غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه واذكر اسم ربك بكرة واصيلا قيل المراد من
الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني بعد صلاة الصبح واصيلا يعني
صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى
هذا تكون هذه الاية جامعة لمراقبة الصلوات الخمس وسبحه ليلا طويلا يعني
صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الاية هو الذكر ايضا
والمقصود ان يكون ذكر الله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه ولسانه
قوله عز وجل ان هولاء يعني كفار مكة يحبون العاجلة يعني الدار العاجلة وهي
الدنيا ويذرون وراءهم يعني امامهم يوما ثقيلا يعني شديدا وهو يوم القيامة
والمعنى انهم يتركون فلا يومنون به ولا يعملون له نحن خلقناهم وشددنا اي
قويناهم واحكمنا اسرهم اي في خلقهم وقيل اولهم شددنا بعضهم الى بعض
بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انهم اذا خرج
الاذا التقمناه واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باناس
فجعلناهم بدلا منهم ان هذه اي السورة تذكرة اي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ
لنفسه في الدنيا الى ربه سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذا
مما تمسك به القدرية ويقولون اتخاذ السبيل موعبارة عن التقرب الى الله
تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله تعالى
في سياق الاية وهو قوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله اي لستم تشاءون الاعشية
الله تعالى ان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة بفعل العبد لجميع ما يصدر عن
العبد بمشيئة الله تعالى ان الله كان عليما باحوال خلقه وما يكون منهم
حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء في رحمته اي في دينه وقيل في جنته
فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول
الجنة بمشيئة الله تعالى وفضله واحسانه بسبب الاستحقاق والظالمين يعني
المشركين اعد لهم عذابا اليما والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المرسلات مكية

وهي خمسون اية ومايتان وثمانية وستة عشر حرفا

ث

مم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان
المراد الرياح بأسرها ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل
عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا بمعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا
بمعنى الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلت نشرا بين يدي رحمته وقيل هي
الرياح التي تنشر السحاب وقال في المطر فالفارقات فرقا بمعنى الرياح التي تفرق
السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا بمعنى ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة
قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيجعل بذلك خوف في قلوب العباد
فيلجأ الى الله تعالى ويذكروه فصارت تلك الرياح كأنها القت الذكر والمعرفة في
القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثاني ان المراد بأسرها الملائكة الذين ارسلهم
الله تعالى بمعنى والمرسلات عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله
تعالى ونهيه وهذا المروي رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا بمعنى الملائكة
تعصف في طيرانهم وقرئ لهم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا بمعنى انهم
اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين
الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس بمعنى الملائكة تلقي
الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر هو القرآن خاصة فعلى
هذا يكون الملقي هو جبريل وحده وانما ذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
الوجه الثالث ان المراد بأسرها آيات القرآن والمعنى والمرسلات عرفا آيات
القرآن المتتابعة في النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات
عصفا يعني آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصين
وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعني آيات القرآن نشرت انوار الهداية
والمعرفة في قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعني آيات القرآن تفرق بين
الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني آيات القرآن هي الذكر الحكيم يلقي
الايمان والنور في قلوب المؤمنين الوجه الرابع ان ليس المراد من هذه
الكلمات الخمس شيئا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات

عرفا

523

عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة قال قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة
حتى يجمع بينهم في القسم قلت الملائكة روحانيون تهب بلطائفهم
وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع
بينهم في القسم عذرا او نذرا اي للاعذار والانذار وقيل عذرا من الله او نذرا
منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى انما توعدون اي
من امر الساعة ومجيئها لواقع اي لكائن نازل لا محالة وقيل معناه انما توعدون
به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى فاذا النجوم طمست اي
محي نورها وقيل محقت واذا السماء فرجت اي شقت وقيل فتحت واذا الجبال
نسفت اي قلعت من امكانها واذا الرسل اقتت وقرئ بوقتت بالواو ومعناها
واحد اي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة يجمعهم وانما سمي الامم لاي
يوم اجلت اي اخرت ومنتهى الاجل الجميعهم كأنه تعالى يجب العباد من تعظيم
ذلك اليوم والسبب جعلت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وبتعظيم من
امن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى ليوم الفصل قال ابن عباس يوم
يفصل الرحمن فيه بين الخلايق ثم انتج ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى وما
ادراك ما يوم الفصل يعني وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته ويل
يومئذ للمكذبين اي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب فقوله
تعالى الم نهلك الاولين يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا
رسلهم ثم نتبعهم الاخرين يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب وهم
كفار قريش يعني كما نهلك المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك نفعل بالمجرمين
اي انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من
ماء مهين يعني النطفة جعلناه في قرار مكين يعني الرحم الى قدر معلوم
يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا فنعم القادرون
من التقدير اي قدرنا ذلك فنعم المقدرون اي المقدرون له وقرئ
بالتخفيف من القدرة اي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون

حيث خلقناه في احسن صورة وهيئة ويل يومئذ للمكذبين اي المنكرين للبعث
لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا بيني وعاوصلة
الضم والجمع احياء وامواتا بيني تكفتهم على ظهرها بيني تضمهم في دورهم ومنازلهم
وتكفتهم امواتا في بطنها في قبورهم ولهذا سمي الارض، لانها تضم الناس كالام
تضم ولدها وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات بيني جبالا عاليات
واسقيناكم ماء فراتا بيني عذبا ويل يومئذ للمكذبين بيني ان هذا كله اعجب
من البعث والقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم
به تكذبون يعني يقال يوم القيامة للمكذبين في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به
تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق وكذلك شان
الدخان العظيم فيقال لم كرر انوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اوليا
الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فينشعب ثلاث شعب
على رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم لا ظليل اي ذلك الظل لا يظلهم
حر ولا يقيهم من اللهب اي لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا
بذلك الظل لا يدفع عنهم اللهب انها بيني جهنم ترمي بشرر جمع شررة
وهي ما تطاير من النار كالقصر اي كالبناء العظيم ونحوه وقيل هي اصول
الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وقيل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر
كالقصر قيل هي الحطب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة
اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر كانه بيني الشرر
جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي جبال السفن جمع بعضها الى بعض حتى
تكون كاوساط الرجال صفر جمع صفراء بيني ان لون تلك الشرر اصفر
وانشد لبعضهم

ودعتهم بأعلى صوتها وبرنتهم ... بمثل الجمال الصفر رتعة للشوي

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث ان شرر جهنم اسود
كالقير والعرب تسمي سواد الابل صفرا لانه يشوب سوادها شيء من الصفرة

وقيل

وقيل هي النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شيء مجموع غليظ اصفر
ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون بيني يجة تنسهم وقيل هذا
في بعض مواطن القيمة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختمون
وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على
يؤذن واختير ذلك لان رؤس الايات بالنون فلو قال فيعتذرون لم يوافق الايات
والعرب تستحب وفاق القوافي كما تستحب وفاق التواصل كما تستحب وفاق
القوافي والقرائن تزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع وليس لا يكون
اذن واعتذار قال المجيد اي عذر لمن اعرض عن منهم وكنوا باذنه وثمه فان
قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن منعوا من ذكره قلت
ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الانذار والاعذار في الدنيا فلم يبق
لهم عذر في الاخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم
في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين بيني انه لما بين انه لا عذر لهم
ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم
قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين بيني هذا يوم الفصل بيني بين اهل الجنة والنار
وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات جمعناكم والاولين بيني مكذبي
هذه الامة والذين كذبوا الانبياء بهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون
اي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل يومئذ
منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا اعقبه بقوله ويل يومئذ
للمكذبين قوله تعالى ان المتقين اي الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل
الاشجار وعيون اي انهار في ظلهم عيون ماء وفواكه مما يشتهون اي يتلذذون بها
كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من
جهة الله تعالى او بواسطة وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملائكة على
سبيل الاكرام هنيئا اي خالصا للذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اي في الدنيا
من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين قيل المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم
من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لنالوا بمثل ذلك الخير العظيم

اهل

فلما لم يفعلوا ذلك وتموا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا
اي يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا في الدنيا قليلا اي الى منتهى اجالكم ومداوات كاد
في ظاهر اللفظ امر الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اي مشركون بالله
مستحقون للعذاب لاجرامكم بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم
اركعوا لا يركعون اي واذا قيل لهم صلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه لا يصلون
وعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم
هذا يوم القيامة حتى يدعوك الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين
فبأي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون اي اذا لم يؤمنوا به فبأي شيء
يؤمنون والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم وهي مكية

وهي اربعون اية وماية وثلاث وسبعون كلمة وتسعماية وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عم اصله عن ما يتساءلون اي عن
اي شيء يتساءلون بحذف المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك اي اي
شيء تريد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الى التوحيد
واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلى عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقول
بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد ثم ذكر عن ماذا تساءلوا فقال تعالى عن النبأ العظيم
اي عن الخبر العظيم الشأن فقال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل
هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبأ العظيم
بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر له او شعر او كهانة ونحو ذلك مما
قالوه في القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن صدق
به هم المؤمنون ومن مكذب به هم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرآن كلا هي ردع وزجر وقيل هي
نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا سيعلمون اي عاقبة تكذيبهم حين يتكشف
الامر بعيني في القيامة ثم كلا سيعلمون وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا لا
سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين

عاقبة

عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجايب صنايعه يستدل بها على توحيده
ويعلم ان قادر على ايجاد العالم وفنايه بعد ايجاده مرة بعد اخرى فيه للبعث والحساب
والثواب والعقاب فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اي فراشا وبساطا تستقر عليها
الاقدام والجبال اوتادا يعني للارض حتى لا تميل وخلقناكم ازواجا يعني اصنافا
ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم وليس المعنى ان السبات
للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة
واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الاعمال
وجعلنا الليل لباسا اي غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته ولهذا سمي الليل لباسا
على وجه المجاز ووجه الشبه في ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون
اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك وجعلنا النهار معاشا اي سببا للمعاش
والتصرف في المصالح وقال ابن عباس يبتغون فيه من فضل الله وما تسعى
كل من رزقه وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعني سبع سموات محكمة ليس
بنطرق عليها شقوق ولا فطور على مر الازمان الجيال ابي اثبتنا في ارضه لئلا
وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد
وقيل جعل في الشمس حرارة وقوة والوهج جمع الحر والحرارة وانزلنا من
المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل
هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء اي وانزلنا
بالمعصرات وذلك ان الريح تشتد بالمطر وقيل هي السحاب وهي الرواية
الاخرى عن ابن عباس قبل ان تمطر السحابة التي تحلب بالمطر والاعطار
وقيل المعصرات المغيثات والمعصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات
وذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ماء ثجاجا اي صبابا مدرارا
متتابعا بتتابع بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
بالتلبية وصب دماء الهدي لنخرج به اي بذلك الماء حبا يعني ما يأكله الناس
كالحنطة ونحوها ونباتا اي مما ينبت في الارض من الحشيش ما يأكل الانعام
وجنات الفافا اي ملتفة بالشجر ليس بينها خلاء قد دخل بعضها في بعض واحدها

الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى ان يوم الفصل اي الحساب كان ميقاتا اي كما وعده
الله تعالى من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجمع فيه الخلايق ليقضي بينهم يوم
ينفخ في الصور يعني النفخة الاخيرة فتاتون افواجا يعني زمرا زمرا من كل
مكان للحساب وفتحت السماء فكانت ابوابا يعني فكانت ذوات ابواب لتنزل
الملايكة وقيل تتفتح وتتناثر حتى يصير لها ابواب وطرق وسيرت الجبال
اي عن وجه الارض فكانت سرابا اي صار منثورا كالسراب في عين الناظر ان
جهنم كانت مرصادا اي طريقا وممرا لا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار
وروي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسال العبد عن
اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسال
عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسال عن الزكاة فان جاء بها
تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسال
عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسال عن العمرة فان جاء بها تامة
جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان
له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اي معدة
لهم وقيل هو من رصدت الشيء ارصده اذا رقبته والمرصاد المكان الذي
يرصد فيه الراصد العدو والمعنى انه جهنم ترصد الكفار اي تنتظرهم ليطغين
اي الكافرين مابا اي مرجعا يرجعون اليها لابثين فيها اي في جهنم احقابا جمع
حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم
الف سنة فان قلت الحقب وان طالت فهي متناهية وعذاب
الكافر فيهم غير متناهي فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه
وجوها احدها ما روي عن الحسن قال ان الله تبارك وتعالى لم يجعل لاهل
النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل
حقب اخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود، وعن عبد الله بن
مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد رمل عالج عدد رمل الدنيا لفرحوا
ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد رمل عالج عدد رمل الدنيا لحزنوا الوجه الثاني

ان

ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناهي والمعنى انهم يلبثون فيها
احقابا لا يذوقون فيها اي في تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا
توقيت لا نوع العذاب الذي يبدل لونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث ان الاية
منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العذاب قدر نوع والخلود قد
حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اي روحا
وراحة وقيل لا يذوقون برد ابنائهم ولا شرابا اي يبتاع من عطش الا حميما
وغساقا اي لكن يشربون حميما هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي
انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرق بحره كما يحرق بحره وقيل هو
صديد اهل النار جزاء وفاقا اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق
العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار انهم كانوا
لا يرجون حسابا اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يومنون
بالبعث ولا يرجون ان يحاسبوا وكذبوا بايتنا اي التي جاءت بها الانبياء وقيل
كذبوا بدلايل التوحيد والنبوة والبعث والحساب كذابا اي تكذيبا قال الفراء
لم يات بنائه فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال وقد سالني اعرابي
منهم يستفتيني الحلق احب اليك ام القصاد يريد التقصير وكل شيء اي من
الاعمال احصيناه اي بيناه واثبتناه كتابا اي في كتاب وهو اللوح المحفوظ
وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى
انا علمنا جميع ما فعلوه من خير او شر وانا اجزيهم على قدر افعالهم جزاء
وفاقا فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا انا لن نزيدكم الا عذابا قيل هذه الاية
استدلت بها الخوارج على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اعيدوا
باشد منه قوله تعالى ان للمتقين مفازا اي فوزا ونجاة من العذاب وقيل
فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامد بين جميعا لانهم
فازوا بما يمنى نجوا من العذاب وفازوا بما يحمل لهم من النعيم ثم فسره فقال
حدايق جمع حديقة وهو البستان المحوط عليه نخل واعنابا بدل على تعظيم
ذلك العنب وكواعب جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن اترابا

بيض متساويات في السن وكاسا دهاقا قال ابن عباس صافية منزعة وقيل متتابعة
وقيل صافية لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في حالة تشوبهم ان اهل النار
يتكلمون بالباطل في حالة تشربهم لغوا بمعنى باطلا من الكلام ولا كذابا اي تكذيبا
والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا يبطلون به جزاء من ربك عطاء حسابا اي
جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اي كافيا وافيا وقيل حسابا بمعنى كثيرا وقيل
جزاء بقدر اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا
اي لا يقدر الخلق ان يكلموا الرب تبارك وتعالى الا باذنه وقيل لا يملكون شفاعة
الا باذنه يوم اي في ذلك اليوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام
وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله عز وجل مخلوقا اعظم منه
فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة صفا واحدا فيكون من
عظيم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك اعظم من السموات والارض والجبال
وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة
ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني ادم وليسوا
بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء احد وهؤلاء احد وقال ابن عباس الروح
خلق على صورة بني ادم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعند نام
بنو ادم يقومون صفا والملائكة صفا قيل يقومون سماطان سماط من
الروح وسماط من الملائكة لا يتكلمون بعني الخلق كلهم اجلالا لهيبة الله عز وجل
ومن هول ذلك اليوم الا من اذن له الرحمن اي في الكلام وقال صوابا اي حقا
في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الا استثنا يرجع الى الروح والملئكة
ومعنى الآية لا يتكلمون الا بي شخص اذن الرحمن في الشفاعة له وذلك اي الشخص
من كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ذلك اليوم الحق اي الكائن الواقع
لا محالة وهو يوم القيامة فمن شا اتخذ الى ربه مابا يرجع اليه وهو طاعة الله تعالى
وما يتقرب به اليه انا انذرناكم اي خوفناكم في الدنيا عذابا قريبا اي في الآخرة وكل
ما هو آت قريب يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي خيرا وشرا مثبتا في صحيفته
ينظر اليه يوم القيامة ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمرو اذا

كان

كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحش ثم جعل
القصاص بين البهايم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من
القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله
عز وجل للبهايم بعد القصاص انا خلقتكم وسخرتكم لبني ادم ولكنتم مطيعين لهم ايام
حياتكم فارجعوا الي ما كنتم كونوا ترابا فاذا راى ابي الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا
في الدنيا في صور بعض هذه البهايم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله تعالى بين
الناس وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم موتوا
الناس والمؤمنين الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا راى ما انعم الله به على المؤمنين من الفوز والرحمة قال
يا ليتني كنت ترابا بيني متواضعا في طاعة الله تعالى في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا
وقيل ان الكافر هنا هو ابليس وذلك انه عاب ادم كونه خلق من تراب وافتخر عليه
بانه خلق من نار فاعانه يوم القيامة وما فيه ادم وبنوه المؤمنين من التراب
والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة
يقول التراب لا وكرامة لك من جعلك مثلي والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النازعات مكية

وهي ست وقيل خمس واربعون اية ومائة وسبع وستون كلمة وتسعمائة وثلاث وخمسون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا اختلف عبارة المفسرين في هذه
الكلمات هل هي صفات لشيء واحد او لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد
بقوله تعالى فالمدبرات امرا وصف لشيء واحد وهم الملائكة الوجه الاول في قوله
والنازعات غرقا يعني الملائكة تنزع ارواح الكفار مما قاصي اجسادهم كما يعرف
النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والنزع من الاعراق اي والنازعات اغراقا
وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر فلما ينزع الكثير
الشعب من الصوف المبتل تخرج نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا هم
الملائكة تنشط روح المؤمن اي تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير

واما حض النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المومن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملايكة يقبضون ارواح المومنين بسلها سلا رفيقا حتى يجدوها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملايكة يتولون من السماء سراعا كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه ينال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملايكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملايكة فتسبق بارواح المومنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المومنين تنشط للخروج عند الموت لما فوي من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده من الجنة قبل ان يموت وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه هي ارواح الكفار تنشط من بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المومنين حتى تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني اسبقتها الى الجنة الوجه السادس في قوله والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من افق الى افق ثم تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من افق الى افق ايضا تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم تسبق بعضها الى بعض في السير الوجه الرابع في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع من اعنتها وتغوص في غرتها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات سبحا في جريها وهي السابقات سبقا لانها تسبق الى الغاية الوجه الخامس في قوله تعالى والنازعات يعني الغزاة حين تنزع في قسيها في الرمي والسابحات سبحا والسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين يخرجونها اصحابها الى المرعى الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيا واحد فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا يعني يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني سابقة نفوس المومنين الى الخير والطاعات واما قوله فالمدبرات

فاجمعوا على انهم الملايكة قاله ابن عباس هم الملايكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن باسط بدبر الامور في الدنيا اربعة جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرايل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكايل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذه اقسام اقسم الله تعالى بهذه الاشيا لشرفها والله عز وجل ان يقسم بما شا من خلقه او بكون التقدير ورب هذه الاشيا وجواب القسم محذوف على لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه انفي ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى تتزلزل وتتحرك لها كل شي وتموت منها جميع الخلق تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة مما صيحتان فالاولى تميت كل شي والاخرى تحيي كل شي باذن الله تعالى وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة تشقق السما وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة رهيب البوني بسنده الثعلبي عن ابي ابن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قوله عز وجل قلوب يومئذ واجفة اي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زايلة من اماكنها ابصار خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى يقولون يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت اينا لمردودون في الحافرة يعني نرد الى اول الحال وابتدا الامر فنصير احيا بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان الى حافرته اي رجع من حيث جا والحافرة عند هم اسم لابتدا الشي واول الشي وقيل يقال رجع فلان في حافرته اي طريقه الذي جا فيها يحفرها بمشيه فصلى بالتوحيد مرة حفرتي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي يحفر فيها فتوضع سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى ايبا المردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار ايبا كنا عظاما نخرة اي بالية وقرى ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة

التي يجيء بها الريح فتحركها اي تصوت قالوا يعني المنكرين للبعث اذا متنا وصرنا عظاما بالية
تلك اذا كرة خاسرة اي راجعة عائبة يعني ان رددنا بعد الموت لخسرنا بما يصيبنا
بعد الموت فانما هي يعني النفخة الاخيرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة يسمعونها فاذا هم
بالساهرة يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم
وقيل هي التي تكثر الوطي عليها كانها سهرت فالمعنى انهم كانوا في بطن الارض فاذا سمعوا
الصيحة صاروا على وجهها وهي ارض الشام وقيل ارض القيامة وقيل هي ارض
جهنم قوله تعالى هل اتاك حديث موسى يعني قد اتاك يا محمد حديث موسى
وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذب فذكر له قصة موسى عليه
السلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به ان ناداه ربه بالواد المقدس
اي المطهر طوى موضع واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه طغى
اي علا وتكبر وكفر بالله فقل هل لك الى ان تزكى اي تطهر من الشرك والكفر
وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله واهديك
الى ربك اي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى يعني عقابه وانما خص
فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى تشمله لجمع قومه لان فرعون كان اعظم
فكانت دعوته دعوة لجميع قومه فاراه يعني فاري موسى لفرعون الاية الكبرى
يعني اليد البيضاء والعصا فكذب يعني فرعون بانها من الله وعصى اي تمرد
واظهر الغدر فادبر اي اعرض عن الايمان يسعى يعني فرعون لقومه يعمل الفساد
في الارض فحشر اي فجمع قومه وجنوده فنادى اي لما اجتمعوا قال يعني فرعون
لقومه انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها
وربهم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه
في الدنيا وبعد خلوده النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي فرعون وهي
قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ان
في ذلك اي الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة اي عظة لمن يخشى
اي يخاف الله تعالى ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى انتم اشد خلقا ام
السماء بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السماء احتدكم في تقديركم

فان

فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لان خلقة الانسان على صغره
وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء عظمها وعظم ما حواه كان بسيرا فبين الله
تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت امرا هينا على الله
تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك
ثم انه تعالى وصف كيفية خلق السماء فقال تعالى رفع سمكها يعني علو سقفها
وقيل رفعها بغير عمد فسواها اي اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور واغطش
ليلها اي اظلم ليلها والغطش الظلمة واخرج اي واظهر وابرز ضحاها اي نهارها وانما
عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار في النور والضوء وانما اضاف الليل
والنهار الى السماء لانهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم
وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى بعد ذلك دحاها اي بسطها ومدها قال
امية بن ابي الصلت

دحوت البلاد فسويتها ... واتقنت طيها قادرا

فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد السماء بدليل
قوله بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين
الايتين وما معناهما فالجواب خلق الله تعالى الارض اولا بجميع ثم سمك
السماء ثانيا ثم دحى الارض يعني مدها وبسطها ثالثا فحصل بعد التفسير الجمع
بين الايتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض بأقواتها من غير
ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض
بعد ذلك وقيل معناه والارض بعد ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع
ذلك اخرج منها ماءها اي فجر من الارض عيونا ومرعاها اي رعيها وهو ما يأكل الناس
والانعام واستنبت المرعى للانسان على سبيل الجواز والجبال ارساها اي اثبتها
متاعا لكم ولانعامكم اي الذي اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم فاذا جاءت
الطامة الكبرى يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت
بذلك لانها تطم كل شيء فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع
يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل في الدنيا من خير او شر وبرزت الجحيم لمن يرى

يعني الله يكشف عنها الغطاء وينظر اليها الخلائق فاما من طغى اي كفر واثر الحياة الدنيا
اي على الاخرة فان الجحيم هي المأوى اي لمن هذه صفته واما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى اي عن المحارم التي تشتهيها وقيل هو الرجل يهم
بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله تعالى للحساب فيتركها لذلك فان الجنة هي
المأوى اي لمن هذه صفته قوله عز وجل يسألونك اي يا محمد عن الساعة ايان
مرساها اي عن ظهورها وقيامها فيم انت من ذكراها اي لست في شيء من علمها
وذكراها حتى تعلم لها فتذكروقتها الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لا يعلم متى
تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انت انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال
انت يا محمد منذكراها اي من علاماتها لانك اخر الرسل وخاتم الانبياء فكأنه ذكر لك
دليلا على دنوها ووجوبها واستعداد لها انما انت منذر من يخاها اي انما ينفع
انذارك هؤلاء الكفار يوم يرون اهوالها اي يعاينون يوم القيامة لم
يلبثوا اي في الدنيا وقيل في قبورهم الا عشية او ضحاها فان قلت
العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت قبل ان الواو الا
صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة
الشيء الى نظيره كما قال الا عشية او ضحى يومها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة عبس مكية

وهي احدى واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عبس اي كلح وقطب وجهه
وتولى اي اعرض بوجهه ان جاءه الاعمى يعني ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد
الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زايدة بن الاصم
ابن رهرة بن رواحة القرشي الضري من بني عامر بن لوي واسم امه عاتكة
بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خال خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك
انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن
هشام والعباس ابن عبد المطلب وابي بن خلف واخاه امية بن خلف وهو
يدعوهم الى الله تعالى يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرئني

وعلمني

وعلمني مما علمك الله وجعل ينادي ويكرر النداء وهو لا يدري انه يثقل على غيره
حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقالة كلامه وقال في
نفسه يقول هؤلاء الصناديد من اتباعه العبيد والسفلة فعبس وجهه
واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله تعالى هذه الآيات معاتبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه
اذا راه ويقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه
على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزوة وكان من المهاجرين الاولين وقتل شهيدا
بالقادسية قال انس رايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء
عايشة رضي الله عنها قالت انزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى
الله عليه وسلم من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه
ويقبل على الآخرين ويقول اترى بما اقول بأسا فيقول لا ففي هذا نزل اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وما يدريك اي اي شيء يجعلك داريا لعله
يزكى اي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك او يذكر اي يتعظ
فتنفعه الذكرى اي الموعظة اما من استغنى قال ابن عباس عن الله وعن
الايمان بماله من المال فانت له تصدى اي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي اليه
كلامه وما عليك الا يزكى اي ان لا يؤمن ولا يهتدي انما عليك البلاغ واما
من جاءك يسعى يعني يمشي يعني ابن ام مكتوم وهو يخشى يعني الله عز وجل
فانت عنه تلهى اي تتشاغل وتعرض عنه كلا اي لا تفعل بعد هذا مثلها انها
يعني الموعظة وقيل ايات القرآن تذكرة اي موعظة للخلق فمن شاء اي
من عباد الله ذكره اي اتعظ به يعني القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله
عنده فقال تعالى في صحف مكرمة يعني القرآن في اللوح المحفوظ مرفوعة
اي رفيعة القدر عند الله تعالى وقيل مرفوعة في السماء السابعة مطهرة يعني
الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة بايدي سفرة قال ابن عباس يعني
كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبين واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر

وقيل عم الرسل من الملايكة الى الانبيا واحدهم نسيء ثم اتى عليهم بقوله كرام يعني
على الله بررة اي مطيعة له جمع بار فقوله تعالى قتل الانسان اي لعن الكافر وطرد
ما اكفره اي ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وايا ربه عنده وهذا على سبيل
التعجب اي انعجبوا من كفره وقيل معناه اي شيء حمله على الكفر ترك هذه الاية في
عتبة بن ابي لهب وقيل في امية بن خلف وقتل كافر ايوم بدر وقيل الاية عامة في
كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغي ان يعلم ان الله تعالى خالقه من اي شيء
خلقه لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى من نطفة خلقه
فقدره يعني خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخر خلقه وقيل قدره يعني
خلق راسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراد ثم السبيل يسره اي سهل
له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل
يسر على كل احد ما خلق له وقدر عليه ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا يواريه
وقيل جعله مقبورا ولم يجعله مما يلقى للسباع والوحوش والطيور وانشره
معناه صيره الله تعالى بحيث ينشر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه نكرمة لبني
ادم على سايرالحيوان ثم اذا شاء انشره احياه بعد موته للبعث والحساب وانما
قال الله تعالى اذا شاء انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد نحو الى مشيئة
الله تعالى حتى شاء ان يحيي الخلق احياهم كلا ردع وزجر للانسان عن تكبره
وتوغله وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب لما يقض
ما امره اي لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد ما فرضه عليه ولما ذكر خلق ابن
ادم ذكر قوته ليعتبر به فانه موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الانسان
الى طعامه اي كيف قدره ربه ويسره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل
طعامه ومخرجه فقال تعالى انا صببنا الماء صبا يعني المطر ثم شققنا الارض
شقا اي بالنبات فانبتنا فيها اي في الارض بذلك الماء حبا يعني الحبوب
الذي يتخذ بي منها الاقتات وعنبا يعني انه غذا من وجه وفاكهة من وجه
فلهذا ابتدء الحب وثنى بالعنب وهو الرطبة سمي بذلك لانه يقتضب اي يقطع
في كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذي يعلق به الدواب وزيتونا وهو

مايصر

ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدائق جمع حديقة وهي البستان عليها حائط الاشجار وقيل الذي
التي للملتف بعضها على بعض وقال ابن عباس طولا وفاكهة يعني جميع الوان الفاكهة
وابا يعني الكلا والمرعى والذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل
الفاكهة مما يأكله الناس والانعام وروى ابراهيم التيمي ان ابا بكر الصديق سئل عن
قوله فاكهة وابا فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم
ع عن انس ان عمر قرا وفاكهة وابا فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا اللفظ
البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا
لكم يعني التراكه والحب والعشب منفعة لكم ولانعامكم ثم ذكر احوال القيامة فقال
تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصم اسماع
الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه اي انه لا يلتفت الى واحد من هولا لشغله بنفسه والمراد من الفرار
التباعد والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول لم تواسني
بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم تزوجني حتى والبنون
يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول ما يفر هابيل من اخيه قابيل وابراهيم
عليه السلام من ابيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المرء من موالاة قوم
ونصرتهم والمعنى ان موالاة الذين كان المرء يقوى بهم في الدنيا ويتقوى بهم
ويتعصب فانه يفر منهم في الدار الاخرة وفايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر
المؤمن من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد
لان الفلب بهما اشد من تعلقه بالاولين لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
اي يشغله شان نفسه عن شان غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر او يرى عورة بعضنا
عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال الكافر
والمؤمن فقسم منهم السعدا والاشقيا فوصف السعدا بقوله تعالى وجوه يومئذ
مسفرة اي مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضا وقيل مسفرة من قيام الليل

وقيل من اثر الوضوء وقيل من العبادة في سبيل الله صاحلة اي عند العرائج من الحساب
مستبشرة اي بالسرور فرحة بما نال من كرامة الله تعالى ورضوانه ثم وصف
الاشقيا بقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة اي سواد وكآبة الهم الذي نزل بهم
ترهقها قترة اي يعلوها ويغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس يغشاها ذلة والفرق
بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار
فلحق بالسماء اولئك اي الذين صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الي يوم القيامة كانها راي
عين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت واذا السما انشقت اخرجه الترمذي
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن
عباس اظلمت وقيل غورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل
التكوير جمع بعض الشيء الي بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها ثم تلف فاذا فعل بها
ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة
في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر
جمادان فما ذنبهما في النار يكونان سببا لازدياد الحر في جهنم واذا النجوم انكدرت
اي تناثرت من السما وسقطت علي الارض قال الخليل وعطا تمطر السما يومئذ
نجوما فلا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض فصارت هبا
منبثا واذا العشار عطلت يعني النوق الحوامل التي اتي عليها عشرة اشهر من
حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنتين وهي انفس مال
عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راعي اهلها وقد كانوا
لا زمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاء من اموال القيامة واذا الوحوش
حشرت يعني دواب البر حشرت اي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض

وقال

في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها جبة البسها جبة من صوف او شعر وتركها ترعى
الابل والغنم في البادية واذا اراد قتلها تركها حتى تتشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها
وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء تبلغ بها البئر فيقول لها انظري
فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويميل التراب عليها حتى يستوي بالارض عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار اخرجه
ابو داود ووردة كانت صعصعة بن ناجية ممن منع الوائدات ولم يئد فافتخر به الفرزدق
في شعره فقال ومنا الذي منع الوائدات واحيى الوئيد فلم يئد باي ذنب قتلت
سمي نسأله الموؤدة فيقال لها باي ذنب قتلت وسمي سؤالها توبيخ قاتليها لانها
تقول قتلت بغير ذنب واذا الصحف نشرت نشرت صحائف الاعمال تنشر للحساب واذا
السماء كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت
وازيلت عما فيها واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعداء الله واذا الجنة ازلفت
اي قربت اولياء الله تعالى علمت نفس ما احضرت يعني عند ذلك تعلم كل نفس
ما احضرت من خير او شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله
تعالى فلا اقسم لا زايدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك في قوله لا اقسم بيوم القيامة
بالخنس الجواري الكنس يعني النجوم تبدو بالليل وتظهر وتخنس بالنهار تخت
نور الشمس ونحو هذا المعنى روي عن علي ابن ابي طالب وقيل هي النجوم
الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وتخنس في مجاريها اي
ترجع وراءها في الفلك وتكنس اي تستر وقت احتفائها وقيل انها تخنس اي
تتاخر عن مطالعها في كل عام تتاخر بتاخر هعن تعجيل الطلوع تخنس عنه
والكنس معناه انها ترى بالنهار وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس
واصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس مواراة ما توي الى كناسها وهو المرتع
الذي يأوي اليه الوحوش والليل اذا عسعس اي اقبل بظلامه وقيل ادبر
والمسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرفي الليل والصبح اذا تنفس اي
اقبل وتلا لاوله اول وقيل اسفر وفي نفسه قولان احدهما ان في اقبال
الصبح روح ونسيم فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب

المحرون

المحزون فاذا جعل له نفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس
فهما مستعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى انه
يعني القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى ان جبريل
نزل به عن الله عز وجل لانه تكلم به ابتداء ذي قوة وكان من قوته انه اقتلع قرى
قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه ثم رفعها الى السماء ثم قلبها وانه
اصوابا بيس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عتاب الارض المقدسة فنفخه
نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
وانه يبسط من السماء بصعد في اسرع من الطرف عند ذي العرش مكين اي
في المنزلة والجاه مطاع ثم اي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة
له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله ايضا يعني بعلي رضي الله تعالى الى ابنيائه
وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون كما
يقولون اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون لعسر على ان القرآن نزل به جبريل
وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقوله اهل مكة وذلك انهم قالوا انه
مجنون وان ما يقوله ليس سوالا من عند نفسه نفى الله عنه الجنون وقد
رآه يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق
فيها بالافق المبين يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حين تطلع الشمس
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك على صورتك التي
تكون فيها في السما قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تضاف الخيل
لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فمي قال لا يسعني قال فجر فات قال
ذلك بالحري ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا
هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بحشمته وكلكله قد ملا ما بين المشرق
والمغرب ورأسه في السما ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى
كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير كالصوليجان

المصفور حتى ما يحمل عرش ربك الاعظم منه وما هو بعني محمد صلى الله عليه وسلم على
الغيب اي الوحي وخبر السما وما اطلع عليه ما كان غايبا عنه من القصص
والانبيا بظنين قرى بالظا ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرى بضنين بالصاد
ومعناه بخيل يقول الله يا نبيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به لا
يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن
وقراة الظا اولى لانهم لم يتهموه وانما اتهموه فنفى الله عز وجل عنه تلك التهمة
اراد البخل لتال وما هو بالغيب وما هو بعني القران بقول شيطان رجيم يعني
القران ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه
على لسانه فنفى الله تعالى ذلك فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القران
وعن الثنا والمدح والبيان وقيل معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه
الطريقة البينة ثم بين ان ما في القران الا ذكر للعالمين اي موعظة
للخلق اجمعين لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه ويتفع به
ثم بين ان مشية العبد موقوفة بمشية الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشا الله رب
العالمين اعلم الله تعالى ان المشية في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون
على ذلك الا بمشية الله تعالى وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا
بتوفيق الله تعالى ولا شوا الا بخذلانه ومشيئته والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية وسبعون كلمة وثلاثمايه وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السما انفطرت
اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت اي فجر بعضها
في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل سيبت فجرت فاصبت
واذا القبور بعثرت اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها الموتى احيا علمت
نفس ما قدمت واخرت يعني علمت في ذلك الوقت ما قدمت من عمل صالح او
سيي واخرت بعدها من سنة حسنة او سيية وقيل ما قدمت من عمل صالح
الصدقات واخرت من الزكاة وهذه احوال يوم القيامة قوله تعالى يا ايها الا

الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك الباطل حتى ضيعت ما
ضيعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ما ذا امنك من عقابه قيل نزلت في
الوليد بن المغيرة وقيل في ابي الاسد واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف
وكان كافرا صعب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه وانزل الله تعالى هذه الاية
وقيل الاية عامة في كل كافر وكافرة وعاص يقول ما الذي غرك قيل غره حلمه
وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة
في اول مرة بربك الكريم اي المتجاوز عنك فهو يكرمه لا يعاجلك بعقوبته بل بسط
لك المدة لوجا التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلوا الله به يوم
القيامة فيقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم
ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله تعالى يوم القيمة
فقال لك ما غرك بربك الكريم ما كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة
وقال يحيى ابن معاذ لو اقامني بين يديه وقال لي ما غرك بربك الكريم لقلت
غرني بك بربك لي سالفا وانفا وقال ابو بكر الوراق ولو قال لي ما غرك بربك
الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون
سايراسمايه وصفاته كانه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم
الذي خلقك اي اوجدك من العدم الى الوجود فسواك اي جعلك سويا
سالم الاعضا تسمع وتبصر فعدلك اي عدل خلقك في مناسبة الاعضا فلم
يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قايما معتدلا احسن الصورة
ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اي صورة ما شا ركبك اي في اي شبه من اب
او ام او خال او عم وجا في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل
عرق كان بينه وبين ادم ثم قرا في اي صورة ما شا ركبك وقيل معناه ان شا
ركبك في صورة انسان وان شا في صورة دابة او حيوان وقيل في اي صورة
ما شا ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة
والانوثة وفي هذا دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت
الهيات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو

الله تعالى قوله عز وجل كلا بل لا تكذبون بالدين اي بيوم الحساب والجزاء وان عليكم لحافظين بعني وقيامن الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما اي على الله تعالى كاتبين اي يكتبون اقوالكم وافعالكم يعلمون ما تفعلون بعني من خير او شر قوله تعالى ان الابرار بعني الذين برو او صدقوا ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه لفي نعيم يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني لعبت شعوبي ما لنا عند الله فقال لما عرضت عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم حالك عند الله فقال اين اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين يصلونها يوم الدين بعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما هم عنها بغائبين اي عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال وما ادراك ما يوم الدين قبل المخاطب بذلك هم الكافرون وهو على وجه الزجر لهم وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اي شيء علمك به لولم يعرفك احواله ثم ما ادراك ما يوم الدين التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تملك نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله بعني انه لم يملك احد في ذلك اليوم شيئا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المطففين مدنية

في قوله ومكية في قول وقيل فيها ثمان ايات مكية وهي من قوله ان الذين اجرموا الى اخرها وقيل فيها اية مكية وهي قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقيل انما نزلت بين مكة والمدينة في الجحفة وهي بست وثلاثون اية وما يتوسط وستون كلمة وسبعماية حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبح به وهي كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم للمطففين بعني الذين ينتقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا النزر اليسير اللطيف قال ابن عباس لما قدم رسول

الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون بعني انهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اي استوفوا واستيفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم بعني واذا كالوهم او وزنوهم يعني للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك يخسرون اي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زايدا او يدفع الى غيره ناقصا وبينا ولد الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد المعروف الى اصله قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكباير وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل خس الميزان سواد يوم القيامة الا يظن اي الا يعلم ويستيقن اولئك الذين يبلغون هذا النبل وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم بعني يوم القيامة يوم يقوم الناس بعني من قبورهم لرب العالمين اي لامره وجزايه وحسابه عن نافع ان ابن عمر تلا الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي او اثنين قال سالم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من

يلجه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى نيه قوله تعالى
كلا قيل انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من بخس المكيل والميزان
فليرتدعوا عنه تعالى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على
معنى حقا ان كتاب الفجار اي الذي كتب منه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر
هي الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع
ارضين وعليين في السماء السابعة تحت العرش وقال محمد بن عطية عن ابن
عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قوله الله تعالى ان كتاب الفجار
لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتابى السموات ان
تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع
ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو تحت خد ابليس
فيخرج من موضع حد ابليس فيختم لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت
حد ابليس ليعرفها الملاك لحساب يوم القيامة وقيل هي صخرة تحت
الارض السابعة السفلى حضرت الصخرة السماء منها تغلب وتحمل كتاب الفجار
تختمها قال وهب هي اخر سلطان ابليس وجاء في الحديث النار حب في
جهنم مغلق وسجين حب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسار
وضلال وقيل مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما
ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا مرءاك وقيل انما
قال ذلك تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس في هذا تفسير للسجين وانما
هو بيان ان المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار
مرقوم اي مكتوب اعمالهم مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى
حتى يجازوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم شهادة بانهم
بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم او مختوم وهي بلغة حمير وقيل

ويل يومئذ للمكذبين هذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة
ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليه

جزء

فيه بالشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم القيامة لانه يوم الجزاء وما
يكذب به اي بيوم القيامة الا كل معتد اي متجاوز عن منهج الحق اثيم
هو مبالغة في الاثم وهو المركب للاثام والمعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يؤمنون ثم
استانفه فقال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطيئة نكت
في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد
فيها حتى يعلو قلبه وهو الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واصل الران الغلبة
ومعنى الاية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم واحاطت بها
وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران على قلوبهم
طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله
على القلب وهو اشد من الرين ولا يقال اشد من الطبع وقيل الرين
التغطية والمعنى انه يغشى القلب شيء كالصدإ فيغطيه فعند ذلك
يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس
الامر كما يقولون ان لهم في الاخرة خيرا ثم استانف فقال تعالى انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان
الله تعالى لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير ينبه ضعفه اما حمله على
منع الكرامة والرحمة فموعد ولفظ الظاهر يفيد ليلي وكذا الوجه
الثاني فان من حجب عن الله تعالى فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيهم
والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤيته هذا هو الصحيح
واحتج بهذه الاية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا ولو لا ذلك لم يكن للتخصيص
بايده ووجه اخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد
للكفار ويكون وعيدا وتهديدا للكفار ولا يجوز حمله للمؤمنين
فوجب ان لا يحمل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لعلم الواهدون

والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزعمهم انهم رأوه في الدنيا وقيل لما حجبهم
في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية
فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعي في
تأويله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون
الله تعالى ويحتمل كما يجب نوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم
اختلف اهل الكلام مع كونهم محجوبين عن الله تعالى بماذا يرونه فقال
تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار ثم يقال اي تقول لهم الخزنة
هذا اي هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون بعيني في الدنيا قالا اي ليس
الامر كما تتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل قالا اي الابرار المؤمن بالعذاب
الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب الابرار لفي
عليين جمع علي من العلو وقيل موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من
لفظه وتقدم في حديث البراء المرفوع عليين في السماء السابعة تحت العرش
وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اسماء لهم
مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه
هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد
شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله تعالى وأعلا
وما ادراك ما عليون تنبيها له على عظم شأنه كتاب مرقوم ليس بتفسير
لعليين والمعنى ان كتاب الابرار الذي كتاب مرقوم في عليين قيل لهم فيه
بخير وهو ما اعد لهم من الكرامة وقيل مكتوب فيه اسماء هم وعليون محل
الملائكة وصنده سجين وهي محل ابليس وجنوده يشهده المقربون
يعني الملائكة الذين من في عليين يشهدون يعني يحضرون ذلك المكتوب
ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد الى عليين
المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن قوله تعالى ان الابرار يعني المطيعين
لله لفي نعيم يعني نعيم الجنة على الارائك جمع اريكة وهي الاسرة في الحجال
ينظرون الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى اعدائهم

كيف

كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم تعالى تعرف في وجوههم
نضرة النعيم يعني انك اذا رأيتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى في
وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور
في القلب يسقون من رحيق يعني الخمر الصافية الطيبة البيضاء مختوم
يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من ان يمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار
فان قلت قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار
من خمر والخمر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت
يحتمل ان تكون هذه المذكورة في الآية في اوان يختم عليها وهي غير
تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ختامه مسك
اي طينته التي ختم عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال
ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل
يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى ليحصل لهم هذا الشراب
المختوم بالمسك وقيل اصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه وتتوسى
الناس ويريده كل احد لنفسه ويتنافس به على غيره او يمين ويبخل
ومزاجه من تسنيم اي من شراب يصب عليه من علو في عين فيمزج ويمتزج
وقيل يجري في الهواء منسلما فيصب في اواني اهل الجنة على قدر
عليها فاذا امتلأت امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام
البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب
الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس مزجا لمن المقربين بشربونها صرفا
ويمزج لاصحاب اليمين وسئل ابن عباس عن قوله عز وجل من تسنيم فقال
هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عينا يشرب
بها اي منها وقيل يشربها المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين
اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة
والعاص بن وايل واصحابهم من مترفي اهل مكة كانوا من الذين امنوا اي

لهم

سايرهم

سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون اية ومائة وسبع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السما انشقت يعني عند قيام الساعة وهي من علاماتها واذنت لربها اي سمعت امر ربها بالانشقاق وطاعته من الاذن ومعنى الاستماع وحقت اي حق لها ان تطيع ربها واذا الارض مدت يعني من الاديم الكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها تلا ولا جبل والقت ما فيها اي اخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز وخلت اي من ذلك الذي كان في بطنها واذنت لربها وحقت واختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب والعقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السما التي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحقيقة تكوت الواو زايدة يا ايها الانسان انك كادح اي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده في الامور من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يشربك الى الموت وقيل معناه انك كدوح في دنياك كدحا يصير به الى ربك كدحا فملاقيه اي فملاق جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك فاما من اوتي كتابه بيمينه يعني ديوان عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان يعرض عمله عليه فيعرف الطاعة والمعصية ثم يتاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه حتى طوله بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح وعن ابن ابي مليكة ان عايشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب

عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقرا المومنين يضحكون اي منهم ويستهزؤن بهم واذا مروا بهم يعني من المومنين بالفقرا بالكفار الاغنيا يتغامزون يعني يغمز الكفار بالعين الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون بالعين بالاعين استهزاء بهم واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار انقلبوا فاكهين اي معجبين بما هم فيه وقيل منقلبون بذكرهم كانهم يتفكهون بذكرهم واذا راوهم يعني راوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولا لضالون اي هم في ضلال بما تركوا محمدا وبروا الهم على دين قال الله تعالى وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني على المومنين حافظين اي لاعمالهم والمعنى انهم لم يكلفوا بحفظ اعمالهم قوله تعالى فاليوم يعني في الاخرة الذين امنوا من الكفار يضحكون وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المومنين لما هم فيه من الشدة والبلا فلما افضوا الى الاخرة انعكس ذلك الامر فصار المومنون في السرور وصار الكفار في العذاب والبلا فضحك المومنون على الكفار لما راوا من حالهم وقال ابو اصالح يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كعبي اذا اراد المومن ان ينظر الى عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى ويومئذ به ضحك منه وذلك قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارايك جمع اريكة وهو السرير يتخذ في الحجلة وهي اريكة بزين بها البيت واريكة الجنة من الدر والياقوت ينظرون يعني اليهم وهم في النار هل ثوب الكفار اي جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اي من الاستهزا والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثاب وانيب بمعنى قال اوس

ساجزيك او يجزيك عني مثوب ... وحسبك ان يثني عليك ويحمد

والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير

عذب ويقلب اي اعماله يعني في الجنة من الحور العين والاذميات مسرورا
اي بما اوتي من الخير والكرامة وامامن اوتي كتابه وراء ظهره يعني ان تعالى
يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى بها كتابه
فسوف يدعو ثبورا يعني عند اعطاء كتابه بشماله من وراء ظهره كما يعطى
بها كتابه يعلم انه من اهل النار فيدعو ويلا بالويل والهلاك فيقول ويلاه
يا ثبوراه ويصلى سعيرا اي فيقاسي لهب النار وحرها انه كان في
اهله يعني في الدنيا مسرورا يعني بانباع هواه وركوب شهواته انه
ظن ان لن يحور اي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور والرجوع بلى اي
ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب ان ربه كان به بصيرا
اي من يوم خلقته الى ان يبعث قوله تعالى فلا اقسم بالشفق فتحصل الكلام
في تفسير لا اقسم في سورة القيمة واما الشفق قال مجاهد هو النهار
كله وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور والاصل
النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار الذين فيهما ما في
العالم وساكنه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس والكلبي والمفسرون
هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب ابي حنيفة
وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابو حنيفة والليل
وما وسق اي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام
وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماواه وقيل ما عمل فيه ويحتمل ان
يكون ذلك بقهر العباد فيجوز ان يقسم به والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم
نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به
اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد
والمعنى لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سما بعد سما وقيل درجة بعد
درجة ورتبة بعد رتبة في الشدة من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا
بعد حال عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا
نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا ان يكون ذلك الظفر والغلبة على المشركين

حتى

539

حتى يختم لك بتجيل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتمادي بعضهم على الكفر وقرئ
لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها الناس
حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موخر العينة فتقلب بها الاحوال فتصير
في الاخرة على غير الحالة التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني
الشدائد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا
بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم كهلا ثم شيخا وقيل معناه لتركبن سنن
من كان قبلكم واحوالهم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع
حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال
فمن وقيل في معنى الاية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير
تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتشق مرة وتطوى اخرى عالم الغيب
يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار واذا قرئ عليهم القران
لا يسجدون اي لا يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها
وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه السجدة احد سجدات القران
عند الشافعي ومن وافقه م عن ابي رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة
فقرا اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف
ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد بها حتى القاه وعلم
عنه قال سجد بنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك
واذا السماء انشقت بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقران والبعث
والله اعلم بما يوعون يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب فبشرهم
بعذاب اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون يعني غير منقطوع ولا منغص في الاخرة والله اعلم

تفسير سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمس وستون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر واما حسن القسم بها لما فيها من
عجيب حكمة الله سبحانه وتعالى ومواسير الشمس والقمر والكواكب فيها على
قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها
واليوم الموعود يعني يوم القيامة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة ويوم عرفة
والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة
فيه ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا
يستعيذ من شيء الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احمد راويه
من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرون ان الشاهد يوم الجمعة
والمشهود عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد
هم الانبياء والمشهود عليهم هم الامم وقيل هو الملك والمشهود عليه هو ابن ادم
والشاهد هي الاعضاء والمشهود عليه هو ابن ادم وقيل الشاهد هذه الامة
ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد
الانبياء والمشهود لهم محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهد والله
بالنبوة وقوله ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام
اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل اصحاب الاخدود
وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد قوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود
ابو لعن والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى
عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان
قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما
اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب
فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر ضربه واذا رجع
من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى
ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي وان خشيت
اهلك فقل حبسني الساحر فبينا هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم

الراهب

الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من
امر الساحر فاقتل هذه حتى تمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس
فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ
من امري ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ
الاكمه والابرص ويداوي الناس سائر الادواء فسمع جليس الملك قد عمي
فاتاه بهدايا كثيرة ما هنالك اجمع ان كنت شفيتني قال اني لا اشفي احدا
انما يشفي الله عز وجل فان امنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فامن
بالله فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك
من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال الله ربي وربك
فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجي بالغلام فقال له الملك اي
بني قد بلغ من سحرك ما يبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي
احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيئ
له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق راسه
فشقه به حتى وقع شقاه ثم جي بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع
المنشار في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جي بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع
المنشار في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جي بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه
الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل
فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه فذاك والا فدهدوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل
فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك
فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك انك لست
بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد
وتصلبني على جذع ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم تضع السهم في كبد القوس
ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس
في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع
السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في
صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا
برب الغلام ثلاثا فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله
نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخددت فاضرم الملك

واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاحموه اوقال فاحموه منها وقيل له
اقتحم فعلوا حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام
يا اماه اصبري فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم في هذا الحديث
اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الدين وفي انقاذ
النفس من الهلاك والاكمه الذي خلق اعمى والمبتلى بالبلاء وتحقيق الحمزة وتركه
بالهوت وذمرودة الجبل بالنم والكسر اعلاه ورجل حرك واضطرب القوقر
بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة والنكعات انقلبت والصعيد صنا الارض
البارزة والسكك الطرق واقوامها والاخدود الشق العظيم في الارض ونحوه
احموه منها وتقاعست اي تاخرت وكرهت الدحول في النار قال ابن عباس
كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس ومن شرحبيل في العشرة
قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له
عبد الله بن تامر وكان ابوه بسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم
يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن
حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر الحديث صهيب وقال وهب بن منبه ان
رجلا كان قد بقي على دين عيسى فرفع الى نجران فاحبوه فسار اليه ذونواس
اليهودي بجنوده من حمير وجبرهم بين النار او اليهودية فابوا عليه فحفر الاخدود
واحرق اثنا عشر الفا ثم غلبت على اليمن فخرج ذونواس هاربا واقتحم البحر فغرق
وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتوبك في زمن
عمر بن الخطاب فوجد وا عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في
راسه اذا بسطت يده عنها انبعثت دما وان تركت ارتدت مكانها وفي
يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب اعبد واعلية الذي
وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن البرب لما انهزم اصحاب اسفية مار
قال عمر بن الخطاب ابو موسى يجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل
كتاب فقال علي بن ابي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكان الخمر قد احلت لهم
فتنا ولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه

السكر

السكر يندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه
ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات فاذا ذهب الناس
وتنا سوه خطبتهم لحرمته فقام خطيبا فقال ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات
فقال الناس بالجملة معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقربه وما جاءنا به موسى
ولا انزل علينا كتاب فسبط فيهم السوط فابوا ان يقروا فخد فيهم السبي فابوا
ان يقروا به فخدد لهم الاخدود واوقدت فيها النيران وعرضهم عليها فمن
ابى قذفه في النار ومن اجاب سيبه وروي عن علي قال كان اصحاب
الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك الاية فدعا قومه الناس فقاتلهم الكفار
فغلبتهم اصحابه واحدا واحدا ومن انغلت منهم فاوتقوه ثم احدا والهم الاخدود
فملوها نارا ثم من اتبع ذلك النبي رموه في النار ومن تابعهم تركوه فجاء
بامراة معها صبي وصنع فجزعت فقال الصبي يا اماه صبرا ولا تنافقي
وقيل كانت الاخدود ثلاثة فواحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى
بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فنمرود بطنا موسى الرومي واما التي بفارس
فبخت نصر وبرعموت امم اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو نواس
يوسف فاما التي بالشام وفارس فلم يزل ينزل فيها قرار وانزل في نجران اليمن
وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة وقد ذكر الله تعالى ذلك
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهم به ذلك على الصبر وتحمل
المكاره في الدين قوله تعالى النار ذات الوقود هو تعظيم لامرتلك النار قال
الربيع بن انس يعني الله المومنين الذين كانوا في النار بغيض ارواحهم فجعل
ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار
فاحرقتهم اراهم عليها قعود ابي جلوس عند الاخدود وهم يلي الملك
الذي حفر الاخدود واصحابه على ما يفعلون بالمومنين ابي من عرضهم
على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم شهود ابي حضور وقيل
يشهدون ان المومنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم وما تموا عنهم

قال ابن عباس ماكرهوا منهم الا ان يؤمنوا بالله وقيل ما عابوا ولا عيروا فيهم
عيبا الا ايمانهم بالله العزيز يعني الذي يستحق العبادة هو العزيز في ملكه الغالب القاهر
الذي لا يغالب ولا يدافع الحميد الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك
وهو الله تعالى الذي له ملك السموات والارض اي هو المستحق للعبادة والله على
كل شئ شهيد من افعالهم بالمؤمنين شهيد وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد
عظيم للكافرين قوله عز وجل ان الذين فتنوا اي عذبوا وحرقوا المؤمنين والمؤمنات
بالنار ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على ان المرتد اذا تاب
او اسلم تقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله يقبل منهم التوبة وان
توبة القاتل مقبولة وانهم لو لم يتوبوا لهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يعني
لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل ولهم
عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله تعالى اهرقهم بالنار التي احرقوا بها المؤمنين
ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد
للمؤمنين فقال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الانهار ذلك الفوز الكبير قوله تعالى ان بطش ربك لشديد قال ابن عباس ان
اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد انه هو يبدئ ويعيد اي يخلقهم اولا
في الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم بعد الفناء وهو
الغفور اي لذنوب التائبين الودود اي المحب لهم وقيل المحبوب
اي يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يتوب وقيل هو المتودد
الى اوليائه بالمغفرة ذو العرش اي خالقه ومالكه المجيد قرئ بالرفع على انه
صفة الرب سبحانه وتعالى لان المجد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق
الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اي السرير العظيم
اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه
بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما يريد يعني انه لا يعجزه
شئ ولا يمتنع من شئ طلبه وقيل فعال بمعنى مفعول اي لما يريد ان يفعله
لا يطلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل

اعداه

اعداه النار لا يصرم منه ناصر هل اتاك اي قد اتاك حديث الجنود
اي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى
فرعون يعني وقومه وثمود وكانت قصتهم مع اهل مكة مشهورة بل الذين
كفروا يعني من قومك يا محمد في تكذيب يعني لك وللقرآن كما كذب من
كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم والله من ورائهم محيط
اي عالم بهم لا يخفى عليه شئ من اعمالهم بعد ان بين لهم ما انزل
بمن كان قبلهم بل هو قرآن مجيد اي شريف كثير النفع والخير ليس
هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرئ بالرفع على انه
نعت للقرآن يعني ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف
وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح المحفوظ وهو ام الكتاب وفيه
نسخ الكتب وسمي محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص
وهو عن يمين العرش وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده
ورسوله فمن امن بالله عز وجل واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح
لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق
والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من
نور وكلامه معقود بالعرش واصله في حجر ملك والله اعلم

تفسير سورة الطارق مكية

وهي سبعة عشر اية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون
حرفا قال الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسماء والطا
قيل نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه
بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل فاخذ نجم فلمتا لا ثم نارا فضرهم ابو
طالب وقال اي شئ هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي
به وهو اية من ايات الله فتعجب ابو طالب فانزل الله تعالى والسماء
والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق و لا

يسمي ذلك بالنهار ويسمي النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند
نحن بنات طارق ... نمشي علي النمارق
تريد ان اباها نجم في علوه وشرفه وما ادراك ما الطارق قيل لم يكن النبي
صلي الله عليه وسلم يعرفه حتي بينه بقوله النجم الثاقب اي المضيء المنير
وقيل المتوقد وقيل هو الرفيع العالي وقيل الذي يرمي به الشياطين
لانه يثقبه فيحترقه وهذه اقسام اقسم الله بهذه الاشياء وقيل تقديره
ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالي ان كل نفس لما عليها حافظ
يعني ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها
ما تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ
هو الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتي يدفنها ويسلمها الي المقابر ثم يجازي
عملها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله تعالي فلينظر
الانسان نظر تفكر واعتبار مم خلق اي من اي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك
فقال تعالي خلق من ماء اي من مني دافق اي ماء مصبوب في الرحم وارادة
به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعلهما واحدا بامتزاجهما
يعني ذلك الماء هو الذي يخرج من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هو موضع
القلادة من الصدر وعنه انه بين ثديي المرأة قيل ان المني يخرج
من جميع اعضاء الانسان واكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر
الرجل وينزل في عروق كثيرة من معدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا
السبب خص الله تعالي هذين العضوين بالذكر انه علي رجعه لقادر
يعني ان الله تعالي قادر علي ان يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر علي
رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر علي رد الانسان ماكان
كان من قبل وقيل معناه ان شيبته رددته من الكبر الي الشباب
ومن الشباب الي الصبا الي النطفة وقيل انه قادر علي حبس ذلك
حتي لا يخرج لقادر وقيل معناه وان الذي قادر علي خلق الانسان ابتدا

قادر

قادر علي ان يعيده هو ما مرون عليه وهذا القول هو الاصح والاولي
بمعني الاية لقوله تعالي بعد هذه يوم تبلي السرائر وذلك هو يوم القيامة
وقيل معناه تظهر الخبايا وممن تبلي تختبر وقيل السرائر هي فرائض
الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر
بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك ان العبد قد يقول صليت ولم يصل
وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتي
يظهر من ادائها ممن ضيعها قال عبد الله بن عمر يعني الله تعالي كل سر
تكون ريبائي وجوه يعني من ادي الفرائض كما امر به كان وجهه مشرقا به
مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر فما
له اي لهذا الانسان المنكر للبعث من قوة اي يمتنع بها من عذاب الله
تعالي ولا ناصر اي ينصره من الله ثم ذكر قسما اخر فقال تعالي والسماء ذات
الرجع اي ذات المطر سمي به لانه يجيء ويرجع ويتكرر والارض ذات الصدع
اي تنصدع وتتشقق عن النبات والشجر الانهار وجواب القسم قوله
تعالي انه يعني القرآن لقول فصل يعني انه حق وجد يفصل بين الحق
والباطل وما هو بالهزل اي باللعب والباطل اهم يعني مشركي مكة يكيدون
كيدا يعني يجتالون في المكر بالنبي صلي الله عليه وسلم حين اجتمعوا
في دار الندوة وتشاوروا فيه واكيد كيدا يعني اجازيهم علي كيدهم
بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة
بالنار فمهل الكافرين اي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس
هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال
قليل فقال تعالي امهلهم رويدا يعني قليلا فاحذرهم الله يوم يدعون وتنقضي
الامهال باية السيف والله سبحانه وتعالي اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاعلي مكية

وهي تسع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة وماية وثمان واحدي وتسعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح اسم ربك

الاعلى اي قل سبحان ربي الاعلى وقول جماعة من الصحابة والتابعين بدل
عليه ما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك
الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى ذكره البغوي باسناده الثعلبي وقيل معناه
نزه ربك الاعلى عما يضيفه الملحدون قيل هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه
نزه تسمية ربك بما تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح
اي صل باسم ربك الاعلى عن عطية عن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح
اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود والذي خلق فسوى
اي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق
الانسان مستوي القامة والذي قدر فهدى قيل قدر الارزاق
وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى اي عرف كيف يأتي
الذكر والانثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه في الخروج منه وقيل
قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين سبيل
سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل
قدر اي اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوان
لمراعيها ومرتوله تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت العشب وما ترتاه
الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى
بعد الخضرة غثاء اي هشيما يابسا بالياً كالتبن الذي تراه فوق السيل
اي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود وقوله تعالى
سنقرئك اي نعلمك القرآن بقرأت جبريل عليك فلا تنسى يعني
ما تقرأه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل عليه السلام
بالوحي لم يهبط من اخر الاية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأولها مخافة ان ينسى فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس
شيئا بعد ذلك الا ما شاء الله يعني ان ينساه وهو ما نسخ الله تلاوته
من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شاء الله ان تنسا ٥

ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرني كذا
وكذا اية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت استظهن من سورة
كذا وكذا اخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان يشا
الله تعالى انه يعلم الجهر يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه
تعالى يعلم السر والعلانية ونيسرك لليسرى اي نهون عليك الان تعمل خيرا
ونسهله عليك حتى تفعله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة
وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرأه على جبريل اذا فرغ
من التلاوة وما تخفي ما تقرأه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك
لليسرى اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذكر اي فعظ بالقرآن
ان نفعت الذكرى اي ان انتفعت الموعظة والتذكرة والمعنى عظات وذكران
نفعت الذكرى او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر من يخشى اي سيتعظ من
يخشى الله تعالى ويتجنبها اي الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اي في علم الله
تعالى الذي يصلى النار الكبرى اي النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى
هي نار الاخرة والصغرى هي نار الدنيا ثم لا يموت فيها اي في النار فيستريح
ولا يحيا اي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل قد افلح من تزكى اي تطهر من
الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل
مرصدة النظر روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله قد افلح
من تزكى قال اعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج الى العيد
فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الاية
وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع اخرجت
الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فاخرج فانما هذه
الاية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت
فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت
يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه ٥

السورة مكية وظهر انزل بمكة يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادري اي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وجه احر وهو انه كان في علم الله تعالى انه سيكون ذلك ناجز عنه وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر اسم ربه يعني الصلاة الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى يعني ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عكرمة الاشج كنا عند ابن مسعود نقرا هذه الاية تقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا حضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساءها ولذاتها وهي تهاوان الاخرة نسيت وزويت عنها فاحببنا العاجل وتركنا الاجل وقيل ان اريد بهذا الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الاخرة وهو خبر وابقى ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع اياث يعني الصحف الاولى اي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القران ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والصلى وايثار الدنيا وان الاخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال صحف ابراهيم وموسى يعني ان هذا القدر المذكور في هذه الايات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرايع متفقة عليه عن ابي ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل عليك شيا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا اباذر اقرا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم يطمئن عجبت لمن ايقن بالقدر

ثم يتعجب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيا عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الوتر سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة اخرجه الترمذي والنسائي عن عبد العزيز بن جريج قال سالت عايشة رضي الله عنها باي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون اية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وتمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل اتاك اي قد اتاك يا محمد حديث الغاشية يعني القيامة سميت عايشة لانها تغشى كل شيء باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار وجوه يومئذ يعني القيامة خاشعة ايضا رهم يعني ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على عبودية الاسلام من عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم احدا منها دابي ضلالة كما يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدوب في العمل بالتعب قال عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث في دين الاسلام شيا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشمل كل عامل

في دين الاسلام او عهود في الاسلام فانه مردود عليه لان المرتكب ناب النبينا صلى
الله عليه وسلم وقيل في الآية عامة في الدنيا بالمعاصي فاصبته في الآخرة في
النار بمعالجة السلاسل والاغلال ومر رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود
يخوضون في النار كما يخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في
النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى سأرهقه
صعودا قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله تعالى تسقى
من عين آنية اي متناهية في الحرارة قد اوقد عليها جهنم منذ خلقت لو وقع
منها قطرة على جبال الدنيا لذابت وقد فعوا النهار ورد اعطاشا فهذا شرابهم
ثم ذكر طعامهم فقال ليس لهم طعام الا من ضريع قيل هو نبت ذو شوك
لاطئ بالارض تسميه قريش الشرق فاذا هاج سموه الضريع ومواخيث
طعاما واشنعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه دابة وقيل
الضريع في الدنيا هو الشبرق اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة هي
نار وجاء في الحديث عن ابن عباس بر فعه الضريع شئ في النار يشبه
الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة استد حر في النار قال ابو الدرداء
ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من
العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام
ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا فيسقون
فيعطشهم الله الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنية ولا
مرية فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشوا ما فاذا وصل
الى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال المفسرون
فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع فكذبوا
في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى
لا يسمن ولا يغني من جوع يعني ان هذا الطعام لا تعد ولا البهائم على
اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو اذا لا يسمن ولا يغني من جوع
فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية انه لا طعام لهم الا من ضريع

وذكر

وذكر في موضع اخر لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع قلت انه النار
دركات فعلى قدر الذنوب تقع المعذبات منهم من طعامه الزقوم لا غير
ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين ثم وصف اهل الجنة
فقال تعالى وجوه يومئذ ناعمة اي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة
لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حين اعطيت
الجنة بعملها في جنة عالية قيل من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان
وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء
والارض لا يسمع فيها لاغية اي ليس فيها اللغو والباطل وفيها عين جارية على
وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم
فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد
والياقوت مرتفعة مما يلي اهلها فاذا ارادا اهلها الجلوس عليها تواضعت
لهم حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها واكواب يعني الكيزان التي لا عرى
لها موضوعة يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين
الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوة ونمارق مصفوفة يعني
وسايد ومرافق مصفوفة بعضها الى بعض ابنما اراد ان يجلس ولي اجلس
على واحدة واستند على الاخرى وزرابي يعني البسط العريضة قال
ابن عباس هي الطنافس التي لها حمل واحد تجارية مبثوثة اي مبسوطة
وقيل متفرقة في المجالس قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
قال اهل التفسير ولما نعت الله تعالى ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من
ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب ولم ير فيها منافع كثيرة
والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما
صنع وتكلمت على التفسير من وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر
الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم ير وا بهيمة قط اعظم منها ولم يستعد
الفيل الا الشاذ وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت بارك وقال قتادة

لما ذكر الله تعالى سورة الجنة وفرشها قال الراكبي بعدها فانزل الله عز وجل هذه
الاية وسيل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم من الاعجوبة فقال اما
الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو وحشي بري لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا
جلب درّ ولا ابل اعز مال العرب وانفسه تاكل النوى والقت وتخرج اللبن
ومن منافع الابل مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى
ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها ويذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت
على سائر الحيوانات وذلك ان جميع الحيوانات اما تقتني اما للذبيحة او للركوب
او للحمل او للبن او لاجل لحمه ولا يوجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها ذبيحة
وتركب فينقطع عليها المغارات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير وياكل
من لحمها الجم الغفير ويصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحلى عليها وهي
باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى في كل نبات
في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوان وهي سمن البر يحمل عليها الثقيل
وينقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة
حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل
مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم يبدا بذكر الابل قبل السما
والارض والجبال قلت كان المراد ذكر ولد الابل الدالة على توحيده
وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من اعظم شيء
عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا
ذكرهم عظم نعمته عليهم فيها ولهذا بدا بها ولانها اعجب الحيوانات عندهم
والى السماء كيف رفعت يعني فوق الارض بغير عمد ولا بناء لها تاوي والى
الجبال كيف نصبت على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول والى الارض
كيف سطحت اي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء
قال ابن عباس المعنى هلا يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل
السما او ينصب مثل الجبال او يبسط مثل الارض غير الله القادر على
كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب

بخ

347

نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فذكر انما انت مذكر اي فعظ انما انت واعظ
لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقاتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية
منسوخة نسختها اية القتال الا من تولى وكفر استثنا منقطع عما قبله معناه لكن
من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو ان يدخلهم النار وانما
قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل
والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت
ثم ان علينا حسابهم يعني جزاءهم بعد الرجوع على الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة
وسبع وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر اقسم الله
عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوايد الدينية وهي انها
باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وبما من الفوايد الدنيوية انها تنفلت على
الشكر واختلفوا في معاني هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو
انفجار الصبح في كل يوم اقسم به لما يجعل فيه من انتضا الليل وظهور الضوء
وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وقيل يشبه نشر الموتى
من قبورهم للبعث وعن ابن عباس انه اراد به صلاة الفجر والمعنى انه اقسم
بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة تشهدها ملايكة الليل وملايكة
النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان
منه تفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو
فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات وقيل عشر وقيل
انما ذكروا لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يجهل في غير ما روي عن
ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال باعمال الحج واخرج
الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام
العمل فيهن احب الى الله عز وجل من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروي

يل

عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد
المئزر وايقظ اهله للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وقيل هي
شوال ولان فيه يوم عاشوراء والشفع والوتر قيل الشفع هو الخلق والوتر هو
الله تعالى يروى ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع الخلق كله كالايمان
والكفر والهدى والضلال والشقاوة والسعادة والليل والنهار والارض والسما
والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى
وقيل الخلق كلهم فيه شفع وفيه وتر وقيل هي الصلوات فيها شفع وفيها
وتر وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلوات بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة
والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النحر الاول والوتر النحر
الحسن وروي ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع
والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه
فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر فالثمان وعرفة وقيل الشفع هي الايام
والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات
الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل
الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة
والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر
صفات الله تعالى التي انفرد بها عن خلقه بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف
وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت والليل اذا يسر اذا سار وذهب
وقيل اذا جاء وقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر
التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل اذا
سار فيه هل في ذلك اي فيما ذكرت قسم اي تقع ويكفي في القسم هذا استفهام
بمعنى التاكيد لذي حجر اي لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا

يحل

يحل ولا يحل لانه يمنع صاحبه عن القبائح وسمي النهي لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي
واصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر الا لمن هو قادر على نفسه ضابط لها عما لا يليق
كانه حجر على نفسه ومنعها ما اراد ت والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان
ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل يدل على توحيد
ربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه وقيل جواب القسم قوله
تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل الم تر كيف
فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن
الكافرين دل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط
عذاب قوله تعالى الم تر ايها المتعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد
وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد يعني ان المقصود
من ذلك تخويف اهل مكة وكفى اهلكهم وهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من
هؤلاء فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا
اسما للقبيلة لقوله وانه اهلك عادا الاولى ارم هو جد عاد على ما ذكرنا
نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد يسمون ارم باسم جدهم وقيل
ارم هم قبيلة من عاد وكانت فيهم الملك وكانوا بمهرة باسم موضع باليمن
وكانت عاد الاباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح
وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل
الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية
وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال
والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع اذا
هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل حبانة وزروع ومنازلهم
بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى لم يخلق مثلها في البلاد وسمي ذات العماد
لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن
ابن عباس وقيل سميت ذات العماد لطول قامتهم يعني طول لهم مثل العماد في

ربه

الشبه قال متناثل كان طول احدهم اثنا عشر ذراعا وقوله لم يخلق مثلها في البلاد
يعني لم يخلق مثل تلك العشيرة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة
وقيل سموا ذات العماد لبناياه بعضهم فوق بعض شيد عمده ورفع بناه قيل كان
ابناء شداد وشديد ملكا بعده وقهروا البلاد ومات شديد وخلص
الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة
فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بنائها عتوا على الله ويحكى
فوري وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت
فبينما هو يسير في صحاري عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها
حصن وحوله الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها وظن ان فيها احدا ابعد له عن
ابله فلم يرح رحالها ولا اخلاها فنزله عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل
من باب المدينة فاذا هو بباب بين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما
راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا
فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة
واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة
يقابل بعضها بعضا وهي مصورة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر
فلما عاين ذلك ولم ير احدا اهاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا هي في تلك
الشجار مثمرة واذا تحت تلك الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها في قنوات
من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحل معه من لؤلؤها ومن بنادق
مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما راى فبلغ
ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فساله عن ذلك فقص عليه ما راى فارسل
معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من
ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بنا ها شداد بن عاد قال فحدثنا
حديثها فقال لما ارادشداد عملها امر على بنائها مائة قهرمان مع كل قهرمان
الف الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما في بلادهم من
الجواهر فخرج القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقعوا

على مفازة نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذا الارض
التي امر الملك ان يبني فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليماني واقاموا في بنايها
ثلاثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال
انطلقوا فاجعلوا حصنا سبعا سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر
الف علم ليكون في كل قصر الف وزير من وزرائي ففعلوا وامر الملك وزراءه ان
يتهيوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله في جهازهم عشرين سنة
ثم سار اليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى
من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيد
رجل من المسلمين في زمانك احمرا شقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه
خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال والله هذا
ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد يعني بوادي القرى فكانت ثمود اول
من قطع الصخر ونحته واتخذ واسكانت في الجبال وبيوتا وفرعون ذي الاوتاد
سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا
وقيل معناه ذي الملك كما قيل في ظل ملك راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه
كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
ان فرعون انما سمي ذو الاوتاد لانه كان له امراة خازنة حزقيل وكانت مومنا
كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات
يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس
من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غيري فقالت الذي انا
وابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقالت فدخلت على ابيها وهي تبكي
فقال ما يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات
والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال
ويحك اكفري بالهك واقري بالهي قالت لا اقر فمدها بين اربعة اوتاد ثم
ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا اعذبك بهذا العذاب

خلها

شهرين فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاءت
بابنتها الكبري فذبحها علي فيحرها فقال الغري بالله والاذبحت الصغري علي
فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض عليّ ما كفرت بالله عز وجل
فاتني بابنتها فلما اضجعت علي صدرها واردت ذبحها جزعت المراة فاطلقها الله لسان
ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا طفلا وقالت يا اماه لا تجزعي فان
الله بنا لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الي رحمة الله وكرامته فذبحت
فلم تلتفت الام الي ان ماتت فاسكنها الله عز وجل الجنة قال وبعث في طلب
زوجها فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد روي في موضع كذا في جبل كذا وكذا
فبعث رجلين في طلبه فاتيا اليه وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش
خلفه يصلون فلما راياه كذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني
مائة سنة ولم يظهر علي احد فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الي دينك
واعطه من الدنيا سؤاله وايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته في
الدنيا واجعل مصيره في الاخرة الي النار فانصرف الرجلان الي فرعون فاما
احدهما فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقضية علي روس الملاء فقال
له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان وفلان وذكر بهم فقال حق ما يقول هؤلا
قال ما رايت ما قال شيا فاعطاه فرعون فاجزي واما الاخر فقتله وصلبه
قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نساء بني اسرايل يقال لها اسية
بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر
علي ما ياتي فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها
اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واغشم
عمدت الي الماشطة فقتلتها فقال لها لعلك الجنون الذي كان بها قالت ما بي
جنون ولكن ربي وربك وربه السموات والارض واحد لا شريك له فتزق عليها وغر
وارسل الي ابويها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها
قالت اعوذ بالله من ذلك اني اشهدان ربي وربك وربه السموات والارض
واحد لا شريك له فقال ابوبها يا اسية الست من خير نسا العالمين وزوجك

اله العالمين قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له ان يتوجني تاجا يكون
الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم تقدها
بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله عز وجل لها بابا الي الجنة ليهون عليها ما يصنع بها
فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله
فقبض الله روحها واسكنها الجنة قوله تعالي الذين طغوا في البلاد يعني عادا
وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله فاكثروا فيها
الفساد يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكان الصلاح يتناول جميع البر فكذلك
الفساد يتناول جميع اقسام الاول فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا من
العذاب صب عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط
وقيل هو اشارة الي ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشي ببعضه
ببعض وقيل هذا علي الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجري ذلك لكل نوع
منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه الاية
قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد قال ابن
عباس يعني بحيث يري ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل
عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الناس الخلق
الي حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد الي اعمال بني ادم والمعني
انه لا يفوته شي من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل ارصد الناس
علي طريقهم حتي يهلكهم قوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه اي امتحنه
ربه بالنعمة فاكرمه اي بالمال ونعمه اي بما يوسع عليه فيقول ربي اكرمني
اي بما اعطاني من المال والنعمة واما اذا ما ابتلاه يعني بالفقر فقدر اي فضيق
وقيل قتر عليه رزقه اي وقد اعطاه ما يكفيه فيقول ربي اهانني اي اذلني
بالفقر قيل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحد
بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي يكون الكرامة والهوان عنده بكثرة
المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالي علي من ظن ان سعة الرزق
اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالي كلا اي ليس الامر كذلك لم ابتله بالغني

لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال
وسعة الرزق وقلته ولكن الغنا والفقر بتقدير الله تعالى وحكمته تقديوسع
على الكافر لا لكرامته ويضيق على المومن لا لهوانه لكن الامر اقتضته حكمة الله
تعالى وانما يكرم المرء باعانته وبهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من
اصناف المال ليختبره ايشكرام يكفر ويضيق عليه ايصبرام يضجر ويقلق
بل لا تكرمون اليتيم اي لا يعطونه حقه الثابت له من الميراث قال مقاتل كان
قدامة ابن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه ولا تحضون
على طعام المسكين اي لا يطعمون مسكينا ولا يامرون باطعامه وقري ولا يحاضون
ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك وياكلون التراث اي الميراث اكلا لما
اي شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية
لا يورثون النساء والصبيان وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللمم الذي ياكل كل
شي يجده لا يبالي احلال ام حرام وياكل الذي له ولغيره وتحبون المال حبا
جما اي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويالغون به كلا اي لا ينبغي ان يكون الامر
هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من
اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين
لا ينفعهم الندم فقال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اي دقت وكسرت مرة
بعد مرة وكسر كل شي عليها من جبل وبنا وغيره حتى لم يبق على ظهرها شي
وجاء ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت عنها وعدت
مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واقروها كما جات من غير
تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراوها على ظاهرها
وتاولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين وقالوا قد ثبت بالدليل العقلي
ان الحركة على الله تعالى محال فلا بد من تاويل الاية فقيل في تاويلها وجا امر
ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل وجا امر ربك وقضاوه وقيل وجاء دلايل ايات
ربك فجعل مجييها مجيا له تفخيما للتلك الايات والملك صفا صفا اي تنزل ملايكة
كل سما صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالانس

والجن

والجن فيكون سبع صفوف وجي يومئذ يعني يوم القيمة بجهنم قال ابن
مسعود في هذه الاية يقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين
الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش يومئذ يعني يوم يجا
بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ الكافر ويتوب وانى له الذكرى يعني انه
يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي قدمت الخير
والعمل الصالح لحياتي في الاخرة التي لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه احد
اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق وثاقه احد يعني
لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العقاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل
والاغلال وقري لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب
هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره
وعتوه قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة اي الثابتة على الايمان
والايقان بما قال الله تعالى الموقنة التي ايقنت ان الله ربها وخضعت
لامره وطاعته وقيل المطمئنة المومنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضا الله
تعالى وقيل هي الامنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله تعالى قيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في خبيب بن عدي
الانصاري وقيل في عثمان حين اشتري بير رومة وسبلها وقيل في ابي بكر
الصديق والاصح ان الاية عامة في كل نفس موسنة مطمئنة لان هذه السورة
مكية ارجعي الى ربك اي الى ما وعد ربك من الجزا والثواب قيل يقال لها ذلك عند
خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المومن ارسل الله عز وجل
اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فقال اخرجي ايتها النفس المطمئنة
اخرجي الى روح وريحان وربك عنك راض فيخرج كاطيب ريح مسك وجده
احد في انفه والملايكة على ابواب السما يقولون قد جا من الارض روح طيبة ونسمة
طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يوتى بها الرحمن الرحيم جل
جلاله فتسجد له ثم يقال ليكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع النفس المومنين
ثم يامر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ

فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن له نور مثل
الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه
واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بخاد اي من كما انتن
من كل نتن واخشت من كل خشت فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي الي
جهنم وعذاب اليم ورب عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الي ربك
اي الي صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها عند البعث فيامر الله تعالى الارواح
ان ترجع الي الاجساد وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس
وقيل ارجعي الي ثواب ربك وكرامته راضية اي عند الله بما اعد الله لك مرضية
اي رضي عنها ربها وقيل يقال لها في الدنيا ارجعي الي ربك راضية مرضية
فاذا كان يوم القيمة قيل لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل في معنى
عبادي اي في جملة عبادي اي الصالحين المصطفين وادخلي جنتي قال سعيد
ابن جبير مات ابن عباس بالطايف فشهدت جنازته فجاء طاير لم ير على
خلقته فدخل نعشه ولم ير خارجا منه فلما دفنت تليت هذه الاية على
القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الي ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال بعض الاشارة في تفسير
هذه الاية يا ايتها النفس المطمينة الي الدنيا ارجعي الي ربك بتركها والرجوع
اليه هو سلوك سبيل الاخرة والله اعلم تفسير سورة البلد مكية وهي
عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثمايتة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول سورة
القيمة والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين وانت حل اي حلال بهذا البلد
اي مقيم به فانزل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم
مقيم بها وقيل حل اي يحل والمعنى احللت لك تصنع فيها ما تريد من القتل
والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها احل الله عز وجل
مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار
الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما فاحل دماء قوم وحرم دماء اخرين فقال

من

من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد
فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم
تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار في حرام
بحرمة الله الي يوم القيمة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على
عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم
انه يحل له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى
في الماضي وهو تقيم بمكة ان يفتحها عليهم في المستقبل بعد الهجرة وخروجه
منها فكان كما وعده وقيل في معنى قوله وانت حل بهذا البلد قال تخرصون
ان يقتلوا بها صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه ووالد وما ولد يعني
ادم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم والانبيا والصالحين
من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب
القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد قال ابن عباس في نصب وقيل
يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعن ابن عباس ايضا قال في شدة
خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته
واصل الكبد الشدة قيل لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم
وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء
والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل
القامة وكل شيء من الحيوان يمشي متكبا وقيل منتصبا راسه في بطنه
فاذا اذن الله تعالى في خروجه انقلب راسه الي اسفل وقيل في كبد اي
في قوة نزلت في ابي الاشدا اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع
الاديم المكاظي تحت قدميه ويقول من زالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق
ان ينزع من تحت قدمه الا قطعا ويبقى من ذلك الادم بقدر موضع قدمه
ايحسب يعني ابا الاشد من قوته ان لن يقدر عليه احد يعني ايظن
لشدته في نفسه ان لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي
يقول يعني هذا الكافر اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي كثيرا من التلبيد الذي

يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلي الله عليه وسلم ايحسب
ان لم يره احد يعني ايظن ان الله عزوجل لم يره ولم يساله عن ماله من اين
اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ماله
والمعني ايظن ان الله لم يبين ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه عليه
ليعتبر فقال تعالي الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين يعني اذ نعم الله
علي عبده متظاهرة يقرره بها كي يشكر وجاء في الحديث ان الله عزوجل يقول
ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبق
وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان
نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وهديناه
النجدين قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدي والضلالة
وقال ابن عباس الثديين قوله تعالي فلا اقتحم العقبة يعني فهلا انفق ماله
فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام الطعام فيكون ذلك خيرا له من انفاقه
علي عداوة محمد صلي الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام
الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوي
والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود هذه العقبة يقول الله عزوجل
لم يحمل علي نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب
علي مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة او اطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة
وجاوزها وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة
شديدة في النار دون الجسر يجهنم فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس
وقيل هي الصراط يضرب علي متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف
سنة سهلا وصعودا وهبوطا وانه بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانه شوك
السعدان فناج مسلم وناج بخدش ومكردس في النار منكوس فمن الناس
من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس
ومنهم من يمر علي كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يمر
زحفا ومنهم المزالوت ومنهم من يكردس في النار وقيل معني الاية فهلا سلك

طريق

طريق النجاة ثم بين ما هي فقال عز من قايل وما ادراك ما العقبة اي وما
ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها
وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه
او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداه من
النار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتي فرجه
بفرجه وروي البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لين
كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسيلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال
اوليسا واحدا قال لا عتق الرقبة ان تتفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في
ثمنها والمنحة الركوب والفيء علي ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم
الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف
لسانك الا من خير وقيل في معني الاية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة
وما يتكلفه من العبادات والطاعات التي يصير بها الي رضوان الله تعالي
والجنة وهي الحرية الكبري ويتخلص بها من النار او اطعم في يوم ذي مسغبة
اي يوم ذي مجاعة والمسغب الجوع يتيما ذا مقربة اي قرابة يريد تطعم
يتيما بينك وبينه قرابة او مسكينا ذا متربة يعني قد لصق بالتراب من
فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة
الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله ثم كان من الذين
امنوا والمعني انه ان كان مؤمنا نفعته هذه القرب وكان مقتحما للعقبة
وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة وتواصوا بالصبر
يعني اوصي بعضهم بعضا علي الصبر علي اداء الفرايض وجميع اوامر الله
تعالي ونواهيه وتواصوا بالمرحمة يعني برحمة الناس وفيه اشارة الي
تعظيم امر الله والشفقة علي خلق الله اولئك يعني اهل هذه الخصال اصحاب
الميمنة والذين كفروا بايتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار موصدة يعني

مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله اعلم تفسير سورة
الشمس مكية وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعة
واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والشمس وضحاها اي
اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى
النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى
هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها
وهذا اضعف الاقوال والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك في النصف الاول من
الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها
في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك في الليالي البيض
وقيل تلاها تتبعها في الطلوع وذلك في اول ليلة من الشهر اذا غربت
الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها والنهار اذا جلاها يعني جلا الظلمة بضيائه
وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا والليل اذا يغشاها
اي يغشي الشمس حين تغيب فتظلم الافاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة
ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى
وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر والسماء وما بناها اي ومن بناها وقيل
والذي بناها فعلى هذا كانه اقسم به وبا عظم مخلوقاته ومعنى بناها رفعها
وقيل ما بمعنى المصدر اي والسماء وبناءها والارض وما طحاها اي بسطها
وسطحها على الماء ونفس وما سواها اي عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا
اذا اريد بالنفس الجسد واذا اريد بها المعنى القايم بالجسد فيكون معنى
سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والقاية
والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة
المكلفة التي تفهم عند خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن
فالهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها
الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تاتي وما تتقي وقيل الزمها فجورها وتقواها
وقيل جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانها للفجور وذلك لان الله تعالى

خلق

خلق في المومن التقوى وفي الكافر الفجور عن ابي الاسود الديلي قال قال لي
عمران بن الحصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي عليهم
ومضي عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم نبيهم صلى الله
عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شي قضي عليهم ومضي عليهم فقال
افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شي خلق الله
تعالى وملك يده فلا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال يرحمك الله اني لم
ارد بما سالتك الا لاحرز عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه
اشي قضي عليهم ومضي فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون
مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شي
قضي عليهم ومضي فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس
وما سواها فالهمها فجورها وتقواها عن جابر رضي الله عنه قال جاء سراقة
ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم
العمل اليوم قال فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال
لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له وهذه اقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها الشرف
ومصالح العالم بها وقيل فيه اجتياز تقديره ورب الشمس وما بعدها
وارد على القول انه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها
وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير رب السماء ورب من بناها وهذا خطا
لا يجوز واجيب عنه بانه ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال فيه وان
فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم
قوله تعالى قد افلح من زكاها المعنى لقد افلح من زكاها اي فازت وسعدت
نفس زكاها الله تعالى اي اصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة
وقد خاب من دساها اي خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها

واصله من دس الشي اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته
على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن احد انه
يتولى تطهير نفسه او هلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق
عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك
من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت
خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب
لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله كذبت ثمود
وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام بطغواها اي بطغيانها وعداوتها والمعنى
ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا اذ انبعث اشقاها اي قام واسرع
وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم قدار بن سالف
وقد كان رجلا اشقر ازرق العين قصيرا قام يعقر الناقة ق عن عبد الله بن
زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز
عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة لفظ البخاري قوله عارم اي شديد
ممتنع قوله عز وجل فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه الصلاة والسلام
ناقة الله اي ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على
عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله وسقياها اي وشربها
اي ذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها فكذبوه يعني صالحا فعقروها
يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم اي قد مر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة
اهلاك استيصال وقيل دمدم اي اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت
منهم احد بذنبهم اي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه
السلام وعقرهم الناقة فسواها اي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل
معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب
ولا يخاف عقباها اي لا يخاف الله تبعة من احد في اهلاكهم قاله ابن عباس وقيل

هو

هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما اقدم عليه من عقر الناقة
وقيل هو راجع الى صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من
العذاب ان يعذ به احد بسبب ذلك والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والليل مكية

وهي احد وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والليل اذا يغشى
اي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن
لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان الى ماواه وسكت عن الاضطراب والحركة
ثم اقسم بالنهار بقوله تعالى والنهار اذا تجلى اي بان وظهر بعد الظلمة لان
فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والانثى اي ومن خلق فعلى
هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق
الذكر والانثى من ماء واحد اذا اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما ادم وحوى
وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدع خلق ادم من طين وخلق منه حوى من غير
ام وجواب القسم قوله تعالى ان سعيكم لشتى اي ان اعمالكم مختلفة فساع
في فكاك نفسه وساع في عطبها روي ابو مالك الاشعري رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبايع نفسه
فمعتقها او موبقها قوله موبقها اي مهلكها قوله تعالى فاما من اعطى اي
انفق ماله في سبيل الله عز وجل واتقى اي ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل
ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق بلا اله الا الله وعنه
صدق بالخلف ان الله تعالى سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق
بالجنة وقيل صدق بموعود الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه فسنيسره
اي فنهيئه في الدنيا لليسرى اي للخلة والفعلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه
الله عز وجل واما من بخل اي بالنفقة في الخير والطاعة واستغنى اي عن
ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى اي بلا اله الا الله وكذب بما وعده الله
عز وجل من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى اي فسنهيئه للشر بان يعمل به

علي يديه حتي يعمل بما لا يرضي الله فيستوجب بذلك النار وقيل يعسر عليه
ان ياتي خيرا وفي الاية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق
والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالي ووجوب العمل مع ما سبق له
في الازل عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت
بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من
الجنة زاد مسلم الا وقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل
علي كتابنا وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل
السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة
فسييسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطي واتقي وصدق بالحسني
فسنيسره لليسري واما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري
المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصي ونحوذلك مما يملكه بيده والنكت بالتاء المثناة
فوق ضرب الارض بذلك او نحوذلك مما يوثر فيه الضرب وهذه الاية نزلت في
ابي بكر الصديق وذلك انه اشتري بلالا من امية بن خلف ببردة وعشر
اواق فاعتقه فانزل الله عز وجل والليل اذا يغشي الي قوله ان سعيكم لشتي
يعني سعي ابي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها
في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا صعد نخلته لياخذ منها
التمر فربما سقطت التمرة فياخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل من
نخلته نحوه ياخذ التمرة من ايديهم وان وجدها في في احدهم ادخل اصبعه
في فيه حتي يخرجها فشكي ذلك الرجل الفقير الي النبي صلي الله عليه وسلم
فلقي النبي صلي الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطي نخلتك الي
فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل اني لي نخلا وما فيه
اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح رجل من الانصار فقال
لصاحب النخلة هل لك ان تبيعنيها بخيف يعني حايطا له فيه نخل فقال ما لك
فاتي ابو الدحداح النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشتريتها

بي

مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعي النبي صلي الله عليه وسلم ذلك
الرجل الفقير فجاء الانصاري صاحب النخلة فقال خذها لك ولعيالك فانزل الله
هذه الاية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة نزلت بمكة وظهر حكمها
بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق
الايات يقتضي ذلك قوله عز وجل وما يغني عنه ماله يعني ابي الذي بخل به اذا
تردي اي اذا مات وقيل هوي في جهنم ان علينا للهدي اي علينا ان نبين
طريق الهدي من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما للمحسنين من اليسري
وما للمسي من العسري اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين
طريقها وقيل معناه ان علينا للهدي والاضلال والكتفي بذكر احدهما والمعني
ارشاد اولياي الي العمل بطاعتي واصرف اعدائي عن العمل بطاعتي وقيل
معناه من سلك سبيل الهدي فعلي الله سبيله وان لنا للاخرة والاولي اي
لنا ما في الدنيا والاخرة فمن طلبهما من غيرنا فقد اخطا الطريق فانذرتكم
اي يا اهل مكة نارا تلظي اي تتوقد وتتوهج لا يصلاها الا الاشقي يعني الشقي
الذي كذب يعني الرسل وتولي اي عن الايمان وسيجنبها الاتقي الذي يوتي
ماله اي يعطي ماله يتزكي اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يطلب بما انفقه
رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه في قول المفسرين وقال ابن
الزبير وكان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابواه اي بني لو كنت تبتاع
من يمنع ظهرك قال منع ظهري اريد فنزل فيه وسيجنبها الاتقي الي اخر
السورة وذكر محمد بن اسحاق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن
رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن
خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه علي ظهره ببطحاء مكة ثم يامر
بالصخرة العظيمة فتوضع علي صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتي تموت
او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد قال محمد بن اسحاق عن هشام
ابن عروة عن ابيه قال مر بها ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي
بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته

فانقذه مما ترى فقال ابو بكر او تفعل عندي غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيك هو قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر ابن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بير معونة شهيدا وام عميس وزهرة فاصيب بصرها حين عتقها ابو بكر فقالت قريش ما ذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا و بيت الله ما تضر اللات والعزى وما يشعران فرد الله عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانت لامراة من بني عبد الدار فمر بها ابو بكر وقد بعثتها سيدتها بطحنان لها وهي تقول والله لا اعتقها ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتها فاعتقها قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتها وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر رضي الله عنه عتيقا فقال في ذلك

جزا الله خيرا عن بلال وصحبه ... واجزى فاكها وابا جهيل
عتيقا هما في بلال يسوق لهم ... يجذرا ما يحذر المرء والعقل
بتوحيده رب الانام وقوله ... شهدت بان الله ربي على مهل
فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن ... لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى حتى ثم لا تمل
لمن ظل يهوي الغي من ذا غالب ... علي غير حق كان منه ولا عدل

وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا حلما ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه لغلامك نسطاس اغتنمها ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل وما لاحد عنده اي عند ابي بكر من نعمة تجزى اي من يد يكافيه عليها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى يعني لم يفعل ذلك

بجازاة

بجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلي وطلب مرضاته
ولسوف يرضى اي بما يعطيه الله عز وجل في الاخرة من الجنة والخير والكرامة
جزاء لعلي ما فعل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسراركتابه

تفسير سورة الضحى مكية

وهي احد عشرة اية واربعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والضحى اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة
اقوال القول الاول عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة فقالت يا محمد اني
لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فانزل الله
عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى واخرجه الترمذي
عن جندب قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فدميت
اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

هل انت الا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

قال فابطا عليه جبريل عليه السلام فقال المشركون قد ودع محمدا ربه
فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المراة المذكورة في الحديث
المتفق عليه هي ام جميل امراة ابي لهب الثاني قال المفسرون سالت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين واصحاب الكهف فقال
ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عليه الوحي القول الثالث قال
زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي وجبرايل عنه ان جروا كان في بيته
فلم تنزل عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ادخل
بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنى
عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما قالوا فلما نزل
جبريل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبرايل ما جيت حتى
اشتقت اليك فقال جبرايل اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور
وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل

اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا يسجي وقيل يعني وقت
الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في
الصيف والشتاء والليل اذا يسجي قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب
وقيل معناه غطى كل شيء بظلامه وقيل معناه سكن فاستتر ظلامه فلا يزداد
بعد ذلك وهذا اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا يسجي وجواب القسم
قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ
احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الاي وقيل معنى وما قلاك احدا
من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيمة وللاخرة خير لك من الاولى اي
الذي اعطاك ربك في الاخرة خير لك واعظم من الذي اعطاك في الدنيا وروى
البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اهل بيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى
قال ابن عباس هو الشفاعة في امته حتى يرضى وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم اتي امتي وبكى فقال
الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم وربك اعلم فاسأله
ما يبكيك فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال
وهو اعلم فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم
فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات من
امتي لا يشرك بالله شيئا وعن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا اخرجه
الترمذي قال حرب بن سريج سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يا معشر
اهل العراق تقولون ارجى اية في القرآن قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله ولسوف

يعطيك

يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الاية ولسوف يعطيك ربك من الثواب
فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المومنين فترضى وقيل حمل الاية
على خيري الدنيا والاخرة معا وفي وذلك ان الله تعالى اعطاه في الدنيا
من النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده ما في يوم
القيمة واعلا دينه واذا منه خير الامم واعطاه في الاخرة الشفاعة العامة
والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه في الدنيا والاخرة ثم اخبر عن
حاله صغيرا وكبيرا وقيل الوحي وذكره نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز
من قايل الم يجدك يتيما فاوى اي الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى
العلم والمعنى الم اجدك يتيما صغيرا حين مات ابوك ولم يخلف لك مالا ولا ما وى
تاوي اليه وضممتك الى عمك ابو طالب حين احسن تربيتك وكفاك المونة وذلك
ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب
فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب الى ان قوي واشتد وتزوج خديجة
وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم
النظير فاواك اليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته ووجدك ضالا اي
عما انت عليه اليوم فهدى اي فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك
ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فراه
ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة
غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل
به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى
الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله تعالى بذلك
وقيل وجدك ضالا لا تفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل وجدك
بين اهل الضلالة فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل
الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا في

طلب ما يتوجه به الي ربه تبارك وتعالي حين هداه الله الي دينه وقال الجنيد وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الاية ولا يلتفت الي قول من قال انه صلي الله عليه وسلم كان قبل النبوة علي ملة قومه فهداه الله عز وجل الي الاسلام لان نبينا صلي الله عليه وسلم وكذلك الانبيا قبله منذ ولد وانشوا علي التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة وبعدها من الجهل بصفات الله وتوحيده ويدل علي ذلك ان قريشا عابوا النبي صلي الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوي الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا لم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه وستعذ ذلك فبراه الله تعالي من جميع ما قالوه فيه وعيروه ويؤكد هذا ما روي في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلي الله عليه وسلم باللات والعزي وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب الي الشام فراي بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فاخبره بذلك فقال له النبي صلي الله عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت شيا بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلي الله عليه وسلم وغسل الصغر واستخراج العلقة منه وقال جبريل هذا حظ الشيطان منك وما هكذا وايمانا وقوله تعالي ما ضل صاحبكم وما غوي قال الزمخشري ومن قال كان علي امر قومه اربعين سنة فان اراد علي خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان علي دين قومه فمعاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكباير والصغاير الشانية في باب الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي والله تعالي اعلم قوله عز وجل ووجدك عايلا فاغني يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنايم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذا حقيقة الغني ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس العرض بفتح العين والراء المال م عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وروي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم سالت ربي عز وجل مسيلة ووددت اني لم اكن سالته قلت يا رب انك اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا

وفلانا

وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فاويتك قلت بلي اي رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلي اي رب قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلي اي رب فان قلت يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه علي عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالي قلت انما حسن ذلك لانه تعالي قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر الفرق بين امتنان الله الممدوح وبين امتنان المخلوق وهو المذموم لان امتنان الله زيادة في انعامه كانه قال مالك تقطع رجاك عني الست الذي ربيتك واويتك وانت يتيما صغيرا انظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا بد وان اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامي والمساكين والفقرا فقال تعالي فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تحقره علي ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامي ياخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روي البغوي بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء عليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير باصبعيه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهذا واشار بالسبابة والوسطي وفرج بينهما واما السايل فلا تنهر يعني السايل علي الباب يقول لا تزجره اذا سالك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تنهر بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن ادهم نحن القوم السود يحملون زادنا الي الاخرة وقال ابراهيم السايل يريد الاخرة يجيء الي باب احدكم فيقول هل تدرون الي اهليكم بشي وقيل السايل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقي بمكروه واما بنعمة ربك فحدث قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاك الله وقيل النعمة هي القرآن امره ان يقراه ويقربه غيره وقيل اشكر لما ذكره نعمه عليه في هذه

السورة من خبر اليتيم والهدي بعد الضلالة والاغنا بعد الفقر امره ان يشكره
علي انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالي شكرها عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من اعطا عطا فليجز به ان وجد فان لم
يجد فليثن عليه فان من اثني عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن
تحلي بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة
الصايم الصابر وروي البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال
سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول علي المنبر من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه
كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراة مكة ان يكبر من اول سورة
الضحي علي راس كل سورة حتي يختم القران فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان
الوحي لما احتبس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال المشركون هجره
شيطانه وودعه فاغتم النبي صلي الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحي
كبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله
سبحانه اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الم نشرح لك

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة وماية وثلاثة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عزوجل الم نشرح لك صدرك استفهام بمعني التقرير اي فعلنا ذلك
وبمعني الم نشرح الفتح بما يصدر عن الادراك والله تعالي فتح صدر نبيه صلي الله
عليه وسلم للهدي والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن ادراك الحق
وقيل في معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونليينه بالايمان والنبوة والعلم والحكمة
وقيل هو شرح صدره في صغره عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه وصرعه
فشق صدره عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله

في

بطست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم اعاده الي مكانه وجا الغلمان يسعون الي
امه يعني ظيره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس
وقد كنت اري اثر المخيط في صدره ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك وزرك
الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتي يبلغها الا ان الوزر في اللغة
الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض
ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمي العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول
في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفي في سورة طه عند قوله وعصي ادم ربه
فغوي وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الذي انقض
ظهرك اي اثقله واوهنه حتي سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع
من المحمل والرحل فوق البعير فمن حمل الوزر علي ما قبل النبوة قال هو اهتمام
النبي صلي الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها
فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها
الله تعالي عنه وغفرها له ومن حمل ذلك علي ما بعد النبوة قال هو ترك
الافضل لان حسنات الابرار سيات المقربين وقوله تعالي ورفعنا لك ذكرك
روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال
قال الله عزوجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد الاذان والاقامة
والتشهد والخطبة علي المنابر ولو ان عبدا عبد الله عزوجل وصدقه في كل
شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله صلي الله عليه وسلم لم ينتفع من ذلك بشي
وكان كافرا وقال قتادة ورفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال
الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التاذين
وفيه يقول حسان بن ثابت الشاعر رضي الله تعالي عنه

السورة من خبر اليتيم والمدي بعد الضلالة والاغنا بعد الفقر امره ان يشكره
علي انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالي شكرها عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من اعطا عطا فليجز به ان وجد فان لم
يجد فليثن عليه فان من اثني عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن
تحلي بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي ولمه عن ابي سعيد
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة
الصايم الصابر وروي البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال
سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول علي المنبر من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه
كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراة مكبرات يكبر من اول سورة
الضحي علي راس كل سورة حتي يختم القران فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان
الوحي لما احتبس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال المشركون هجره
شيطانه وودعه فاغتم النبي صلي الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحي
كبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله
سبحانه اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الم نشرح لك

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة وماية وثلاثة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عزوجل الم نشرح لك صدرك استفهام بمعني التقرير اي فعلنا ذلك
ومعني الم نشرح الفتح بما يصدر عن الادراك والله تعالي فتح صدر نبيه صلي الله
عليه وسلم للمدي والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن ادراك الحق
وقيل في معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونليينه بالايمان والنبوة والعلم والحكمة
وقيل هو شرح صدره في صغره عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه وصرعه
فشق صدره عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله

في

بطست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم اعاده الي مكانه وجا الغلمان يسعون الي
امه يعني ظيره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس
وقد كنت اري اثر المخيط في صدره ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك وزرك
الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها
وقيل المراد بذلك ما ثقل ظهره من اعبا الرسالة حتي يبلغها الا ان الوزر في اللغة
الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض
ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمي العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول
في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفي في سورة طه عند قوله وعصي ادم ربه
فغوي وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الذي انقض
ظهرك اي اثقله واوهنه حتي سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع
من المحمل والرحل فوق البعير فمن حمل الوزر علي ما قبل النبوة قال هو اهتمام
النبي صلي الله عليه وسلم بامور كان يفعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها
فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها
الله تعالي عنه وغفرها له ومن حمل ذلك علي ما بعد النبوة قال هو ترك
الافضل لان حسنات الابرار سيات المقربين وقوله تعالي ورفعنا لك ذكرك
روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال
قال الله عزوجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد الاذان والاقامة
والتشهد والخطبة علي المنابر ولوان عبدا عبد الله عزوجل وصدقه في كل
شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله صلي الله عليه وسلم لم ينتفع من ذلك بشي
وكان كافرا وقال قتادة ورفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال
الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التاذين
وفيه يقول حسان بن ثابت الشاعر رضي الله تعالي عنه

اغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه ... اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه بمحمد رسول الله ونبي الله وفرض طاعته على الامة اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما في القرآن وغيره من كتب الانبياء وعده اليسر والرخا بعد الشدة والعناء وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء يظهرك عليهم حتى ينقاد واللحف الذي جيت به ان مع العسر يسرا كرره لتاكيد الوعد وتعظيم الرجا قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا قد جاء اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكان يسرين فكانه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا وردف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله انه لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسران وهذا قول مدخول فيه ان قال الرجل مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا لم يوجب هذا ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين بجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فكانت قريش تعيره بذلك قالوا ان كان بك طلب الغنا جمعنا لك ما لا حتى تكون اكثرنا مالا

مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله عز وجل نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنا يسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اي لا يحزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم اخبر بما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فعلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدا يه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المومنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكر في الاية الثانية بقوله لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب عسر الدنيا الذي وعده الله للمومنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم الله في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدايم ابدا غير زايل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال العتبي كنت يوما بالبادية عاله من الغنم فالقي في روعي بيت شعر اري الموت لمن اصبح مغموما له اروح فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى ويقول الا ايها المرا الذي الم به برح وقد انشد تنا بيتا لم يزل في فكره يسح اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح فعسر بين يسرين اذا بصرته فافرح قال فحفظت الابيات وفرج الله عني وقال اسحق بن بهلول القاضي فلا تياس وان اعسرت يوما فقد ايسرت في الزمن الطويل
فلا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل

وقال سليمان بن احمد الرقي في المعنى شعر
توقع منح ربك كل يسر ... تروح شروره ويشردها عنك يسرا
ترى الله لا يخلف ميعاده وقد قال ان مع العسر يسرا

قوله عز وجل فاذا فرغت فانصب لما عدد الله تعالى على نبيه صلى الله

عليه وسلم نعمه السالفة بعثه علي الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخري والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الي ربك في الدعا وارغب اليه في المسالة وقال ابن مسعود فاذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمومنين قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل اخرته السبهلل الذي لا شي معه وقيل السبهلل البطال **والي ربك فارغب** اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الي الله تعالي في جميع احوالك لا الي احد سواه والله سبحانه وتعالي اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والتين مكية

وهي ثمان ايات واربعة وثلاثون كلمة وماية وخمسة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **والزيتون والزيتون** قال ابن عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوايب التغيص وفيه غذا ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح ويليين الطبع ويقلل البلغم واما الزيتون فلانه من شجرة مباركة فيه ادم ودهن يوكل ويستصبح به وشجرته في اغلب البلاد ولا يحتاج الي خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوف من السنين فلما كان فيها من المنافع والمصالح الدالة علي قدرة خالقها لاجرم اقسم الله تعالي بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمها بالسريانية طور سينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما

موضع

موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح عليه الصلاة والسلام الذي بناه علي الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس **وطور سينين** الجبل الذي كلم الله تعالي عليه موسي عليه السلام وسينين اسم للمكان الذي قبل الجبل سمي سينين وسينا لحسنه اولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمي سينين وسينا **وهذا البلد الامين** يعني الامن وهو مكة حرسها الله تعالي لانه الحرم الذي يامن الناس فيه في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا يلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله تعالي بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالي **لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم** يعني في اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالي خلق كل حيوان منكبا علي وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق **ثم رددناه اسفل سافلين** يعني الي الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينتقص فعله والسافلون هم الضعفا والزمني والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هولا جميعا انه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الي النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثني فقال تعالي **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** يعني فانهم لا يردون الي النار والي اسفل سافلين وعلي القول الاول يكون الاستثنا منقطعا والمعني ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الي ايام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخوف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الي ارذل العمر علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فانزل الله تعالي عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذي عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلي هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ماكان يعمل وروي

عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن ومن قرأ القرآن لا يرد الى ارذل العمر
فلهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال
الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة فما يكذبك يعني ايها الانسان وهو
خطاب على طريق الالتفات بعد اي بعد هذه الحجة والبرهان بالدين
اي بالحساب والجزاء والمعنى فما الذي يلجيك ايها الانسان الى هذا الكذب الا
تتفكر في صورتك وشبابها ومبداء خلقك وهرمك فتعتبر وتعلم ان الذي
فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك ايها الرسول
بعد ظهور هذه الدلايل والبراهين اليس الله باحكم الحاكمين يعني بالقضي
القاضين يحكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيمة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ اليس الله
باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي
عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الاخرة
فقرأ في احدى الركعتين والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا
او قراءة منه صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة اقرأ مكية

وهي تسع عشرة اية واثنتان وتسعون كلمة ومايتان وثمانون حرفا
قال المفسرون هذه السورة اول اية نزلت من القرآن واول ما نزل
خمس ايات من اولها الى قوله مالم يعلم عن عايشة ام المومنين رضي الله
عنها انها قالت اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤية
الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم وكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح
ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي
ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود
لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى فجيه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال
اقرا قال ما انا بقاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرا فقلت ما انا بقاري قال فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم

ارسلني

ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
فواده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على
نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك ابدا انك لتصل الرحم وتصدق
الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب
الحق فانطلقت خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى
ابن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني من الانجيل بالعبرانية ما شاء ان يكتب وكان شيخا كبيرا
قد عمي فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة
هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا
اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم
لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني يومك حيا انصرك
نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي
فترة حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى
يتردى من رؤس شواهق الجبال فلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه
منه فيدي له جبريل فقال يا محمد انت رسول الله حقا فيسكن لذلك
جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا
اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك فصل
في هذا الحديث دليل صحيح مترج على ان سورة اقرا اول ما نزل من القرآن
وفيه رد على من يقول ان المدثر اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع
بين القولين في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان
عايشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم
او من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلما الا ما انفرد به

الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وانما ابتدا صلي الله عليه وسلم بالرويا ليلا يفجاه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا يحملها القوي البشرية فبدا باول علامات النبوة توطية للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعني انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجيئه الحق اي جاه الوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطا المهملة اي عصرني وضمني شديد او هو قوله حتي بلغ مني الجهد قال العلما والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الي غيره والمبالغة في احضار قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني هكذا في الروايات مكررا مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتي ذهب عنه الروع اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك بروي بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزي اي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يدنك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح قولها وتحمل الكل اي الثقيل والحوايج المهمة وتكسب المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعني كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الافعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله ان يكتب ومعناها صحيح حاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد وبالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله علي موسي هو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه السلام ومعني الناموس صاحب خبر الخير وانما سمي جبريل بذلك لان الله تعالي خصه بالوحي الي الانبيا قوله يا ليتني فيها اي في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا حتي ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا اي قويا بالغا قولها فلم يلبث ورقة ان توفي اي فلم يلبث انه مات قبل ظهور النبي صلي الله عليه وسلم قوله حتي يتردي التردي الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه قوله تبدي لها اي ظهر له قوله فسكن لذلك جاشا اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم

المولد

المولد وقوله هو ما ثار من قزعه وهاج من حزنه والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقرا باسم ربك قيل الباء زايدة مجازه اقرا اسم ربك والمعني اذكر اسم ربك امر ان يبتدي القراة باسم الله تعالي تاديبا وقيل الباء علي اصلها والمعني اقرا القران مفتتحا باسم ربك اي قل باسم الله ثم اقرا فعلي هذا يكون في الاية دلالة علي استحباب البداية بالتسمية في اول القراة وقيل معناه اقرا القران مستعينا باسم ربك علي ما تحمله من النبوة واعباء الرسالة الذي خلق يعني جميع الخلايق وقيل هو الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شي خلق الانسان يعني ابن ادم وانما خص الانسان بالذكر من بين سايرالمخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة من علق يعني جمع علقة والمكان الانسان اسم جنس في معني الجمع جمع العلق لمشاكلة روس الاي ايضا اقرا كرره تاكيدا وقيل الاول اقرا في نفسك والثاني اقرا للتبليغ وتعليم امتك ثم استانف فقال تعالي وربك الاكرم يعني هو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله نظير وقد يكون الاكرم بمعني الكريم كما جاء الاخر بمعني العزيز وغاية الكريم اعطاه الشي من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وتعالي يتعالي عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذي له الابتدا في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا ثناء علي القراة والمعني اقرا وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشر حسنات الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغايبة وفيه تنبيه علي فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان الكتابة ضبط مطلب العلوم ودونت الحكم وبها عرف اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله تعالي عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسيل بعضهم عن الكلام فقال رتج لا يبقي قيل له فما قيده قال

الكتابة لان القلم ينوب على اللسان ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان ما لم يعلم
قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك
معنى واحد وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم
لادم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
كلا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ان اي لان
راه استغنى اي راى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى
واللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان قد اصاب مالا زائدا في
كتاب ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ان الى ربك الرجعى اي المرجع في الاخرة
وقيل تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ
فتكبر ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل وذلك انه لما رآى
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي نهاه عن الصلاة وقال الم ننهك عن هذا
يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لان رايته
يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب قال فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطي على رقبته قال فما فجيهم منه
الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك قال بيني وبينه
خندق من نار وهولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني
لاختطفته الملايكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى في حديث
ابي اوس بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال واصره
لما امره به زاد في رواية فاليدع يعني قومه عن ابن عباس قال قال
ابو جهل لان رايت محمدا يصلي عند البيت لاطان على عنقه فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملايكة زاد
الترمذي عيانا ومعنى ارايت تعجبت للمخاطب وهو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفايدة التكرير في قوله عبدا ايذانا على كامل العبودية
ومعنى ارايت الذي ينهى استد الخلق عبودية في العبودية وهذا
دابه وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم كل من ينهى عن الصلاة وعن

طاعة

وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة
وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث
الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام
الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاد مصلحة الاذن
باذن فيه المولى والزوج ارايت ان كان على الهدى يعني العبد المنهي
وهو النبي صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعني بالاخلاص
والتوحيد ارايت ان كذب يعني ابا جهل وتولى اي عن الايمان وتدبر
نظم الاية ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى
والناهي مكذب متولي عن الايمان اي اعجب من هذا المر بعلم يعني ابا
جهل ان الله يرى يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه وفيه وعيد شديد
وتهديد عظيم كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لين لم ينته يعني عن ايذاء
محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه لنسفعا بالناصية اي لناخذن
بناصيته فنجرنه الى النار يقال سفعت بالشيء اذا اخذته وجذبته
جذبا شديدا والناصية شعر مقدم والنسفع الضرب اي لنضربن
وجهه في النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ناصية
كاذبة خاطية ايصاحبها كاذب خاطي قال ابن عباس لما نهى ابو جهل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابو جهل انتهرني فوالله لاملان عليك هذا الوادي
ان شيت خيلا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجا ابو جهل الم انهك عن هذا
فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك
لتعلم ان ما بها ناد اكثر مني فانزل الله تعالى فاليدع ناديه سندع
الزبانية قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح معنى فاليدع ناديه اي عشيرته
وقومه فاينتصر بهم واصل النادي المجلس الذي يجمع الناس

ولا يسمى ناديا مالم يكن فيه اهل سندع الزبانية يعني الملايكة الغلاظ
الشداد قال ابن عباس يريد زبانية اهل جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون
النار بشدة ماخوذ من الذبن وهو الدفع كلا ليس الامر ما عليه ابو جهل
لا تطعه اي في ترك الصلاة واسجد اي صل لله واقترب
اي من الله ﴿ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وهذه السجدة
من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقاري والمستمع ان
يسجد عند قراتها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السما انشقت اخرجه
مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة القدر

مدنية وقيل انها مكية والاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل
انها اول ما نزل في المدينة وهي خمس ايات وثلثون كلمة وماية
واثنى عشر حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ﴿ انا انزلناه يعني القران كناية عن غير مذكور في ليلة
القدر وذلك ان الله تعالى انزل القران العظيم جملة واحدة من اللوح
المحفوظ الى سما الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به
جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة عشرين
سنة فكان ينزل بحسب الوقايع والحاجة اليه وقيل انه انزل الى السما
الدنيا لشرف الملايكة بذلك وكرامتها كما لمشترك بيننا وبين الملايكة
فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير
الامور والاحكام والارزاق والاجال وما يكون في تلك السنة الى مثل
هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر ذلك في بلاده وبلاده ومعنى
هذا ان الله تعالى يظهر ذلك للملايكة ويامرهم بفعل ما هو من وظيفتهم
بان يكتب لهم ما قدرته في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه

ان

ان يحدث في تلك الليلة لان الله تعالى قد رالمقادير قبل ان يخلق السموات
والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوف المقادير الى
المواقيت وتشهد الملايكة المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم
قدرها وشرفها عن الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير اي منزلة
وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله
لكونه مقبلا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملايكة فيها

فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماني وقتها فقال بعضهم
انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله
صلى الله عليه وسلم حين تلاحا الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر
فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن
قال بهذا القول لان اخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم
قال في اخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة
والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها وعامة
الصحابة والعلما من بعدهم على انها باقية الى يوم القيمة روي عن
عبد الله بن هبحنس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان
ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت في شهر رمضان
استقبله قال نعم ومن قال ببقايها ووجودها اختلفوا في محلها
فقيل هي مستقلة تكون في سنة في ليلة القدر وفي سنة اخرى
في ليلة هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها
المختلفة وقال مالك والثوري واحمد واسحاق وابو ثور انها تنتقل
في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل
انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولا تفارقها
على هذا هي في ليلة الكد من السنة كلها وهو قول ابن مسعود

انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما علم انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي في اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي التي كانت صبيحتها وقعت بدر يحكي هذا عن زيد ابن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاول من رمضان ذكر الاحاديث الواردة في ذلك فمن عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارايت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان ذهب الشافعي الى انها ليلة احدي وعشرين ق عن ابي هريرة ان سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين قلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فاليرجع الى معتكفه وانا ارايت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السما اخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدي وعشرين وهي الليلة يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فاليعتكف العشر الاواخر وروي في ليلة القدر اثنين وعشرين حدثنا عن عبد الله ابن انس قال كنت في مجلس لبني سلمة وانا اصغرهم فقال من سيال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احد وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسئلونك عن ليلة القدر

فقال

فقال كم الليلة فقلت اثنان وعشرين فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاث وعشرين اخرجه ابو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي ايضا ح من الصنابحي انه سيل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيا قال اخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله اني بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه بين كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق ببادية اخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارايت ليلة القدر ثم انسيتها وارايتني اسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين يحكي ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب م وعن زر بن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل ان عبد الله بن مسعود يقول من اقام السنة اصاب ليلة القدر قال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني والله اني لاعلم اي ليلة هي التي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضا لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين وليلة تحروا ليلة القدر

وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال
ويروي موقوفا عليه ذكر ابي مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة
من رمضان وليلة احد وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه
ابو داود وعن عتبة ابن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر
عند ابي بكر فقال ما لنا لا نلتمسها التي سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع
بقين او في سبع بقين او في ثلاث بقين اواخر الشهر قال وكان ابو بكرة
يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في اخر السنة فاذا دخل العشر
اجتهد اخرجه الترمذي خ عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحا رجلان من المسلمين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا
فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا فالتمسوها في التاسعة والسابعة
والخامسة قوله فتلاحا رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد
رفع عينها او انما اراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها
لم يأمر بالتماسها خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني في العشر في سبع مضين او سبع بقين يعني ليلة القدر
وفي رواية في تاسعة تبقي في سابعة تبقي في خامسة تبقي قال
ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة
احدي وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين
واخر ليلة من رمضان قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه فقاله بالتماسها
في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا واقوي الروايات عندي فيها ليلة
احدي وعشرين قال البغوي وفي الجملة انهم الله هذه الليلة على الامة
ليجتهدوا

568

ليجتهد واني العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما اخفي ساعة
الاجابة في يوم الجمعة واخفي الصلاة الوسطي في الصلوات الخمس واسمه
الاعظم في القران في اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه
في المعاصي ليتنهوا عن جميعها ولخفي قيام الساعة ليجتهد وا في الطاعات
حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة
بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس من صبيحتها بيضا لا شعاع
لها ق عن عائشة قال قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد
في غيره ق عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر
من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف بعده ازواجه ق عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر
من رمضان عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر
ما اقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائي وابن ماجه
قوله عز وجل وما ادراك ما ليلة القدر اي اي شيء يبلغ دراتك قدرها
ويبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشريف الي خبرها
ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر
قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني
اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت
امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه ليلة القدر خير من الف شهر
التي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الي يوم القيمة
وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم اري اعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا

من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى
ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك في الموطا قال المفسرون
معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر
ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله فيها من المنافع
والارزاق وانواع الخير والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل
تنزل الملايكة يعني الي الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وبتين حال المومنين
وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم
يسلموا عليهم ويعتذروا بما قالوه ويقتدون ويستغفرون لهم
لما يرون من تقصير قد يقع في بعضهم والروح يعني جبريل عليه السلام
قال اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كانت ليلة القدر ونزل جبريل في كبكبة من الملايكة يصلون
ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن
الجوزي وقيل ان الروح طايفة من الملايكة لا تراهم الملايكة
الا في تلك الليلة ينزلون من لون من غروب الشمس الي طلوع
الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملايكة تلك الليلة
فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامرهم من كل امر
اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر
الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى سلام اي سلام على اولياء
الله واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملايكة في ليلة القدر
على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الي ان تطلع الفجر
وقيل الملايكة ينزلون فيها كلما لقوا مومنا او مومنة يسلموا
عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ابتدا فقال سلام
هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر
الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر

سلمة

سلمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها اذي اي اثة
ذلك السلام والسلامة تدوم حتى اي الي مطلع الفجر والله اعلم

تفسير سورة لم يكن ثمانى البينة

مدنية قال الجوهري وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات
وثلاث وتسعون كلمة وثلثماية وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصاري
والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك انهم كانوا
صنفين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم اما اليهود
فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصاري فقولهم المسيح
ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون اهل الاوثان الذين
لا ينسبون الي كتاب فذكر الله الصنفين في قوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين عن كفرهم وشركهم
يقال معناه زايلين حتى تاتيهم لفظة مضارع ومعناه الماضي البينة
المحمة الواضحة يعني محمد صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقران فبين لهم
ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الي الايمان فامنوا
وانقذهم الله من الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل
بعثة النبي بالاية فمنهم من امن من الفريقين قال الواحدي يستطرد هذه
الاية اصعب ما في القران نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها كثير من العلما
قال الامام فخر الدين في تفسيره انا لم نخلص كيفية الاشكال فيها وانما
نقول وقت الاشكال ان تقرير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم
حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان الكلمة حتى لانتهاء الغاية وهذه
تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة وهذا يقتضي
ان كفرهم قد زال عند مجي الرسول فحينيذ يحصل بين الايتين تناقض
والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهي الاشكال في ظني قال

والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف
وهو ان الكفار من العربيين اهل الكتاب وعبدة الاوثان الاصنام شيء
كانوا يقولون قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه
من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة
والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى قولهم ما كانوا يقولون
ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي انهم كانوا بعد وقوع اجتماع الكلمة
على الحق والاتفاق على الحق اذ جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق
ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق
الفقير لمن يعظه ليس لمنعك ما انا فيه حتى يرزقني الله الغني
فيرزقه الله الغني فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منعكا عن الفسق
حتى توسر وما تمسك وامك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره
ما كان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب
يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا منفكين
عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور حكاية حالهم وهو قوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبارا عن الواقع والمعنى ان الذي
وقع خلاف ما ادعوا وتأباها ان تقرير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين
عن كفرهم وان جاءتهم البينة على التقرير يزول الاشكال الا ان
تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة وذكر وجوها اخر قال والمختار
هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من الله اي تلك البينة رسول
من الله يتلوا اي يقرؤا الرسول صلى الله عليه وسلم صحفا اي كتبا
يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى
الله عليه وسلم يقرؤه عن قلبه لا عن كتاب مطهرة اي من الباطل والكذب
والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل مطهرة معظمة اي
لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون فيها اي في المصحف كتب اي الايات
المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم قيمة اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج

وقيل

وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على
وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءتهم
البينة يعني جاءهم البينات في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون
انزل اهل الكتاب محمدين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم
حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه فامن
به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر ما امروا به كتبهم فقال تعالى وما امروا
يعني هؤلاء الكفار الا ليعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا في التوراة والانجيل
الا باخلاص العبودية لله تعالى موحدين له مخلصين له الدين الاخلاص
عبارة عن التنقية والتخليص وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب
على من تحصيل الاخلاص في ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذي
يأتي بأحسن الحسنات والواجب لوجوبه والنية الخالصة لو كانت
مقترنة كانت البينة معتبرة فقد دلت الاية على ان كل ما مور به يجب
فلابد وان يكون منويا فلابد من اعتبار النية في جميع المامورات قال
اصحاب الشافعي الوضوء مامور به ودلت هذه الاية على ان كل ما مور به
يجب ان يكون منويا فيجب النية في الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب
وهو ان يأتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا لا يريد بذلك رياء ولا
سمعة ولا غرضا اخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا
النجاة من النار مطلوبا وان كان ولابد من ذلك بل يجعل الصدر عبادة
لمحض المعبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل في معنى
لله الدين ممتزين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضى الله تعالى
بالعبادة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم حنفاء
اي مايلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم
عليه السلام وقيل حنفا اي حجاجا وامتدامه على الصلاة والزكاة لان فيه

صلاة وانفاق مال وقيل حنفا مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف
الذي امن بجميع الانبيا والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يؤمن باشرف
الانبيا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ويقيموا الصلاة اي
المكتوبة في اوقاتها ويوتوا الزكاة اي المفروضة عند محلها وذلك اي الذي
امروا به دين القيمة اي الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف
الدين الى القيمة وهو نعت لاختلاف اللفظين القيمة رد الى الملة وقيل
الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرا ذكرها
اي وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيمة والقائم
واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية
من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه
بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام
هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين ثم ذكر مال الفريقين فقال تعالى ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين فان قلت لم قدم اهل الكتاب
على المشركين قلت لان جناياتهم اعظم في حق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته
فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جناياتهم اعظم
من المشركين فلهذا قدموا عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية
من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيمة واهل
الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا
كان الامر كذلك كان كفرهم احق فلم سوي بين الفريقين في العذاب
قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا وادخلهم اسفل سافلين في الآخرة
ولم يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تخفاوت مراتبهم في العذاب
في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية اي هم شر الخلق

والمعنى

والمعنى انهم لما استحقوا النار بكفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال
بل يتقون خالدين فيها فكانهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية يعني انهم بسبب اعمالهم الصالحة
واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم جزاوهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه
قيل الرضى ينقسم قسمين رضي به ورضي عنه فالرضي به ان يكون
ربا ومدبرا والرضي عنه بما يقضي ويدبر قال السدي اذا كنت لا ترضى
عن الله فكيف تسبيل الرضى عنك وقيل رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما
اعطاهم من الخير والكرامة ذلك اي هذا الخير والرضي عنه لمن خشي ربه
اي لمن خاف ربه في الدنيا واهو عن المعاصي ق عن انس بن مالك قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان الله امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك القرآن
قال الله سماني لك قال نعم قال فذكرت عند رب العالمين قال نعم
قال فذرفت عيناه شرح الحديث اما بكا ابي فانه بكى سرورا
واستصغارا لنفسه من تاهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه المنزلة
الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه
بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم
يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكره
هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقرآن فانها مع وجازتها
جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار
واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه بالقراءة على ابي فهي ان يتعلم
ابي القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم اسلوب الورع المشروع
وقدره بخلاف ما سواه من النعم المستعملة في غير فكانت قراءته على ابي
ليعلم ابي منه لا ليتعلم هو من ابي وقيل انما قرئ على ابي ليتعلم غيره التواضع

والادب وان لايستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية ان يتعلم القران
ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي وبحث على الاخذ عنه وتقديمه
في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم راسا واماما في
القراة وغيرها وكان احد علما الصحابة رضي الله تعالى عنهم والله اعلم

تفسير سورة الزلزلة

مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون كلمة ومايتان وتسعة
واربعون حرفا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا زلزلت تعدل نصف القران وقل هو الله احد تعدل ثلث القران
وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران اخرجه الترمذي وقال الحديث
غريب وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
اذا زلزلت عدلت نصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع
القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القران وقال الحديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا زلزلت الارض زلزالها اي تحركت حركة شديدة واضطربت
وذلك عند قيام الساعة قيل نزلت في شدة صوت اسرافيل حين
ينفخ فيها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها
من جبل وبنيان وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول
الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها لزلزلة
يوم القيمة واخرجت الارض اثقالها قال اثقالها كنوزها وما في
بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا
القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة
فيجي القاتل فيقول في هذا قتلت ويجي القاطع فيقول في هذا قطعت
رحمي ويجي السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون
منه شيئ اخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة

المستطيل

المستطيلة ستة ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها الان الكبد مستور
في الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب ما يشوى عند العرب من
الجزور واستعار الفي للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم
القيمة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان
في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وفيه
سمي الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم احيا وامواتا وقال
الانسان مالها اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولعظمت
ما في بطنها وفي الانسان وجهان احدهما انه اسم جنس يعم المومن
والكافر وهذا قول على من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى
انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فسئيل بعضهم
بعضا عن ذلك والثاني انه اسم الكافر خاصة وهذا على قول من جعلها
زلزلة القيمة لان المومن عارف بها والكافر جاحد لها فاذا وقعت
سيل عنها وقيل مجاز الاية يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان
مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل عليها وعلى ظهرها من خير وشر
فتشكر على الطايع وتشهد عليه وتشكو العاصي وتشهد عليه عن
ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية
يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله
اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على عبد وامة بما عمل على ظهرها
تقول عمل يوم كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح بان ربك اوحى لها بالكلام واذن لها تخبر بما عمل عليها
قال ابن عباس اوحى اليها وقيل ان الله تعالى خلق في كل الارض الحياة
والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها الله به وهذا مذهب اهل السنة
قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي عن موقف الحساب
بعد العرض اشتاتا اي متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ
ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم

وقيل معناه ليروا صحايف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة وقيل هي ما التصق بالتراب
من اليد خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس ليس
مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا راه يوم القيمة فاما المومن فيري
حسناته وسياته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره من كافر يري ثوابه في الدنيا في نفسه وولده واهله وماله حتى
يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
من مومن يري عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده واهله
حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الاية في رجلين
وذلك انهما نزلا ويطعمون الطعام على حبه وكان احدهما ياتيه السايل
بشي يوجر عليه انما يوجر على ما يعطي ويخبأ خبيه وكان الاخر يتهاون
بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة والنميمة واشباه ذلك ويقول
انما وعد الله النار على الكباير وليس هذا ثم فانزل الله هذه الاية
يرغبهم في القليل من الخير يعطوه فانه يوشك ان يكثر واويحذرهم
على اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر والاثم الصغير في
عين صاحبه فانه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيمة قال ابن
مسعود احكم اية في القران فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية الجامعة الفاذة حتى سيل عن ركوة الحمير فقال دا انزل
فيها شي الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب
وعايشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة تلت
انما كان عن فيهما تعليم الغير ولا نهما من كرماء الصحابة رضي الله عنهم
وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما
بلغ اخرها قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله تعالى اعلم

تمت ارادة

573

مراده واسراركتابه تفسير سورة والعاديات

مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي احدى عشر
اية واربعون كلمة ومايتان وثلاثة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والعاديات ضبحا فيه قولان احدهما انها الابل في الحج والعلي
كرم الله وجهه هي الابل تغدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى
منا قال كان اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير
وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون
معنى ضبحها زهو حمد اعناقها في السير واصله من حركة النار في
العود فالموريات قدحا يعني اخفاف الابل تري بالحجارة من شدة عدوها
فيضرب الحجر حجرا اخر فيروي النار وقيل هي الخيل تجمع فالغيرات
صبحا يعني الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يدفع
حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير
فاثرن به نقعا اي هيجن بمكان سيرها غبارا فوسطن به جمعا اي وسطن
بالنقع جمعا وهو من دلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم
بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة ويقوضه بابل الحج التي غلب فيه وفيه
تضرع ممن حج العقدة عليه قال الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب
موصوف بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس
وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والصبح صوت احوافها اذا عدت
قال ابن عباس وليس شي من الحيوانات اذا قبر حالها من تعب او فزع ومن
قول العرب صبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا انها تورى
النار بحوافرها اذا سارت والمجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب وبنار الحد
بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغدو في سبيل الله ثم تاوي
بالليل فيرون اصحابها انها دلت وتصنع طعامهم وقيل هو مكر الرجال
في الحرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكن بصاحبه اما والله لاقدحن لك

وة

ثم اورين لكن فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح
لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان
تعقعا اي غبارا فوسطن به جمعا اي دخلن به اي بذلك النقع وهو الغبار
وقيل صوتا بعد وهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في
تفسير هذه الايات اولى بالصحة واثبت بالمعنى لان الصبح من صفة الخيل
وكذا اثارة النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا ولما اقسم الله تعالى بالخيل الغزاة لما فيها
من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل
رباطها في سبيل الله ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى
ان الانسان لربه لكنود لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكفور
والكنود الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي
يعد المصايب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير ما خوذ من الارض
الكنود التي انبتته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة
من الاساءة وانه على ذلك لشهيد قال اكثر المفسرين وان الله على كونه
كنود الشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد
على نفسه بما صنع وانه يعني الانسان لحب الخير اي المال الشديد
اي لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب
المال وايثار الدنيا لقوي شديد افلا يعلم يعني الانسان اذا بعثر اي اثير
واخرج ما في القبور يعني من الموتى وحصل ما في الصدور اي ميز
وابرز ما فيها من خير او شر ان ربهم بهم الجامع الكناية لان الانسان اسم
جنس يومئذ لخبير اي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره
والمعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما اخص اعمال القلوب
بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال
القلوب وانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت اعمال الجوارح
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير

تفسير سورة القارعة

مكية وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة وماية وانتان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قول عز وجل القارعة اصل
القرع الصوت الشديد ومنه قواعد الدهر اي شدايده والقارعة
من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدايد وقيل
سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلايق
من شدة صوت نفخته ما القارعة تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القارعة
في الهول والشدة وما ادراك ما القارعة معناه لا علم لك بكنهها لانها
في الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد وكيف ما قدرت امرها فهي اعظم
من ذلك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث الفراش هذه الطير التي
تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق
عند البعث الفراش اذا انتشر لم يتجه لجهة واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى
يدل بها التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعون فيذهب كل واحد
الى غير جهة الاخرى والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال
كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كفرخ الجراد
يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم
في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول وتكون الجبال كالعهن
المنفوش وذلك انه تتفرق اجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف
المتطاير عند النفش وانما خص بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى
نبه على ان تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة
حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند
سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيمة قسم الخلق على قسمين
فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه يعني رجحت موازين حسناته
قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى
وقيل هو جمع ميزان وهو الذي للانسان وكفتان توزن فيه الاعمال

فيوتى بحسنات المومن في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان
رجحت فالجنة له ويوتى بسيات الكافر في اقبح صورة فتخف في ميزانه
فيدخل النار وقيل انما يوزن اعمال المومنين لمن ثقلت موازينه حسناته
على سياته دخل الجنة ومن ثقلت سياته على حسناته دخل النار فيقتص
منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه بكرمه فيدخل
الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته واما الكافرين فقد قال في حقهم
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا روي عن ابي بكر الصديق انه قال وانما
ثقلت موازينه من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في دار
الدنيا وثقله عليهم وحق الميزان ان لا يوضع فيه الحق غدا الا يكون ثقيلا
وانما خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته
عليهم وحق الميزان ان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى
فهو في عيشة راضية اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات
رضا برضاها صاحبها واما من خفت موازينه اي رجحت سياته عن
حسناته فامه هاوية اي مسكنه النار سميت المسكن اما لان الاصل
في السكين الامهات وقيل هماه فام راسه هاوية في النار والهاوية
اسم من اسماء النار وهي المهواة التي يدرك قعرها فتهوي فيها على
روسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد قيل هوت امه اي
هلكت حوفا وثقلا واما ادراك ما هيه يعني الهاوية ثم فسرها فقال
نار حامية اي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه
وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التكاثر

مكية وهي ثمان ايات وثمانون وعشرون كلمة ومايه وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الهاكم التكاثر
اي اشغلكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمنافسة
عن طاعة ربكم وما يجيكم فمن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشيء اعرض

عن

عن غيره فينبغي للمومن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم
وهما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعراف والاقربا
تفاخر باحسن المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال
بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان
المكاثرة والمفاخرة بالمال مذموم روي عن مطرف بن عبد الله ابن
الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقرا هذه الاية الهاكم التكاثر فقال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك
من مالك الا ما تصدقت فابقيت وما اكلت فافنيت وما لبست فابليت
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ح عن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان
ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى
عمله حتى زرتم المقابر اي حتى متم ودفنتم في المقابر مقال لمن مات زار
قبره وزار رمسه فيكون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم
عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك فتل نزلت هذه الاية في اليهود
قالوا نحن اكثر من بني فلان وبني فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى
ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو اعبد مناف
وبنو اسهم بن عمرو فكان بينهم تفاخر فتفاد السيادة والاشراف ايهم
اكثر فقال بنو اعبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزا واعظم نفرا واكثر
عددا وقال بنو اسهم مثل ذلك فكثرهم بنو اعبد مناف ثم قالوا نعد موتانا
فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا
قبر فلان فكثرهم بنو اسهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا
فانزل الله هذه الاية وهذا القول اشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى
زرتم المقابر يدل على امر مضى وكانه تعالى يعجبهم من انفسهم مجيبا
لهم اكثر منهم عددا فما ذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال كلا اي ليس
الامر كما يتوهمه هولاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا سوف تعلمون

وعيد لهم ثم كلا سوف تعلمون كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول كان يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء كلا لو تعلمون علم اليقين اي علما يقينا وجواب لو محذوف المعني لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت لترون الجحيم اللام تدل على ان جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد واما ما اوعد به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى لتكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت ثم لترونها يعني مشاهدة عين اليقين وقيل انما كرره للوعيد ثم لتسالن يومئذ عن النعيم كفار مكة في الدنيا في الخبز والتمرة فيسئلون يوم القيامة من شكر كما نوافيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث جحدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فيسئلهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمؤمن يسأل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال لي حقه تذكيرا بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله اي نعيم نسأل عنه وانما هي الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسئل العبد عنه فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسالن يومئذ عن النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وليلة فاذا هو بابي بكر فقال ما اخرجكما من بيوتكما

هذه

هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده الاخرجني الذي اخرجكما فقوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق فشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذي باطول من هذا وفيه طل بارد ورطب طيب وبارد وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسئل الله العبد يوم القيمة فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال ج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسئل العبد عنه هو القدر الزايد على ما يحتاج اليه فانه لابد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تحقيق الشرايع وتيسير القران وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسئل عما انزل به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم انقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامنكم به عليكم والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة العصر

مكية قال ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشر كلمة وثمان وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعصر قال ابن عباس هو الدهر وقيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجايب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم يضيفون النوايب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الذي هو المؤثر فيما حصل من النوايب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل

تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران
فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل اراد بالعصر
آخر طرفي النهار واقسم بالعشي كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر
اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قوله بدليل قوله تعالى حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر والذي هو في مصحف
عايشة رضي الله تعالى عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر
وفي الصحيحين شغلونا عن صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته
صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بالمكان كما في قوله لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد بنه لذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب
القسم قوله تعالى ان الانسان اي الجنس لفي خسر اي لفي خسران ونقصان قيل بالانسان
جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في ايدي الناس اي الدراهم وذلك
لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك
لان كل ساعة تمر في عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة في طاعة او معصية
فان كانت في معصية فهو الخسران المبين وان كانت في طاعة فلعل غيرها
افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييع وخسران
فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران وقيل الانسان السعادة الانسان
في طلب الاخرة وحبها واعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب
الاخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان
اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار
وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر
بدليل انه استثنى المومنين فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى
فهو في صلاح وخير وما كان في ضده فهو في خسر وفساد وهلاك
وتواصوا بالحق اي اوصى بعض المومنين بعضا بالحق يعني بالقرآن والعمل

والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد وتواصوا بالصبر اي على اداء الفرايض
واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد الانسان اذا مر في الدنيا وهو لفي نقص
وتراجع الا الذين امنوا فانه يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها
في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الهمزة

مكية وهي تسع ايات وثلثون كلمة وماية وثلثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ويل اي قبح وقيل هو اسم واد في جهنم لكل همزة لمزة
قال ابن عباس المشاون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرا العيب
وقيل معناهما واحد وهو العتاب والمغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر
اذا لقيتك عن كره تكاشرني ٭ وان تغيبت كنت الهامز اللمزة وقيل
بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يصيبك في الغيب واللمز الذي
يصيبك في الوجه وقيل هو على صنده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس
بيده ويضربهم واللمز الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي
يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل اللمز الذي يودي بسوا اللفظ والهمز
الذي يوقط بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان
على الناس واللمزة الطاعن في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع
الى الاصل الواحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمزة الكسر من اعراض
الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس بافعالهم
وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم وهما لغتان للمفاعل نحو سخرة وضحكة
كالذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل
نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم
وقال محمد بن اسحاق مالنا سمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف
الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم
من ورايه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وايل السهمي

والغض على الشيء بالطعن وانما ذهنه هنا الكسر

وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كاين ما كان وذلك لان خصوص
السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين
قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص
العام بقرينة العرف الادبي ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه
فقال تعالى الذي جمع مالا وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب
والعلة في الهمز واللمز يعني وهو باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس
ويسخر منهم وان ما ذكرما الا ان بالنسبة الى مال هو اكثر منه كالشيء الحقير وان
كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشيء الحقير وعدده
اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده وجعله ذخيرة
وغناه يحسب ان ماله اخلده اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت ليساره
وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت
ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد
في الدنيا ولا يموت كلا رد عليهم اي لا يخلدنه ماله بل يخلد ذكره العلم والعمل
الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر
وقيل معناه لينبذن واللام في لينبذن جواب القسم وذل ذلك
على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن في الحطمة
اي في النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة
الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها
الهمزة اللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءه الحطمة
التي تاكل اللحوم وتكسر العظام وما ادراك ما الحطمة اي نار لا كسائر
النيران نار الله اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها الموقدة
اي لا تخمد ابدا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي
وقال ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح التي تطلع على الافئدة

المها

المها وجمعها على القلوب والمعنى انها تاكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما
خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شيء في بدن الانسان وانما يتالم بادنى شيء
فكيف اذا اطلعت عليه واستولت به ثم ان مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق
لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن
الكفر والعقايد والنيات الفاسدة انها عليهم موصدة اي منطبقة
مغلقة في عمد ممددة قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمنعت عليهم بها وقيل في اعناقهم
السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون
بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى
انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الاوتاد عليهم
ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليها حمها وحرها كما ينغلق
عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممدودة من صفة العمل اي مطولة فتكون
ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله تعالى اعلم بمراده واسراره

سورة الفيل

مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وست وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض
اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي
ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل
من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارياط في امر
الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طايفة مع ارياط وطايفة مع
ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب
على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون
ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فبنى كنيسة بصنعا وكتب الى النجاشي
اني قد بنيت لك بصنعا كنيسة لم ير لملك مثلها ولست منتهيا حتى

اصرف اليها حج العرب فسمع به ملك بن كنانة فخرج اليها فدخل اليها ليلا فتغوط
فيها فعقد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترى علي
فعل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت فسمع بالذي قلت
فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم ليهدمها فكتب الى النجاشي
يخبره بذلك وسيله ان يبعث اليه بفيله وكان لم فيل لا يقال لم محمودا وكان
فيلا لم يرمثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة
سائرا الى مكة وخرج معه الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه وراو
جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو انفر فقال
له يا ايها الملك استبقني فان تقاي خيرلك من قتلي فاستحياه واوثقه
وكان ابرهة رجلا حليما فسار حتى اذا دنى من بلاد خثعم خرج اليه نفيل
ابن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبايل اليمن فقاتلوهم
فهزمهم واخذ نفيلا فقال لهم نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب
وهاتان يدي علي قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله
حتى اذا خرج بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف
فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما نريد البيت
الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال
مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم
قبره وبعث ابرهة رجل من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على
مقدمته جبله واسره بالغارة على نعم الناس فخرج الاسود اليها اموال
اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مايتي بعير ثم ان ابرهة ارسل حنطلة
الحميري الى اهل مكة وقال له سل عن سيدها وشريفها ثم ابلغه ما ارسلك به
اليه اخبره اني لم ات لقتال انما جيت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى
دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هشام فقال ان الملك ارسلني اليك
لاخبرك اني لم ات لقتال الا ان تقاتلوه انما جا لهدم هذا البيت

ثم

ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا فقال ولا لنا بد ان تخلى بينه
وبين ما جاله فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه السلام
فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخلى بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به
قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلما انه اردف على بغلة
كان عليها وركب معه بعض بيته حتى قدم العسكر وكان ذو انفر صديقا
لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا انفر هل عندك من غنا فيما نزل بنا فقال
ما غنا رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة وعشية ولكن سانبعث الى انيس
سايس الفيل فانه لي صديق فاسئله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع
من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه
فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل
والوحوش في رؤس الجبال وقد اصاب الملك لمايتي بعير فان
استطعت ان تنفعه عنده فافعل فانه صديق الي احب ما وصل اليه
من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش
وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس
الجبال بستاذن اليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك فقد جاء زائرا لك
ولا نخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما
فلما راه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس
تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه
قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال لترجمانه
حاجتي الى الملك ان يرد علي مايتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه
قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت الان فيك قال لم
قال جيت الى بيت هو دينك ودين ابايك ودعوتكم فيه وعصمتكم لاهدمه
لم تكلمني فيه وتكلمني في مايتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب
هذا الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال
فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل الى عبد المطلب

خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس
الجبال خوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة
واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواك ٭ يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ٭ امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لاهم ان العبد يمنع رحله ٭ وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ٭ ومحالهم عدوا محالك
جروا جميع بلادهم ٭ والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ٭ جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكع ٭ بتا فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح
ابرهة بالمهنس وقد تهيا للدخول وهيا جيشه وهيا فيله وكان فيلا
لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت اثني عشر فيلا فاقبل نفيل
الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع رشيدا
فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه
فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومراقنه فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه
راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى قدامه ففعل مثل ذلك
ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك
وابى ان يقوم وخرج نفيل حتى صعد الجبل وارسل الرعز وجل طيرا
من البحر امثال الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجر
في رجليه وحجرين منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشيت
القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل
القوم وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاوا منه
ويتسالون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن

يشتد ٭

ونفيل

ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

الا ردي ركاينا ريغا ٭ نعما نكم على البحران عينا
فانك لن رايت ولن ترينه ٭ لدي حيس المخصب عارينا
حمد الله اذ ابصرت طيرا ٭ وخصب حجارة تلقي علينا
وكلهم بيسيل عن نفيل ٭ كان على الحمساد دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون
في كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل يتساقط انامله
كلما سقطت انملة اتبعتها مدة من قيح فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ
الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك
قال الواقدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجى
والفيل الاخر شجعوا فحصبوا اي رموا بالحصى وقال بعضهم انفلت ابو
يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشي
فقص عليه القصة فلما انتهى وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين
يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية بن الصلت

ان آيات ربنا ساطعات ٭ ما يماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ٭ ظل يعوي كانه معقور

وروي عن عايشة رضي الله عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه
مملوكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الى جرا
اصحاب الفيل ان فيه من قريش اجوانا راحين خرجوا تجارا الى ارض
النجاشي فدنوا من ساحل البحر ونزلوا بيعة للنصارى تسمى قريش البيكلا
فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف
فهاجت الريح فاضطرم البيكلا نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف
غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه ان كان ابو مسعود
الستفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتو بمكة وكان
رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال

له عبد المطلب ما ذا عندك فهذا يوم لا يستغني اليوم عن رايك فقال
ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فقلدها نعلا ولجمها
ثم ابتثها في الحرم فلعل بعض السواد يعقر منها شيا فيغضب
رب هذا البيت فيا خذهم فعمل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك
الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال
ابو مسعود ان لهذا البيت رب يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن هذا
البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما
راي تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر
نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال اري طيرا بيضا نشات من شاطي
البحر فقال ارمقها ببصرك اين فرازها قال اراها قد دارت على روسنا
ثم قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا
عربية ولا شامية قال ما فذرها قال اشباه البغاث سيب بعضها
بعضا امام كل رفقة طير بقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق
فجاءت حتى حاذت عسكر القوم ركدت فوق روسهم فلما توافت الرجال
كلهم اهالت الطير في منا قيرها من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه
ثم الها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما اصبحنا انحطا من ذروة الجبل
نمشيا حتى صعبد اربعة فلم يونسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا
مات القوم سامدين فاصبحوا اثيا ما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم
خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فتخرقها حتى تقع في دماغه
وتحرق الفيل والدابة فيغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد
عبد المطلب فاخذ فاسا من فوسهم فحفر حتى عمق في الارض فملاه
من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابي مسعو
هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما
لك معا قال ابو مسعود فاختر لي على نفسك فقال عبد المطلب
اني لم ار اي اجعل اجود المتاع في حفرتي فهو لك وجلس كل واحد منهما

على حفرته

على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا واصابوا من فضلها حتى
ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد
المطلب وابو مسعود في اهليهما في غنا من ذلك المال ودفع الله عز وجل
عن كعبته واختلفوا في تاريخ الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى
الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذي
عليه الاكثرون من علما السير والتواريخ واهل التفسير انه كان في العام
الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل
وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله عز وجل
الم تر الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل
فالان التعلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا
بملة واذا كان فكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال
تعالى له الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل
كانوا فيلة ثمانية عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان
يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الامي لمن قصة اصحاب الفيل دلالة
عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اويستحيل في العقل ان طيرا
اتا في من قبل البحر تحمل حجارة ترمي بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة
عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله
تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي
الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا
كفار الاكتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك
نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال انا الذي فعلت ما فعلت
باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدرك وتركك بعد ظهور امرك
الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في تضليل اي
تضييع وخسار وابطال ما اراد وا فاضل كيدهم فلم يصلوا الى ما اراد وا
من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا

وهو قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا
وقيل ابابيل جماعات في تفرقة بيل لا واحد لها من لفظه وقيل واحدها
ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم
كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل
لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت
من قبل البحر فواجا فواجا مع كل طير ثلاثة احجار حجر في رجليه وحجر
في منقاره لا يصيب شيا الا هشمه ووجه الجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف
اجناس هذا الطير انه كان في هذه كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها
على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه صفاتها والله اعلم قوله عز وجل
ترميهم بحجارة قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله
ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من
الجانب الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره من سجيل قيل السجيل
اسم على الديوان التي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الارسال وهو
الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما
كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر
وقيل سجيل حجر وطين فاختلط واصله سنك بسنك وكيل كيل فارسي معرب
وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف ماكول يعني كزرع وتبن اكلته
الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاوه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها
بتفريق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وقيل كالحب اذا اكل
فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب
الحنطة كهيئة الغلاف والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة قريش

مكية وقيل مدنية والاول اصح وآكثر وهي اربع اايات وسبع عشرة كلمة وثلاث
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك

ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال
فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهل اصحاب الفيل لتبقى قريش
وما الفوا من رحلة الشتا والصيف ولهذا جعل ابي بن كعب هذه السورة
وسورة الفيل واحدة فلم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم
والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور
ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب
عن مذهب ابي بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التي قبلها
سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا
ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم
على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة
الجالبة اللام في قوله تعالى لايلاف قريش قيل هي لام التعجب اي اعجبوا
لايلاف قريش رحلة الشتا والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت
ثم امرهم بعبادته فهو كقولك على وجه التعجب لزيد واكرمنا اياه اي
اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا
البيت لايلافهم رحلة الشتا والصيف اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه
النعمة والايلاف من الف الشيء الفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى
لائتلاف قريش هذين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من
الفت كذا اي لزمته والفته اذا الزمته الله وقريش وهم ولد
النضر بن كنانة فكل من ولده فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي
هـ عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم هـ عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش
في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد ابن زيد

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فاذق اخرهم نوالا
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب
والمشقة والنوال العطا والخير وسمي قريشا من القرش والتقرش
وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله وتقترش لهم اي يكتسب
وذلك لان قريشا كانوا تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال
ابو ريحانة سيل معاوية عبد الله ابن عباس لم سميت قريشا قريشا
قال لدابة تكون في البحر هي من اعظم دوابه يقال لها القرش لم تمر بشيء
من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتقلو ولا تقلى قال
وهل تقرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم واستشهد سعد الجمحي بقول

وقريش هي التي تسكن البحـ ، بها سميت قريشا قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـ ، ـر على سائر البحور جيوشا
تاكل الغث والسمين ولا ، تترك فيه لذي الخباثة عيشا
هكذا في الكتاب حي قريش ، ياكلون البلاد اكلا كشيشا
ولهم اخر الزمان نبي ، يكثر القتل فيهم والخموشا
يملا الارض خيله ورجالا ، يحشرون المطي حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب
وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش
الجمع يقال تقرش القوم اذا اجتمعوا وسمي قريشا مجمعا لذلك قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا ، به جمع الله القبايل من فهر

وقوله تعالى ايلافهم هو بدل من الاول تخصيصا لامر الايلاف وتذكيرا
لعظم المنة فيه رحلة الشتا والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون
بمكة ويصيفون بالطايف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا
رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة

في

في الشتا الى اليمن لانها ادنى ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم
واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجاراتهم ورحلتهم
وكانوا لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله
وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن
لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التفرق فشق
عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت بالة وحرش من بلاد اليمن
فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى
مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فالقى اهل الساحل الى جدة واهل
البر بالحصب واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فاختار
اهل مكة من قريب وكفاهم الله مونة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس
رضي الله عنهم كانوا في ضر وجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين
فكانوا يقسمون بركتهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال
الكلبي وكان اول من حمل السيرا يعني الفلج الى الشام ورحل اليها الابل
هاشم ابن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندا ، هل لامرت بال عبد مناف
هل لامرت بهم تريد فراهم ، منعول من ضر ومن كفاف
الرائشين وليس يوجد رائش ، والقايلين هم للاصياف
والخائطون غنيمهم بفقيرهم ، حتى يكون فقيرهم كالكاف
والقائلين بكل وعد صادق ، والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم التريد لقومه ، ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت اليهما رحلة ولقومه ، سفر الشتا ورحلة الاصياف

وقوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام
على قسمين احدهما دفع ضرر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني
جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولولا دفع عنهم الضرر

واجب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل
الله تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت
فانه هو الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف ومعنى الذي اطعمهم
من جوع اي من بعد جوع يحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل
في الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم
اجعلها سنينا كسنين يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع
والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مومنون فدعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد
فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف اي بالحرم
وكونهم من اهل مكة لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل امنهم من الخوف
الجذام فلا يصيبهم ببلادهم الجذام وقيل امنهم لمحمد صلى الله
عليه وسلم وبالاسلام والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة ارايت الذي

مكية وقيل نزل بعضها بمكة في العاصي بن وايل والنصف الثاني
بالمدينة في ابي ابن السلول المنافق وهي سبع ايات وخمس وعشرون
كلمة ومايتان وخمس وعشرين حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين قيل نزلت في العاصي
ابن وايل السهمي وقيل في الوليد ابن المغيرة وقيل في عمرو بن عايذ
المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين
ومعنى الاية هل عرفت الذي يكذب يوم الجزاء والحساب فان لم
يعرفه فذلك الذي يدع اليتيم ولفظ ارايت استفهام والمراد به
المبالغة في التعجب في حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت ايها
الانسان او ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله
ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره

ويدفعه

ويدفعه عن حقه والداع الدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله
بالظلم وقيل بترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه
ويستحقه به وقري ويدع بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة
ولا يحض على طعام المسكين اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بالجزا
وهذا غاية البخل اي يبخل بماله ويمال غيره فلا يامر غيره بالاطعام قوله تعالى
فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم
ساهون روي البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن
عباس هم المنافقون يتركون الصلوات اذا غابوا عن الناس ويصلونها
في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال تعالى في
وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس وقيل
ساه عنها لا يبالي صلى او لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا اذا صلوا ولا يخافون
عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين
اذا صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يبتدموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها
لمواقيتها ولا يقيمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم
ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمومن قد يسهو في صلاته
والفرق بين الفريقين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها
والمومن اذا سهى عن صلاته تدارك في الحال وجبره بسجود السهو
فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا
لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا المنافق الذي يعتقد
انه لا فايدة في الصلاة فاما المومن الذي يعتقد فايدة صلواته وانها
عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد
يحصل له سهو في الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة
بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك
لا يكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق

ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في الصلاة من افعال المؤمن
الذين هم يراؤن يعني بترك الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق
بين المنافق والمراي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان
والمراي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل
الدين والصلاح اما من يظهر النفل ليقتدي به ويامن على نفسه
من الريا فلا باس بذلك وليس لمراي ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى
ويمنعون الماعون روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال
هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك
ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم عليه بترك الصلاة ومنع
الزكاة وقال ابن مسعود الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية
عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود
وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة
المفروضة كله الذين يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون
من القلة فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير
وقيل الماعون ما منه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البيت والتنور
في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع به ومعنى الاية الزجر عن البخل
بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال
العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران
فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله اعلم بالصواب
واسرار كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تفسير سورة الكوثر

مكية قال ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة
وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

إنا

انا اعطيناك الكوثر الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وقيل الكوثر القران العظيم وقيل هو النبوة فسره ابن عباس ح عن ابي
بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي
اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون
انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه
الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد
وكثيرا لقدر والخطر كوثرا وقيل في تفسير الكوثر فقد اعطيته النبي
صلى الله عليه وسلم اعطي النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة
والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره
على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى
يوم القيمة واولى الاقاويل في الكوثر والذي عليه جمهور العلماء انه
نهر في الجنة كما جاء بيانه في الحديث ف عن انس قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفا اغفاءة ثم رفع راسه
متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة
فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان
شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم
قال فانه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوضي
ترد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم
فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك لفظ
مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي
الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللولو المجوف فقلت ما هذا
يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر
او طينه شك الراوي عن انس قال سبيل البني صلى الله عليه وسلم
ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر انها

لنا ثمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتنا الغم منها اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من الذهب ومجراه
على الدر واليا قوت تربته اطيب من المسك وماوه احلى من العسل
وابيض من الثلج اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن
عامر بن عبد الله بن مسعود قال سالت عايشة عن قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم
شاطياه در مجوف انيته كعدد نجوم السماء عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر ماوه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم
السماء من شرب منها لا يظما ابدا زاد في رواية وزواياه سواء
عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم امامكم حوضي
ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام
بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفي رواية فيه اباريق كنجوم السماء من ورده
شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صفا والمدينة
وفي رواية مثل ما بين المدينة اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم
السماء ر عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ليعقر حوضي
اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسيل
فسيل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسيل عن شرابه فقال
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه
من الجنة احدهما من ذهب والاخر من ورق ق عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن
الي رجال منكم حتى اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول
اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي يوم القيمة رهط اني من
اصحابي او قال من امتي عن الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تعلم
لك ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري فلسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي امتي الحوض وانا اذود
عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال
نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم ترد ون علي غرا محجلين من اثار الوضوء
وليصدن عني طايفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب هولاء من اصحابي
فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن
رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض م عن حذيفة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايله
الي عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال
نعم ترد ون علي غرا محجلين من اثار الوضوء ليست لاحد غيركم
عن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من ماية الف جزء ممن يرد علي الحوض
قيل كم كنتم يومئذ قال سبعماية او ثمانماية اخرجه ابو داود وه

فصل في شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض
قال الشيخ محيي الدين النواوي قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة
والايمان بها فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند
اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل
رواه خلايق من الصحابة فذكر مسلم من رواية ابن عمر وابي سعيد
وسعد بن سهل وجندب بن عبد الله بن عمرو وعايشة وام سلمة
وعقبة ابن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد
وابي ذر وثوبان وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق

وزيد ابن ارقم وابي امامة وعبد الله بن زيد وسويد بن غفلة وعبد الله
الصنابحي والبراء بن عازب واسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهم
وحوله بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم
ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعايد
ابن عمرو واحزن وذكر جميع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي
في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة قلت فقد اتفقا
على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة
على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد كل واحد
منهم واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسما بنت ابي بكر الصديق وذكرها
القاضي عياض فيمن خرج له من الصحيحين قال القاضي عياض
وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا واما صفة الحوض
ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين
جنبيه كما بين ايلة وجرباء واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعا اليمن وفي رواية
عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية انا حوضي لابعد
من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض
ليس موجبا للاضطراب فيها لانها ليست في حديث واحد بل احاديث
مختلفة الرواية عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى
الله عليه وسلم في مواطن مختلفة صرح بها النبي صلى الله عليه وسلم
مثاله لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على ان افهام السامعين
لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد
بل لاعلام السامعين عظيم المسافة وسعة الحوض وليس
في ذلك القليل من هذه المسافة صنع من الكثير فان الكثير ثابت
على ظاهره وصحة الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة
ولا منافاة بينهما وكذلك القول في اناء الحوض ان العدد المذكور
في الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء والاناع

لمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وذلك
القول في الواردين ابي الحوض الشاربين منهم وكثرتهم وقوله صلى الله عليه
وسلم ما انتم الا جزء ممن ماية الف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر
بهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لاكثر العدد والمعروف للسامعين
ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب فهذا صريح في ان
جميع الواردين يشربون وانما منع منه الذين يذادون ويمنعون
الورود لارتدادهم ونبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج
العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك
وفي رواية ليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم
اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا
بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة
وهذا مما اختلف العلماء في معناه والمراد به من هم فقيل المراد بهم
المنافقين والمرتدين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيختص
انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم
فيناديهم فيقال لهم هؤلاء ممن وعدتهم انهم قد بدلوا بعدك
اي لم يكونوا على ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلم ثم ارتد وابعد
في زمن ابي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة
الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرف من ايمانهم
في حياته فيقال له قد ارتدوا وابعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع
التي لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين
ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى
هذا القول لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز
ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير
عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج
والروافض وسائر اصحاب الاهواء فهم المطرودين عن الحوض

قال وكذلك الظلمة المتردون في الجور وغمط الحق والمعلنون بالكبائر
فكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث فوله من شرب منه
لم يظمأ ابدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث الشرب منه يكون
بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة
وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمإ بل يكون عذابه بغير ذلك
لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا
وقيل ان جميع المومنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شاء
من عصاتهم وقيل انما يوخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب
من الحوض مثله شرح غريب الفاظ الاحاديث
قوله فيجلج العبد منهم اي يتنزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كجربا
واذرح واماجربا فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة
ووقع عند بعد رواية البخاري فيها المد والقصر وهي قرية بالشام
واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء مهملة ثم حاء مهملة وهي مدينة
في طرف الشام قريبة من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد
الميم بليدة بالبلقاء من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان
الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على
ساحل البحر متوسطة بين دمشق الشام ومصر وبينها وبين
المدينة نحو خمسة عشر مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى
دمشق اثنى عشر مرحلة وهي اخر الحجاز واول الشام واما صنعا
فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في الحديث لان
بدمشق موضع يعرف بصنعا دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف
هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب منه ميزابان
وهو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين اي يسيل
فيه وفي الحديث الاخر يغث بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها
وتشديد الثاء المثناة فوق اي يدفق منه ميزابان تدفقا شديدا

متتابعا

متتابعا قوله اني لبعقر حوضي وهو بضم العين المهملة واسكان القاف
وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر
الحوض قوله اذود الناس اي اضرب الناس لاهل اليمن بعصاي
حتى ترفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن وضعني يرفض
اي يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض
الفرط بفتح الفاء والراء هو الذي يتقدم على الوارد ليصلح لهم الحياض
والدلا ونحوها من آلة الاستقاء والمعنى انا سابقكم على الحوض كالمهيي
له قوله فاقول سحقا اي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا
يقال لاهل الحوض سحقا بل يشفع قلت في حديث انس الاول
دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفا اغفاة يعني نام نومة
ثم رفع راسه متبسما والله اعلم قوله تعالى فصل لربك وانحر
معناه انا سائر الناس كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يصلي لربه وينحر له متقربا الى ربه بذلك
وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك
وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال
ابن عباس فصل لربك وانحر اي ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة
عند التحرم وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي
ومعنى الاية قد اعطيتك ما لا نهاية للكثرة من خير الدارين وخصصتك
بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذي اعطاك هذا العطا الجزيل
والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم
فصل له واشكره على الخاصة عليك وانحر البدن متقربا اليه ان شانئك
يعني عدوك ومبغضك هو الابتر يعني هو الاذل الاقل المنقطع
دابره نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه راى النبي صلى
الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني

سهم وتحدثوا وانا من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل
العاص قالوا له ما الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر يعني
به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي بن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وايل كان اذا ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له
فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس
نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم
كعب ابن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة
وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه
فقال انتم خير منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك
هو الابتر اي المنقطع من كل خير قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم
هذا الصنبور اراد وا به فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه
بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة
التي تخرج في اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت
من جذع النخلة تضربها وهو اها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد
كفار مكة ان كفار محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنوبر تنبت في جذع
نخل واذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمدا اذا مات انقطع ذكره
وقيل الصنوبر الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة
ولا ناصر من قريب ولا بعيد فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم
اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد
وانت الاعز الاشرف الاعظم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون

مكية وهي ست ايات وست وعشرون كلمة واربع وتسعون
حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مكة ان

من

من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون
عدلت له ربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له ثلث القران
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه
وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القران
ان القران مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق
بجمل القلوب والى ما يتعلق بجمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام
وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من
الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القران
على هذا التقسيم والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة نزلت في رهط
من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وايل والوليد
ابن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد
وامية بن خلف قالوا يا محمد هل واتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك
في ديننا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان
الذي جئت به خيرا كنا شركناك فيه واخذنا حظنا منه فان كان
بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم
بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يابى من ربي فانزل
الله قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملا من قريش فقام على رؤسهم
ثم قرا حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه
وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم
بعض الهتنا لصدقناه فيما يقول ولامنا بالهه فاتاه العباس فاخبره
بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزئين
ومنهم يومن منهم ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا

590

تبليغ الرسالة بجميع ما اوحي اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون
اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام
فكانه صلى الله عليه وسلم قال امرت بجميع ما انزل الله علي وكان
فيما انزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تابى سماع الكلام
الغليظ الشنيع من النظرين ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر
فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله
عز وجل وقد انزل الله قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله يا ايها
الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يومنون
لا اعبد ما تعبدون في معنى الاية قولان احدهما انه لا تكرار فيهما
فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل في المستقبل ما تطلبونه
مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون
في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم
اي ولست في الحال بعابد لمعبودكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا
انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال
والثاني الاستقبال وقيل يصلح كل واحد ان يكون للحال والاستقبال
ولكن يخص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه اخبرا ولا عن الحال
ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون في الحال
ولا انتم عابدون ما اعبد في الحال ولا انا عابد ما عبدتم في الاستقبال
ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وما للنفي من اي من تعبدون
ويحتمل ان يكون بمعنى الذي اي الذي تعبدون والقول الثاني
حصول التكرار في الاية فعلى هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد
وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن
ولا موضع احوج الى التوكيد في هذا الموضع لان الكفار راجعوا
النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد
والتكرار في هذا الموضع لان القران نزل بلسان العرب

وعلى

وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما
ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكراره
الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك
ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة
جوابا لهم على قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي اخلاص
وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه
الاية منسوخة باية القتال والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النصر

مدنية وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح
يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية
اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين وقيل عشر سنين
يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد
محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد
قريش وعهدهم دخل فيه فدخل بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر
عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة بقال له الوتير فخرج
نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة
على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا ودرفت قريش
بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا
حتى جاوزوا خزاعة على الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش
على خزاعة ليلتئذ بانفسهم صفوان بن امية وعكرمة
ابن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت
بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الهك فقالت كلمة عظيمة انه لا اله

له اليوم يا بني بكر صبيوا ثاركم فلعمري انكم لتسترقون في الحرم فلا تصبيون
ثاركم قاله فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم
ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العهد والميثاق مما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج
عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالسا
بين ظهراني الناس فقال

يارب اني ناشد محمدا ◦ حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتموا ولدا وكنا والدا ◦ ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا عتدا ◦ وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ◦ ان تم حسبا وجهه تربدا
في فلق كالبحر يجري مزبدا ◦ ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ◦ وجعلوني في كداء رصدا
وزعموا اني لست ادعو احدا ◦ وهم اذل واقل عددا
هم بيتوا بالوتير هجدا ◦ وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا ◦ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عنان من السما فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم
رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة حتى
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب
منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة
وقد كان وفد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس
كانكم بابي سفين قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة وهو
بديل بن ورقا واصحابه حتى لقوا ابا سفين بعسفان قد بعثته
قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد في العقد

ويزيد

في المدة وقد رهبوا ما صنعوا فلما لقي ابو سفين بديلا قال من اين اقبلت
يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت من
خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وما اتيت يا محمد
قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفين لئن جا المدينة لقد علف
منها النوى فقال احلف بالله لقد جا بديل محمدا ثم خرج ابو سفين
حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته
ام حبيبة بنت ابي سفين فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية لقد ارغبت بي عن هذا
الفراش ام رغبت بي عنه فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنيتي بعدي شر ثم خرج حتى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيا ثم ذهب
الى ابي بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم عليه ثم خرج فدخل على علي
ابن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس القوم رحما
واقربهم مني قرابة وقد جيت في حاجة فلا ارجعن كما جيت خايبا اشفع لنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفيان اذا عزم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال
يا بنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس وما يجير احد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن اني الامور قد اشتدت
علي فانصحني قال والله ما اعلم شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم
فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيا قال
والله ما اظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد
فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم

اربي

على قريش قالوا ما وراك قال جيت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيا ثم جيت
ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جيت ابن الخطاب فوجدته اعدا القوم
ثم جيت علي ابن ابي طالب فوجدته اين القوم وقد اشار علي بشي صنعته
فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيا ام لا قالوا وما اذا امرك قال امرني
اذا جبريين الناس ففعلت فقالوا فهل اجازذلك محمدا قال لا قالوا ويلك
وانما ارادغيني اذ لعب بك فما يغني عنك شي ما قلت قال لا والله ما وجدت
غير ذلك قال وامر رسول الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله
ان يجهزوه فدخل ابوبكر رضي الله عنه على ابنته عايشة وهي تصلح
بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بنية امركم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد
قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سايرا
الى مكة وامرهم بالجد والتهيو وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش
حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا
الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
تقدمت قصته في سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسفره واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة ابن
خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة
لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكدية بين عسفان وقد
رج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين
ولم يتخلف من المهاجرين ولا الانصار احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت
الاخبار عن قريش فلم ياتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون
ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي ابوسفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل
ابن ورقا يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به
وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض

الطريق

الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما
بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند راض فلما
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس واصباحاه
قريش والله لين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه
فيتاصلونه انه لهلاك قريش الى اخر الدهر قال فجلست على بغلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضا فخرجت عليها حتى جيت الاراك
لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم مكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيا متنونه قبل ان يدخلها
عليهم عنوة قال العباس فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت
له اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقا وهما يتراجعانه وابوسفيان
يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط قال بديل هذه والله نيران خزاعة
حمشتها الحرب فقال ابوسفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها
قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابوالفضل فقلت
نعم فقال مالك فداك ابي وامي فقلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد جا بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين
قال وما الحيلة قلت والله لين ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه
البغلة حتى ابي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فردفني
ورجع صاحباه فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلما مررت بنيران من نيران المسلمين نظروا قالوا عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر
ابن الخطاب فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز الدابة
قال ابوسفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد
ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة
فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطي فاقتحمت عن البغلة
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال

يارسول الله هذا ابا سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عقد ولا عهد
فدعني فلاضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لا يناجيك
الليلة احد دوني فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا
الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هلا فقال
مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب
لو اسلم وما ذلك الا اني اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فات به قال فذهبت به الى رحلي
فبات عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بابي
انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله
غيره لقد اغنا عني شيا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم
اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك ماهذه
فان في النفس مني الان منها شيا فقال العباس ويحك اسلم واشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة
الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر
فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه
بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فلما ذهبت لينصرف قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه عند خطم الجبل
حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان احبسه قال ومرت القبايل على راياتها كلما مرت قبيلة قال
من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى تقدمت القبايل لا تمر
قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته قال ومالي ولبني فلان حتى مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء انما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد

وظهوره

وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد
فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا
الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال
فنعم اذا قلت الحق فقومك الان فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة
فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل
لكم به فمن دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا قاتلك الله وما
تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن
فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قالوا وجاء حكيم بن حزام وبديل
ابن ورقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما بايعاه
بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعونهم
الى الاسلام ولما خرج بديل بن ورقا وحكيم بن حزام من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم علما بين الى مكة بعث في اثرهما الزبير واعطاه رايته
وامره على خيل المهاجرين والانصار وامر ان يركز رايته على مكة بالحجون
وقال لا تبرح حين امرتك ان تركز رايتي حتى ايتيك ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة
برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله تعالى
حين راى ما اكرمه به من الفتح حتى ان رايته لتكاد تمس واسطة الرحل
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضربت قبته باعلى مكة
وامر خالد ابن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل من اسفل
مكة وبها بنو بكر وقد استنفرهم وبنو الحارث ابن عبد مناف ومن كان من
الاحابيش امر ثم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان ابن امية
وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو قد كانوا جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا
الا من قاتلكما وامر سعيد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس منكدا

فقال سعيد حين توجه داخلا البوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها
رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اسمع ما قال
سعد بن عبادة وما يامن ان يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب ادرکه فخذ الراية فكن انت الذي تدخل
بها فلم يكن باعلى مكة من قتيل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على
قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله تعالى
ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثني عشر رجلا ولم يقتل من
المسلمين الا رجل من جهينة يقال له مسلمة بن الميل من خيل خالد
ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وجبيش بن خالد بن الوليد فشذ اعنه
وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد
الى امرايه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة الا ان يقاتلوا الا من
قاتلهم الا نفرا سماهم امر بقتلهم وان وجد وا تحت استار الكعبة منهم
عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله لانه كان اسلم فارتد مشركا
ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامن له وعبد الله بن خطل
رجل من بني تميم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولا يخدمه وكان مسلما فنزل
منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام واستيقظ
ولم يصنع له شيا فعدي عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان
تغنيان بهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث
ابن نقيذ بن وهب وكان ممن يوذيه بمكة ومقيس بن ضبابة وانما
امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل اخاه خطا ورجوعا الى قريش
مرتدا وسارة لبني عبد المطلب وكانت ممن توذيه بمكة وعكرمة ابن
ابي جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت
الحارث بن هشام فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه

فخرجت

594

فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله
ابن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في
دمه واما مقيس بن ضبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه
واما قينتان بن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استومن
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطاها
رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث
ابن سعيد فقتله علي ابن ابي طالب قالت ام هاني بنت ابي طالب
لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فزعا الى رجلان
من احمائي من بني مخزوم وكانت عنده هبيرة بن ابي وهب المخزومي
قالت فدخل علي علي ابن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت
عليهما بيتي ثم جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة
فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته
تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح فيه ثم صلى ثمان ركعات
الضحى ثم انصرف الي فقال مرحبا واهلا يا ام هاني ما جايك فاخبرته خبر
الرجلين وخبر علي ابن ابي طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت
فلا يقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان الناس
حتى جا البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما
قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة وقد استكف
له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل ماثره او دم او مال يدعى تحت
قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطا شبه
العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة ماية من الابل اربعون منها
في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله تعالى قد اذهب عنكم عبية
الجاهلية وتعظيمها بالاباء الناس من ادم وادم من تراب ثم تلا يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون

هذه الرواية

اني فاعل فيكم قالوا خير اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سمي
اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه
علي ابن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين
الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة
فدعا به فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر واجتمع الناس
للمبيت فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وامر ابن الخطاب
اسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا
فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة ابن الزبير خرج صفوان
ابن امية يريد جدة ليركب البحر منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي
يا رسول الله ان صفوان بن امية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف
بنفسه في البحر فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو امن قال
يا رسول الله اعطني شيئا يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو
يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكر الله في نفسك
ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال
ويلك اعزب عني لا تكلمني قال اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس
واعلم الناس وخير الناس بر عمتك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه
ملكك قال اخاف على نفسي قال هو اعلم من ذاك واكرم فرجع به معه حتى
وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم
انك امنتني قال الصدق قال فاجعلني بذلك بالخيار سيرين قال انت فيه
بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار
فقالوا فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه
وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعايه قال ما ذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله

فلم

فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا
محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من
المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة
ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر
ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا ناف عن ابي
هريرة انه خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله واثنى عليه
وقال ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة
من النهار الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يحل شوكها ولا تحل
ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفدى
واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو شاه قال
الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما التفسير فقوله اذا جاء نصر الله يعني اذا جاء يا محمد نصر الله ومعونته
على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبطة
باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها او تاخرها فاذا جاء ذلك الوقت
المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله
والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو حبس نصر
المؤمنين وفتح بلاد المشركين عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر
والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب
وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه بالفتح وقيل
النصر هو كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الدنياوي الذي
هو تمام النعمة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا يعني زمرا
وارسالا القبيلة بامرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن

لما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب
بعضها لبعض اذا ظفر الله عز وجل محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من
اصحاب الفيل فليس لكم به يد ان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا
بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس
اهل اليمن ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتاكم اهل اليمن اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية
ودين الله الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما لكعبة الله وناقة الله
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا يعني فانك حينئذ لاق به
ق عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم
لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم
ذات يوم ودعاني معهم قال وما رايته كان دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون
في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة قال بعضهم
امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم
فلم يقل شيئا قال لي اكذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما تقول قلت
هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح
فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر
ما اعلم منها الا ما تعلم ق عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا انه يقول
فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
اغفر لي يتاول القرآن وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال
اخبرني ربي اني سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان
الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح
فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك

واستغفره

واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة على النبي صلى
الله عليه وسلم نعيت اليه نفسه قال الحسن اعلم انه قد اقترب اليه اجله
فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى
الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة
اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فاشتغل انت بالتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعات يصير
سببا لمزيد درجات الدنيا والاخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما
نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء
من اجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى
وقيل في الاية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا
في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا
الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قلت انه يقتدي
الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل واحد من تقصير يقع في عبادته
واجتهاده تنبيه على النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة
اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل
هو عن ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم
وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى
ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد الاستغفار لذنوب
امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسراركتابه

تفسير سورة تبت يدي ابي لهب مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا
قوله بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبت يدي ابي لهب
ق عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي

صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي فهر يابني عدي لبطون قريش
حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء
ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير
عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير
بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اليوم الهذا جمعتنا
فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحا فصعد الجبل فنادا يا صاحاه
فاجتمعت اليه قريش الحديث فذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت
والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليدين صاحبهما
وجملة يداه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله
وجميعه وقيل رمي النبي صلى الله عليه وسلم فادمي عقبه فلهذا
ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت
يده فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى
ابن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي
لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف
وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون
الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل
عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من اهل النار
وماله الى النار وذات لهب واقعة حال كنية كان جديرا بان يذكر
بها وتب قيل الاول اخرج مخرج الدعا والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال
اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه
كما يقال قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اي وقد
اهلك نفسه ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن عباس لما دعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان
ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي نفسي باهلي وولدي فانزل الله عز وجل

ما اغنى

ما اغنى عنه ماله اي اي شيء يغني عنه ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله
ما جمع من المال وكان صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس ماله
يعني وما كسب ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث اطيب
ما اكلت من كسبك وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي ثم اوعده
بالنار فقال تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي نارا تلتهب عليه وامرانه
يعني ام جميل بنت امية اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية ابن
ابي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حمالة الحطب قيل كانت تحمل الشوك والحسك والقضاء بالليل فتطرحه
في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لتعقرهم بذلك وهي رواية
عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها
حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية
البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها او يحتمل انها
كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد تفعله هي بنفسها وقيل كانت
تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد
نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان
يغري به وقيل حمالة الخطايا والاثام التي حملتها في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانها كالحطب في مسيرها الى النار في
جيدها اي في عنقها حبل من مسد قال ابن عباس سلسلة من حديد
ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون
سايرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من
ليف وذلك الحبل الذي كانت تحطب به فبينما هي ذات يوم حاملة
الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من
خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد
وقيل قلادة من ردع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت قلادة

فاخرة قالت لا انفقها في عدواة محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى
اعلم بمراده واسرار كتابه ٭ تفسير سورة الاخلاص مكية
وقيل مدنية وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا
فصل في فضل سورة الاخلاص روى عن ابي سعيد الخدري
ان رجلا سمع رجلا يقرؤا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل سالها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث
القران وفي رواية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز
احدكم ان يقرا ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا ايننا
يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث
القران ٭ عن ابي ذراد النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزاء
القران ثلاثة اجزا فجعل قل هو الله احد جزا من القران ٭ عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اقراعليكم ثلث القران فقرا قل هو الله احد الله الصمد حتى
ختمها فذكر الثعلبي كون النبي صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص
يعدل ثلث القران احوالا متناسبة فقيل ان القران العزيز لا يفيد
ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه
اوصافه واسمايه اومعرفة افعاله وسننه مع عباده ولما اشتملت
سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهي التقديس
وان نهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث القران لان منتهى التقديس
في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه
وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره
وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن
اصلا له ولا فرعا من هو ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد جملة
وتفصيله هو قوله لا اله الا الله فهذا سر اني اسرار القران المجيد

الذي

النبي لا يشاهي اسراره ولا تنقضي عجايبه وقال الامام فخر الدين الرازي لعل
الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف في جميع الشرايع والعبادات
معرفة ذات الله تعالى ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة
مستقلة على معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاه وشانه فلهذا
كانت السورة معادلة لثلث القران وقال الشيخ محيي الدين النووي
رحمه الله قيل معناه ان القران على ثلاثة اقاصيص واحكام وصفات
الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة للصفات فهي ثلث القران وجزا
من ثلاثة اجزا وقيل معناه ان ثواب قرائها تتضاعف بقدر ثواب
قراة ثلث القران يعني تضعيف قوله يقللها فقال استقللت الشي
وتقللته وتقاللته اذا عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة
قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما انها خالصة لله تعالى
في صفته اولان قارئها قد اخلص لله تعالى التوحيد ومن فوايد
هذه السورة ان الاشتغال بقرائها يفيد الاشتغال بالله تعالى
وملازمة الاعراض عما سوا الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى
وبرائة عن كل ما يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية
والصمدانية والفردانية وعدم النظر عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا كل يوم مايتي مرة قل هو الله احد محى الله عنه ذنوب
خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل
هو الله احد مايتي مرة فاذا كان يوم القيمة يقول الرب تبارك وتعالى
يا عبدي ادخل على يمين الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وعن انس رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه قل هو الله احد الله
الصمد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذي عن ابي
هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا
يقرا قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل هو الله احد
عن ابي ابن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب
لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن
له كفوا احد قال لم يكن له سمي ولا عديل وليس كمثله شيء اخرجه الترمذي
وقال وقد روي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم
فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة
قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي ابن كعب وهذا اصح وقال
ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه
وسلم فقال عامر الي ما تدعونا يا محمد قال الى الله تعالى قال صفه لنا
امن ذهب هو ام من فضة او من حديد ام خشب فنزلت هذه السورة
واهلك الله اربد بالصاعقة وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكر قصتهما في سورة
الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته في التوراة
فاخبرنا من اي شيء هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث الدنيا وممن
يورثها فانزل الله عز وجل هذه السورة قل هو الله احد الذي سالتموني
عنه هو الله الواحد في الالهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال
والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية
غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفات من صفات
الله تعالى استاثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد
ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يدخل في الاثبات
والاحد في المنفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وفي المنفي ما رايت
احدا فيفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد الذات فلا يضاهيه احد
والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد "الله الصمد" قال

ابن

قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وقد قال جماعة من المفسرين ووجه
ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشيء المصمت الصلب الذي ليس فيه
جوف ولا رخاوة ومنه قيل لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد
بهذا كان من صفات الاجسام وتعالى الله عن صفات الجسمية وقيل
وجه هذا القول هو ان الصمد الذي ليس بأجوف معناه هو الذي لا ياكل
ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد
بقوله الله الصمد التنبيه على ان تعالى بخلاف ما اثبتوه له الالهية والبه
الاشارة بقوله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا يا كلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس بأجوف
شيئان احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني
اشرف من الانسان واعلى منه وهو الباري جل وعلا وقال ابي ابن كعب
الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه من يولد يموت ومن يموت يورث منه
وروى البخاري في افراده عن ابي وائل شقيق ابن مسلمة قال الصمد
هو السيد الذي انتهى سودده وفي رواية عن ابن عباس انه قال هو
السيد الذي كمل فيه جميع انواع السودد وقيل هو السيد المقصود
في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب
وتفرج الكروب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وذلك دال
على ان المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال
والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد
الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات
ولا تجري عليه الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول
الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل
لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي ان لا يكون
في الوجود صمد سوى الله تعالى وانه اسم خاص لله تعالى انفرد به
من الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

قوله تعالى لم يلد ولم يولد وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله فاكذبهم
الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد كما ولد عيسى وعزير
ولم يولد معناه ان من يولد كان له الولد فالنفي عنه احاطت النسب
من جميع الجهات فهو الاول الذي لا تتقدمه والد كان عنه وهو الاخر
الذي لم يباخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له
كفوا احد اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه ان يكون
ولم يكن له كفوا احد والعديل والنظير والصاحبة والولد عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله
لي يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما
شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم
يولد ولم يكن لي كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسراركتابه

تفسير سورة الفلق مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربعة
وسبعون حرفا عن عقبة ابن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الم تر ايات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظم فضلهما بين السورتين بعد
البسملة وقد اجمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكره فيه عن
زر بن حبيش قال سالت ابي ابن كعب عن المعوذتين قلت يا ابا
المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله
ابن حبيب قال اصابتنا ظلمة وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال قل قلت ما اقول قال قل هو الله

احد

احد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك من كل شيء
وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت
خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما
قال قل اعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم اعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال
ما تعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعناه
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق قال
ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم
فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة رأسه صلى الله عليه وسلم
وعدة من اسنان المشط فاعطاها لليهود فسحروه فيها وتولى ذلك
لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه فيما ذكر عن عائشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه
يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية انه ليخيل اليه فعل الشيء وما فعله
حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعى الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عائشة
ان الله عز وجل قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله
قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي ثم قال احدهما
لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم
اليهودي من بني زريق قال فيما ذا قال في مشط ومشاطه وجف
طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذي اروان قال فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البئر فنظر اليها
وعليها نخل قال ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحنا
ولكان نخلها رؤس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجت قال اما انا
فقد عافاني الله وشفاني وقد خشيت ان انور على الناس كيرا وفي رواية
للبخاري انه كان يرى انه ياتي النساء ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد
ما يكون من السحر اذا كان كذا عن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه
وسلم رجل من اليهود فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا

اقول

بيشة

من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهود ولا راه في وجهه اخرجه النسائي وروي انه كان تحت صخرة في البير فرجموا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشط وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالابر فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروي انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت عليه المعوذتان عن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وجواز الرقيا قولها في الحديث انه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه ان يصنع الشيء ولم يصنعه قال الامام الماوردي مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك وهي حقيقة واصناف ما نفع منه الى خيالات باطلة لا حقيقة لها وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر انه مما يتعلم ويكفر فيه اشارة الى ان مما يكفر به انه يفرق بين المراة وزوجها وهذا كله لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث صحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام يلفق وتركيب اجسام او المزج بين قوى لا يصرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من شاء من عباده فان قلت المستفاد منه فعل هو بقضاء الله تعالى وقدره ام لا فان كان بقضاء الله وقدره

فذلك

فذلك قدح في القدرة قلت كلما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالمعوذ والرقي من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روي الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت رقى نسترقي بها ودوايا نتداوى بها وتقاة يتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وقول عمر نفر من قدر الله الى قدر الله فصل وقد انكر المبتدعة حديث عايشة المتفق عليه وزعم ان بجط منصب النبي صلى الله عليه وسلم وشككه وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلايل القطعية والعقلية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا مما لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطيء زوجاته وليس بواطيء وهذا مثل ما يتخيله الانسان في المنام فلا يبعد ان يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما خيله فيكون اعتقاد انه على السداد قال القاضي عياض وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث مبينة ان السحر مما سلط الله على بدنه وظاهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب نقصا على الرسالة ولا طعنا على المرسلين في التبليغ والضلال وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور وقوله جف طلعة ذكر يروى بالتاء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل واما الرقى والتعويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بايات من القرآن واذكار ورد في الحديث ويدل على صحة ذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك منها حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد ابن رفاعة الزرقي ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر يسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان

وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية ولما النهي عنه سئل ما كان فيه شرك او كفر او شيأ لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيص الرب بالتعوذ القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج كما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح كذلك الخائف يرتقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصباح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعا للمضطرين واجابة الملهوفين فكانه قال قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج به الملهوفين والمحزونين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابك وغيره وروي عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فلق ظلمة العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال يا رب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات من شر ما خلق قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولاد الساحر لايتم الا به واخوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس ومن شر غاسق اذا وقب عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف او اخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلامه من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات وتقل المعونة وفيه يتم السحر

وقيل

وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم التي سحرت النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ من ريق قليل وقيل النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعوذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث والكره جماعة النفث والنفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمج لا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالازواج والا بد ان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه ومن شر حاسد اذا حسد الحاسد الذي يتمني ازالة النعمة التي ربما يكون مع ذلك سعي فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم ولبيد ابن الاعصم وحده والله اعلم

تفسير سورة الناس مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال اعوذ من شر الوسواس الى الناس برهم الذي يملك امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان اشرار المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر ملك الناس الله الناس انما وصف نفسه او الملائكة رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك انه ربهم وملكهم ثم الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس بالالهية خاصة له سبحانه وتعالى لاشتمال ذكر فيها احد واسبق في تكرير لفظ الناس يقتضي مزيد شرفه على بقية هم من شر الوسواس يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمس والصوت الخفي الخناس يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتاخر عنه قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاغفل وسهى وسوس واذا ذكر الله الخنس الشيطان وتاخر وقال قتادة الخناس لخرطوم الكلب وقيل لخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس وقيل راسه كرأس الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه

فاذا ذكر الله عز وجل خنس واذا لم يذكر الله رجع ووضع راسه على قلبه وذلك قوله تعالى
الذي يوسوس في صدور الناس يعني بالكلام الخفي الذي يصل وسوسه الى القلب من غير
سماع والمراد بالصدر القلب من الجنة يعني الجن والناس وفي معنى الاية وجهان
احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاءني
من الجن فقيل من انتم قالوا انا من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون
برجال من الجن فعلى هذا يكون في الاية ان الوسواس الخناس يوسوس الجن كما يوسوس
للانس والوجه الثاني ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس
وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس
للانسان كالناصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك الخنس وانقبض
فكانه تعالى امر ان يستعاذ من الجن والانس جميعا ك عن عائشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرا قل هو
الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من
بيديه يبدا بهما على راسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات ك عن عائشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات
وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه واسمح عنه بيده رجاء بركتها اخرجه مالك
في الموطا ولهما بمعناه ق عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به انا الليل وانا النهار ورجل
اتاه الله مالا فهو ينفقه انا الليل وانا النهار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل
قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي
تم كتاب التاويل في معالم التنزيل والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله
على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى الروصحبه وسلم وكان الفراغ
من كتابته في يوم الاحد المبارك عشرين خلت من شهر
من الجز سنة مائة والف سبعة وستين من الهجرة
النبوة على صاحبها افضل
الصلاة واسلم

